٦ الحرب الباردة على الكينونة العربية

مسخ الهوية



مختار الغوث

الحرب الباردة على الكينونة العربية

(٦)

مسخ الهوية

الحرب الباردة على الكينونة العربية

(٦)

مسخ الهوية

مختار الغوث

صوفيا

Σοφία

الحرب الباردة على الكينونة العربية

(٦)

مسخ الهوية

مختار الغوث

الطبعة الثانية - 2021

ISBN 978-9921-721-44-7

صوفيا Σοφία

الكويت - حولي - الدائري الثالث - مجمع بروميناد - ميزانين 2

البريد الإلكتروني: info.sophiakw@gmail.com

هاتف: 52224643-965+

@sophia_kwt

الفهرس

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين. أما بعد، فهذا الكتاب السادس من «الحرب الباردة على الكينونة العربية»، درست فيه بعض ما نال العربية في هذا العصر من تغيُّر، بحذوها على اللغات الأوربية، مبنًى ومعنًى. وقدَّمت بين يديه مدخلا، بينت فيه ارتباط اللغة بأهلها على كل حال يكونون عليه، وكيف كانت العربية في الجاهلية، وكيف صارت في الإسلام، وما انتهت إليه في عصور الضعف، من تأثر بالتركية تأثرا أعلَّها، وبدَّل حسنها، ثم تماثُلها من علتها في القرن الرابع عشر الهجري، ثم ما آلت إليه بحذوها على الإنجليزية والفرنسية، وعلاقة ذلك بما لبس العرب من قشرة حضارة الغرب. ثم درست الدخيل، وغلبته على ألسنة المثقفين والعلماء، وأسباب ذلك النفسية والحضارية، واستعلانه في الحياة العامة: الأسواق، والشوارع، وأسماء المتاجر، والسلع، والفنادق، والمطارات، والمطاعم، والتعليم، والتقنية، إلخ. وبسطت آراء اللغويين المحدثين فيه، وناقشتها، ووازنت بينها وبين آراء شعوب العالم، وما يشبه الإجماع منها على الضيق به، والجدِّ في دفعه، وعدِّه تهديدا لاستقلالها، وعدوانا على هويتها، وسَنِّ القوانين الصارمة لمنعه، والجدِّ في إمضائها. وبيَّنت ما يُخشَى منه على العربية من تهجين، أخذ يستعلن في كلام المتكلمين، ومؤلفات المؤلفين، وأحاديث المذيعين، ومحاضرات الأساتيذ الجامعيين. وعرضت لما جدَّ من ازدواج لغوي في حياة العرب بعد الحادي عشر من سبتمبر عام ٢٠٠١، وتقسيم ما يكتب في كل شأن من شؤون العرب بين العربية والإنجليزية، في الأوراق الرسمية وشبه الرسمية، من أسماء الإدارات، والوزارات، والمتاجر، والشركات، والمؤسسات، وألواح الإرشاد في الشوارع، إلخ.

وعرضت للعربيزي، وهي ضرب من الكتابة، يمزج العربية بالإنجليزية أو

الفرنسية، ويستعمل الحروف اللاتينية والأرقام الأجنبية فيما يكتب من الكلام العربي، أو الكلام الهجين، وذكرت تسمياتها ومعانيها، وأسباب ظهورها، ومضارَّها على العربية، وهجْر المعجم العربي، وما يَحتجُّ به هاجروه من غرابة بعضه، وما تبع هجرَه من نسبة العربية إلى العجز عن البيان عن مفهومات العلم الدقيقة، وتسويغِ التوسع في استعمال الدخيل، وعدم التحرج منه، وعده السبيل الأوحد إلى سد ما بها من نقص. وناقشت تلك المسوغات، وأبنت عما بُنِيَتْ عليه من قلة زاد من العربية. ودرست تبديل دلالة الكلم العربي، بتفريغه من معانيه، وحشوه بمعاني الكلم الأجنبي، من غير صلة بينهما، تسوغ ذلك، إلا أن المعجمات المزدوجة تترجم أحدهما بالآخر ترجمة حرفية، وتسمية المعاني بغير ما اصطلَح عليه العرب من الألفاظ ملاحظةً لتسميتها في الإنجليزية والفرنسية. أي إن الألفاظ العربية أُسكِنَ فيها غير معانيها، والمعاني أُلبست غير أرديتها؛ فكان من ذلك ما لا يُبين من الكلام، واستُبدلت الثقافة العربية بالثقافة الإنجليزية والفرنسية؛ فتأثر الفكر بالفكر، والشعور بالشعور، والذوق بالذوق، وتبدَّلَ مرجع العربية الثقافي؛ فغدت أطلالا، وهيكلا خاويا، واتَّسمَ ما يُترجَم إليها بالغموض، وصعوبة الفهم، وصارت العربية عربيتين: عربية تراثية، وعربية حديثة، لا يفهمها إلا عارف بالإنجليزية أو الفرنسية؛ فعزف كثير من العرب عن قراءة ما يُكتَب بها؛ لأنهم لا يفهمونه، وليست بينهم وبينه روابط ثقافية، واقتصروا على ما يكتب باللغة التراثية؛ لأنه هو ما يفهمون.

ودرستُ مسخ المباني، وعَنَيْتُ به التصرف في الكلم والأساليب تصرفا لا وجه له، بحذوها على الكلم والأساليب الأجنبية، كأن يزاد في الكلمة ما يزاد في مرادفتها الأجنبية من سوابق ولواحق، ويزاد في الفعل وما يُشتَقُّ منه ما لم يكن يزاد فيه، ليترجم به فعل من لغة أجنبية، وتذكَّر الكلمة أو تؤنَّث لأن مرادفتها الأجنبية تذكَّر أو تؤنَّث، والغلو في الاشتقاق من الأسماء الجامدة كما تَشتَقُّ منها الإنجليزية والفرنسية، والتكثر من النحت، والإتيان منه بكل غريب، على ما فيه من تنافر، وغموض، ومخالفة لأوزان العربية، والتكثر من التركيب المخالف لسنن التركيب في العربية، بحذوه على التركيب الفرنسي والإنجليزي، وحذو الجملة العربية على الجملة منهما، وكثرة الفضول بسبب الترجمة الحرفية، وقلةِ

العلم بالعربية، والتكثر من جمع ما ليس من دأب العربية أن تجمعه من الأسماء، كالمصادر، وأسماء الجنس التي يغني مفردها عن جمعها، والإفراط في النسب لغير حاجة، والإفراط في استهلاك المجاز والعبارات العتيدة، على وجه جعل كل ما يدرُج على أقلام العرب وألسنتهم مترجما ترجمة حرفية من الإنجليزية أو الفرنسية، ولا عربي منه إلا حروفه، وحذو النص العربي على النصوص المكتوبة بالفرنسية والإنجليزية في كل شيء، وأسباب ذلك. وعرضت للترجمة وما تركت من سيئ الأثر في العربية، وبينت سبب قلة تأثيرها قديما في العربية، وشدة تأثيرها فيها في هذا العصر، وكيف بدأت في عهد محمد علي باشا، وما انتهت إليه في هذا العصر، وأوردت نصوصا مترجمة من اللغات الأجنبية، بيَّنت ما صنعت بها الترجمة الحرفية غير العالمة، وكيف حالت دون فهمها وفهم ما شاكلها من النصوص المترجمة ترجمة مثلها، وما أدخلت على العربية من ضيم. وألممت بعربية المغرب العربي، فبينت أهم سماتها، وما تخالف فيه عربية المشرق، ودرست بغاية الإيجاز لغة ثلاثة من كتَّابه المشهورين، دراسة بيَّنت ما فيها من واضح الأدلة على قلة الزاد من العربية؛ لأدلل على أن ذلك هو سبب تأثرهم غير المحمود بالفرنسية. وإنما خصصت أهل المغرب العربي لأن الاستعمار الفرنسي ألزمهم لغته وحال بينهم وبين لغتهم؛ فكان تأثرهم بالفرنسية أشد من تأثر سائر العرب بما تعلموا من اللغات الأجنبية. وتعمدت التكثر من الأمثلة والشواهد في كل ما عرضت له؛ ليكون عملي عملا تطبيقيا؛ فإن ذلك هو الذي يعين على ما أردت من بيان ما انتهت إليه العربية في هذا العصر. وربطت ما صارت إليه بما صارت إليه ثقافة العرب من تشوه؛ لأبين أن اللغة ظِلُّ الثقافة ولسانها، وما كان العُود ليكون على حال ويكون الظل بخلافه، ولا القلب لينعقد على شيء ويدل اللسان على غيره.

مدخل

اللغة ترجمان العقل، ولسان الثقافة، تَغْنَى بغِناهما، وتفتقر بافتقارهما، وتقوى بقوتهما، وتضعف بضعفهما. وهي منوطة بأهلها: تنزوي حيث ينزوون، وتنطلق حيث ينطلقون. وقد كانت العربية في الجاهلية -كأهلها- منزوية بين بحار الجزيرة وكثبانها، لا تتجاوزها إلا إلى حيث يتجاوزونها، وما كان غيرهم من الأمم يعرفها، وإنما كان يترجَم لبعض ساستهم ما يقال بها، إذا أرادوا أن يعرفوه، وذلك إذا وفد عليهم وافد من العرب، وكان الذين يتولون الترجمة بينهم وبين العرب من العرب، فقد كان لبعض آل ساسان كتَّاب من العرب، يكتبون في دواوينهم، وتراجمة، ينقلون إليهم ما تتكلم به وفودهم، كعدي بن زيد العبادي وأهل بيته، ولقيط بن يعمر الإيادي(١). أما ما يُروَى من أن يزدجرج عَهِدَ بتربية ابنه، بهرام جور إلى المنذر الأول، أو النعمان بن امرئ القيس، فنشأ بالحيرة حتى بلغ الثامنة عشرة، وأحضر له معلمين، فعلَّموه القراءة والكتابة والرماية والفروسية، فأجاد العربية، وأخذ الشعر عن عرب الحيرة، وأن بعض المؤلفين رووا له شعرًا بالفارسية والعربية، فأكبر الظن أنه لا يصح(٢). وربما وجد الباحث ما يشير إلى أن بعض العرب كانوا يترجمون في دواوين القياصرة(٣)؛ لأن الروم كانوا يحكمون شمالي الجزيرة الغربي كما كان الفرس يحكمون شرقيها وشماليها الشرقي. وذكر بعض المؤرخين أن العربية كانت معروفة في بلاد الحبشة قبل الإسلام، وأن قصة سيف بن ذي يزن تدل على ذلك(٤)، ويدل عليه خبر قراءة جعفر بن أبي طالب -رضي الله عنه- سورة مريم على النجاشي،

---

(١) انظر: الاقتضاب في شرح أدب الكتاب، ٣/ ٣٧٥ وما بعدها، والشعر والشعراء، ١/ ٢٢٢، والأغاني، ٢/ ٨٩، ومختارات شعراء العرب، ١/ ١، والحور العين، ١٩٤٨م.

(٢) الصلات بين العرب والفرس وآدابهما في الجاهلية والإسلام، ٢٢.

(٣) مختصر صحيح البخاري، ٢٣.

(٤) العربية في السودان، ٥٢.

وفهْمه هو وأساقفته ما قرأ منها، وبكاؤهم منه حتى اخضلَّت لحاهم[1]، ولم يُروَ أن ترجمانا كان يترجم بينهم وبين جعفر، والبكاء والتأثر لا يكونان إلا مِنْ فهم، كما بكى أساقفة نجران -وهم عرب- لما سمعوا القرآن من النبي -صلى الله عليه سلم-: (وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق). ويقول بعض المؤرخين إن العربية وصلت إلى السودان قبل الإسلام؛ لأن بعض العرب كانوا يسكنونه[2].

وكانت العربية في الجاهلية لغة شفهية، لا تضم إلا أفكار أهلها، وأغراضهم المحدودة، ومعانيهم المشهورة، كالمنافرات، والمفاخرات، والمديح، والهجاء، والتأبين، والحماسة، والغزل، ووصف الطبيعة. ولم تتضمن فلسفة، ولا شرعا، ولا دينا، ولا علما؛ فلم يكن لهذه مكان عندهم، إلا ما كان من العادات، والأعراف، والشعائر، كالحج، والاستقسام بالأزلام، والذبح على النُّصُب، والقَسامة، وما يُعرَف بالتجربة من الأمراض وعلاجها بالكي أو العقاقير، ومطالع النجوم وعلاقاتها بفصول السنة، إلخ. وورد في مقدمة «ديوان عدي بن زيد»، بتحقيق محمد جبار المعيبد، أن عديا كانت له رحلات إلى الروم، ألَّف فيها كتابا، كان مأخذ المسعودي فيما كتب عن تاريخ الروم[3]، وأحال في ذلك على «زيدان»، وما أدري مَن هو، أما جورجي زيدان، فرجعت إلى كتبه الثلاثة التي هي مظنة هذا: «العرب قبل الإسلام»، و«تاريخ آداب اللغة العربية»، و«تاريخ التمدن الإسلامي»، فلم أهتد إليه في واحد منها، إن كان فيه، مع أنه تكلم عن «مروج الذهب»، في الجزء الثاني من «تاريخ آداب اللغة العربية» فلم يذكر شيئا كهذا، ولا ما يشبهه. فإن كان يعني زيدانا آخر، فلم أتبيَّنْه، ولا وجدتُ له ذكرا في «مروج الذهب»، ولا ذكرا لعلاقة عدي بالروم، سوى قوله: «وقد ذكر جماعة ممن سلف من شعراء العرب قبل ظهور الإسلام ذلك، لاشتهار ما وصفنا فيهم، منهم عدي بن زيد العبادي، حيث يقول:

وبنو الأصفر الكرام ملوك الروم   لم يبق منهم مذكور»[4]

---

(١) السيرة النبوية، ١-٢/ ٣٣٦.

(٢) العربية في السودان، ٥٢.

(٣) ديوان عدي بن زيد العبادي، ١٥ وما بعدها.

(٤) مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق يوسف البقاعي، ١/ ٢٠٦.

أما قول الجاحظ إن عديا «كان نصرانيا ديَّانا، وترجمانا، وصاحب كتب»[1]، فليس بنصٍّ في أنه مؤلف؛ فقد أورد هذه العبارة في معرض الموازنة بين ما ورد في شعر أمية بن أبي الصلت من قصص، يمكن أن يقال إنها من خرافات أعراب الجاهلية؛ لأن أمية لم يأخذها عن أهل الكتاب، وما ورد في شعر عدي، كقصة الحية مع إبليس، وأنَّ خِلْقتها كانت كخلْقة الجمل، ثم صارت على صورتها عقابا لها، وأن ما قال عدي لم يكن مبنيا على خرافات الأعراب، فقد كان نصرانيا عالما، وترجمانا، وما كان كأمية. فـ«صاحب كُتُب» تحتمل أنه كان على علْم بما في الكتب لديانته ونصرانيته، وما قال في الحية أخذه من تلك الكتب، فقد ورد في الإصحاحين الثاني والثالث من «سفر التكوين»[2]، وهذا هو الأظهر. ولم أجد ذكرا لتأليف عدي فيما اطلعت عليه من «المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام»، لجواد علي، وهو مظنة ذلك، لو ورد في شيء من كتب التراث العربي، ولا فيما كتب فؤاد سزكين في الجزء الذي خصَّ به التأليف عند العرب، من كتابه «تاريخ التراث العربي»، وإنما قال إن من الراجح عنده أن أكثر مشهوري النسابين في الجاهلية ألفوا كتبا في الأنساب قبل الإسلام، وإنه في كل مرة يجد أسبابا تحمله على تقدير وجود كتب في علم الأنساب في الجاهلية، وإنه لم يكن يعتمد على الذاكرة وحدها، كما هو شائع. وبنى حكمه على إشارات، ليست بقاطعة في أنَّ كتب النسب التي نسبت إلى بعض من أدركوا العصر الأموي، كدغفل النسابة، وعبيد بن شرية الجرهمي، أُلِّفَت في الجاهلية[3]. وهو خلاف ما يذهب إليه روزنتال[4]. وذكر فؤاد سزكين أن المسعودي أدرك كتاب نسب قديم، ينسب إلى باروخ بن ناريًّا، كاتب النبي إرميا[5]، ولكنه ما ذكر شيئا عن عدي بن زيد.

وكان للعرب في الجاهلية كتاب، يُدْعَى «مجلة لقمان»، فيه أمثال، ولما قدم سويد بن الصامت مكة حَاجًّا أو معتمرا، فدعاه النبي -صلى اللهُ عليه وسلم-

---

(١) الحيوان، ٤/ ١٩٧.

(٢) انظر: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ١/ ٤١٣.

(٣) تاريخ التراث العربي، المجلد الأول، الجزء الثاني، ١٢ وما بعدها.

(٤) علم التاريخ عند المسلمين، ٣٤.

(٥) تاريخ التراث العربي، ١٣.

إلى الإسلام، قال له: لَعَلَّ الَّذِي معك مثل الَّذِي معي، فقال له رسول اللهِ -صلى اللهُ عليه وسلم-: وما الذي معك؟ قال: «مَجَلَّةُ لُقْمَانَ»، فقال له رسول اللهِ -صَلَّى اللهُ عليه وسلم-: اعْرِضْهَا عَلَيَّ، ففعل، فقال: إِنَّ هَذَا الكلام حَسَنٌ، والذي معي أفضل منه: قُرْآنٌ أَنْزَلَهُ اللهُ -عَزَّ وجل- عليَّ، هو هدى ونور، وتَلَا عليه القرآن، وَدَعَاهُ إِلَى الإسلام، فَلَمْ يَبْعُدْ منه، وقال: «إِنَّ هذا لَقَوْل حَسَن»[1].

وما نعرف عن «مجلة لقمان» سوى ما قال وهب بن منبه، من أنه قرأ من «حكمته نحوا من عشرة آلاف باب، لم يسمع الناس كلاما أحسن منه، ثم نظرت، فرأيت الناس قد أدخلوه في كلامهم، واستعانوا به في خطبهم ورسائلهم، ووصلوا به بلاغاتهم»[2]. وما أدري أهي مجلة لقمان التي كانت عند سويد، أم مجلة أخرى، كما لا أدري ألقمان هذا لقمان عاد، أم لقمان بني إسرائيل، وهو ما يُفهَمَ من كلام وهب، وإذا صح ذلك، فهي مما قرأ وهب من كتب الأنبياء. على أن الذي يهمنا أنها كانت عند بعض العرب، وكانوا يقرؤونها، وكانت بالعربية، وإن كان لقمان بني إسرائيل غير عربي.

فلما أشرقت شمس الإسلام، تبدلت الحال؛ فصارت العربية لغة الدين، والعلم، والفلسفة، والسياسة، والفن، والصنائع، وكانت مع الإسلام حيث حلَّ وارتحل. وما تصرمت القرون الهجرية الأولى حتى كان متكلموها أضعاف عرب الجاهلية، والمساحة التي تُتكلَّم عليها أضعاف الجزيرة، فاستعرب العراق العجمي، وفارس، وخراسان، والشام، ومصر، والمغرب، والأندلس، واضمحلت لغات أهلها حتى زالت أو كادت تزول، و«صار اللسانُ العربي لسانَهم، حتى رسخ ذلك لغةً في جميع أمصارهم ومدنهم، وصارت الألسنة العجمية دخيلة فيها وغريبة»[3]. وحلَّت العربية محل اللغات الكبرى التي كانت تُكتَب بها العلوم والآداب والأديان، كالسريانية، والآرامية، واليونانية، والفارسية[4]. وأخذت منذ القرن الأول الهجري تمد عينيها إلى تراث العالم، فتترجم منه ما شاءت، وتنوعت أساليبها، واتسع معجمها، بالاشتقاق، والمجاز،

---

(١) دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، ٢/ ٤١٩، والسيرة النبوية، ١/ ٤٢٧.

(٢) المعارف، ٥٥.

(٣) النظرية اللسانية، ٩٤.

(٤) معطيات الحضارة المغربية، ٦٣.

والتعريب. وجدَّت في الأدب فنون، وأغراض، وأنواع، فما بقي من ميادين العلم، والفكر، والأديان، والنُّظُم، والآداب ميدان إلا ركَضَت في ساحته فتية بفتوة العقل الإسلامي، متوثبة بتوثبه. حتى إذا شاخ، وخمد الخيال، ونضبت القرائح، وانحلَّت عرى ملك العرب، واضمحلَّ سلطانهم، سكنت ريحها، وأفل نجمها، فغدا الأدب لعبا لفظيا، ينم على شيخوخة العقل وعجزه، ورسوما حائلة، تدل علي وشْك الرحيل، فنزع شيوخ اللغة إلى تحفيظ المتون، وتقييد الحواشي، وتطلُّب العلل المعْتلَّة بمنطق اليونان، المنبتة عن الطبع والسليقة. وإن كان بعض الأقاليم أمثل من بعض، فقد كانت مصر والشام والأندلس والمغرب أمثل من سائر الأقاليم الإسلامية لسلامتها من احتلال المغول، وفسدت العربية في العراق، وخراسان، وفارس، والهند، والسند، وما وراء النهر، وبلاد الشمال، وبلاد الروم، وذهبت أساليبها من الشعر والكلام إلا ما كان يُتعَلَّم تعلما صناعيا، بتدارس كلام العرب وحفظه، وهو قليل، وصارت الكتب تؤلف باللسان العجمي (الفارسية)، ويدرَّس به في المجالس، في العراق وما وراءه[1]. وما دخل العصر الحديث حتى كنت لا تجد من يكتب رسالة سالمة من الخطأ، أو طليقا من أغلال البديع وملاحنه وأحاجيه، وما بقي من العربية الفصحى رسم ولا أثر إلا بين بضعة أشخاص، وكان التدريس وأغلب الجرائد بالتركية[2]. فكان مما يُكتَب على ألواح الطريق في شوارع بغداد، عقب رحيل الحكم العثماني: «درْب ماكو»، أي الطريق مغلق، و«طريق عام نهي»، أي: يُمنَع المرور. ومن البلاغات الإدارية التي كتبت على باب خان دلله ببغداد: «صار معلوم عندنا قبل كم يوم أن الباش جاويش مال السكشنات صايرون جدا رديء في شغلهم ووظيفتهم، وبهذه الواسطة الشغل يبان رديء جدا. واخبركم إذا شغلكم.. بعد أيام قلائل ارجعكم إلى رتبتكم»، «مخصوص السلام. السلام عند البوليس مال خان دلله صار رديئا، البوليس عند ما يقف قدام الآمر ماله يتكلم معاه بلا تفكير. وإذا... يُجازَى بالحبس... يوم وعشرة عصا»، و«الباش جاويش لازم يتذاكر من تحت

(١) مقدمة ابن خلدون، ٣٧٩ وما بعدها.
(٢) الدراسات اللغوية في العراق في النصف الأول من القرن العشرين، ٩٢.

امرهـم، فـإذا لـم ينظـرن فارجعهم إلـى رتبتهـم»[1]. وكانـت لغة العلمـاء التي يؤلفون بهـا، إن أَلِفـوا، كلغـة عبـد الرحمن الجبرتي فـي تاريخه، كقوله فـي وجيه من وجهاء مصـر، يُدعَـى صالحـا الفلاَّح: «وهو أستاذ الأمـراء المعروفين بمصر، المشـهورين بجماعـة الفـلاَّح، ويُنسـبون إلـى القازدغلية، وكان متمـولا ذا ثـروة عظيمة، وشـحٍّ، وأصلـه غـلام يتيـم فـلاَّح، مـن قريـة مـن قـرى المنوفيـة، يقـال لهـا الراهـب، وكان خادمـا لبعـض أولاد شـيخ البلـد، فانكسـر عليـه المـال، فرهـن ولـده عنـد الملتـزم، وهـو علـي كتخـذا الجلفـي، ومعـه صالـح هـذا، وهمـا غلامـان صغيـران، فأقامـا ببيـت علـي كتخـذا حتـى غلـق أبـوه مـا عليـه مـن المـال، واسـتلم ابنـه ليرجـع بـه إلـى بلـده، فامتنـع صالـح، وقـال: أنـا لا أرجـع إلـى البلـد، وأَلِـف المقـام ببيـت الملتـزم، واسـتمر بـه يخـدم مـع صبيـان الحريـم، وكان نبيهـا خفيـف الـروح والحركـة، ولـم يـزل ينتقـل فـي الأطـوار حتـى صار مـن أرباب الأموال، واشـترى المماليـك والعبيد والجـواري، ويزوجهـم مـن بعـض، ويشـتري لهـم الـدور، ويدخلهـم فـي الوقاحات والبلـكات بالمصانعـات والرشـوات لأربـاب الحل والعقـد، والمتكلميـن، وتنقلوا حتـى تلبسـوا بالمناصـب الجليلـة، كتخـذاءات واختياريـة، وأمـراء طبلخانـات، وجاويشـية، وأوده باشـيه، وغيـر ذلـك، حتـى صـار مـن مماليكـه ومماليكهـم مـن يركـب فـي العـذارات فقـط نحـو المائـة»[2]، وقـول أحمـد زينـي دحـلان: «وأكثـروا مـن الشـنك... ثـم طلعـوا إلـى مكـة... وعملوا لذلك زينة وشـنكا ومدافـع... وزادوا فـي رتبـة محمـد علـي باشـا وبعثـوا لـه أطواخـا وعـدة أطـواخ بولايـات لمـن يختـار تقليـده... فزنجـره بالحديـد»[3]. وقـول رفاعـة الطهطـاوي: «ويتعلـق بالرقـص فـي فرنسـة كل النـاس وكأنـه نـوع من العياقة والشـلبنة، لا من الفسـق...، أمـا في باريس فإنـه نـطٌّ مخصـوص»[4]. ثـم هبَّـت عيـون المسـلمين مـن رقدتهـا أو موتتهـا، والأمـم تتداعـى عليهـم «كمـا تتداعـى الأَكَلة إلـى قصعتها»، ففكـروا طويلا، فـرأوا المخرج فـي المثابـة إلـى تـراث القـرون الأولـى، فثابـوا إليـه، والشـكوك تتنازعهـم، ودعايـة المسـتعمر تزيـن لهـم أن يتقفَّـروا خطـاه، ويَعْمُـروا ما بينهـم وبينه، ويُخربـوا ما بينهم

(١) حركة التعريب في العراق، ٧١.
(٢) عجائب الآثار في التراجم والأخبار، ١/ ٣٢٢.
(٣) فتنة الوهابية، ١٥ وما بعدها و١٧.
(٤) تخليص الإبريز، ١١٩.

وبين التراث؛ فاغترَّ به من اغترَّ، وزَكِن غاياته من زكنها، فكان له منهم حواريون وأتباع، ولعداوته أنصار وأشياع، ونشب الصراع بين الأتباع والأشياع، وما نزال في قتام المعركة!

غير أن العربية انتعشت، مع ذلك، وانتعش الأدب على قدر ما انتعش الفكر، ولكنه انتعاش، شابه التغريب الذي شاب الحياة كلها، وخلب الألباب، واستتبع الفكر، وسلب الإرادة، واستنبت الاستكانة، فقنع بعض العرب من الإبداع بالاتباع، ومن الإنتاج بالسخرية من التراث والأصالة، وسولت لهم أنفسهم أن ليسوا على شيء، وما يكون لهم أن يكونوا عليه، إلا أن يتابعوا، فرضوا بأن يكون المستعمر كريما، فتشبهوا به:

إن التشبه بالكرام فلاح

وإنما تشبهوا بأيسر ما يُتشبَّه به من أحواله، كالصور، والهيئات، والعادات، والسلوك، والعواطف، والأذواق، فنتجت من ذلك ثقافة، إنما هي ثقافةُ مطابقةٍ، أو مماثلة، تهتدي في جملة أعمالها العامة، واتجاهاتها الرئيسة بمراجع متصلة بأحوال تاريخية مختلفة عن أحوالهم[1]، كما أبان عن ذلك قول طه حسين الشهير: نحن مدفوعون إلى الحياة الحديثة دفعا عنيفا، تدفعنا إليها عقولنا، وطبائعنا، وأمزجتنا التي لا تختلف في جوهرها قليلا ولا كثيرا -منذ العهود القديمة جدا- عن عقول الأوربيين وطبائعهم وأمزجتهم، وتدفعنا إليها المعاهدات التي أمضيناها وأبرمناها، والالتزامات التي قبلناها راضين، بل بذلنا في سبيلها جهودا، لا تُحصَى، وبذلنا فيها الأنفُس الزاكية، والدماء الطاهرة، وأنفقنا في سبيلها كرائم المال، واحتملنا ضروب المحن والآلام[2]. إن المثل الأعلى للمصري في حياته المادية هو المثل الأعلى للأوربي في حياته المادية، وليس في الأرض قوة تستطيع أن تردَّنا عن أن نستمتع بالحياة كما يستمتع بها الأوربيون[3]. يفخر بالتبعية، والمماثلة الصورية، ويبدي الإصرار على المضي فيهما، على وجه يدل على ظاهرية، لا تعي، وحماسة، لا تستبصر، بآيةِ ما يغتبط

(١) الثقافة العربية والمرجعيات المستعارة، ٥.
(٢) مستقبل الثقافة في مصر، ٣٤.
(٣) السابق، ٣١

بهذه المماثلة، ويبدي ما أبدى من الإصرار على التمادي فيها، على إقراره بأنه يأتي ما يأتي دون تمييز لما يحسن مما لا يحسن، كأن المماثلة وحدها غاية، وهو فعل، يعسر حمْله على وعي أو رشاد. وشتان ما الحداثة والتلبس بقشرة الحضارة، والمحاكاة الظاهرية التي لا تميز خيرا من شر، ولا نفعا من ضر، ولا حَسَنًا من قبيح. وقد عدَّ روفائيل باتاي، أستاذ علم الإنسان في (دوبسيي كوليج) بفيلاديلفيا وجامعة كولومبيا، في العقد السادس من هذا القرن، ما تأتي الشعوب العربية وما يفخر به طه حسين منقصة، وآية من آيات عدم الرشد، فقال: ما مردُّ ما كان من تغيُّر الاتجاهات العقلية التي عمَّت منذ قرون إلى الاهتداء إلى نزوع عقلي، ولكن إلى ميل إلى الغرب، مأتاه من هيبة الغربيين وثقافتهم هيبة أورثت شعوب الشرق الأوسط نزوعاً إلى محاكاة الغرب في كل شيء، ورغبة خانعة، لا في الحصول على الآلات الغربية فقط، ولكن في تقليد السلوك والاتجاهات، كذلك. لقد قُبل الطب الغربي لا لأنه خير من غيره، ولكن لأنه طب غربي، وازدُرِيَ السحر؛ لأن الغرب المهيب يزدريه، لا لأن لازدرائه قيمة علمية، فحسب[1].

وأقبح الاستهلاك استهلاك الثقافات، ومنها اللغات؛ لما يورث من مسخ، وتبديل للخصوصيات، وانسلاخ من كل أصيل، وتعشُّقٍ واصطناع لكل دخيل، وحرص على المماثلة الصورية لمن لا تربط به رابطة، تسوِّغ الحرص على مماثلته، بل ربما كانت العلاقة به قديما وحديثا مدعاة للتجافي عنه، ومباينته في كل ما يمكن أن يبايَن فيه. ولكن القلوب إذا تشابهت منازعها، تبعتها الأجسام والصور والهيئات؛ إذ الجوارح توابع للقلوب، ومن الجوارح اللسان، ومن تبعية اللسان للقلب ما يظهر في العربية الحديثة من الحذو على اللغات الأجنبية، والاقتراض منها لغير حاجة، فإن قلوب العرب، لما استهواها الغرب، وخضعت له، واعتقدت فيه الكمال، تابعتها الألسنة. أما تقليد الغربيين في كل شأن من شؤون الحياة والاعتزاز بذلك، وعدُّه باب الرقي والتقدم، فقد أبان عنه بعض ما كتب طه حسين، كقوله: السبيل إلى التقدم والمدنية «ليست في الكلام، يُرسَل إرسالا، ولا في المظاهر الكاذبة، والأوضاع الملفَّقة، وإنما

---

(١) أقوال منسية حول التغريب.

هي واضحة بيِّنة مستقيمة، ليس فيها عوج ولا التواء، وهي واحدة فذة، ليس لها تعدُّد، وهي أن نسير سيرة الأوربيين، ونسلك طريقهم، لنكون لهم أندادا، ولنكون لهم شركاء في الحضارة: خيرِها وشرِّها، حلوها ومرِّها، وما يُحَبُّ منها وما يُكرَه، وما يُحمَد منها وما يُعاب، ومَن زعم لنا غير ذلك، فهو خادع أو مخدوع»[1]، نريد الاستقلال العلمي والفني والأدبي، هذا الذي يمكِّننا من أن نهيئ شبابا قادرين على حماية الوطن: أرضِه، وثروته، وعلى إشعار الأجنبي بأننا مثله وأنداده. هذا الذي يمكِّننا من أن نتحدث إلى الأوربي، فيفهمَ عنَّا، ومن أن نسمع له؛ فنفهمَ عنه، ونُشعره بأننا نرى الأشياء كما يراها، ونَقُوم بها كما يقوم، ونحكم فيها كما يحكم[2]. فهو لا يقنع بأن يرى الأشياء كما يراها الأوربيون، ويقوِّمها كما يقوِّمونها، وإنما يريد أن يَعْلَموا بذلك منه، فعلْمهم به مما يطمئنه، ويشعره برضاهم عنه؛ إذ فعلَ ما فعَلوا في كل شيء، وأنه مقتنع بهم، ومقتنع بأنه مثلهم، إذ أحسنَ تقليدهم، أما وقوع التقليد من غير علم منهم، فيجعله في ريب من صحته.

وكان كتاب طه حسين الذي أخذنا منه قولته هذه (مستقبل الثقافة في مصر) يوصف بأنه هو الذي «أسَّس ونظَّر وفلسف للتغريب والتبعية الفكرية للغرب، والحضارة الأوربية المتوسطية»[3]؛ لِمَا أظهر فيه من حرْص على مماثلة الغرب في خصوصياته الثقافيه. وإن كانت مماثلته غير ذات معنى، فضلا عما فيها من أضرار مُبينة، وتنازل عن الهوية، وانحلال في الغير، ليس له من فائدة سوى فَوَات النفس مجانا، كما يُرَى في تغيير التوقيت اليومي من التوقيت الغروبي إلى الزوالي، فقد كان المسلمون باصطناع التوقيت الغروبي يميزون الليل من النهار، ولكل منهما عندهم مدة معلومة، فاليومُ يبدأ بغروب الشمس، وغروبها يوافق الساعة الثانية عشرة، ويمتد إلى غروبها من اليوم الذي يليه، ويبدأ النهار بطلوع الفجر الصادق، وينتهي بغروب الشمس، ويبدأ الليل بغروب الشمس، وينتهي بطلوع الفجر. فلما صاروا إلى توقيت الغرب (التوقيت الزوالي) اختلط

---

(١) مستقبل الثقافة في مصر، ٣٩.

(٢) السابق، ٤٢.

(٣) إشكالية الهوية وثنائية اللغة والترجمة في السياق العربي المعاصر، ٦٣.

الليـل والنهـار، وتداخـلا فـي «يـوم»، لا يتميـز فيـه أحدهمـا مـن الآخـر، ولا يُـدرَى مبتـدؤه مـن منتهـاه، يبدأ عقـب السـاعة الثانيـة عشـرة ليـلا، وينتهـي عقـب السـاعة الثانيـة عشـرة مـن الليلـة التـي تليهـا، ومدتـه أربـع وعشـرون سـاعة. وترتـب علـى هـذا الاسـتبدال اختـلاف كبيـر فـي دلالـة بعـض الألفـاظ، فصـار مـن المعهـود أن يُسـمع فـي الإذاعـات، ويُقرَأ فـي الصحـف: السـاعة الثانية عشـرة فجـرا، أو صباحا، والسـاعة الواحـدة فجـرا، وإنمـا الفجر ضـوء الصباح، ومطلعـه كان هو بدايـة النهار عنـد المسـلمين، والسـاعة الثانية عشـرة، والسـاعة الواحـدة والثانيـة والثالثـة إنمـا تكـون في أول الليـل أو وسـطه أو آخره، وليسـت من النهار، وربمـا كان بعضها قبل طلـوع الفجـر بمـا يزيـد على خمس سـاعات، فـي بعض الفصـول. وربمـا لقيتَ من يقـول لـك بعيـد السـاعة الثانية عشـرة ليلا: صبـاح الخيـر، أو يقول لك: لقيـتُ فلانا أمـسِ، وهـو يعنـي أنـه لقيه قبل السـاعة الثانية عشـرة من ليلتـه. والصبـاح إنما يكون بعـد طلـوع الفجـر، أمـا مـا قبله، فليـل، وما بعـده فنهار إلـى أن تغرب الشـمس، وأما أمـسِ، فاليـوم الـذي قبـل يومـك، بليلـه ونهـاره. وغـدت لألفـاظ الزمـن فـي العربية الحديثـة معـان غيـر معانيهـا فـي العربيـة الأصيلـة، ومعانيها المسـتحدثة هـي معاني مرادفاتهـا فـي لغات الغرب، كمـا تبدَّلت حـدود الليل، والنهـار، والصباح، والفجر، واليـوم، والأمـس، وأوقاتهـا فـي العربيـة الحديثـة. وإذا فتشـنا عـن فائـدة ذلـك، بـل عـن معنـاه قبـل أن نسـأل عـن فائدتـه، لـم نجـد لـه معنـى ولا فائـدة. وإنمـا عدلنا عما عهدنـا إلـى مـا وجدنـا عليـه غيرنـا، بغـض النظـر عـن صحتـه مـن عدمهـا، مـن أجل أن نماثلـه؛ فخسـرنا مـن تلـك المماثلـة خسـارة كبيـرة: كنـا نكيـف أنفسـنا ومعيشـتنا تكييفـا يجعـل العبادة سـهلة، ويجعـل شـعائرنا موافقةً أعمالنا كل يـوم، ولـم يكن في يومنـا تنافـر ولا اضطـراب، ولا ضيـق، ولا فـوات للصـلاة، وكنـا ننـام بعـد العشـاء، ونسـتيقظ قبـل الفجـر، ونعـرف معنـى ثلـث الليـل الأخيـر الـذي يسـتجيب الله فيـه الدعـاء[1]، والسـاعة الأولـى مـن الليـل، والثانيـة، والثالثة، والسـاعة الأولـى والثانية والثالثـة والرابعـة مـن النهـار، وحيـن نقـرأ الحديـث: «من اغتسـلَ يوم الجمعة غُسْـلَ الجنابـة، ثـم راح، فكأنمـا قـرَّب بدنـة، ومـن راح فـي السـاعة الثانيـة، فكأنمـا قـرب بقـرة، ومـن راح فـي السـاعة الثالثـة، فكأنمـا قـرَّب كبشـا أقـرن»، نفهمـه؛ لأننا نعرف

(١) المدخل، ٩.

الساعة الأولى، والثانية، والثالثة، فاختلف الحال مذ عصر الخديو إسماعيل، فأصبحت الساعة الثانية عشرة هي وسط النهار[1]. هذا إلى أن في حساب التوقيت الزوالي، كما يسمونه، خللا، فاليوم ليس أربعا وعشرين ساعة بالضبط، بل يختلف باختلاف أيام السنة، فهو أربع وعشرون ساعة وسبع عشرة دقيقة، أو أربع وعشرون ساعة إلا سبع عشرة دقيقة، ومن أجل هذه الدقائق الأربع والثلاثين يختلف وقت الظهر عندنا، فيدخل مرة في بعض الأقطار الإسلامية عند ٣٥ر١١، ومرة عند ٧ر١١، وهذه المدة هي التي يختلف فيها اليوم[2]، ويدخل في بعضها عند ٣٥ر١٢ مرةًومرة قبل ذلك بقليل أو كثير، ولكل قطر توقيته. ويسوِّغ تغيير التوقيت -على ما فيه- بأن التوقيت الزوالي صار توقيتا عالميا، ويؤقت به لكل شيء، من مواعيد إقلاع الطائرات وقدومها، ويحجز عليه للسفر في خطوط الطيران، ويستعمل في كل شأن من شؤون العالم، ولا يستعمل غيره؛ فما ينبغي أن نشذَّ عنه، كما غدا التاريخ الميلادي تاريخا عالميا، وغدا يوما السبت والأحد عطلة عالمية، فإن لم نتخذهما عطلة، خسرنا. أما خسارتنا من المصير إليه، فتهون في موافقة «العالم».

وقد يكون من العسير أن يُتخيل امرؤ يستقل لسانه عن ألسنة قوم، يتخلق بأخلاقهم، ويحاكيهم في كل شيء: يلبس كما يلبسون، ويأكل كما يأكلون، ويشرب كما يشربون، ويحلق ويقصِّر كما يحلقون ويقصرون، ويتكلف حب ما يحبون، وكرْه ما يكرهون، وينتحل من الآراء والمذاهب ما ينتحلون، ويعتقد أن ثقافتهم -كحقائق العلم- شركة بين الناس كافة، وإن سبقت إليها حضارةٌ حضارةً، وأن الانتفاع ببعض ما صنعوا مشروط بمتابعتهم في الخير والشر، والحلو والمر، وما يُحَبُّ وما يُكرَه، وإنما اللغة لسان الثقافة، ومقتضى ذلك أن تكون دليلا عليها، وأن تحاكي ما تحاكي، وتماثل ما تماثل، وتطابق ما تطابق، فتُحذى على الإنجليزية والفرنسية حذوًا، فتختصر ما تختصران، وتنحت ما تنحتان، وتبني الكلمة والجملة والنص كما تبنيانها، وتُعطي الكلمة معنى الكلمة منهما، ليست بمعناها، وتدخل من كلمهما ما هي في غنى عنه، كما

---

(١) المدخل: ١٠.

(٢) الموضع السابق.

يحاكي العرب الإنجليز والفرنسيين في كل ما لا معنى لمحاكاتهم فيه. وكلُّ تغير في الحياة يترك أثرا قويا في اللغة، وإذا كان للغة من تاريخ، فينبغي «أن يكون فصلا من فصول تاريخ المجتمعات»[1]، وإذا أُرِّخ للعربية في هذا العصر، لم يكن تاريخها إلا فصلا من فصول تاريخ فكر العرب وثقافتهم. ولَمَّا كان بعض ما يكون من التغير في حياة العرب غير محمود، كالتنازل عن النفس، والاستهلاك، والتقليد على غير بصيرة، وتخير الأقرب الأسهل، ومحاكاة الظاهر من الصور والعادات دون اللباب والغايات، كان لزاما أن يكون مثل ذلك في اللغة. وأظهر ما يكون ذلك في النساء، فإن تقليد بعضهن تجاوز العقل والذوق والأخلاق، حتى غدا أشبه بالجد في تبديل الجلود، وتغيير الصور، على وجه قد يحمل على الشك في صحة عقل من يأتيه، كمحاكاة نساء الغرب في التعري، وصبغ الوجوه، والشفاه، والشعور، والأزياء، كأن المرأة الغربية هي مثال الجمال والأناقة والتحضر، وعلى قدر ما يكون القرب من صورتها يكون الحظ من تلك. ويقال مثل ذلك في كلف النساء في الأقطار العربية باللغات الأجنبية، وولعهن بالتكلم بها، وافتخارهن بما يعرفن منها، وهن يفقن الرجال في ذلك فوقا كبيرا، كما يفقنهم في الكَلَف بمحاكاة النساء الغربيات، وتمثل صورهن. ولعل ما في طبع الرجل من قوة وجلَد، وتماسُك، وتعقُّل هي التي تحول بينه وبين بعض ما يكْلَف به النساء، لما في طبعهن من ضعف، وما يتملكهن من عاطفة، قد تميل بهن إلى ما لا يَرْتضي بعض الرجال، كما أن السلبية في مظاهر النساء الغربيات أظهر وأكثر منها في مظاهر الرجال، إذ كان الرجال أقوى شكيمة، وأبعد من ضعف الأنوثة، وآية ذلك أن الرجل والمرأة الغربيين ربما تشابها في بعض المظاهر، كقصر الملابس، غير أن ذلك قليل في الرجال، ولا سيما الذين تخطوا طور الشباب، كثير في النساء من كل سن، وملابس النساء أقصر كثيرا من ملابس الرجال، مع أن قِصَر ملابس الرجل أقل شناعة من قصر ملابس النساء.

وكان بعض المثقفين في هذا العصر يحتج لمتابعة الغرب في اللغة بالمتابعة في غيرها، ويرى أن هذا يستلزم ذلك، وأن ما استباح العرب من متابعة الغرب

(١) حرب اللغات، ٢٩.

في العلم، والصناعة، والثقافة، يحمل مثله على استباحة متابعته في اللغة، وأن يأخذوا منها كما أخذوا من تلك كما قال أحدهم: نلبس أزياء الموضة الغربية طائعين، ونقبل ما يقرره العلْم الأوربي، وندخِّر آثار الفن الأوربي، ونستعمل ما تقدمه لنا الصناعة الأوربية من الآلات، نأخذ ذلك كله، ونحب أن نعمل مثله، ونختمه بختمنا المصري، ليكون لنا، ومن نتاج قرائحنا، وعمل أذرعنا، ونَعدُّه دليل رقي، وطليعة استقلال، فما بالنا لا نعدُّ لغتنا كالعلم، نزيد فيها كل جديد بمقدار الحاجة، وكالفن والصناعة والتجارة، يزيد مقدارها بزيادة علاقتنا بالأمم الأخرى؟[1]. وغني عن البيان أنه -إذ يقول هذا- لا يعرف ماهية اللغة، إذ يسويها بالعلم والسلع، ويرى أنْ لا ضير أن يجتلب منها ما يجتلب منهما، ولا يدري أنها هوية، وأن الهويات لا تستورد، ولا تستعار، أما العلم، فحقائق مودعة في الكون مذ خُلق، وإنما يسبق الناس بعضهم بعضا إلى معرفتها، وسبْق من سبَقَ إلى معرفتها، وتسميته إياها من لغته لا يجنِّسها بجنسيته، ولا يشتق لها هوية من هويته، وفي وسع كل أمة سوية أن تعرفها، وتنتفع بها كما انتفع السابق، أو أكثر مما انتفع، وتسميها بلغتها. وإنما استعمال اللغة الأجنبية، مع الغنى عنها، أثر من آثار الغَلَب والهزيمة، فقد ذكر أبو شامة المقدسي أن صلاح الدين الأيوبي في إحدى معاقداته الإفرنج عام ٥٨٧ هـ استعمل «الترم» (terme)، وجَمعَه على تروم، وما دخلت هذه الكلمة العربية إلا يوم دخول الذل على أهلها، وبعد حصار الإفرنج عكا، وأخْذهم إياها بالقوة، وبعد إرادتهم صلاح الدين على أن يؤدي إليهم مائة ألف دينار، في ثلاثة «تروم»[2]. ولأنها ليست كالعلم ولا السلع سنَّت فرنسة من القوانين ما يردع عن استعمال مفردة أجنبية فما فوقها، ووضعت الغرامات على مخالفيها، وعدَّت استعمالها نذير شؤم[3]، وأبت أن توقِّع على الجانب الثقافي من اتفاق منظمة التجارة الدولية (الجات) متعللة بأن «الثقافة ليست بضاعة، تطبق عليها قواعد السوق»[4]. ومن عدَّ اللغة سلعة، أو محدثة (موضة) فيمكن أن يخلعها اليوم، ويلبس غيرها، إذا جدَّ، وإنما اللغة

(١) تاريخ الدعوة إلى العامية، ١٢٨ وما بعدها.
(٢) المباحث اللغوية في العراق، ١١٨.
(٣) انظر: تحت راية القرآن، ٢٥.
(٤) خمس عشرة سنة من النضال، ١٨٩.

هوية، ومن دأب الهوية الثبات المطلق أو الإضافي، ومَنْ فَقَدَ لغته فقَدَ هويته، وانتسبَ إلى مَنْ يحاكي، وانقرض من حيث هو كيان مميز، أما المحدثات، فهيئات، يظن من يصطنعها أنها تسبغ عليه من الجمال والمعاني ما لا تسبغ عليه الهيئة التي هي أقدم منها، وهي شأن، لا يشارِكُ فيه صاحبَه إلا من يرى رأيه، بخلاف الهوية التي هي قاسم مشترك بين المرء وقومه، وهي شأن عام، ليس إلى أحد، وإنما يتخلق تخلقا تلقائيا، كما تتخلق الثقافات. ومفردات اللغة، وأساليبها، ونحوها، وصرفها هي هويتها، ومن أدخل عليها ما ليس منها طمس هويتها، وألحقها بغيرها. وما زالت الشعوب المعتدة بهوياتها تحتاط للغاتها، فلا تدخل فيها إلا ما لا بد من إدخاله صونا لهويتها، وخوفا عليها أن تُمْسخ، هذا إلى أن الألفاظ تحمل في جوفها ثقافات أهلها، ومَنْ أدخل من اللغة لفظا أدخل من الثقافة بقدره، وأمات من لغته وثقافته نظيره، وهجَّن لغته، وأعان على محو خصوصيتها، ولا سيما إذا كانت اللغة التي يحذو عليها، أو يُدخِل منها، من غير فصيلة لغته.

ولعل الذي سلك بأحمد لطفي السيد (صاحب الرأي السابق) هذا المسلك عدم الفقه بماهية الهوية، ومكانة اللغة منها، ثم ما استمال معاصريه ومَن تلاهم من «قشرة الحضارة» وما يتبع الولع بها من العكوف على الوهم عكوفا يشغل عن تطلب الحقيقة، ويغري بالمظهر دون المخبر، ويُضِلُّ السعي، فيظنون أنهم رسل الحداثة والعقل والتقدم، وإنما هم دعاة تبعية. وقد مسَّ أحمد لطفي أمرا مهما، ربما لم يُرِدْ مسَّه، وأبان عن حقيقةِ وَلَعِ العرب باللغات الأجنبية، من حيث لا يدري، وهي أن استعمال اللغات الأجنبية، والإدخال منها، والحذو عليها ليست إلا صورة من صور الاستهلاك عند الشعوب المتخلفة، فهي تستهلك الفكر، والثقافة، والسلع، واللغة: تستهلك المفردات كما تستهلك السلع، وتحذو العربية على الإنجليزية والفرنسية كما تحذو صورها وهيئاتها وحياتها على صور الإنجليز والفرنسيين وهيئاتهم وحياتهم، وتستورد المجازات، والعَتيدَ من العبارات من لغتيهم كما تستورد السلع من بلادهم. ومن تأمل كل كلمة أو أسلوب، يقولهما العرب اليوم وجدهما مترجمين من الإنجليزية والفرنسية، وأن ليس للعرب منهما إلا حروفهما، كما أن كلَّ شيء في سلوك العرب وصورهم

وهيئاتهم «مترجم» من سلوك الإنجليز والفرنسيين وهيئاتهم، وليس لهم منه إلا الأجسام التي رُكِّبَ عليها. وعلة استهلاك اللغة كعلة استهلاك السلع والهيئات والصور، هيَ ولع المغلوب بتقليد الغالب، والشعور بالنقص المستمكن من النفوس، والشعور بفوق الإنجليز والفرنسيين، وظنٌّ أن الاستهلاك يزوي المسافة بين الغالب والمغلوب.

وإذا بدت عربية اليوم ملفقةً من نفسها ومن بعض اللغات الأوربية، فهل هي إلا لسان قوم، ثقافتهم ملفقة من ثقافات أهل تلك اللغات؟ فأنت ترى اللحية تتدلى على الأُزْبة (الكرافتة)، والمنديل (الشماغ) والعقال يُلبسان فوق البذلة، والمرأة المتبرقعة تسير خلف زوج حليق اللحية والشارب، يلبس الجينز، والقميص ذا الكم القصير (تي شيرت)، إلخ. والعقل الذي لا يرى بأسا باجتماع هذه المتناقضات الثقافية على جسمه، لا يرى بأسا باجتماع الألفاظ الدالة عليها في لسانه. ومن ظن أن اللباس واللغة، وغيرهما من أمور الثقافة يمكن أن تكون مشتركة بين الشعوب من غير أن يخضع بعضها لبعض خضوعا نفسيا وفكريا، لا يدرك حقائق الثقافة النفسية، ولا علاقة الأشياء بها، والثقافة التي لا تعتمد على لغة أصيلة معرَّضة للانحراف بالمثقف من قومية إلى أخرى، ومن مفهوم فكري إلى آخر، والمسخ اللغوي سبيل إلى المسخ الحضاري، واللغة أكثر من إيحاء، وهي سبيل إلى الإدماج في حضارة أخرى، بما تُقَدِّم من طرائق التفكير ومُثُله، والتمذهب، والحياة اليومية، والأخلاق، والعادات، والتفكير السياسي، والاختيار الاقتصادي، وما توحي من اندماج، يبدأ بصورة العيش، وينتهي بالتفكير[1]. غير أن أحمد لطفي وكثيرا من معاصريه وخالفيهم ما كانوا يدركون هذا؛ لأن نظرتهم إلى الحضارة الغربية -في الجملة- كانت نظرة ظاهرية، لا يتأتى من مثلها إدراك كنه شيء من الأشياء؛ من أجل ذلك ظنوا أن مَن لَبِسَ قشرة حضارة أوربة، بلغ مبلغها في التحضُّرَ، أو كان أدنى إليه ممن لم يلبسها. لقد كان علماء تونس في أول اتصالها بفرنسة لا يستسيغون المظاهر الأوربية، وكانوا يتابعون انتشارها بحذر؛ لأنهم يرون أن المسلم لا يقلد الكفار، ويتابعهم في خصوصياتهم المادية من غير أن يكون ذلك عن تأثُّر بفكرهم وثقافتهم، ومن

(١) أزمة المفاهيم وانحراف التفكير، ٤٣ وما بعدها.

غير أن يكون له تأثير في دينه وفكره. وكان بعض أصدقاء ابن أبي الضياف، من شيوخ جامع الزيتونة -بعد إيابه من باريس عام ١٨٤٦ م- يتابعون كل ما يصدر منه؛ لعلهم يتبينون منه تغيرا في دينه[١]. وهو أمر يحمله بعض المعاصرين على التعصب والسذاجة والانغلاق، بيد أنه صحيح، فمن المستبعد أن يقلد المرء من يخالفه في حياته وثقافته، ويعجب به من غير أن يكون ذلك من رأي جدَّ له فيه، وتأثُّرٍ، طرأ على فكره، جعله يرى أن متابعته خير من الإقامة على مخالفته، وأنَّ ما أحدث من فكر وسلوك أصح من فكره وسلوكه اللذين عدل عنهما، بغض النظر عن صواب ذلك وخطئه، ولا يمكن أن يكون اعتباطا؛ إذ المتابعة والتقليد لا يكونان إلا عن خضوع نفسي للمقلَّد والمتابَع، ولا يكون الخضوع إلا من شعور بضعف ودونية، واعتقاد بقوة المقلَّد وفوقه، وأن مأتى قوته وفوقه من أمر، وُفِّق إليه دونه، فيكون التقليد والمتابعة محاولة لدركه، أو موافقته فيما هُديَ إليه، وجبر ما يجد المقلد في نفسه من شعور بالنقص إزاءه. ومما يصدِّق هذا قول عبد الهادي التازي إن مَنْ نظرَ إلى صورة، التُقِطَت بفاس عام ١٩٣٦، لبعض أهلها، لم ير فيها إلا من يلبس العمامة والجلباب، ولم يَرَ فيها مَنْ يلبس بذلة أوربية، ألبتة، حتى الذين كانوا يدرسون منهم في المدارس الأجنبية[٢]. أي إن المغاربة كانوا معتدِّين بثقافتهم وخصوصيتهم، وما كان يستهويهم شيء مما يرون عليه الفرنسيين من صور وهيئات، مع أنهم كانوا هم الغالبين. وبعد الاستقلال رغبوا عن التوقيت العربي، والتاريخ الهجري، وأخذوا -رجالا ونساء- يستبدلون اللباس الأوربي بالجلباب المغربي، وتجاوزوا ذلك إلى أمور كثيرة، كطريقة استقبال الضيوف، وما يقدَّم لهم، واختيار الأسماء، وألقاب الأسر، لولا أن الحكومة -يومئذ- منعتهم بعض ذلك، خوفا على هويتهم. وكان المغرب قبل ذلك لا يتردد في إفهام أصدقائه في أوربة وأمريكة أنه مسلم، وعلى الإسلام يبني معاملة الغير، وكانت اللغة التي يكتب بها إليهم جميعا هي العربية، حتى الرسائل التي كان يبعث بها إلى البابا. أي إن الشعور بالخصوصية ظل يلازمهم مذ كانوا أمة، على حرصهم على أن يبقوا في المجموعة الدولية،

(١) حركة الترجمة في تونس، ٣٢.
(٢) رسائل جديدة لتطوير اللغة العربية، ٢٤٥.

مادام البقاء فيها لا ينال من كرامتهم، أو دينهم[1]. وإنما كان ما طرأ على ثقافتهم من تبدُّل أثرا لما طرأ على أفكارهم، فلبسوا ما يلبس الفرنسيون، وآثروا الفرنسية على العربية؛ لأن الهوية جدَّ لها عند بعضهم معنى غير المعنى الذي كانوا يفهمون، وجدَّت لهم نظرة إلى الإسلام -أهم أركان ثقافتهم- غير التي كانوا يتقلدون. وجدَّ هذا بعينه للحكومة؛ فعدلت عن منعهم بعض ما كانوا يهوون، وصار من سياستها أن تحملهم عليه، وتزيِّنَه لهم، ومن يأتيه منهم أقرب إليها ممن يستنكف منه، وصارت الفرنسية أهم عندها من العربية، وصارت تمالئ فرنسة على إحلالها محل العربية، والتمكين لها في الحياة، وإخراج العربية منها، متحمِّلة في ذلك سخط الشعب، وما يحيق به من جهل وتخلف.

وإذا سافر العربي إلى غير بلده، تجرَّد من لباسه، ولبس لباس الغرب، ولو كان الذي يذهب إليه بلدا عربيا، أو إسلاميا، ويسافر الغربي إلى البلد العربي والإسلامي، فلا يغير شيئا من لبسه وهيئته، ولا يتكلم غير لغته، أينما حل من بلاد المسلمين. ومن حذا نفسه على غيره، حتى لا يُميَّز منه في ظاهر، فلا غرو أن يحذو لسانه على لسانه، إذ كل ما سوى النفس جلل. وبسبب الحرص على الحذو والمماثلة، وجعْلهما معيار اللحاق بالمماثَل، كان أظهر شيء في ثقافة العرب الحديثة التقليدَ، والتقمصَ، وأقصى ما يطمح إليه بعضهم أن يماثِل الغرب، أما الفوق فقد قرَّ في خلدهم أنما هو وقف على غير العرب بالفطرة، كما كان بعض الكتاب يقول في أوائل العقد التاسع من القرن العشرين. غير أن من الكثير ألا تتجاوز المماثلة التي يطمحون إليها القشرة، يتلهَّون بها عما هو أعظم منها، فلا يكسبون منها غير الاستلاب، والضياع، والذوبان، والحداثة المغشوشة، والنور الزائف[2].

لقد تأثرت العربية الحديثة بالفرنسية والإنجليزية في كل شيء: المفردات، والأساليب، والمعاني، والأغراض، وبناء النصوص، فكل شيء من ذلك في عربية اليوم محذو على نظيره منهما، كما تُحذَى حياة العرب العصرية على حياة الإنجليز والفرنسيين، كما قال محمد الفاسي: لما استولت فرنسة «على مقاليد

---

(١) هل في استطاعة العولمة أن تهدر الهوية، ٦٧.
(٢) بيان الحداثة، ٢٤ و٣٩.

الحكم في بلادنا، كان كل ما أُحدِث في المغرب من ألفه إلى يائه على النمط الفرنسي، وباللغة الفرنسية، وبالأساليب الفرنسية»[1]. وانظر إلى هاتين العبارتين الشائعتين في العربية المعاصرة: «في حال الحريق لا تَستعملِ المصعد»، «لا تذهب للفراش من دون قراءة هذا». فإن الأولى محذوة على العبارة الإنجليزية: in case of fire don't use the elevator، والثانية محذوة على: don't go to sleep without reeding this.[2]. وتترجم هذه العبارة التي كانت ترسل إلى الناس بالجوال في إبان انتشار وباء كرونا، عام ١٤٤١ هـ: staying home is a national duty بـ: بقاؤك في المنزل واجب وطني. لقد كان همُّ مَن يترجم العبارات الثلاث ونحوها أن يضع كل كلمة عربية بإزاء الكلمة التي ترادفها من الإنجليزية، ولولا ذلك، لالتمس ما هو أوجز منها، وأكثر مساوقة لروح العربية، كأن يترجم العبارة الأولى بـ: «إذا شبَّ حريق، فدع المصعد»، أو «فغادر المصعد»، وعن معنى الثانية بـ: لا تَنَمْ حتى تقرأ هذا، وعن معنى الثالثة بـ: لزومك المنزل من حقوق الوطن عليك. غير أن قلة العلم بالعربية خيَّلت أن المطابقة اللفظية أدنى إلى البيان عن المراد، من التعبير بأسلوب عربي، لا يَلتَفِت إلى غير المعروف من العربية، ويحرص على السلامة من التأثر بالأساليب الضعيفة المحذوة على اللغات الأجنبية، نحو: «في حال»، فأفصح منها «إذا»؛ فإنها تدل على الشرط والزمن، ولا تدل عليهما «في حال»، وهي أوجز، وأشبه بأساليب العربية. وأفصح من «لا تستعمل» وأوجز أن يقال: «دعْ»، و«غادر». وإنما كانت «لا تستعمل» آثَرَ عند من يقولها لأنها تطابق don't use مطابقة حرفية. وعلى هذا الوجه يحذو الشعراء والروائيون شعرهم ونثرهم، كما حذا أحد شعراء العرب قوله: «اذهب عميقاً في دمي!» على العبارة الإنجليزية: go or run deep in my blood[3]، وحذا الروائي المغربي، الطاهر بن جلون، في حديث لقناة الجزيرة قوله: «لكي كل الناس يكونوا في المغرب كذا» على العبارة الفرنسية: pour que tous le monde au maroc soit[4].

(١) النقاش اللغوي والتعديل الدستوري في المغرب، ٩.
(٢) اللغة والإنترنت، ١٢٩.
(٣) أزمة اللغة والترجمة، ١٧٨.
(٤) أزمة النظام التعليمي في المغرب، ١١٨.

وقد حال الحذو والترجمة الآلية دون أن يظهر في الكلام ما يبين عن خصوصية العربية، كما تترجم pass word بـ«كلمة المرور»، وuser name بـ«اسم المستخدم»، وكان يمكن أن تترجما بكلمتين تبينان عن المراد دون هذا الحذو، كأن تُسمَّى الأولى المفتاح، والثانية الرمز، وما شاكل ذلك من الكلمات التي لها معنى في ثقافة العرب، وترجمتهما بهاتين الكلمتين وما شاكلهما يخرج من الآلية التي تُشعر بالغربة، وبأن العرب يساقون إلى ما يأتون سوقا، لا خيار لهم فيه، دون تأمُّل يسبغ عليه شيئا من روحهم؛ لأن الذي يتحكم في العربية أناس لا يعرفونها، وليس لهم من مهنة سوى العمل في أجهزة التقنية التي درسوها بغير العربية، فلما أرادوا أن يُعرِّبوا، وليسوا أهلا للتعريب، عرَّبوا بمعزل عن أهل اللغة، تعريبا آليا، لا يزيد على وضْع اللفظ بإزاء اللفظ، يوضع بإزائه في المعجمات الثنائية اللغة. وهو أمر يرى نظيره في كل شأن من شؤون العرب، وأكثر ما يرى في الحاسوب وعلومه، فكثير من مفرداته وعباراته تترجم ترجمة حرفية، لا معنى لها، تحول بين المرء وفهمه، ولو ترجمت ترجمة صحيحة، لكان من اليسير على المرء أن يفهم كثيرا من لغته من غير أن تشرح له، وينتفع به أكثر مما ينتفع به. وكان يمكن أن تترجم «كلمة المرور، واسم المستخدم» ترجمة أقل حرفية من هذه، كأن تترجم الأولى بـ: كلمة الدخول، والثانية بـ: اسم الداخل. وأمر آخر لا يقل عن هذا، هو أن حياة العرب -مذ رضوا بمماثلة الغير، وجعلوها وُكدهم، وغاية ما يطمحون إليه من التقدم- لا تبين عن خصوصيتهم، وإنما تبين عن الحياة المصطنعة التي يحيونها، بما فيها من إحالة، وتناقض، وتلفيق، لا تكون في شخصية سوية. وبسبب هذا تغلغلت اللغة الأجنبية في الفكر العربي الحديث تغلغلا شديدا، حتى صار مضمونها وظلالها الثقافية حاضرة في كل ما يقال ويكتب بالعربية الحديثة، ولو كانت الألفاظ المستعملة عربية؛ لأن اللفظ العربي إنما استُحدث ليقابل لفظا أجنبيا، ويدل على معناه دلالة حرفية، لا يعرف مَنْ يترجمه به غيرها، وربما أُلْغِيَ به لفظ عربي أو معرب عريق، أصح منه وأدق، وأشدُّ إبانة عن المراد، كاستعمال «الإغريق»، و«المسيحية»، في «اليونان»، و«النصرانية»، وهما الكلمتان الأصيلتان العريقتان في التراث العربي، فـ«النصرانية» هي المستعملة في القرآن

الكريـم، نحـو: (ولتجدن أقربهـم مـودة للذيـن آمنـوا الذيـن قالـوا إن نصـارى)، وإنمـا عدلـوا عـن الأصيـل إلـى غيـره لتعلُّقهـم اللفـظ الأجنبي، إذ المسـتعمل فـي الفرنسـية والإنجليزيـة هـو Grèce / Greece[1]، والمسـتعمل فيهمـا فـي الدلالـة علـى النصرانيـة هـو Chrétien / Christian، وهمـا منسـوبان إلـى Christ، أي المسـيح -عليـه السـلام-؛ مـن أجـل ذلـك كان اللفـظ الـذي ترجمـا بـه إلـى العربية منسـوبا أيضـا إلى المسـيح (المسـيحية). والعدول عـن «اليونـان»، و«النصرانية» لا معنـى لـه، سـوى الولـع بالألفـاظ الأجنبية، والحـرص على ترجمتهـا ترجمة حرفية، فضـلا عـن قلـة العلـم بالعربيـة. وفـي اسـتعمال اللفـظ العريـق فـي التـراث العربـي وصْـلُ الحاضـر بالماضـي، وتعريـف الأجيـال العربيـة مـا يسـتعمل فـي تراثهـا مـن ألفـاظ واصطلاحـات، تعيـن على قراءته وتيسِّـر فهمه، هـذا إلـى أن «اليونان» أخف علـى اللسـان، وأحسـن وقعـا فـي الآذان مـن «إغريـق». أما اسـتعمال «المسـيحي»، فعـدول عـن اللفـظ القرآنـي إلـى لفـظ، ليس بـأدق منـه ولا أدل على المـراد، ولا فيه مـا يجعلـه أولـى بـأن يُعـدَل إليـه، بـل فيـه مـا يوجـب أن يعـدل عنـه؛ هـو مـا يتضمـن مـن الاعتـراف بصحـة انتسـاب أهـل هـذه الديانة إلـى عيسـى -عليه السـلام-، وهو يخالـف قـول اللـه -تعالـى-: (لقـد كفـر الذيـن قالـوا إن اللـه هو المسـيح ابـن مريم وقـال المسـيح يـا بني إسـرائيل اعبـدوا الله ربي وربكـم إنه من يشـرك بالله فقد حرم اللـه عليـه الجنـة ومـأواه النـار ومـا للظالمين من أنصـار)، ومـن كفر باللـه، لـم تصحَّ نسـبته إلـى المسـيح -عليه السـلام-. والمسـلمون -إلـى ذلك- يعتقـدون أن عقيدة المسـيح وعقيدة سـيدنا محمـد -عليهما الصلاة والسـلام- واحدة، وإنمـا يختلفان فـي بعـض الأحـكام. ومـن آثـار اسـتعمال الاصطـلاح بهـذا المعنـى مـا صـار بعـض عـوام المسـلمين يظنـون مـن أنـه لا فـرق بيـن النصـارى والمسـلمين، وأن الإسـلام والنصرانيـة ديانتـان متسـاويتان فـي الصحـة، ومـا يقـول بعضهـم من أنه لا تصـح نسـبة النصـارى إلـى الكفـر، مـع مخالفـة هذا لصريـح القرآن الكريـم. هذا إلـى مـا يتضمـن مـن نسـبة العقائـد النصرانيـة المخالفـة للإسـلام إلى عيسـى، كالتثليـث، ودعوى أنه

(١) إذا فصلتُ بين الكلمتين أو العبارتين الأجنبيتين بخط، فإن الأولى منهما فرنسية، والثانية إنجليزية وإنما فعلت ذلك حرصا على الإيجاز. وقدمت الفرنسية على الإنجليزية؛ لأن من الكثير أن تكون الفرنسية هي الأصل، والإنجليزية مأخوذة منها.

ابن الله. ومثل هذا إيثار «الآخر» على «المخالف»، وعدم تسميته باسمه (اليهود، والنصارى) اتباعا لما جرت به عادة الغربيين من تسمية المخالف L'autre /the other، بدعوى تنكُّب إثارة الحزازات، أو النجاة من الرمي بالتعصب[1]. وتسمية الدية تعويضا، والدية هي تعويض الروح خاصة، والتعويض كل بدل من فائت، والدية هي اللفظ العربي العريق، الذي ورد في القرآن. وتسمية «علم اللغة» «اللسانيات» و«اللغويات» حذوا على Linguistiques /Linguistics، و«علم الشعر» الشعريات كما يسمى في الفرنسية والإنجليزية (Poétiques / Poetics)، مع أن المنسوب إليه في هاتين الكلمتين غير بيِّن، والشيء لا ينسب إلى نفسه. ومنه إيثار «البنية» على «النظام»، وشيوعها في العقود القليلة الماضية، والبنية غير معروفة، والنظام غير مجهول، وهو دليل على أن من يستعملونها يؤثرون أن يسموا الأشياء كما يسميها الغربيون، كما يؤثرون «اسم المستخدم» و«كلمة المرور» على ما هو أدنى منهما إلى المعنى المراد (اسم الداخل، وكلمة الدخول)، لكن لما كانت هذه الترجمة لا تطابق المعنى الحرفي لـ user name، وpass word، عُدل عنها. ومثل هذا استبدال «الجذور» بـ«الأصول»، مع أن «الأصول» هي الكلمة الشائعة في الدلالة على هذا المعنى، فضلا عن أنها أجمل في الآذان، وأخف على اللسان. وما أذكر أني رأيت في كلام العرب، شعره ونثره، غير المعجمات، «الجذر»، بمعنى الأصل، وإنما يرد فيه: الأصل، والجِذْم، والسِّنخ، والجرثومة، والأَرُومة، والمنصب، والمحتد، والعنصر، والنجار، والضئضئ. و«الأصل» هو الذي ورد في القرآن الكريم، والسنة النبوية، كقول الله -تعالى-: (أصلها ثابت وفرعها في السماء). وإنما عدلت العربية الحديثة إلى «الجذر» بتأثير من الإنجليزية، فإن أكثر المستعمل فيها في الدراسات الثقافية هو roots، بمعنى الجذور. والجَذْر والأصل مترادفان في العربية، كما أنهما مترادفان في الإنجليزية[2]، وإن كان المعروف أن جذر النبات ما يتشعب منه في الأرض، وهو المعنى الذي يفهم منه في العربية الحديثة. ولعل «الجذر» إنما يستعمل في العربية بمعنى الأصل مجازا؛ لأنه ينبت عليه،

---

(١) مسألة الهوية والإسلام والغرب، ٩٥.

(٢) المورد، ٧٩٥.

أو يمتد منه، لا أنه أصل حقيقة، ولا أن النبات ينبت منه كما تنبت الأشياء من أصولها، فإنما ينبت النبات من البذر والفسيل، أما الجذور، فزوائد، تخرج من أسفل النبات، لتثبِّته في الأرض، ويحصل بها على غذائه[1].

ومن هذا أيضا «التحديث» بمعنى التجديد، والتحديث إنما يكون بمعنى التكليم والإخبار[2]، ولا يدل على التجديد، وإن كان في مادته ما يدل على الجدة، كالحدوث والحداثة، والحدَث، وأحدثَ. ولعل سبب العدول إلى «الحداثة» أنها هي التي تُرْجِمَت بها Modernism/ modrnisme ترجمةً حرفية؛ فاشتُقَّ منها «التحديث» وما تصرَّف منه من الأفعال والأسماء، بمعنى جعْل الشيء جديدا، كما يشتق من مادتها / modernization، moderniser، modernité Modernization، modernize، modernity، وصار كل ما يتعلق بالتجديد يشتق من «الحداثة». ولو أُريدت الدقة ما استُعمِل إلا «التجديد»، ولا اشتُقَّ إلا منه؛ فهو الذي يعني رجْع الشيء جديدا، ولا يعني خلْقه من عدم، كما يبدو من قول الله -تعالى-: (أئنا لمبعوثون خلقا جديدا)، وقول النبي -صلى الله عليه وسلم-: «إن الله يبعث لأمتي على رأس كل قرن من يجدد لهم أمر دينهم»، فليس التجديد خلقا من عدم، ولكنه رجْع المبعوث حيا كما كان قبل أن يموت، وليس تجديد الدين إحداثَه، بل تخليصه مما تلبَّس به من مخالفات، حتى يعود كما أُنزل على النبي -صلى الله عليه وسلم-. ومما يبين هذا قول جرير:

تُحيي الرَّوَامِس ربعها فتُجِدُّه ... بعْدَ البِلى وتُميته الأمطارُ

وقول أبي نواس:

حَبَسْتُ بها صحبي، فجدَّدتُ عهدهم ... وإني على أمثالِ تلكَ لحابِسُ

فقولنا اليوم: «حدَّث البيانات» إنما ينبغي أن يكون «جدَّد البيانات»؛ لأن المراد رجْعُها جديدة كما كانت في تمامها، أو كما ينبغي أن تكون، ولا نريد أنه أحدثها بعد أن لم تكن. أما الحداثة، فمن الحدوث، «وهو كون الشيء لم يكن»[3]، ومنه قول النبي -صلى الله عليه وسلم-: «إياكم ومحدَثات الأمور»،

---

(١) المعجم الوسيط، (ج ذ ر).

(٢) السابق، (ح د ث).

(٣) معجم مقاييس اللغة، ٢٣٥.

«من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو ردٌّ». ومن الكثير أن تُستعمَل «الحداثة» في التراث العربي في الجدَّة، وصِغَر السن، والصفة منها حَدَثٌ، ويُعدَّى الفعل منها «حَدَث» بالهمزة، فيقال أحدث، لا حدَّث. وإذا كان «حدثَ» يستعمل في العربية المعاصرة بمعنى «كان»، فإنما الفصيح أن يقال وقَعَ، كما قال الله - تعالى -: (إذا وقعت الواقعة).

ومن هذا استعمال «مركز» في معان، لا تتبين العلاقة بينها وبين أصل اللفظ ودلالته الاشتقاقية، سوى أن الكلمة وُضعت مقابل center. والمركز، في الأصل: النقطة التي في وسط الدائرة[1]، وتستعمل استعمالا مجازيا للدلالة على الوسط، والشيء الرئيس، والمهم. لكن انتقال العقل العربي من هذا المعنى إلى ما يراد من الكلمة في العربية الحديثة ليس تلقائيا في كل استعمال، لعدم وضوح العلاقة بينها وبين بعض ما تستعمل فيه، لولا أن اعتباط العلاقة بين اللفظ والمعنى يُيَسِّر الربط بين اللفظ والمراد منه بالتكرار. ومن استعمالاتها في العربية الحديثة المحذوة على استعمال مرادفها المعجمي في الإنجليزية والفرنسية تسمية إدارة البحوث «مركز البحوث»، وتسمية الحانوت الكبير الذي يبيع الأغذية «مركزا». وكان الأولى أن تسمى الإدارة التي تُعْنَى بالبحوث إدارة البحوث، ويسمَّى الحانوت تسمية تلائم المعنى الذي يراد منه، ولا يسمى مركزا إلا ما كان بمنزلة المركز من الدائرة، فإن قيل مركز البحوث، فينبغي أن يكون المراد إدارةً رئيسة تتبعها فروع، تُعنَى بالبحث، هي منها بمنزلة المركز من الدائرة، وإذا سمي الحانوت مركزا كان معنى ذلك أنه كذلك، بالإضافة إلى غيره من الحوانيت. وإن كان يجوز في تسمية الحوانيت ونحوها ما لا يجوز في إدارات البحوث، فإنَّ من سَمَّى حانوته مركزا، فإنما يسميه على سبيل الدعاية، والدعاية من التجارة، وليست إدارات البحوث كذلك. لكن الخروج عن مقتضيات الدلالة اللغوية الأصلية من غير حاجة إلى ذلك دليل على توغل اللغات الأجنبية في العربية، وتأثير ثقافاتها في الثقافة العربية. وقد أشار يوهان فك إلى أن «تنقية اللغة»، أي إصلاح الأخطاء الشائعة، تقصُر نقدها في الغالب على ظواهرِ وسائل التعبير، وبواطنُ القوالب العربية معرضة لتأثير القوالب

---

(١) المعجم الوسيط، (ر ك ز).

الأوربية، المتغلغل خفيا دون انقطاع[1]. وقال آخرُ إن الآثار العميقة التي تركتها لغات الغرب في العربية الحديثة لا تقتصر على الفصحى، بل نالت اللهجات العامية أيضا، فهي كلها آخذة في التغير البطيء المتواصل، فبسبب تقلص الأمية تغلغلت لغة الكتابة الحديثة بقواعدها ومفرداتها في دوائر، ما كانت تعرف سوى العامية، وكذلك تفعل الصحافة[2]. وتضاعف هذا كثيرا في العقود الثلاثة الأخيرة، بسبب انتشار اللغات الغربية، وكثرة من يترجمون منها، وينتحلون المعرفة بها، واتساع الجهل بالعربية. وهي ظاهرة، يبدو أن لغات غير العربية تلقى منها نصيبا، كما قال أحد الألمان: عند قضاء العطلة في جزائر الكناري كثيراً ما يكون الجو رائعاً، فنلغي (cancel) الرحلة (Flight)، ونشتري تذكرة جديدة (Ticket). وصار من المعتاد، إذا ركبنا القطار الذي يتنقَّل بين المدن الألمانية والأوروبية المجاورة (Intercity)، أن يرحِّب بنا فيه (Board)، وفي قاعة المحطة لوح، كتبت عليه أوقات الإقلاع (Departure)، وجناح خاصٌّ، يُمكِنُنا التمتع فيه بشراب بارد (cool drinks)، وإذا هممنا بمغادرة المحطة، لقيتنا لافتات، تدل على الطريق إلى مركز المدينة (City). وقد حلَّ الحاسوب (Computer) محل الراقنة، وأصبح استعمال الإنترنت (Internet)، واللابتوب (Laptop)، وجهاز البيمر (Beamer)، والعرض (Power Point) أمراً عادياً[3]. يعني أن الكلمات الإنجليزية التي بين الأقواس حلَّت محل مرادفاتها الألمانية التي كانت هي المستعملة. وكذلك لغات العالم الثالث، دخلها من المفردات والأساليب الغربية كثير جدا، أثَّرَ فيها تأثيرا بليغا، يُرى في كل مكان[4]. وذهبت جوليان هاوس، أستاذة اللغة بجامعة تورنتو الكندية في كتابها «الترجمة» إلى أبعد من هذا، فقالت: إن معرفتنا بالتأثير الشديد الذي أثَّرته حركة الترجمة الهائلة من الإنجليزية في اللغات الأخرى قليلة جدا، وربما لا تتعدى الاستعانة اليسيرة باصطلاحات التقنية والعلوم والاقتصاد. ويتجلى ذلك في البحوث التي تُعنى بتأثير الإنجليزية بطريق الترجمة في الصيغ اللغوية والثقافية التي تعبر عن

---

(١) العربية، ٢٤٠.

(٢) السابق، ٢٤١.

(٣) هل الألمانية خليط لغوي؟.

(٤) شرفات للرؤية، ٤٢ وما بعدها.

ظواهر، كتوجهات الكتَّاب أو القراء، وطرق ربط العبارات بالجمل، واستعمال المجاز، والأساليب الساخرة التي أخذت تظهر بأَخَرة. وعندنا أدلة على وجود حركة ترجمة ظاهرة جديدة، أخذت ملامحها تتكشف، وهي ترجمات، تتغيا إزالة الثقافة، وتسبب إبراز المعايير النصية الإنجليزية. وربما انتهى هذا الأمر إلى اندماج اللغات والثقافات بطريق معايير استعمال اللغات التي هي «أضعف»، وهي لغات، سوف تتداخل هي ومعايير الإنجليزية المهيمنة[1]. ويرى دارس العربية الحديثة أن الحذو على اللغات الأجنبية أخص خصائصها، وأن من القليل أن يجد المرء فيها عبارة ليست بمترجمة ترجمة حرفية من الإنجليزية أو الفرنسية. ونعني بالحذو قطع الشيء على مثال، ليطابقه كما يقطع النعل على النعل[2]، وهو صنف من أصناف الترجمة، ينصبُّ على ترجمة الشكل[3]. فالكلمة يُحذَى بناؤها على الكلمة الأجنبية، فيزاد فيها من السوابق واللواحق ما يزاد فيها، وإن هجَّنها، أو يزاد فيها ما ليس من دأبه أن يزاد، ليقابل ما يزاد في كلمة أجنبية، من أجل أن تؤدي معناها، وتُخْتَصر كما تُختصر، وتُنحَت كما تنحت، وتُرَكَّب كما تُرَكَّب، وتُستعمل بمعناها، والجملة تحذى على الجملة في اللغة الأجنبية، فيقدَّم منها ما يقدَّم، ويؤخَّر ما يؤخر. وسأبين في هذا الكتاب ما طرأ على العربية الحديثة من تغير، وما جدَّ فيها، شكلا ومضمونا، وأبين ما اهتديت إليه من أصوله في الفرنسية والإنجليزية.

(١) العربية ومعول الترجمة في منظومة العولمة.
(٢) المعجم الوسيط، (ح ذ و).
(٣) علم اللغة والترجمة، ٦٩.

التكثر من الدخيل

التكثر من الدخيل والعزوف عن المفردات العربية ظاهرة تهدد العربية في الصميم، ووجه من وجوه الهزيمة النفسية والشعور بالدونية الحضارية[1]؛ لأن من يستعمل الكلمة أو الجملة من اللغة الأجنبية يجد من الشعور بالتميز، وأنه مثقف، وعصري ما لا يجد إذ يستعمل الكلمة أو العبارة العربيتين، فصيحتين كانتا أو عاميتين؛ لأن غيره من العرب يعلم منهما ما يعلم. ولا يميزه منهم، ويجعل له فضلا عليهم إلا أن يقول ما لا يعرفون. وبسبب هذا الشعور كان تدفق الدخيل الفرنسي إلى الإنجليزية في عهد الحكم النورماندي، وهو تدفق يتقاصر دونه تدفق الدخيل من الإنجليزية إلى الفرنسية اليوم، وبسببه كان دخول كثير من الدخيل الفرنسي في الروسية[2]، واقتراضُ مستعمرات أوربة السابقة كثيرا من لغاتها، ولا سيما الفرنسية والإنجليزية، واقتراض الفنلندية كثيرا من اللغات الجرمانية والبلطيقية، حتى أسماء الأعضاء، وذوي القرابة كـ: Mother (أم)، وDaughter (ابنة)، وSister (أخت)، وTooth (سن)، وNeck (عنق)، على غناها عنها، وعلى ما هو معروف من أن هذه الأسماء ونحوها لا تقترض، لغنى اللغات عنها، وكونها لا تخلو منها، ولذلك يُعتمَد عليها في معرفة العلاقة بين اللغات. وهذا الشعور خليقة من خلائق النفس الإنسانية، لا تخرج عن ولع المغلوب بتقليد الغالب، ولذلك كان الداعي إليه واحدا عند الشعوب كلها، وكان من الغالب أن يكون من لغات الأمم الغالبة، ويندر أن يكون من قصور في لغة مَنْ يقترض، ورغبةٍ في سدِّ نقصها؛ فما من لغة إلا وفيها من الوسائل المعجمية والصرفية ما يغني عنه[3]. وكل من أراد اللحاق بمن هو فوقه كان

---

(١) اللغة العربية في القرن الحادي والعشرين، ١٧٩.

(٢) الاقتراض بين اللغات، ١٥٨، واللغة العربية والوعي القومي، ٢١٤.

(٣) اللغة والاقتصاد، ٣١٦، والاقتراض بين اللغات، ١٥٩، وهل الألمانية خليط لغوي؟، وهيمنة اللغات الأجنبية في العالم العربي.

استعمال لغته وسيلة إلى ذلك، كما أن استهلاك سلعه، من ملابس، ونظارات، وساعات، وأفلام، وسيارات، وسيلة إليه، في ظنِّ المستهلكين. ولهذا لا يَقصُر الذين يستعملون الإنجليزية استعمالها على العلم والتقنية، ولا يقتصر استعمالها على المتخصصين فيهما، وإنما يستعملها من لا علاقة له بالعلم ولا بالثقافة تحذلقا، أو إعلانا بفوق مصطنع، أو إيهاما بعلم، أو إظهارا لعلم[1]، إن كان ذا علم. ومن دأب الشعوب المستهلكة تطلُّب اللذة أينما كانت، وألا تسبغ على الرموز المحلية قيمة خاصة، وأن تحرص على اقتناء ما يدل على منزلة اجتماعية أعلى من منزلتها[2]، وهي أكثر الناس مسارعة إلى تلقف الدخيل والمباهاة به؛ لأن في استعماله ضربا من اللذة، يتأتى من توهم أنهم ذوو منزلة علمية واجتماعية، قد تكون غير حقيقية. هذا إلى أن الوعي عند عامة العرب ضعيف، فهم لا يدركون دلالة استعمال اللغة الأجنبية الثقافية، وما تنطوي عليه من شعور بالهوان والنقص والهزيمة، وابتغاء العزة والكمال بالتقليد. ومن هذا تولَّد التساهل في الدخيل من المفردات والعبارات الأجنبية، حتى غدت نفوس بعضهم لا تطيب بالعدول عنه، والشعور بأن من يتكلم اللغة الأجنبية أعلى قدرا ممن لا يتكلمها. أذكر أن أحد رفاقي في التعليم العام، وكان ظريفا، مثَّل مسرحية هزلية على مسرح المدرسة، وكان يتكلم فيها مع المزين (الحلاق) بالإنجليزية، فكان المزين إذا كلمه أو سأله عن شيء، قال له: a، b، c، d، فإن سأله سؤالا آخر أو كلَّمه قال له: q، r، s، t، u، أو غيرها من الحروف اللاتينية، وكانت هذه الحروف هي كلّ ما يعرف من الإنجليزية، ومع ذلك كان يشعر بالزهو، حين ينطقها، وكان نطقه إياها يعلي قدره في عين المزين. وحدَّثني رفيق آخرُ، كان -رحمه الله- ظريفا أيضا، قال: وجدت مرة عند باب نادي الأنصار (نادٍ رياضي بالمدينة المنورة)، رجلا أسود ضخما، وكنت يومئذ في الصف الأول أو الثاني الثانوي، فكان بيني وبينه شجار، أغضبه، فرأيته يَهمُّ بي، وعلمت أن لا قبل لي به، فلجأت إلى الحيلة؛ أتَّقي بها شره، فأوهمته أني أعرف الإنجليزية، فأخذت أتلو نصا، كنت قد استظهرته من كتاب الإنجليزية، وكنت أرفع صوتي

---

(١) اللغة العربية: العولمة والأصالة، ٣٦٩.

(٢) دور اللغة العربية المعاصرة في تشكيل الفكر العربي الحديث، ٣٥.

بما أتلو منه، أتصنَّع له الغضب، وأوهمه أني أهدِّده بما لا قبل له به، فلما رأى ذلك مني، هابني وانصرف، فعلمت أني كبرت في عينه بما ظنَّ أني أعرف من الإنجليزية، وربما ظن أني غير عربي، فرأى أن من الخير له أن يعدل عما كان يهم به اتقاءً لشر، قد يناله مني، إن نالني بسوء. وكان الدرس الذي تلا عليه في تعليم الأرقام الإنجليزية، من واحد إلى عشرة، وكان من أول ما كنا ندرّس في الصف الأول المتوسط من الإنجليزية، وكان على صورة حوار بين طفل وطفلة، تدعى سلمى، وجدها تَعدُّ تفاحا، فقال لها: سلمى، ماذا تعملين؟

قالت: أعدُّ التفاح.

قال: أتعرفين الأعداد من واحد إلى عشرة؟

قالت: نعم، استمع.

وسردتْها عليه. وكان نص الحوار بالإنجليزية هكذا:

- salma, what are you doing?
- I am counting the apples.
- can you count from one to ten?
- yes, I can. Listen: one , tow, three, four, five, six, seven, eight, nine, ten..

وهذا من أدل شيء على طفولة عقول بعض العرب؛ إذ يُجِلُّون ما لا يفهمون، ويعظِّمون المرء أو يهابونه لما يعرف من مفردات لغة أجنبية، لا يعرفون معناها. وليس هذا خاصا بعوام العرب، بل ربما كان ما يصيب الخاصةَ منه أشد مما يصيب العامة، كما قال أحد المغاربة: يحكُّ المثقف المغربي رأسه، وينطق بالكلمة الفرنسية، أصلها يوناني، ويحسب أنْ قد قبض على ذيل الأسد، وقد ربط الوسطُ الثقافي والأكاديميُّ المعرفة بالرطانة باللغة الأجنبية، ولما كان أغلب الأساتيذ الجامعيين لا يعرفون إلا الفرنسية، صارت الفرنسية هي «اللغاتِ الأجنبيةَ»، و«اللغةَ الحية»، ولا تكون الندوة ندوة حتى تكون بالفرنسية، أو مزدوجةَ اللغة، وإذا حضر أجنبي واحد، تركوا من أجله العربية إلى الفرنسية، ولو كان من إقليم الفلاميين ببلجيكة (أبغض الناس للفرنسية)[1]. وزار جورج

(١) لغات حية، ١٧.

شحادة بيروت، وهو يجيد الفرنسية، فاتصل به شاعر عربي، يسلِّم عليه، فرحب به بعبارات فرنسية بائسة، فغضب، وقال له: إنما جئت بيروت لأتعلم العربية، ثم قال ساخرا: إن بعض شعراء العرب يتكلمون بالفرنسية في بلدانهم، ويرطنون بالعربية في باريس، كي لا يُقبَض عليهم متلبسين بالخطأ مرتين[1]، أي إنهم يتكلمون بالفرنسية في بلادهم، وبالعربية في فرنسة، كناية عن أنهم لا يعرفون الفرنسية، ولو كانوا يعرفونها لتكلموا بها حيث ينبغي أن يُتكلَّم بها، ولكنهم لا يفعلون مخافة أن يكشف الفرنسيون قلة علمهم بها، وإنما يتكلمون بها في بلادهم حيث يأمنون أن يُفْطَن إلى قلة علمهم بها.

وإنما دخل العربية ما دخلها من اللغات الأجنبية بسبب هؤلاء، فهم الذين أدخلوه، وغرسوا في العامة حبه، وأغروهم باستعماله بكثرة ما يتكلمون به. وهم يتجاوزون إدخاله في العربية إلى الدعوة إليه، والاحتجاج لاستعماله، ويقولون إنه وسيلة إلى جعل العربية لغة عالمية؛ لأنه يجعل بينها وبين اللغات العالمية ما تشترك فيه، ويثنون على ما فعل بعض المجامع العربية، إذ عدَّ كل اصطلاح مشترك بين الإنجليزية والفرنسية والألمانية اصطلاحا عالميا، يُدْخَل ولا يُترجَم[2].

وما ينبغي أن يفهم ولع بعض اللغويين بالدخيل بمعزل عن ولع عامة الناس وخاصتهم به، فإن القضية قضية ثقافية نفسية قبل أن تكون قضية علمية أو فكرية، فالثقافة النفسية الاجتماعية توجه الناس أكثر مما يوجههم العلم والفكر والدين. وانظر -تصديقا لذلك- إلى قول أحد المترجمين: «العلاقة المفهوماتية بين اللغة والكلام أي: اللانج والبارول، قد تحولت وأصبحت أكثر تعقدا»[3]؛ فإن «أي» تفسيرية، وهذا يعني أن ما بعدها مفسر لما قبلها، والأصل أن يكون المفسِّر أوضح من المفسَّر، ومن البديهي أن العرب لا يعرف منهم «اللانج» و«البارول» إلا من يعرف الفرنسية، ولو كان هذا النص مكتوبا لامرئ لغته الفرنسية، لكان تفسير «اللغة» و«الكلام» باللانج والبارول في محله، أما أن يكون المخاطب

---

(١) تعويم اللغة.

(٢) حول تعريب العلوم: مشاكل وحلول وآراء، ١١٠، وحول تعريب التعليم، ١٢٢، ومنهجية وضع المصطلحات العلمية الجديدة ٣٨.

(٣) اللغة والاقتصاد، ٣٠٤.

به عربيا، ولو كان يعلم أن «اللانج» في الفرنسية يعني اللغة، و«البارول» يعني الكلام، ويعرف مذهب سوسير في التفريق بينهما، فليس في محله، وإنما هو من الولع باللغة الأجنبية. ومثله كل ما ينحو هذا النحو، ويُؤْثِرُ الدخيل على الأصيل، ويفسر المعروف من العربية بالمجهول من اللغات الأجنبية، ويقرنه به على وجه يُشعر بأنَّ فهْمَه متوقف عليه، ولو كان المقرون به ضميرا، كما يقرن بعضهم «العادة» بـ habit، و«من الناحية اللغوية» بـ Linguistic xenophobia[1]، و«الثابتة» بـ postural[2]، والإعمال بـ agecy[3]، و«الذي يمكن أن يغنَّى» بـ That can be song[4]، و«الكلام العادي» بـ normal speech[5]، و«سقْف الفم» بـ the roof of the mouth[6]. و«العادة»، و«الناحية اللغوية»، و«الثابتة»، و«الإعمال» و«يمكن أن يغنَّى»، «والكلام العادي»، و«سقف الفم» من أشهر المفردات في العربية، الفصحى والعامية، وكذلك مخارج الحروف، كالشفتين، والأسنان، والحلق، إلخ[7]؛ فتفسيرها بكلمات أو عبارات أجنبية، لا يعرفها إلا من يعرف الإنجليزية لا يفعله من يبتغي الإفهام، وإنما هو تعبير عن حالة نفسية كتلك التي تحمل المرأة العربية على أن تقول: ذهبت إلى الكوافير، بدلا من: ذهبت إلى الحلاق أو المزين، وحملت العراقي الذي أراد أن يُشعِر مجالسيه بالتميز على أن يقول: «كنا في لندن نشرب الشاي مع المِلْك (milk)»[8]. وكذلك الإصرار على استعمال الكولونيالية بدلا من «الاستعمار»، وبين الكلمتين ما لا يخفى، من الخفة، ووضوح المعنى، والشيوع. وفَسَّرت إحدى وثائق منظمة عربية كلمتي «الجنس» و«النوع» بـ «الجندر»[9]، أي إنها فسَّرت كلمتين عربيتين، لا يَجْهَلهما عربي بكلمة أجنبية، لا يكاد يعرفها عربي. ويفسر أحدهم الكلمة العربية بالكلمة

(١) اللغة في المجتمع، ٨١.
(٢) المصطلح الصوتي بين التعريب والترجمة: دراسة تمهيدية نحو وضع معجم صوتي ثنائي اللغة، ١٠٤.
(٣) السياسة اللغوية والتخطيط، ١٨.
(٤) علم اللغة العام: الأصوات، ٧٥.
(٥) السابق، ٧٤.
(٦) السابق، ٧٠.
(٧) السابق، ٦٧.
(٨) وسائل الإعلام بين العامية والعجمة.
(٩) مواجهة العولمة في التعليم والثقافة، ٢١١ وما بعدها.

الدخيلة، كما فسَّرَ «علم الجدلية» بالديالكتيك[1]، ويفسر الكلمة الدخيلة بالكلمة الأصيلة، ثم يعدل عن الأصيلة إلى الدخيلة، كما فسر «الديناميكية» بالحركية، و«الإستاتيكي» بالسكوني، ثم عدل عن «الحركية والسكوني»، فلم يستعمل إلا «الديناميكي والإستاتيكي». ويستعمل العبارة، نصفها دخيل ونصفها أصيل، ثم يكتب مرادفها باللغة الأجنبية بين قوسين، نحو: قاموس الكمبيوتر (computing dictionary)[2]، قاموس التكنولوجيا الرفيعة (high-tech dictionary)[3]. وكتب أحدهم مقالة، فرض أن لها قراء، يتكلمون بلغتين مختلفتين، أو أن بعضهم حديث عهد بالعربية، فكان لا يكاد يورد عبارة عربية إلا أتبعها ما يرادفها من الإنجليزية؛ ليعينه على فهمها، وإن كان ما يورد من العربية ليس في الدنيا عربي يجهل معناه، أو يتوقف فهمه على أن يُشرَح بالإنجليزية، نحو: انقراض لغوي (sxtinction)، محلية (local)، عملية التدوين (codifcation)، تطبيقها (implementation)، مجامع اللغة (language academies)، محايدة (neutral)، دلالات (meanings)، التجانس اللغوي (linguistic homogeneity)، التباين الاجتماعي واللغوي (sociolinguistic diversity)، اتفاقية السلام الشامل (Comprehensive Peace Agreement)، إلخ[4]. وكتب آخر: لغات عملاقة (Mega languages)، لغات كبرى (Macro languages)، التخطيط اللغوي (Language planning)، الهندسة اللغوية (Linguistic engineering)[5]، الهجرة (Migration)، العمر (age)، الحرفة (Occupation)، النشاط الاقتصادي (Economic Activity)، الأقليات (Minorities)، العِرْق (Ethnic Group)[6]. وكتب مؤلفا «اللغة الإعلامية»: لغة (language)[7]، المزج (mixing)[8]، المقدمة

---

(١) الاستشراق، ٦٩.

(٢) اللغة العربنجليزية في وسائط الإعلام، ٤.

(٣) السابق، ٤.

(٤) الأيديولوجية السردية للغة، ١٨٣ - ١٩٤، وانظر مقالا مشابها لهذا المقال في: إستراتيجيات التخطيط اللغوي والسياسة للغة الإنجليزية، ١٣ - ٦٤.

(٥) التخطيط اللغوي للعبرية في فلسطين. ٦٥

(٦) السابق، ٨٧.

(٧) اللغة الإعلامية، ١٣.

(٨) السابق، ٧٥.

(lead)[1]، الجسم (the body)[2]، المذيع (newscaster)[3]، الحركة (action)[4]، الرشاقة (crispness)[5]، الوضوح (clarity)[6]، أنت (you)، نحن (we)، ضمير الملكية (your، وour)[7]، اكتبْ بوضوح (write clearly)، تخير كلماتك بعناية (pick your word carefully)، اكتب بصيغة المبني للمعلوم (write in active voice)[8]، إلخ. وكتبا أيضا: «وقد تبدأ العملية وتنتهي مع المحرر الذي يقوم بالعمليتين معا: الكتابة (writing)، والتحرير (editing)، وكلمة تحرير (editing) معناها: إعداد كتابات الآخرين للنشر، ومنها جاءت كلمة editor، أي محرر»[9]. فقد فسرا «التحرير» بـ editing مرتين، في ربع سطر، واشتغلا ببيان اشتقاق editor عن بيان اشتقاق «محرر» بالعربية، وهو الموضوع الذي كانا بسبيله، وهما يكتبان بالعربية لا بالإنجليزية، لكنَّ تلك الشهوة المستكنة مالت بهما إلى الإنجليزية التي هي أقرب إلى قلبيهما، عن العربية التي هي لغة كتابهما، وهي التي يخاطبان بها قراءهما، من أجل أن يعرِّفاهم معنى «محرر»، وأصل اشتقاقها، وهو ما يحتاجون إلى معرفته في هذا الباب، وليسوا في حاجة إلى معرفة اشتقاق مرادفها الإنجليزي الذي لا يعنيهم. وإذا كان الكتاب مؤلَّفا لطلاب مصريين في قسم الإعلام، يعرفون العربية، وهي لغتهم، ومن يعرف منهم الإنجليزية فمعرفته بها دون معرفته بالعربية، فلا معنى لأن يُقسَّم بين الإنجليزية والعربية، على هذا الوجه. فإنْ علم المؤلفان أنهم يعرفون الإنجليزية أكثر مما يعرفون العربية، فقد كان من الخير أن يؤلفاه بها؛ حتى يكون ما فيه غنيا عن البيان.

وكان الموضوع الأول من مواضيع تقرير المنظمة العربية للتربية والعلوم والثقافة الصادر عام ٢٠١٢ كلما وضع عنوانا بالعربية وضع مقابلا له باللغة الأجنبية، نحو: الإنصاف (quity)، الجودة (quality)، الفاعلية (efficiency)،

(١) اللغة الإعلامية، ٩٢.
(٢) السابق، ٩٣.
(٣) السابق، ٩٤.
(٤) السابق، ٩٩.
(٥) السابق، ١٤٧.
(٦) السابق، ١٤٨.
(٧) السابق، ١٥٢.
(٨) السابق، ١٥٣.
(٩) السابق، ١٢٦.

الجدوى (relevance)، الإعداد لاقتصاد المعرفة (KE Readiness)[1]، الجغرافية الحضارية (Cultural geography). والمنظمة العربية واجهة من واجهات الثقافة العربية في العالم، فهي قمينة بالحرص على الأصالة، وأن تكون مبينة عن الثقافة العربية، لا عن المسخ الثقافي، والازدواج اللغوي الذي مُنِيَ به العرب في هذا العصر. والاصطلاح إذا ذُكر، وذكر معه مرادفه الأجنبي بين قوسين، أول مرة، أغنى ذلك عن تفسيره به مرة أخرى، في سائر البحث. ومن أطرف ما رأيت من الولع باللغات الأجنبية، والحرف اللاتيني أن بعضهم يكتب الكلمة العربية مرتين، مرة بالحرف العربي، ومرة بالحرف اللاتيني بين قوسين كما تكتب الكلمات الأجنبية فيما قدمنا من الأمثلة، كما كتب أحدهم: إمام (Imam)، مؤذن: (Muezzin)[2]، ولا يخفى أن كتابة «إمام» بالحروف اللاتينية ليست في دقة الحروف العربية، أما «مؤذن»، فصيرتها الحروف اللاتينية كلمة أخرى، غير الكلمة العربية، هي مؤزن، ولا معنى لها في العربية ولا في الإنجليزية، وليس لهذا العمل ما يسوغه، إن قُدِّر أن لما قد سلف من الأمثلة ما يسوغه.

ولا يكاد عبد القادر الفاسي الفهري يذكر اصطلاحا بالعربية إلا أتبعه ما يقابله بالإنجليزية أو الفرنسية بين قوسين، وإن كان غاية في الوضوح، بل يفعل ذلك بكل عبارة، يريد أن يشعر القارئ أنها غير عربية الأصل، وإن لم يكن فيها اصطلاح، ولا ما يخفى معناه، وإن كان مَنْ خَفِيَ عليه معنى لفظ عربي، لم يكن اللفظ الأجنبي بالذي يزيل خفاءه، فهو إذا ذكر الاشتراك اللفظي أتبعه homonymy، أو «الترادف» أتبعه synonymy[3]، و«الاشتراك»، و«الترادف» من أشهر اصطلاحات علم اللغة قديما وحديثا، وأشيعها في كتب التراث، وليس مثلها مما يخفى؛ فيوضح بما يقابله من الإنجليزية. ومن هذا قوله: «في الوضع العربي نجد، من جهةٍ، اللهجة العامية الشعبية المتداولة، أو الدارجة (vernacular)، لسان البيت والشارع، أو اللهجة السفلى (low) كما

(١) التعليم في الوطن العربي، ٣.
(٢) اللغة الباسلة، ٢٣.
(٣) اللسانيات واللغة العربية، ١٩١ وما بعدها.

ينعتها تشارلز فيرغسون، ومن جهة ثانية اللسان المقَّعد المعيار (standard) الذي يدرَّس به، ويستعمل في الإدارة، أو الصيغة العليا (high)»[1]. و«العامية» و«الفصحى» من أشيع الألفاظ، وأكثرها دورانا على الألسنة، وأغناها عن أن يفسَّر بغيره، ولا سيما إذا كان لفظا أعجميا، قلَّ من يعرفه. ويستعمل في سطرين متتاليين الاستعمار والكولونيالية[2]، وهما بمعنى، كما يستعمل غيره الفيزيقية والطبيعة[3]، وهما بمعنى. وربما أتى من المفردات الأجنبية بألفاظ غاية في الثقل والتنافر، كالفرنكوفونية، والأنجلوفونية، والجرمانوفونية[4]، والمركنتيلية[5]، والإيكولوجية[6]، والديداكتيكية[7]. وكان ينبغي أن يقول: الفرنسية، والإنجليزية، والجرمانية، كما قال «العربية»، ولم يقل العربفونية؛ فإن معنى «فون» الناطق، وإيرادها في الكلمات الثلاث يعني أنها منسوبة إلى الناطقين بالفرنسية والإنجليزية والجرمانية، وإنما المراد في السياق الذي أورد فيه الكلمات الثلاث النسب إلى الفرنسية والإنجليزية والجرمانية، لا إلى الناطقين بها، كما يبدو من قوله: «كانت سبَّاقة إلى نشر ثقافة لسانية حديثة بمرجعيات متعددة، عربية، وفرنكوفونية، وإنجلوفونية، وجرمانوفونية». ولو أن الأمور تسير على مقتضى الأصول لاستَغْنى بالعربي عن الدخيل؛ فليس بأوضح منه، ولا أشيع في الاستعمال. وما هذا مما لا يخفى الفهري، ولا على غيره من العرب العاديين، بله المتخصصين في علم اللغة، وهو لا يختلف عن فعل الذي يتبع «أنت» you، ونحن we. ومع ذلك أتبع «اللهجة العامية» ما يوهم أنه يزيدها بيانا بيانا ووضوحا، ويجلِّي للقارئ ما يخفى عليه منها، فوصفها بالشعبية المتداولة، والدارجة، ولسان البيت والشارع، ثم أتبع ذلك عبارة «اللهجة السفلى»، وهي ترجمة حرفية لكلمة استعملها تشارلز فيرغسون للدلالة على هذا المفهوم، ثم أتبعها اللفظ الإنجليزي (low)، وهو اللفظ الذي كانت عبارة «اللهجة السفلى»

---

(١) السياسة اللغوية في البلاد العربية، ١٩.
(٢) السياسة اللغوية والتخطيط، ٢٣.
(٣) السبع معلقات، ٨.
(٤) السياسة اللغوية، ١١.
(٥) السابق، ٦٣.
(٦) السابق، ٨٨.
(٧) السابق، ١٧٧.

ترجمة له. وفعلَ مثل ذلك فيما قال في تعريف الفصحى. والحقيقة التي لا يُمتَرى فيها أن الذين يستعملون الألفاظ الأجنبية على هذا الوجه يعلمون أن الألفاظ العربية تؤدي المعنى أكثر مما تؤديه الألفاظ الأجنبية، ويعلمون أنهم لا يأتون بها من أجل البيان، وإنما لحاجة نفسية، لولا هي ما أُتْبِعَت «أنت» you، و«نحن» we، ولا قيل: «هذه اللغات خير (good)، كما يقول الإنجليز، أو bein، كما يقول الفرنسيون»[1]. ومن هذا قول مختار درقاوي: علم الاصطلاح (Terminologie)، الجذاذية الاصطلاحية (Fichier Terminologique)، التقييم الاصطلاحي (Pondération)، التقييس الاصطلاحي (Normalisation Terminologique)، المخزون الاصطلاحي (Fonde Terminologique)، البحث الاصطلاحاتي الموضوعاتي (Terminologie Thématique)، التحليل الاصطلاحي (Analyse Terminologique)، المقياس الاصطلاحي (Paramètre Terminologique)، التقسيم الاصطلاحي (Découpage Terminologique)[2]. يفعل هذا مع أنه يشرح كل اصطلاح من هذه الاصطلاحات بالعربية، وإذا لم يبين الشرح معنى اللفظ العربي، فبعيد أن يبينه لفظ أجنبي، ولا سيما إذا كان القارئ لا يعرف لغته، فإن كان يعرفها، فليس في حاجة إليه؛ لأن الترجمة -في الغالب- حرفية، تذكِّر باللفظ المترجم، وليس فيها ما يحجب مراد الكاتب. واللفظ الأجنبي في هذا السياق بمنزلة اللفظ الشارح، والجمع بينه وبين شرح اللفظ كشرح اللفظ مرتين. وكان الفيروز آبادي مولعا بشيء كهذا، فكان إذا ذكر الكلمة العربية من أسماء النبات أو الحيوان أو الجواهر أتبعها مرادفها الفارسي، كقوله: «الزُّمَّج كدُمَّل: طائر، فارسيته: دو برادان؛ لأنه إذا عجز عن صيده، أعانه أخوه»، فقال أحمد فارس الشدياق ينتقد عليه ذلك: «وكان عليه أن يقول: ومعناه أخوان، إلخ. فيا ليت شعري هل كان مراده بهذا أن يعلِّم العرب لغة العجم، أو أن يظهر معرفته بها؟ فإن كان الأول، فقد خالف جميع أئمة اللغة، وإن كان الثاني فنفس عبارته تدل على عجمته»[3].

---

(١) السياسة اللغوية، ٤٣.

(٢) استثمار التراث العربي في ترجمة المصطلح اللساني، ٥٦ وما بعدها.

(٣) الجاسوس على القاموس، ٣١١.

وإذا عُذر في إتباع الاصطلاح العربي مرادفَه الأجنبي بين قوسين، عند ذكره أول مرة، بتوخي لإيضاح لمن لا يعرف الاصطلاح العربي، فلا يُعذر في إيراده كلما ذُكر اللفظ العربي، كما لا يُعذَر في إيراده حيث لا يَعرِف المرادَ منه إلا من يعرف لغة أجنبية، كقول عبد القادر الفاسي: «ونُقِلَت أعمال نقدية...، وأنطولوجيات أدبية»[1]، فإن المراد بـ«أنطولوجيات» لا يعرفه إلا من يعرف الفرنسية، وكذلك كل موضع ذَكَرَ فيه «المركنتلية» فيما اطلعت عليه من كتبه. وما من ترجمة لهذه الألفاظ وما شاكلها إلا هي خير منها، أما أولا، فلثقل هذه الألفاظ وطولها، وغرابتها، وأما ثانيا، فلجهالة جل العرب بها، ولما يجدون من صعوبة في دمجها في حصيلتهم اللغوية؛ لأنها مفردات ليس لها أصل في العربية، ولا معنى في ثقافتها. وإيراد الكاتب الكلمة أو الاصطلاح الغربي دون ترجمة يعني أنه اختار الطريق الأسهل في نقل الاصطلاح، بأخذه بلفظه، وتجنُّبِه الطريق الصعب، وهو الترجمة. وهو عمل، لا يزيد في المعجم العربي شيئا يذكر، وإنما يعني أن الكاتب آثر الهرب من مواجهة القضية[2]. ثم إن بعض العرب (كأهل المغرب) يعرفون معنى الأنطولوجيا، واللائكية، وأكثرهم (ولا سيما أهل المشرق) لا يعرفون معناهما، ومع ذلك يؤثر كثير من أهل المغرب الاصطلاحين الأعجميين، ولا يكادون يستعملون مرادفيهما العربيين. أما ما يدعي بعضهم من أن الاصطلاح الأعجمي أدق، فإن أقل العرب من يعرف لغة أجنبية، وفهْم معنى اللفظ العربي -على عدم دقته، إن صح عدم دقته- أيسر عليهم، من فهم اصطلاح، لم يسمعوه، هذا إلى أن كثرة الاستعمال تكسب الألفاظ من الدقة ما لم يكن فيها، حين تستعمل أول مرة، فـ«العلمانية» -مثلا- كانت في البداية تنطق «عالَمَانية»، نسبة إلى العالم، أي الدنيا، وهي غير دقيقة في دلالتها على «اللادينية»، وفصلِ الدين عن الحياة، وربما كانت «الدنيوية» و«الدهرية» أدق منها وأوضح دلالة على المراد، لكنها بكثرة الاستعمال غدت علَمًا على هذا المفهوم، ولا يدل عليه لفظ كما تدل عليه، ولا يُدرَك معناه إذا سُمِّيَ باسم آخر، وإن كان أصح منها وأدق. ومن ثقف هذا، عدل عن تنطُّس من

---

(١) أزمة اللغة العربية في المغرب، ٧٧.

(٢) إشكاليات المصطلح الغربي في ثقافتنا المعاصرة، ٣٩.

يصرون على مسخ العربية بما يدخلون فيها من الألفاظ الأعجمية. وإنما ينبغي أن يُجمَع بين اللفظ العربي ومرادفه الأعجمي في ثلاث حالات:

١- إذا كان اللفظ الأجنبي أشهر من العربي؛ فإن الجمع بينهما ينبه على أنه بمعناه، كالناسوخ (fax)، والحاكوم (remute control)، والشابكة (internet)، إلخ.

٢- إذا كان المراد تعليم القارئ ما يقابل الاصطلاح العربي من اللغة الأجنبية.

٣- إذا خيف أن يفهم من اللفظ العربي معنى غير المعنى المراد، وهو معنى لفظ أعجمي بعينه، وذلك قبل أن يشتهر اللفظ العربي وتستقر دلالته.

وإذا كانت الكلمة المفسَّرة أشهر، وأوضح معنى من المفسِّرة، كان لإيرادها علة غير البيان، هي الشعور بالامتياز الذي يلازم الشعوب المغلوبة، والشعور الذي يجده بعضهم من ترداد الأعلام الغربية، إذا تكلموا، والإحالة إليهم، إذا كتبوا، كميشيل فوكو، وجاك ديريدا،و رولان بارت، وإمبرتو إيكو، ورومان جاكبسون، وتدوروف تزفطيان، وجان بياجيه، ونعوم تشومسكي، وهابر ماس، ومارتن هيدغر، وغرامشي، إلخ، ولو كان ما يستشهدون به من كلامهم بديهة من البديهيات، أو رأيا ليس بذاك؛ لأنهم إنما يُزهون بذكر صاحب الرأي لا بالرأي وقيمته. وهذا الشعور بعينه هو الذي يتملكهم إذا قالوا: اللائكية، والبيداغوجيا، والأنطولوجيا، والإكولوجيا، والآركيولوجيا، والميركنتيلية، والديداكتيك، والسانكرونية، والدياكرونية، والأبارتيد، والكولونيالية، والسيميوطيق، والسيميولوجيا، والمورفولوجيا، والفينومينولوجيا، وإبستمولوجيا، والسوسيولوجيا، والهيرمينيوطيقيا، والميتافيزيقيا، وغراماطيقي، وغراماتولوجي، والأستاتيكي، وإمبريقية، إلخ، على ما فيها من الغرابة، والطول، والثقل، وعلى ما في العربية من مرادفات لها، أقصر لفظا، وأوضح معنى، وأكثر استعمالا، فقد ترجمت اللائكية بالعلمانية، والبيداغوجيا بالتربية، والإكولوجيا بعلم البيئة، والآركيولوجيا بعلم الآثار، والميركنتلية بمذهب الربح، والديداكتيك بالتعليمية، وعلم التدريس، وعلم التعليم[1]، والسنكروني

---

(١) التعليمة معرفة علمية خصبة، ٢٨٥ وما بعدها.

بالحاضر، والزمني، والآني، والدياكروني بالمنهج التاريخي[1]، والكولونيالية بالاستعمار، والأبارتيد بالتمييز، والسيميوطيقة والسيميولوجيا بعلم الرموز، والمورفولوجيا بالشكل، والفينومينولوجيا بالظاهرية، والإبستمولوجيا بنظرية المعرفة، والسوسيولوجا بعلم الاجتماع، والهيرمينيوطيقا بالتأويل، والميتافيزيقية بالغيب، وما وراء الطبيعة، وغراماطيق وغراماطيقي بالنحو، وغراماتولوجي بعلم النحو، والأستاتيكي بالسكوني، وإمبريقية بالتطبيقية. وبعض الذين يكثرون من استعمالها يعرفون مرادفها العربي، ويستعملونه في بعض ما يكتبون، كقول عبد القادر الفاسي: «لأن اللغات كثيرة ومتنوعة، ولأن تعليمها الناجح يحتاج إلى بيداغوجية جديدة، تأخذ بعين الاعتبار مناهجَ تعليمية اللغات المتجددة (didactics)»[2]، غير أنه مولع بالديداكتيك، والنسب إليه، ولا يكاد يذكر غيره. ويستعمل «الزمن» ويستعمل معه «سنكروني»، بينهما خط منكسر: زمن/ سنكروني[3]، إشارة إلى أنهما مترادفان، ويقول: «ما هو تاريخ للغة، أو ما هو حاضرها، أو ما هو دياكروني، وما هو سنكروني»[4]، والتاريخ هو دياكرون، والحاضر والزمن هما سنكرون. ويوردهما على وجه آخر، هكذا: سنكروني/ حاضر، دياكروني/ تاريخي[5]، لا بعصريته (الزمن)، أو سنكرونيته[6]. وتُرجمت الشوفينية (chauvinisme /chauvinism) وشيزوفرينيا (schizophrenia)، وإنتلجنسيا (Intelligentsia)، بالحمية الوطنية[7]، والفصام، والنخبة المثقفة، ويأبى بعض العرب -مع ذلك- إلا الألفاظ الأعجمية، على ثقلها. فالدخيل عند بعض العرب «موضة لغوية، تشي -في أقصى غاياتها- بالانتساب الشكلي إلى الثقافة الأجنبية، تحتم عليهم توشية كتاباتهم العربية بما استطاعوا من ألفاظ دخيلة، لا تقتضيها دواع معرفية، في أغلب الأحوال»[8]،

(١) قضايا لسانية وحضارية، ٤٨.
(٢) عشرة مفاهيم - أعراض لتقويم الشأن اللغوي بالمغرب، واللغوية العربية والبيئة والبقاء، ٢٥.
(٣) أزمة اللغة العربية في المغرب، ٢٥.
(٤) السابق، ٣٣.
(٥) السابق، ٣٧.
(٦) السابق، ٣٨.
(٧) انظر: كلمات العالم، ٩٨.
(٨) إشكالية المصطلح في الخطاب النقدي العربي الجديد، ٩٠.

وهو ما أبان عنه كلام كولماس الذي نقلناه آنفا. والمرأة في المغرب العربي -خاصة-، والوطن العربي عامة، أشد ولعا بالدخيل من الرجل؛ لتعوض به عما تشعر به من نقص في المجتمع، يجعلها دون الرجل؛ فتلوذ بالحل الرمزي التعويضي، فتستعمل الفرنسية أكثر مما يستعملها الرجل، وتتقن نطقها بالنبرة الباريسية[1]. أي إن التكثر من المفردات الدخيلة يطرد هو وقلة النضج، وهو أمر مشاهد في الحياة، فالمرء العاقل المتزن لا يتكلم بالمفردة الأجنبية إلا إذا اقتضى المقام أن يتكلم بها، وكلامه بها يكون أبدا بمعزل عن كل غاية غير علمية، وبعكس ذلك المرء الذي هو أقل منه نضجا، فنفسه حاضرة أبدا فيما يتكلم به. وهذا يفسر عزوف بعض العارفين باللغات الأجنبية عن التكلم بها في غير المقامات التي تقتضيها، وإلحاح غير العارفين على التكلم بما شدوا منها، بغير مناسبة، كما يفسر ترداد بعض التونسيين في ثورة الياسمين عام ٢٠١١ «ديجاج»، مع أن الكلمة العربية (ارحل) أقصر وأخف، وهي التي كان يردد اليمنيون في ثورتهم، وكان المصريون يقولون: الشعب يريد إسقاط النظام، على ما هو معروف من ولع بعض المصريين بالإنجليزية، وكثرة تردادهم ما يعرفون منها. وما أذكر أني قرأت في شيء مما كتب أهل المشرق العربي سكيولاريزم (secularism) بدلا من «العلمانية»، وإنما اختلفوا في اللفظ الذي ينبغي أن يترجم به: ألعلمانية، أم العالمانية، أم الدهرية، أم الدنيوية، ولا يكاد أهل المغرب العربي يعدلون عن «اللائكية»[2]؛ لأن للفظ الفرنسي (Laique) من الدلالات النفسية ما ليس للعلمانية. ولا يكادون يعدلون عن «البيداغوجيا»، على سخفها، وطولها، وثقلها، وتركُّبها، وغرابتها، وتنافر حروفها، وشيوع مرادفها (التربية)، وأصالته، وخفته، وبساطته، وهو اللفظ الذي لا يُعرف غيره في المشرق العربي، ولا تعرف البيداغوجيا (pédagodie) ألبتة، ولا ما يرادفها بالإنجليزية (education)، وما أذكر أني رأيت واحدة منهما في شيء مما قرأت لأهل المشرق ما عدا البيداغوجيا، فقد رأيتها مرة واحدة في كلام العقاد، ولم يستعملها بدلا من «التربية»، وإنما قال إنها هي الكلمة التي يطلق الغربيون

---

(١) المجتمعات العربية وعلاقتها النفسية والاجتماعية بلغتها في الميزان، ٢٢.

(٢) لا فرق مهمًّا بين اللائكية والعلمانية، وإن كانت اللائكية هي الجانب العملي والسياسي للنظرية العلمانية.

على التربية، ليس إلا. ورأيت المجلس الأعلى للتعليم في المغرب يصدر كتيبا يسميه «دفاتر التربية والتكوين»، ثم يجعل تحت عنوانه هذا: المقاربات البيداغوجية، ويجعل عنوان أحد الدفاتر «مهام المدرس ورسالته التربوية»، وهو دليل على أن «التربية» أشد تمكنا في سلائقهم، ولكن الحاجة النفسية سلكت بهم خلاف ما تقتضي السليقة. وهو مرض، لا شفاء منه إلا بالشفاء من الهزيمة النفسية التي حقَّرت إلى القوم أنفسهم، وجعلتهم يقدسون الغير، فإذا صحَّت النفوس، صحت اللغة، ومحال أن تصح اللغة والعقول سقيمة، واللغة إنما هي لسان العقل، «وكيف يستقيم العود والظل أعوج»؟! وعزْم المرء على التخلي عن لغته أثر من آثار تحول الجماعة اللغوية عن الاعتزاز بنفسها[١]، واللغة رمز الانتماء، والناس إنما يتكلمون بها ليسمُّوا الجماعة التي ينتمون إليها، أو يرغبون في الانتماء إليها[٢]، فإذا تكلَّم موظفون في بلد إفريقي كانت تستعمره فرنسة، بالفرنسية، فإنما يريدون محاكاة الغرب، وإظهار التميز من قومهم، فإن أبى أحدهم أن يتكلم بغير لغته، على علمه بالفرنسية، دلَّ ذلك على أنه يرفض لغة الاستعمار، ويأبى الانتماء إلى غير قومه[٣].

والشعوب التي تعتز بهويتها وثقافتها، وتثق بنفسها ولغتها وحضارتها لا تنظر إلى اللغات الأجنبية بالعين التي ينظر بها بعض العرب إلى اللغات الأجنبية، وليس عندها من الولع بتعلمها، والكلام بها ما عند العرب، وتَسْلَم من الشعور المبالغ فيه بأهمية اللغة الأجنبية، وهو -غالبا- أثر انبهار بكل ما هو أجنبي، وتسلم من ظنٍّ أن التقدم لا يكون إلا بإتقان لغة أجنبية[٤]. قال أحمد القاري، وهو مدرس للإنجليزية، مغربي، إنه زار طبيبا للأنف والأذن والحنجرة برتبة أستاذ، في مستشفى شين جين الثاني، بالصين، وكان هو رئيس القسم أيضا، فوجده لا يحسن شيئا من الإنجليزية ولا الفرنسية، ووجد الوصفات، والنشرات الطبية التي تكون مع الأدوية، بالصينية كلها[٥]. واليابانيون من أزهد الشعوب

(١) موت اللغة، ١٨٥.
(٢) علم اللغة الاجتماعي، ٣٠٤.
(٣) حرب اللغات، ١٣٩.
(٤) اللغة العربية في عصر العولمة، ١٦.
(٥) لغات حية، ٢٣.

الآسوية في تعلم الإنجليزية، وأقلهم معرفة بها، وساستهم لا يحسنونها[1]، مع أن اليابان مستعمرة أمريكية. وقال إن امرأة يابانية، سألته بالدار البيضاء هو وشابا أمريكيا كان معه، وكان ذلك في منتصف العقد العاشر من القرن العشرين، أن يدلاها على مطعم مغربي شعبي، تجد فيه الطاجين، وكانت تحدِّث الأمريكي بإنجليزية لا يفهمها، على وجه يدل على قلة علمها بها، فكان أحمد يترجم لكل منهما إنجليزية الآخر[2]. وحضر عرضا، قدمه مهندس ياباني في شركة سوني لشرائحِ مصوِّرات (كمرات) مراقبة، تصنعها شركته، فكان يجد مشقة في التكلم بالإنجلَيزية، وكان يقول «هِي» كل جملتين أو ثلاث، وكان واضحا أن المعلومات التي كان يقدمها مترجمة من اليابانية. وحضر لقاء، حضره ثلاثة من مهندسي شركة توشيبا، قدموا فيه عرضا لشرائح المصورات التي تصنعها شركتهم، فكان كلامهم بالإنجليزية يحمل على الشفقة، وكانوا يتصببون عرقا، ويتعاقبون على تقديم المعلومات، وكانوا يجبرون حلوقهم وألسنتهم على إخراج حروف الإنجليزية الغريبة عليهم. قال: وما انتهى العرض حتى رحمتهم، ووددت لو نشؤوا بالمغرب؛ إذن لكانوا قد تعلموا ترويض ألسنتهم على الرطانات اللاتينية والسكسونية، وهم رضَّع![3]. وليست اليابانية ولا الصينية بأعرق من العربية ولا أغنى، ولا أجمل، ولكن اليابانيين والصينيين أشد من العرب اعتزازا بهويتهم، وغيرة على لغتهم، أما العرب، فمهزومون هزيمة، أورثت ضعف إرادة، وفناء ذات، وإيثارا للراحة على النصب، والهزْل على الجد، والعزوف عن تعلم ما لا يعرفون إلا أن تكون فيه منفعة مادية لأحدهم؛ من أجل ذلك هان عليهم أن يفتحوا الأبواب للدخيل، ويتجاوزوا الدخيل من المفردات إلى الدخيل من الأساليب والمعاني، ويسوغوا كسلهم وعجزهم بأن لا ضير على العربية من ذلك ما دام الدخيل مفردات، وليس بنظام نحوي أو صرفي، وبأنَّ دخول ما يدخل العربية منه سُنَّة من سنن اللغة، والرضا به والاستسلام له شرط حياتها وسلامتها من الموت والاستحجار، وشرط نهْض العرب وتقدمهم، ويعدُّ غيرهم الكلمة من

(١) اللغة العربية في عصر العولمة، ٧٩.
(٢) لغات حية، ٢٣.
(٣) السابق، ٢٣.

الدخيل دليل استعمار، ونذير فناء، وموتِ هوية، وذهابِ حضارة، ويُعِدُّ لصدِّها من العدة ما في وسعه! وتستعمل براعة العرب اللفظية في تسويغ إفساد العربية، بدل أن تستعمل في إصلاحها، وفي إقناع العرب بأن يقتدوا بالأمم الجادة في صون لغاتها، والحفاظ على هوياتها. من أجل ذلك يقل في لغوييهم وكتَّابهم أمثال مالك حداد، وسعيد بو جدرة، وأعمالهما الرجولية، فقد قال مالك -لما قال فيه الكاتب الفرنسي لوي أراغون: «أعذب شعرٍ فرنسي، قرأته ما نظمه مالك حداد»-: أنت مخطئ يا أراغون، أنا أرطن ولا أُغني، لو كنت أعرف الغناء لغنيت بالعربية، إنني معقود اللسان، لقد شاء الإنسان (الفرنسيون) أن يكون في لساني آفة، وعاهة. الفرنسية فرضت عليّ، لا تلمني يا صديقي، إن لم يُطربك صداحي، لقد كنت في طفولتي أدعو أمي: يامَّا، أمَّا في شعري فأدعوها: مامير، «أماه، يامَّا، هل يمكن أن يكون اسمك مامير؟! وآلى على نفسه بعد الاستقلال ألا يكتب بالفرنسية؛ لأنه يرى أن التأليف ينبغي أن يكون بالعربية في الجزائر المستقلة[1]. وكان يكره التكلم والكتابة بالفرنسية، ويقول إنه مرغم عليهما، وظل يشكو مما صنع الاستعمار بلسانه. وبعد استقلال الجزائر عام ١٩٦٢ آلى على نفسه ألا يكتب حرفا بالفرنسية حتى توفي عام ١٩٧٤م، وقال: «قبل الاستقلال كنت بحاجة إلى لغة، أدافع بها عن قضية بلدي، أما الآن، فكل كلمة أخطها يجب أن تكون عربية». ولما زار دمشق في أول العقد السابع، عقد بها ندوة أدبية، اعتذر في بدايتها بقوله: «في حنجرتي غصة استعمارية، زرعها الفرنسيون، فاعذروني إن لم أستطع الحديث إليكم كما أريد، بلغتي ولغتكم العربية، لأن الفرنسيين فرضوا عليَّ الجهل الكامل بهذه اللغة». وشعرَ رشيد بوجدرة بالأسف؛ أن كتب سبع روايات بالفرنسية، وقال: إن استعمال الفرنسية في المغرب العربي سيظل أبدا عملا سامًّا، وقال: لِمَ اللجوء إلى نمط ثقافي آخر لتغيير مجتمعنا؟ لمَ نعمل هنا على صنع أدب مكتوب بالفرنسية؟ وهل سعى شعب إلى البحث عن أصوله في لغة غير لغته؟[2]. وكذلك كان فرانز فانون، الطبيب المارتنيكي ذو الجنسية الفرنسية، فقد أوصى بأن تدفن معه كتبه؛

(١) في يوم اللغة العربية وما قاله أمين الزاوي، وويل لأمة مغصوبة اللسان.
(٢) الفرانكوفونية واللغة العربية.

لأنه كتبها بلغة الاستعمار. وهكذا ينبغي أن تكون حال المثقف الحر الأصيل الذي يفهم معنى الهوية، ومنزلة اللغة منها، ويدرك بشاعة ما يفعل الاستعمار بالإنسان إذ يقطع لسانه، ويزرع في فيه لسانا آخر، يردد به ما يريد له أن يردد[1]. أما المهجَّنون، والمدجَّنون، والمرضى، والمهزومون، والمستلَبون، والمستأجَرون، فيطيرون شعاعا بما شدوا من لغة المستعمر، ويصطنعونه بدلا مما يعرفون من لغتهم، ويعدُّونه «غنمية حرب»، أما ما تقتضيه الفطرة، من بغض المرء من أساء إليه، وتوقه إلى الانتصار منه، فإن الاستعمار يسمي له ذلك إرهابا، فيجتويه، ويبذل ما في وسعه من أجل أن يمحو ذاكرته، ليكون سلَمًا له، فينسى ما يريد له أن ينسى، ويكون أقصى ما يرجو أن يقبله تابعا، يعتز بما شدا من لغته، ويمكِّن له في وطنه، ويفخر بما يجهل من العربية، ويجتهد في إخراجها من الحياة، أو عزلها في بعض زواياها المظلمة.

ومن رأى مثقفي العرب يلوكون الكلم الأعجمي مباهاة واعتزازا، ويتكلفون ذلك، ويتعمدونه كما يتكلفه النساء والأحداث، داخله شك مريب في أن العرب يصلحون لغير ما هم فيه، وشك في أنهم مهيؤون لأمثل مما هم عليه. وتجد أحدهم -مع ذلك- يزعم أن العربية في أزمة؛ أن أعرض عنها هو وأمثاله ابتغاءَ معنى يتطلَّبونه في غيرها، أو لعجزهم عن التكلم بها، وإنما الأزمة بين جوانحهم. والمثقف مظنة النضج والوعي، والبصر بحقائق الأشياء، فإذا استوى هو ومن لا يساويه في العلم، ومن كان يُظَنُّ أنه لا يساويه في الوعي والنضج، دلَّ ذلك على أن الثقافة التي هي القاسم المشترك بينهما توجهه كما توجهه، وتعمل فيه مثل ما تعمل فيه، وأنه ما زالَ أضعفَ من أن يتخلص من إسارها؛ فلا يمكن أن يكون قدوة لمن ينبغي أن يكون قدوة له، ولا رائدا، يدل الناس على أمثل مما هم عليه، وإنما هو واحد منهم فيما كان ينبغي أن يخالفهم فيه، وإن فاقهم بما يوعي من معلومات، لكن المعلومات من غير وعي ليست بالتي تغير الشعوب، ولقد تكون عونا على إفسادها، وذلك إذا استعملت في الإضلال عن الحقيقة، والدلالة على غيرها. لقد رأيت الدارسين من العرب في فرنسة من أزهد العرب في العربية، وأجرئهم عليها، وهو أمر يدل على أن تأثرهم بفرنسة واعتدادها

---

(١) انظر: معذبو الأرض، ٢.

بلغتها، ونصَبها في نشرها وصيانتها، والضيق بكل دخيل، ولو كلمة، خلاف ما كان ينبغي أن يكون، من أن يعودوا وهم يجلون لغتهم كما تجل فرنسة لغتها، وينصبون في صونها والدفاع عنها، كما تنصب في صون الفرنسية والدفاع عنها، ويأنفون من أن يستبيح الدخيل حماها، كما تأنف من ذلك، ويحتاطون منه، كما تحتاط، ولكنهم عادوا وهم يجلون الفرنسية كما تجلها فرنسة، ويستهينون بالعربية كما تستهين بها، ويكيدونها كما تكيدها، ويجدُّون في إخراجها من الحياة، واستبدال الفرنسية بها، كما تجدُّ في ذلك، ويجدُّون في إدخال ما هم في غنى عنه من الدخيل، ويجادلون في ذلك جدالهم في العقيدة.

على أن التسليم لكل وافد من الغرب ظاهرة في ثقافة العرب، لا تخص اللغة دون غيرها، فإن من العرب من يرى المسارعة في التقليد شرط التقدم، وكلِّ ما خضعت له نفوسهم من ثقافة الغرب ونظمه وسياسته زعموا أنه حقيقة علمية عالمية، يجب تقلدها، والمسارعة إلى العمل بها، ولو كانت ملبسا، أو مطعما، أو هيئة. وهو أمر يدرك ضرره كل ذي وعي، حتى المستشرقون الذين يحرصون عليه، وعلى إغراء العرب به، كما يبدو من قول المستشرق الهولندي، سنوك هورخرونيه: كلما كانت العلاقة بين أوربة والشرق المسلم حميمة، كان ذلك أدعى إلى سقوط الدول الإسلامية في القبضة الأوربية[1]. واستدلَّ ابن خلدون بتكلم أهل الأندلس بلغة النصارى في زمانه، وتعلُّقهم بتقليدهم على قرب ذهاب ملكهم واستيلاء الإسبان عليهم، كما كان؛ لأن استعمال اللغة الأجنبية لا يكون إلا عن إعجاب بأهلها، وشعور بفوقهم وتميزهم، ولا يخامر هذا الشعورُ قلبَ أمة إلا بعد أن تشعر بالهزيمة؛ فتهون عليها نفوسها هوانا يجعلها لا تملك ما تقاوم به غزو مَنْ ترى فوقه وتميزه، إذا غزاها، وترى أن احتلاله إياها زعيم بنقلها إلى حيث هو، فمن الخير لها أن تتنازل له عما يريد منها. وقد قال المدير السابق لمنظمة اليونسكو روني ماهو (Rene Maheu): إن الأمة التي لا تؤمن بنفسها لا وجود لها، ولا يكفي أن يكون لها سفراء، ورئيس دولة، وموظفو جمارك، فإذا لم يكن لشعبها خصوصية تعبر عنه، فلا وجود له، واستقلاله استقلال ظاهري، لا يدوم. والثقافة والوعي بالخصوصية هما وسيلة الشعب

(١) صراع الغرب مع الإسلام، ٦٩.

الوحيدة للتعبير عن وجوده[1]. ولكن من اعتقد هذا، واستنكف من التقليد، والتسليم للوافد، أو تلكَّأ في قبوله، صبَّ عليه المهزومون ما أطاقت أقلامهم وألسنتهم من الهجو، وما لم تطق.

(٢)

والمكانة التي صنعتها الثقافة المهزومة للإنجليزية والفرنسية هي التي جعلتهما تستحوذان على أسماء الأحياء، والشوارع، والدعاية والإعلان، وأسماء المتاجر، والمطاعم، والسلع، في الوطن العربي كله، حتى غدا من غير الكثير أن يرى المرء في الشارع العربي اسم متجر مكتوبا بالعربية[2]، وغدا المكتوب بالإنجليزية من أسماء متاجر بعض المدن العربية، كأسيوط، بصعيد مصر ٩٠٪[3]. ويُكتب معظم اللافتات في شوارع الجزائر بالفرنسية لكن بحروف عربية، نحو: »طاكسيفون«، و«لافاج» (غسْل السيارات)، و«فاست فود» (أكلة سريعة)، و«فليكسي»[4]. وغدا من الكثير أن يرى المرء المتاجر تسمى بأسماء، مثل: Mother Care، وPay Less، وNew Life، وFlower، وتُكتَب أسماؤها بالحرف اللاتيني، وقد تُكتَب بالحرف العربي، كهبي ليدي (Happy Lady)، وهاف مون (Half moon)، ووول ستريت (Wall Street)، وسويس كاف (Swiss Kafe)، وماي فون (My Phone)، وفلاش، وستار لايت جايد[5]، ودريم لاند، وموري سنتر، وجرين لاند، ومودرن هاوس، وهابي هوم، وكاربت سيتي، ودراي كلين، وفيش ماركت، ولاكي تورز، وبلومن، ولا فلوريست. وشاعت تسمية الحوانيت التي تبيع الأغذية وما شاكلها super market ، حتى صارت كالعلَم عليها، ونُسِيَت تسميتها العربية، أو كادت تنسى، وتسمى في المغرب العربي أبيساريا، وقد يسمى الكبير منها Center. ويُسمَّى مجمع الأسواق المغلقة مول (Mall) مضافا إلى الاسم العربي إضافة مقلوبة، نحو: AlRiyadh Mall، وAlnkheel

---

(١) إنية وأصالة، ٧٧، واللغة العربية وتحديات العصر، ٤٩.

(٢) انظر: لسان حضارة القرآن، ٩١.

(٣) الواقع اللغوي في العالم العربي في ضوء هيمنة اللهجات المحلية واللغات الإنجليزية، ١٣١ وما بعدها.

(٤) الفرنسية أفسدت لغة الجزائريين وحولتها إلى أضحوكة.

(٥) دور وسائل الاتصال الجماهيري في تطوير وظائف اللغة العربية، ٦.

Mall، وتسمَّى المباني الكبيرة Plaza. وتكالب التجار المصريون على تسمية مشاريعهم من محالَّ، وقرى سياحية، وقنوات تلفزية، تسمية أجنبية مثل: دريم تي في، ونايل كوميدي، ونايل لايف، ودريم لاند، وماجيك لاند، وبيفر لي هيلز، وفرجينيا بيتش، وبراديس بيتش، إلخ[1]. وصار دخول متاجر الملابس يستوجب أن يتكلم المرء بالعربية وكأنه لا يعرفها، وأن يخلطها بالفرنسية أو الإنجليزية أو بهما معاً، ويرطن بلسان هجين، لا هوية له ولا انتماء. وفشا ذلك في الجامعات، والمقاهي، ورياض الأطفال، بعد أن كان موقوفا على فئة لبنانية صغيرة لأسباب دينية. وصار من المألوف أن تقول المرأة اللبنانية لابنها الصغير: «مامي، جيب الكارتابل لنعمل الدوفوار» (هات الحقيبة لنحل الواجبات)، وأن يكون السلام بـ«هاي»، و«باي»، والشكر بـ«مرسي» و«ثانكس». ويتحاشى بعض الرجال ما فيه طاء من الكلمات؛ لأنهم يعدونه حرفا جافيا، إذا ووزن بالتاء في الكلمات الأجنبية. ويتكلفون نطق الكلمات الدخيلة كما ينطقها أهل اللغة، فيقولون «بِسْكويت»، و«بنتالون»، و«شوكولا»، أو «تْشُكْلَتْ»، بدلا من بسكوت، وبنطلون، وشكولاته، كما هي شائعة في نطق العرب[2]. هذا إلى كثير من الكلمات التي غدت دارجة على ألسنة الناس جميعا، أميهم والمتعلم، كأنها كلمات عربية، مثل سيستر (sister) للممرضة، وبرذر (brother) للممرض، وأوكي، وكنسل، وون قيقة، وتو قيقة، وون تيرا، وتو تيرا، وشعبة تو، وشعبة ثري، وسي يو، ووِي (نعم بالفرنسية)، وداكور، وداكوردو (d'accord)، وسفا (ça va)، وسوري (sorry)، وباردون (pardon)، وهالو (hello)، وبون (bon)، وبنجور (bonjour)، وشسوار (séchoir)، وأورفوار (au revoir)[3]، وزالت من أكثر البيوت المصرية ألفاظ العم، والخال، والعمة، والخالة، والجدة، بدلالاتها وإيحاءاتها العربية الجميلة، وحلت محلها الأنكل، والطنطا، والتيزة، أو التبتة[4]. بلْهَ المفردات التي دخلت في اللهجات، وجُهِلَ أصلها، حتى ظُنَّ أنها عربية، وإنما أعني المفردات التي يُعرَف مرادفها العربي، وهو مشهور جدا، ثم يُعدَل

(١) الهوية العربية في ظل العولمة، ١١.
(٢) التبرّج اللغوي: الطريق الأسرع إلى الهاوية.
(٣) اللغة الباسلة، ٢٧.
(٤) الموضع السابق، ٢٧.

عنه عمدا إلى الدخيل. وصار هذا ونحوه من أعراف بعض المجتمعات العربية، والعدول عنه مما يسقط المرء من الأعين. تقول معلمة لبنانية: إن التكلم بالعربية في المجتمع اللبناني صار كالتهمة، ومن لم يعرف الفرنسية والإنجليزية، أو إحداهما، ويتكلم بهما في الأحاديث العامة، عُدَّ امرأ غير عصري. من أجل ذلك صارت المعلمة -لئلا تبدو غريبة أو شاذَّة- تلجأ إلى تطعيم كلامها وردودها بكلمات فرنسية[١].

وصار الازدواج اللغوي يستعلن في حياة العرب كلها، في المعاهد، والجامعات، والوزارات، والإدارات الحكومية، والشركات، والمتاجر، ولو كان المتجر صغيرا، في حي شعبي، لا يتوقع أن يراه إلا عربي، ولا يتوقع أن يمر به يوما من يحتاج إلى غير العربية، إن مر به من يعرف لغة غيرها. ومن طريف ذلك أني رأيت أحد مسالخ المدينة المنورة يكتب على ألواحه الإرشادية الصغيرة: غرفة الكرشة، وهو مكان تجمع فيه كروش الدواب بعد أن تشق بطونها، ويخرج ما فيها من الفرث وتغسل، وكُتِب تحت تلك العبارة: tripe room. وبالمدينة المنورة قصر من أشهر قصور الأفراح، يُدْعَى «هذه ليلتي»، كُتِبَ اسمه بالعربية هكذا: «H. ليلتي»، وكتب بالحروف اللاتينية وحدها بجوار اسمه «العربي» من غير أن يخالطه حرف عربي (H. Laylati). فالاسم عربي، ولكنه كتب مرتين، مرة بحرف عربي، ومرة بحرف لاتيني، وهو عمل لا معنى له، إن كان لتسمية أمثاله باسم أجنبي معنى. والاقتصار من «هذه» على الحرف اللاتيني H، ليس له مسوغ، فإن كان لا بد من اختصار «هذه» جريا على طريقة الإنجليز في الاختصار، فينبغي أن يُقتَصَر منها على الهاء، وهو حرف جميل، ويمكن أن يكتب بصور شتى، تزين اسم القصر.

وتدخل اللغة الأجنبية في سائر جوانب الحياة اليومية، كاللباس، كشورت، وبلوزة، وكوت، وبالطو، وكيلوت، وسوتيان، والطعام والشراب، كسفن أب، وستيك، وهمبرغر، وبيف، وهوت سوس، والرياضة، كالفوت بول (كرة القدم)، وفاول، وآوت، وأمور أخرى، مثل: كندر غاردن، وتجارة إنغلش،

---

(١) واجهلي وخجلي من لغتي.

وأسانسير، وروف، وغراوند فلور، وريسبشن، وويتر، وبولمان[1]، وسرفيس، وميكرو سرفيس، ويسمى الجنون كريزي، والسحر ماجيك، ويقولون: خليك أون لاين، ومسِّجلي مساج[2]. ومباريات كرة القدم التي تقام في الملاعب العربية لا يُدْرَى أفي بلد عربي هي، أم في بلد أجنبي، فكل ما يُرَى فيها من إعلانات باللغة الأجنبية. ومن النادر أن توجَد منظمة، أو وكالة، تتسمى باسم عربي. وصار من المعتاد أن يزاول المتجر والشركة أعمالهما باللغة الأجنبية، ويصطنعاها لغةً للمعاملة[3]. وإذا جلس العربي إلى خوان الطعام في بعض البلدان العربية لم يجد في أسماء المأكولات التي تقدِّمها له المطاعم حرفا عربيا واحدا[4]، وربما لا يجد فيها من يعرف أسماءها بالعربية. أذكر أني يوم كنت أدرس بتونس رأيت مرة في أحد مطاعم الأكلات السريعة بمطار قرطاج شرائح ورديةً، لم أدْر ما هي، وكنت يومئذ حديث عهد بتونس. ولما كنت لا أطمئن إلى الجبن المصنوع في الخارج، ولا سيما «كرافت»؛ لِمَا يشاع من خلطه بشحم الخنزير، ولا آكل السمك، ولا التونة، سألت البائع عن تلك الشرائح ما هي، لعلي أستعيض بها عن الجبن.

قال لي: دَنْدُون.

قلت: ما دندون؟

قال: الذي يسميه الفرنسيون: داندون!

ولما كنت لا أعرف الفرنسية، ولا يعرف معنى «دندون» بالعربية، آثرت الطَّوى على طعام، ما أدري ما هو، في بلد كتونس، أيام زين العابدين بن علي! ودخلت مطعما، فوجدت فيه فتاة، قالت لي إن ما بقي عندها هو «دندون»، فقط. فسألتها: ما دندون؟ ففكَّرتْ قليلا، ثم مدَّت ذراعيها على جانبيها، وحرَّكتهما، فعْلَ الطائر، إذا همَّ يطير، وقالت: «هذاك اللي يَعْمَل هَكَّ»! فعلمت أنه طائر، وخطر لي أنه ربما كان الديك الرمي، فسألتها: أهو الديك الرومي؟

---

(١) الهوية والاغتراب في الوعي العربي، ١٩٨.

(٢) لغة الأرابيش تخفف «الكانسل» وتكثر «الأوكيه».

(٣) انظر: اللغة والهوية ومرحلة الاستعداد لتعلم القراءة، ٦٥٧ وعناصر التعريب وقضيتنا الحضارية، ١٩٨ وما بعدها، وواقع الهوية اللغوية في المجتمعات العربية بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر ٢٠٠١ م.

(٤) لتنهض بلغتنا، ٢٨٢ (نقلا عن: أثر السياسية في اللغة، ١٧٩).

قالت: «نعم، الديك الرومي»!

ودخلت مطعما في نواكشوط، فقدَّم إلي النادل -وكان تونسيا- دفتر الأطعمة، وأخذ يقرؤه ويفسر ما يقرأ بالعربية، وكان مكتوبا بالفرنسية، فكان مما قرأ علي طعامٌ، سماه «سباغيتي بالفُورْماج»، فسألته: ما الفورماج؟ فأطرق طويلا، ثم قال -بعد أن لوَّى رأسه، وزَّم شفتيه، وزَوَى بين عينيه، يفكر في مرادف «الفورماج» بالعربية-: «الفورماج هو الفورماج، أكَّا هو» (كذلك هو)!.

وأسماء المدارس الخاصة ومدارس اللغات تكتب باللغة الأجنبية، وتشيع اللغة الجنبية في وسائل الإعلام المسموعة والمرئية والمقروءة[1]. وراج استعمال الكلمات الأجنبية في البرامج والمقابلات والندوات، وصارت أسماء بعض البرامج أجنبية كزوم، وفلاش شو، وويك إند، إلخ، وقد يكون بعضها مستنسخاً من برامج أجنبية اسماً ومضموناً[2]. وشاعت تسمية قنوات عربية بأسماء أجنبية، كدريم (Dream)، وإم بي سي (mbc)، وإل بي سي (LBC)، وستار، وموزايك (Mozaik)، إلخ. ولا يُظْهِر بعض مواقع الخيالة العربية، ولا سيما مواقع المهرجانات، اعتزازا كافيا بالعربية، فمهرجان القاهرة، وهو من أقدم مهرجانات الوطن العربي، ما يزال بالإنجليزية، وكذلك مهرجانا أبو ظبي والخليج للخيالة، بخلاف مواقع الخيالة التي تمولها وترعاها دول أجنبية، فهي حريصة على استعمال العربية في الأقاليم التي تخاطبها، كشبكة السينما العربية، وموقع الفيلم العربي، فهما بالعربية مع أن هولندة هي التي تمولهما، وموقع مقهى اليورميد، ويصطنع موقع مهرجان دبي لغة ثنائية، وتستعمل المواقع المغربية العربية والفرنسية[3]. على أن تسمية البرامج والقنوات والإذاعات أسماء أعجمية أيسر من تسمية الأولاد، إذ كل شيء سوى الإنسان جلل، فقد شاع في العرب تسمية النساء أسماء أعجمية، مثل: رُلا، ويارا، ورُزانا، ولوسي، ومايا، ونورا، ولمار، وراما، إلخ، مع أن بعض من يسمون بها لا يعرفون معانيها، وإنما أعجبهم جرسها، وأنها غير مبتذلة، وقد تكون معاني بعضها مخالفة

(١) انظر: لافتات الشارع التجاري في المشرق العربي بين العربية والتغريب.

(٢) دور وسائل الاتصال الجماهيري في تطوير وظائف اللغة العربية، ٦، وواقع الهوية اللغوية في المجتمعات العربية.

(٣) التقرير العربي الثاني للتنمية الثقافية، ٦٧.

لمعتقداتهم. وتغلب الإنجليزية أو تكاد، على أعمال المثقفين في بعض الأقطار العربية والتواصل بينهم في الوطن العربي، حتى المغرب العربي، كما قال أحد المغاربة: انتقلَنا إلى طور الهرولة لنكون الأولين في العولمة، بعد أن كنا ندعو إلى التنازل عن بعض سيادتنا لمسايرة المسيرة العالمية، ففي يوم واحد قد تصل إلينا دعوات إلى سماع حديث، أو حضور ندوات عن موضوعات، ليست بحاجة إلى اصطلاح أجنبي، أو لغة غير العربية، ونكتب أسماءنا العربية بحروف لاتينية، كأنما نتعمد إخماد أنفاس العربية، ونعين على محاصرتها، وصارت قضيتنا اليوم العزوف عن استعمال اللسان العربي، لا البحث عن وسيلة لتيسيره[1].

ومنذ الحادي عشر من سبتمبر ٢٠٠١ غدا المرء إذا كتب شيئا، لا بد أن يكتبه مرتين، إحداهما بالحرف اللاتيني، فإذا رَسَم شعارا لنفسه أو لقبيلته، أو عمل بطاقة، يعرِّف فيها بنفسه وجهة عمله، أو اسم متجره أو مؤسسته، وكتبهما بالعربية، رأى لزاما أن يجعل نصفهما، أو وجههما الآخر للإنجليزية أو الفرنسية، ولا يكتب الاسم بالعربية إلا وضع بإزائه الاسم بواحدة منهما، وألواح السيارات سطران، سطر يكتب بالعربية، وسطر بالإنجليزية أو الفرنسية، وتُجعل في بعض الأقطار سطرا واحدا بالفرنسية وحدها. وتترجم أسماء الجامعات والمنظمات، والأحزاب، والجمعيات، والمؤسسات العربية إلى الإنجليزية أو الفرنسية، ثم تختصر، ويكتب اختصارها بالحروف اللاتينية، ثم يغلب المختصر على الاسم العربي، فلا تُعرَف إلا به. وتُكتَب أسماء الأقسام العلمية في الجامعات، حتى أقسام العربية والعلوم الشرعية، بالعربية والإنجليزية أو الفرنسية، مع أن الجامعة كلها، ولا سيما بعض أقسامها، لا يكاد يكون فيها أحد لا يعرف العربية، ولو كان فيها، لم يكن في حاجة إلى أن يكتب له اسمها بغير العربية؛ لأنه لا يفيده شيئا. وصار لزاما، في بعض الجامعات العربية، أن تكتب عنوانات الرسائل الجامعية باللغة الأجنبية مع العربية، إن كانت مكتوبة بالعربية، كما في جامعة آل البيت، بالأردن، وأن تترجم أسماء المقررات، في الأوراق التي تصف المقررات، إلى اللغة الأجنبية، ولو كانت تصف مقررات عربية، وينشر بعض الجامعات العربية

---

(١) بين العامية والفصحى، ٢٧، واللغة العربية: نزعة التعدد اللغوي والثقافي في الميثاق، ١٥٩.

برامجه الدراسية على الشابكة بالإنجليزية وحدها، حتى أقسام العربية، ويُلزم بعضها طلابه وأساتيذه ألا يُعِدُّوا رسالة، أو يكتبوا بحثا إلا وضعوا له ملخصا بالفرنسية أو الإنجليزية، ليعينوا الباحثين الغربيين على الاطلاع على ما يكتب العرب، ويمكنوهم من أن يبلغوا ما يريدون بلغاتهم، ويغنوهم عن تعلم العربية، وحيثما حل الغربي من بلاد العرب كلمه العرب بالإنجليزية أو الفرنسية، ولم يكلموه بلغتهم؛ فيزهد في تعلمها، لانتفاء الحاجة إليها. لقد جعل العرب أنفسهم طرفا، والغرب مركزا، وأسبغوا عليه العالمية، وجعلوا شرط الدخول في عالميته مشاكلته في خصوصيته الثقافية، وانتحال لغته، والتكلم بها، وإسقاط خصوصيتهم، والاكتفاء منها بالتبعية. وإذا قلَّبنا الطرف في دول «العالم» لم نجد للعربية أثرا فيها، على ما يربطها بالعرب، وعلى كثرة من يغشاها من العرب.

والأرقام التي يتوقع أن تكون بمعزل عن التغيير، لشهرتها، وكثرة دورانها على الألسنة، ووضوح معناها، وعدم الحاجة إلى غيرها، وكونها ليست لها خصوصية، تحمل على العدول عنها أو إليها، غدا المستعمَل منها –في المغرب العربي– هو الأرقام الفرنسية، وقلَّ أن ترى من يستعمل من الأرقام العربية رقما غير «زوز»، و«جوج» (اثنين)، أحيانا. وكذلك أسماء الشهور الميلادية، فقد غُيرت في بعض أقطار المغرب العربي عما كان معهودا فيها، فصارت تنطق: جويلية، وجانفي، وأفريل، ويوليوز، وجوان، وأوت (أغسطس)، وفيفري، وكانت تنطق: مايه، يونيه، يوليه، أغست، ستنبر، أكتوبر، نونبر، دجنبر، ينير، فبرير، مرسه، أبرير[1]. وكثيرا ما داخلني العَجَب، أن أرى موريتانيا يتكلف نطق «سبتمبر»، و«نوفمبر»، و«مافيا»، و«فانتا» (شراب)، فيمدُّ فتحة التاء من «سبتمبر»، والفاءِ من نوفمبر، حتى تصيرا ألفا مفخمة، ويجعل فاه في حال يخيِّل إلى من رآه أن فيه ماء، ويحذف ألفي «مافيا» و«فانتا»، الأولى والثانية، ويفخم ميم «مافيا»، والفاء منها ومن «فانتا»، ويهمسها، فأشعر بالخزي، وأقول في نفسي، والعَجَب يملأ جوانحي: ليت شعري، ما الذي زين له هذا النطق، على فظاعته، وفي وسعه أن ينطق التاء في «سبتمبر» كما ينطق كل تاء مفتوح من غير مدٍّ ولا تفخيم؟ ولمَ يمدُّ التاء فيه والفاء في «نوفمبر»، على هذا الوجه؟ ولمَ لا ينطق

---

(١) أسماء الأشهر في العربية ومعانيها، ١٦.

الميم والفاء في «مافية» و«فانتا» كما تنطقان في كل كلمة؟! أما العائدون من بريطانية وأمريكة، فيؤثرون نطق الإنجليز للشهور الرومية على النطق العربي، كما يؤثر أهل المغرب العربي النطق الفرنسي، فيقولون: جانوري، وفبْرُوَرِي، ومارش، وجُون، وأُوگَست. وليست هذه الشهور بجديدة في العربية بل هي قديمة، وقد جرت عادة العرب أن ينطقوها نطقا يخالف نطق الغربيين، فالعدول عن نطقهم إلى نطق غيرهم لا مسوغ له إلا العبودية التي تزين المحاكاة في كل ما لا تجمل المحاكاة فيه.

ومن توسَّم كلام أهل المغرب العربي، وما يتخلله من عبارات ومفردات فرنسية، علم أن عروبتهم على خطر، وأنهم يسيرون سيرا حثيثا إلى ما أراد لهم شارل ديغول، وغيره من ساسة فرنسة، من إحلال الفرنسية محل العربية كما حلَّت اللاتينية محل الكلتية في القرن الرابع الميلادي، بعد غزو الرومان فرنسة في القرن الميلادي الأول. فلهجات أهل المغرب العربي المتعلمين اليوم هجين من العربية والفرنسية[1]، ولغة بعض أهل الجزائر، ولا سيما أهل المدن الساحلية، كالجزائر العاصمة، ووهران، صارت منذ حين أشبه شيء بالمالطية. وكان من سياسة فرنسة اللغوية في الجزائر أن تؤلف الكتب للتلامذة بالعامية، تمزجها بالفرنسية، لتصنع منهما لغة على غرار هاتين العبارتين: «بوزوا الستيلوات والكارنيات والليگريات فوق الطابلة» (أريد الأقلام والدفاتر والطباشير فوق المنضدة)، «ديفاندي تدوبلي في الطورنا ولا لين جون إيشدوك لموطار إيماركيولك بروصي»[2] (لا تتجاوز، وإلا قَبضَ عليك الأمن، وأثبتَ عليك مخالفة). ومما يدل على ما حاق باللهجة الجزائرية من مسْخ ما قال عبد العزيز بوتفليقة مرة: «لم أتبين ما اللغة التي يتحدث بها الجزائريون: فلا هي عربية، ولا هي فرنسية، ولا هي أمازيغية...، فهي خليط منبوذ، وكلام هجين، لا نكاد نفهمه»[3]. ومثَّل لذلك بكلمة مايكزيزتيش (لا يوجد)، وهي بالفرنسية N'éxiste pas[4]، والجزء الأخير من الكلمة (تيش) هو الذي يُدخَل

---

(١) ثمانون عاما من الحرب الفرنكفونية ضد الإسلام واللغة والعربية، ١١٣.

(٢) حزب البعث الفرنسي، ٨٦ وما بعدها.

(٣) في الأمن اللغوي، ٢٢٠، وعثمان سعدي: اللوبي الفرنكفوني العميل يعيق استعادة الجزائر سيادتها اللغوية.

(٤) الموضع السابق، ٢٢٠.

في بعض العاميات العربية على الكلمة المنفية. وقال السفير الأمريكي السابق، ديفيد بيرس: إن الجزائر في أزمة لغوية فريدة من نوعها في الوطن العربي، وإن الجزائريين يتكلمون خليطا مشوها من الفرنسية والعربية والأمازيغية[1]. وإنما صارت لهجتهم كذلك لامتزاج اللغات الثلاث فيها، على وجه، صنع منها لغة جديدة مخالفة لها جميعا؛ لأن البلد ليست له سياسة لغوية، وبعض الشعب ليس له من الوعي ما يجعله يتنكب المفردات الأجنبية صونا للغته؛ فكثرت فيها المفردات الفرنسية كثرة، نشأت منها لغة جديدة، سماها بعضهم العرنسية[2].

أما تونس، فيقول الباحثون إن أكثر أهلها يستعملون مع كل عشر كلمات عربية كلمة فرنسية، في الأقل[3]؛ من أجل ذلك كتب الرئيس التونسي السابق، المنصف المرزوقي مقاله الشهير: «أي لغة سيتكلم العرب القرنَ المقبل»؟ فقال إن من المحتمل أن يتكلَّم حفدة العرب لغات هجينا، تشبه لغة «الكريول»، وهي لغة جزائر الكاريبي والمحيط الهادي، وتتألف من خليط من لغات أوروبية وإفريقية. وقد أخذت ملامح هذه اللغة تظهر فيما يُكتب على صفحات الفيسبوك، ومواقع الشابكة، وفي التحرُّر من قواعد الكتابة، واستعمال اللهجة التونسيّة، ممزوجة بالفرنسية، ومكتوبة بالحرف اللاتيني[4]. وقد حاولت مرارا أن أستظهر بعض ما أسمع من هذه اللغة في القنوات التونسية، بيد أن عدم فهمي بعض ما أسمع منها حال بيني وبين ذلك، إلا عبارات قليلة، كانت الكلمات الفرنسية فيها توافقُ ما أعرف من الإنجليزية، مثل: ما ثماش حاجة مش نورمال (معتادة)، فَمَّ بلاصة (ثم مكان)، اللوكال التونسي (المحلي)، إلخ. وإذا دخل المرء إدارة من الإدارات الموريتانية، أو سمع اثنين يتحدثان في أمر إداري، فزع؛ لأنه يسمع لغة جل مفرداتها أو كلها فرنسي، ولكنها تركب تركيبا عربيا، وهي لا تختلف عما يقال في لغة الجزائريين، بل هي أسوأ منها كثيرا. فكل فعل مضارع من أفعال الفرنسية في هذه اللغة يُدخَل عليه حرف من حروف (أنيت)؛ فيكون فعلا عجيبا، نحو: يفاليدي (valider)، بمعنى يثبِّت، ويديركتي (يجعله مباشرا)،

---

(١) شرح مقولات بن نعمان، ٩.

(٢) في المواطنة اللغوية، ١١٣.

(٣) علاقة الهوية باللغة بين التنظير والواقع، ٧٢، وهل تنجح الثورة في استئصال ضعف الوطنية اللغوية في البلاد؟.

(٤) أي لغة سيتكلم العرب القرن المقبل؟.

ويربي (يتصل)، والبورتابل يريبونديرِ (الجوال يردُّ)، البورتابل يشرجي (الجوال يشحن)، إلخ. وكل اسم فرنسي يضاف، أو تدخل عليه «أل».

وليس الذين يستعملون هذه اللغة سواء، فمنهم عوام، وأميون، وأشباه أميين، لا يعرفون من الكلم غير ما يشيع، ومتعلمون، يعرفون ما يقابل ما يستعملون، ولكنهم يؤثرون عليه الدخيل، ويغرون العامة باستعماله، ويشيعونه فيهم، ويدافعون عن استعماله، ويحتجون له، ويرمون العربية بالقصور، ويزعمون أن التكلم باللغات الأجنبية، واستعمال ما يستعملون منها ضرورة، وأنه أوضح وأدق دلالة على ما يريدون، أو أشهر من المفردات العربية، ويزعمون أنه قياسي، وطبيعي في اللغات، ولا ضير منه، وأن مقاومته لا تجدي[1]، وستنتهي إلى الإخفاق، لامحالة؛ لأنها مخالِفة لسنن اللغة، وأن انتصارَه كالقدر، لا يُرَدُّ. ويحتج بعضهم لاستعماله بكثرته في كتب القدامى، فقد بلغ ٤٦٪ من ألفاظ «الجامع لابن البيطار»، ونحوا من ٦٥٪ من «كتاب الأدوية المفردة»، لأبي جعفر الغافقي[2]. ويستعمل بعض كبار الموظفين الإنجليزية في مكاتباتهم الرسمية، ويسوغون ما يفعلون بأن كتابة الكتب (الرسائل) بالإنجليزية أيسر عليهم من كتابتها بالعربية[3]. وهي نزعة قديمة عند العرب في هذا العصر، عابها عليهم فانديك، الأستاذ بالكلية الإنجيلية ببيروت، فقد قال: «إنك قلَّما تجد طالبا في الجامعة (الأمريكية) يتكلم العربية دون أن يمزج معظم كلامه بالألفاظ الإنجليزية»[4]. وقال إبراهيم الأبراشي إن «من الأدواء الدوية التي مُنِيَ بها المصريون تعلقهم بكل ما هو أجنبي، في اللغة وغير اللغة، يفضلونه على ما عندهم من ندٍّ ونظير...، فمن الكمال عندهم والجلال أن يصطنعوا الفرنسية أو الإنجليزية في حديثهم وبيعهم وشرائهم، ومن السخف والتأخر أن يتكلموا العامية العادية، وأسخف السخف أن يتكلموا أو يخاطبوا بالفصحى»[5]. ويذكر بعض الدراسات أن في عرب فلسطين نزعة إلى استعارة الكلمات العبرية

---

(١) الاشتقاق والتعريب، ٤.

(٢) منهجية وضع المصطلحات.

(٣) الهوية العربية في ظل العولمة: إطلالة على الهوية في مصر والعالم العربي، ١١.

(٤) التعريب – القضية، ٢١٠.

(٥) لغة العرب وكيف ننهض بها، ١٩.

ودمجها في الحديث بالعربية متزايدة. ولا تقتصر هذه الظاهرة على فئة بعينها من العرب، بل هي منتشرة في العرب كلهم، بأعمارهم وطبقاتهم، ولا سيما الأكاديميين، وهي جزء لا يتجزأ من العامية الفلسطينية في إسرائيل[1]. وأثبت بعض الدراسات والإحصاءات اللغوية أن الأسرة العربية أكثر أسر العالم انبهارا بلغات الغير[2]. وهذا الانبهار هو الذي جعل غير العرب يأتون البلد العربي، فيمكثون فيه عُمُرا، ثم يغادرونه ما تعلموا العربية؛ لأنهم إذا أرادوا أن يتكلموا بها، سارع العرب إلى تكليمهم بلغتهم، أو بالإنجليزية، وقد أبدى بعضهم امتعاضا من ذلك؛ وشكوا من أن العرب حالوا بينهم وبين ما جاء بهم، من تعلم العربية.

وما يقع في الدارج من كلام الناس يقع في «لغة العلم» والإعلام، والثقافة، فقد صارت العربية المستعملة في الإعلانات المبوبة أقرب إلى الأردية[3]، ومن أمثلة ذلك أن مجلة «عالم التربية» المغربية جعلت عنوان عددها السابع والعشرين عام ٢٠١٦ م «المسألة اللغوية بالمغرب والعالم العربي: المقاربات البيداغوجية والديداكتيكية». فوزعت العنوان بين العربية والفرنسية، وجعلت «العربي» منه مترجما ترجمة حرفية لمفردات فرنسية، إلا ما لا يمكن أن يكون كذلك، ككلمة اللغوية، والمغرب، والعربي، وحدها، أما «مسألة»، فترجمة لـ problem، و«مقاربات» ترجمة لـ appraoches. وذكر أبو محمد عبد الله بن محمد الأزدي العماني الصحاري، المعروف بابن الذهبي (ت ٤٥٦ هـ)، ما يدل على أن بعض العرب الأولين كان لهم ولع باللغات الأجنبية كولع الآخرين: «بلغنا عن أطباء عصرنا ومتطببيه وصيادلته وعطاريه، وأهل الجراحة والتشريح والكحالين ما بلغنا، من خروجهم على لغة العرب وتفضيلهم لكلام العجم، ويتمادحون بذلك فيما بينهم إظهارا لقدرةٍ، لا تستحق الإظهار، وعجمةٍ، لا تستوجب الافتخار»[4]. وقال ابن منظور: «أصبح اللحن في الكلام يعد لحنا مردودا، وصار النطق بالعربية من المعايب معدودا، وتنافسَ الناس في تصنيف

(١) اللغة العربية في إسرائيل، ١١٨.

(٢) موقع إسلام أونلاين (نقلا عن: في الأمن اللغوي، ٢٢٥).

(٣) مستقبل اللغة العربية بين محاربة الأعداء، ٥٢.

(٤) اللغة العربية: نزعة التعدد اللغوي والثقافي في الميثاق، ١٥٥

الترجمات في اللغة الأعجمية، وتفاصحوا في غير اللغة العربية»[1].

ورأيت من أهل المغرب العربي من الولع بمحاكاة الفرنسيين في إخراج الحروف، والنبرِ والتنغيمِ، وما يصاحب الكلام من الحركات، ما لم أر عند أهل المشرق، فإنه يقلُّ فيهم من يحرص على ذلك حين يتكلم بالإنجليزية، فكثير منهم ينطق حروفها نطقا عربيا، وينطقها بعضهم كما ينقطها في لهجته العامية، كما يقول بعض المصريين: زات إز (That is)، وسانكيو (Thank you)، ولا يحذفون الراء من أواخر الكلم كما يفعل الإنجليز، ولا يلتفتون إلى النبر، ويتندَّر بعض العرب بأنهم ينطقون الإنجليزية كما ينطقون بالعامية المصرية، ويقولون إن مَنْ سمع أحدهم يقول: May be yes may be no exactly I don't know، خُيِّل إليه أنها عبارة مصرية، لما فيها من تنغيم مصري، حتى ليشددون اللام في exsactly، فينطقها إكزاكْتِلِّي آي دنتي نو. ويحاكي أهل المغرب نطق الفرنسيين محاكاة، يقفُّ منها الشعر، فيتكلفون الغنة في النون المتطرفة، في الفرنسية، مع أن هذا لا نظير له في العربية[2]، ويبالغون في قلب الراء غينا حتى تصير خاء، فيقولون -ولا سيما النساء-: مِخْسي (مرسي)، وباخيس (باريس)، لا يكفيهم أن يُحِلُّوا لفظا أعجميا، هم في غنى عنه، محلَّ لفظ عربي مشهور (شكرا) هم في حاجة إليه، حتى يتكلَّفوا النطق به تكلفا يدل على أن جانبا من الكرامة وعزة النفس العربية ناله مسٌّ من شيطان اللغات الأجنبية! ولا يُرى عليهم مع ذلك ما يدل على حرج، وإنما يُرَى عليهم ما يدل على الزهو والاغتباط. ويحرصون على التكلم بالفرنسية حتى حين يكلمون من يغلب على الظن أنه لا يعرفها، ولا يقيم لها من الوزن ما يقيمون. أذكر أن موظفة في شركة اتصال تونسية اقتربت مني مرة، وأنا في مطار قرطاج، فكلمتني بكلام لم أفهمه، فقلت لها: تكلَّمي -من فضلك- بالعربية؛ فإني ما أعرف الفرنسية، فما فعلت، فقال لي بعض من كان معي في الطائرة: إنها تعرض عليك شريحة جوال مجانية. فعجبت من إصرارها على الفرنسية، وهي تعلم أني لست بفرنسي، وألبس لباسا عربيا، ولا تَرَى عليَّ أمارة من أمارات «الحداثة»، تجعلني مظنة أن أعرف الفرنسية. ولعل

(١) لسان العرب، ١/ ٨.

(٢) الترجمة من حيث هي عامل هام من عوامل العدوى اللغوية، ١٥.

مردَّ ما يداخل أهل المغرب العربي من الزهو بالفرنسية، إذ يتكلمون بها، إلى ما درسوا من إعجاب الفرنسيين بها، وتغنيهم بما يرون أنه من محاسنها، وإلى ما كانت فرنسة تلقِّن أبناء المستعمرات، من تعظيم فرنسة ولغتها وتاريخها وحضارتها. ومِنْ دأْب الغلَب أن يُلبس الغالب من حلل البهاء والكمال في عين المغلوب مثلَ الذي يُلبس العشقُ المعشوقَ في عين العاشق. وكان بعض علماء العربية الأولين يرون في الأعراب مثل الذي يرى المغلوبون اليوم من العرب في الإفرنج، وتُروَى عنهم في ذلك حكايات، تدل على ولههم بكل ما يرون ويسمعون منهم، كالحكاية التي روى الجاحظ عن الكسائي، في كلام، كان بينه وبين غلام من الأعراب:

عجبٌ ما عجبٌ أعجبني	من غلام حَكَمِيٍّ أُصُلاَ
قلت: هل أحسست ركبا نزلوا	حضَنًا ما دونه؟ قال: هلا!
قلت: بيِّن، ما هلا؟ هل نزلوا؟	قال: حَوْبًا! ثم ولَّى عَجِلاَ
لست أدري عندها ما قال لي،	أنَعَمْ ما قال لي، أم قال: لا
تلك منه لغة تعجبني	زادت القلب خبالا خبلا[1]

فإعجاب الكسائي بالغلام الأعرابي إعجاب أعمى، كما يبدو من تعجُّبه منه في البيت الأول، وقوله في الأخير إن كلامه زاد قلبه خبالا به، وما أعجبه منه هو قوله -لَمَّا سأله عن ركْب نزلوا بِحَضَن (موضع)-: هَلاَ، وهي كلمة، ما عرف معناها، فلما سأله عنه، زجر بعيره وانصرف. وليس في «هلا» ما يعجب، كائنا ما كان معناها، وإنما صنع الغلب للعرب في نفسه من البهاء والكمال ما جعله يجِلُّ كل ما يرى منهم، ولو لم يكن فيه ما يُجَلّ. وكان الأسود الغُنْدَجاني -وكان يتكنى بأبي محمد الأعرابي، وهو فارسي من أهل القرن الخامس الهجري- يتعاطى تسويد لونه، و«يدَّهن بالقَطِران، ويقعد في الشمس؛ ليحقق لنفسه التلقيب بالأعرابي»[2]، كما يصبغ العرب اليوم وغيرهم من الشعوب المغلوبة شعورهم، ويغيرون هيئاتهم لتشاكه هيئات الإفرنج. وإن كان الأصل أن المرء كلما ارتقى في العلم، نضج، وازداد وعيا، وكان أبعد الناس عن هذا ونحوه؛

---

(١) البيان والتبيين، ١/ ١٦٤.

(٢) معجم الأدباء، ٢/ ٨٢٢.

لأنه ينظر من الأشياء إلى حقائقها، لا إلى ظواهرها. والغَلَب أمر منفصل عن لغة الغالبين وهيئاتهم، والإعجابُ بعلمهم وبالمعجِب من خلالهم ومزاياهم لا يستوجب تقليدهم في هيئاتهم، ولا تصنُّع أذواقهم على الوجه الذي نرى اليوم؛ فليس ذلك هو ما غَلبوا به، وما فُطروا عليه ليس لزاما أن يكون جميلا أو معجبا، كعلمهم وسياستهم. على أن جانبا مما يفعل العرب اليوم وغيرهم من الشعوب المغلوبة من تقليد الغالب ليس مرده إلى مجرد الإعجاب، وإنما إلى الفرض والإلزام، إما بسلطان القوة، وإما بسلطان الدعاية. فالذي يكون بسلطان القوة هو ما كان يفرض الاستعمار على مستعمراته من اصطناع لغته، وتعليمها في المدارس والجامعات بالجبر والإكراه، وما تفعل الحكومات التي ورثته، وقامت مقامه في سياسته. أما ما تفعل الدعاية، فيوكل إلى وسائل الإعلام.

ولم تسلم الجامعات من غزو الدخيل، على ما كان ينبغي أن تكون عليه من وعي، ينأى بها عما عليه العامة وأشباه العامة، ويجعلها تنصَب في صون الهوية، وصدِّ ما ينال منها. بيد أن الجامعات العربية ليست إلا مؤسسات من مؤسسات المجتمع، وليس مَن فيها إلا أفراد منه؛ من أجل ذلك لم تسلم لغتها من الدخيل، حتى الجامعات التي كانت أنظمتها الإدارية عربية خالصة، فإنها تسعى اليوم في إخراج العربية من أنظمتها واستبدال الإنجليزية بها، بخطو سريع، كما يرى في جداول الدراسة، فإن أسماء المقررات فيها، والشُّعَب، والقاعات، يرمز إليها بحروف لاتينية، حتى العلوم الشرعية والعربية، فمقرر «مبادئ علوم القرآن» يرمز إليه بـ (QREX)، ويرمز إلى «السيرة النبوية» بـ (SCLH)، وهي الحروف الأولى من اسمي المقررين بالإنجليزية. ويرمز إلى المقررات العربية بـ ARAB، وإلى قسم الدراسات الإسلامية بـ ISLS، إلخ. وكان ينبغي أن تكون المختصرات للأسماء العربية، وأن تكتب بحروف عربية. ويرمز إلى الشعبة بحرفين أو ثلاثة من اسم التخصص بالإنجليزية، كأن يرمز إلى شعبة العربية بـ AB، وهما الحرفان الأول والأخير من ARAB، وشعبة التاريخ بـ HS، اختصارا لـ history، وإلى شعبة الصيدلة بـ PR، اختصارا لـ pharmacy، إلخ. ويرمز إلى الطابق الذي فيه القاعات بـ G أو F، إلخ. وصار من الشائع أن يُسمَع طلاب الجامعات، إذا تحدثوا عن التقادير، يقولون: حصلت على A

plus، أو B plus، أو C minus، وأن يسموا الامتحان الشهري المِدّ اختصارا لـ (midterm)، أي الامتحان النصفي، ويجمعونه على المدَّات، ويسميه بعضهم كويز (quiz)، ويجمعونه على كويزَّات، ويسمُّون الامتحان النهائي الـ final، والفصل الدارسي Term، وSemester، إلخ، ويستشري هذا في طلاب التخصصات العلمية وأساتيذها، ولا سيما الطب، استشراء مفزعا. ومن الشائع اليوم في أساتيذ بعض الجامعات أن يسموا «الاستثمارة» Application، ومن أحرصهم على ذلك أساتيذ العربية. ومن غير النادر أن تسمع بعضهم يردد ما يَعرف من مفردات اللغة الأجنبية على وجه يقشعر منه البدن، ويُظهر ما بين جنبي من يتكلم بها من قلة الوعي والهوان على النفس. وصار من غير الغريب أن يجد المرء في الجامعات وغيرها من لا يقول جملة إلا جعل بعض مفرداتها أعجميا، كأن يقول: هذه الأيام فري هوت Very hot (حارة جدا)، وأنا مسافر Tomorrow (غدا)، وحزورك في الـ Week end (عطلة الأسبوع)، وبكرة عندنا Meetting (لقاء)، واليوم عندي presentation (عرض)، وأنا موافق already (سلفا)، وoky no problem، وفي الإبانة عن مجانية الشيء: free، وفي التهنئة: good luck، وفي التسلية عن الشيء: take it easy، وفي الإعراب عما يُزعج: headack (صداع)، وفي التأييد والحض على الاستمرار: go ahead، وفي التمثيل: for example، والإكزامبل بتاعك ما كويس (مثالك ليس بجيد)، وأديني آلو، وأرسل لي call me، وأرسل لي مساج. وتسمع أستاذ الأدب العربي يقول: حعمل كوناتكي معاك (سأتصل بك)، ويقول أحد كبار الأساتيذ المصريين في لقاء عن المكتبات الجامعية: المكتبات الجامعية عندنا دي الوأتي حاجة تكسف، very poor (فقيرة جدا)، «تسألني عن الحل: أقول لك: الحل very easy (سهل جدا) لكن الـ level (المستوى) مش هوه[1]»، وكلام أستاذ جامعي في قناة فضائية بعامية كهذه شنيع، شنيع جدا، وأشنع منه أن يمزجها بالإنجليزية على هذا الوجه. وأدهى من هذا وأمر أن يكون مثل هذا الكلام هو ما يدور في قاعات الدرس في الجامعات، وبين أساتيذها في أحاديثهم اليومية، وأحاديثهم مع الطلاب، كهذا الحوار الذي كان بين أستاذين بجامعة من جامعات الخليج

---

(١) جابر قميحة يتحدث عن الاستعمار اللغوي.

العربي:

- على فكرة: أيش سويت مع الطالب؟ did you speak with him؟

- I did، الحقيقة يا أخي he is a hard worker and polite student، بس المشكلة غياباته كثيرة، وهذا الـ absence حيؤثر على مستواه، وأخيرا الـ (G.P.A) حقه حا ينزل، إحنا حا نِدِّيلُه warning and let his advisor speak with him، وبعدين نشوف، ربنا يسهل، by the way، أيش الـ office hour حگتك؟ I will ask him to meet you بكرة.

- بكرة لا، عندي workshop tomorrow، بس خليه يجيني on Monday، الإثنين الجاي. And I will do my best، إن شاء الله»[1].

وكحديث مشرف أكاديمي مع طالب في هذه الجامعة أيضا، قال له: يا أخي، هدِّي نفسك، take it easy، روح بكرة للـ clinic، وخلِّ الدكتور يشوفك، يعمل لك full checkup، ويشوف نتيجة الـ blood test، اللي عملته أمس، ولا تقلق كثير على الـ major، أنت أخذت في الـ midterm زي ما أتذكره a good grade، وإن شاء الله هذا كمان، you still have enough time، الآن ما تقدر تعمل drop طبعا، خلاص. بس لو شفت نفسك تعبان مرة ما تقدر تعدي في major، بمعدل كويس خذ excuse، واطلب من المدرس يعمل لك اختبار بعدين، any way perhaps next week he knows about your case، والراجل يقدر الظروف، اتكل على الله بس، and do not make a case out of it، وربنا يجيب العواقب سليمة. يالله take care، ولا تنس تعبِّي الـ form اللي أخذته من الـ registrar، أوقِّع لك عليه»[2].

وهذه اللغة بعينها هي التي يتكلم بها كثير من أساتيذ الجامعات العربية من المحيط إلى الخليج، الذين يدرِّسون باللغات الأجنبية، كما يبدو من كثير من الدراسات التي تحدثت عن لغة التعليم في الجامعات العربية. وهي اللغة التي يتكلم بها الأطباء، والتقنيون؛ لأن بعضهم لا يتقن اللغة الأجنبية، ولكن التكلم بها ينزله فوق المنزلة التي ينزله إياها التكلم بالعربية وحدها، فيجمع بينهما

---

(١) نظرية اللغة الثالثة، ١٧ وما بعدها.

(٢) السابق، ٧٠ وما بعدها.

على هذا الوجه. ويقع هذا ونحوه في البرامج التي تبث في بعض الفضائيات العربية كل يوم، ما كان منها ترفيهيا، وما كان تعليميا، يقدمه أساتيذ جامعيون، كقول مقدمة برنامج ترفيهي في قناة لبنانية: «منحط الهلمت (helmet)، ومنربط الهارنس (harness)، ولازم يكون البوزيسيون (position)، ومتأكد من الـ (technique) الصحيح»[1]. «بالجزء الأول راح نتعرف نحنا وإياكن اليوم على professional photographer، بقسم الـ fashion photography، ...، هالـ generique اللي عم تشوفوه صور الـ photo fashion، اللي عم تشوفا عم تمرق معنا كلها صارت أكثر بالتعاون مع الـ fashion photographer...»[2]. وكما ورد في برنامج حواري بعنوان «ميديا»، تبثه قناة دبي، تقول فيه ماجدولين الظل، وهي أستاذة مساعدة متخصصة بالتسويق والعلاقات العامة، بجامعة فرجيناكو سين ولث، بقطر: الطالبة ممكن تعمل أكثر من عمل فني، مسموح إلها أن تبعت لنا فقط واحد، ممكن أن يكون إما (drawing) (رسمة)، ممكن أن يكون sketch، ممكن يكون storyboard، أو ممكن يكون model. متى انتهوا بيكون هذا الـ from عبّتو بالمعلومات الشخصية، هون بتعمل Explanation of the idea باللغة الإنكليزية، عن أيش فكرتها كانت...»[3].

ومما ينبغي عده في الدخيل لغة البدن، كالإشارة، فإنها حركات ترمز إلى كلمات، وهي مثل الكلمات التي ترمز إليها، خاصة بمجتمعات بعينها، إلا أن الكلمات مؤلفة من رموز صوتية، والإشارات حركات بدنية، ترى بالعين. فمن الدخيل من لغة البدن الإشارة بباطن الإبهام مرفوعا فوق قبضة اليد، في الاستحسان، ورفع السبابة والوسطى مفرّجا بينهما في التفاؤل بالنصر، تمثيلا للحرف اللاتيني v، وهو الحرف الأول من victory (النصر)، وكان ونستون تشرشل يستعمل هذه الإشارة في إبان الحرب الأوربية الثانية، فغدا الناس يستعملونها، وإن لم يكن لها معنى في ثقافتهم، ولا علاقة بلغتهم، فليس الحرف الذي تومئ إليه من حروف العربية، ولا الكلمة التي هو أولها عربية.

---

(١) أزمة اللغة والترجمة، ٧٣.

(٢) السابق، ٧٤.

(٣) نظرية اللغة الثالثة، ١٨ وما بعدها و٢٤٤ وما بعدها.

وأكبر الظن أن أكثر من يستعملون هذه الإشارة لا يعرفون ما تعني، وإنما رأوا غيرهم يستعملها في مقام بعينه، فصاروا يستعملونها في نظائره. ومثل هذا كتابة الحرف الأول من الاسم بالحروف اللاتينية، كما يكتب الحرف الأول من أسماء بعض الشركات، والمؤسسات التجارية والمصرفية، وشركات الطيران بـ H، و F، وj، وR، وM، على حسب الحرف الأول من أسمائها. وهو عمل، لا معنى له سوى التعلق بكل ذي صلة باللغات الغربية، وإيثارها على اللغة الوطنية. ومن هذا التوقيع بحروف أجنبية، والتوقيع رمز يرمز به المرء إلى نفسه، يتضمن اسمه، أو بعضه، وكان ينبغي -إذ كان كذلك- أن تكون الحروف المستعملة فيه أحب الحروف إليه، وألصقها به، بيد أن بعض العرب يرغب عن العربية إلى الحروف اللاتينية، يستوي في ذلك كبار المثقفين وأشباه الأميين، كما يستوون في استعمال ما ذكرنا من إشارات البدن، وهو دليل على أنهم يتعلقون الحروف اللاتينية أكثر مما يتعلقون الحروف العربية، وأنهم يجدون لها في نفوسهم ما لا يجدون للعربية، كما أنهم يجدون للدخيل إذ يتكلمون به ما لا يجدون للأصيل.
ومن نافلة القول أن الإنجليز والفرنسيين ليس فيهم من يوقِّع بالعربية، أو يعتدُّ بها، فضلا عن أن يتخذ حروفها رمزا لاسمه أو متجره، وأن الفرنسيين منذ العقد التاسع من القرن العشرين، وهم يكتبون العربية بالحروف اللاتينية رمزا إلى أنها لغة ميتة، استهانة بها، وغضًّا منها ومن أهلها، ولم يبالوا أنها لغة أمة، تزيد على أربعمائة مليون نسمة، تربطها بهم أقوى الروابط السياسية والاقتصادية، وأنها لغة عشرات الصحف والفضائيات والإذاعات التي يبث بعضها من فرنسة، كإذاعتي مونتي كارلو، وفرنسة الدولية، وأنها إحدى اللغات الرسمية في الأمم المتحدة. ولا لوم عليها أن تفعل؛ فمن غير المعتاد أن يحترم المرء من يعبده: (أنؤمن لبشرين مثلنا وقومهما لنا عابدون)، ولا أن يقدُر عدوَّه، إذا أمِن شرَّه.

(٣)

ويمكن القول الآن من غير مبالغة أن العربية تقترب من أن تكون لغة من اللغات الهجين، التي هي «تنوعات للغات الأوروبية»[١]، بما قد رأينا وبما سوف

(١) انظر عن اللغات الكريولية، معناها ونشأتها في: اللغة والاقتصاد، ١٨٩ - ١٩٢.

نرى. وهذا المصير هو الذي يريد لها الذين يتوسعون في الدخيل، ولا يرون بأسا بأن تدخل فيها الأساليب الأجنبية، ويرون أن مهمتهم أن يَصِفوا ما يقع، لا أن يحولوا دون وقوعه، ويرون -مع ذلك- أن من الممكن أن يكون للعربية بقاء معه، مع ما هو معروف من أن اللغات الهجين قصيرة الحياة[1]. وقد قال الرئيس الفرنسي السابق، جاك شيراك: إن نوع اللغة ينتج نوع الحياة[2]، وقال جورج أورويل: إن اللغة الفاسدة تُنتِج فكرًا فاسدًا، وإن الفكر الفاسد يُنتج لغة فاسدة. وهذه العلاقة المطردة تصدق أيضًا على العلاقة بين اللغة والحكم؛ وهو ما جعله يتوقع أن اللغات الألمانية والروسية والإيطالية -إبان الحكم المستبد قبل الحرب الأوربية الثانية، وفي أثنائها- صارت مستبدة بسبب الاستبداد السياسي. واستخلص من ذلك قاعدة، هي أنه إذا ساء المحيط العام، ساءت حال اللغة[3]. فاللغة الهجين تنتج حياة هجينا، وفكرا هجينا، وتبعية عقلية وعاطفية، وتُعلِّق القلوب بمن يتكلم اللغة تعليقا غير متعقِّل، ينتهي بمرض عقلي نفسي، يكون من نتائجه احتقار النفس والخصوصية الحضارية والثقافية، كما هو مشاهد في حياة العرب اليوم. ولعل هذا سبب ما قال أمين الخولي: «إن آفات حياتنا -في جمهرتها- تعود إلى علل لغوية، تصدِّع الوحدة، وتَحْرِم الدقة، وتبدِّد الجهد، وتعوق تسامي الروح والجسم، والعقل والقلب». فاللغة الهجين تعوق تسامي الروح والجسم والعقل؛ لأنها توجب التقليد، والتخلي عن النفس، ومن ربطَ نفسه بغيره كان أقصى ما يطمح إليه أن يكون مثله، وكان حتما ألا يتجاوزه، وأن يكون دونه أبدا، وألا يتحرك إلا بحركته، وأن يقف حيث يقف، وفي هذا عَوْق للروح والعقل عن التسامي والتجاوز والإبداع الذي لا يتأتى إلا بشيء من سمو الروح والعقل. ولما كانت اللغات التي تحاكَى لغات قوم ماديين، وكان استعمالها ومحاكاتها وسيلة إلى مشاكلتهم، كان حتما أن يكون أكثر ما يأسر المرء ويستهويه منها حياة أهلها المادية، وهو أمر نراه في حياتنا، فإن المحاكاة فيها منصبَّة على محاكاة المظاهر المادية، وتسقُّط غير الخيِّر من حياة

(١) اللغة والاقتصاد، ٢٠١.

(٢) اطلبوا الوطنية ولو في فرنسا، ٧١.

(٣) اللغة والثورة: نقد الخطاب السياسي في أعمال جورج أورويل.

الغربيين؛ لأنه أيسر ما فيها، وأدناه إلى عقول المحاكين، من أجل ذلك سَمَّاها بعضهم «الحداثة المغشوشة». وهذا ما أراد فيخته بقوله: «إن اللغة تؤثر في الشعب الذي يتكلم بها تأثيرا لا حدَّ له، يمتد إلى تفكيره، وإرادته، وعواطفه، وتصوراته، وإلى أعماق أعماقه، وإن جميع تصرفاته تصبح مشروطة بهذا التأثير ومكيفة به»[١]، «اللغة هي التي تكوِّن الإنسان، وليس العكس، وهي التي تؤثر فيه، وليس العكس، فهي صدى روح الأمة، وتؤثر في التصورات، وتسبغ عليها معاني وألوانا، وتعكس عليها أشعة وظلالا خاصة بها، هي التي تجعل الإنسان مَنْ هو، وليست مجرد أداة يعبر بها الإنسان عن نفسه»[٢]. ويُنسَب إلى ابن حزم أنه قال: «اعوجاج اللسان علامة على اعوجاج الحال»[٣]. ولعل ما يفعله أهل سلطنة بروناي من شكوى من يتكلم بلغة أجنبية في بلادهم إلى السلطان ليمنعه الاتصالَ بالناس، مخافةَ أن يفسد لغتهم، فعقولهم[٤] من إدراكهم أثر اللغة في العقل والحياة!

وضرر آخر من أضرار اصطناع اللغة الأجنبية، وإدخال مفرداتها، أنها تصنع لغة هجينا، نظامها مختلط، ومفرداتها منزوعة الروح، وأساليبها محذوة على أساليب لغة أخرى، وتفتقر إلى الدقة، وتقصِّر عن بلوغ ما في النفس، كما تبلغه اللغة الطبيعية، ولا تصلح للإبداع؛ وهي أبدا دون اللغة الأصل، ودون اللغة التي تُحذَى عليها، وليست لها خصوصيةُ واحدةٍ منهما، وهي أشبه بما يُسمَّى لغة العلم، في أنها لا تدل على أكثر من المفهومات التي وُضِعَت لها، دلالة مجردة من الروح والشعور، فارغة من الثقافة. وإذا لم تصلح للإبداع، تركها أهلها، ولو بعد حين، إلى اللغة التي تصلح له. وهذا سبب أن اللغات الهجين لا تُعمَّر، وأن العربية الحديثة لا يكاد الذين يتكلمون بها ينتجون عملا أدبيا ذا قيمة، وحسب المرء دليلا على ذلك ما يصدر من الدواوين والروايات والقصص في الوطن العربي، فلا يكاد يوجد فيه ما يمكن أن توصف لغته بأنها جيِّدة، وأكثر ما يستحسن منها ما يسمى «التقنيات»، وهي أساليب السرد، وتمثُّل مذاهب

---

(١) أصالية أم انفصالية، ٢/ ٣٧١.

(٢) السابق، ٢/ ٣٦٩.

(٣) انظر: مصر ياولاد، ٤٩.

(٤) في الأمن اللغوي، ٢٠٩.

فنية بعينها تمثلا واعيا، وتسوء الحال في غرب الوطن العربي، حيث تضعف السليقة، وتشتد الهجنة، لشدة التأثر بالفرنسية.

ومن أعظم مضار الدخيل أن يدخل في نسيج العربية الفصحى؛ فيغدو كسائر مفرداتها، ويثبت في معجماتها، ودواوين لغتها، وتكتب به العلوم والمعارف، ويعلَّم في أطوار التعليم كلها، ولا يجد اللغويون حرجا في ذلك، ويدافعون عنه كما يدافعون عما يأتون من أخطاء، ويسوِّغونه بأن العرب لم يصنعوا المخترعات الحديثة، وإنما صنعها غيرهم، فسماها بلغته، فإنْ صنعها العرب، سموها بلغتهم، ولا مطمع في توقِّي الدخيل قبل ذلك[1]. وهو رأي يُبنَى على غير أساس من النظر، فكون حضارة اخترعت مخترعات بعينها لا يعني أن تكون تسميتها مِلْكًا لها[2]، ولا أن ما تسميها به ملازم لها، فقد سَمَّت الأمم بلغاتها ما اخترع غيرها، ولم تَلزم تسميته، وليس في الأرض لغة عالمية، ولا أمة ترتضي أن تتابع غيرها وتتنازل عن خصوصيتها إلا الأمم التي هانت عليها نفوسها، وعظم في عينها الغير. ولو كانت التسمية مرهونة باختراع، لوجب أن تقسَّم المخترعات بين الشعوب، فكل من اخترع شيئا جُعلت تسميته إليه، وتوبع فيها. وما المخترعات إلا كغيرها من الأشياء التي درجت الشعوب على أن تسميها بلغتها، ما دام في وسعها أن تفعل، فإن لم تستطع سَمَّتها بما سمَّاها به غيرها بعد أن تُغَيِّر منه ما يخالف لغتها، من أجل ذلك يذوب بعض الدخيل في اللغات، حتى يغدو من العسير معرفة أصله. والإفادة من حضارة أو ثقافة لا تعني اصطناع لغتها، فاللغة «ليست هي الثقافة أو الحضارة»[3]، ولا تلازم بين أخْذ الحضارة من الحضارة فكرة أو معلومة وأخْذ ما يدل عليهما من الألفاظ. وقد سمى العرب في هذا العصر ما اخترعوا من المخترعات، وما ملكوا من التقنيات بأسماء غير عربية، فقَمرُهم الصناعي يُدعَى Arab Sat.، ويدعى قمر مصر Nile Sat.، وتُسمِّى مصر إحدى شركات طيرانها Air Cairo، وما أكثر ما سموا ما ليس من اختراع الغرب بأسماء غربية. والعبرة بالوعي، لا بالاختراع

---

(١) اللسانيات واللغة العربية، ١٩٣.

(٢) الموضع السابق، ١٩٣.

(٣) السابق، ١٩٤.

والكشف، فمن اعتز بهويته حافظ على صفاء لغته كما يحافظ على «صفاء عينيه»، ولم يدخل فيها إلا ما لا بد من إدخاله، على شرطه. وكان المؤمَّل أن يتولى التعليمُ صنعَ الوعي، فيغرس في الناشئة حب العربية، والاعتزاز بالهوية، لكن التعليم العربي «تعليم معدة»، لا يصنع وعيا، ولا يبني فكرا، وإنما يلقِّن معلومات، تُرْبَط قيمتها في ذهن الطالب بجدواها المادية، أي إنه يصنع شعبا أجوف، هويته المنافع الخاصة، وليس له أرب في الحياة سوى تحصيلها، كما قال مالك بن نبي: أتيح لجيلنا أن يرى في النصف الأخير من هذا القرن نوعين من الناس في مجتمعنا: حاملي المرقعات من الثياب البالية (الصوفية)، وحاملي اللافتات العلمية، وإذا كنا ندرك بسهولة كيف نداوي المريض الأول، فإن مداواتنا المريض الثاني لا سبيل إليها، لأن عقلَ هذا المريض لم يتقن العلم ليصيره ضميرا مؤثرا، بل ليجعله آلة للعيش، وسُلَّمًا يصعد به منصة مجلس النواب. وهكذا يصبح العلم مسْخا وعُملة زائفة غير قابلة للصرف. وهذا النوع من الجهل أدهى وأمرُّ من الجهل المطلق[1].

وكان أجدر المؤسسات العربية بصون العربية عما يدنس محياها من المفردات والأساليب الأعجمية مجامع اللغة العربية، فإنما أنشئت لغايات، هذه أهمها، بيد أن بعضها لم يفعل، وكثير من قراراتها لا يبرح الورقَ، وما بينها وبين وزارات التعليم ليس بعامر، ووعيها وغيرتها على العربية دون ما ينبغي، وبعض أعضائها يُختارون على غير العلم، وكان بعضها يضم ثلة من المستشرقين الذين اشتهروا بعدائهم للإسلام والعروبة، والسعي في الإضرار بالعربية والنيل منها، وفيهم من اختير لأسباب أخرى[2]. على أن بعض أعضاء هذه المجامع من العرب ربما كانوا أشدَّ من بعض المستشرقين عداوة للعربية، وجِدًّا في النيل منها. فإذا كان بعض المستشرقين هم مصدر بعض ما كيدت به العربية، فإن بعض العرب كانوا هم الذين نَصَبوا في تنفيذ مكايدهم، والدعوة إليها، والاحتجاج لها، وكان لهم في ذلك ما لم يكن لبعض المستشرقين، وكان عملهم أضرَّ من عمل المستشرقين؛ لأنهم كانوا محلَّ ثقة عند مَنْ لا يعرفهم؛ لأن

---

(١) شروط النهضة ٨٤.

(٢) انظر: أعمال مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ٧٣ وما بعدها.

عروبتهم وإسلامهم يجعلانهم مظنة أن يكونوا أخلص الناس للعربية، وأبعدهم من أن يريدوها بسوء، وكان المستشرق موضع ريبة حتى تثبت سلامة مقصده، وبسبب من الارتياب في مقاصدهم طالب بعض العلماء بإقصاء بعضهم من مجمع القاهرة بعد أن سَمَّتهم الحكومة المصرية فيه، وكان المنزع العام إلى معارضة تسميتهم[1].

وكان بعض الأعضاء متأثرين في آرائهم في العربية بتوجهاتهم الفكرية والسياسية، وحالهم العلمية، فكان ميلهم إلى إجازة ما يقع في اللغة، من دخيل، وأخطاء، لا وجه لها، وأساليبَ محذوة على أساليب بعض اللغات الأجنبية، وعدِّ العربية لغة من اللغات، ليست لها خصوصية دونها؛ فما ينبغي أن يحرص على تنقيتها، ولا أن يحافظ عليها وعلى خصوصيتها أن تنال منها اللغات الأجنبية، وإنما تترك لما زعموا أنه سنن ونواميس طبيعية، ليس في وسع أحد أن يصدها، أو يصون العربية منها. ولم تكن لهم غيرة على العربية، ولا حرص على الحفاظ على جمالها؛ فكانوا يجادلون في فتح الباب للدخيل من الكلام، ويسخرون من ترجمة الاصطلاحات، ويرون ترك أمرها لأذواق العامة، والذين لا يفقهون العربية من الأساتيذ والطلاب، فما قبلت منها، قُبِل، وما مَجَّت مُجَّ، أي: أن يُترك الأمر لمن لا يعرف العربية ولا يغار عليها؛ ليفسدها بالدخيل، إذ كان ما يميل إليه العامة وأشباه العامة معروفا، ومنهم الطلاب وأساتيذ الجامعات، والإعلاميون، و«المثقفون». وهو أمر غريب، غير أن أصحابه هم الأعلون، ومنهم من انتهت إليه رياسة بعض المجامع العربية؛ ومذهبهم -إلى ذلك- أسهل، وأقرب إلى طبيعة النفس الكسلى النزاعة إلى الاقتصاد في الجهد، الميالة إلى ما لا يكلفها عنتا، وطبيعة النفس العربية وما تركن إليه من راحة ودعة، وأدنى إلى أهواء الذين لا يحبون أن يتعنوا في البحث، ولا يعرفون مكانة اللغة من الهوية والحضارة؛ فكانوا يستنكرون على شيوخ العربية ترجمة الاصطلاحات الأجنبية، ويُؤْثِرُون عليها الدخيل.

ومَنْ أعجبَه الدخيل، وثقل عليه تحري الأصيل، وهانت عليه العربية، فلينظر إلى تعصُّب شعوب العالم للغاتها وقومياتها، وجدِّها في تنقية ألسنتها وتطهيرها

---

(١) انظر: أعمال مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ٦٣ وما بعدها.

منه، وإن راق وحسن[1]، ولا يجعلْ قدوته الشعوب الضعيفة التي ليس لها نسب في العلم والحضارة، ولم تعرف طريقا إليهما إلا بالانحلال في غيرها: لقد نقَّت تركية لغتها من العربية والفارسية في خمسة عشر عاما، وبدأ التفكير في ذلك في عهد السلطان عبد الحميد، بتأثير من حزب الاتحاد والترقي، فقد أصدر عبد الحميد أمرا بعدم الإكثار من الألفاظ العربية والفارسية[2]. ثم استقوى الحزب بمصطفى كمال؛ فالتزم خطته، وسعى في تنفيذها، فلما حكم أمر أن تُستبدَل بالمفردات العربية والفارسية مفردات تركية، فتوسَّل المجمع التركي إلى ذلك بتطلُّب المفردات التركية في العامية الحية، وإحياء الكلمات التركية الميتة الواردة في النصوص القديمة، واستعمال الكلمات التي تنتمي إلى فصيلة اللغة التركية، في لغات الشعوب التركية الأخرى، كلغة أهل أذربيجان، والاشتقاق من الكلمات المستعملة وما أُلحق بها، عند الضرورة[3]، وجُعل حاكم كل محافظة في تركية رئيسا للجنة جَمْع الكلمات، وتنظيمها وإشاعتها، واشتغل العلماء بالتنقيب في المعجمات التركية عن الكلمات المهملة. وشُرع في ذلك في أكتوبر عام ١٩٣٢ م، وبعد عام جُمِع ما يزيد على ٣٥٠٠٠ كلمة، واستخرج العلماء ٩٠٠٠٠ كلمة، مما يزيد على مائة وخمسين نصًا قديمًا. وأُخرِجَ من الكلمات العربية ١٣٦٥٠، وأحلت محلها مفردات تركية. وكان بعض ما يستحدث غيرَ معروف عند كثير من الترك، وآية ذلك أن حكومة مصطفى كمال لما أرسلت خطبة له، أعدها لاستقبال أحد السفراء، إلى الصحف التركية، اضطرت إلى تذييلها بشرح اثنتين وثلاثين كلمة منها[4]. واستبدل الإيرانيون بالكلمات العربية كلمات فارسية، وقال أحدهم إنهم لا يريدون تجريد الفارسية مما فيها من الألفاظ العربية، فإن ذلك غير ممكن، وإنما يريدون إخراج الألفاظ والعبارات الأجنبية التي ليسوا في حاجة إليها، وألا تغلب الألفاظ الأجنبية على لغتهم، والحفاظَ على الفارسية؛ لئلا تخرج عن الأسلوب الصحيح[5]. ومنعوا

---

(١) كلمة حياد، ١٥٢، وحرب اللغات، ٣٢٥.

(٢) اللغة العربية في الفكر العربي من عصر النهضة إلى عصر العولمة، ٢٩٣ و٢٩٦.

(٣) حرب اللغات، ٢٦٣.

(٤) محاضرات في نشوء الفكرة القومية، ٩٧.

(٥) الفصحى لغة القرآن، ١٠٩.

استعمال المفردات غير الفارسية في الإذاعة والتلفزة، وزوَّدوا العاملين فيهما ما يرادفها من الفارسية[1]. ولم يكن ما فعل الإيرانيون المتأخرون بدعة ابتدعوها، وإنما هو سنة سنها أسلافهم، فاتبعوها، فقد قال ابن جني: «إن العجم (الفرس) أيضا بلغتهم مشغوفون، ولها مؤثرون، ولأنْ يدخلها شيء من العربية كارهون، ألا ترى أنهم إذا أورد الشاعر منهم شعرا فيه ألفاظ من العربي عيب به، وطُعن لأجل ذلك عليه»[2]. وأخلى أبو القاسم الفردوسي (ت ٤١١ هـ) «الشاهنامة» (وهي ستون ألف بيت) من العربية ما عدا ثلاثا وستين كلمة[3]، وكان ذلك قبل ظهور القوميات والعصبيات في أوربة بما يقارب تسعة قرون. ووصف بعض الكرد رواية، كتبَها أحدهم بأنها رومانسية؛ لأن لغتها ليست نقية من الكلمات العربية، كما أن الكردية التي يكتبون بها الآن نقية منها[4]. أي إن بعض الكرد الآن يتعمد تنقية الكردية من العربية. ولما نفخت فرنسة في الحركة البربرية بالمغرب الأقصى من سياستها وخططها ما نفخت، أخرجت من أمازيغيتها ما كان فيها من الكلم العربي، ورأت أن ذلك هو ما «يعتق» هويتها من الإسلام والعروبة، وقال بعض رجالها (ميشيل قيطوط)، وهو فرنسي الجنسية، أمازيغي الأصل: «الاقتراض من العربية كثيف ومدمر»[5].

ولما ظهر الروح القومي في بعض الدول الأوربية، شنَّ زعماؤها حربا لا هوادة فيها على كل دخيل من الألفاظ[6]، صحيح أن ما لا يحصى من المفردات الأوربية ذات الأصول اليونانية واللاتينية، ومعظم الاصطلاحات وأسماء المخترعات التي وضعت في هذا العصر مثل: telphon، وtelevison، و automobile، مستعارة من اليونانية والرومانية من غير وساطة[7]، غير أنها غدت من المعجم الأوربي، ولا غنى له عنها، وليس في وسع الأوربيين أن يخرجوها

---

(١) اللغة العربية بين العولمة والأصالة، ٣٦٧.

(٢) الخصائص، ١/ ٢٤٢.

(٣) العروبة أصل الحضارات، ٩٥.

(٤) سؤال الهوية الكردية، ١٢١ وما بعدها.

(٥) المشهد اللغوي وتعليم اللغات في المغرب الكبير من النشأة إلى أيامنا، ١١٩

(٦) اللغة ووضع المصطلح الجديد، ٦٩.

(٧) منهجية وضع المصطلح الجديدة في الميزان، ٦٠.

منه. ودعا هتلر إلى تطهير الألمانية من الألفاظ الأجنبية؛ لأنها تشوهها[1]؛ فنظرت المجامع الألمانية في الكلمات ذات الأصل اللاتيني واليوناني، فما رأت أن يكون له منها ثوب ألماني ألبسته إياه، وما رأت ألا يكون له أخذته بلفظه[2]، وأحلت محل المركبات اليونانية اللاتينية كلمات ألمانية خالصة[3].

وقال الكاتب الفرنسي جواشيم دوبلاي: إياك يا شاعرنا أن تستعمل الأعلام اللاتينية أو اليونانية؛ فإن ذلك أمر لا معنى له، فإن فعلتَه كنت كمن يرقِّع ثوبا من مخمل أحمر بقطعة مخمل أخضر[4]. وكان شارل ديغول يرى أن السماح بتداول اللغات والكلمات الأجنبية خيانة للوطن، وكان يعيب على الفرنسيين في خطبه الرسمية استعمال «ساندوش»، ويدعوهم إلى إحياء مقابلها الفرنسي العريق (Casses croute). ولما عثر باصطلاح ألماني في الفرنسية، صاح في حكومته: ألا إن فرنسة لَمَّا تُحرَّر، فأخذ علماء الفرنسية يبحثون عن كلمة فرنسية يترجمونه بها؛ ليحرروا فرنسة حقا[5]. وكان مردُّ ضيقه بكلمة ألمانيَّةٍ إلى أن ألمانية استعمرت فرنسة أيام الحكم النازي، فمن أجل أن يشعر بأنها حُررت منها حقا لا بد أن ينقِّي الفرنسية من لغتها؛ لأنها أثر من آثار الاستعمار. وينتشي أهل مستعمرات فرنسة أن يعرف أحدهم المفردة الفرنسية، فيرددها بازدهاء، بمناسبة وبغير مناسبة، ولا سيما الذين استعبدتهم فرنسة، وسامتهم سوء العذاب، وما تزال إلى اليوم تحول بينهم وبين الاستقلال والنهوض والتقدم، وتَنْصِب لهم شَرَكًا في كل فجٍّ من فجاج الحياة، يمكن أن يسلكوه إلى التحرر منها. وكذلك يفعل سكان المستعمرات الإنجليزية من العرب، كالمصريين، والأردنيين، وأهل الخليج العربي، والفلسطينيين. وكان جورج بوميدو رئيسا للحكومة أيام شارل ديغول، وكان رئيس منظمة المحافظة على صفاء الفرنسية ونقائها، وحمايتها من الكلمات الإنجليزية والألمانية وغيرها، فلما صار رئيسا للجمهورية، عارض دخول بريطانية في السوق الأوربية، وعلَّل رفضه بأن

---

(١) اللغة ووضع المصطلح الجديد، ٦٩.
(٢) حول قرار التعريب، ٩٨.
(٣) إنية وأصالة، ٢٩.
(٤) حرب اللغات، ١٠٩.
(٥) من الأديب مالك حداد إلى الأمير خالد الفيصل.

الإنجليزية ستغلب على الفرنسية، وتكون هي لغة السوق المشتركة في أوربة، وفرنسة، وربما صارت هي الغالبة؛ فيخسر الفرنسيون كثيرا من تراثهم الروحي من أجل مكسب مادي وسياسي[1]. ونُشِر قوله في الجرائد، وكان مبينا عن رأي الفرنسيين، ولم ير فيه أحد من الفرنسيين، أو غيرهم، ما يؤخذ عليه. وما أدري -لو قال عربي شيئا كهذا- ما كان سيُشَنُّ عليه من الشتيمة، ويوصف به من التعصب والرجعية، والحمق، والغلو (التطرف)، إلخ ما تجود به قرائح الكتاب والمتكلمين من ألفاظ الهجو الثقافي، مع أن العربية أجدر بهذا من الفرنسية، فهي التي نزل بها كتاب المسلمين جميعا، ودُوِّنَت علومهم وحضارتهم، وهي الرابطة التي تربط بين مئات الملايين منهم. وأصدر بوميدو عام ١٩٦٦ مرسوما بإنشاء اللجنة العليا للدفاع عن الفرنسية وانتشارها، وجعل من مهامها تنقية الفرنسية، والإقناع بالعدول عن الأخطاء اللغوية[2]. وأوجب قانون با-لوريول الصادر عام ١٩٧٥ استعمال الفرنسية في الحياة كلها، وشرع تغريم المؤسسات التي لا تستعملها، فعوقبت شركة الطيران البريطانية (British Airways) في فرنسة؛ لأنها أصدرت تذاكر سفر بالإنجليزية[3]. ومن أمثلة التنقية التي تزاولها الأكاديمية الفرنسية أنه في عام ١٩٨٧ جعلت jeu decisive (كسْر التعادل) محل tie break، وbaladeur (جهاز استماع متنقِّل) محل walkman، وكلمة logiciel (برمجيات) محل software، وحلت عبارة gros porteur (طائرة جامبو) محل jumbo jet، إلخ[4]. وأنشأت فرنسة وزارة الفرانكفونية لحماية نفسها من التبعية الأمريكية بطريق الإنجليزية، فإن الإنجليزية تنشر النمط الأمريكي، وتستعمر الشعوب استعمارا ثقافيا، كما قال فرانسوا ميتران: من ذا الذي يمكنه أن يتعامى اليوم عن التهديد الذي يُهدِّدُه العالم الذي تغزوه بالتدريج ثقافة واحدة؛ ثقافة أنجليزية سكسونية، تلبس لبوس الليبرالية الاقتصادية؟!. وتحدثت الصحف الفرنسية عن خطر الإنجليزية الذي يهدد الفرنسية، ولا سيما بعد انتهاء الحرب الباردة، وقوة العلاقة بين فرنسة وأمريكة. وقال إيتياميل إن

(١) إنية وأصالة، ٣١٠.

(٢) التخطيط اللغوي والسياسة اللغوية في فرنسة، ١٥٧

(٣) السابق، ١٥٨.

(٤) السابق، ١٥٤.

الروس أيضا والصينيين يخافون تأثير الإنجليزية الضار، وذَكَر الكلمات الإنجليزية التي كثرت في الفرنسية، وصارت تزاحم مفرداتها، وقال إن الأمريكيين لا تكاد تتاح لهم فرصة لتدمير الثقافة الفرنسية إلا اهتبلوها، ويبلغون ما أرادوا من ذلك بعدم مبالاة الفرنسيين، واستسلامهم العجيب. وقال: لا فرنسة دون الفرنسية، وأقسم يمينا مغلظة أن الفرنسيين ينبغي أن يُلزموا ألا يتركوا لغتهم نهبا لأصدقاء كاذبين (الأمريكيين)، ففي ذلك خطر عليهم. وقال الكتَّاب ورجال التعليم الفرنسيون: «لا يمكن أن نسمح بخضوع فكرنا للولايات المتحدة»[1]. ولما انعقدت القمة الثالثة عشرة للدول الناطقة بالفرنسية (الفرانكفونية) عام ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م في سويسرة، حذَّر بعض الكتَّاب بالفرنسية في رسالة لهم إلى القمة من أن تبتلع الإنجليزية الفرنسية، وحثوا الساسة على حماية الفرنسية من الضياع، وقالوا: إن غزو الكلمات الإنجليزية يهدد الفرنسية تهديدا أشد من تهديد الاحتلال الألماني للهوية الفرنسية، إبان الحكم النازي. ودعوا إلى وقف طوفان الإنجليزية، وقالوا إنه هو التحدي الذي يهدد الفرنسية، وإن على جدران باريس من الكلمات الإنجليزية اليوم أكثر مما كان عليها من الكلمات الألمانية أيام الاحتلال النازي، وإن على السياسة أن تعمل على تقوية الفرنسية في العالم بدلاً من أن تشتغل ببحث قضايا ثانوية. وأنشؤوا منظمة سموها مستقبل الفرنسية[2]. وفي فرنسة عشرات من المنظمات الرسمية والخاصة، مهمتها الحفاظ على الفرنسية، وإبعاد الدخيل الذي غزاها في السنين الأخيرة، ولاسيما دخيل الإنجليزية، وأهم هذه المنظمات المجمع الفرنسي، وهو لا يدخل في معجمه إلا ما كان سليم الأصل من الفرنسية، موافقا للذوق والأساليب الفرنسية. وآخر منظمة أسست بالكاندا المصلحةُ الدولية للاصطلاحات العلمية والتقنية لإنقاذ الفرنسية العلمية. وفي فرنسة منظمة، تُعنى بوضع اصطلاحات فرنسية؛ تستبدلها بما انتشر من الاصطلاحات الإنجليزية، وتنشرها في كبريات الصحف، ليطلع عليها المثقفون[3]. وما يزال الفرنسيون

(١) تعريب العلوم في ضوء العبرنة الإسرائيلية، ٩١ وما بعدها.
(٢) واقع الهوية اللغوية في المجتمعات العربية.
(٣) التعريب ووسائل تحقيقه، ١١٧ وما بعدها.

يصدرون التشريعات والقوانين التي تحظر استعمال الألفاظ الإنجليزية، ففي الثالث عشر من إبريل عام ١٩٩٤ درس مجلس الشيوخ مشروع القانون الذي وضعه وزير الثقافة، جاك توبون، وعنوانه «استعمال اللغة الفرنسية»، والتقت الأحزاب كلها على قبوله، والدعوة إلى إقراره، وهو يحرِّم استعمال كلمة أو عبارة أجنبية، ما وُجِدت كلمة أو عبارة فرنسية بمعناهما، وإن كانتا شائعتين، ويعدُّ استعمالهما مخالفة قانونية، ويمنع استعمال الكلمات الإنجليزية في الدعاية، وأن يُعقَد في فرنسة مؤتمر بالإنجليزية، ويوجب استعمال الفرنسية في الوثائق والمستندات، والإعلانات المكتوبة والمسموعة، والإعلانات المعروضة على الجمهور في الأمكنة العامة، وفي عقود العمل وأنظمة الشركات الأجنبية الداخلية العاملة في فرنسة[1]. ويغرِّم كل فرنسي، استعمل كلمات إنجليزية أو غير فرنسية في محاضراته، أو كتاباته، ما دام يجد لها مقابلا فرنسيا ٣٥٠٠ دولار. وأمضت الجمعية الوطنية (مجلس النواب) هذا القانون القوي الحازم، ولم تبال اعتراضات المعترضين بأن من الاصطلاحات ما هو عالمي، وأنَّ تجنبه ستكون له آثار غير حميدة في اشتراك العلماء الفرنسيين في المؤتمرات الدولية، وسيعطل أعمال كثير من الندوات والمؤتمرات العلمية[2]. وفي جلستها الأولى قال وزير الثقافة: «في العالم ١٢٠ دولة، سنَّت قوانين دستورية لما يتعلق بشؤون اللغة، واللغة عنصر حياة الأمة، ومن واجبنا المحافظة على لغتنا حية؛ لأنها تراث فرنسة الأغلى». وتبارى زعماء الأحزاب في تأييده، فقال أحدهم: «ما يعنيه مشروع القانون هو هويتنا الوطنية الواجب تنزيهها عن الشوائب والمثالب»، وقال آخر: «اللغة هي إشهار (إعلان) هوية وطنية، والدفاع عنها مسؤولية دولة»[3]. وأقرَّ مجلس الوزراء القانون كما أقرته الجمعية الوطنية، وسُمِّيَت الكلمات التي يُمنَع استعمالها في لغة الإعلام والإعلان[4]. وإذا كان من أسباب وضع هذا المشروع خوف الفرنسيين الثقافةَ الأمريكيةَ على ثقافتهم، بعد انتهاء الاتحاد السوفياتي، وما ظهر من ميل «ظرفاء باريس»، إلى التكلم بالإنجليزية

---

(١) التعريب ووسائل تحقيقه، ١١٧ وما بعدها، وانظر أيضا: مجلة اللسان العربي، ع ١٦/ ١٢/ ١٤١٤هـ.
(٢) الأمم الحية أمم قوية بلغاتها: نماذج تجارب ناجحة، ١٧.
(٣) الفصحى فريسة الطمطمانية والرطين.
(٤) اللغة والهوية، ٦٥٥.

في مجالسهم[1]، فمنها أيضا إعجاب الفرنسيين بلغتهم، واعتدادهم بثقافتهم[2]، وعلمهم بمنزلة اللغة من الهوية، وأن الاقتراض من الإنجليزية باب إلى الفناء المعنوي، فالتبعية الثقافية، والولع بالاستهلاك. ويرى قادتهم وكتّابهم أن تفشي المفردات والعبارات الإنجليزية والأمريكية في الفرنسية قد ينتهي باحتلال فرنسة احتلالا ثقافيا، و«التبعية اللغوية والثقافية أشد إذلالا من التبعية الاقتصادية»[3]. وكان خوف هذا سبب رفض فرنسة الموافقة على الجزء الثقافي من اتفاق منظمة التجارة (الجات)؛ لأنه يتيح للمواد الأمريكية أن تباع بفرنسة بكميات، يرى الفرنسيون أنها تهدد هويتهم[4]. وتشمل المواد الأمريكية الخيالة، والتلفاز، والفيديو، وما شاكلها من وسائل التثقيف[5]. وكان دومنيك دو فيلبان يرى أن مستقبل فرنسة رهن بالوفاء للتراث الفرنسي، أولا، واستعادة أفضل ما فيه، وأن على الفرنسيين أن يتطلبوا الصيغة التي تسمح لهم بالتقدم دون التنكر لهذا التراث[6]. وكثيرا ما تُشَنُّ على لغة الصحافة الفرنسية حملات، تصفها بأنها «فرنزية»، أو فرانكلية، أي هجين من الفرنسية والإنجليزية، وتدعو إلى تطهير الأقلام والألسنة من الكلمات الأجنبية السخيفة[7]. وتقاوم «لوموند» في مقالات متسلسلة منذ سنين، تسرُّب كلمات أوربية إلى الفرنسية، وتدعو بالويل والثبور لمستقبل الفرنسية، والأمة الفرنسية، إذا دامت هذه الحال[8].

وفي عام ١٥٥٧ م كتب السير جون تشيك (sir john cheke)، وهو بريطاني: «يجب أن تكتب لغتنا نظيفة ونقية، وألا تخلط وتشوه بالاقتراض من لغات أخرى، ... وإن لم ننشغل بتوليد الألفاظ، وظللنا نقترض ولا ندفع، فإن اللغة ستكون مجبرة على الإفلاس»[9]. وفي القرن التاسع عشر اعترض الشاعر الإنجليزي وليم بارنز اعتراضا شديدا على الكلمات الأجنبية التي دخلت الإنجليزية،

---

(١) مجلة اللسان العربي، ع ١٦/ ١٢/ ١٤١٤هـ.
(٢) انظر قصة طريفة في ذلك أوردها محمد عبد الكريم الجزائري في كتيب له عنوانه (لغة كل أمة روح ثقافتها، ٨٤).
(٣) مشكلات التعريب، ٧٨.
(٤) هويتنا أو الهاوية، ٢٥.
(٥) اللغة العربية بين الواقع والعولمة، ١١٦.
(٦) خمس عشرة سنة من النضال، ١٨٩.
(٧) مشكلات التعريب، ٥٩ وما بعدها.
(٨) إنية وأصالة، ٢٩.
(٩) اللغة والاقتصاد، ٣١٤.

واقترح أن يستعاض عنها بكلمات إنجليزية[١]. وينشئ الإنجليز الجمعيات التي تدافع عن نقاء الإنجليزية، وتسعى في تنقيتها من الدخيل، والتنبيه عليه، كجمعية الإنجليزية النقية (Society For Pure English)، وتُصدِر كتيبات في شؤون لغوية شتى، منها كتيب، عنوانه: الكلمات العربية في الإنجليزية (Arabic Words in English)[٢]، «كأنما تريد أن تنبه عليها بمثل الإيماء إلى الغرباء»[٣]. وتحرص الإنجليزية البريطانية على تنقية نفسها مما يدخلها من الإنجليزية الأمريكية[٤]. وفي هذا العصر حاول الأوربيون صدَّ غزو الاصطلاحات الوافدة من الإنجليزية، ولا سيما اصطلاحات التقنية الحديثة والمفهومات العلمية؛ لما فيها من خطر على قيمها اللغوية والاجتماعية[٥]. وأسس لينين محافظة، رأستها زوجه كوبرسكاية، تولَّت تطهير الروسية من الكلمات الفرنسية[٦]. وكل علامة، أو سلعة، أو آلة، أو دواء، أو اصطلاح علمي، تدخل الصين تسمَّى باسم صيني، ويكون البحث عنها باسم صيني، وتُشفَع ببياناتها بالصينية. والباب مسدود أمام الكلمات اليونانية والرومانية، ولا بدَّ -إن شاءت أن تدخل سوق الصين- أن تلبس ثوبا صينيا، وتقبل التحريف الكافي، وتصبح مقاطع صوتية مقبولة، وذات نبرة من النبرات الصينية الخمس. فـ«آبل» تُسَمَّى «بينغ غوو»، وتعني التفاحة، و«مرسيدس» تسمى «بِين تشي»، وهي ترجمة لـ «بينز» الألمانية، وتعني السرعة، و«رونو» الفرنسية تسمى «لي نوو». وكذلك يفعلون بأسماء العلامات في اللغات التي هي من فصيلة الصينية، كالكورية، واليابانية، فـ«سامسونج» الكورية ترجمت بـ «سان سون»، وترجمت «كانون» اليابانية بـ «جيا نون»، و«تويوتا» بـ «فين تيانغ»[٧]. وسعت سلوفينية في تطهير لغتها من الصربية الكرواتية بعد الحرب الأوربية الثانية[٨]. ويسمي الكروات لغتهم الكرواتية، ويحاولون أن يخلصوها

(١) لماذا تتغير اللغات، ٢٠٨.

(٢) الثنائيات في قضايا اللغة العربية، ٢٤٠.

(٣) الحلقة النقاشية التي أقامها مركز الملك عبد الله بن عبد العزيز الدولي لخدمة اللغة العربية عن اللغة والهوية، ٣٦.

(٤) لافتات الشارع التجاري في المشرق العربي.

(٥) الهيمنة اللغوية، ١٢.

(٦) التعريب في الجزائر: كفاح شعب ضد الهيمنة الفرنكفونية، ٢٠.

(٧) لغات حية، ٢٠.

(٨) السياسة اللغوية والتخطيط: مسار ونماذج، ٢٤.

من التركية والكلمات الأجنبية، ويعادون الكلمات العربية والتركية التي كانت مستعملة في البلقان بتأثير من التركية والبوسنية[1]. وتحافظ إيسلندة -على صغرها، وقلة سكانها (٢٩١, ٢٩٣ نسمة) -على لغتها محافظة شديدة، مع أنها كانت مستعمرة دانمركية، فشعبها لا يتكلم إلا بلغته، وبها يقرأ ويدرس، وبها دوَّن أشعار أسلافه وقصصهم، ووضع ألفاظاً لكل مخترع جديد، حتى الألفاظ الشائعة، كالتلفزيون، والكمبيوتر[2]. وأسسوا لخدمة لغتهم مجمعا، وعملوا على ترقيتها، ويأبون استعمال الكلمات التي تشبه بعض الكلمات الغربية، ويضع لها مجمعهم اللغوي مقابلا[3]. وقرر البلجيكيون الذين يتكلمون بالنير لاندية (وهم يفضلون هذه التسمية على الفلمنكية التي يستعملها مواطنوهم من المتكلمين بالفرنسية)، أن يعاقبوا بالسجن وغيره كلَّ من استعمل الفرنسية في كلام أو كتابة، وهو يؤدي عملا رسميا[4]. ومن المعلوم تعصب الفلاميين في بلجيكة للغتهم، وحرصهم على صنع فروق بينها وبين الهولندية، وهي أصلها، من أجل أن ينسوا عهد الاحتلال. وما زال النرويجيون إلى اليوم يصارعون آثار الاحتلالين الدانماركي والسويدي في لغتهم. ومع ما بين السويد والنرويج من توافق في أغلب شؤون الحياة، ومع القرابة الشديدة بين لغتيهما، حتى إنهم ليتفاهمون من غير أن يدرس أحدهم لغة الآخر، يصر النرويجيون على محو الآثار اللغوية التي تذكِّرهم بعهد «الاتحاد» بينهم وبين السويد والدانمرك؛ ليثبتوا وجود أمة نرويجية، لها لغتها وهويتها[5]. وفي السويد تتبادل منظمات المجتمع المدني والحكومة الرقابة على اللغة، بإسداء النصيحة، والحماية من اللغات الأجنبية، واللغات الضاغطة (اللغات العلمية)، وإزالة الخطأ اللغوي في الميدان، وتغرِّم أصحاب المتاجر على ما يظهر من أخطاء في واجهات متاجرهم، كما تفعل وزارة البيئة؛ لأن اللغة الملوثة عندهم كالبيئة الملوثة، وتساعد على محو الأمية في الأجانب، وإدخالهم في مراكز تحسين اللغة، وتتوسط عند الحكومات

---

(١) صدام الحضارات وإعادة بناء النظام العالمي، ١٤٠.
(٢) واقع الهوية اللغوية في المجتمعات العربية.
(٣) الحرب الكبرى على اللغة العربية.
(٤) التعريب ووسائل تحقيقه، ١١٧ وا بعدها.
(٥) كلمات العالم، ٣٥.

للحصول على مِنَح دراسية لمن يتعلم منهم السويدية، وتقدِّم لهم ما يغري بتعلمها[١]. ومن أغراض التخطيط اللغوي في العالم كله تنقية اللغة من الألفاظ الدخيلة حفاظا على الهوية[٢]. وكان لايبنيز يقول إن الميزات المطلوبة من اللغة ثلاث: «الغَناء»، والنقاء»، والبهاء».

ولما أزمعت اليابان العزلةَ أخذت الحكومة تحض على تنقية اليابانية من المفردات غير اليابانية[٣]، وإن لم تسلم من تأثير الهولندية، فقد دخلها منها ما يزيد على أربعمائة مادة، كما دخلتها مع الهولندية كلمات من لغات أخرى، كالبرتغالية[٤]، ولكن الحكومة بعد ذلك حضَّت اللغويين على تنقيتها مما دخلها[٥]. ونقَّت كورية لغتها من الدخيل الياباني من فور رحيل اليابان من أرضها. وكان هوشي مينَّه يقول للفييتناميين: حافظوا على صفاء لغتكم كما تحافظون على صفاء عيونكم، وتجنَّبوا أشد التجنب أن تستعملوا كلمة أجنبية حيث يمكنكم أن تستعملوا كلمة وطنية[٦]. ولما استقلت فييتنام استأصل الفييتناميون من لغتهم الكلمات الأجنبية، حتى الكلمات الواردة إليهم من البلاد الصديقة المجاورة[٧]، وأُسِّست في المدارس والمعاهد مجموعات من التلامذة والطلبة، تعاهدوا على ألا يتكلموا بينهم بالفرنسية، ولا يستعملوا اصطلاحاتها في كلامهم، وألا يتكلموا إلا بالفييتنامية وحدها[٨]. وقال صموئيل هنتنغتون إن اللغات أخذت تعيد انحيازها، وتعيد تركيبها لتوافق هويات الحضارات وخصائصها، وإذا انتشرت القوة توزعت أصوات اللغات[٩].

---

(١) في الأمن اللغوي، ٢٠٩.

(٢) الأيديولوجية السردية للغة: بعض الملاحظات في سياق الحالة السودانية، ١٨٧.

(٣) التجربة اليابانية، ٧٤ وما بعدها.

(٤) اللغة والاقتصاد، ٣٢٠.

(٥) أخذت اليابانية فيما بعد آلافا من الكلمات العلمية المنحوتة من جذور يونانية أو لاتينية، مستعملة في اللغات الأوربية كلها تقريبا، بعد أن أدخلت عليها تغييرا يسيرا في لفظها؛ كي تشبه لفظ الكلمات اليابانية (النحت وسيلة لتوسيع اللغة، ٤٦٣، واللغة اليابانية: بعض السمات والمشكلات، ٥٦).

(٦) اللغة والهوية، ٥ و٢٨.

(٧) إنية وأصالة، ٧٦ وما بعدها، واللغة والهوية، ٤١.

(٨) اللغة والهوية، ٢٩ وما بعدها.

(٩) صدام الحضارات، ١٤٠.

وكان العرب في عصور القوة يرون في لغتهم أكثر مما يرى الفرنسيون في الفرنسية، وما يرى سائر الأوربيين في لغاتهم، وأكثرَ مما يرى هوشي مينه في الفييتنامية، كما قال ابن جني: «والمروي عنهم في شغفهم بلغتهم وتعظيمهم لها واعتقادهم بها أجمل الجميل فيها أكثر من أن يورد، أو جزء من أجزاء كثيرة منه»[1]. أما حصار اللغات الأجنبية ومنع مفرداتها أن تدخل في العربية، فكان يقوم به العربي أنفةً من أن يستبدل بلغة غيرها، كما قال أبو المهدي الأعرابي:

يقولون لي: (شَنْبِذْ)، ولست مشنبذاً   طوال الليالي ما أقام ثَبيرُ
ولا قائلاً: «زَوْداً»؛ ليعجل صاحبي   و«بستان» في صدري عليَّ كبير
ولا تاركاً لحني لأُحسن لحنهم   ولو دار صرف الدهر حيث يدور[2]

ولم ينزع بعض العرب إلى التعريب إلا مضطرين، وآية ذلك قلة الألفاظ المعرَّبة في العربية[3]، في عصور الاحتجاج. ويرى بعض الباحثين أنهم ما كانوا ليعربوا ما له مرادف من لغتهم لو لم يكن يخالفه من بعض الوجوه، إلا أن يكون ذلك على سبيل التظرف أو التعالم، كما كان يفعل الأعشى وأبو نواس[4]، وربما استعمله بعضهم في القوافي من أجل أن تُستطرَف[5]، وقد يفعلون ذلك على سبيل التلطف، كما ورد في حديث أبي هريرة: «ما هجَّرت إلا وجدت النبي -صلى الله عليه وسلم- يصلي، قال فصلى، ثم قال: أشْكَنْبِ دَرْدْ»[6]. وقد وهم الخفاجي، فقال إن الحديث ورد في صحيح مسلم[7]، وإنما ورد في «مسند أحمد»، و«سنن ابن ماجه»[8] بسند ضعيف. وقال -صلى الله عليه وسلم-، لما كسا أم خالد بنت خالد بن سعيد بن العاص، خميصة: يا أم خالد، هذا سناه»

---

(١) الخصائص، ١/ ٢٤٢.

(٢) السابق، ١/ ٢٣٩. وشنبذ: قُلْ: شُون بوذ، أي: كيف. وزود: عجِّل. وبستان: خذ. وهي كلها كلمات فارسية.

(٣) تجديد العربية، ٨ (نقلا عن: حركة التعريب في العراق، ٥٨).

(٤) العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، ١/ ١٢٨.

(٥) المعرب من الكلام الأعجمي على حروف المعجم، ٥٧ وما بعدها.

(٦) مسند أحمد، ط. قرطبة، ٢/ ٣٩٠. وهو حديث ضعفه الأرناؤوط والألباني (سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة، ٩/ ٦٢)، وأكبر الظن أنه لا يصح؛ فما كان أبو هريرة يعرف الفارسية، ولا كان من أهل إقليم يعرف الفارسية، وما كان النبي -صلى الله عليه وسلم- يتكلم بالفارسية، ولا كان أهل المدينة يعرفونها، فما كان ليكلمه بها، وإنما كان تكليمه أم خالد بالحبشية لأنها ولدت بها؛ فكانت مظنة أن تعرفها، فكلمها بها مداعبة لها.

(٧) شفاء الغليل، ٣٧.

(٨) مسند أحمد، ط. قرطبة، ٢/ ٣٩٠.

و«سناه» بالحبشية حسن[١]، وكانت أم خالد وُلِدَت بالحبشة. وربما استعملوه هزلا؛ ليضحكوا منه كقول العدوي: «أنا العربي الباكُ»، أي: النقي[٢]. غير أنهم لا يستعملون ما استعاروا من كلام العجم للقافية لتستطرف، ولا ما استعاروا للهزل في غير ذلك، ولا يصرِّفونه، ولا يشتقون منه الأفعال، ولا يرمون بالأصلي ويستعملون المستطرف[٣]. ونهى الأئمة والخلفاء عن التكلم بغير العربية، وعن استعمال المفردات الأعجمية، ونفَّر منه الفقهاء، وذمَّه الأدباء، فقال عطاء بن رباح: «لا تَعلَّموا رطانة الأعاجم، ولا تدخلوا عليهم كنائسهم؛ فإن السخط ينزل عليهم»[٤]، وسمع سعد بن أبي وقاص قوماً، يتكلمون بالفارسية، فقال: «ما بال المجوسية بعد الحنيفية؟»[٥]، وكره الإمام الشافعي استعمال الكلمة الأعجمية، لها مقابل عربي، فقال: «سمى الله الطالبين من فضله في الشراء والبيع تُجَّارا، ولم تزل العرب تسميهم التجار، ثم سماهم رسول الله -صلى الله عليه وسلم- بما سمى الله به من التجارة بلسان العرب. و«السماسرة» اسم من أسماء العجم؛ فلا نحب أن يسميَ رجل يعرف العربية تاجرا، إلا تاجرا، ولا ينطق بالعربية فيسمى شيئا بأعجمية، وذلك أن اللسان الذي اختاره الله -عز وجل- لسان العرب، فأنزل به كتابه العزيز، وجعله لسان خاتم أنبيائه محمد -صلى الله عليه وسلم-؛ ولهذا نقول: ينبغي لكل أحد يقدر على تعلم العربية أن يتعلمها؛ لأنه اللسان الأَوْلَى بأن يكون مرغوبا فيه، من غير أن يحرم على أحد أن ينطق بأعجمية»[٦]. وكره أحمد بن حنبل الرطانة، وتسمية الشهور بالأسماء الأعجمية، «كراهةَ أن يتعود الرجل النطق بغير العربية؛ لأن اللسان العربي شعار الإسلام وأهله، واللغات من أعظم شعائر الأمم التي بها يتميزون»[٧]. «وما زال السلف يكرهون تغيير شعائر العرب حتى في المعاملات، وهو التكلم بغير العربية إلا لحاجة، كما نص على ذلك مالك والشافعي وأحمد، بل قال مالك:

---

(١) صحيح البخاري، تحقيق محمد زهير الناصر، ٧/ ١٤٨.
(٢) المعرب من الكلام الأعجمي، ٥٧، وشفاء الغليل، ٣٧ وما بعدها.
(٣) السابق، ٥٧ وما بعدها.
(٤) اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم، ٥٢٢.
(٥) السابق، ٥٢٣.
(٦) السابق، ٥٢١.
(٧) السابق، ١/ ٥١٩.

«من تكلَّمَ في مسجِدِنا بغيرِ العربية، أُخرِجَ منه»، مع أن سائر الألسن يجوز النطق بها لغير أصحابها، ولكنهم سوَّغوه للحاجة، وكرهوه لغيرها، صونا لشعائر الإسلام؛ فإن الله أنزل كتابه باللسان العربى، وبعث به نبيه العربى، وجعل الأمة العربية خير الأمم، فصار حفظ شعارهم من تمام حفظ الإسلام، فكيف بمن تقدَّم على الكلام العربي مفرده ومنظومه، فيغيره ويبدله، ويخرجه عن قانونه، ويكلف الانتقال عنه؟»[1]. «وأما مخاطبة أهل الاصطلاح باصطلاحهم ولغتهم، فليس بمكروه، إذا احتيج إلى ذلك، وكانت المعاني صحيحة، كمخاطبة العجم من الروم والفرس والترك بلغتهم وعرفهم، فإن هذا جائز، حسن للحاجة، وإنما كرهه الأئمة إذا لم يُحتَج إليه»[2]. وقال المبرد: «ثلاث يُحكم عليهم بالاستصغار حتى يُدرَى مَن هم، وهم رجل، شممت منه رائحة نبيذ في محفل، أو سمعته في مصر عربي، يتكلم بالفارسية، أو رجل رأيته على ظهر طريق، ينازع في القدر»[3]. وليس النهي عن التكلم بلغات الأعاجم لغير حاجة نهيَ تحريم لتعليمها، ولكنه نهي عن وضعها في غير موضعها، وإحلالها محل العربية، والتشدق بها على سبيل المباهاة والتظرف، على وجه، يضعف الشخصية، ويذهب الشعور بالتميز، ويهيئ القلوب للتبعية، وهو ما يُفهَم مما تقدم من الأقوال، وإلا فقد أمر النبي -صلى عليه وسلم- زيد بن ثابت أن يتعلم العبرية، وفي تعلم اللغات من الفوائد الجمة ما لا يخفى.

ولا يخفى قرب الشبه بين هذه الأقوال وما قد رأينا من أقوال الفرنسيين وأفعالهم، فهي كلها صادرة من قوم، يعتزُّون بحضارة، ويرون التكلم باللغة لغير حاجة لا يكون إلا من ميل النفس إلى أهلها، والميل إليهم يورث التشبه بهم، والتشبه خضوع، يعقبه التنازل، فالمتابعة؛ إذ لا يتشبه المرء إلا بمن يرى أنه خير منه فيما يحاكيه فيه، وإنما يتشبه به استكمالا لنقص يجده، وتطلبا لكمال، يفتقر إليه. والشعوب في طور القوة تأنف من الذل والاستكانة، وتبغض كل سبيل إليهما، وكل وجه من وجوههما؛ لأنهما يناقضان ما تجد من شعور بالقوة

(١) مجموع الفتاوى، ٣٢/ ٢٥٥.
(٢) درء تعارض العقل والنقل، ١/ ٤٣.
(٣) الكامل في اللغة والأدب، ١/ ٢٤٨.

والفوق، يورثها إياه علُوُّها، وما تعوّل عليه من أخلاق، ترى أنها هي التي صنعت لها ما هي فيه، وكل عدول عنها، وإن قلّ، وقلَّ شأن الجانب الذي يقع فيه، نذير بذهاب ما ترتب عليها من عز. ولهذا كان عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- من أشد الناس على الضعف، فكان يضرب من رآه يصلي على هيئة، فيها تماوت، ويقول له: «ارفع رأسك، لا تفسد علينا ديننا»، ودفع مرة أبا هريرة حتى خرَّ على ظهره؛ أن سمعه يبلِّغ ما أمره النبي -صلى الله عليه- بتبليغه: «اذهب خلْف هذا الحائط، فمن وجدتَه يشهد أن لا إله إلا الله، فبشِّره بالجنة»، فقال له عمر: لا تفعل، فذهب أبو هريرة إلى النبي -عليه الصلاة والسلام-، وقال له: قد فعلتُ ما قلتَ، يا رسول الله! وقد حصل من أمر عمر كذا وكذا، وكان عمر في إثره، فقال النبي -عليه الصلاة والسلام-: يا عمر! ما حملك على ذلك؟ قال: يا رسول الله! مخافة أن يتكلوا، دعِ الناس يعملون، فقال النبي -عليه الصلاة والسلام-: دعهم يعملون»[1]. وكانَ يضرب بدرَّته مَنْ رآه يلزم المسجد ويترك العمل، ويقول له: «إن السماء لا تمطر ذهبا ولا فضة». وكانت هذه الأقوال كلها في طور قوة المسلمين. من أجل ذلك حذَّر علماؤهم التقليد، ونهوا عن الضعف وما يَهدي إليه. وإنما نهوا عن التشبه بالفرس والتكلم بلسانهم؛ لأنهم كانوا أهل حضارة، وإن غُلِبوا، وكان العرب، أهل بداوة، وإن غَلبوا، والحضارة تستهوي أشدَّ مما تستهوي القوة، وسلطانها على القلوب أقوى من سلطانها، ولا سيما إذا سكت السلاح، وتسالم المتحاربون، وشرع الناس في العمل، فإنهم يثوبون إلى صراع ثقافي، لا يغني فيه إلا الحصانة التي تورثها قوة العلم والثقافة. وما لم تكن للمسلمين حصانة فكرية وثقافية كان الغلَب لثقافة الفرس المادية؛ لأنها أقوى من ثقافة البداوة، كما غلبت حضارة اليونان حضارة الروم، بعد أن سكت السلاح، واستعلى الروم. ولما كان الإسلام أمثل من حضارة الفرس، وقيمه أمثل من قيمها، كان حرص العلماء والمثقفين على أن يكون نصر المسلمين نصرا حضاريا كما كان نصرا عسكريا وسياسيا؛ فنهوا عما قد يخلب من حضارة الفرس، كاللغة، لا من حيث هي وسيلة اتصال، وإنما من حيث هي ثقافة؛ وكان نهي العلماء مقترنا ببيان ما يترتب على اصطناع اللغة

---

(١) مسند البزار، ١٦/ ٢٢٩.

من التشبه بأهلها في الدين والأخلاق، كقول عمر: «ما تكلم الرجل الفارسية إلا خَبَّ، ولا خَبَّ إلا نقصت مروءته»، «من كان يحسن أن يتكلم العربية فلا يتكلم بالفارسية؛ فإنه يورث النفاق»، وقول ابن تيمية: «اعتياد اللغة يؤثر في العقل والخلق والدين تأثيراً قوياً بيِّناً، ويؤثر أيضاً في مشابهة صور هذه الأمة من الصحابة والتابعين، ومشابهتُهم تزيد العقل والدين والخلق»[1]. أما اللغة من حيث هي وسيلة اتصال فلم يُنه عن تعلمها، ولا عن التكلم بها عند الحاجة، وإنما عُدَّ فعلا حسنا.

(٤)

لقد أطلتُ في عرض ما ترى الشعوب القديمة والحديثة في لغاتها، وما تسنُّ من قوانين لصيانتها من التأثر بغيرها من اللغات، وضيق ذرعها بالدخيل من المفردات والأساليب، وسبب ذلك؛ من أجل أن أوازن بين تلك الأمم وفئة من لغويي العرب ومثقفيهم، تذهب مذهبا يخالف ما قد رأينا، ولأُبيِّن ما تستند إليه فيما ترى، وما يترتب على رأيها من إضرار بالعربية، وأنها تبني ما ترى على غير أساس علمي، وتخالف سياسة الشعوب التي يُظَنُّ أنها تقلدها فيما تذهب إليه، وتبني على تجاربها وفلسفتها في اللغة، وتوحي إلى غيرها أنها تستوحي منها مذهبها في الدخيل، وأن تلك الشعوب تتقبل الدخيل بقبول حسن، ولا تباليه، على ما يقول اللغويون الغربيون من أن كراهيته، والأنفة منه، والشعور بأن الكلمة منه تهدد المجتمع اللغوي خُلُق متأصل في الشعوب[2]، وتطَّرد كراهيته هي والخوفُ على الهوية. هذا إلى أن اللفظ الدخيل لا تأنس به القلوب، ولا تفقه معناه كما تأنس باللفظ الأصيل وتفقه معناه، وهذا سبب من أسباب الرغبة عنه، والجد في نفيه. ثم إن الألفاظ الدخيلة من الكثير أن تجلب معها جانبا من ثقافة أهلها، وما كل شعب يرتضي التبدل بثقافته، أو يتقبل ثقافة غيره بسهولة، ومن الكثير أن تحتقر الشعوب ثقافات غيرها، وتحرص على نقاء ثقافتها ودوامها، وترى أن كل تغيُّر فيها يهدد أخلاقها وأفكارها وعقائدها،

---

(١) اقتضاء الصراط المستقيم، ١/ ٥٢٧.

(٢) اللغة في المجتمع، ٨١.

ويفسد موازينها. ومن طبْع المرء أن يستمسك بما أَلِفَ، ويفضِّله على ما لم يألف، حتى تتبين له فضيلته؛ فيزداد تمسكا به، أو يستيقن ضرره؛ فيصدف عنه. وتقبُّل الجديد سبب من أسباب تغير الثقافة، والثقافة هي الجامعة، والرباط الذي يربط الناس، ولا شيء يبعث في أفراد المجتمع الإحساس القوي بوجود المجتمع كاللغة[1]. غير أن ما يُقلق الشعوب التي تخشى على هويتها، وتحرص على صونها، وما تفعل من أجل صيانتها، تستهجنه فئة من العرب المعاصرين، إذا رأت من يحرصون عليه من العرب، ويدعون إلى مثله، وتزعم أن اللغويين والمجامع اللغوية يريدون أن يصبوا العرب في قالب جامد، ويحولوا بينهم وبين الرقي، إذ ينهونهم عن التكثر من الدخيل، واستعماله لغير حاجة، ووضعه في غير موضعه، ويخطئونهم في الحرص على صون العربية من الخطأ كما يحرص عليه غيرهم من الشعوب. وقد غدا الانتقاد على التخطيء بسبب دعاية هذه الفئة، أمرا شائعا ومستهجنا على كل قلم ولسان، ومخالفا للعلم ومنطق اللغة، وحتمية تغيرها، وغدا جلُّ عمل المجامع اللغوية ووكدها إقرار ما يكون من فساد العربية وتهجينها على أقلام غير العارفين بها وألسنتهم، وتخريجه والاحتجاج له. وأكثر العرب استهجانا لصون العربية وانتقادا عليه المتفرنسون، وخريجو جامعات فرنسة، مع أن فرنسة من أشد الدول غيرة على لغتها، ومن أشدها صونا لها من الدخيل. ويرون أن التسديد، والإصلاح، والنقد اللغوي لا يأتيها إلا متشدد، لا يفهم سنن اللغة، ولا يريد لها أن تكون لغة «حية»، تقتات من لغات العالم، وتنتفع بها، بل يريد ليقتلها بما يرى أن فيه حياتها. ويعسر على المرء أن يفهم أن يكون الغرب، ولا سيما فرنسة، مصدر فكر هؤلاء اللغوي، ومستندَهم فيما يقولون، ومذهبُ الغرب كما قد رأينا، وأن يكون ما تخشاه الشعوب على لغاتها وهوياتها مما يعدُّونه سبيلا إلى حياة العربية، ووسيلة إلى بعثها، والارتقاء بها، وجعلها صالحة للعلم. على أن رأي بعض هؤلاء ربما كان مبنيا على ما قرأ من النظريات اللغوية الغربية بمعزل عن سياسات الدول والشعوب اللغوية في الواقع، وإيغالهم في التنظير المجرد حال بينهم وبين إدراك خصوصيات اللغات، وأوجه التباين بين الشعوب والثقافات، كما حال

---

(١) اللغة في المجتمع، ٨٢.

بينهم وبين إدراك واقع بعض اللغات الغربية وسياسات أهلها؛ من أجل ذلك يريدون أن ينزلوا ما تعلموا من النظريات المجردة على واقع لا يفقهونه كثيرا، ولا يدركون مآلات تنزيله.

لقد كان يعقوب صروف، عضو مجمع اللغة العربية بالقاهرة، من أقدم دعاة التوسع في الدخيل، وعدم التحرج منه، ومما قال في ذلك أنه غير راض عن اهتمام بعض أعضاء مجمع القاهرة بترجمة الاصطلاحات، حيث لا موجب لها، ولا يرى فائدة في العدول عن كلمة إفرنجية، شاعت في العربية، والتفتيش عن كلمة عربية قديمة حوشية، يمكن ألا تؤدي معناها، ولو بعد مطٍّ. ويرى أن من غير الممكن أن يوجد مرادف لكل كلمة جديدة. وقال إنه يعاني الترجمة مذ خمسين عاما، وقد انتهى إلى أنه لا بدَّ من تعريب بعض الكلمات غير العربية، واستعمالها كما تستعمل الكلمات العربية[1]، وإن اللغة لا تقوم بما فيها من الأسماء، بل بما فيها من الحروف والتصاريف، فقد ظلت التركية تركية، مع أن نصف مفرداتها عربي[2]. وإن أساليب التعريب لا يعرفها وما ينبغي أن يقوم بها إلا أصحاب الفن، فالجرَّاح الذي قَرَنَ العلم بالعمل، يعلم ما تحتاج إليه صناعته من التعريب، وكذلك الصيدلي، والفلكي، والنباتي، والرياضي، أما وَكْله إلى نحوي أو منطقي، أو مؤرخ، أو منشئ، فكوكْل التطبيب إلى القاضي، والتصوير إلى الطبيب. ولا بد من الاستعانة بعلماء اللغة الذين يحفظون متونها، ويسهل عليهم استحضار ألفاظها، ولكنَّ من المستحيل أن يُستغنَى بهم عن العلماء المختصين[3]. وكان جرجي زيدان أعدل منه في بعض ما ذهب إليه، فقد قال إنه لا يقول في العربية ما يقول الإفرنج في لغاتهم؛ فإن شأنها وشأن تلك اللغات شتى؛ فلا بدَّ من الرجوع إلى القواعد العامة، والروابط الأساس؛ لئلا تفسد العربية بألفاظ العامة وتراكيبهم، ويكثر الدخيل فيها حتى تصير كالتركية العثمانية التي أصبحت -لكثرة ما دخلها من العربية والفارسية والإفرنجية- لا مثيل لها في العالم إلا الهندستانية (الأوردية)، فإن نحوا من ٧٠٪ من ألفاظها

---

(١) آراء الأعضاء، ٢٥١.

(٢) مجلة المجمع العلمي العربي، مج ٢، ج ٨، ٢٥١.

(٣) اللغة العربية بين حماتها وخصومها، ١٧٥.

عربي، و١٥٪ فارسي، و٥٪ إفرنجي، و١٠٪ تركي، وكذلك الأوردية والمالطية. ولا بد من الحفاظ على سلامة العربية، والاهتمام باستبقائها على بلاغتها وفصاحتها، ولا سيما بعد أن أخذت تنهض إلى أرقى ما بلغت إليه في إبان شبابها؛ فلا يستحسن الاستكثار فيها من المولد والدخيل، وإنما يؤخذ منهما بقدر الحاجة[١]. غير أنه خالف رأيه هذا في سائر الكتاب، فسوَّغ المولد، والأساليب الأعجمية، ودلَّلَ على أنها استُعملت في العربية القديمة، وقال إنه آن أن تُخلَّص الأقلام من قيود الجاهلية، وتَخرُج من سجن البداوة، وتلبس ثوب المدينة وإلا، فلن يستطيع العرب البقاء في الحياة الجديدة؛ فلغة البراري والخيام لا تصلح للمدن والقصور إلا إذا أُلبست لباس المدن. وإذا عرض لنا تعبير أجنبي ليس في العربية ما يقوم مقامه، فلا بأس باستعماله[٢]. وهي -كما لا يخفى- نظرة نفعية، لا ترى للغة معنى وراء التعبير عما يريد المتكلم بها، وتجرِّدُها من كل معنى ثقافي.

ويشبه رأي عبد القادر المغربي رأي يعقوب صروف شبها يحمل على الظن أن أحدهما كان مصدر الآخر؛ لما بينهما من توافق في المعاني والألفاظ[٣]. وخلاصة ما يرى عبد القادر أن نمو اللغات بالاشتقاق والاقتراض كنمو الأمم بالتوالد والتجنُّس، وأن لغة العرب كانت في أول أمرها ذات أصول قليلة، وكلمات ساذجة، ثم تناسلت بالاشتقاق، وأدخلت ما احتاجت إليه من غيرها من اللغات. وإذا كان نمو الأمة أكثر ما يكون بالتوالد، فإن نمو اللغة أكثر ما يكون بالإدخال[٤]. وإمعانا منه في تسويغ ما يريد من الإقناع بهذا، وعدم التردد فيه، وأنْ لا ضير منه على العربية، قال إن العربية منقولة من لغة أعجمية (السريانية)، كما يُنقَل إليها اليوم كثير من الكلمات الأعجمية، وقد وقع هذا النقل بالتدرج، ولكنه وصل إلينا جملة، فحَسِبْنا أنْ قد وقع دفعة واحدة، وأن الله وضعه على لسان رجل أو قبيلة، أنطقها به، وأوحاه إليها، من حيث لا تشعر،

---

(١) اللغة العربية كائن حي، ٩٣ وما بعدها.
(٢) السابق، ٩٢ وما بعدها.
(٣) الاشتقاق والتعريب، ١٤٢.
(٤) السابق، ٧ وما بعدها.

وهو ظنٌّ باطل[1]. وقال إن «الله»، و«الرحمن»، و«الصلاة» -مثلا- مشتقات من أصل سرياني أو عبراني، و«بسم الله الرحمن الرحيم» و«شمالا حارارحيما» من معدن واحد، و«حكيم» و«حاخام» أخوان، وأصل «جهنم» «جي هنوم»، وهو وادٍ خارج بيت المقدس، كان مُلْقًى للقمامات[2]. ومن عِلم هذا، كفكف من عُجبه، وسكَّن من غضبه، وعلم أن التعريب في اللغة قوة كقوة التمثيل في الجسم الحي، تجب العناية بها، ولا يحسن التفريط فيها[3]. أما ما يُخشى من أن يُذْهِب التعريبُ حسن العربية، فإن بعض المعرَّب أجمل من بعض الأصيل، وأرشق، وأحسن وقعا في الآذان، مثل: ورْد، وناي، وياسمين، ولوبيا، وإبريق، ومسك، وألماس، ويَمٍّ، ومشكاة، وأوْج، ولوز، ونرجس، وسُنْدس، ولِجام، وترعة، وميزاب، ودُرِّيٍّ، وبريد، وصنم، وخوخ. فمرادف الورد العربي حَوْجم، ومرادف الناي الزَّمْخَر، ومرادف الياسمين السِّجلاَّط[4]، ومرادف اللوبيا الدُّجر، ومرادف الإبريق التامورة، والخوخ الفِرْسِك، إلخ. ولا جرم أن الكلمات الدخيلة أرقُّ من مرادفاتها العربية الثقيلة، وأن الكلمات الأصيلة أولى من الدخيلة بأن تُظن بها العجمة. ولم تستنكف التركية من الإدخال، وقد أصبحت بسببه تضارع أشهر اللغات الإفرنجية في غزارة المادة[5].

وما بين العربية واللغات السامية ليس في العرب من ينكره، فقد قال ابن حزم: «الذي وقفنا عليه وعلمناه يقينا أن السريانية والعبرانية والعربية التي هي لغة مضر وربيعة، لا لغة حمير، لغة واحدة، تبدلت بتبدل مساكن أهلها...، فمن تدبَّر العربية والعبرانية والسريانية أيقن أن اختلافها إنما هو من نحو ما ذكرنا من تبديل ألفاظ الناس على طول الأزمان، واختلاف البلدان، ومجاورة الأمم، وأنها لغة واحدة في الأصل»[6]. ولكن في علماء العرب من ينكر بعض ما ينسب إلى العربية من الدخيل من اللغات السامية، ومنه أن «جهنم» محولة عن «جي

---

(١) الاشتقاق والتعريب، ٢٦ وما بعدها.

(٢) السابق، ٤١ وما بعدها.

(٣) السابق، ٤٠ وما بعدها.

(٤) السجلاط قال الجواليقي إنها معرَّبة من الرومي، وأصلها فيها سِجِلاَّطُس (المعرب من الكلام الأعجمي، ٢٣٢)، وإذا صح ذلك، فليست بعربية.

(٥) الاشتقاق والتعريب، ٤٣.

(٦) الإحكام في أصول الأحكام، ١/ ٣١ وما بعدها.

هنوم»، وأن «جي هنوم» واد خارج بيت المقدس، كانت تلقى فيه القمامات، فقد تحدث القرآن عن جهنم حديثا دقيقا ومفصلا، يجعلها أكبر من واد، تلقى فيه القمامات خارج بيت المقدس، وورد في الأحاديث أن لها سبعة أبواب، ما بين كل بابين مسيرة خمسمائة سنة. وليس من المتفق عليه أن «جهنم» معرَّبة، وقد يكون من الصحيح أنها عربية، وأنها هي وجهنَّام، بتثليث الجيم والهاء: البئر البعيدة القعر، وبها سميت جهنم، ومن هذا سمي النابغة جهناما، بمعنى أنه بعيد الغور في علمه بالشعر[1]. ومن المعلوم ما وُصفت به جهنم في النصوص الإسلامية من بعد القعر، كما ورد في الحديث: «وإن الحجر الضخم ليلقى في النار من شفيرها، فيهوي فيها سبعين خريفا». ومن كان يؤمن بأن القرآن كلام الله، فينبغي أن ينزِّهه عن السذاجة التي يستلزمها زعْم أن جهنم واد خارج بيت المقدس. ثم إن ما يدعي عبد القادر المغربي من أن السريانية هي أصل العربية هو ما كان يقوله بعض القدماء، فقد كانوا يرون أنها كانت لسان آدم[2] وإبراهيم -عليهما السلام-، كما قال ابن حزم: «السريانية أصل للعربية وللعبرانية معا، والمستفيض أن أول من تكلم بهذه العربية -إسماعيل عليه السلام-، فهي لغة ولده، والعبرانية لغة إسحاق ولغة ولده، والسريانية بلا شك هي لغة إبراهيم -صلى الله عليه وعلى نبينا وسلم- بنقل الاستفاضة الموجبة لصحة العلم»[3].

غير أن «النقل المستفيض» الذي بنى عليه ابن حزم نقْلٌ عن الإسرائيليات، وليس مبنيا على وحي، ولا دراسة علمية، يوثق بمثلها، وهو يخالف ما عليه الدراسات الحديثة، ومنها دراسات أكثر المستشرقين، فإنهم يذهبون إلى أن العربية أقدم صورة كانت عليها اللغات السامية، وأنها «انعزلت في جزيرة العرب، فاحتفظت أكثرَ من غيرها بظواهر سامية قديمة، أما اللغات السامية الأخرى، فقد طرأ عليها من التغير والتطور ما باعد بينها وبين الأصل السامي القديم»[4]. وذهب بعض الباحثين إلى أن اللغات السامية ليست إلا لهجات عربية قديمة. ويرى بعض

---

(١) المعرب من الكلام الأعجمي، ١٥٥.

(٢) الإحكام في أصول الأحكام، ١/ ٣١. اختلف القدامى في لغة آدم -عليه السلام-، فمنهم من يرى أنها العربية، ومنهم من يرى أنها السريانية، ومنهم من يرى أنها العبرانية، والرأي الشائع عند علماء المسلمين أنها السريانية.

(٣) السابق، ١/ ٣٢.

(٤) من أسرار اللغة، ٢١٥.

المعاصرين أن العربية لغة آدم -عليه السلام-، وهو رأي كان يراه بعض علماء المسلمين الأولين أيضا[1]، ويرون أنها أصل اللغات الإنسانية. وقد أُلِّفت في هذا العصر كتب، حاولت إثبات ذلك، منها كتابا علي فهمي خشيم «اللاتينية العربية»، و«سفر الأمازيغ»، وبحوث له أخرى، ومنها دراسات سعيد الشربيني وفريقه في علم اللغة الكوني. وقد أخذ عبد الوهاب عزام على أبي منصور الجواليقي وغيره من قدامى اللغويين «المسارعة إلى دعوى العجمة في ألفاظ، لا يستبين الدليل على عجمتها، وكأنهم حسبوا أن وقوع لفظ في العربية وغيرها، أو مقاربة لفظ عربي للفظ أعجمي في بنيته ومعناه، يكفي في الدلالة على أن العربية نَقَلت من غيرها هذا اللفظ الموافق، أو ذاك اللفظ المشابه، وهذه سبيل يكثر فيها الغلط، ويلتبس على غير المتثبت فيها الصواب والخطأ»[2]. وقال إن علماء العرب ما عرفوا القرابة بين العربية وأخواتها الساميات؛ فعدُّوا كل لفظ عربي معروف في السريانية -مثلا- دخيلا في العربية، ولم يعدوا اللفظين من أصل سامي واحد[3]. وهو ما يبين عنه مذهب عبد القادر المغربي في الكلمات المذكورة آنفا، وفي عدِّه العربية بنت السريانية، وعدِّه الكلمات التي اتفقت فيها العربية والسريانية والعبرانية دخيلة، مع أن توافق اللغات السامية في كلمة لا يعني أن إحداها أخذتها من الأخرى، وإنما يعني أنها من المشترك، وهو كثير، إن فُرِضَ أن العربية ليست أصلها كلها. وقد ذكر الكرملي أن العبريين والآراميين يدَّعون شيئا كالذي يدعي المغربي، ومن يرى رأيه من الأولين: كثيرا ما يقول العبريون والعارفون باللغة الإرمية إن اللفظ من العبرية والإرمية، واللغات السامية تتشابه، ولا تكون الكلمة العربية من العبرية أو الإرمية إلا إذا كانت خاصة بشؤون بني إرم أو بني إسرائيل، أما الألفاظ العامة المشتركة بين الساميين جميعا، فليست لواحدة منها دون الأخرى[4].

والكلمات المعرَّبة التي هي أخف وأعذب وقعا من مرادفاتها الأصيلة، ليست بكثيرة، ويغلب عليها أن تكون ثلاثية أو رباعية، وقد أُدخل عليها من التغيير

(١) المزهر في علوم اللغة وأنواعها، ١/ ٣٠ وما بعدها.
(٢) المعرب من الكلام الأعجمي، (المقدمة)، ٣.
(٣) السابق، ٣ وما بعدها.
(٤) نشوء اللغة العربية ونموها واكتهالها، ٦٧.

ما أخفى أصلها حتى غدت كأنها عربية، وجَعلَ بعضها يوافق كلمات عربية معروفة، ككلمة وَرْد، فإنها موافقة في اللفظ لكلمة ورْد، في قول الله -تعالى-: (فكانت وردة كالدهان)، أي: حمراء، بخلاف الكلمات المدخلة من اللغات الأوربية، فإن أغلبها طويل، وثقيل، وبعيد من أوزان الكلم العربي، ويصر بعض من يدخلونه على إدخاله بلفظه من غير تغيير. وكذلك كان كثير من الدخيل من الفارسية، كأسماء الأطعمة، فإنها غاية في الثقل، ومخالفةِ الأوزان العربية، ويجد المرء صعوبة بالغة في النطق بها، كالفالوذج، والسكباج، والأَسْكُرَّجَة، والخَشْكُنان، والبَرَنْكان، والسِّجلاَّط، والسُّوذنيق، والشَّهدانَج، والصَّبَهْبَذ، والأَبْرَيْسَم، والإهلِيلج، والجِلِنْفَاط، والخُزْرانِق، والخُرديق، إلخ، وفي اليونانية ما هو أثقل من ذلك وأعسر نطقا، ككثير من اصطلاحات المنطق والفلسفة، كما سوف نرى. والأصل في الدخيل من المفردات أن يظل غريبا، أبدا، وتبقى أصواته وأوزانه غير مساوقة لأصوات اللغة التي تُدْخله، وأوزانِها، ولا سيما العربية، ويظل بينه وبين أهل اللغة عدم أنس. وهو أمر عام في اللغات كلها، ومن آثاره في الإنجليزية أن إنجلترة لما استقلت عن النورمانديين عام ١٢٠٠ م، بقيت فيها من اللاتينية آلاف من الكلمات، لها خصائص صوتية، كتعدُّد المقاطع، ووقوع النبر فيها على المقطع الثاني، وتتألف المفردات الأنجليزية الساكسونية المرادفة لها من مقطع واحد، وتوقع المفردات اللاتينية كثيرا من التغير الصوتي، يجعل الصرف والهجاء الإنجليزيين يتسمان بكثير من الشذوذ. ولطول المفردات اللاتينية، وكونها أكثر من المفردات الإنجليزية رسميةً، لاستعمالها في شؤون الحكومة، والكنيسة، ومدارس الفاتحين النورمانديين، أحدثت كثرة استعمالها أسلوبا جافيا، استبشعته الكتب التي تهتم بالأساليب[١].

ويشبه رأيُ قاسم أمين في الدخيل رأيَ يعقوب صروف شبها شديدا، غير أن في الطريقة التي عرضه بها ضعفا، فهو يرى أن الكلمة الأعجمية يكفي أن تَرِدَ إلى العرب، ويعرفوا معناها ليستغنوا بها عن التفكير في كلمة عربية تقابلها[٢]. وشبيه بهذا قول داود سلوم إن أخذ بعض المفردات والأساليب لا مفر منه، ولا

(١) الغريزة اللغوية،٣١٩ وما بعدها.

(٢) مجلة الهلال، مايو ١٩٣٢ (نقلا عن: اللغة العربية بين حماتها وخصومها، ٨٧).

ضير فيه، إذا أريد للعربية أن تحيا، وتستوعب العلوم والفنون، ولا فائدة في تطلب ألفاظ، تحل محل ألفاظ شاعت على كل لسان، وخير للمجمعيين من إضاعة الوقت في تنقية العربية من الدخيل الاشتغال بما هو أجدى وأنفع[1].

كأنَّ ما تفعل الأمم من صون لغاتها والاعتزاز بها، والحرص على نقائها، وما تقيم لذلك من مجامع، وما تنفق عليها من أموال، لا موجب له، ولا طائل منه، والأمر لا يزيد على كلمة توضع مقابل كلمة أشهر منها، وأذيع في الناس، ولا يَعرف ما وراء ذلك، ولا ما يجلب على اللغات من مسخ، فضلا عن أنه لا يعلم أن الكلمة الأعجمية، كالأتومبيل التي مثَّل بها، إذا دخلت العربية ظلت غريبة عنها في بنائها، وقلَّ أن تلتحم بها، وتندمج فيها، وتقبل التصرف والاشتقاق كما تقبلهما الكلمة الأصيلة، وهي -إلى ذلك- توقع اضطرابا في المعجم العربي بإدخال مواد جديدة فيه، يصعب تصنيفها في مواده[2]. وأمر آخر، ليس بدون هذا، هو أن من العسير أن يستوعب العربي معنى الكلمة الدخيلة كما يستوعب معنى الكلمة الأصيلة؛ لأنه لا يعرف مصدرها، ولا مم اشتقت؛ فيظل بينه وبين معناها حجاب، كما نبه على ذلك منصور فهمي: «لا يجوز اللجوء إلى تعريب ألفاظ المعاني -خاصة- إلا بعد اليأس من العثور على ألفاظ عربية، تقابلها في معجماتنا القديمة، وفي كتب الأسلاف العلمية والفلسفية، أو المجاز، أو التضمين، أو النحت؛ وذلك لأن اللفظ العربي له جاذبيته الخاصة عند أبناء العروبة، لأسباب وراثية، ولأنه يثير في نفوسهم معاني وصورا، يعجز اللفظ الأعجمي عن إثارتها»[3]. واللفظ العربي يجنِّب العربي ما في اللفظ المعرَّب من غموض والتباس، فقد اختلفت المجامع اللغوية في تسمية الجزء المعروف من الساعة بالبندول، في الإنجليزية (Panadol)، فاختار مجمع الأردن إدخاله بلفظه الأعجمي، وسماه مجمع العراق الرقاص[4]. فظلَّ اللفظ الأعجمي جامدا، ولا يوحي للعربي معنى، أي معنى، ولا يعرف المراد منه أو يفسَّرَ له، فإن فُسِّر له لم يتبين العلاقة بينه وبين ما استُعمل فيه، كما يتبين العلاقةَ بين

---

(١) الأدب المقارن: في الدراسات المقارنة التطبيقية، ٤١٧.

(٢) علم المصطلح، ٣٤٠.

(٣) المصطلحات العلمية في اللغة العربية، ١٤٠ (هامش).

(٤) تعريب المصطلح بين الواقع والطموح، ٢٥٣.

سائر الألفاظ العربية وما تُستعمَل فيه من المعاني. بخلاف الرقاص، فإن وزنه عربي، ويوحي للعربي معنى ذا علاقة بالمعنى الاصطلاحي[1]، هو كثرة الحركة، والاضطراب، ولو لم يعرف معناه على وجه الدقة؛ لأنه مشتق من «الرقص». وكذلك النوَّاس، وهي التسمية السورية، والخطَّار، وهي التسمية المصرية[2]: تدلُّ كلها على الحركة والاضطراب، والعلاقة بينها وبين ما اصطُنعت له ليست مما يخفى، وإن خفيت على بعض العرب، وشُرحت له أثبتها، ومن اليسير على المرء أن يعود إلى معجم من المعجمات العربية، القديمة والحديثة، فيجد فيها المواد الثلاث التي اشتقت منها الكلمات الثلاث، ليعرف أصلها، وإن لم تكن «الرقاص، والنواس، والخطار» موجودة فيها بلفظها، وكل ما يمكن أن يقال في العلاقة بين «البندول» ومعناه أنه لفظ دخيل، ولا يعرف علاقة الدخيل بمعناه إلا من يعرف اللغة التي أُدخل منها، وقليل ما هم. ولا يفهم العرب من «صاروخ بالستي» (ballistic missile)، و«صاروخ كروز» (cruise missile) إلا أنهما صاروخان من الصواريخ، على كثرة ما يُردَّد اللفظان في وسائل الإعلام صباح مساء، ولو تُرجما بـ «صاروخ مقذوف»، و«صاروخ نفَّاث» لفُهم ما يراد منهما[3]. ولعل هذا أيضا سبب ما كان يذهب إليه أعضاء المجمع العراقي، من أنه لا يصار إلى تعريب أو توليد إلا إذا يُئِس من لفظ عربي معجمي، يؤدي المطلوب، وأن تُسدَّ حاجات العصر بالرجوع إلى ألفاظ الأقدمين، إن وُجدت، وإلا عُمِد إلى الاشتقاق، والمجاز، والاصطلاح[4]. وهذا مما حرَّص المخلصين للعربية والتعريب على تعريب العلوم، والجدِّ في ترجمة كل لفظ أجنبي بلفظ عربي أصيل، وعدم التهاون في أمر الدخيل كما تهاونَ فيه بعض العرب، ولا سيما متأخري المصريين والمغاربة؛ فقد ترجم السوريون «الأيون» -مثلا- بالشاردة، وعربوا الإكترون بالكهرب[5]؛ لأن «الأيون»، و«الإلكترون» مجهولا النسب، ولا يخلص إلى القلب من لفظيهما ما يخلص إليه من «الشاردة»،

---

(١) حركة التعريب في العراق، ١٨٥.

(٢) تعريب المصطلح بين الواقع والطموح، ٢٥٣.

(٣) التعريب والهوية في عصر العولمة، ٥٥ - ٥٧.

(٤) المباحث اللغوية في الالعراق، ٦٨ (نقلا عن: علم المصطلح، ٢٦).

(٥) واقع التعريب من ألفه إلى يائه، ٧٧.

و«الكهرب». وسارع بعضهم إلى التعريب اللفظي، وقال إن البحث في كتب التراث عن مقابل للاصطلاحات الأجنبية مضيعة للوقت؛ فصنعوا معجما آليا، ليس بينه وبين العرب علاقة ثقافية، ولا يفهمون من مضمونه إلا ما يفهمون من المعجمات الأجنبية، ولا يخلص إلى قلوبهم منه ما يخلص إليها من المعجم العربي، وعَدَلُوا عما ورثوا عن سلفهم من مفردات، صحبتهم في رحلة الحياة الطويلة، وعاصرت تخلُّق عقولهم؛ فهي وحدها المهيأة لحمل المعاني إليهم، وإبلاغها قلوبهم.

ولما اقترح الشيخ أحمد الإسكندري -رحمه الله- أسماء عربية، تترجم بها الأوكسجين، والهيدروجين، والنيتروجين، والبوتاسيوم، والكالسيوم، والبلاتين، والصوديوم، والكلور، والفلور، والفوسفور، والسيلسيوم، والكروم، إلخ، فسمى الأوكسجين المُصْدِئ؛ لأن الإصداء أخص صفاته، والهيدروجين المُمِيه؛ لأن معناه مولِّد الماء، والمُسْجِح، أي ذو السَّجاح، وهو من أسماء الهواء، وسمى البوتاسيوم القلاَّء، من القلي، والكالسيوم الكلاَّس؛ لأنه عنصر الكِلْس، أي الجير، وسمى البلاتين النسَّاك، من النسيك، وهو الفضة أو الذهب، وسمى الصوديوم الشَّذَّام، ويعني ملح الطعام؛ لأنه أحد عنصريه[1]، وسمى النتروجين المُخْصِب، والكلور المحوِّر، والفلور المُلْصِف، والفسفور المومِض، والسيليسيوم النقَّاح، والكروم الخضَّاب، حتى بلغ ما سمى منها ثلاثة وثلاثين عنصرا من العناصر التسعين[2] -أهمل المجمعيون ما صنع، وآثروا عليه أسماء أعجمية، وقالوا إن ما وضع من الألفاظ لا يعرفه إلا أمثاله من جهابذة علماء اللغة، فهي عند عالم الكيمياء وطالبها كتلة صوتية لا معنى لها، ولا تختلف عن اللفظ الأجنبي[3]. وهي حجج ضعيفة، فمن غير المتوقع أن يكون عالم الكيمياء وطالبها اللذان درساها بلغة أجنبية عارفين باصطلاحات، لم يسمعاها، ولا رأياها، أما أنها كتلة صوتية، لا تختلف عن الاصطلاحات الأجنبية، فهذا مما يرجحها عليها؛ لأنها عربية، وتلك غير عربية، وتعريب الاصطلاحات هو

(١) التعريب بين القديم والحديث، ٢٠٧.

(٢) المصطلحات العلمية في اللغة العربية، ١٠٢ وما بعدها.

(٣) التعريب في القديم والحديث، ٢٠٩.

غاية المجامع، وليس إقرارَ الاصطلاحات الأعجمية، وإذا كان الطالب لا يعرفها الآن، ولا يألفها، فلسوف يعرفها ويألفها، كما عرف الاصطلاحات الأجنبية وأَلِفَها، بعد أن لم يكن يعرفها ويألفها. والطالب العربي إنما يعرف معنى الاصطلاحات الأعجمية من دراسة العناصر التي تدل عليها، لا من لفظها، وأصلِ اشتقاقها، فلم ينظر فيه يوماً، ولا خطر له أن يفعل؛ لأنها ألفاظ أجنبية، وهو لا يعرف أصول الكلمات الأجنبية ولا اشتقاقها، ولا يعرف اللغة التي أُخذت منها (اللاتينية واليونانية)، ولا يعرف كيف رُكِّبت ألفاظها، ولا العلاقة بينها وبين تسميتها، كما يعرف العلاقة بين لفظي «المركب» و«الخليط» -مثلاً- ومعناهما، ولا يعلم أن «أوكسجين» منحوتة من كلمتين، معناهما مكون الصدأ، وأن جزءها الأول (oxy) مأخوذ من oxyde، أي: الصدأ، وجزءها الثاني (gène) من genèse، أي: التكوين، وأن oxygène كلمتان لا كلمة واحدة[1]. ولو سُمِّيت هذه العناصر بأسماء عربية، لعُلِم من تسميتها ما يُجهل، وتساوَى في العلم بها المتعلم وغير المتعلم، كما يتساويان في العلم بدلالة الكلم العربي، وفهم من أسمائها العربية أنها تصدئ، وتولِّد الماء، وتقلي، إلخ. وإنما يُعلَّم الطالب خصائص العناصر التي تسمَّى بهذه الأسماء الأعجمية، ولا يعرَّف ماهيتها، ولا العلاقة بين ما علم من خصائصها وأسمائها، ولكنه يعرف معاني الاصطلاحات العربية من معرفة الأصل الذي اشتُقَّت منه، وهو بيِّن في التسميات التي اقترح لها الشيخ أحمد الإسكندري، كالمُميه، والمُصْدِئ، فلا خفاء بأنهما مشتقان من الماء والصدأ، وأنهما اسما فاعل من «أماه»، و«أصدأ»، ومقتضى ذلك أنهما يحدثان الماء والصدأ، ومن جهل ذلك، أو خفي عليه، كان من اليسير تنبيهه عليه، وإفهامه إياه، لجريانه على سنن العربية التي يعرفها بالسليقة. وفي التسمية العربية من المزايا ما يحرص عليه كل من يحرص على توطين العلم وتأصيله، وهتْك الحُجُب بينه وبين عقول العرب. ومن غير الممكن أن يدرس الطالب هذه العناصر بأسمائها العربية ثم يظل مع ذلك لا يعرفها، وإنما يعرفها إذا سميت بأسماء أعجمية، مع أنه لا يعرف العلاقة بينها وبين أسمائها الأعجمية! ومن مزايا هذه التسمية أنه سمى كل عنصر بكلمة واحدة، وأسماؤها الأعجمية

---

(١) العربية لغة العلوم والتقنية، ٢٢٧.

منحوتة أو مركبة من لفظين، واللفظ المفرد مفضل في الاصطلاح على اللفظ المركب، والقصير مفضل على الطويل. ومن المعلوم أن العلاقة بين اللفظ والمعنى علاقة اعتباطية، فلو تواضع الناس على أن يسموا الأوكسجين جبلا، والهيدروجين قمرا، ما كان لـ«الجبل» و«القمر» معنى غير معنى «الأوكسجين» و«الهيدروجين». وليس في اللفظ الأعجمي ما يجعله أولى من اللفظ العربي بالاصطناع في الدلالة على المفهومات، إلا العجز عن العثور بالبديل، فإن أمكن العثور به لم يكن لاصطناعه مسوغ. هذا إلى أن للفظ العربي أصلا في المعجمات العربية، يعين على معرفة تاريخه، والعلاقة بين معناه اللغوي ومعناه الاصطلاحي، وهذا مما ييسر فقهه فقها لا يتأتى من اللفظ المعرَّب؛ فإن المعرفة به لا تتجاوز المعرفة الظاهرية، ويبقى فيه أبدا جانب مجهول، يحول دون خلوص معناه إلى القلب، كما تخلُص إليه معاني الألفاظ العربية الأصيلة؛ من أجل ذلك يظل التصرف فيه تصرفا ناقصا؛ لأن مِلْكَه مِلْك ناقص. وقلْ مثلَ ذلك في الكثير الكثير من الدخيل الثقيل الوخيم، الذي ملأ العربية الحديثة، كالبيداغوجيا، والسيكولوجيا، والبسيكولوجيا، والأنطولوجيا، والسسيولوجيا، والإبستمولوجيا، والفينومينولوجيا، والدماغوجيا، والتكنولوجيا، والاستراتيجيا، والطوبولوجيا، والتليماتيك، والترنسندنتالية، والديداكتيك، والأكوستيك، والدياكرون، والميكروسكوب، والنوستاليجي، والإيتيقيا، والسيميوطيقا، وهيرمينوطيقا، والأستاتيك، والسمانتيك، إلخ.

ويرى مارون غصن، عضو المجمع العلمي بدمشق، أن الألفاظ الدخيلة تغني عن العربية، وتخدم طلاب العلوم والفنون؛ لأنها شائعة في اللغات الأوربية التي يقرأ أبناء العرب كتبها، ومصلحة العرب تقتضي السير في الطريق التي هي أقرب، وإذا جُعلت للمسميات الحديثة أسماء عربية، اضْطُرَّ الطلاب إلى استظهار آلاف الألفاظ الجديدة، وذلك يؤودهم. والتكثر من الدخيل يمكِّن العربية من مجاراة اللغات الحية، ولا يكلِّف وقتا ولا مالا، ومن غير الصواب عده مفسدا للعربية[1].

ولا يختلف رأي أحمد لطفي السيد، رئيس مجمع اللغة العربية بالقاهرة،

---

(١) الألفاظ الدخيلة في اللغة وحاجتنا إليها، ٢٨١.

كثيرا عن رأي يعقوب صروف، غير أن في الطريقة التي عرضه بها سذاجة غير معهودة في معالجة قضايا العلم الجادة، وفيها ما يدل على تقطع الأسباب بينه وبين العربية، كقوله: ما ذنب الأوتوموبيل، والبسكليت، والجاكتة، والبنطلون، والجزمة، والمودة؛ فتهجر إلى غيرها من الألفاظ التي نحاول انتحالها، مع التكلف، لنعبِّر بها عن هذه المسميات؟ إن هذه الأسماء الأعجمية وأمثالها قد دخلت لغتنا دخولا تاما، واستُعملت استعمالا شائعا، فلا نستطيع أن نضع لها ولغيرها من المسميات الجديدة أسماء جديدة، لا يعتدُّ بها أحد، ولا يستعملها أحد إلا بعض الكتاب»[1]. وهو يوافق ما كان سلامة موسى يذهب إليه من إيثار البسكليت على الدراجة[2]. وما ينبغي أن يُجعَل رأيه ورأي أحمد لطفي بمعزل عن دعوتهما إلى العامية، ورأيهما في العربية، فقد كان سلامة يذهب إلى أن المصريين ورثوها من بدو الجاهلية في عصر الناقة، ويراد لهم أن يستعملوها في عصر الطائرة[3]، وأنها هي التي تحول بين المصريين والرقي. وليس رأيه هذا بأكثر من ترداد لقول ويلكوكس: إن السبب الأكبر في فقْد المصريين قوة الاختراع استعمالهم العربية الفصحى في القراءة والكتابة. ومَنْ كان يرى التخلص من العربية كلها لم يكن لإيثاره الأعجمي من الكلم على العربي معنى إلا أنه يريد التخلص من الجزء؛ لأنه وسيلة إلى التخلص من الكل. ولا يخفى ما بين أحمد لطفي السيد وشارل ديغول: يعدُّ شارل ديغول بقاء الكلمة من الألمانية في الفرنسية دليلا على عدم تحرر فرنسة من ألمانية، ويعده أحمد لطفي السيد أمرا لا بد منه، وليس في الوسع غيره، إلا أن يكون كلمات متكلفة، لا يَعتدُّ بها أحد، ولا يستعملها إلا بعض الكتاب! كما لا يخفى أيضا أن منطقه ليس هو المنطق الذي ينبغي أن يتكلم به رئيس مجمع عربي، مهمته صون العربية وترقيتها، ولا المنطق الذي ينبغي أن يتكلم به مثقف من مثقفي العرب، في الوقت الذي كتب فيه أحمد لطفي مقالته تلك، فقد كانت رماح الاستعمار تتناوش العرب، وتعتورهم سيوفه، وقد جاءهم من فوقهم، ومن أسفل منهم،

---

(١) تاريخ الدعوة إلى العامية، ١٢٥

(٢) اللغة الفصحى واللغة العامية، مجلة الهلال، السنة ٣٤، ج ١٠، ١٠٧٧ (نقلا عن: اللغة العربية في القرن الحادي والعشرين، ١٥٧).

(٣) لتحيا اللغة العربية، ١٤٠.

وأخذ عليهم كل سبيل، وما ترك شيئا من حياتهم وتاريخهم إلا نبشه، فاستخرج منه سهما، يرميهم به، وما يقتضيه وعي المثقف والعالم يومئذ أن يغلِّب الحكمة والتعقل، وتطلُّب ما يَجمع على دفع غائلة الاستعمار أولُ، ثم يفكر هو وغيره في جو من الحرية والاستقلال والقوة، يمكن أن يفكَّر في مثله تفكيرا علميا، ينتهي إلى نتيجة تبين الطريق التي ينبغي أن تُسلك. أما مناقشة هذه القضية وقضية العامية، وكتابة العربية بالحروف اللاتينية، وعدم صلاحية العربية للحياة، إلخ، في هذا الوقت، فلا تفيد العرب، وإنما تعين على البلبلة والاضطراب، وقلب الحقائق، وتمزيق الشمل، والمخالفة بين القلوب، وهو ما أراد الاستعمار، إذ أوعز إلى من عرض لهذه القضايا أن يعرض لها، كما أغراه بتقلُّدها. أما من الناحية العلمية، فشيوع ما شاع من الدخيل ليس بضربة لازب، ويمكن أن يندثر ويشيع غيره، إن كان خيرا منه وأكثر موافقة للحياة، كما اندثرت «أوتوموبيل»، فلا تستعمل، ولا يكاد يعرفها أح من العرب، وحلَّت محلها «السيارة»، بعد أن كان من يذهبون في الدخيل مذهب الجبر يعتقدون أن دخولها دخول لا خروج بعده، وحلَّت «الدرَّاجة» محل «البسكليت»، فلا يكاد يُستعمل غيرها، وتكاد «البسكليت» تندثر كما اندثرت «الأوتوموبيل».

وما يليق بعضو مجمع لغوي غيور وجادٍّ هو أن يفكر فيما يشاع به اللفظ العربي، ويُحلَّ محل اللفظ الأجنبي، أما الاستهانة به، والاستمساك بغيره، فما يساوق مهمة أعضاء المجامع العلمية التي إنما أقيمت لصون العربية والحفاظ عليها وترقيتها. وكان أحمد لطفي السيد يرى أن العربية ليست أهلا لأن يضاع في تعلمها وقت طويل: لدينا لإحياء العربية، وجعلها لغة العامة، ينطقونها صحيحة معربة كما كان يفعل آباؤنا الأولون عقبات، لا يسهل اجتيازها، فلو حاولنا التمسك بالكمال، والتزمنا في إحيائها هذا التحرج المتعب، وقسَّمنا جهدنا، فجعلنا بعضه لإصلاح بناء الكلمات التي فسد بناؤها في لسان العامة، وبعضه لإصلاح الأسلوب العربي، وبعضه لتعليم الإعراب وضبط أواخر الكلم، لأضعنا جهدنا في غير طائل، وأضعنا الوقت في الاشتغال باللغة عن العلوم والمعارف. يكفينا أن نستمسك بشخصية لغتنا، ونحافظ على الموجود منها في الاستعمال اليومي، ونحيي قواعد الإعراب، ثم نقتصر على ذلك، ولا

نزيد عليه آلاف الأسماء التي لن تعرفها العامة إلا بعد أجيال. ولا بأس على لغتنا من قبول الأسماء الأجنبية وإدخالها فيها، فتفنى فيها وتتطور بتطورها كما وقع ذلك في عزِّ رقيها[1]. وفحوى هذا أنه غير مقتنع بالتعريب، ولا حريص على تنقية العربية من الدخيل، وأن اللفظ العربي واللفظ الدخيل سيان عنده: نرفع النصيحة لرفاقنا الكتَّاب أن يتسامحوا في قبول المسميات الأجنبية ويستعملوها في الكتابة كما يستعملها الجمهور في الحديث، كما أُسدي النصيحة إلى المترجمين في العلوم المختلفة، ولا سيما الطبيعيات والرياضيات، ألا يقفوا أمام الأسماء الرئيسة للعلوم الجديدة، فإن من العلوم ما لم يوضع إلا منذ عشر سنين، فإذا جاءهم في تراكيب الآلات المختلفة عضو من أعضائها، فليبحثوا عنه عند أهل الصناعة من المصريين، فإن كان له اسم عندهم، وضعوه كما هو، وإلا نحتوا له اسما من وظيفته، من غير أن يتوقفوا كثيرا[2]. كما لا يخفى روح العجز والكسل والتسليم للواقع الذي يتملك أحمد لطفي السيد، وهو كسل وعجز لا يخالطان شعبا أو شخصا إلا عاش أبد الدهر بين الحفر. ولعل هذا كان من أسباب عدم رضا ملك مصر عن مجمع القاهرة، يوم كان أحمد لطفي السيد رئيسه، وإعجابه بمجمع دمشق، يوم كان محمد كرد علي رئيسه، كما يبدو من قول محمد كرد علي: مَلِكُ مصر كلما تشرفت بالسلام عليه، قال لي ولبعض رفاقي الأجانب: إن مجمع دمشق يعمل أكثر من مجمع مصر، وكلما سمع ذلك أحمد لطفي السيد امتعض واغتاظ غيظ الأسير على القدِّ[3]. وهو يدل على أنه كان مطلعا على أعمال مجمع دمشق، وأعمال مجمع القاهرة، وكان، إن كان يعني الملك فؤادا، بلا نزاع، من أجلِّ ملوك المسلمين وأقواهم عزيمة وحبا لجمع كلمة العروبة، والرغبة الصادقة في الدفاع عن الحضارة الإسلامية، مع الذكاء المفرط، والثقافة الواسعة[4]. وما كان لأحمد لطفي السيد أن يغتاظ، فقد كان لا يرى التعريب، ويرى أخْذ الدخيل من غير تردد، ويرغب إلى الكتاب ألا يتعنَّوا في التعريب، وأن يأخذوا ما يجدون من اللفظ الأعجمي، وهو أمر يجعل

---

(١) تاريخ الدعوة إلى العامية، ١٢٧.
(٢) السابق، ١٢٨.
(٣) المذكرات، ٢/ ٦٢٣.
(٤) العربية والحداثة، ٦٥

المجمع مؤسسة، ليس لنشأتها وبقائها معنى، أيُّ معنى، فكيف يرضى عنه مَن أراده حارسا للعربية، ومهيئا لها لأن تستوعب العلوم، وكيف لا يثني على مجمع دمشق وكان في تلك الأيام بخلاف مجمع أحمد لطفي؟

وكان رأي أحمد لطفي، أو قريب منه، مذهبَ طائفة من أعضاء مجمع القاهرة، وهو المذهب الذي انتهى إليه المجمع في وضع اصطلاحات العلوم الطبيعية، وترى هذه الطائفة أن «حق الوضع حق مطلق، لا يتخصص بأحد، ولا يتعلق بظرف، يملكه الفرد والجماعة، وتملكه الخاصة والعامة، فالعلماء يضعون اصطلاحات العلوم، والرياضيون يضعون اصطلاحات الرياضة، والأطباء يضعون اصطلاحات الطب، والفقهاء يضعون اصطلاحات الفقه، كما أن الصناع يضعون لغة المصنع والورشة، والزرَّاع يضعون لغة الحقل والحظيرة، والتجار يضعون لغة الدكان والسوق، ومجمعكم الموقر يشارك هؤلاء وأولئك في الوضع والتعريب، ويختص دونهم جميعا بالتسجيل والتصديق، فأيما كلمة توضع لا تدخل في اللغة قبل أن يسمها بميسمه، ويدخلها في معجمه، وبدون ذلك نقع فيما وقع الأولون فيه من تعدد الوضع في المرتجل، واختلاف الصيغ في المشتق»[1]، وإذا أتيح أن يكون لنا مجمع لغوي، ينظر في الكلمات الدخيلة الأعجمية ويدونها، كان عليه أن يرسل إلى عُمَّال سكة الحديد ومديري أعمالها مَن يسألهم عن اسم كل أداة وآلة، وما يتعلق بالسكك وسيرها وخطوطها وسائر شؤونها، ثم يُدوَّن ذلك ويُثبَت في كتب اللغة كما قد أُثبت سائر كلماتها العربية والمعرَّبة المنقولة عن العرب، وكذلك يُفعَل بسائر أصحاب المهن والصناعات، فهذا هو الذي يقي تعدد الأسماء واضطراب أمر اللغة، فالإخفاقَ، فالتعريبُ من عمل عامة العرب، وذوي الصنائع منهم، وليس من عمل خاصتهم وذوي الشأن والنباهة منهم[2]. وهو خلاف ما يرى بعض المجمعيين من أن اللغة، إذا كانت تتقرر باستعمال العامة أكثر من وضع الخاصة، فإن الاصطلاحات العلمية بعكسها[3]. وكان بعضهم يؤيد وضع النحو على الخطأ الشائع، أو ما

---

(١) الوضع اللغوي وهل للمحدثين حق فيه، ١١٦.

(٢) الاشتقاق والتعريب، ٤٦.

(٣) حركة التعريب في العراق، ١٥٦.

يسمى بالقياس الخطأ[1]. ويرى أن صحة اللغة تُستَمَدُّ من الاستعمال الشائع الذي يمكن أن يؤخذ من الخطأ المشهور، وأن اللغة لا تُفْرَض فرضا، ومناط الصواب فيها الشيوع، «فمتى ساغت الكلمة في الأفواه، فقد ظفرت بحجتها في الاعتداد بها، وأصبح لها في الحياة حق معلوم»[2]. وعلى هذا ينبغي أن يُسجِّل المجمع ما يشيع في الاستعمال، ولا يُلزِم الناسَ شيئا[3]. وقال إبراهيم مدكور، في كلمة، ألقاها نيابة عن الأعضاء المسمَّين بالمجمع عام ١٩٤٦ م: «إن اللغات في حركة مستمرة، فمن العبث أن نعترضها ونقف في طريقها، أو أن نفرض عليها قوالب جامدة، لا تلبث أن تخرج عليها. وإن الصورة المثالية القديمة التي كانت تُفرَض للغات لا يُقِرُّها العلم المعاصر، ولا يقول بها، فقد أصبح يدعو إلى مثالية أخرى عملية ونافعة، فاللغة المثالية هي التي تصدر عن روح العصر، وتتمشى مع حاجاته ومطالبه، على أخصر صورة، وأوضح مظهر، ذلك أنَّا في جيل، ينشد الاقتصاد والسرعة في كل شيء، وينفر من تلك الألفاظ والعبارات التي تعوق تفكيرنا وحركتنا، هذا إلى أننا نتعشق الوضوح الذي تمليه الديموقراطية، وتقضي به الحياة الحرة الصريحة»[4]. وإذا كانت مهمة المجمع لا تزيد على أن يسجل مفردات اللغة كما تستعملها العامة، وأن يَمْنعَ «ما وقع الأولون فيه من تعدد الوضع في المرتجل، واختلاف الصيغ في المشتقِّ»، مع وسْمها بميسمه الذي يبدو أنه باردٌ، إذا كانت هذه مهمته وسياسته، وهذا رأيه في اللغة، فلن يكون أكثر من آلة، تلتقط صور الأشياء، وليس لها عمل وراء ذلك، وليست له سياسة لغوية، ولا يهمه التخطيط للغة، ولا توجيهها، كما تفعل المجامع اللغوية في كثير من دول العالم، وإنما يكل أمرها إلى عامة الناس، ومن لا علم له بها من «الخاصة»، ثم يسجل ما يسمع منهم، على ما يكون منه، دخيلا كان، أو فصيحا، أو عاميا. وهذا مناف لما نصَّ عليه ميثاقه، وهو إلى ذلك يغفل عن خصوصية العربية: أنها وعاء الدين الذي يأبى كلُّ من يدين به أن يحول بينه وبين فهمه وقراءة كتابه حائل، ويحرص على أن تظل الصلة

(١) انظر: أعمال مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ١٨٤.
(٢) مشكلات اللغة العربية، ٢٥ وما بعدها.
(٣) أعمال مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ١٧٨.
(٤) مجلة مجمع اللغة العربية الملكي، ٧/ ١٥.

بينه وبين العربية التي نزل بها قوية، حتى يظل ما بينه وبين القرآن عامرا، وأنها وسيلة اتصال بين أقطار الوطن العربي، وإذا وُكِل أمرها إلى العامة، والتطور التلقائي، كان حتما أن يستقل كل قطر بلغة. وإذا تُرِك أمرها إلى أهل كل صنعة وتخصص، نتج من ذلك اصطلاحات كثيرة متباينة في الأقطار العربية، بل متباينة في القطر الواحد، بل ربما في المدينة الواحدة، فقد ذكر محمود تيمور، وهو من أصحاب هذا الرأي، أنه رأى فندقين بالقاهرة متقاربين في شارع واحد، اسم أحدهما «فندق»، واسم الآخر «لوكانده»، ورأى صيدلية في حي من أحياء القاهرة، عَلَّقت على واجهتها لوحين كبيرين، كُتب على أحدهما «أكزا خانة»[1]، وعلى الآخر «صيدلية»، وليس وراء هذا دلالة على فورة التنازع بين إجراء اللفظ الدخيل الشائع، واستعمال الفصيح، وإن لم يبلغ من الشيوع ما بلغ الدخيل[2]. هذا إلى أن العامة تختار من الألفاظ ما طرق سمعها بادي الرأي، وتحفظه ولا تحفظ غيره، ويصعب إكراهها على استعمال لفظ بعينه، إذا رأت في مألوفها ما يجزئ عنه[3]، وتؤثر الأسماء العتيدة للمخترعات المستوردة، ولا تتخير ولا تخطط، وليس لها من الوعي ما يحول بينها وبين استعمال الدخيل كما لم يَحُلْ علم كثير من العلماء والمثقفين ووعيهم بينهم وبين استعماله والدفاع عنه، والدعوة إلى التوسع فيه، وعده هو لغة العلم التي لا يجوز أن تُعترض سبيلها، أو يفكَّر في تنكُّبها. وإذا استعملت العامة لفظا، لم تتخلَّ عنه، وإن اختار المجمع غيره؛ لأنها لا تعرف المجمع؛ فتتقيد بقراراته، ولا تعرف معجمه، ولا اعتداد لها بغير ما عهدت في حياتها. وإذا اختلف عمال مدينتين في تسمية آلة من الآلات، واختار المجمع إحداهما، فلن يتنازل من اختيرت تسمية غيره عما تعود، وإذا غيَّر المجمع في صيغة من الصيغ التي وضعها العامة، ووسمها بميسمه، وأدخلها في معجمه، ففعْله لا يلزم إلا نفسه ومن يتقيد بقراراته، ولن يحمل العامة على العدول عما ألفت، كما لم يحمل عليه أكثر الخاصة. وإذا صحَّ ذلك كان كل ما قد رأينا من الكلام لغوا، نَمَّقه من لا علم له

---

(١) كلمة تركية، معناها الصيدلية.

(٢) مشكلات اللغة العربية، ٣٢ وما بعدها.

(٣) المذكرات، ٤/ ١٠٩٨.

بالطرائق التي تساس بها اللغات ويُطَبُّ لها وتوجَّه، وإن انتحل من العلمية ما لا يخفى. وبعض ما يدخله العامة من الكلام الأعجمي كثيرا ما يكون مضحكا في نطقه، بعيدا من أوزان العربية وأصواتها، وللقارئ أن يعلم أن «تويوتا» -مثلا- تُنطَق في بعض اللهجات السعودية تايوتا، وتنطق في بعض نواحي مصر تِويتَّا، وتنطق في موريتانية تْوَيَّتَّا، هذا إلى أن كل قطر ستُدخِل عامَّتُه من اللغة التي كان أهلها يستعمرونه كما تدخل منها خاصته، فأهل المغرب العربي يدخلون من الفرنسية، ويدخل أهل المشرق من الإنجليزية، ولن يدع هؤلاء لأولئك، ولا أولئك لهؤلاء ما أدخلوا، فخفَّ عليهم، وتعودوه، وهذا أدعى إلى سرعة إفناء العربية، وإحلال الفرنسية محلها في المغرب العربي، والإنجليزيةِ في المشرق، وسيتضاعف المعجم العربي، فيغدو لكل مفهوم كلمتان دخيلتان، كما يسمى الحاسوب في المشرق كمبيوترا، والجوال موبايلا، ويسميان في المغرب أوردناتورا (ordinateur)، وبورتابلا (portable)، إلخ، وإذا زيد في هذا ما يقترحه بعض المجمعيين وغيرهم من اللغويين من مسميات عربية، صار المعجم العربي سخيفا، فالجوال -مثلا- يسمَّى الموبايل، والبورتابل، والنقَّال، والمتنقِّل، والخلوي، والخليوي، والمحمول، ويسمى الحاسوب أوردناتورا، وكمبيوترا، وحاسبا، وحيسوبا، وعقلا إلكترونيا، وحاسبا آليا، وحاسبة، ونظَّامة، ورتَّابة[1]، إلخ. ولنا -بعدُ- أن نوازن بين ما قد رأينا من ترجمة الصين ما يدخل أرضها من أسماء السلع والعلامات التجارية وكتابة بياناتها بلغتها، وما تفعل مجامع اللغة العربية في الوطن العربي، وما يدعو إليه بعض رؤسائها!.

وبعض المتخصصين في العلوم الطبيعية والإنسانية ليسوا أصدقاء للتعريب، ويندر فيهم مَنْ له علم بالعربية، أو عناية بها، ولو يسيرة، وإذا فُوِّض إليهم تعريب العلوم، لم يترددوا في أخذ المفردات الأعجمية بلفظها؛ لأنهم ما عهدوا أن يحملوا أنفسهم على تعلم ما لا يعلمون، وجلهم قليلو الوعي، قليلو الاكتراث بما لا يصيبون به نفعا؛ وفيهم من لا يقيم وزنا للعربية. وإذا كانت حال أساتيذ العربية، وأعضاء المجامع العلمية، بما قد رأينا من تولي الدخيل، والدفاع عنه، وعدِّه مما لا مندوحة عنه، ولا ضير منه، فما يكون لأحد أن يؤمل أن يكون

---

(١) اللسانيات واللغة العربية، ١٩٣

غيرهم خيرا منهم، وهو يعلم مبلغ علمهم بالعربية، وأنهم يعفون أنفسهم من تعلم الحد الأدنى منها، والتزامه في الكلام، ويرون أن العربية ليست سوى علم من العلوم التي لا تعني إلا المخصين فيها، ولا يستنكفون من التكلم بالعامية في مقام من المقامات التي لا تليق فيها العامية بأحد، كالمحاضرات، والأحاديث العامة والخاصة، ولا يرون فضلا في العلم بالعربية، ولا منقصة في الجهل بها، ولا يستنكفون من الإعلان بالجهل بها، إعلانا يشبه أن يكون فخرا ومباهاة، كما يباهون بإخصاصهم في غيرها، ومعرفتهم بما يعرفون من الإنجليزية والفرنسية.

سمعت مرة مغربية، تتحدث عن حقوق الإنسان، في إحدى القنوات الفضائية، وقد حفظْتُ من كلامها هذه العبارة التي كانت تجد صعوبة بالغة في نطقها: «حْنا نْقدْروشْ نْغَمْظُ عْنِينا» (لا يمكننا أن نُغْمِضَ أعيننا)، وكان عجبي شديدا من أن تكون مثقفة، ومدافعة عن حقوق الإنسان، وهي ترضى أن تكون هذه العبارة وما شاكلها أقصى ما تقدر عليه من لغتها، وأن ترضى أن تكون مما تتكلم به في قناة فضائية، يشاهدها العالم أجمع، ولو أتيح لها أن تتكلم بالفرنسية لاجتهدت في أن تدلل لسامعيها على أنها بارعة فيها، ولتكلفت ما في وسعها وما ليس فيه من إخراج الحروف وتنغيمها كما يخرجها الفرنسيون وينغمونها. وهذا نقيض ما كان عليه النابهون من العرب الأوائل، فقد كانوا يجتنبون اللحن فيما يكتبون ويقرؤون كما يجتنبون بعض الذنوب[1]، ومن لحن منهم سهوًا عاده من الهم والغم أمر عظيم. روى الزبير بن بكار أن أبا بكر بن عبد الله بن مصعب بن ثابت بن عبد الله بن الزبير -رضي الله عنهم- أصبح يوما خاثرا (غيرَ نشيط)، فغمَّ ذلك أصحابه، فلما سألوه عما به، قال: «إني سهوت أمس، فأخللت بكلمة لحنت فيها، فما نمت البارحة غمًّا بها، فلذلك ما رأيتم من خثوري»[2]، ولهم في ذم اللحن وتنقُّص من يأتيه أقوال مشهورة معلومة، كقول عبد الملك: «اللحن في الكلام أقبح من التفتيق في الثوب النفيس»[3]، وقول مسلمة بن عبد الملك: «اللحن في الكلام أقبح من الجدري في الوجه»[4]. وكان عبد الملك يقول

(١) الصاحبي في فقه اللغة، ٣٥.
(٢) جمهرة نسب قريش، ١/ ١٨٥
(٣) عيون الأخبار، ٢/ ١٥٨.
(٤) السابق، ٢/ ١٥٨.

متحسرا على ما يقع فيه ابنه الوليد من اللحن: «أضرَّ الوليدَ حبُّنا؛ فلم نوجهه إلى البادية! وكان الوليد وأخوه محمد لحانين»[١]. وما كان ليقارف التكلم بالعامية على الوجه الذي يفعل مثقفو العرب اليوم من يأنف من اللحن هذا الأنف كله.

ورأي أحمد لطفي هذا، وإن كان أصله ما ذهب إليه يعقوب صروف، من وكْل وضع الاصطلاحات إلى أهل الاختصاص، يختلف عنه كثيرا، فقد كان يعقوب يرى أن لا بد من الاستعانة بعلماء اللغة الذين يحفظون متونها، ويسهل عليهم استحضار ألفاظها، دون أن يُستغنَى بهم عن العلماء المخصين، وهو رأي لا خلاف فيه، ولا غبار عليه. وقد نبَّه الشاذلي القليبي على أن مأتى ما في ترجمة «Privatisation /privatization» بالخصخصة والخوصصة، من مجانبة الذوق، من أن أهل الاختصاص في الاقتصاد لا يرون -حين يبحثون عن اصطلاحات جديدة- فائدة في الاستنارة برأى المخصين في العربية؛ فيقعون في مثل هذه الألفاظ الهجين[٢].

ولعلَّ الذين يرون أن توكل الاصطلاحات إلى المخصين في العلوم دون علماء العربية يحسبون أنهم يقتدون بالمجمع الفرنسي، والمجمع الفرنسي إنما ينظر فيما هو مستعمل من الاصطلاحات عند أهل الاختصاص، فإذا كثر واستقرَّ على معنى بعينه أقرَّه، ولا ينظر في المفهومات الجديدة، ولا يُعنى بتسميتها، وإنما يسميها العلماء المختصون، والهيئات العلمية، وهم يخضعون لقواعد التوليد في الفرنسية، وهي سنن متبعة فيها وفي سائر اللغات الأوربية؛ لأنها لغات إلصاقية، وكل ما يفعل العلماء أن يزيدوا في الكلمة التي يراد أن يُسمَّى بها مفهوم جديد سابقة أو لاحقة أو حشوا، بخلاف العربية الاشتقاقية؛ فلا بد أن يكون واضع الاصطلاح فيها عالما بالعربية؛ لكي يتأتى له أن يشتق اشتقاقا صحيحا، ولا بد أن يعرف منها ما يهديه إلى تخير اللفظ الصحيح. والعالم الثالث، ومنه البلدان العربية، ناقل عن مخترعين، وقلما يرفض تسميتهم؛ من أجل ذلك كان لزاما أن تكون له مجامع ومنظمات هي التي تسمِّي ما يجدُّ من المفهومات. والمجمع الفرنسي -مع ذلك- لا يدخل في معجمه إلا ما كان سليم الأصل من الفرنسية،

---

(١) تاريخ آداب العرب، ١/ ٢٤٠ وما بعدها، غرر الخصاص الواضحة وعرر النقائص الفاضحة، ٢٢٢.
(٢) بعض الإشكاليات المتعلقة بلغتنا العربية، ١٢١.

موافقا للذوق والأساليب الفرنسية، وكان لا يبالي الدخيل، فلما كثر ما دخل الفرنسية من الإنجليزية منه منعه[١]؛ لأنه خشي عليها منه. ولما عجزت الفرنسية عن مقاومة الإنجليزية، كثرت الجمعيات اللغوية في فرنسة كثرة مفرطة، في العقود الأخيرة، لتتولى وضع الاصطلاحات، وتتصدَّى لصدِّ الغزو الإنجليزي، بعد أن صار المجمع الفرنسي منظمة تشريفيه، ليس لها من الأمر شيء[٢].

لقد أريد للمجامع اللغوية أن تكون مؤسسات تشريعية، تدير شأن العربية، وتتولى التخطيط لها، وتسعى في ترقيتها والحفاظ عليها، وتقوم مقام الذين كانوا يتكلمون العربية بالسليقة، في العلم بها، لكنَّ آراء بعض أعضائها ينم على أنهم يريدونها لغير ذلك، كما يدل حرصهم على الجديد، كائنا ما كان، على فهمٍ، لا يُطَمْئِن، ومذهبٍ، لا يدل على أنهم يسعون في صون اللغة، كما يدل على ضعف الوعي ضعفًا يحمل على الشك في أهلية بعضهم لما رشِّحوا له. لقد أَلَّفت ألمانية وسويسرة والنمسة مرة لجنةً لتجديد الألمانية، فقامت قيامة مؤلفي ألمانية ومفكريها، وأهل الفن فيها، وشنوا حربا على ما اقترحت من اصطلاحات، وقالوا إن من تعلَّمها احتاج إلى ترجمة تراث نيتشه، وهيغل، وغوته، وتوماس مان[٣]: يخشون أن يحال بينهم وبين تراثهم، ولا يخشى بعض مجمعيي العرب أن يحال بين العرب والقرآن، وتراث خمسة عشر قرنا، هي كل ما بقي من الروابط الثقافية بين العرب! وينثرون في وجه من يرى الحفاظ عليها من التبدل ما يسمونه قوانين التطور اللغوي، وهي -عندهم- قوانين حتمية، وتلقائية، ومطردة النتائج، ومحققة الآثار، ولا تقل في ثباتها وصرامتها واطرادها عن النواميس الطبيعية، وإن كان فيها من ضابط للتغيير، فالاستعمال وحده، ولا يد لأحد بوقفها، ولا قِبَلَ له بمعاكستها، ولا بتغيير ما تؤدي إليه، ولا بتوجيهها وجهة غير التي رسمتها سنن التطور الطبيعي، ويدينون بأنه «إذا شاع اللفظ، فلا مردّ له». وهذه القوانين الحتمية هي التي غلَّبت «تليفون» على «هاتف»، وأقرَّت «الإذاعة» دون «الراديو». وعلى هذا المذهب بنى بعض اللغويين شعارا، كان

---

(١) التخطيط اللغوي والسياسة اللغوية في فرنسة: دراسة حالة، ١٥٤.

(٢) تأثير الإعلام المسموع في اللغة وكيفية استثماره لصالح العربية.

(٣) العرب والانتحار اللغوي، ٥٣.

شائعا في أمريكة في إبان سيطرة المنهج البنوي، هو: دع لغتك تسير حيث شاء الاتفاق، واللغات كلها خير وبركة، ومن سنن الله أن يقتبس بعضها من بعض، إلى غير ذلك من الحجج التي أُخذ أكثرها عن الوصفيين[1]. ولا تهمهم الحرب الشعواء التي تشن على العرب والعربية، وإنما يعينون من يشنها، باسم العلم، ويأبون أن يُخلّوا بين العربية وما يعتقدون من «حتمية التغير» التي لم تنل منها خمسة عشر قرنا، فإن غَلَبت، استراحوا منها، فإن غُلِبت لم يخسروا شيئا، فإنما هي ألفاظ، تستوي في البيان عن المراد، قدُمت أو حدُثت. وهذه الحتمية والعقيدة الجبرية يخالفها مذهب آخر، يرى أن اللغة أداة، ويمكن أن تقوَّم، وتحسَّن، وتستحدث بالمشيئة، ويمكن الإنسانَ أن يتدخل فيها كما يتدخل في كثير من الظواهر الطبيعية، فيحييها، أو يميتها[2]، وكثير من اللغات، كالهنغارية، والنرويجية، والإستونية، والعبرية، غُيِّرت تغييرا مقصودا، بإرادة بشرية، وتخطيط إنساني، وكذلك فعل مصطفى كمال بالتركية، وفعل الفرس بالفارسية، والبربر بالبربرية، والكرد بالكردية، إذ أخرجوا ما كان فيها من الكلمات العربية، وفعل الليبيون بالعربية بعد التحرر من إيطالية، أخرجوا ما كان فيها من المفردات الإيطالية، وفعل الألمان بالألمانية بعد التحرر من الاستعمار الفرنسي. ولو وقف النظر اللغوي عند وصف الظاهرة اللغوية الآنية أو التاريخية، لكان عمله معطِّلا للغائية التطبيقية المشروعة في العلوم كلها. فماذا يغني عنا أن نسير وراء الظاهرة اللغوية وهي تجري في أعنتها، على ما تقتضي المقادير المقدَّرة لها؟[3]. وتقلُّد هذه العقيدة الجبرية يقضي أن يقف كل أناس من لغتهم موقف المؤرخ والواصف، لا يتدخل في شأن من شؤونها؛ لأن التدخل لا يؤثر في سيرها، ولا بدَّ أن تحطِّم ما تُقَيَّد به، وتتمرد على ما وُضع لها من قوانين. وهذا يخالف ما يرى جِلُّ علماء اللغة وخبرائها، من أن من الممكن، بل من الواجب التدخل المنظم في سير اللغة واستعمالها في المجتمع لتعديلها، أو تغييرها إلى

---

(١) مشكلات حياتنا اللغوية، ٨٣ (نقلا عن: أبحاث في العربية الفصحى، ٢١٠)، والتخطيط اللغوي والأمن اللغوي، ١٠، وعلم اللغة، ١٨ وما بعدها، ونظرية اللغة الثالثة، ٢٩ وما بعدها، وتأثير الإعلام المسموع في اللغة، وقضية التحول إلى الفصحى، ١٧

(٢) قضية التحول إلى الفصحى، ١٨، والتخطيط اللغوي والأمن اللغوي، ١٠

(٣) السابق، ١٩.

حال أفضل، على ما تقتضي المصلحة. ويُعَدُّ ذلك عندهم من أهم ما يعين على استقرار المجتمع، ويحافظ على أصالته، وهذا التدخل هو الذي يسمى التخطيط اللغوي[١]. صحيح أن اللغة وضْع من أوضاع المجتمع يتواضع عليه دون شعور منه، في الغالب، لا يستطيع المرء أن يغير منه شيئًا، ولا أن يفرضه بالقانون، إلا أنها تَفرِض نفسها بسهولة عجيبة، حين تأتي على لسان المعلم، أو الأستاذ، أو المذيع، أو ذي المكانة العلمية، أو الفكرية، أو الدينية، أو السياسية[٢]. وهذا مما يمكن أن يُفرَض، ويخطَّط له، ويُتحكَّم فيه، كما فعلت الجزائر بعد الاستقلال، فقد كان من أساليب التعريب التي اتبعتها تعريب المحيط، وهو تنظيم حملة على الكلمات الدخيلة في اللهجة الجزائرية، تولاها المثقفون في الحكومة والمنظمات الاجتماعية الثقافية الحرة، وكَلَّفت الإذاعةُ فِرَقها الموسيقية نظْم أغان هزلية، تضع الكلمة الدخيلة مع مرادفتها العربية الفصيحة، في أسلوب فكاهي، يسخر منها[٣].

وينبغي تمييز اللغة الفصحى المستعملة في العلم والأدب من اللغة العامية، فالعامية عرضة للتحول السريع، وقد يستحيل التصرف فيها، أما الفصحى، فأكثر أحوالها البقاء على ما هي عليه، لتدخُّل الحكومات واللغويين والنقاد فيها، ويمكن التحكم في كلماتها، فقد اقترح الفرنسيون كلمة logiciel الفرنسية بدلا من Soft-Ware، بعد ما شاعت في علوم الحاسوب، وليس في الناطقين بالفرنسية اليوم من لا يستعمل logiciel وحدها، وإنما أعان على ذلك الإعلام المنطوق[٤]. فشيوع الكلمة وذيوعها -إذن- ليس له قانون كالذي يزعمون، وليس بجبري، ولا كبعض الظواهر الطبيعية التي ليس للمرء التصرف فيها، كطلوع الشمس وغروبها، وتعاقب الليل والنهار، والزلازل والبراكين، وآية ذلك أن الكلمة تشيع في مكان ولا تشيع في غيره، كما تشيع «البريد» في السعودية، حتى لا يعرف غيرها، وتشيع «البُسطة» في مصر والمغرب العربي، ولا يعرف «البريد»، ويشيع «النُّزُل» في تونس، حتى لا يكاد يستعمل غيره،

---

(١) نظرية اللغة الثالثة، ٣٠ وما بعدها.
(٢) تأثير الإعلام المسموع في اللغة.
(٣) التعريب في الجزائر وتونس، ٥٥ - ٥٩.
(٤) تأثير الإعلام المسموع في اللغة.

ويشيع في السعودية «الفندق»، ولا يكاد يعرف غيره. وتشيع الكلمة في البلد في زمان، ثم تموت ويحل غيرها محلها، كما شاع كثير من الكلمات الدخيلة في الوطن العربي في أول عهده بالاستعمار الغربي، ثم ماتت حتى لَيُظَنُّ أنها ما استُعمِلت يوما، وكما مات جلُّ ما كان مستعملا من الألفاظ التركية في العربية إبان الحكم العثماني، ووقع بعض ذلك وقوعا تلقائيا، وكان بعضه بتدخل من السياسة، كما فعلت الحكومة العربية في سورية في عهد الملك فيصل بن الحسين، إذ استبدلت بالألفاظ التركية التي كانت مستعملة في الإدارة وغيرها من شؤون الحياة ألفاظا عربية. وإنما مَرَدُّ شيوع الكلمة إلى ما يُصطنَع لها من أسباب الشيوع والبقاء، كالاستعمال في الدوائر الرسمية، ووسائل الإعلام، وكتب المدارس، والتأليف، إلخ، وما يَسند ذلك من تشريع، يوجب استعمالها. هذا إلى ما هو أهم من ذلك: يقظة الأمة، واعتدادها بنفسها وهويتها، واستنكافها من التبعية، واعتقادها أنها خير من غيرها، وأن ليس عند غيرها ما هو جدير بأن تصير إليه. أما أن تُقترَح الكلمة، وتجاز في المجامع، ويستعمل غيرها في الحياة، من غير أن يُسَنَّ قانون، يضبط الاستعمال، في شعْب مهزوم، مغزو بكل وسيلة من وسائل الغزو الثقافي، وهو يحتقر نفسه، ويقدس غيره، فما مِثْلُ ذلك بالذي يعين على شيوعها. وكان محمد كرد علي قال: لو أن حكومة مصر عاونت هذا المجمع على بث الصحيح، لما انقضت سنة إلا وأكثر الألفاظ الأعجمية يخرج من الميدان ويطويه النسيان، فلا يُعثر به إلا في المعجمات، أما أن نترك ما تعنَّيْنا في وضعه للطبيعة، تنشره أو تغمره، فهذا تقصير، أخشى أن يكون داخلا في نقص القادرين على التمام[1]. لقد أنشأ اليهود مجمعا للعبرية في فلسطين عام ١٩٥٣ م، يضم أربعين لجنة متخصصة في اللغة، والأدب، والفكر، والفن، تهتم بوضع الاصطلاحات، فكان ما تتفق عليه يُنشَر في الجريدة الرسمية، فيغدو العمل به واجبا في الدوائر الحكومية، والمؤسسات المدنية، والجامعات، والتعليم، والإعلام، ويعاقِب القانون من يخالفه، أو لا يلتزمه[2]، ويقرر المجمع العلمي الفرنسي قراراته اللغوية، ثم تصدرها الجمعية الوطنية

---

(١) المذكرات، ٤/ ١١٠١.

(٢) إنية وأصالة، ٧٥.

قانونا ملزما للشعب الفرنسي كله[1]. ويفخر بعض أعضاء مجمع القاهرة بأن مجمعهم يسجل ما يسمع، ويَسِمُه بميسمه، ولا يفرض شيئا، ويرى أنَّ حسْبَه أن يَصِف، ثم لا يهمه ما تكون عاقبة وصْفه، بل يبدي بعضهم أسفه أن تنقَّى العربية من دخيل، هي في غنى عنه، ويمانعون في أن يُحَلَّ محله ما هو خير منه، وأصون لجمال العربية وهويتها، ويَعُدُّون الحرص على ذلك، والسعي فيه عبادة للعربية، ويعدُّون ولعهم بالدخيل علما وحرية. لكن ما الذي صنعت تلك «الحرية»، وذلك «العلم» بالعربية؟ وما الذي صنعت عصبية الشعوب للغاتها؟ وأي الإنجازين أحقُّ بالاحتذاء؟!

(٥)

وكان المرحوم محمد كامل حسين من أشد المجمعيين غلوا في مناصرة الدخيل، فقد كان يرى أن الاصطلاح العربي إذا وُضع مع غيره من الاصطلاحات الأجنبية بدا غير مساوق لها، وأن الاصطلاح ما ينبغي أن ينظر إليه منفردا، وإنما ينظر إلى مجموع الاصطلاحات الخاصة بالموضوع كله، وإذا كانت اللغة المعاصرة تمدنا بهذه المجموعات المتوافقة، فيجب أن نكتفي بها، ونتقبلها تعريبا وإدخالا، ولم نر في ذلك ما ينال من العربية أو يرهقها[2]. ولغة الاصطلاحات الحديثة -في نظره- ليست هي الإنجليزية، وإنما هي لغة علمية ملفقة من لغات شتى، بسبب تجانسها في الأصول، والتاريخ، والحضارة[3]. وكان عباس حسن من أكبر مناصري الدخيل، وتتسم مناصرته بالحدة، وتسفيه المخالف، على ما في حججه من وهن، وقلة تماسك، كقوله: إن «البغيض الذميم أن نتفرغ للبحث الدائب والوقوف طويلا أمام كل كلمة أجنبية بعيدة المدلول العربي، علَّنا نجد لها مقابلا في لغتنا، فذلك الداء العياء»[4]، وإن التعريب علاج يسير، وهو -على يُسْرِه- باهر الأثر: يمد اللغة بزاد صالح، هي في أمس الحاجة إلى بعضه؛ ليدفع عنها فقرها المدقع في عصر المخترعات، ومن حمق الفقير المضيَّق

(١) العرب والانتحار اللغوي، ٦٤.
(٢) العربية لغة العلوم والتقنية، ٢٢٨ وما بعدها.
(٣) السابق، ٢٣٤.
(٤) رأي في بعض الأصول اللغوية والنحوية، ٨٨، واللغة والنحو، ٢٣٤ (نقلا عن: حركة التعريب في العراق، ٤٤).

عليه أن يجد الفسحة السائغة، فيتأبى، والسعة المباحة، فيؤثر الضيق. والتعريب بالوجه الذي اقترحناه خير محض، لا تشوبه شائبة ضر أو فساد، وقد سبقَنا إليه الأوربيون بمئات السنين، فلم يفسد لغاتهم، ولا أصابها بأذى، ولم نسمع منهم ما يزهِّدنا فيه، وإنما أحسن إليها، وقدَّم لها من العون والقوة ما يحملنا على المبادرة إليه مطمئنين إلى نتائجه كما اطمأن إليه الأوربيون، ولم يخشوه على لغاتهم[1]. وإنما قال هذا لأنه لا يعلم مبلغ معارضة بعض الغربيين للدخيل، وحرصهم على تنقية لغاتهم منه، على الوجه الذي قد رأينا. ومما يخفى عليه أن دخول ألفاظ من لغة في لغة من فصيلتها لا يفسدها كما يفسدها دخول ألفاظ لغة ليست من فصيلتها، كما يفعل الدخيل الأوربي بالعربية. والركون إلى الراحة الذي يدعو إليه هو وأمثاله موت للأمة ولغتها، وسبيل العلم ومعالي الأمور المشقة[2]. وذهب الدكتور نعمان بو قرة إلى أن من الضرورة أن يُخَلَّص الفكر العربي والإسلامي من وهم الصفاء الذي عكَّر صفو العلاقة باللغات الأخرى، مع أن القرآن، وهو مَثَل العربية الأعلى، يستوعب التعدد اللغوي، والخصوصيات الثقافية مع العالمية، وأن القدماء رفضوا هذا الوهم، كما قال ابن حزم: «وقد توهَّم قوم في لغتهم أنها أفضل اللغات، وهذا لا معنى له؛ لأن وجوه الفضل معروفة، وإنما هي بعمل أو اختصاص»[3]. ويرى الدكتور سعد البازعي أن التراث العربي كله ما كان لينهض لولا انفتاح العرب المسلمين على الثقافات ولغاتها المختلفة[4]، غير أنه ينتقد على الذين يبالغون في عدم الحرص على النقاء، حتى ليرون أن تكتب العربية بالحرف اللاتيني، ويرى أن في رأيهم غلوا، فالنقاء لم تَخْلُ أمة من الدعاة إليه، حتى الإنجليز، وإن لم تكن دعوتهم صادرة من مجامع لغوية، وإنما تصدر في أعمال علمية وإعلامية، ومعجمات تنظِّم التطور اللغوي[5]. ويرى بعضهم أن إنكار التعريب، عند الحاجة إليه، يحول

(١) رأي في بعض الأصول اللغوية والنحوية، ٩٠ وما بعدها، واللغة والنحو، ٢٣٧ (نقلا عن حركة التعريب في العراق، ٤٤ وما بعدها).

(٢) حركة التعريب في العراق، ٤٥.

(٣) المشهد اللساني العربي والراهن الثقافي: تحديات وآفاق، ٢٥٢ وما بعدها.

(٤) قلق المعرفة، ١٢٩.

(٥) السابق، ١٣٠.

دون رقي العربية ونموها، ووفائها بمطالب العصر، وأن اللغة التي لا تدخلها ألفاظ أجنبية ليست بحية، ويستشهد بقول شهاب الدين الخفاجيِّ: «لو اقتصر السابقون في كلامهم على الألفاظ التي استعملها العرب العاربة والمستعربة فقط، لعسر التكلم بالعربية على مَنْ بعدهم»[1]. وهو استشهاد في غير محله، فإنما أراد شهاب الدين الوقوف باللفظ عند الهيئة التي رُوِيَ بها عن العرب الأولين، دون مراعاة لمقتضيات الاستعمال، كالإعراب، والتعريف، والتنكير، وتخطئة من استعمله على خلاف الوجه المسموع عن العرب، «مع صدق معناه الوضعي عليه». وكان السياق الذي قال فيه كلامه هذا تلحين الزمخشري في إضافة «كافة»؛ لأن إضافتها غير مسموعة عن العرب، فقال تعليقا على ذلك: «إن «كافة» ورد عن العرب بمعنى الجميع، لكنهم استعملوه منكَّرا منصوبا، وفي الناس خاصة، ومقتضى الوضع ألا يلزمه ما ذُكر، فيُستعمَل كما استعمل «جميعا»، معرَّفا ومنكَّرا، بوجوه الإعراب، في الناس وغيرهم، والظاهر الجواز؛ لأنا لو اقتصرنا في الألفاظ على ما استعملته العرب العاربة والمستعربة، حجَّرنا الواسع، وعسر التكلم بالعربية على مَنْ بعدهم»[2].

واستمات كمال يوسف الحاج في الدفاع عن الدخيل، وادَّعى أن لا ضير منه على العربية، وأن المجامع اللغوية لا تحافظ على سلامة اللغة، ولا تستطيع أن تجعلها وافية بمطالب العلوم والفنون في تقدمها، وملائمة لحاجات الناس في هذا العصر، وليس عليها أن تجيز بعض الألفاظ الأعجمية، في الضرورة، على طريقة العرب في تعريبهم، ولا تَقْوَى على أن تلزم الناس ما تريد، وإرادتها كثيرا ما تكون متشددة في فهم العربية، ولكن الشعب، أي الاستعمال، هو صاحب الكلمة. وما من لغة تستغني بأساليبها عن العبارات الأجنبية[3]. والمهم أن تُنطَق المادة الفكرية، والقواعد النحوية، والطرق البلاغية بالعربية. فعلى ذلك تتوقف حقيقة الإنسان، ويقوم وجود اللغة. ولا فرق -بعد ذلك- بين «تلفون» و«هاتف»، ما دامت حروف «تلفون» عربية، ووزنها يوافق أوزان العربية، ويمكن

---

(١) دفاعا عن التعريب، ١٩١.

(٢) شرح درة الغواص في أوهام الخواص، ٢٠٢.

(٣) فلسفة اللغة، ٢٧٩ وما بعدها.

أن يشتق منها «تَلْفَنَ»، وما دامت «هاتف» لم تَصْرَع «تلفون»، فذلك دليل على أن «تلفون» أكثر منها قابلية للحياة[1]. وإذا كنا نريد للعربية أن تحيا، وتستوعب العلوم والفنون، فاستعمال بعض المفردات والأساليب الأجنبية لا ضير فيه، ولا مفرَّ منه. ولا فائدة في توليد ألفاظ عربية، تحل محل ألفاظ أجنبية، شاعت، وسارت على كل لسان، وإنما هو ضرب من اللهو، وإضاعة الوقت[2]. وهو رأي فئة ممن عرضناها آراءهم، منها يعقوب صروف. فهو يَعُدُّ حياة العربية في الدخيل من الأساليب والمفردات، وتعدُّ شعوب العالم الدخيل تهجينا للغات، ونذير موت لها، من أجل ذلك تسعى في تنقيتها منه صونا لها من الهجنة، وحماية لها مما تخشى عليها من الموت، وأشد ما يكون ذلك عقب الاستقلال! إنها صورة من قلة الوعي، تَكِلُ الأمر إلى العامة الذين لا يعلمون، ولا يعون، في زمن، سُلِّط فيه على العرب والعربية كل صنيعة من الساسة، ومأجور من الكتَّاب والإعلاميين، وسُلِّط عليها الأميون وأشباه الأميين، الذين أُخذوا عن أنفسهم، ولُوِّثت عقولهم وأفكارهم، فلا يرون إلا ما يأتي من الغرب، ولا معنى للحياة عندهم إلا العبودية له. هذا مع أنه (كمال يوسف الحاج) يرى أن الذوق العام قد يضلُّ، ويجحد، وينحرف؛ فيحتاج إلى تقويم وهداية. والناس، وإن خُلقوا أحرارا، تقيِّدهم مثُلٌ، ومن الخير أن تُرَدَّ الأمور إلى المثُل في رتبها الرفيعة، وحدودها السديدة المنيعة. ومهما يكن للأفراد من حق الدفاع عن حرياتهم، فللجماعة أن تحاسبهم من أجل الجماعة، وأكثر الدساتير حرية في زماننا يقيد حرية الأفراد من أجل الجماعة واللغة[3]. وهو رأي كان يقتضيه غير ما قال.

ويقول بعضهم إن الترجمة والتعريب لا يُفرَضان، وإنما هما نتاج حالة من حالات الدولة، فلو أنفق المأمون كل ما يملك في دولته ما أنشأ بيت الحكمة، لولا المترجمون الذين صنعتهم الثقافة المزدهرة في تلك الدولة، وهذا يعني أن المترجمين كانوا قبل أن يأمر المأمون بإنشاء بيت الحكمة بعشرات السنين، لكن بيت الحكمة انتظمهم وصبغ عملهم بصبغة أكاديمية. ويقول مثل ذلك في

---

(١) فلسفة اللغة، ٢٩٠.

(٢) الأدب المقارن، ٤١٧ وما بعدها.

(٣) فلسفة اللغة، كمال الحاج، ٢٨١.

دار الحكمة التي أنشأها الفاطميون في مصر، في عهد المعتز بالله، ومدرسة الألسن التي أسسها محمد علي باشا، وجعل مديرها رفاعة الطهطاوي[1]. وما يُفهَم من هذا أن الترجمة والتعريب ينبغي أن يتركا من غير تنظيم ولا تخطيط ولا سياسة، ليكونا أمرين تلقائيين، فإن اقتنع بهما الشعب، وحرص عليهما، وسعى فيهما، فذاك، وإلا خُلِّي بينه وبين ما يهوى. ومن تدبَّر هذا الكلام، تبيَّن ما فيه من خُلْف، فوجود المترجمين في عهد المأمون ما كان لتكون له فائدة لولا أن المأمون أمر بالترجمة ونظَّمها، وأنشأ لها مؤسسة، تتولاها، وأنفق عليها المال. وكذلك الأمر في دار الحكمة، أما مدرسة الألسن، فإن محمد علي باشا هو الذي أنشأها، وأنفق عليها وعلى تعليم اللغات، ولم يكن في مصر قبل بعوثه من يعرف لغة أجنبية؛ فيترجم منها إلى العربية. ومما ينقض هذا الرأي أن كثرة العارفين باللغات الأجنبية من مثقفي العرب اليوم ليس لها أثر كبير في الترجمة إلى العربية؛ لأن ترجمتهم عمل فردي، لا يجد من الرعاية والتمويل والتخطيط من قبل الحكومات ما يعينه على أن يبلغ ما ينبغي أن يُبلغ؛ من أجل ذلك كانت قلة الكتب المترجمة في الوطن العربي كله. ولا يتضح مغزى الدعوة الضمنية إلى ترك التعريب ليكون مسألة تلقائية اختيارية، مع أن الترجمة في كثير من دول العالم تقوم عليها مراكز ومنظمات رسمية، وشبه رسمية، وتنفق عليها الحكومات، وهي جزء من سياسة الدول الثقافية والعلمية والتعليمية واللغوية. والتعريب والترجمة إما أن يكونا من مصلحة الشعب، فيجب أن توليهما الحكومات ما تولي غيرهما من مصالحه، وإما أن يكونا ضارين أو منافيين للمصالح، فيجب أن تحول دونهما.

ويغفل أنصار الدخيل عن أن كل اقتراض من لغة أجنبية، لا تلجئ إليه الضرورة، إنما يكون عن تبعية نفسية، وشعور بتميز من يُقْتَرَض من لغته، ومحالٌ أن يستقلَّ مَنْ لا يثق بنفسه، وأن يعزَّ من لا يستقل، ومن يشعر أبدا بأنه دون، وأن الاتباع أقصى ما في وسعه. والأمة التي تكون هذه منزلتها عند نفسها لا تتأبى على استعمار، إذا استُعمرت، ولا تُنازِل عدوا، إذا غُزِيت، وإنما ترى التشبه به فلاحا، واستعمارها عونا على الخروج من التخلف إلى الحضارة والتقدم؛ لأنه

(١) الترجمة إلى العربية: قضايا وآراء، ٢٧ وما بعدها.

يعينها على سياسة نفسها التي لا تقوى على الاستقلال بشيء من تبعات الحياة. فقد كان طه حسين يسمِّي غزو نابليون لمصر «الحملة الفرنسية المباركة»[1]، وقال بعض كتَّاب العرب إن أصوات الصواريخ التي دكَّت بغداد عام ٢٠٠٣م «معزوفة الديموقراطية»، على حين كان شعراء أمريكة يقولون لبوش:

نحن الشعبَ، وبخاصة الشعراء نقول لك:
توقَّفْ وقدِّم استقالتك
لتَسْتُرْ عارك
وإلا فإن الشر الذي أطلقته سيدمر كل شيء
وسيتخلى الحب عن العالم[2].

وتظاهر مليونان من البريطانيين في ١٥ من فبراير ٢٠٠٣ تعبيرا عن ازدرائهم لـ«عازف لحن الديموقراطية» في العراق (جورج بوش)، قبل أن يبدأ عزفه، وقد بلغهم أنه يريد أن يزور لندن، وكان ذلك قبل الحرب على العراق ببضعة أسابيع[3]. وبعد احتلال العراق كان بعض مثقفي العرب يقولون إن أمريكة سيدة العالم، شاءَ من شاء، وأبى من أبى؛ فيجب الخضوع لها؛ لأن مقاومتها هدرٌ للجهد، ومنهم من كان يذرع بلاد العرب طولا وعرضا، يحاضر عن «الإرهاب» في الثقافة العربية، فما ترك بيت شعر، ولا عبارة نثر، من كلام العرب يعرفهما، يحضان على العزة وإباء الضيم إلا نسبهما إلى الإرهاب، ودعا إلى محوهما من تراث العرب؛ من أجل أن تنام أمريكة قريرة العين في بلاد العرب، لا ينغِّص عليها احتلالها منغِّص، فلما أُخْرِجت من العراق بالقوة توارى المحاضرون، وطُوِي الحديث عن «الإرهاب». وفي كل بلد عربي -اليوم- سَمَّاعون لمن كان يستعمرهم، ينطقون بلسانه، ويدْعون إلى لغته وثقافته، ويؤثرونهما على لغتهم وثقافتهم، ويهيئون النفوس لتقبل التبعية له، ويعدُّون ذلك هو السبيل إلى تغيير ما بالنفس، ويقررون احتقار لغتهم وتراثهم في نفوس شعوبهم، وبعضهم -في الأقل- يفعلون ذلك عن اقتناع منهم بصحته وفائدته.

(١) إشكالية الهوية وثنائية اللغة والترجمة في السياق العربي المعاصر، ٦٣.
(٢) ضد الحرب في العراق، ١٣.
(٣) الحرب، ١٢٤.

وقارئ كلام كمال يوسف الحاج السابق يتبين فيه قلةَ زاد من العربية، وأنه من الذين تزيِّن لهم قلة العلم ما يشيع، وليس لهم من الوعي ما يحملهم على الترفع عن الحال السيء، والطموح إلى ما هو أمثل منه، ولا يبالون ما ذهب من حسن العربية؛ فيستوي عندهم «تلفون»، و«هاتف»، و«تلْفَن»، و«هتف»، و«اتصل»، كما يسوي كمال بين الترجمة والتعريب اللفظي، على ما قد يكون فيه من ثقل وسماجة، كأن يشتق «دكتر» من docteur، و«أكَّس» من axe، و«كرتز» من descartes، و«رَوْضَجَ» من Rodage، و«شوفر» من chauffeur، و«بَوْمَرَ»، من Point mort (نقطة الصفر) ويرى أنْ لا مانع من تعريب معظم الاصطلاحات العلمية، وأن لا فرق بين الترجمة والتعريب[1]، كأنما همه أن يجد ثلة من الأصوات يحمِّلها معنى، دون أن تكلفه بحثا ولا جهدا، كائنا ما كان أصلها، والصيغة التي تخرج عليها، وكائنا ما كان ما فيها من غرابة، وتنافر، ومبايَنةٍ لنظام العربية، وهي والكلمات العربية الأصيلة الجميلة المبينة التي تحافظ على جمال العربية ونظامها الصرفي، وحسن إيقاعها، سواء. وإنَّ أجدر الناس ألا يُعتدَّ برأيه في شأن من شؤون العربية لامرؤ يراها بهذه العين، ويفهمها هذا الفهم.

ومن دعاة الدخيل مَنْ يعرض للقضية بمنطق المهزوم، فيرى أن الدخيل قدر أو كالقدر، وبحر هادر، لا قبل لأحد به، وبعضه عالمي، ولا سيما ألفاظ العلوم والفنون، فمن العبث تنكبه والانفراد بألفاظ مختلفة، والخروج عما تووضع عليه في لغات العالم[2]. وهو سبب إلى التجديد العلمي والتقني، والإفادة من الثقافات، وشرط حياة اللغات ورقيها؛ لأنه مما تتكلم به مجتمعات بشرية، تتصل فيما بينها في الزمان والمكان[3]، واللغة إنما تحيا بقدر ما يكون فيها من الدخيل، وبقدر تمثلها إياه[4]. ويدعو بعضهم إلى الاستسلام للواقع، والاعتراف به، والتكيف معه، ريثما يذلل العرب لأنفسهم سبيل الخروج منه، والعودة إلى

---

(١) فلسفة اللغة، ٢٩٠.

(٢) مشكلات اللغة العربية، ١١.

(٣) السجال اللغوي والثقافي حول اللغة الفرنسية في المغرب.

(٤) إشكالية التراثي والمعاصر في المصطلح السيكولوجي، ١٢٧ (نقلا عن: إشكالية المصطلح في الخطاب النقدي العربي الجديد، ٨٩ (هامش).

القيادة، والاعتراف بأن الهزيمة اللغوية أثر للهزيمة الحضارية[1]. ويرى أن التعريب اللفظي شرٌّ، لا بدَّ منه، في التنمية اللغوية، ووضع الاصطلاحات، فهو أيسر الوسائل، وأقرب الطرق إلى المعرفة، والوسيلة الوحيدة حين تعز الوسائل، وتضيق السبل، ويتعذر نقل المعرفة من لغة إلى أخرى[2]. ومقتضى أن يكون الدخيل شرا، أن يُتقلَّل منه، ولا يلجأ إليه إلا عند الضرورة، وذلك حين يكون في العدول عنه من الشر أكثر مما في اللجوء إليه، فيكون أخف الضررين، ثم يكون الأخذ منه على قدر الحاجة، ولا يزاد عليها. وهي حالة ربما وجد المرء في بعض الشعوب نظيرا لها، كما يدافع بعض الألمان اليوم عن غزو الإنجليزية للألمانية، ويعارضون تنقيتها من آثاره، ولهم في ذلك أقوال، لا تختلف عن أقوال مَنْ قد رأينا من العرب، كأنَّ ازدواج اللغة أمر عادي في حضارات العالم، وأن اللاتينية المكتوبة وثقافتها الشفهية كانت ند الألمانية الأقوى، طوال ما يزيد على ألف عام (من القرن الثامن إلى القرن الثامن عشر). وكذلك كان حال اللغات الأوروبية المتداولة، والصينية، والهندية، والتبتية، والجاوية، والعربية، والفارسية. ومنذ القرن السابع عشر والثامن عشر، إلى القرن التاسع عشر، أصبحت ألمانية ثلاثية اللغة؛ فقد شاع استعمال الفرنسية مع اللاتينية والألمانية. وهيمنت الفرنسية في مجالات مهمة من مجالات الحياة، وقدَّر يواخيم كامبه نحو عام ١٨٠٠ المقترَض من اللاتينية والفرنسية بخُمس مفردات الألمانية. وحاول من ١٨٠١ إلى ١٨١٣ أن ينقيها منه، غير أن معظم الكلمات المترجمة لم يكتب لها الدوام، أي إنه أخفق في مسعاه[3].

(٦)

ولا يخفى مما قدمنا من رأي مارون غصن في الدخيل أنه يريد أن يصيِّر العربية لغة أجنبية؛ ليعين العرب على الدراسة باللغات الأجنبية، وهو رأي لا يخلو من طرافة: أن تمات العربية؛ ليسهل على أهلها الدراسة بغيرها، بدل أن

---

(١) إشكالية المصطلح في الخطاب النقدي العربي الجديد، ٤٧٧.

(٢) السابق، ٩٠.

(٣) هل الألمانية خليط لغوي؟.

تقوَّى وينقل إليها من العلوم ما يغني عن اللغات الأجنبية والدراسة بها، كما تفعل شعوب العالم! أما نعمان بو قرة، فيبدو أنه لم يفهم كلام ابن حزم؛ فظنَّ أنه يرى أن اللغات كلها متساوية، وليس لواحدة منها مزية على الأخرى، وهو فهم غير دقيق: فاللغات تتكافأ وتتساوى من حيث هي رموز صوتية للمعاني، ووسيلة من وسائل الاتصال بين الناس، ووسيلة للبيان عن الأفكار والعلوم، ومن حيث هي بناء في الذهن، تشترك في أصوله اللغات الإنسانية، ومن حيث جدارتها بالدراسة العلمية[1]، وتتفاضل فيما وراء ذلك، فتتفاضل في القيم، والدقة، والبيان، والمعجمات، وما تضم من المفردات الواصفة للموضوعات، كما تتفاضل في التذكير والتأنيث، ومراعاة العدد، فالضمير You في الإنجليزية -مثلا- يدل على كل مخاطب، وللمخاطب في العربية خمسة ضمائر، يبين كل واحد منها عن عدده وجنسه؛ فهي في هذا أدق من الإنجليزية. وتتفاضل في السعة، والجمال، وما تشتمل عليه من معان وأفكار، فلغة البداة، ذوي المعارف والتجارب القليلة لا تساوي لغة المتحضرين، ذوي التجارب، والمعارف والفنون الغزيرة، فمفردات هذه أكثر، ومفهوماتها أوفر، وفي معجمها ما يبين عن كل ما قد يخطر لأهلها. وليست سواء في مرونتها الأسلوبية، وما تتيح من تقديم وتأخير، وذكر وحذف، وتعريف وتنكير، ووصل وفصل، وغيرها من الأساليب التي تعين على جعْل الكلام مطابقا لحال المعاني في النفس. ومنها ما لا يتيح للمتكلم من بناء الجملة إلا وجها واحدا، ومنها ما يتيح له وجوها. فاحتمالات العبارة الإنجليزية: In god we trust اثنان فقط، هذا، وWe trust in god، وللعبارة التي تقابلها في العربية احتمالات، منها: نثق بالله، إننا نثق بالله، إننا لنثق بالله، والله إننا لنثق بالله، بالله نثق، إنما نثق بالله، ما نثق إلا بالله، ولكل واحد من هذه الأساليب معنى غير معنى الآخر، ومقام غير المقام الذي يستعمل فيه؛ فهي والإنجليزية غير متكافئتين في الدقة والبيان، وإن تكافأتا في البيان عن مجمل المعنى، والوفاء بما يريد العرب والإنجليز التعبير عنه من المعاني، وإن كانت العربية تدل على أن ما يَرِدُ على العرب من دقيق المعاني أكثر مما يردُ على لإنجليز، وأن في وسعهم أن يبينوا بلغتهم عن كل ما يرد

(١) لسان حضارة القرآن، ٤٣ وما بعدها، ومقاربات في المسألة اللغوية بالمغرب، ٩٥.

عليهم. وإذا كان أهل اللغة يقنعون بما تعودوا من المعاني، ويستغنون به عما ليس في ثقافتهم، فإن قناعتهم، ووفاء لغتهم بحاجاتهم، لا يعنيان أنها تساوي لغة غيرهم مساواة تامة، ولا أن غيرها ليس بأفضل منها.

وتتفاضل اللغات في بنائها الصرفي، فمنها ما تكثر فيه الحركات، وتقل السكنات، فيكون للكلام من حسن الإيقاع ما ليس للكلم الذي يكثر فيه السكون وتقلُّ الحركات. ومنها ما تجتمع حروفه في أحياز قليلة متقاربة، فيتولد من ذلك ثقل وتنافر، يجعل اللسان يتحرك في مكان واحد، إذا رُفِع عنه رُدَّ إليه، كمشي المقيد[1]. ومنها ما تكون أحياز الحروف فيه متباعدة، والمخارج كثيرة؛ فيجد اللسان من الفسحة ما لا يجد في اللغات ذات المخارج المتقاربة، ومما يترتب على هذا وضوح النطق في السمع، وحسن الإيقاع. وليس من الحقيقة العلمية أن يسوَّى بين خمسة آلاف لغة في العالم، فيقال إن لها وزنا واحدا، وقيمة واحدة في سوق اللغات، واستعمالات واحدة، ومستقبلا واحدا[2]. والتسوية بين الإنجليزية والبروتونية (لغة فرنسية)، والفرنسية والبوبو (لغة شعب صغير في بوركينا فاسو ومالي)، ضرب من اللغو، كالتسوية بين الذبابة والفيل، والإنسان والفراشة. ومن فروع علم اللغة فرع، أسسه ب. ل. وورف، يُدْعَى «علم اللغة التفاضلي»، مبناه على المفاضلة بين نحو اللغات. وليس هذا العلم متحيزا؛ فقد يفاضِل بين لغات، ليست منها لغة الباحث[3]. فدعوى أن اللغات متساوية في كل شيء، وليست لواحدة منها مزية على الأخرى، وأن مَنْ قال بغير ذلك، فإنما يقول بداع من التحيز، وهي خصلة يشترك فيها الناس جميعا، وليست بعلمية، مهما انتحلت من الحجج، -لا تصح. وابن حزم إنما نفى تفاضل اللغات من الناحية الدينية، ومن حيث كونها أصواتا، تتفق فيها الشعوب كلها، فقد قال: وقد توهَّم قوم في لغتهم أنها أفضل اللغات، وهذا لا معنى له؛ لأن وجوه الفضل معروفة، وإنما هي بعمل واختصاص، ولا عملَ للغة، ولا جاء نص في تفضيل لغة على أخرى، وقد غلط في هذا جالينوس،

---

(١) النكت في إعجاز القرآن، ٩٦.

(٢) لسان حضارة القرآن، ٤٣ وما بعدها، ومقاربات في المسألة اللغوية بالمغرب، ٩٥.

(٣) البحث اللغوي وأصالة الفكر العربي، ١٩

فقال إن اليونانية أفضل اللغات؛ لأن سائر اللغات إنما تشبه نباح الكلاب، أو نقيق الضفادع. وهذا جهل شديد؛ لأن كل سامع لغة ليست لغته لا يفهمها، فهي عنده في النصاب الذي ذكر جالينوس، ولا فرق[1]، وقال قوم: العربية أفضل اللغات لأن كلام الله -تعالى- نزل بها، وهذا لا معنى له؛ لأن الله أخبرنا أنه لم يرسل رسولا إلا بلسان قومه، فبكل لغة نزل كلام الله ووحيه[2]. وقال في عدم تفاضلها من حيث هي حروف واحدة: «ولا قبْح ولا حسْن في بعضها دون بعض، وهي تلك بأعيانها في كل لغة، فبطلت هذه الدعاوى الزائفة الهجين»[3].

(٧)

والذين يعارضون الدخيل من العرب لا يعارضونه تقديسا للعربية، ولا تنزيها لها؛ ولا لأنها أفضل من غيرها، وإنما يعارضونه لأسباب أخرى معلومة، وما يسوغون به معارضتهم واضح، ولا لبس فيه، وهو مبني على حقائق العلم والواقع، فهم يخشون أن تصبح قوالبَ وصيغا للألفاظ الأجنبية الغازية[4]، ويرون أن الألفاظ الأجنبية غدت طوفانا، يجتاح العالم، وتحمله وسائل الإعلام إلى كل مكان، بعد أن انقضَّت الحواجز، وانفتح الكون على مصراعيه لكل ما جدَّ[5]، وأقرَّ بعض الدول الكبرى بالعجز عن التصدي لما تحمل من الدخيل، كفرنسة، فإنها -على ما تبذل مؤسساتها الكثيرة المتخصصة- تعجز عن وضع مقابل لما يزيد على نصف المفهومات الجديدة، ويعسر عليها أن تهيئ للتعليم التقني الجامعي الدقيق ما يغنيه مِنَ الاصطلاحات الفرنسية عن الاصطلاحات الأجنبية[6]. وكثرة ما يدخل اللغات العالمية من أسماء المخترعات كل يوم زعيمة بأن تمسخ اللغة في زمن قصير، ثم تصيرها أثرا بعد عين. فقد قدَّرت اليونسكو أن مطابع العالم تُخرج كلَّ أربعين دقيقة من الكلام المطبوع ما لو

(١) الإحكام في أصول الأحكام، ١/ ٣٣ وما بعدها.
(٢) السابق، ١/ ٣٤ وما بعدها.
(٣) السابق، ١/ ٣٣.
(٤) مشكلات اللغة العربية، ١١ وما بعدها.
(٥) اللغة العربية في العصر الحديث، ٦٥، واللغة العربية وسؤال المصير، ٣٠.
(٦) اللغة العربية وتحديث العصر، ١٠.

جُمِعَ في كتاب، لبلغ أربعة وعشرين مجلدا، كلٌّ واحد منها بقدر مجلد من مجلدات الموسوعة البريطانية، وما تُصْدِره المطابع كل يوم يشتمل على ما يزيد على خمسين اصطلاحا علميا جديدا، لم يكن له وجود قبل يوم واحد[١]. أي نحو ١٨٠٠٠ اصطلاح كل عام، وإذا أُدخل ذلك بلفظه في لغة من اللغات، كانت حصيلته بعد خمسة وخمسين عاما نحو مليون كلمة، ولن تكون بعد دخول مليون كلمة أجنبية فيها، في أحسن الأحوال، إلا لغة من اللغات الهجين، أما في أسوئها -وهو الأقرب-، فسيموت أكثر معجمها كما ماتت الكلمات العربية التي استُعملت مكانها كلمات دخيلة، كالمشموم (المسك)، والتامورة (الإبريق)، والحرُض (الأشنان)، والمُتك (الأترج)، والفرصاد (التوت)، والسَّمسَق (الياسمين)، والدُّجر (اللوبياء)، والتقَدة (الكزبرة)[٢]، إلخ، وكذلك يفعل الدخيل بالأصيل في كل لغة، إذا طال عليه الأمد[٣]؛ لأن اللغة تكره دالَّين لمعنى؛ ولذلك كان الأغلب أن تتوارى الكلمة القديمة شيئا فشيئا، ثم تَمَّحي[٤].

وإذا زيد في هذا ما يدخل العربية كل يوم من الألفاظ الأجنبية التي ليست باصطلاحات، وأن أساليبها محذوة على أساليب اللغات الأعجمية، وتتكثر من النحت والتركيب، وتستعمل ما بقي من المفردات العربية بمعنى المفردات الأعجمية، فماذا سيبقى منها غير الخط؟! والذين يعارضون الدخيل يرون أن للعربية مندوحة عن المصير الذي يخشون عليها، فما من لفظ أعجمي إلا يمكن أن يوضع له مقابل عربي، يغني عنه[٥]. ويقرُّون -مع ذلك- بأن مفردات العربية غير تامة، ولا عيب عليها في ذلك، فمن غير الممكن أن توضع الأسماء لمسميات غير موجودة، وإنما العيب أن تستعار الأسماء من اللغات الأجنبية مع الغنى عنها[٦].

ويرى بعض أنصار الدخيل أن «المتشددين في التعريب» يسرفون في خشيتهم

---

(١) حول تعريب التعليم وتعريب العلم والتكنولوجيا، ١١٤، وعلم المصطلح، ١٦ وما بعدها.

(٢) انظر: الاقتراض في العربية، ٥٣٢.

(٣) اللغة العربية في مراحل الضعف والتبعية، ١١٧ وما بعدها.

(٤) محاضرات في علم اللغة العام، ١٩٤ (نقلا عن: القياس في اللغة العربية، ١٣٠).

(٥) الرسائل المتبادلة بين الكرملي وتيمور، ١٢٥ و١٨١ وما بعدها (نقلا عن: حركة التعريب في العراق، ٨٧ وما بعدها)، وبلوغ الأرب في أحوال العرب، ١/ ٤٤.

(٦) الجهود اللغوية في المصطلح العلمي الحديث، ٧٠.

على العربية من الدخيل، واستعارة المفردات، وإن قوي أثرها، خارجة عن اللغة، فالمرء -كما قال فندريس- لا يتكلم في الوقت الواحد إلا لغة واحدة، ووحدة اللغة المتكلَّمة تستقر في شعوره، ولا عبرة بما يُظْهر التحليل من مفردات أجنبية في هذه اللغة[1]. فالعربي يتكلم بالعربية أو يكتب بها، وإن كثرت المفردات الأجنبية التي يستعملها، وهو لا يمكن أن يُعدَّ متكلما بلغة أجنبية، أو كاتبا بها لهذا السبب أيضا[2]. وقال إن أنصار التعريب يرون أن المفهومات التي للألفاظ المعرَّبة سوف تستقر ويألفها الطلاب والباحثون، كما يألفون الألفاظ العربية التي كانت غريبة عليهم، كما أن في التعريب فائدة محققة، أنه يدني العربية من لغات العلم الأوربية، ويجعلها قادرة على استيعاب العلوم الكثيرة[3]. وليس الأمر كما قال صاحب هذا الرأي ولا كما قال فندريس، فالدخيل إذا كثر، وكان حديثَ عهد بدخول، وكان المتكلم يعرف ما يرادفه من لغته، ظل يشعر أبدا بأنه أجنبي، وأن بينه وبين الكلام الذي يُجعل فيه عدم توافق، كعدم قبول بعض الزيادات، كعلامة التأنيث، و«أل»، والتنوين، وعدم قدرته على أن يشتق منه، أو يصرِّفه كما يصرِّف ما يقبل التصريف من لغته، وإن اشتُقَّ منه، أو جمعَه، شعر بأنه فعل أمرا غير مستساغ، كأن يجمع هوسبيتال (مستشفى) على هوسبيتالات، وأمبيولانس (إسعاف) على أمبيولانسات. وإنما يصدق كلام فندريس على غير العارف باللغة، فهو يحسب أن الدخيل غير دخيل، ولا سيما إذا كان قديما قِدَما أنسى أصله. على أن المتكلم، ولو ألف الدخيل، وتعوده، وتكلم اللغة من غير أن يشعر بتمايز الأصيل والدخيل ما غيَّر ذلك من حقيقة اللغة التي يتكلم بها شيئا: أنها لغة هجين، وتحتاج إلى تعلُّم، ولا يفهمها إلا بعض أفراد الجماعة اللغوية، وليست لها قواعد مكتوبة، ولا تراث، إلخ، وهذا من أسباب أن كثيرا مما يكتب بالعربية الهجين لا يفهمه من العرب إلا من يعرف لغة أجنبية، وأن أهل المشرق العربي لا يفهمون بعض عربية أهل المغرب العربي؛ لما فيها من الكلم الفرنسي. وصاحب هذا الرأي يقرُّ بأن في الكلمات المعرَّبة خطرا، ما ينبغي أن

(١) اللغة، فندريس، ٣٥٨.
(٢) التعريب في القديم والحديث، ٢٣٤.
(٣) السابق، ٢٣٤.

يستهان به، ولا أن يقلل من ضرره؛ لأنها لا توحي إلى القارئ العربي شيئا من معانيها، ولا يفهمها ما لم تشرح له شرحا وافيا[1]. وقال إن لاستعارة المفردات الأجنبية -مع أنها ليست من مقومات اللغة، بل هي مسألة من خارجها- خطرا، ينبغي التنبيه عليه، ذلك أن إقحام الكلم المعرَّب في الكلام العربي من شأنه أن يؤدي إلى بلبلة واضطراب في رسمها، وأحكام هجائها، وصحة لفظها وصياغة كلماتها، ولا سيما إذا تضمنت الكلمة أصواتا لا نظائر لها في العربية، أو طالت طولا يتجاوز المعهود فيها[2].

وأشد العرب تعصبا للنقاء لا يمانعون في التعريب، ولا يتعصبون على الدخيل، ولا يرفضونه بإطلاق، وإنما يعدونه ضرورة، والضرورة تقدر بقدرها، وطريقةً من طرائق وضع الاصطلاح، ولكنهم لا يعدونه وسيلة من وسائل نمو اللغة، ويرون أن لا بأس به إذا لم يكن منه بد، على أن يكيف مع نظام العربية الصوتي والصرفي[3]، ويرون أن هذين الشرطين يدرآن عنها غائلة الهجنة، والتبدل، وأن تصبح مفرداتها أقلية فيما يدخلها من اللغات الأجنبية. ويرون -بعدُ- أن الدخيل في القرآن، والعربية كلها قليل، وبعضه ليس بدخيل، وإنما هو مشترك بين العربية وما يسمى اللغات السامية، ومنه ما كان العرب يستعملونه قبل أن يتصلوا بأهلها[4]. وقد اشتمل «المعرَّب» للجواليقي على ٩٠٠ كلمة منذ العصر الجاهل إلى القرن السادس الهجري، كثير منها أعلام، فإن عُـدَّت القرون الخاصة بالتعريب إلى زمان الجواليقي ستةً، وقُسمت المعرَّبات بينها، أصابت كل ستتين ثلاثة معرَّبات، وهذا قليل جدا، وإذا أُخرجت منها الأعلام، وينبغي أن تُخرج، أصابت السنة أقل من ذلك بكثير. وأكثر المعرب فارسي الأصل، وغير مجهول ما كان بين العرب والفرس من اختلاط، منذ الجاهلية إلى اليوم، ولا سيما أهل العراق، فكان التعريب «قائما -في الأعم الأغلب- على المجاورة الدائمة، والمعايشة والمخالصة والمتاجرة والمصاهرة»[5]، أي إنه كان تعريبا

---

(١) التعريب في القديم والحديث، ٢٣٤.

(٢) السابق، ٢٣٤ وما بعدها.

(٣) علم المصطلح، ٢٠، وبلوغ الأرب، ١/ ٤٥، وحركة التعريب في العراق، ٧٩.

(٤) تاريخ اللغات السامية، ١٦٣، ولغتنا والحياة، ٤٧.

(٥) المباحث اللغوية في العراق، ١١٨

تلقائيا طبيعيا، يقع مثله في العالم كله، ولم يكن بعضه -في الأقل- من حاجة علمية إلى الدخيل، ولا من إيثار للدخيل على الأصيل، كما يقع اليوم. وقد غُيِّر ما ورد في القرآن من الدخيل حتى وافق أوزان العربية، أو قاربها؛ فغدا كأنه منها، وأكثر ما يُدخله المحدثون في العربية يدخلونه بلفظه، ولما كانت اللغات التي يُدخلون منها مباينة للعربية في نظامها الصوتي والصرفي، كان حتما أن يكون أكثر دخيلها غير مستساغ، وأن يدخل عليها من الضيم ما لم يدخل بعض دخيل الفارسية وغيرها من اللغات القديمة. وقد قال كولماس إن للاقتراض اللغوي أنماطا مختلفة، أشيعها:

١- أخْذ الكلمة مع تغيير يوافق الأنظمة الصوتية والصرفية والإملائية.

٢- الترجمة.

٣- التهجين، بصنع الكلمة من لغتين.

وتختلف اللغات في هذه الأنماط، فالصينية -مثلا- تؤثر الترجمة غالبا، ويكثر الأخذ مع التغيير في الإنجليزية، وإنما آثرتِ الصينيةُ الترجمة لاهتمام الثقافة الصينية بالذات، ولأن نظام كتابتها ليس من السهل أن تندمج فيه كلمات مكتوبة بكتابة أخرى غير كتابتها. وتؤثر الإنجليزية الأخذ مع التغيير بسبب تطورها التاريخي منذ الاحتلال النورماندي، واتصالها الطويل بالفرنسية، وصرفِها اليسير الذي يسهِّل للصيغ الأجنبية أن تندمج في قواعدها دون جهد[(١)].

ويبدو أن من أسباب تهوين طائفة من أنصار الدخيل من آثاره في العربية أنهم يقيسونها بالإنجليزية، ويعجبهم ما يقال من أن عبقريتها في قدرتها على امتصاص الكلمات والصيغ الأجنبية، وتصييرها جزءا منها[(٢)]، وما من لغة إلا ولها فيها نصيب، ولو كلمة واحدة[(٣)]، وأن أقل الإنجليز من يستنكف من الدخيل، ويرى جلُّهم أن الدعوات إلى النقاء اللغوي لا طائل منها[(٤)]. ويبنون على ذلك أن العربية يمكن أن تكون كالإنجليزية، وينبغي أن تسنَّ بها سنتها، وأن يتقبل العرب ذلك كما يتقبله الإنجليز. والإنجليزية لغة ملفقة من لغات

---

(١) اللغة والاقتصاد، ٣١٥ - ٣١٧.

(٢) قلق المعرفة، ١٢٧.

(٣) لماذا تتغير اللغات، ١١٢.

(٤) السابق، ٢٠٧.

شتى، كالجرمانية، والإسكندنافية، والفرنسية، فـ٦٠٪ منها من الفرنسية، ويقدر بعضهم ما اقترضت من بنيتها ومعجمها الحاليين من اللغات الأجنبية، ولا سيما اللاتينية، والفرنسية، والنورمانية، واليونانية، بما بين ٧٧ و٨٠٪، وهي نسبة كبيرة جدًا، إذا ووزنت بنسبة الاشتقاق من الإنكليزية القديمة وأصولها في الجرمانية البدائية. وتضم منوعات كثيرة من لهجات شتى، أكثرها غير مدون، يختلف بعضها عن بعض اختلافا بينا[1]، وأكثر ما تدخل تدخله من لغات من فصيلتها، وتوافقها في مأخذها (اليونانية واللاتينية). واللغة الهجين لا هوية لها، ولا تجانس بينها، ولا تتأثر بالإدخال، وإذا أدخلت، فإنما تضيف دخيلا إلى دخيل، وليست كاللغات الانطوائية، كالألمانية، والفنلندية، والأيسلندية[2]، وليست العربية بهجين، ونظامها لا يقبل ما تقبل الإنجليزية، كما لا تقبله اللغات الأوربية الفصحى، وإنما تعده تمييعا، مع أنها قد تفعله[3]. وما يراه المعارضون للدخيل من العرب يراه غيرهم من الشعوب، ودواعيه عندهم كدواعيه عندهم، ومعارضتهم إياه واشمئزازهم منه أكثر مساوقة لطبيعة العربية مما يريد بها من يريدون سَوْقَها في قَرَن مع لغات تخالفها في نظامها الصرفي والصوتي.

ويرى الذين ينزعون إلى الحرية في الإدخال أن يُتْرَك الحبل على الغارب؛ ليُدخل كلُّ مَنْ شاء ما شاء، وكيف شاء، ولو كان للفظ المدخَل مرادف عربي، محتجين بأن في الدخيل العتيق ما كان له مرادف أصيل، يغني عنه، ولا ينظرون إلى حال العرب الحضارية، وما كانت تقتضي من عدم التخير؛ لما يغلب عليهم من البداوة، وقلة العلم؛ فعذَرَهم العلماء في مخالفات كثيرة، قدَّروا أنهم ما كانوا يدركون منها ما يدرك المتعلم، وحرَّموا ما وقعوا فيه على غيرهم من المتأخرين لاختلاف الحالين. وإرسال النفس على السجية، وعدم التقيد بالقواعد، والدعوة إلى ذلك والتجريء عليه، مما ينبغي أن يَرغب عنه المنتسبون إلى العلم، وقد غدت اللغة عند علمائها المعاصرين كالظاهرة الطبيعية التي يمكن التحكم فيها، ولها سياسة قائمة على التخطيط، يوكل أمرها

(١) لماذا تتغير اللغات، ٢١١، والأمازيغية المعيارية، ٤١.
(٢) اللغة والاقتصاد، ٣٤٢.
(٣) لماذا تتغير اللغات، ٢٠٨.

إلى مؤسسات متخصصة، فينبغي أن تكون المؤسسات أهلا لما يوكل إليها، وإذا ثبت أنها أهل له، فينبغي أن يُتَقيَّد بما تقرر، فإن لم تكن أهلا له، وجب أن يُتقيَّد بما يقرر الثقات من العلماء، ولم يترك الحبل على الغارب لكل من هب ودبَّ، يتصرف في اللغة كيف شاءت له قلة العلم؛ فإن الفوضى لا يصلح عليها أمر من أمور الدنيا. والعرب في هذا العصر أحوج ما يكونون إلى نظام يضبط أمر لغتهم، ويسوسها، ففي الوطن العربي اثنان وعشرون بلدا، يعمل كل منها على شاكلته، وإذا تُرِكَت الأبواب مشرعة لكل أحد، أدخل كل بلد من لغة مستعمره كيف شاء، وسقط الحاجز النفسي والثقافي بين العرب واللغات الأعجمية؛ فغدت اللغات كلها سواء عندهم، وذهب ما كان للعربية في نفوسهم من التجلَّة والإعظام، فصاروا لا يرون ضيرا من التبدل بها، ولا من الإدخال فيها، مع الغنى عنه؛ فيغلب الدخيل على الأصيل، وتصير العربية أثرا بعد عين. لقد جاور العرب في الجاهلية والإسلام أمما شتى، فكان ما أدخلوا من لغاتها بالقلة التي قد رأينا، وظل تقديس العربية في الإسلام وإجلالها والاعتداد بها وبثقافتها حاجزا نفسيا وثقافيا بين العرب والإقدام على إدخال ما يجدون مندوحة عن إدخاله من اللغات. وهذا يدل على أهمية الحواجز النفسية في الحفاظ على الهوية، والاعتداد بالشخصية الحضارية، وأن جدَّ بعض العرب في إسقاطها طوال هذا العصر أزال من النفوس بعض ما كان للعربية فيها، فغدت مهيأة للتحول عنها، والتبدل بها، وغدا بعضها من كرهها وعداوتها بما نعلم. وأمة في حال كحال العرب ينبغي أن يكون اجتهادها في استعادة ما فقدت من مناعتها أشدَّ من اجتهادها في الإتيان على ما بقي منها. أما انتقاد العزلة، ففي غير موضعه، فأي العرب اليوم يراها أو يفعلها؟ أوليس الغالب عليهم الإفراط في التخلي عن الهوية والخصوصية والنفس، والمسارعة في المحاكاة، والتوسع في إدخال المفردات الأجنبية من غير حاجة؟ وإذا كان هذا عزلة، ينبغي الخروج منها؛ لأنه شرط الحفاظ على العربية، فماذا يَبقى من العرب والعربية، إذا تمادوا فيما هم فيه، أو استزادوا منه؟!

لقد كان ما ذكر يعقوب صروف من وفرة الكلم غير العربي، وتجدده كل يوم جديرا بأن يزعه عما يذهب إليه من التوسع في قبول الدخيل، لا أن يغريه به؛

فإن لغة أربعة أخماسها دخيل ميتة. ومن أراد ألا تموت لغته، جهد في صيانتها من الدخيل، إذا كان بالكثرة التي ذكر يعقوب، وأن يحرص على الترجمة صونا لها من أن تتبدل كما تبدل غيرها من اللغات، أما أن الدخيل لا يمكن أن يكون له بديل من العربية، فما من كلمة أجنبية إلا يمكن أن يصنع لها بديل عربي، وهو -وإن كان عملا شاقا- ممكن، ومأمون العواقب، ويعين العربية على الحفاظ على هويتها، والصبر عليه جدير بأن يصنع لغة علمية يؤمَن عليها ما يخاف كل غيور على لغته، حتى تقوى ويشتد عودها، أما التوسع في الدخيل، فأيسر الطرق، وإذا كان هو وُكْد المجمعيين لم يكن لهم فضل على غيرهم. ولو أن العربية كانت كما يريد يعقوب ومن يرى رأيه، لكانت لغة جديدة، ليست هي العربية التي نزل بها القرآن، كما أن إنجليزية اليوم ليست هي الإنجليزية قبل أن يحتل النورمانديون إنجلترة، والمالطية ليست هي العربية. وإذا كان هو وأمثاله لا يرون بأسا بأن تكون العربية مثلهما، ولا بأن تكون للعرب عربية غير عربية القرآن، فإن المسلمين يرون به بأسا؛ لما يترتب عليه من «استغلاق القرآن الكريم والسنة النبوية على الناشئين»[1]، وتوقُّف فهمهما على أن يترجما إلى العربية الجديدة. وإذا كان من الممكن أن توجد مفردة عربية تقوم مقام المفردة الأجنبية، ولو «حوشية»، وهي مع ذلك تصون العربية من المسخ، وتُبقي على أسباب الوصل بين العرب ودينهم، وتراثهم، فينبغي أن تؤثَر على مفردة، تحول بينهم وبين ذلك، ويؤثرَ الصبر على «حوشيتها»، وصعوبة التفتيش عنه، كما يصبر الفرنسيون على ما في لغتهم من صعوبة، من أسبابها كثرة الشذوذ، وبُعْد ما بين المرسوم منها والمنطوق، ويصبر الصينيون، والكوريون، واليابانيون، والألمان، والروس، وغيرهم من شعوب العالم على ما يجدون من لغاتهم، بل العرب أولى منهم بذلك؛ لأن ما يرجون من لغتهم أعظم مما يرجو أولئك من لغاتهم، فليس في بعضها ما يرتبط بمقدس، وإنما هي وعاء تراث، ووسيلة من وسائل الجمع والتواصل، والحفاظ على الهوية، وترتبط العربية بأقدس شيء عند العرب، وتؤدي لهم ما تؤدي كل لغة لأهلها. وقد تقدَّمَ ما قال فيخته من أن بعض غير الوطنيين من الألمان الذين يمليون مع الفرنسية المستعمِرة كانوا هم

---

(١) مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ١/ ٢٠٠

الذين يصفون المفردات الألمانية بالغرابة والحوشية. وفي هذا إجابة عن سؤال يعقوب صروف: «ما فائدة اللغة مِن ترك كلمة إفرنجية، شاعت بيننا، والتفتيش عن كلمة حوشية قديمة، يُحتمَل ألا يؤدي معناها معنى اللفظة الإفرنجية، ولو بعد المط». فالكلمة الحوشية عربية، والكلمة الدخيلة إفرنجية، وغرابة الكلمة العربية لا تبلغ غرابة الكلمة الإفرنجية، وإذا كان الذي جعل الإفرنجية مأنوسة مألوفة عند من لم يكن يعرفها هو كثرة استعمالها، فإن الكلمة العربية «الحوشية» إذا كثر استعمالها، ذهب ما بها من غرابة، وأنست بها النفوس أكثر من أنسها بالكلمة الدخيلة؛ لأنها تدخل في كلام، هي منه، وتوافقه في كل شيء، وزنا، واشتقاقا، ونظاما صوتيا، وتبقى الإفرنجية إفرنجية أبدا، وإن طال عليها الأمد. أمَّا أنها لا تؤدي ما تؤديه الإفرنجية فإن العلاقة بين الكلمة ومعناها اعتباطية، وكل ما اصطُلح على أنه معنى لفظ من الألفاظ، كان هو معناه عند المصطلحين، وليس في اللغة كلمة تأبى أن تؤدي معنى، تُصطنَع له، ولكنَّ في الناس من يأبى أن يصطنعها؛ لأنه يؤثر غيرها عليها. وكثير من لغات العالم لم يكن فيه مرادفات لكثير من الاصطلاحات الحديثة، بيد أن الغُيُر من أهلها أبوا إلا أن يضعوا لها مرادفات من لغاتهم، وكبر عليهم أن يستعملوا كلمة أجنبية، في لغتهم ما يغني عنها. وما أدري ما مهمة المجامع، إذا لم يكن لها عمل وراء أن تُقرَّ ما هو في غنى إقرارها، وتُمضي ما هو في غنى عن إمضائها، من الألفاظ والأساليب الدخيلة؟.

واحتجَّ يعقوب لإيثار الدخيل على الأصيل حججا، ربما كان العدول عنها أولى بأعضاء المجامع العلمية، كأن الناس إذا سمعوا «مجهر» علَّقوها بضعف البصر لا بقوته على تكبير المرئيات، وأن «المنطاد» إنما وُضعت بعد أن شاعت «بلون»، والشائع من مادة «المنطاد» هو طود. وفي كتب اللغة أن معنى انطاد: ذهب في الهواء صُعُداً، ولكن هذا الفعل لا يخطر بالبال، ولم نره في كتاب غير المعجمات، وأن «البنك» صقلتها الألسنة منذ ما يزيد على خمسين عاما، والبنوك منتشرة في مصر، والشام، والعراق، والذين لهم علاقة بها يستعملون «البنك» في الكتابة والكلام ولا يستعملون غيرها، ولا نرى ما يحمل على العدول عنها، فهي خفيفة لطيفة جارية على الأوزان العربية في مفردها ومثَّناها

وجمعها. أما «المصرف»، فسكان مصر أربعة عشر مليونا، تسعة أعشارهم فلاَّحون، أو مشتغلون بالفلاحة، وعندهم ما يزيد على خمسة ملايين فدان، لكلِّ فدَّان ترعة، يروي منها، وأخرى ينصرف إليها الماء الزائد عن ريه أو المتحلب منها، واسم هذه الترعة مصرف، وجمعها مصارف، أي إن المصريين إذا ذكروا المصرف لم يعرفوا من معانيه إلا الترعة. وإذ قد شاعت «البنك»؛ فمحال أن يُقنَع أصحاب «البنوك» بإحراق رخصها الرسمية وسنداتها وسجلاتها، واستبدال «مصرف» بها[1]. وسبْق الكلمة إلى الألسن لا يستوجب تخليدها، ولا أن تمات بها كلمة عربية ترادفها، فالألفاظ تحيا وتموت، وتفنى وتستحدث، وكم من كلمة دخيلة شاعت في هذا العصر حتى ظُنَّ أن لن تزول، ثم زالت، وحلت محلها كلمة عربية، فقد أتى على العرب في مصر، والعراق، والشام، والحجاز، حين من الدهر وهم يقولون: الغازتة، والجرنال، والرزنامة، والكتبخانة، والإستبالية، والخوجة، والوابور، واللوكاندة، والأنتيكخانة، والأوتوموبيل، ولا يستعملون إلا المفردات التركية في أسماء المناصب، والرتب، والوظائف، وكثير من شؤون الحياة الأخرى، ثم صاروا عنها إلى الجريدة، والصحيفة، ودار الكتب، والمستشفى، والمدرِّس، والقطار، والفندق، والمتحف، والسيارة، وانتقلوا عن جل ما كانوا يستعملون من المفردات التركية إلى ما يرادفها بالعربية، كأنهم لم يستعملوها يوما. وعرَّب أحمد لطفي السيد communism بالكوميونية، ثم أعرض الناس عنها إلى الشيوعية، فلا يُعرَف اليوم غيرها، ولا يَعرِف الكوميونية إلا من له اطلاع على تاريخ الاصطلاحات في العصر الحديث. وعرَّب لويس عوض socialism بالسوسياليزم والسوسياليست، ثم صارت تُعرف بالاشتراكية[2]، ولا يُعرف غيرها. أما أن الكلمة تَلْبِس، لأنها من المشترك اللفظي، فما أكثر المشترك في لغات العالم، وما أكثر الكلمات التي لا يُبيِّن معناها إلا السياق الذي تَرد فيه، ولم يُعدَل عنها مع ذلك، كـ bank، في الإنجليزية، فإنها من المشترك اللفظي، وتستعمل اسما، وفعلا، ولها معان

---

(١) اللغة العربية والتعريب والتزمت فيه، المقتطف، مج ٧٤، ج ٥، ١/ ١٩٢٩ (نقلا عن: الجهود اللغوية في المصطلح العلمي، ٨٨ وما بعدها).

(٢) فن الترجمة، ٢٦ وما بعدها.

كثيرة، منها: زُكام، وجُرُف، وضِفَّة، ومقعد خشبي طويل، وصفٌّ مفاتيح في بعض الآلات الموسيقية والآلة الكاتبة، ومدير نادي قمار، ويقيم سدًّا، ويغطِّي النار برماد جديد؛ لتشتعل ببطء، ويُميل الطائرة جانبا، ويتَّكِل[1]. وتكتب في الفرنسية banque، ومن معانيها: ورقة نقد، وحساب مصرفي[2]، ومع ذلك يستعملها الفرنسيون والإنجليز بمعنى المصرف، فلا يلتبس معناها بواحد من هذه المعاني، كما لا يلتبس «المصرف» بهذا المعنى بالمصرف بمعنى الترعة عند فلاَّحي مصر، ولا بمعنى آخر من معانيها في العربية الفصحى. وما أحسب أن مصريا ورد على خاطرِه يوما أن «المصرف» في: لي حساب في المصرف، وأفلس المصرف، وموَّل المصرف مشروعا، يعني الترعة.

وسمَّى الذين لا يرون رأيه في الدخيل «عَبَدة اللغة»، وقال إنه لا يدري ما يفيدهم اعتراض اتساعها ومجاراتها لِلُغات الذين سبقوا العرب، وهو «مناقض على خط مستقيم» لسيرها في عصورها السالفة كلها[3]. وقال إن اللغة جسم حي نام، وشأن مَنْ يحاول منعها من النمو شأن الصينيين الذين يربطون أقدام بناتهم لكيلا تنمو وتبلغ حدها الطبيعي. ولو قُدر لأحد أن يحصي ما دخل العربية من العبرانية والسريانية والقبطية والرومية من الألفاظ والأساليب قبل نهاية القرن الثالث، لوجدها لغة حية نامية، كالإنجليزية، والفرنسية، والألمانية اليوم. والذين يريدون الرجوع بها إلى الصدر الأول، وإقفال أبوابها دون الجديد إنما يعملون على قتلها وتضييق السبل على المنشئين والمعرِّبين وناشري لواء العلوم والفنون[4]. وهو هجوم، يتوسل بالتنفير، ويتنكب منطق العلم، وإنما غرضه حمل العرب على قبول ما هم في غنى عنه من الدخيل، أما ما اصطنع له من الحجج، فضعيف؛ لأنه يعول أكثر شيء على الإيهام والاستغفال. فالعرب إذا رفضوا لفظا دخيلا فإنما يرفضونه لأنهم في غنى عنه بلفظ أصيل، استحدثوه، أو يمكن أن يستحدثوه، للدلالة على المفهوم الذي يدل عليه

---

(١) انظر: المورد، 87، و44 .Oxford Students Dictionary of Current English, p

(٢) انظر: المنهل، ٩٩.

(٣) اللغة العربية والتعريب والتزمت فيه، المقتطف، مج ٧٤، ج ٥، ١/ ١٩٢٩ (نقلا عن: الجهود اللغوية في المصطلح، ٨٦).

(٤) أسلوبنا في التعريب، المقتطف، مج ٣٣، ج٧، ١٩٠٨ ص ٥٦٩، (نقلا عن: الجهود اللغوية في المصطلح، ٩١).

الدخيل، واستحداث اللفظ الأصيل يوسع اللغة وينميها، إن كانت تنميتها واتساعها هما غاية يعقوب، كما يوسعها وينميها إدخال الدخيل، في نظره، إلا أن للدخيل تبعات، ليست للأصيل، فعَبَدة اللغة، إذ رفضوا «البنك»، لم يرفضوا مفهومه، ولا تركوه غفلا من غير دالٍّ يدل عليه، وإنما اشتقوا له من لغتهم لفظا (مصرفا)، يبين عنه، والعلاقة بينه وبين المفهوم واضحة للعرب كافة، بخلاف العلاقة بين «البنك» ومعناه، فليست بواضحة، ولا يعرفها أحد منهم. ويقال مثل ذلك في رفضهم البللون، وتسميته «منطادا». و«بنك» و«بللون» ليست لهما في نفسيهما خصوصية، تجعل تنمية اللغة واتساعها مشروطين باصطناعهما دون مرادفيهما العربيين، ويعقوب يعلم ذلك، ولعلمه إياه عمد إلى ما قال في الإعراض عن «بنك» و«بللون»، واشتقاق «مصرف» و«منطاد». وإعراضه عن هذه الحقيقة وإيثاره ذلك الهجوم يدل على أنه يريد الدخيل لذاته، لا لأن العربية في حاجة إليه. أما ما ادعى من توسع اللغات بالدخيل وعدم تحرجها منه، فإن اللغات ليست سواء في تقبل الدخيل، فإذا كانت الإنجليزية تتقبله، فالفرنسية لا تتقبله، ولها معه شأن، ذكرنا طرفا منه، أما العربية القديمة، فقد أثبت الشيخ أحمد الإسكندري أن ما دخلها منه لا يزيد على ألف كلمة، وهو يدل على أنها كانت مقتصدة فيه، كما يدل عليه صغر «غرائب اللغة»، لروفائيل نخلة، وقلة ما ورد فيه من الدخيل، على فرض أنه كله دخيل، ولو عَدَّ ما عده دخيلا من اللغات السامية من المشترك بينها، لكان الكتاب أصغر مما كان، وكان ما فيه من الدخيل دون ما فيه. هذا إلى ما قال محمد كرد علي، من أن العرب لم يكن لهم متسع من الوقت ليضعوا لما عرَّبوا من الألفاظ الفارسية أسماء عربية، وكانوا -على الأغلب- يحرصون على التعبير عن المعنى بكل لفظ عرَض لهم، ويهمهم التعبير عن المسمى لا الفصاحة[1]؛ فقد كانوا بداة أميين، وجلّ حياتهم مبني على التلقائية، ولا يعرفون خطر اللغة، وليست لهم حيلة في مدافعة ما يهجم عليهم من المفردات التي لا يعرفون ما يطابق معناها من لغتهم، أو يعرفونه ولكنه لا يحضرهم، أو يحضر بعضهم دون بعض، فيستعمله مَن حضره، ويستعمل الدخيلَ مَن لم يحضره، فيبقى اللفظان مستعملين في

---

(١) المذكرات، ٤/ ١١١٦.

العربية، ولكن الذي يستعمل الدخيل لا يستعمل الأصيل؛ لأنه لا يعرفه، أو لا يحضره، ولو عرفه أو حضره، لاستغنى به، إلا أن يظنَّ أنهما غير مترادفين، لِما قد يكون بينهما من تباين من بعض الوجوه. وما كان التخير من دأبهم، ولا كان يهمهم من أمر اللغة ما يهم المتحضرين، شأن كل شعب بدائي، يعمل بالفطرة، ولا يعرف التنظير والتخطيط. وقد جرَّت عليهم البداوة والجهل من الخلل وعيوب الكلام ما هو معروف في كتب اللغة والأدب والنقد، مما التمس له اللغويون المعاذير، وجهدوا في أن يردوه إلى وجه من الصواب، فتكلفوا في ذلك تكلفا، يملؤه التمحل، وعجزوا عن تخريج كثير منه، مع ذلك، وغيَّروا بعضا. وما كان بعض العرب الأولين -إلى ذلك- يسلمون من الإعجاب بالحضارة وأهلها، وما يستتبع الإعجاب من الاقتراض لغير حاجة، كما هي حال العرب اليوم. وكان بعضهم يجاور العجم، ويدين بدينهم، ويقرأ كتبهم؛ فكان تأثرهم بلغتهم أشد، وتحرُّجهم منها أقل، وعن طريقهم دخل العربية ما دخلها من لغاتهم، وعنهم أخذه أهل البوادي، وكانوا وسطاء بينهم وبين العجم. وهو ما تدل عليه دراسة الدخيل، وكميته، واللغات التي دخل منها[1]. وكان ذلك في الجاهلية، فلما نزل القرآن خاطبهم بما يعرفون، وما كان ليعدل عنه وهو يريد الإبلاغ، وكان ما ورد فيه من الدخيل أمثل من مرادفه العربي؛ لأن الاستعمال حكَّكه، فأذهب بعض ما فيه من آثار العجمة، فغدا عربيا في وزنه وأصواته، أو قريبا منه. فما ينبغي أن يُحتجَّ بإدخالهم الألفاظ الأعجمية وهم يجدون بديلا منها في لغتهم، ولا أن يُقتدى بهم في ذلك بإطلاق، إلا إذا جاز أن يُقتدَى بهم في كل ما أتوا من الأخطاء الصريحة، والضرائر القبيحة.

وقد وقع بعض تراجمة العصر العباسي فيما وقع فيه عرب الجاهلية من الإدخال لغير حاجة، إما لقلة العلم بالعربية، وإما لعدم الوعي بضرر الدخيل، ولو كانوا من الفَوَقَة في اللغة لعصموها من كثير من الألفاظ البغيضة كما فعل التراجمة الذين جاؤوا بعدهم، فقد ترجموا بعض ما أدخلوا من الألفاظ اليونانية، وتخيروا له من الألفاظ العربية ما أماته، وأصلحوا كثيرا مما تُرْجم[2].

---

(١) انظر غرائب اللغة العربية، ١٧٢ - ٢٣٧.

(٢) المباحث اللغوية في العراق، ١١٧ وما بعدها، والمصطلحات العلمية في اللغة العربية، ٢٨، والفهرست، ٣٤١.

ولـم يكـن الذيـن أدخلـوا الألفـاظ الفارسـية والسـريانية مـن اللغوييـن، وإنمـا كانـوا مـن النَّقَلـة، وكان الذيـن ترجموهـا بألفـاظ عربيـة فصيحـة مـن اللغوييـن، فقـد قـال النقلـة مثـلا: السولوجسـموس، والأفودقطيقـي، والسوفسـطيقي، والريطوريقـي، والبيوطيقـي، ولمـا جـاء المعربـون اللغويـون سـموها: القيـاس، والإيضـاح، والمواضـع، والتحكـم، والخطابـة، والشـعر[1]. وكانـت كثـرة الدخيـل فـي الكتـب المترجمـة مـن اليونانيـة دليـلا علـى أن التراجمـة مـا كانـوا يحسـنون اللغتيـن، ولا يدركـون ضُـرَّ مـا يفعلـون، فلـم يكـن فـي وسـعهم إلا أن ينقلـوا اللفـظ كمـا هـو، أو بتغييـر يسير. وقـد انتقـد البيرونـي علـى التراجمـة الإبقـاء علـى اللفـظ الأعجمـي علـى وجـود مـا يغني عنـه مـن العربيـة، وعـده خيانـة، فقـال: «وللتراجمة فيهـا خيانة أخـرى، هـي تـرك بعض مـا يوجد في أرضنـا من العقاقير وفي لغة العرب اسـم لها، علـى حالـه باليونانيـة، حتـى يحـوج بعـد الترجمـة إلـى تفسـير، كالكرفـس الجبلـي، والجـزر البـري، ولحيـة التيـس، وأمثالهـا، فإنهـم لـم ينقلوهـا إلـى العربيـة»[2].

ومـن وازن بيـن التراجمـة الأوليـن والتراجمـة الآخِريـن، علـم فضـل الآخريـن علـى العلـم والعربيـة، وقلـة جـدوى مـا فعـل الأولـون، فقـد نَمَّـى الآخِـرون العربيـة، وأغنوهـا بمـا اسـتحدثوا مـن الألفـاظ العربيـة، وهيؤوهـا لأن تكـون وعـاء العلـم الأول فـي العالـم، وأعانـوا العـرب علـى أن يفهمـوا علـوم الأوائـل، إذ كتبوهـا بلغتهـم، وترجـم الأولـون ترجمـة ركيكـة، لا تبيـن، وأدخلـوا مـن الألفـاظ اليونانيـة كل طويـل ثقيـل وخيـم، يتعـذر نطقـه كمـا يتعـذر فهمـه. وإنمـا كان ذلـك مـن قلـة الـزاد مـن العربيـة واليونانيـة كلتيهمـا، وعـدم معرفتهـم بمـا يترجمـون، خلافـا لمـا ذهـب إليـه الدكتـور أحمـد شـفيق الخطيـب مـن أنهـم مـا أدخلـوا مـا أدخلـوا عجـزًا عـن ترجمتـه، فمـا كانـت عبقريـة ابـن سـينا تعجـز عـن تخليـق مقابـلات تترجـم كلمـات ككيلـوس، وكيمـوس، ونقـرس، ولا كان الكنـدي عاجـزا عن توليـد ألفاظ تقابـل أنولوطيقـا، وريطوريقـا، وبوليطيقـا، وهـو الـذي أجـاد شـرحها فـي رسـائله، ولا كان البيرونـي والخوارزمـي وابـن الهيثـم قاصريـن عـن اسـتنباط بديـلات لـ: زيـج، وجيومطـري، وأرتموطيقـا، وأسـطرونوميا. وإنمـا أدخلـوه رغبـة فـي الدقـة

---

(١) اللغة والعصر، ٦/ ٢٩٢ وما بعدها.

(٢) كتاب الصيدنة، مخطوط، ١٤ (نقلا عن: علم المصطلح وطرائق وضع المصطلحات في العربية، ٣٢٨)

وحفاظا على الصلة العلمية مع سائر اللغات[1]؛ فهو فرض، لا دليل عليه، فقد كان من الأولين من لا يهتدي إلى ترجمة الكلمة الأعجمية، فيوردها بلفظها، وما كانوا يخشون على العربية من اليونانية ما يُخشى عليها اليوم من الإنجليزية والفرنسية، وآية ذلك أن أحدهم كان يستعمل اللفظ الدخيل تارة، ومرادفه العربي أخرى، كما كان يفعل الخوارزمي، فإنه يقول إن «الأمور الإلهية» تسمى باليونانية تاولوجيا، وعلم الأرتماطيقي هو علم العدد والحساب، والجومطريا هو علم الهندسة، وعلم الأسطرنوميا هو علم النجوم، وعلم الموسيقا هو علم اللحون[2]. يسمي الاصطلاح مرة باليونانية ويفسره بالعربية، ويسميه مرة بالعربية ويذكر اسمه باليونانية. ويذكر الهيولى ومعانيه، ثم يقول إنه يُسَمَّى المادة، والعنصر، والطينة، ويذكر الأسطقسات، ويقول إنها تسمى العناصر[3]. وتفسيره الاصطلاحات الأعجمية دليل على علمه بما يقابلها بالعربية، ومع ذلك كان الشائع في الدلالة عليها هو الاصطلاحات الأعجمية. ولو كان يحرص على استقرار الاصطلاح العربي وثباته، لسمى «الأسطقس» العنصر، وقال إنه يسمى عند اليونانيين الأسطقس. وذكر «فنطاسيا»، وفسرها بالقوة المخيلة من قوى النفس، ولم يكلِّف نفسه تسميتها المخيِّلة، أو الخيال، ويقتصرْ على ذلك في كل ما كتب عنها، من أجل أن يُقِرَّ في نفس القارئ أن هذا اللفظ يدل على هذا المعنى، وينبغي أن يستعمل فيه دون غيره. وذكر الكستبرود، وقال إنه الديوان، يحفظ فيه ما يزيد وينقص من الخراج، ولم يسمه ديوان النقص والزيادة. وذكر في الفصل الذي خص به المنطق أسماء فصوله التسعة باليونانية، مع أنه كان يسميه المنطق، والمدخل[4]، وفصَّل كل واحد من فصوله فيما بعد، وسماه بالعربية، وسمى المنطق إيساغوجي، وسمى فصوله قاطيغورياس، وأرمينياس، وأنولوطيقا، وأفودقطيقي، وطوبيقي، وسوفسطيقي، وريطوريقي، وبيوطيقي[5]. وبقيت كلمة إيساغوجي شائعة في التراث العربي، ولم تبطلها كلمتا المنطق

---

(١) دفاعا عن التعريب، ١٩٧.
(٢) مفاتيح العلوم، ١٥٣ وما بعدها.
(٣) السابق، ١٥٨ وما بعدها.
(٤) العربية لغة العلوم والتقنية، ١٦٥.
(٥) مفاتيح العلوم، ١٦٤.

والمدخل، على شيوع الأولى منهما (المنطق). وذكر الأصطرلاب، وقال إن معناه مقياس النجوم، وإنه في اليونانية أصطرلابون، وهو مركب من أصطر، ومعناه النجم، ولابون، ومعناه مرآة[1]. صحيح أن الخوارزمي كان مفسرا للاصطلاحات، ولم يكن منشئا لها، لكن ذلك لا يعفيه من إقرار الاصطلاحات العربية للمفهومات التي يعبَّر عنها بالألفاظ الأعجمية. وكذلك فعلَ ابن النديم، فقد قال -مثلا-: الكلام على سوفسطيقا، ومعناه الحكمة المموهة، والكلام على ريطوريقا، ومعناه الخطابة، والكلام على أبوطيقا، ومعناه الشعر[2]، وجومطريا، ومعناه الهندسة[3]. وهذا يدل على واحد من أمرين: أن أسماء هذه الكتب أُبقيت بألفاظها اليونانية ولم تترجم، على علم التراجمة بما يقابلها من العربية، أو أنها ترجمت، ولكن ابن النديم ذكر أسماءها في اليونانية. بيد أن الاحتمال الأول هو الراجح، وأن ذلك كان في بداية الترجمة، فإن بعض التراجمة ما كانوا يحسنون الترجمة، ولا يعرفون مقابل بعض الاصطلاحات اليونانية، فأبقوا كثيرا من الكلمات اليونانية بألفاظها من غير ترجمة، فلم يغير المترجمون الذين جاؤوا بعدهم من اصطلاحاتهم إلا القليل؛ لأنها كانت قد شاعت[4]. ويؤيد هذا أن ابن النديم ذكر هذه الأسماء تحت هذا العنوان: ترتيب كتبه (أرسطاليس)، وجعل قبل سردها هذه العبارة: الكلام على كتبه المنطقية، ثم سردها على هذا الوجه: قاطيغورياس، معناه المقولات، باري إرمانياس، معناه العبارة، أنالوطيقا، معناه تحليل القياس، أبودقطيقا، وهو أنالوطيقا الثاني، ومعناه البرهان، إلخ، الكلام على قاطيغورياس، بنقل حنين بن إسحاق[5]، فهو يورد الاصطلاحات بألفاظها اليونانية، ثم يفسرها من غير أن يَظهر في كلامه ما يدل على أنه يريد أن يجعل لكل اصطلاح يوناني مقابلا عربيا. وربما كان سبب ذلك أنهم خالوها أعلاما، فعدلوا عن ترجمتها، وإنما أسماء الكتب مفردات من مفردات اللغة، فيجب أن تترجم كما يترجم غيرها، وهو ما كان يفعله كثير من

(١) مفاتيح العلوم، ٢٥٣.

(٢) الفهرست، ٣٤٩.

(٣) السابق، ٣٧١.

(٤) انظر: المباحث اللغوية في العراق، ١١٧ وما بعدها.

(٥) الفهرست، ٣٤٧.

التراجمة، فقد ترجموا أسماء بعض كتب أرسطو، في الأقل، كالسماع الطبيعي، وكتاب السماع والعالم، والكون والفساد، والآثار العلوية، وكتاب النفس، والحس والمحسوس، والحيوان، إلخ[1].

ويدل هذا العمل على أن الأولين ما كان لهم من الوعي العلمي والحضاري ما يحملهم على الحرص على تعريب العلوم بتعريب اصطلاحاتها وإشاعتها في الناس عونا على فهمها، وصونا للعربية من الدخيل، وأنَّ أقصى ما كانوا يريدون أن ينقلوا الفكرة، وليس لهم أرب وراء ذلك، وإن كان الإبقاء على الألفاظ أعجميةً مما يحول دونه. وقد يكون سبب هذا أن كثيرا منهم كانوا سريانا، وكانت الترجمة عملا رسميا لهم، يأخذون عليه أجرا، فهم ينقلون الكتب من أقصر الطرق، كبعض تراجمة الروايات من اللغات الأجنبية إلى العربية، اليوم، يعاقدون دور النشر على أن ينقلوا لهم من مضمونها ما يستميلون به القراء، ويتبلغون ما يبغون من الربح، من غير أن تكون لهم غاية وراء ذلك، ولا يبالون التعريب، ولا دقة النقل، كما لا يحرصون على جودة الأسلوب، لقلة علمهم بالعربية. وكان هذا دأب حنين بن إسحاق، وغيره من التراجمة. وربما كانت ترجمات عبد الله بن المقفع تختلف عن هذا اختلافا كبيرا: فما كان يُعرَف -من جودتها- أتأليف هي أم ترجمة. والباقي من مترجماته أدبي، فالاصطلاحات فيه قليلة أو نادرة، فليس في حاجة إلى استبقاء لفظ أعجمي، ليس لذكره فائدة، وكان ما يترجم غيره علما أو فلسفة؛ فكان يمتلئ بالمفهومات والاصطلاحات التي قد يجد بعضهم صعوبة في ترجمتها؛ فيبقون عليها. إلا أن الذي يبدو من ترجمات ابن المقفع أنه كان يميل إلى ترجمة الاصطلاحات، ولم يكن مَن جاؤوا بعده يحرصون على ما كان يحرص عليه؛ فاطَّرحوا اصطلاحاته، كما قال الخوارزمي: «ويسمِّي عبد الله بن المقفع الجوهر عينا، وكذلك سَمَّى عامة المقولات، وسائر ما ذُكر في فصول هذا الباب بأسماء، اطَّرَحها أهل الصناعة؛ فتركتُ ذكرها، وبيَّنت ما هو مشهور فيما بينهم»[2]. و«العين» عربية، و«الجوهر» فارسية، والكلمة العربية أخف وأوضح معنى من الكلمة الفارسية، ولكن أهل

(١) الفهرست، ٣٤٧.

(٢) البيان والتبيين، ١/ ٢٠.

الصناعة رغبوا عن العربي الواضح إلى الفارسي غير الواضح، كما يرغب بعض العرب اليوم عن الأصيل إلى الدخيل. ومن العادة أن يذهب أنصار الدخيل إلى أن مردَّ سقوط تلك الاصطلاحات إلى أن الناس لم يتقبلوها؛ لأن الباقي خير منها، ولعل الأمر كما قال الجاحظ: «والعامة ربما استخفَّت أقل اللغتين وأضعفهما، وتستعمل ما هو أقل في أصل اللغة استعمالا، وتدع ما هو أظهر وأكثر، ولذلك صرنا نجد البيت من الشعر قد سار ولم يَسِرْ ما هو أجود منه، وكذلك المثل السائر»(١).

وينبغي أن توضع مسألة الدخيل في العربية، في عصورها الأولى، في سياقها التاريخي الحضاري؛ فذلك الذي يعين على فهمها وتقويمها بمعزل عن حال العرب اليوم؛ فإنه مختلف عن حالهم يومئذ، فلم يكن العرب في الجاهلية وصدر الإسلام والعصر الأموي والعصر العباسي يتساوون في إدراك أهمية التعريب واصطناع اللغة الوطنية في شؤون الحياة كما تدرك الشعوب اليوم أهمية ترجمة العلوم، واصطناع لغاتها في شؤون الحياة كلها، ولا كانوا يخشون اللغات الأجنبية على لغتهم، ولا كانوا يرون بأسا بأن تُستعمل الفارسية والرومية والقبطية في بعض إداراتهم؛ وآية ذلك أن عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- لما أنشأ ديواني الخراج والجند، ولاَّهما كتَّابا غير عرب، وتركهم على ما كانوا يستعملون من اللغات(٢)، وكان في وسعه أن يعرِّبهما، وأن يستعين على ذلك بعرب العراق والشام، وكانوا يعرفون الفارسية والرومية، وبمن كانوا يعرفون العربية من الفرس والروم. وظل الأمر على ذلك حتى أَمَرَ عبد الملك بن مروان عام ٨١ هـ بتعريب دواوين الشام؛ وكان سبب ذلك -كما روى المدائني- «أن بعض كتَّاب الروم في ديوانه أراد ماءً لدَواته، فبال فيها بدلا من الماء، فأدَّبه، وأمر سليمان بن سعد أن ينقل الديوان إلى العربية»(٣). ومما يشكِّك في صحة هذه الرواية أن الذي كان يكتب لعبد الملك هو سرجون بن منصور، وكان رفيع القدر عنده وعند مَنْ قبله من بني أمية، كمعاوية، ويزيد، ومروان بن الحكم،

---

(١) مفاتيح العلوم، ٨٦.

(٢) الأحكام السلطانية، ٣٤٠ وما بعدها.

(٣) السابق، ٣٤١.

وكان كاتبا لهم، ومستشارا لبعضهم، كيزيد، فمثْله -إن فُرض فرضا أن الماء أعوزه- لا يبول في دواته، ولو بال فيها، وعزله عبد الملك لولاَّها غيره من الروم، وكان الكَتَبَة منهم في ديوانه كثيرا، ولم يقتضه ذلك أن يعرِّبه، ولا علاقة بين هذه الفعلة والتعريب، وكل ما تقتضي أن يُعزَل بغيره. وذكر ابن عبد ربه سببا لذلك، قد يكون أوجه مما قال المدائني، وأدنى إلى العقل: أن عبد الملك أمره بأمر فتوانى فيه، وأنه رأى منه بعض التفريط؛ «فقال لسليمان بن سعد، وكان كاتبه على الرسائل: إن سرجون يُدِلُّ علينا بصناعته، وأظن أنه رأى ضرورتنا إليه في حسابه، فما عندك فيه حيلة؟ فقال: بلى، لو شئتَ لحوَّلتُ الحساب من الرومية إلى العربية. قال: افعل، قال: أنظرني أعاني ذلك. قال: لك نَظِرةٌ ما شئت. فحوّل الديوان، فولاَّه عبد الملك جميع ذلك»[1]. غير أن خليفة بن خياط (ت ٢٣٠ أو ٢٤٠ و٢٤٦ هـ) -وهو أولى بالتصديق، لصدقه[2] وقدمه- قال إن سبب تولية عبد الملك سليمانَ بن سعد الخشني الكتابة موت سرجون، فـ«ترجم ديوان الشام بالعربية»[3]. ولعل تعريبه الديوان كان رأيا ارتآه، فأشار به على عبد الملك، فوافقه، وهو ما يفهم من قول بن ابن عساكر إن سليمان «أول مسلم ولي الدواوين كلها وحولها بالعربية»[4]. ويشهد لهذا أن عبد الملك لم يجعل التعريب عاما في الدولة كلها، وإنما قصره على الشام، وأن سليمان «كَانَ مِنْ نُبلاءِ الرِّجَالِ»[5]، ونبْله يجعله مظنة أن يفكر ذلك التفكير، وينجز ذلك الإنجاز العظيم. ودليل ثالث أن تعريب دواوين العراق كان بإشارة على الحجاج من كاتبه، صالح بن عبد الرحمن، ولم يكن بأمر من عبد الملك، وأن الحجاج اقتصر على تعريب العراق، ولم يجاوزه إلى أقاليم شرقي الدولة، مع أنها كانت تابعة له، كفارس وخراسان. وكذلك سائر ما كان من تعريب الدواوين بعد عبد الملك، كان شيئا ارتآه ولاة بني أمية، كعبد الله بن عبد الملك، والي مصر، ونصر بن سيار، والي خراسان، وكان للموالي فيه اليد الطولى، كسليمان بن

---

(١) العقد الفريد، ٤/ ٢٥٢، وانظر أيضا: أدب الكتاب، الصولي، ١٩٢ وما بعدها.

(٢) انظر: تاريخ خليفة بن خياط، ٨ وما بعدها (المقدمة).

(٣) السابق، ٢٣٢.

(٤) تاريخ دمشق، ٢٢/ ٣٢١، والوافي بالوفيات، ١٥/ ٢٣٩.

(٥) تاريخ الإسلام، ٧/ ٩٨.

سعد، فإنه مولى خشين من قضاعة[١]، وصالح بن عبد الرحمن، مولى تميم. وهذا يدل على أن حكام بني أمية ما كانوا يدركون أهمية التعريب الحضارية، كما يدل عليه أيضا أن تعريب الأمصار وقع بعد تعريب الشام في مدد متطاولة، فقد عُرِّب ديوان العراق بعد تعريب ديوان الشام، ثم عُرِّبَ ديوان خراج مصر في عهد الوليد (عام ٨٧ هـ)[٢]، ثم ديوان خراج خراسان في عهد هشام بن عبد الملك (١٢٤ هـ)[٣]، وكان بين تعريب ديواني خراسان والشام نحو ثلاثة وثلاثين عاما[٤]. ومَن لم يدرك أهمية تعريب الدولة، وتركَها بأيدي الفرس والروم، يكتبون دواوينها كلها أو جلها بلغاتهم، لا يخشى دخول كلمة أعجمية، ولا يهمه أن تحل محلَّ كلمة عربية.

وكما لا ينبغي الاحتجاج باستعمال الخلفاء الراشدين وحكام بني أمية الفارسيةَ والرومية في إداراتهم لاستعمال لغة أجنبية في إدارات الدول العربية اليوم، ما ينبغي الاحتجاج للتكثر من الدخيل اليوم بالتكثر من الدخيل في كتب الأولين، وتساهل بعضهم فيه. وقد سبق السريانُ إلى الترجمة من اليونانية إلى العربية، ولم تكن لهم معرفة جيدة بالعربية ولا اليونانية، ولا بالعلوم التي يترجمون؛ فكانوا يرددون ما لا يعلمون، كما تدل على ذلك ترجمتهم لكتاب الشعر لأرسطو، فإنها مَجْلًى من مجالي عدم القدرة على تصور الشعر التمثيلي، فقد كان متَّى بن يونس (مترجم كتاب الشعر) يجهل التراجيديا، والكوميديا، والمسرح، ولا يستطيع فهم اصطلاحات المسرح؛ فكان يترجم المسرح بخيمة، أو مسكن، والممثلين بالمرائين والمنافقين[٥]. وكذلك ما كتب ابن سينا والفارابي وابن رشد وحازم القرطاجني عن كتاب أرسطو هذا. ولما استوعب المسلمون العلوم والفلسفة اليونانية بعد ذلك، كان يسيرا عليهم أن يضعوا لها الاصطلاحات العربية السهلة الواضحة، فحلَّت محلَّ الاصطلاحات اليونانية

---

(١) تاريخ خليفة بن خياط، ت ٨١.

(٢) المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار (الخطط المقريزية)، ١/ ١٨٤

(٣) Philip hitti,Hhistoy of the Arabs , lendon 1970 , p. 246 . (نقلا عن: تجربة الحضارة الإسلامية في تعريب الأمة، ١٧).

(٤) السابق، (نقلا عن: تجربة الحضارة الإسلامية في تعريب الأمة، ١٨).

(٥) كتاب أرسطاليس في الشعر، ١٨٩.

المنكرة التي كان يتعذر النطق ببعضها، كإيالويذاس، وأوويذاس، وأمفيبليسطر ويذيس خيطن، وخوريويذيس، وسقليروس، وراغويذيس وقيراطويذيس، وأفيفافيقوس، وما شاكلها من الألفاظ العربية العفطية[1]. وكان بعضهم -كحنين بن إسحاق- ينتقد على ترجمة المتقدمين في عنف، ومنها ترجمته هو، إذ كان شابا، ولعدم رضاه عنها أعاد معظمها[2]. وكانت ترجمته المتأخرة -على ما قُرِّظت به- ربما وُصفت بركاكة العبارة[3]. ومما لا ريب فيه أن الألفاظ الأعجمية التي أبقوا عليها -إن كانت أدق من مرادفاتها العربية التي تُرْجِمَت بها بعد ذلك- ليست بأدقَّ منها إلا عند اليونانيين وحدهم، أما العرب، فلا يفهمون منها شيئا، فكيف تكون أدق من اللفظ العربي، وهي مجهولة المعنى جملة وتفصيلا؟.

(٨)

ويتوهم بعضهم أن الاصطلاح العربي لا يؤدي -أحيانا- المعنى الذي يؤديه الاصطلاح الأجنبي، والاصطلاح ليس بأكثر من عنوان، أو رمز لفكرة شاملة، أو صورة ملأى بالتفاصيل التي لا يبين الاصطلاح بمعناه الحرفي إلا عن أقل شيء منها، وربما يتجاوز معناه اللغوي، ولا يُشترَط له أن يستوعب المعنى كله، ولا أن يكون جامعا له مانعا لغيره، بل هو مقصِّر أبدا عن الإحاطة به، وإنما يرمز إليه فقط، و«لا يمتُّ إلى حقائق الأمور بصلة»، ويوضع لأدنى ملابسة بينه وبين معناه، وأضعف سبب بينهما؛ من أجل ذلك يميَّز معناه عند أهل الفن من معناه في اللغة، ولولا ذلك، لكان كسائر ألفاظ اللغة[4]. وأكثر الاصطلاحات العلمية الإنجليزية -مثلا- مأخوذ من أصول لاتينية ويونانية قديمة، ليست بقابلة للتعبير الكامل عن المدلولات العلمية الحديثة المترفة البالغة التعقيد[5]. وليست دلالة

(١) الفهرست، ٣٤١، وكتاب المقالات العشر في العين، ٧٤ وما بعدها (نقلا عن: الترجمة وتطوير العربية، ٨).
(٢) العربية لغة العلوم والتقنية، ١٤٠.
(٣) السابق، ١٤٥.
(٤) تعريب التعليم الجامعي: ضرورات ملزمة ومنافع مؤكدة واعتراضات مفندة، ٢٩، والمصطلح اللساني النقدي، ٢٥٢، والمباحث اللغوية في العراق، ٩٢، والمصطلح وأهميته في المعجم التعليمي، واللغة العربية في عصر العولمة، ١١١.
(٥) في أساليب اختيار المصطلح العلمي ومتطلبات وضعه، ٣٦.

الاصطلاحات الأجنبية البسيطة بمؤدية معانيها العلمية الدقيقة، لولا الاصطلاح على ما تدل عليه، وليس من الصعب أن تؤدي الاصطلاحات العربية التي تترجمها ما تؤديه، ولا أن تدل على ما تدل عليه. أما ادعاء أن أكثر الاصطلاحات الأجنبية يؤدي من المعاني الدقيقة ما لا تؤديه الألفاظ العربية، فكلام لا يصدر إلا عن غير عارف باللغة الأجنبية، وغير عارف بدقائق العربية[1].

ويرى المرحوم محمد كامل حسين أن سرَّ نجاح الاصطلاح العلمي في لاتينيته، وكونه مأخوذا من لغة ميتة، وأن اللغات الحية لا تصلح لغةً للعلم، وآخر ما يؤبه به في الاصطلاحات المشتقة من اللغات القديمة المعاني التي تدل عليها أصولها، والذين يُعْنَوْن بمعاني هذه الأصول، يحسبونها سر نجاح اللغة العلمية، يخطئون في فهم حقيقة هذه اللغة[2]؛ فإن العلماء إنما اختاروا من صفات الأشياء صفة يحسبونها غالبة، ثم اشتقُّوا منها الأسماء، على أن تكون تلك الصفة أصل التسمية، ثم يُنْسِي ما يكشف عنه البحث من صفاتها الكثيرة معناها الأولَ، فلا يُنظَر إليه، إذا صار الاسم الجديد الذي تسمى به مقبولا، كالأوكسجين: أصل معناه مكوِّن الصدأ، ثم نُسيَ هذا المعنى، مذ عُرِف ما هَدَى إليه البحث من سائر صفاته. ولم يكن اختيار العلماء ما سَمَّوا به الأشياء من الأسماء لسبب علمي خاص، وإنما هو وسيلة يتوسلون بها إلى بناء كلمة، فحسب[3]. يلمِّح إلى ما ترجم الشيخ أحمد الإسكندري من أسماء العناصر. ويرى أن اللغات الاشتقاقية (كالعربية) مهما بلغت سعتها، لها حدود، تنتهي إليها، أما اللغات الإلصاقية، فلا يحدها شيء[4]، وأن الاصطلاحات العلمية لا تكون إلا باللاتينية، ولا يصح أن تترجم منها إلى غيرها؛ فإن اشتقاق الاصطلاحات من ألفاظ اللغات الحية المعروفة يوقع فيها من الاشتراك ما يجعلها مشاعة، وغير متعينة المعنى، ولا خاصة بالمعنى الذي تُصطنع له، كجل ألفاظ اللغات الحية؛ فاشتقوها من اللغات الميتة، تحاميا لذلك؛ فنجحوا، ويعود الفضل الأكبر في

---

(١) الصعوبات المفتعلة على درب التعريب، ٣٨.

(٢) اللغة والعلوم، ٢٥

(٣) السابق، ٢٣ وما بعدها.

(٤) السابق، ٢٠.

نجاحهم إلى ذلك[1]. ولو أراد العلماء، لوجدوا في اللغات الحية ألفاظا أجمل وأروع، ولكنهم تركوها، لا عفوا ولا عجزا، وعدلوا عنها إلى ألفاظ غريبة دائما، نابية أحيانا، مضحكة أحيانا؛ لأن ذلك هو ما يبلِّغ أغراضا علمية، لا تُتَبَلَّغ بغيرها[2]. ولما كان هذا هو ما ارتضى العلماء للاصطلاح العلمي، كان حتما أن يُدَرَّس طلاب العرب اللاتينية كما يدرَّسها الطلاب الأوربيون، وأن تتخذ منها الاصطلاحات، ولا تترجم كما يتخذها الأوربيون ولا يترجمونها إلى لغاتهم[3].

ومن قرأ هذا الكلام خاله مبنيا على حقائق وأصول علمية متفق عليها، لا مجال فيها للنظر أو الخلاف، بيد أن دراستها دراسة موضوعية وموازنتها بما يعمل عليه العلماء تبين أنها أقرب إلى الرأي منها إلى المسلَّمة العلمية، فنسيان أصل معنى الاصطلاح، وغلبة معناه الجديد لا يعنيان ألا يستعان بالأصل في الاشتقاق، فما زال اللغويون قديما وحديثا، والمتكلمون في كل زمان ومكان، يشتقون من الكلم بحسب ما يعرفون من العلاقة بين أصل معناه وما يَجِدُّ لهم من معان، يرون بينها وبينه صلة، تسوغ الاشتقاق منه. وكان الشيخ أحمد الإسكندري حين اقترح «المصدئ» للأوكسجين يرى أن تسمية العنصر بأظهر خصائصه أولى من تسميته بلفظ أعجمي، لا تظهر للعربي العلاقة بينه وبين معناه، بل لا تظهر لغير أهل اللغة التي أُخذ منها، وكان ما فعل هو مقتضى الترجمة، فإنها تعني وضع اللفظ العربي مكان اللفظ الأعجمي. وما يَعرِف الإسكندري من اعتباط العلاقة بين اللفظ ومعناه جعله يثق بأن الاستعمال سيكسب «المصدئ» دلالة تُطابِق دلالة «الأوكسجين» عند الكيميائيين، وما أراد أن يكون هذا المعنى (إحداث الصدأ) حاضرا في ذهن من يستعمل «المصدئ»، كما أن مقترحي «الجراثيم» لأصول الأمراض (الأحياء الدقيقة التي تنقل الأمراض)، و«الحافلة» للسيارة الكبيرة، وcrane للرافعة (الونش)، لم يكن يخطر ببالهم أن معنى أصول الأشجار، أو ما يكون حولها من التراب، والامتلاء (الحافلة)، والكُركي (مالك الحزين) الذي شُبِّهت به الرافعة، ستكون حاضرة أبدا في أذهان الذين يستعملون هذه

---

(1) اللغة والعلوم، ٢٣ وما بعدها و٢٥.

(2) السابق، ٢٦.

(3) القواعد العامة لوضع المصطلح، ١٣٩.

المفردات، بل يعلمون أن أكثر من سيستعملونها لن يعرفوا معانيها الأولى، وإنما تعرفها قلة من المخصين في اللغة. وقد قال الشيخ أحمد الإسكندري -رحمه الله-: العرب، لَمَّا كانت تعرِّب الكلمة، كانت تتلاعب بمعناها، ولا تلحظ فيها المعنى الأصلي كله[٤]، ثم يستقر معناها في الأذهان، ويدقِّق الاستعمال دلالتها عليه بتلازمهما تلازما يجعل كلا منهما يستدعي الآخر عند ذكره. ولما كان رأيه أن تعرَّب الاصطلاحات الأعجمية، كان ما يقضي المنطق أن يكون ما تُعَرَّب به هو ما يدل على ماهيتها، بغض النظر عن كون اللفظ الأعجمي يدل عليها أولا يدل عليها، وهو ما يحرص عليه كل من أراد أن يبين عن مفهوم من المفهومات، علميا كان أو غير علمي: أن يسميه بلفظ بينه وبين معناه سبب. وأظهر خصائص الأوكسجين تكوين الصدأ، فسماه المصدئ، من أجل ذلك، سواء أكانت التسمية اللاتينية تدل عليه، أم لا تدل عليه.

ولا يخفى أن مقتضى قول محمد كامل حسين إن للأجناس أسماء علمية، تخالف الأسماء التي يعرفها الناس في لغاتهم[٥]، أنه يرى أن لا مفر من تقبل الاصطلاحات الأجنبية بألفاظها، ولا يجوز التفكير في غيرها، وأن من سبقوا إلى العلم، فسمَّوْا مفهوماته من لغاتهم قد صبغوه بصبغتهم، فعلى مَن جاء بعدهم أن يتقبل ما وضعوا، وألا يفكر في غيره، بأن يسمِّيه تسمية غير التي سُبِقُ إليها، لأن تسمية السابق هي العلمية، وتسمية غيره، إن سمَّاه، تسمية أدبية، وهي -من أجل ذلك- غير مقبولة في لغة العلم، وعليه أن يَعدَّ ما يعرف في لغته من الاصطلاحات غيرَ علمي، فإذا خاض في العلم، وجب أن يعدل عنه، ويستبدل به ما سُبِقَ إليه، وأن يقصر لغته على المجالات غير العلمية، فـ«إنسان» -مثلا- يجوز استعمالها في الحياة العامة، ولغةِ الأدب، فإذا تُكُلِّم في أمر علمي بَحْت، وجب أن يُسَمَّى: Hamo Sapiens؛ لأنها هي التسمية العلمية. ويترتب على هذا أنه لا يرتضي الاصطلاحات العربية القديمة في لغة العلم[٦]. ويضرب لذلك مثلا من «العَكُّوب» (نبات)، والغندوليا، وهي اسم العالم الذي كشفه في

---

(٤) التعريب في القديم والحديث، ٢٤٨.

(٥) القواعد العامة لوضع المصطلحات العلمية، ١٣٨ وما بعدها.

(٦) السابق، ١٣٨ وما بعدها.

الغرب، فكلتا التسميتين غريبة، وإحداهما توافق التصنيف العلمي، ومعروفة عند العلماء جميعا، والأخرى غير معروفة عندهم، من أجل ذلك آثر «الغندوليا»؛ لأن علماء النبات الغربيين الذين لا يعرفون العربية لا يعرفون «العكوب»؛ فيجب أن يؤخذ بلفظه «العلمي»، وألا يعرَّف علماء العرب ما لا يعرفون من اسمه العربي، ولو كان تعريفهم إياه يسهِّل فهم معناه[1]؛ لأن للعلم لغة، هي اللغة الأوروبية ذات الأصول اليونانية واللاتينية، أما العربية، فلغة أدب؛ فلا يجوز أن تُخرَج منه إلى غيره. ولا بأس -في نظره- بأن تكون للشيء تسميتان: عامة، وعلمية[2]. ومن مهام مجمع اللغة إقرار ما دخل العربية من الدخيل، وتشريعه، وليس منها تعريب العلوم، ولا ردُّ العرب إلى لغتهم!.

ويدين المرحوم محمد كامل حسين في هذه القضية بالعجز والجبرية، واعتقاد أن الحياة الحديثة نَهَجَت سبيلها على يد مَنْ سبقوا إليها، فليس للمتأخر سوى الاتباع: «ما حيلتنا، وقد قام بناء الاصطلاحات الشاهق على هذه الأصول، وأصبح من المستحيل أن نغيرها، مهما يكن السبب في وجودها. المهم أنها موجودة فعلا، وأنها جزء من نظام عام، وأنها تطبعت بطابع التفكير العلمي، فأصبحت جزءا من العلوم. وإيجاد أسس جديدة محال وعبث، ويحتاج إلى أربعة قرون، على الأقل، لإيجاد مصطلحات تحل محل الذي نعرفه، منها الآن»[3]، هذا إلى أنه يفهم القضية فهما غير دقيق، ولا يعرف منها إلا بعض وجوهها، وربما كان هذا مما يسم فكر بعض معاصريه من العرب، ولا سيما الذين درسوا في الغرب. ومن غير المستساغ أن يُسَمِّي العرب نباتا قبل أن يعرفه الغرب بمئات السنين، فيُلْزَموا -باسم العلم- أن يدَعوا ما عرفوا إلى ما يعرف غيرهم، وأن يسمُّوه باسم مَنْ عثر به، ويعتقدوا أن تسميته به تسمية علمية، وتسميته قبل أن يخلق غنداليا ليست بعلمية، ولا تجوز إلا في لغة الأدب! ومنطوق هذا ومفهومه أن العلم هو ما يعرفه علماء أوربة وحدهم، وأن «العلماء» إنما تصدق عليهم دون غيرهم، وأن التسمية العلمية هي ما يتواضعون

---

(١) القواعد العامة لوضع المصطلحات العلمية، ١٣٩.

(٢) السابق، ١٣٩.

(٣) السابق، ١٤٠.

عليه! ومن العبث أن يعاد بناء صرْح بنوه، فأحسنوا بناءه، ومحال أن يُدرَكوا، إذا تُنكِّب ما ورَّثوا؛ «لأن ما يُخلَق من هذه اللغة كل عام يزيد على ما يمكن أن نترجمه من الألفاظ المعروفة الآن»، وبيننا وبينهم أربعة قرون، علينا أن نجتازها في أقصر وقت[1]. ولا يصح تطلُّب الاصطلاحات العربية القديمة لاستعمالها بدلا من الاصطلاحات الأجنبية الجديدة؛ لأن اصطلاحات القدماء مبنية على تصورات، قُضيَ عليها من قديم، وإذا أريد إحياؤها كان الخلط واللبس، أما البحث عن المادة واختيار صفة واحدة من صفاتها، لا تغلب على غيرها، فعمل بطيء وشاقٌّ، ولا فائدة فيه، أما ترجمة الأصول اللاتينية واليونانية، فليست بمقبولة منطقا ولا علما؛ لأن مرد نجاح الاصطلاح إلى غرابته، وبعده من المتشابه من المعاني في اللغات العامة[2]. أما التعريب اللفظي، فـ«يجب أن يُتَّبع في كل لفظ علمي، اختُرِع اختراعا من أصل كلاسيكي، للدلالة على عين من الأعيان، أو تصوُّر خاص، أو كان جزءا من تصنيف شامل، لا تستقيم أجزاؤه إلا على نحو خاص»[3]، وإنما يبيح ترجمة الألفاظ العلمية، إذا كانت مشتقة مما يسميه اللغة العامة، كـ«المناعة»[4].

ولم يبين الأصل الذي بنى عليه رأيه هذا، ولا معنى أن تكون لغة العلم هي ما وضع الأوروبيون من الاصطلاحات، دون ما وضع ويضع غيرهم، ولا أن يكونوا هم وحدهم العلماء دون غيرهم، ولا أن تكون لغتهم هي لغة العلم، ولغة غيرهم لغة أدب، ولا أن يكون الأصل أن تخالف لغة العلم لغة الأدب، سوى ما قال من أن اللغة لغتان: لغة تفاهُم، ولغة فهْم، فلغة الفهم «لغة إنسانية عالمية، بطبيعتها، ولا يصح أن تكون قومية، فهي لا علاقة لها بعقلية المتكلمين، ولا بشخصيتهم، بل هي لغة الأشياء، والأشياء واحدة في العالم كله»[5]. والتفريق بين لغة الفهم والتفاهم ليس بدقيق، فإن ما سماه التفاهم درجات، وهو يكون في العلم كما يكون في غيره، واللغة واحدة، وإنما تختلف الأساليب، أما

---

(١) اللغة والعلوم، ٢٧.
(٢) السابق، ٢٧ وما بعدها.
(٣) السابق، ١٢، ٢٨.
(٤) السابق، ٢٨.
(٥) السابق، ٢٧.

المفردات فالأصل فيها الحياد، وهي حمَّالة لما تُحَمَّل. واللغة كلها يراد بها الفهم والتفاهم، ولكنْ قد يراد بها الفهم وحده، وقد يراد بها الفهم والتأثير، فإذا نُزع منها جانب التأثير تساوى فيها كل ما يراد إبلاغه، وكانت واحدة في كل شيء. أما دعوى صلاحية اللغات الاشتقاقية للعلوم الإنسانية وصلاحية اللغات الإلصاقية للعلوم الطبيعية، فيردُّه أن العلوم الطبيعية أزهرت في العربية كما أزهرت فيها العلوم الإنسانية، وأزهرت العلوم الإنسانية في اللغات الغربية الحديثة كما أزهرت العلوم الطبيعية، وكان ذلك على درجة واحدة. وأكبر الظن أنه إنما يقول هذا ليُعدَّ أذهان أعضاء المجمع لتقبل أن العربية لا تصلح للعلوم الطبيعية. والذي يفهم من كلامه أن لغة العلم مصنوعة من أجل ألا تشاكل لغة الكلام أو لغة العلوم الإنسانية، لا لأن اللغات الحية عاجزة عن اصطناع اصطلاحات للعلوم. وإذا سُلِّم بصحة هذا الرأي، كان من الممكن أن يُصنَع من مهمل العربية ما أراد من اصطلاحات علمية، ويُحمَّل من المعاني ما لا يشارَك فيه، ويشتق منه للمعاني كل ما يُستحدث؛ لأن المهمل من العربية كالميت من اللاتينية، لا يُستعمَل، ولا ينازع العلمَ فيه غيرُه، وهو يغني عن اللاتينية. ومن المهجور العربي «العكُّوب»، فإن فيها كل ما قال إن العلماء يتوخونه في لغة العلم، من الهجر، والغرابة، فليست بمستعملة في العربية، ولا يمكن أن يلتبس معناها بمعنى آخر. وقد يَرُدُّ على هذا بما قال من أن لغة العلم لا بد لها من الاتساق، بمعنى أن كل لفظ فيها لا بد أن يكون مساوقا لسائرها، ولا يجوز أن يُدْخَل عليها لفظ من خارجها، لا يلائمها[1].

وما وصف به «لغة العلم» من غرابة وتنافر، وطول كلمات، يحمل على الضحك أحيانا، يجعل النفوس تتجافى عنها، وتستثقل حفظها والتلفظ بها، وقد تطول كلماتها حتى يتعذر على اللسان أن ينطق بها؛ فيلجأ إلى اختصارها، بالاقتصار على الحروف الأولى منها، فرارا من طولها إلى التعمية التي تجعل المرء يذكر من الحروف ما لا يَعرف أصله، ولا يَدري معناه، هذا إلى ما فيها من مشقة الحفظ، وإرهاق الذاكرة، فضلا عن أن صانعها يصنعها، ثم يستغني عنها بمختصرات، لا يفهم معانيها إلا من عرف أصولها. فهي تشبه الرموز السرية التي

---

(١) اللغة والعلوم، ٢٨.

لا يعرفها إلا قليل. ولغة، تؤدي ما يراد منها، من غير مشقة، خير من لغة كهذه، مهما يكن لها من المزايا. لقد قال مصطفى الشهابي يوما إنه لا يستطيع أن يتخيل أن أستاذا يلقي الدروس بالعربية، يقول لطلابه -مثلا-: يقسَّم السمك طويئفات ورتبا، منها: الكُنْدُرُوبتارِيْجيان، والمالاكوبتاريجيان، والأكنتوبتاريجيان، بدلا من: غروفيات الزعانف، وليِّنات الزعانف، وشائكات الزعانف. أو يقول لهم: «مِنْ رُتب الحشرات: الكوليوبتيرات، والنفروبتيرات، والأرطوبتيرات، بدلا من: مغمدات الأجنحة، وعصبيات الأجنحة، ومستقيمات الأجنحة. ولا أن يتخيل أن في علم النبات أستاذا يقول لطلابه: تقسَّم الأنجيوسبرمات قسمين: المونوكوتيلودونات، والديكوتيلودونات، بدلا من: تقسَّم كاسيات البزور قسمين: أحاديات الفلقة، وذوات الفلقتين»[1]؛ بيد أن ما يرى المرحوم محمد كامل حسين، لو عُمل به، لكان ما لم يكن الشهابي يتخيل هو الواقع.

وربما لم يفرق محمد كامل حسين بين اللغة المستعملة في تصنيف المواليد واللغة التي تستعمل في التعليم والتأليف، وخفي عليه أن الأولى «لغة» مكتوبة، غير صالحة للكلام والتداول، والاستعمال خارج ذلك التصنيف؛ لما في حفظها من العنت، ولا تُبنى منها الجمل؛ فلا تصلح للتداول، وإنما يصلح لذلك اللغة الثانية. ومما ينبغي قوله هاهنا أن من العسير على لغات العالم أن تجعل لكل مفهوم علمي لفظا مفردا، لا يشارَك فيه؛ ذلك أن المعاني لا تتناهى، واللغة متناهية، فمن غير الممكن أن يتساوى المتناهي والذي لا يتناهى. والحرص على أن يكون ذلك في العلم دون غيره هو الذي جعل لغته لغة مصنوعة، تخالف اللغات الطبيعية. ومن لم تستعبده هذه الفكرة، كتب العلم باللغة التي يتكلم بها البشر، ولم يعزله عزلا ربما لا تكون له الفائدة المزعومة، وحرص على أن يضع الكلام أبدا في سياق يُفهَم منه المراد من غير لبس، كما يفعل الناس بالفطرة، إذا تكلموا. وهو ما جعل ما يسمَّى الأسماء العلمية أسماء مقصورة على فئة قليلة من الناس، ولغة يفهمها الناس جميعا خير من لغة لا يفهمها إلا أقلهم. وإذا كان اليونانيون واللاتينيون قد اصطنعوا أصواتا بعينها لمعان وأفكار بعينها، ففي وسع كل شعب أن يصطنع غيرها للإفصاح عما يريد، ما دامت العلاقة بين

---

(١) مدى التعريب في ألفاظ تصنيف المواليد، ١٧٩.

الأصوات والمعاني اعتباطية، وقد نجحت الشعوب القوية الجادة في الإعراب عما أرادت من المعاني بلغاتها، ولم تقتصر على الاستيراد والتسليم؛ فنهضت وتقدمت، وما يزال العرب حيث كانوا؛ لأن فيهم من يفهم الأمور هذا الفهم، ويرى أن لا تقدُّم إلا باصطناع لغة من لغات الغرب. وأربعة القرون التي لن يتاح للعرب أن يستبدلوا الاصطلاحات العربية بالاصطلاحات «العلمية» قبل مضيها يمكن أن تبدأ من اليوم، وأن يعدَّ اليوم -إذا مضى- واحدا منها، ولا معنى للتأخر في إمضائها، بحجة طولها، إن فُرِض أنها ليست بمدة اعتباطية، يراد بها الصرف عن التفكير في التعريب، والتيئيس منه، فكلما تأخر الشروع في التعريب تأخر الانتهاء منه. وقد استبدل كثير من الشعوب بالاصطلاحات «العلمية» اصطلاحات من لغاتها، في زمن قصير، لا يتجاوز العقد والعقدين، على ما في لغة بعضها من فقر، وقلة تراث العلمي.

ويفهم من كلام محمد كامل حسين أن علماء العالم اصطلحوا على «الأسماء العلمية»، وميزوا لغة العلم من لغة الأدب، فجعلوا لكل منهما مجالا، لا تدخله الأخرى. وما يقوله المتخصصون أن ليس في تصنيف المواليد[1] تباعُدٌ أو اختلاف بين لغة العلم ولغة الأدب، فلما كُشِفت القارة الأمريكية -مثلا-، ونُقِل البطاطس منها إلى أوربة سماه الفرنسيون Pomme de terre، أي تفاح الأرض، وما برحوا يستعملون هذا الاسم في كتبهم الوجيزة والبسيطة كلها، ولا يستعملون اسها العلمي (Solanum tuberosum) إلا في كتب التعليم العالي، تيسيرا على الطلاب أن يفيدوا مما يؤلَّف بغير لغتهم، من غير أن ينتقلوا عن لغتهم، أو يصطنعوا لغةً غيرَها، في مجال من مجالات العلم، ومن غير الممكن أن يسموا لغة غيرهم «لغة علم»، ولغتهم «لغة عامة»، أو «لغة أدب»، أو يهملوا ألفاظهم، حتى العامي منها، مهما يكن بينها وبين الألفاظ «العلمية» من تباين. وكذلك يفعل سائر «الشعوب المتحضرة الحريصة على لغاتها»[2]. و«الكلمات العلمية» ربما لا تتفق عليها اللغات «العالمية»، فالفرنسيون -مثلا- يسمون

(١) المراد بالمواليد هاهنا الحيوان والنبات والمعادن.

(٢) المصطلحات العلمية في اللغة العربية، ١٦٢.

النتروجين Azote[١]، ويسمون «الأيدز» «السيدا»، و«الكمبيوتر» «أردیناتور»[٢]، و«الديزل» «مازوت». وتسمي الألمانية الهيدرجين فاسر شتوف (Wasserstoff)، أي مادة الماء، والأكسجينَ زاور شتوف (Sauerstoff)، أي مادة حامضة، والتليفون فرن شبيخر (Feernsprecher)، أي التكلم البعيد، والتلفزة فرن زيهن (Fernsehen) أي الرؤية البعيدة، وتسمي الجغرافية أردكونده (erdkunde)، أي معرفة الأرض، والنفطَ إردول (Erdol)، أي زيت الأرض. ويسمي الفرنسيون حلف شمال الأطلسي أوتان (Otan)، ويسميه الأمريكيون والإنجليز ناتو (Nato)[٣]، ولا يعدل هؤلاء عن تسميتهم أو اختصارهم إلى تسمية أولئك أو اختصارهم. وتسمي الإنجليزية الهيمنة على العالم: globalization، وتشتقها من glob، وتسميها الفرنسية: mondialisation[٤]، وتشتقها من mondial. ويضع الفرنسيون لكلمات، مثل e-mail، وChatingspam مرادفات فرنسية، هي: courriel=courrier électronique وpourriel=courrier électronique indésirable ، على شيوع التسميات الإنجليزية في العالم[٥]. وتختلف مقاييس المساحات عند الفرنسيين عنها عند الإنجليز، فهي عند الإنجليز: بوصة (إنش)، وقدَم، وياردة، وميل، وجالون، وكوارت (ربع جالون)، وأوقية (أونس)، ورطل (باوند)، وعند الفرنسيين مليمتر، وسنتميتر، وديسميتر، ومتر، وغرام، ومليغرام، وسنتغرام، وديسغرام، وكيل. وما زال الأمريكيون يستعملون المقاييس الإنجليزية. أما ما تشترك فيه، فإنما تشترك فيه لأنها تتوافى على أصول يونانية ولاتينية[٦]، لا لأن الاصطلاح عالمي. وإنما اشتهر ما اتفقت عليه دون ما يستعمل غيرها من لغات العالم لأن أهلها أرغموا العالم على لغاتهم، وحالوا بين كثير من الشعوب ولغاتها. ومعنى أن يكون الاصطلاح عالميا أن يكون مستعملا في لغات العالم كلها أو جلها، لا في الإنجليزية، والفرنسية، والإسبانية، والألمانية

(١) اللغة العربية والمصطلحات العلمية، المقتطف مج ٧٤ ج ١، (نقلا عن: الجهود اللغوية في المصطلح، ٩٣).
(٢) اللغة العربية بين العولمة والأصالة، ٣٦٦ وما بعدها.
(٣) اللغة والعلوم، ٢٥، وفي لغة الإعلام، ١٨.
(٤) ثقافتنا في عصر العولمة، ٣٦.
(٥) فطرة الدفاع عن اللغة الأم بين التفعيل والتعطيل: وقائع ونماذج.
(٦) حركة التعريب في العراق، ٤٥.

وحدها. وإنما مبنى عدِّ هذه اللغات هي لغات العالم على ما يرى أهلها من أن دولهم هي العالم، وأن غيرها مستعمرات لها.

وما عالمية العلم والاصطلاحات إلا خدعة تخدع بها «مجتمعات التقاليد» عما يراد من اقتحام ثقافتها[1]، ووهْم من الأوهام التي رَكزَها الاستعمار في عقول الشعوب المستعمَرة في الحقبة الطويلة التي قضاها في بلادها، فصارت لا تعرف إلا ما اتصل بحضارة فرنسة وإنجلترة[2]. من أجل ذلك تزعم تلك العقول أن لغة العلم لا تكون إلا واحدة: «تعدد اللغات قد خلَّف تكثر الاصطلاحات الفلسفية، في حين أن الاصطلاح العلمي يضرب بجذوره في معطيات التجربة الموضوعية، وهو -من ثم- أكثر استمرارا، ولا يخضع لتقلبات التعدد اللغوي»[3]. وهو كلام، ليس له ما يؤيده من الواقع والتاريخ، فالتجربة الموضوعية معاناة فردية، وإن تعلقت بأمر خارج الذات، وليست بعالمية، والعالمية فيها غير معقولة، وهي تختلف عما يعبِّر عنها، وهو اللغة التي ما كانت يوما عالمية، ولا تكون. وكل مَنْ شعر، وعرف، سمى ما شعر به وعرف باللغة التي تعوَّد أن يسمِّي بها الأشياء، ويعبر بها عما يعرف وما يجد، والأصل في الإنسان ألا يعرف إلا لغة واحدة، هي لغته، وأقل الناس من يعرف غير لغة، ولا سيما أهل العصور الغابرة. ولا فرق بين الفلسفة والعلم في هذا، فكل منهما يتعلق بمفهومات عامة، حسية أو معنوية، ولا معنى لأن يُجعَل العلم عاما والفلسفة خاصة، فالعام هو ما يتعلق به التفكير، أي الموضوعات، والفلسفة عامة عموم العلم، وإن كانت تتعلق غالبا بالإنسان، والوجود، وماهيات الأشياء، والعلائق بينها، والمعاني المجردة، وهي أمور عامة، كما أن العلم يتعلق بالطبيعة وهي أيضا أمور عامة، وليس كون الطبيعة مادية حسية، والفلسفة تتعلق بالمعنويات التي لا تقاس بما يقاس به العلم المادي أنَّ ما يعبِّر عنها لا يكون إلا خاصا، وما يعبر عنه لا يكون إلا عاما. وبين التجربة والتعبير عنها فرق: التعبير لا يكون إلا خاصا، بغض النظر عن المعبَّر عنه؛ لأن وسيلته اللغة، وهي خاصة

---

(١) عولمة الثقافة، ٩٨.

(٢) التعريب ووسائل تحقيقه، ١١٦.

(٣) الفلسفة واللغة، ١٠٥.

أبدا، وإن كان موضوعه عاما، أي مشتركا بين البشر جميعا. ولعل ما بنى عليه صاحب هذا الرأي حكمه ما نقل عن بيلافال (Belaval) من أن الجزء الأكبر من غريب الاصطلاح الفلسفي لاتيني الأصل، وأكثر الاصطلاحات غموضا ما ترجم عن الفلسفة الألمانية، وأن الفلسفة التجريبية الإنجليزية في -الجملة- لا تستحب مثل هذه الاصطلاحات، وتميل إلى المحسوس، ومن خصائصها ثبات الألفاظ[1]. غير أن غموض الاصطلاح ووضوحه، وثباته وتغيره أمران منفصلان عن الموضوع، ويتعلقان بعلاقة الإنسان باللغة، ولا يصح أن يرتب عليه حكم كالذي قد رأينا. وقد قال بعض الباحثين في الفلسفة إن «الدقة والوضوح والصدق أقانيم ثلاثة مقدسة، يتعلق بأهدابها المناطقة كما يتعلق بها بعض الفلاسفة الذين هم أيضا مناطقة، فإذا أسرفوا في عبادتها وتعلقوا بها طلبوا المستحيل، فوقعوا في الإحباط»[2]. وإذا كان كونديياك، كبير فلاسفة الفرنسيين في القرن الثامن عشر (١٧١٥ - ١٧٨٠)، قال إن الفلاسفة لا يجيدون الحديث في كل شيء، مع أنهم لا يتركون شيئا، ويتصفون بتوقد الذهن، ونفاذ البصيرة، ومع ذلك يتعذر فهمهم، وكثيرا ما يتطلعون إلى قناع يضفي عليهم مسحة من الغموض، ويحجب معارفهم الصحيحة أو المزعومة، ألم تكن الرطانة هي لغة الفلسفة طوال قرون كثيرة؟[3] -فليس مردُّ ذلك إلى أن اصطلاح الفلسفة بطبعه غامض، ولا أن اصطلاح العلم بطبعه واضح، وإنما مرده إلى صعوبة ما تعرض له الفلسفة من أفكار مجردة، يعسر إدراكها، والتعبير عنها، وأن أصحابها (الفلاسفة) قد يتعمدون الغموض تعمدا.

واللفظ الأصيل مطواعة، نام، حيٌّ في الوجدان والثقافة حياته على الألسنة، وكلُّ ما اشتق منه سهلت معرفةً معناه، لمعرفة نسبه، والدخيل جامد، غير قابل للنمو، لطوله، غالبا، وجريانه على غير نظام العربية، فإن قبل التصرف، كان تصرفه ناقصا، ويكون فيه -مع ذلك- من الثقل ما لا خفاء به، مثل: فرمل، يفرمل، فرملة، وتلفن يتلفن تلفنة، بخلاف كبح يكبح كبحا، واتصل يتصل

---

(١) الفلسفة واللغة، ١١١ وما بعدها.

(٢) السابق، ٤١ (نقلا عن: الفلسفة وقضايا اللغة، ٥٧).

(٣) السابق، ١١٠.

اتصالا. فإن قلَّت حروفه، وسلمت من التنافر، ولم يكن فيها ما يجري على غير سنن الأصوات العربية، وأُجْرِيَ على وزن عربي، أمكن أن يغيب في كلام العرب، فيغدو منه، كالورد، واللجام. إن «الحاسوب» و«الكمبيوتر» مترادفتان ترادف «الليث»، و«الأسد» غير أن «الحاسوب» معروف المعنى، واضح النسب، ويشتق منه، فيقال: حسَّب المادة، أي: أدخلها الحاسب، يحسِّبها، فهو محسِّب، والمادة محسَّبة. ولا يعرف أكثر العرب أصل «الكمبيوتر»، ولا يعرفون من أمره إلا أنه اسم الجهاز المعروف، ويجهلون العلاقة بينه وبين اسمه، ولا يُشتَقُّ منه. وكذلك الأمر في «هاتف»، و«تلفون»، فالعربي يعلم أن أصل الهاتف: «الصوت، يُسمع دون أن يرى شخص الصائح»[1]، ووجه تسميته هاتفا واضحة، أما أصل «تلفون»، فمجهول، ولا يُعرَف من أمره إلا أنه يدل على الجهاز المستعمل في الاتصال. ولا جرم أن من استعمل «الهاتف» من العرب كان استعماله إياه استعمال فقيه بدلالته، قادر على الاشتقاق منه، كأن يقول: هتف به، وهاتفه، وتهاتفا، ويَشْتَقُّ من كل فعل من هذه الأفعال مصدره القياسي، واسمي الفاعل والمفعول، واسمي الزمان والمكان، والمصدر الميمي، من غير أن يجد في ذلك ثقلا، ولكنه إذا تجرَّأ على اشتقاق «تلفن، ويتلفن، وتلْفِن، ومتلفن، ومتَلْفَن»، من «تلفون» لم يستطيع أن يشتق منه أكثر من ذلك. ولعل هذا من أسباب أن العرب القدامى كانوا كثيرا ما يدخلون على الكلمة، إذا أدخلوها في لغتهم، من التغيير ما يُكيِّفها معها، كما قال الجوهري في تعريف التعريب: «تعريب الاسم الأعجمي: أن تتفوه به العرب على منهاجها»[2]، وقال الزمخشري إنه جعْل اللفظ «عربيا بالتصرف فيه وتغييره عن منهاجه، وإجرائه على أوجه الإعراب»[3]. وإنما ذلك من أجل أن يندمج في العربية، ويزول ما بينه وبين كلمها من تنافر، ويكون مثله في صلاحيته لأن يصرَّف، ويشتقَّ منه كما يشتُقَّ من اللفظ العربي[4]، بخلاف ما أُخذ بلفظه أو قريب منه، فقد بقي عقيما، ولم يُفَدْ من جله إلا لفظه. وقرر المجمع العراقي، أنه إذا اضطُرَّ إلى التعريب

(١) المعجم الوسيط، (ه ت ف).
(٢) الصحاح، (ع ر ب).
(٣) الكشاف، ٣/ ٤٣٥.
(٤) في التعريب، ١٧ وما بعدها.

اضطرارا اجتُهد في جعل الكلمة على صورة، تيسِّر موافقتها نظام العربية صوتا وصرفا. ولَمَّا عرَّب «الشكولاتة» جعلها «الشُّكْلة، على وزن فُعلة، وعرب البسكويت بـ«بسْكت»، وعرَّب «إيشارب» بـ «شَرْب»، وجَمَعَه على شُرُوب[1]، وتابعه في هذا النهج مكتب التعريب الدائم[2]. وهو عمل يجنِّس الدخيل بالجنسية العربية، ويعين على تناسي أصله. وما ذهب إليه الجوهري ومن تابعه هو الذي عليه أكثر ما أدخل العرب من كلام العجم[3]. والعبرة بالأكثر، والعمل عليه أولى من العمل على القليل أو الأقل، وتحريه تحرٍّ لما هو من طبع اللغة، ولزومه حفاظ عليها وعلى روحها وخصوصيتها، أما الرغبة عنه، والتذرع بأن العرب كانوا ربما أدخلوا اللفظ الأعجمي من غير تغيير، فرغبة عن الكثير، والقياسي المطرد إلى القليل أو النادر أو الشاذ. وإذا كان العرب الأولون غير مقدسين ولا معصومين؛ فمن الواجب تقويم عملهم ووزنه بميزان المصلحة. وما زال الغُيُر على أصالة العربية والحفاظ على هويتها يكرهون الاشتقاق من اللفظ المعرب «خشية أن يدخل التعريب الأفعال والصيغ والأساليب، ويرون الاقتصار على أخذ بعض الاصطلاحات العلمية عند الضرورة القصوى[4]. وهذا معنى أن الدخيل لا يكون بابا من أبواب تنمية اللغة، وإذا كثرت كلماته المباينة للعربية الفصحى أخرجتها عن صورتها، وجعلتها لغة خلاسية[5]، وضُرب نظامها في مقتل. هذا إلى أن نظام اللغة الصوتي من أهم ما يميزها من غيرها، فإذا ضاع، ضاعت، وصارت خليطا غير متجانس[6]. وهو أمر يبدو أن الذين يسارعون في الإدخال دون تغيير لا يبالونه، ولا يميزون ما تفوَّهَ به العجم مما تفوَّهَ به العرب[7]. ويستحب أحسنهم حالا أن يُلحَق اللفظ الدخيل بوزن عربي، ولا يوجبه، ولو كانت علاقته بالكلم العربي علاقة موافقة في

---

(١) تعريب اللغة العربية، ٥٩٨.
(٢) مستقبل التعريب في الوطن العربي.
(٣) شفاء الغليل، ٣٦، والطراز المذهب في الدخيل والمعرب، ٢ (نقلا عن: العوامل الطارئة على اللغة، ٣٢).
(٤) حركة التعريب في العراق، ٤٧.
(٥) انظر: في التعريب، ١٨.
(٦) علم المصطلح، ٣٣٩.
(٧) السابق، ٢٦٣.

الإيقاع الصرفي، أي نظامِ تتابع الحروف والحركات والسكنات، دون الوزن[1]. ويبدو أن هذا المذهب هو الذي غلب، وهو الذي صار إليه آخر قرارات مجمع القاهرة في التعريب، بعد أن كان قراره الأول يوجب موافقة طرائق العرب، وألا يُلجأ إليه إلا عند الضرورة، ثم جَعَلَ ما كان ضرورة وشذوذا اختيارا، وسوَّى بينه وبين القياسي والمطَّرد.

ويرى بعض الباحثين أن يُقصَر التعريب على الأسماء الأجنبية الجامدة؛ لكي تبقى خارج أسوار العربية دون تصريف أو اشتقاق، فإذا دعت الضرورة إلى الاشتقاق منها، أُلحق بها فعلٌ أو مصدر عربيان، كأن يقال «فاعِلَ الألكيل» مقابل Alkylate to، و«فِعْل، أو فَعال، أو تفاعُل الألكيل» مقابل alkylation، و«يفاعَل بالألكيل» مقابل to be alkylated، فتجعل اللاحقة الفعلية (ate-) مقابل «فاعلَ»، واللاحقة المصدرية (ation-) مقابل «فِعْل، أو فُعال، أو تفاعُل»، وصيغة المبني للمجهول (to be ...ated) مقابل «يفاعَل بـ...»، فهذا هو الأسلوب الصحيح للتعريب الذي سماه «الحلال البغيض». ويرى أن من الخطأ ما عمد إليه بعض العاملين في التعليم الجامعي من إعمال أدوات الاشتقاق والتصريف العربية في جذور لغوية لاتينية، أو يونانية، أو أوربية حديثة مكسوعة أو مسبوقة، فخرجوا منها بأفعال ومصادر وأسماء آلة، فظنوا أنها صارت عربية المبنى والمعنى، فقالوا في الفعل الأعجمي alkylate يؤلكل، وفي مصدره alkylation ألكلة، ونسوا أن مقاييس العربية وتراكيبها غير مقاييس اللاتينية والإنجليزية وتراكيبهما، وإذا قُدِّر أن تلك «البدعة» نجحت في المثال المذكور وما شاكله، فهل يمكنهم الاشتقاق العربي من decarboxylation، وiodization، وiodination، وهي أمثلة بسيطة التراكيب، إذا ووزنت بغيرها من الاصطلاحات الأعجمية المعقدة؟[2]. ولا يخفى ما في هذا من الثقل، ومخالفة العربية، وقد كان يمكن أن يعبر عن المراد من هذا ونحوه بطريقة غير هذه الطريقة، وبغير الاشتقاق من الأسماء الأعجمية الجامدة، هي الترجمة.

والتعريب اللفظي ليس هو الأصل في العربية، بل هو قليل فيها، وإنما يصار إلى القليل والنادر عند الضرورة، وقد أجمع أئمة اللغة على أنه سماعي، وأن ما

(١) علم المصطلح، ٢٨٧.

(٢) مشروع مجمع اللغة العربية الأردني للرموز العلمية العربية، ٢٣٢ وما بعدها.

ورد منه في اللغة لا يزيد على بضع مئات[1] من الألفاظ، وهي قليلة في ألفاظ العربية التي تبلغ مئات الألوف، والتقيد بقواعد اللغة، وما شاع منها وقيس، والعدول عما شذَّ وندر يحافظ على روحها وهويتها، والتسوية بين ما شذ وما اطرد يميتهما، وفيها تعدٍّ لحدود اللغة، فضلا عما تُشيع من اضطراب وخلط في القواعد، يصعب معهما ضبطها. والذين يريدون فتح الباب على مصراعيه للدخيل إنما ينتهكون هوية اللغة لأسباب، منها الضن بالنفس عن معاناة الترجمة، والولع بالغرب وثقافته ولغاته ولعا أورث حرصا على اطِّراح ما يحول دون موافقته. وما رأْي بعض أعضاء المجامع اللغوية في الدخيل، والدفاع عن التكثر منه، وما الانتقاد على من يعارضونه إلا رمز واع أو غير واع لما يخامرهم من ذلك، أما ما يُدَّعَي من الحاجة إليه، ومن مزاياه على العربية، فليس إلا حججا يُسَوَّغ بها ذلك الولع، وليس مبنيا على أصل علمي صحيح، ولا حاجة لغوية أو حضارية حقيقية. وآية ذلك ما يَصِم به بعضهم قرارات المجامع الأصيلة التي تشترط الضرورة لقبول الدخيل، من الضعف، والتشدد، والحنبلية، والمجاهرة بأن اشتراط الحاجة للإدخال غير مقبولة، وأن الحاجة الملحة ما ينبغي أن تكون هي الحاجة المجحفة والمقيِّدة، كما اشترطها مجمع القاهرة[2] في قراره الأول، وأن الدخيل ظاهرة حضارية لا ينكرها إلا دعاة الأفق الضيق، والمتشبثون ببداوة لغوية، من المجتمعات ذات الثقافة المسدودة[3]، ويبدي أسفه على إيثار مجمع القاهرة العربيَّ من الألفاظ على الدخيل ما لم يكن الدخيل أشيع منه، ويقول إن هذا النوع من التفصح ينقلب على الاصطلاحات المعرَّبة، ويطعن في حجة الكتَّاب والمؤلفين القدامى، ويُلزمنا أن ندرك أن هذا النوع من المجاز محصور في تعويض الكلمات الأعجمية بكلمات عربية غير مستعملة، وإنْ حالَ ذلك دون نقل المعنى نقلا صحيحا، وهو يكلِّف بحثا ووقتا طويلين، ولا يَعتدُّ بذوق الناس والكُتَّاب[4]. مع أنه لا علاقة بين نقْل المعنى صحيحا وإبدال لفظ عربي

---

(١) يرى صبحي الصالح أن ما دخل العربية من اللغات الأعجمية لا يزيد على ٣٠٠٠ كلمة، على أكبر الاحتمالات؛ (دراسات في فقه اللغة، ٣٤٨).

(٢) أعمال مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ٣٤١.

(٣) الموضع السابق.

(٤) السابق، ٤٠٤.

بآخر أعجمي، يرادفه، ولا يتضح وجه صحة ذوقٍ يؤثر الثقيل الوخيم من الكلم الأعجمي على الخفيف الهنيء المريء من الكلم العربي. وهو يصرح بأنه يريد اصطناع الدخيل لغير حاجة، ثم يزعم أن الحاجة الملحة ليست هي الحاجة المجحفة، ولكنه لا يبين الفرق بينهما، ولا وجه الإجحاف في عدم الإذن بإدخال ما لا حاجة إليه من الكلم غير العربي. ومن المفارقة أن يُكتب هذا الكلام في رسالة علمية، أُعِدَّت في فرنسة التي رأينا من اعتدادها بلغتها ما رأينا! والدخيل، إذا كان في العربية ما يغني عنه، تكثُّر من الترادف، يُطال به المعجم، لغير فائدةٍ، وينبغي أن يكون أرغبَ الناس عنه المتخصصون في المعجمات؛ لما يعلمون من ضرره، وقلة جدواه، أما الاحتجاج بأن العرب الأولين فعلوا مثل ذلك، فقد بينا دواعي فعلهم، وأن تقليدهم في غير هذا أولى، فضلا عن اختلاف الحالين، وأن ما يترتب على الإدخال الآن غير ما كان يترتب عليه في زمان العرب الأولين. وقد أخْدَم كثير من دول العالم لغته مجامعَ، تسوسها، وتسنُّ أشد القوانين صرامة لصونها من الدخيل، وهي غير مخطئة في ذلك، في نظر هذا وأمثاله، وآية ذلك أنه لم ينتقد عليها تشددها فيه، على ما يعلم منه، والعرب بالمعذرة أولى؛ لأنهم في طور حضاري، تتعلق قلوب أهله بالغالب، تعلقا يشبه العشق، والعشق أعمى، وكل تساهل في إدخال ما لا تحمل عليه ضرورة من اللغات الأعجمية يعين على تهجين العربية، أو محوها.

وعرَّب أحمد الأخضر غزال الاصطلاحات الفرنسية ولم يترجمها؛ لأنه -كما قال- وجد قصورا شديدا في العربية المعاصرة عن اللغة الأجنبية، وعجزا عن منافسة الفرنسية في بعض الميادين، وثغرات بينهما عظيمة، لا يسدها إلا أن تؤخذ الاصطلاحات الفرنسية بحذافيرها، ريثما يشتد عود العربية، وتقوى على تحمُّل العلوم، ومن شأن هذا أن يعين على إصلاح العربية من نواح شتى، وأن يضمن التفتح الضروري على عالم التقدم والرقي إلى أن تقوى أجنحة العربية[1]. وإنما مردُّ هذا إلى قلة الزاد من العربية وتراثها القديم والحديث، وما بُذِل من جهود عظيمة في التعريب في هذا العصر، والإعراض عن البحث في التراث العربي واستخراج ما فيه من كنوز، والقنوع بالعتيد من الاصطلاحات

---

(١) المنهجية العامة للتعريب المواكب، ١٣ و٤٧ ما بعدها.

الفرنسية؛ لأنه يكفي البحث والتنقيب. لكنَّ ما يعجب منه المرء كيف يُعَدُّ هذا خدمة للعربية، وإنما هو تبدل بها؟ مع أن للرجل مقامات مشرفة في المجلس الأعلى للتربية الوطنية بالمغرب دفاعا عن العربية والتعريب[1]، وقد أقيل بسبب حرصه على التعريب، ودفاعه عنه من رياسة معهد التعريب[2]. ولكن هذا رأي تراه طائفة من العرب، منها محمد كامل حسين، كما قد رأينا، وإن لم يكن كلامه بالوضوح والصراحة اللذين يتسم بهما كلام أحمد الأخضر غزال. ولم يزد ما فعل مؤلفو «معجم اصطلاحات علم اللغة الحديث» على كتابة ما اشتمل عليه من اصطلاحات إنجليزية بحروف عربية، على وجه يطابق ما يرى أحمد الأخضر غزال[3]. والفرق بينهم وبين عمله أنه صرَّح بما يرى، ولم يصرحوا. وكان هذا رأي الصحفي التونسي الراحل، العفيف الأخضر: الاصطلاح لا يُترجم، ترجمة معانيه بما يزيد على كلمة تغتاله، لاستحالة النسب إليه، وعلى العربية أن تقلد العبرية التي عبَّرت معجم الاصطلاحات الغربي، ولم تترجمه؛ فصارت من لغة ماتت منذ ألف عام إلى لغة العلم والصناعة، والإبداع في كل علم وفن[4]. وقال إن «دعاة نقاء اللغة، ونقاء الدين، ونقاء العرق مصابون بوسواس الثبات (فيكسزم) الذي ينافي قانون التطور الحتمي والكوني»[5]، وإن الخطوة الأولى إلى التعريب ترجمة معجم أكسفور في المشرق، ولاروس الصغير في المغرب باصطلاحات موحدة، تكون تسعة أعشارها تعريبا لا ترجمة، والـ ١٠٪ الباقية نحتا أو تركيبا مزجيا[6]. وهذا الذي يذهب إليه يخالف ما يقول بعض الفلاسفة في مزايا اللغات النقية، وفضيلتها على اللغات غير النقية، كجان جاك روسو، فقد قال إن الجنوب هو مركز اللغات وأصلها، وهو موطن «حرارة الحياة، وطاقة العاطفة»[7]، وإن لغات الجنوب حيوية ورنانة وفصيحة، وذات نبر، وغامضة، لفرط ما بها من طاقة. أما لغات الشمال، فصماء، وحادة، وصاخبة،

---

(١) ثمانون عاما، ٩٠.

(٢) الموضع السابق.

(٣) المصطلحات مشكلة علم اللغة العربي الحديث، ٢٤٧.

(٤) إصلاح العربية، ٧ وما بعدها.

(٥) السابق، ٨.

(٦) السابق، ٤٨.

(٧) في علم الكتابة، ٤٥٧.ظ

ورتيبة، وواضحة لكثرة كلماتها، لا لحسن بنائها[1]. وقال جاك دريدا: الجنوب هو الأصل، ومهْد اللغات، ولذلك كانت لغاته أقرب إلى الطفولة، والطبيعة، والأصل، وأنقى من غيرها، وأكثر حياة، ونشاطا. وهي بخلاف لغات الشمال كلها في ذلك، فهي أبعد من الأصل، وأقل نقاء، وحيوية، ودفئا، «ونستطيع أن نتابع تفاقم الموت والبرود في هذه اللغات»[2]. وقال عبد الكبير الخطيبي: إن اللغة الأم إذا طعِّمت بلغة أجنبية، كان تطعيمها مدعاة للتفتت والضياع، فلا يمكن العودة إليها ولا إلى اللغة الأجنبية، وإنما إلى المنزلة بين المنزلتين القائمتين، وعنوانها عدم الإبلاغ، أو عدم التواصل، وعاقبة ذلك لغة هجين من حيث الكلمة، ومن حيث الكتابة[3]. ومما يستوقف من كلام العفيف أنه يريد أن يجعل للعرب معجمين من لغتين مختلفين، كأنما يريد أن تكون لغة المشرق هي الإنجليزية، ولغة المغرب هي الفرنسية، وهو رأي لا يخفى ما فيه من الاستهانة بالوحدة الثقافية بين العرب، والاستهانة بما يترتب عليها، صحيح أنه قال إن ترجمة المعجمين تكون موحدة، لكن التوحيد مع تعريب ٩٠٪ من ألفاظ معجمين مختلفين غير ممكنة. وإذا كان أحمد الأخضر غزال لم يتحدث إلا عن التعريب من الفرنسية وحدها؛ لأنه كان يتحدث عن التعريب في المغرب الأقصى، فإن العفيف تحدث عن التعريب من الإنجليزية والفرنسية، وما يمكن أن يفهم من ذلك أنه لا يرى بأسا بأن يفترق أهل المشرق وأهل المغرب في اللغة. ولو قُدِّر أن هذا لم يكن مرادَه، فإن ما يترتب على تعريب ألفاظ معجمين من لغتين مختلفتين، واصطناعها كلها أن يكون لكل مفهوم اصطلاحان، وأن يميت المعجمان المعجم العربي، لا محالة، وهذا مخالف لما يحرص عليه العلماء من أن «الاصطلاحات العلمية والفنية والصناعية يجب أن يقتصر فيها على اسم واحد خاص لكل معنى»[4]. ثم إن العربية ليست من الفقر بما يظن من يرى هذا الرأي، وليست كالعبرية، فقد تُرجمت إليها العلوم كلها، ودُرِّست بها في سورية، والعراق، والسودان، والأردن، ومصر، وكان التعريب فيها قليلا

(١) في علم الكتابة، ٤١٠.
(٢) السابق، ٤٠٤.
(٣) أحادية الآخر اللغوية، ٣١.
(٤) مجموعة القرارات، ٢٣٦.

جدا: فلم يكن في معجم الفيزياء الذي أصدرته المنظمة العربية للتربية والعلوم والثقافة سوى خمسين كلمة معرَّبة (من ٥١٢٦ كلمة)، وفي معجم النفط ثمان وسبعون (من ٣٨٠٢ كلمة)، وخلا منه معجم الطب ألبتة، ويضم ٢٣٠٥ كلمة. وكثير من الكلمات المعربة في المعجمين الأولين مشتقة من أسماء أعلام، نحو: مائع نيوتن (Newtonian fluid)، وملامسة أوميةَ (Ohmic contact)، وعدد أفو غادرو (Avogadro's number)[1].

(٩)

ومن الدخيل الدخيل الصوتي، وهو اصطناع الحروف الأعجمية التي لا نظير لها في العربية، وتكلُّف نطقها كما ينطقها أهلها، كما يتكلف أهل المغرب العربي نطق الراء غينا، أو خاء، إذا تكلموا بالفرنسية، وكما يتكلف غيرهم نطق الراء كما ينطقها الإنجليز، ونطق التاء في «ترامب» صوتا بين التاء والشين، كما تنطق في الإنجليزية الأمريكية، ومحاكاة نبر اللغات الأجنبية. وقد أصدر مجمع اللغة العربية بالقاهرة -إقرارا لهذا ونحوه- قرارات، تلزم العرب أن يستحدثوا من الرموز الكتابية ما يمكِّن من كتابة الأعلام الأعجمية؛ لأن ذلك أدعى إلى دقة النطق وصحته، أي موافقة أهله في نطقهم[2]. وهو ضرب من التمكين للعجمة في ألسنة العرب وخطهم، حمل عليه الحرص على مطابقة النطق الأعجمي. وليس من دأب الشعوب أن تتكلف غير نطقها، ولا أن تغير أصواتها ونبرها لتوافق غيرها، إذا تكلمت بلغته، وإن أوتيت من مرونة الألسنة ما أوتي العرب، وهذا من أسباب ما كان العرب يدخلون على الكلم الأعجمي إذا أدخلوه في لغتهم من التغيير في الأصوات والبناء، وأنهم ما كانوا يتوخون نطق ما يدخلون من الكلم الأعجمي كما ينطقه أهله، وكذلك يفعل غيرهم من الشعوب بكل لفظ أدخلوه في لغتهم، أو تكلموا به؛ فمن دأب الشعوب أن تُحدث فيما تدخل من اللغات من التغيير ما يجعله يلائم نظامها الصوتي والصرفي، وربما كان من متكلميها من ليس في لسانه من المرونة ما يمكِّنه من نطق الحروف التي

(١) اللغة ووضع المصطلح الجديد، ٧٢ وما بعدها.

(٢) علم المصطلح، ٢٨١.

ليست في لغته، وربما تعمَّدُوا تغيير نطق الكلمة صونا لنظام لغتهم الصوتي من التأثر باللغات الأجنبية؛ لأن فساد الأصوات يفسد شكل اللغة، وخصائصها كلها[1]؛ لأنها هي أصولها، فإذا فسدت فسد غيرها؛ فإذا أدخلوا الكلمة، فيها ما لا مقابل له من حروفهم، غيَّروه بأقرب حروفهم إليه، كما يغير كثير من غير العرب الحاء، والصاد، والضاد، والطاء، والظاء، والعين، والقاف، وقد يغيرون الحرف بحرف آخر، وإن كان في لغتهم، كما غير الإنجليز «جمل» بكامل (Cmel)، ومسجد بموسك (Mosque)، وعباءة بأبا (Aba)، وعفريت بأفريت (Afreet)، وفلاَّح بِفِلاَه (Fellah)، والقطن بكتن (Cotoon)، والحنَّاء بِهِنَّا (Henna)، والزَّعْفران بسافرون (Saffron)، والسبانخ بسبينت (Spinat)، والطوب بأدوب (Adobe)، والقاضي بألكادي (Alcade)، والحصان بألزان (Alezan)، والحلفاء بألفا (Alfa)، والغزال بألگازل (Algazelle)، والعنبر بأمبر (Ambre)، وأمير البحر بأميرال (Amiral)، والعسكري بأسكري (Askari)، والسمت بأزيموت (Azimut)، والحمار بهامر (Hamer)، والفلقة (آلة ضرب القدمين) بفالاك (Falaque)، والقهوة بكافي (Coffee) والثرثار بفانفارون (Fanfaron)[2]، ويقولون في عرب أرب (Arab)، وفي القرآن كران (Qorn)، وفي أحمد أهمد (Ahmed)، وينطقون صلاح الدين Saladin، وجبل طارق Gibraltar، بل لا يلتزمون الأصوات التي يمكنهم نطقها من أصوات العربية فهم يقولون في «منارة» Minaret، لا Manarah. ولما أخذ الفرنسيون «قبة» نطقوها koubba، ولم يزيدوا في هجائهم قافا[3]، إلخ. وإذا كان الغرض من الدخيل أن يكون لكل مفهوم لفظ يدل عليه، فليس لزاما أن يُنْطَق اللفظ كما ينطقه أهله. وما زال الأوربيون يختلفون في نطق أشهر أعلام الناس، كما يختلف الإنجليز والألمان والفرنسيون في نطق وليم، فينطقه الإنجليز وليم، والألمان فلهلم، والفرنسيون جيوم[4]، ويقول الإنجليز رولاند، ويقول الفرنسيون غولو. وليس

---

(١) سؤال الهوية الكردية، ٤٠.

(٢) وانظر مزيدا من الأمثلة في: شمس العرب تسطع على الغرب، ١٧ - ١٩ و٥٢ وما بعدها و٥٧ - ٦٠، وفضل علماء المسلمين على الحضارة الأوربية، ٩٦ - ١٠٠.

(٣) علم المصطلح، ٢٧٨، وتهجين الأبجدية، ٥٥ وما بعدها.

(٤) كتابة الأعلام الأجنبية بحروف عربية، ٨٣.

من المقبول أن يُلزمَ شعب من الشعوب أن يصطنع نطق غيره، ولا أن يزيد في هجائه ما يمكِّنه من كتابة اللغات الأخرى، إلا في مقام التعليم والبحث العلمي، إذ كان الهجاء رمزا للمنطوق، وما ليس بمنطوق في اللغة، لا داعي إلى أن يُخترَع له رمز.

أما ما يُحْتَجُّ به من اختراع ابن خلدون رمزا للكاف الفارسية، وقوله إنه رسم كل حرف يتوسط بين حرفين عربيين، كالكاف التي بين الجيم والقاف عند البربر، وبين الكاف والجيم أو القاف، وجعَلَها كافا، ونَقَطها بنقطة الجيم من أسفلها، أو بنقطة القاف واحدةً من فوق، أو اثنتين[1]، فقد سوغ ابن خلدون ذلك بأن كتابه يشتمل على أخبار البربر وبعض العجم، وتَعرِض له في أسمائهم وبعض كلماتهم حروف، ليست من حروف العربية، فاضطر إلى بيان ذلك، ولم يكتف برسم الحرف الذي يليه من العربية؛ لأنه غير واف بالدلالة عليه[2]، أي إنه كان يصطنع هذين الرمزين حيث يقتضي المقام أن يبين للقارئ كيف تَنْطِق الشعوب التي يكتب تاريخها بعض أسمائها، أو بعض الكلم من لغاتها، ولم يصطنعهما من أجل أن يعلِّم العرب كيف ينطقونها. ثم إن الگاف التي وضع لها ابن خلدون رمزا حرف عربي، وهو أشيع في اللهجات العربية القديمة والحديثة من القاف الفصحى، وما كان ينطْق بالقاف الفصحى من العرب الأولين إلا القرشيون[3]، وذكر ابن خلدون أنها هي لغة العرب في زمانه، حيث كانوا، من غرب أو شرق، وأنَّ نطقها كان عندهم علامة عليهم دون الأمم والأجيال، لا يشركهم فيها أحد، حتى إن من أراد التعرب والانتساب إلى العرب والدخول فيهم كان يحاكيهم في النطق بها، وهي التي بها يتميز العربي الصريح من الدخيل في العروبة. واستظهر بسبب ذلك أنها لغة مضر الأولين، وقال إنها ربما كانت لغة النبي -صلى الله عليه وسلم-، كما ادعى ذلك فقهاء أهل البيت، وزعموا أن من قرأ (اهدنا الصراط المستقيم) بغيرها فقد لحن وأفسد صلاته[4]. وكذلك الصاد التي بين الصاد والزاي، حرف عربي، يُقرَأ به القرآن في القراءات السبع،

---

(١) مقدمة ابن خلدون، ٣٤.

(٢) السابق، ٣٤.

(٣) لغة قريش، ٤٥.

(٤) المقدمة، ٥٧٧.

وقد وضع لها علماء رسم المصحف رمزا، هو الصاد في داخلها زاي، ومنهم استوحى ابن خلدون رسم الگاف[1].

وكانت قرارات نقل الأصوات الأعجمية إلى العربية باقتراح من المستشرق الإيطالي نلينو، ولعله كان يحاول تنفيذ مقررات مؤتمر كوبنهاغن اللغوي عام ١٩٢٥ م، بوضع نظام دولي لرسم الأصوات ونقْلها، وقد أوصى ذلك المؤتمر بتنفيذ المقترحات الداعية إلى اصطناع الحروف اللاتينية من ٢٤ يوليو ١٩٢٩ م حروفا دولية بتأييد من المعهد الدولي للتعاون الفكري المنبثق من جمعية الأمم المتحدة[2]. وإنما وُضعت تلك المقررات من أجل سيطرة اللغات الأوربية وأمها اللاتينية على ما سواها من اللغات الإنسانية[3]. وقد عارض كثير من أعضاء مجمع اللغة العربية بالقاهرة إدخال حروف أجنبية في الحروف العربية، وقالوا إن الأجانب ينطقون الكلمات العربية بحروفهم، ولا يحاولون نطقها بالعربية، فلم لا يفعل العرب مثلهم؟ وما الذي يحملهم على التعاجم؟ ولم لا ينطقون بالحرف o واوا، والحرف e ياء؟ وإن الأوربيين إذا أخذوا كلمة عربية فيها ما ليس من حروفهم لم يزيدوا في هجائهم حرفا جديدا[4]. ولا بأس بأن تُصْطَنَع الرموز لكتابة أصوات الأمم كلها، ولا سيما الشعوب الإسلامية غير العربية، لا ليزيدها العرب في كلامهم إذا تكلموا، وإنما ليستعملها المتخصصون منهم في التعليم، والبحث العلمي.

(١٠)

ويبدو أن الروح الذي بنيت عليه مجامع اللغة العربية في أول تأسيسها غير الروح الذي صارت إليه، فقد أنشئت بسبب من الغيرة على العربية، والتحرق إلى النهوض بها، والتمكين لها في الحياة، وصونها مما ينال من جمالها ونظامها وهويتها، وكان بعض أعضائها من العلماء القادرين على ذلك، ثم صارت ملتقى لغير العلماء، وغير الغُيُر عليها، وضمَّت مَنْ كان يسعى في إفسادها، وإخراجها

---

(١) المقدمة، ٣٤.

(٢) أعمال مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ١٩٩.

(٣) علم المصطلح، ٢٨٢.

(٤) تهجين الأبجدية العربية، ٥٥ وما بعدها.

من الحياة بذرائع شتى، فكان بعضهم لا يبدي غيرة عليها، ولا حرصا على ترقيتها كما يحرص على إلحاقها باللغات الأوربية، بفتح كل باب للدخيل من ألفاظها وأساليبها، وإجازة كل ما يُلحقه بها مَنْ لا علم عنده، والجد في نقض القرارات التي سُنَّت على عهد الرعيل العالم الذي كان حريصا على تحصينها مما يراد بها، كنقضهم قرار مجمع القاهرة بإجازة التعريب، في الاصطلاحات العلمية عند الضرورة، وتعني ألا يجد المجمع بديلا من كلام العرب، على أن تُسَنَّ به سنة العرب، بأن يُغَيَّر تغييرا يُلْحِقُه بالكلم العربي في أوزانه، ويخلِّص مما يخالف نظام العربية. فقد سعى أنستاس الكرملي في حذف قيد الضرورة، بحجة أن العرب عرَّبت كلمات، لها مرادفات في العربية[1]، وقال فارس نمر، بعد وفاة الشيخ أحمد الإسكندري، وكان من أشد معارضي التعريب اللفظي: أعترف بأن قرار التعريب صدر بتأثير من الأستاذ أحمد علي الإسكندري، وأنني غُلِبت على أمري أمامه، ولكنني أرى أن هذا القيد صعب جدا، اللغة حي نام، وليست بدين ولا عقيدة، فلم تتخذونها دينا وعقيدة، ولم تَقِفُون نموها؟ لَمَّا عَرَضَتْ لأسلافنا شؤون مثل التي تعرِض لنا أخذوا أسماءها من أهلها، كالفُرْس، فلمَ لا نتبع أسلافنا؟[2]. وهو كلام، يتوسل بالإثارة والمغالطة، فاللغة -عنده- كائن حي نام بما يدخلها من اللغات الأجنبية، فإذا حُبِس عنها ماتت، أو وقف نموها، مع أن الدخيل -كما يريده هو وأمثاله- يميت ولا يحيي، وهو كما قال المتنبي:

أعيذها نظرات منك صادقة أن تحسب الشحم فيمن شحمه ورم

وقوله إن اللغة ليست بدين ولا عقيدة، وإن أعضاء المجمع كذلك يريدونها، إنما يبغي به تنفيرهم من الحفاظ عليها، وصونها مما يراد بها؛ لأنَّ كل ما قُرن بالدين في هذا العصر سقطت علميته، وصار مظنة التعصب، ونقيض العقل؛ فازور عنه العقلاء، والحراص على معرفة الحقيقة. ولم يسلم كلامه من التذبذب والتناقض، فبعد كل ما تقدم قال: يجب أن نبذل جهدنا في ألا نُدْخل

---

(١) التعريب في القديم والحديث، ٢٠٥.
(٢) حول قرار التعريب، ٩٩.

لفظا أعجميا، ما وجدنا لفظا عربيا يقوم مقامه، فإن لم نجده عرَّبنا[1]. وليس في ظاهر هذا الكلام ما يزيد على قرار المجمع الذي كان يسعى في نقضه، وهذا يحمل على ظن أنه كان يريد أن يَنْقُض القرار، ليباح التعريب، فإذا نُقِضَ أَدْخلَ مَن شاء ما شاء، فلم يحاكَم إلى قيد أو شرط، غير أنه أراد ليطَمْئِن مَنْ لا يرضون بنقضه، ولا بإجازة الدخيل بإطلاق، فأراهم أنْ لن يُصار إليه إلا إذا لم يوجد لفظ عربي. وقد كان له بعد ذلك ما أراد، فقد ظلت فئة من المجمعيين تركض خلف القرار المتقدم، حتى أصدر المجمع قرارين يستدركان عليه، يقول أولهما: «يفضَّل اللفظ العربي على المعرَّب القديم إلا إذا اشتهر المعرَّب»، ويقول الثاني: «يُنطَق بالاسم المعرب على الصورة التي نطقت بها العرب»[2]. ثم أسقط القراران قيد الضرورة، فصارت ترجمة الاصطلاح أمرا مستحبا، وليس بواجب، وصار من الممكن أن يُؤْثَر الاصطلاح الأعجمي على الاصطلاح العربي، إذا كان الأعجمي أشهر منه، ولم يبق من القرار الأول الذي أُقرَّ بتأثير من الشيخ أحمد الإسكندري إلا العبارة الأخيرة «يُنطَق بالاسم المعرب على الصورة التي نطقت بها العرب»، وإن كان لا يُعْمَل بها، وإنما يؤخَذ اللفظ بعجمته، من غير تغيير، وهذا مما تحتمله العبارة، فإن العرب كانوا ربما أخذوا اللفظ الأعجمي بلفظه دون تغيير. ومن المعلوم أن كثيرا من الألفاظ الأعجمية أشهر من الألفاظ العربية، وأسرع تداولا وانتشارا، وإذا أوثر المشهور على المغمور من الألفاظ، أُوثر المعرَّب على العربي، والدخيل على الأصيل. وكان مصطفى الشهابي يخشى أن يجاز التعريب من غير أن يقيد بالضرورة؛ فيبادر إليه الكسالى؛ فيفسدوا به العربية، فقال يؤيد القيد: «أرى أن قيد الضرورة الذي وضعه المجمع للتعريب هو ضرورة (أي لا بد منه). أقول هذا لأني عارف بسخافات بعض أساتيذ العلوم الحديثة الذين عرَّبوا ألفاظا علمية، كان في استطاعتهم أن يجدوا لها ألفاظا عربية مقبولة، بقليل من الجهد، ومن المعرفة بأصول تلك الألفاظ الأعجمية وبمعانيها»[3]. وبعد عقود من قوله هذا، ومن وفاة الشيخ أحمد

(١) حول قرار التعريب، ٩٩.

(٢) التعريب في القديم والحديث، ٢٠٦.

(٣) المصطلحات العلمية في اللغة العربية، ٧٢.

الإسكندري -رحمه الله-، انقلب المجمع على قراره، فصار التعريب اللفظي هو الغالب عليه[1]، بل غلب عليه إدخال الاصطلاحات الأعجمية بألفاظها، وسارع بعض «أساتيذ العلوم الحديثة» إلى «سخافاتهم»؛ فصارت الترجمة الحرفية، والإدخال، والتعريب اللفظي، هي الغالبة على أكثر المتأخرين، ولم يبق التنقيب في كتب التراث -كما كان- مطلبا، يحرص عليه المترجم، فإنما تلك مهمةٌ، كان يقوم بها علماء، أُوتوا من العلم، وسعة الوقت، والجلَد على البحث ما أقدرهم على تتبع الألفاظ في كتب التراث العربي واقتناصها، ثم تقاصرت الهمم، فأصبح منتهى أمل المترجم أن يجد كلمات أو أساليب تفي بالغرض، ألفاظها عربية، وإن بدت عليها سمات العجمة[2].

وقد فتح قرارا المجمع الأخيران على العربية شرا مستطيرا، كان من آثاره الكرُّ على بعض الاصطلاحات العربية بالتبديل، وإحلال الاصطلاحات الأعجمية محل ما كان قد أُقِرَّ من اصطلاحات عربية، ووُكل أمر الاصطلاح في المجمع إلى المتخصصين في العلوم الطبيعية، ممن لا علم لهم بالعربية، فأبقوا جلها بألفاظها الأعجمية، ولم يغيروا منها شيئا، إلا أن كتبوها بالحروف العربية قبل كتابتها بالحروف اللاتينية. وأعاد المجمع النظر فيما كان قد ترجم من الاصطلاحات، فاستبدل الألفاظ الأعجمية بالألفاظ العربية، من غير ضرورة، ولا إخضاع للأوزان العربية، كالبليومتر (balometre Le) والبارومتر (Le barometer)، والأبونيت (L'ébonite)، والألكترود (L'éléctrode)، والفلوريا (La fluorescence)، والبروتون (Le proton)»[3]، ورُجِع عن «الكهرب» إلى «الإلكترون»، وعن المِضْغَط إلى مقياس الضغط الجوي أو البارومتر، وعن الضغط القياسي إلى الضغط البارومتري، وعن المِضرَم إلى البولومتر، وعن اللاحب إلى الكترود، وعن المصعد إلى الأنود، وعن المهبط إلى الكاثود، وعن شعاع المهبط إلى أشعة الكاثود، وعن اللابؤرية إلى اللانقطية أو اللااستجمية، وعن اللصف إلى الفلورية، وعن الملصاف إلى مكشاف الفلورية[4]. وسوَّغ

(١) اللغة العربية في عصر العولمة، ٩٨.

(٢) السابق، ١٠٥ وما بعدها.

(٣) دور مجامع اللغة العربية في التعريب، ٧٠ وما بعدها.

(٤) مصطلحات في الطبيعة عدّلها المجمع، ٨٢ وما بعدها.

المجمع فعلته بأن الترجمة لم تأت بالحل المنشود. وكان مجمع دمشق قد عرَّب microscope بمجهر، وmicroscopic unit بوحدة مجهرية، فوافقه مجمع القاهرة، ثم ما لبث أن رجع في موافقته، فاستبدل الميكروسكوب بالمجهر. وترجم مجمع دمشق bacillus بعُصَيَّة، وعرَّبها مجمع القاهرة بباسيل، وعرَّب morphology بعلم الشكل، والتشكل، ثم استبدل بها مورفولوجيا. وإذا كان التعريب لا يعدو كتابة الكلمة الأجنبية بحروف عربية، فلا داعي إلى المجامع، ولا إلى الترجمة ولا إلى التعريب، ولا إلى مؤتمرات التعريب، وندوات التعريب، وجمعيات التعريب، ولا إلى محاضرات عن التعريب[١]. والرجوع عن ترجمة الاصطلاحات إلى إدخالها بألفاظها من الحور بعد الكور، وهو دليل على نزعة مستحكمة في ثقافة بعض المجمعيين، ونزوعٍ مُداخِل إلى الدخيل من غير حاجة.

ودافعَ رئيسه يومئذ، إبراهيم مدكور، عن فَعلته بأنْ ليس لزاما أن يكون التعريب على أبنية العرب، وقد عُرِّبت ألفاظ على نحو ما كانت تُنطق في لغتها، وأن العلم تراث الإنسانية كلها جمعاء؛ فيجب أن يُفسح مجال التبادل فيه، وتيسَّر سبله، ومن وسائل التيسير أن يُسمح بتبادل الألفاظ كما تُتبادل الأفكار[٢]. وما أدري أكان قوله هذا بعد قوله: «من العيب أن نلتقي عند اللفظ الأجنبي ثم نختلف في مقابله العربي»[٣]. وقال: لا بأس من التعريب، إنْ دعت إليه حاجة، ومن الألفاظ ألفاظ شبه دولية، ترجع إلى أصول يونانية ولاتينية، قَبِلَتْها اللغات العالمية الكبرى، ولا ضير في أن تغذَّى بها العربية، وينمَّى متنُها، كما تغذَّت منها اللغات القديمة، كاللاتينية، وأوضح ما يكون التعريب في ميادين جديدة، استحدثها الكشف والبحث والطبيعة والكيمياء، وهو تعريب من صُنع المتخصصين. وكلما كانوا متمكنين من لغتهم كانوا أقدر على الوضع، وأقل ميلا إلى التعريب. ومهمة المجمع أن يقرَّ ما عرَّبوا، مادام أدلَّ على المعنى، ولا بديل له، وعزَّزه الاستعمال[٤]. ولكن ماذا يعرف المتخصصون الذين

---

(١) التعريب في زمن التغريب.
(٢) دور مجامع اللغة العربية في التعريب، ٧١.
(٣) لغة العلم، إبراهيم مدكور، ١٧.
(٤) مجموعة المصطلحات العلمية والفنية التي أقرها المجمع، ٢١/هـ.

درسوا في جامعات أجنبية، أو جامعات عربية، تدرِّس باللغات الأجنبية، من العربية، ولم يدرسوا منها يوما إلا ما درسوا في التعليم العام؛ فيوكلَ إليهم وضع الاصطلاحات؟ غير أن ذلك هو ما انتهى إليه المجمع: يُقِرُّ ما أدْخل مَن لا يعرف العربية مِن اللغات الأجنبية، وإن مَسَخها؛ لأنه متخصص في الكيمياء، أو غيرها من العلوم، ولكنه لا يعرف من العربية إلا ما يعرف البقر من علم الهيئة! والمراد باللغات العالمية الكبرى اللغات الأوربية، ولا سيما الإنجليزية والفرنسية، وقبول اللغات «العالمية الكبرى» هذه الاصطلاحات لا يسوِّغ مسخ العربية على هذا الوجه. وسوَّغ رئيس المجمع عمله بشيء آخر، يلمِّح إليه تلميحا، هو أن العربية أُخذ منها، حين كانت لغة العلم والحضارة، فلا بد أن تَأخذ، وهو ما صرح به شبه تصريح، في قوله: «واللغات يأخذ بعضها عن بعض باطراد. أخذت العربية وأعطت في الماضي، ولا تستطيع أن تخرج عن هذه السنة اليوم»[1]. وهي حجة ما يفتأ أنصار الدخيل يرددونها أبدا، كما يرددون أن العربية أخذت من غيرها في الجاهلية، فما ينبغي أن تُمنع الأخذ من اللغات الأجنبية الآن. كأن الذي يقول هذا يحيا في زمان غير زماننا، ولا يرى أن ما أخذ العرب طوال العصر الجاهلي، والقرون الستة التي تلته يدخل العربية في العام الواحد ما يزيد عليه من اللغات الأجنبية أضعافا مضاعفة، ولا بقاء للغة، تُدخل كل عام مئات الاصطلاحات. لقد قال رئيس المجمع قبل هذا: العلم لا وطن له، وهذا ما حمل بعض أصحاب العربية على أن يقولوا بالتعريب المطلق، وأن يأخذوا الشيء أو المعنى بلفظه الأجنبي الدال عليه، زعما منهم أن العربية لا تستطيع أن تواجه هذا السيل الجارف من المخترعات والمستحدثات. وأحسب أن تجربتنا المعاصرة استطاعت أن تدفع هذه الشبهة دفعا تاما، وأن تثبت أن العربية زعيمة بأن تواجه حاجات العصر، وليست بأقل من غيرها تأهبا لهذه المهمة. وإن لغة اشتقاقية بطبعها فيها من المرونة واليسر ما يسمح بخلق ألفاظ جديدة، تسد الحاجة. هذا إلى أنها تسلِّم بالمجاز، والحقيقة العرفية، وتبيح أن ينقل اللفظ من معنى إلى آخر، ولم يضق صدرها بتعريب، تدعو إليه

---

(١) مجموعة المصطلحات العلمية والفنية التي أقرها المجمع، ١٣ / و.

ضرورة قاهرة[1]. إلا أنه عدل عن هذا بعد ذلك، فصار لا يرى بأسا بأن يحل محل المعجم العربي معجم لغة خرى من اللغات الأجنبية.

وشبيه ببعض ما قد رأينا من آراء إبراهيم مدكور في الدخيل ما يذهب إليه المرحوم أحمد سعيدان، من أن العلم ينمو بأسرع مما تنمو اللغة، وكل لغة تضيق عن استيعاب العلم ومجاراته، ولهذا تلهث اللغات وراء العلم، ويضيق العلماء بلهاثها؛ فيلجؤون إلى الرمزية، يعبرون بها عن أفكارهم، أما رجال اللغة، فيأخذ بعضهم من بعض دون تحرج، ويعتزُّون بما يأخذون، ويعدُّونه إثراء للغتهم. ووددت لو نسجنا على هذا المنوال، فأخذنا من اللغات -دون تحرُّج- ألفاظا، وطرُقَ تعبير، وعددنا ذلك إغناء للعربية، نعتز به؛ كيما نساير التقدم العلمي، ونعترف بأن اللغة متغيرة. هذا ما صنع أجدادنا، إذ نقلوا الفكر العالمي إلى العربية، وماذا يضيرنا أن تأخذ العربية من الدم العالمي الحديث كما أخذت قديما من الدماء الفارسية والهندية واليونانية؟[2]. ولا يخفى ما بينه وبين ما قد رأينا من كلام فارس نمر من توافق. وكون العلم تراثا إنسانيا لم يحمل أمة من أمم الأرض التي تملك أمرها، وتعتد بهويتها، على أن تستورد ما هي في غنى عنه من لغة غيرها؛ لأن كون العلم -من حيث هو حقائق مجردة- مشتركا، وليست له خصوصية، لا يعني أن اللغة كذلك، بل هي شأن ثقافي خاص، ولا تكون عالمية، كما لا تكون الثقافة عالمية، وأَخْذُها من غير حاجة تخلٍّ عن الثقافة والهوية لثقافة وهوية أُخْرَيين، وهو لا يعين على ما يُتَغياَ من التعريب، وتوطين العلم، وتوطينه مما تحرص عليه كل أمة تعتد بنفسها. وخير من التلفيق الذي يرى هؤلاء أن تُصطنَع لغة من اللغات الأجنبية بدلا من العربية، ولو في مجالات بعينها، أما التلفيق على هذا الوجه، فلا يصلح عليه حال، ولا يستقيم عليه أمر، وكل ما يمكن أن يكون له من الأثر أن يفسد العربية، ويُبقي بين العرب والعلم سدا من اللغات الأجنبية؛ لأن كتابة اللغات الأجنبية بحرف عربي ليس بالذي يغير ما بالعرب، ولا بالذي يهتك الحجب بينهم وبين العلم. وإذا كان في العربية من الألفاظ ما يغني عن الدخيل، ويبلِّغ الغرض من غير ضرر،

---

(١) مجموعة المصطلحات العلمية والفنية التي أقرها المجمع، ١٣/ هـ.

(٢) حول تعريب التعليم، ١٢٣.

فما الذي يسوِّغ العدول عنه إلى غيره؟! يبدو أن بعض المجمعيين تحول بينهم وبين إدراك هذه الحقيقة منازع ثقافية وفكرية ونفسية، وعدم فهم حقيقة النفس الإنسانية وعلاقتها باللغة، وأنما يأوون فيما يقولون إلى معرفة ظاهرية عامة، وثقافة صحفية، وجو من الوهم، والاختطاف عن النفس، والتبعية الفكرية.

(١١)

وما كان قيد الضرورة الذي قيد به الشيخ أحمد الإسكندري -رحمه الله- إباحة التعريب عن عصبية ولا جهل، وإنما كان مبنيا على أمور، بعضها علمي، وبعضها ديني، وبعضها حضاري، أولها أن علماء العربية أجمعوا على أن التعريب سماعي، ولا يقاس على ما ورد منه عن العرب، وعلة سماعيته أن ما ورد منه عن العرب الفصحاء لا يعدو نحو ألف كلمة، مع أن كلمات اللغة تبلغ آلاف الألوف[١]. والأمر الثاني خوف تفشي العجمة في الكلام، وغلبتها على العربية؛ «فتنحرف على توالِي الدهور، بل تنقرض، فتنقرض معها القومية العربية، ويستغلق القرآن، ويَبيد كلّ ما دوِّن باللسان العربي، من العلوم والآداب والشرائع»[٢]. والأمر الثالث أنه كان يعي حال العربية في عصره، ويدرك ما بينها وبين العربية في العصور الخوالي، فهي اليوم تغالب عصرا من عصور بؤسها وشقائها، هو أشد العصور بأسا، وأصعبها مراسا، وهو عصر غلبة الغرب على الشرق، وإجلابه عليه بخيله ورجله، وأساطيله، ولغاته، وعلومه، وفنونه، وصنائعه، وكتبه، وصحفه[٣]، وما يُحتاج إلى ترجمته من العلوم والفنون والصنائع لا يقل عن أربعين، وأقل ما يكون لكل منها خمسمائة اصطلاح، وذلك خطب هائل، يأتي بنيان العربية من قواعده. وضربَ المثل لما يمكن أن تؤول إليه العربية، لو تم الأمر على ما يريد مشايعو الدخيل بهذه الجملة: «تلْفَنَنا بنكُ أنجلو إجبسيان لِيمِتد بأن أحد البناكير تلغرفه بعمل برتستو علينا»[٤]. وقد غدا مثل هذه العبارة التي صنعها الشيخ ليقرِّب بها ما ستصير إليه العربية -إذا

---

(١) مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ع ١، ٢٠٠.
(٢) السابق، ع، ٢٠.
(٣) مجموعة الخطب التي ألقيت في حفلة نادي دار العلوم، ١٩ (نقلا عن: الوضع اللغوي في الفصحى المعاصرة، ٩١).
(٤) السابق، ٢٧ (نقلا عن: الوضع اللغوي في الفصحى المعاصرة، ٩٣).

رُخَص في الدخيل من غير ضرورة- كثيرا جدا في عربية اليوم، ومن أمثلته: الكمبيوتر بيهنگ (الحاسوب يعلّق)، سيّفت الفايل (حفظت الملف)، برّكت الكار (وقفت السيارة)، إجّا البوستمان؟[1]، وسيّزت الجاكيت[2]، والبيبات مال الليت[3]، وكَلّزي الوِنْده[4]، وجيزي عيش لافي، وباك موبيليس[5]، و«قْبل ما تْقاري ديرْ الإشارة لـدَرْوات»[6]، وأوصلت روطار خاطر ماكش البيس بِردالي الوقت في الكومبرومو اللي صاير في وسط البلاد اليوم[7]، وكْرازاتو الطُّومُبيل (دعسته السيارة) (l'automobile l'a écrasé)، راماساوهْ مورْسُواتْ مورْسُوات (جمعوه أشلاء)[8] (ils l'ont ramassé en morceaux). وقال الكاتب الجزائري، توفيق المدنى: «أذكر مرة أن صديقا من العمال الجزائريين قال لى مرة، ينتقد جمعية إسلامية؛ لأنها عقدت اجتماعها بإحدى المقاهى، بدل عقده بقاعة نادى الترقى، ما نصه: أنا يا خويا «نكرتيكى» هذو الناس؛ كان «الدفوار» متاعهم يعملوا «الرانيون» فى «السيركل» «يدسكيتو» مثل ما يحبوا و«يلفيو السيانس» وقت اللى يحبوا وما يلقاوش أشكون «يسبيونيهم»[9]. ويقول أهل المغرب: «نبغي نسوني للامبيلاس بيش يوديني للسبيتار»: «أريد لأتصل بالإسعاف ليحملني إلى المستشفى»[10] (Je veux sonner à l'ambulance pour m'emmener à l'hopital). ووصفت امرأة تونسية حفلةَ مغنيةٍ تونسية، تُدْعى

---

(١) أجاء ساعي البريد؟)، والبوستمان أصلها: post man.

(٢) الفصحى والعامية اليافوية، ٢٣. وسيَّزْتُ الجاكت: قست الجاكت، وأصل سيَّز size، والجاكت هو jacket.

(٣) البيبات هي الأنابيب، أصلها pipes، و«مال» كلمة فارسية، بمعنى «حق» في اللهجات العامية، يقولون: الكتاب مالي، أي الذي لي، و«الليت» معناه الضوء، وأصلها light.

(٤) انظر: إنية وأصالة، ٤٨٦. وأصلها: close the winow، أي أغلقي النافذة.

(٥) انظر: في المواطنة اللغوية وأشياء أخرى، ١١٣. وجيزي عيش لافي: إعلان تجاري في الجزائر، و«جيزي» (Djezzy) اسم شركة الجوال في الجزائر، و«عيش»: فعل أمر من «يعيش». و«لافي» أصلها La vie، أي: الحياة. وباك موبيليس مؤلفة من «باك» (Pack)، وتعني طاقة ورد، وموبيليس (Mobilis): اسم شركة من شركات الجوال في الجزائر.

(٦) الفرنسية أفسدت لغة الجزائريين وحولتها إلى أضحوكة. ومعنى العبارة: قبل أن تَقِفَ سيارتك، اجعل الغماز يشير إلى أنك ستنعطف ذات اليمين.

(٧) السياسة اللغوية في الإصلاحات التربوية بين ضرورات الهوية المجتمعية وتحديات العولمة، ٢٢٩ أي: وصلت متأخرا؛ لأن الحافلة أضاعت وقتي في الزحام الذي وقع اليوم في المدينة.

(٨) اللغة والسلطة والمجتمع في المغرب العربي، ١٩٩.

(٩) اللغة العربية في الجزائر بين الوجود والتغييب، ٢. أي: أنا أيضا يا أخي أنتقد على هؤلاء الناس، كان من الواجب عليهم أن يعقدوا اجتماعا في النادي، يتناقشون كما يحلو لهم، ويرفعون الجلسة وقت ما يشاؤون، ولا يجدون من يتجسس عليهم.

(١٠) كي لا تموت لغتنا العربية.

صوفية صادق، في مسرح قرطاج، فقالت: «الحفلة السواري طيارة فريمون. لاشانتوز صوفية عندها بالفواسي فريمون فوربل، يلزم التوانسة فيار بالفودادات متاعهم. أونا مارمن لي ليباني الجدد. سي فريمون طيارة صوفية طيارة طيارة، والسواري ميرفايوز»[١]. أي: الحفلة ممتازة، فالمغنية صوفية لها صوت جميل، إنه حقا شديد الجمال، وعلى التونسيين أن يفخروا بمغنياتهم، كفانا تعلقا بالمغنين اللبنانيين الجدد، فصوفية حقا ممتازة ممتازة، والحفلة رائعة[٢]. ولا تختلف هذه العبارات ونحوها عن قول المالطيين: «الساعة ثمانية دوكوارتو وإسي تسمعوا الإنفرماسيوتي». أي: الساعة الثامنة والربع، والآن تسمعون الأخبار[٣]. أي: إن مصير العربية، إذا تمادت في الدخيل، أن تصير كاللغة المالطية. وغدت هذه حال العامية العربية في المغرب العربي كله، وإن كانت تدخل على الأفعال الأعجمية حروف «أنيت»، وتُدخل على صياغتها تغييرا يسيرا، نحو: نشرجيو التلفون (charger le téléphonc)، أي نشحن الهاتف، ونسييو (essayer)، وأوندسديو (on decide)، وتكونست (je me suis coincé)[٤]، وتقدِّم الفاعل على الفعل، وتسند الأفعال إلى ضمائر عربية، وتستعمل حروف الجر وحروف العطف، وتدخل «أل» على الأسماء. وإذا غدت العربية كذلك، فهل يقال إن الدخيل أفادها، وكان مصدر غنى وسبب حياة لها؟ وهل يصح أن يقال إنه ينفعها ولا يضرها؟. وزاد الطينَ بلةً أن غدا في بلدان المغرب العربي من ينتقد على الوطنيين تحذيرهم مما ستؤول إليه لغة بعض أهل المغرب العربي من تحول عن العربية إلى لغة أخرى، وما سيترتب على ذلك، من أمور، لا تحمد عقباها، ويدافع عن هذه اللغة، وعن اللغات الهجين عامة، كلغات أمريكة اللاتينية، بما قدمت للعالم من «مَثَلٍ عظيم للهجنة الرائعة»! التي تتجاور فيها اللغات والثقافات والحضارات تجاورا لا تكلُّف فيه. وهي خيار حداثي لا بد منه للشعوب التي تعاقبت عليها ثقافات وحضارات شتى، كالجزائر. لقد قيل للجزائري إنك عربي، فأراد أن يثبت أنه ينتمي إلى بلاد

---

(١) الازدواجية اللغوية الأمارة، ١٤٥ و٩٧ (الهامش).

(٢) علاقة الهوية بين التنظير والواقع، ٧٩، والازدواجية اللغوية الأمارة، ١٤٥، و٩٧ (الهامش).

(٣) دعاة العامية هم أعداء القومية العربية، ٢٧ (نقلا عن: من حاضر اللغة العربية، ١٧٤).

(٤) التعدد اللغوي بين المجتمعي والسياسي، ٢٩١.

متوسطية، امتزجت فيها ثقافات وشعوب ولغات، فسكنت مورِّثاته (جيناته)، ورفض الأحادية التي ارتبطت في ذهنه بالحزب الواحد، والتسلط اللغوي، وغيرهما من التجاوزات التي قضت على تراثه من أجل حداثة مزعومة. قد يجوز أن تُحمَل المؤسسات الرسمية على التعريب، لكن يستحيل أن نحمل عليه لغة الشعب اليومية. لقد تنكَّبَ الشعب صراع المعرَّبين والمفرنسين من أجل مكاسب سياسية واجتماعية، وآثر لغة هجينا؛ فكان اختياره رائعا وذكيا، وليس من الصواب رفض لغته ولا السخرية منها[1].

وكان شيء من الفساد قد نال العربية في بعض الأقطار، على العهد العثماني، لَمَّا كثر فيها الدخيل من التركية، كقول الجبرتي: «ويدخلهم في الوقاحات والبلكات بالمصانعات والرشوات لأرباب الحل والعقد، والمتكلمين، وتنقلوا حتى تلبسوا بالمناصب الجليلة، كتخذاءات واختيارية، وأمراء طبلخانات، وجاويشية، وأوده باشيه، وغير ذلك، حتى صار من مماليكه ومماليكهم من يركب في العذارات فقط نحو المائة». وهذا يثبت عدم صحة ما يذهب إليه أنصار الدخيل من أن اللغة لا تفسد بالدخيل، ولا تقوم بما فيها من الأسماء، بل بما فيها من الحروف والتصاريف، وأن الألفاظ الأعجمية -كثرت أو قلَّت- ليست من مقومات اللغة، وأن اللغات يتميز بعضها من بعض بنحوها وصرفها. وإنما ينفع الدخيل اللغة ولا يضرها إذا كان نادرا، وأُدخل عليه من التغيير ما يجعله من جنسها، فإذا غَلبَ المستعار، توارى المستعير، فلم تُغن عنه أطلال من النحو، تجردها المفردات الأعجمية الوافرة مما كانت تدل عليه. من أجل هذا كان الشيخ أحمد الإسكندري -رحمه الله- «عدوا أزرق للتعريب»[2]، وكان يتَّهم مَنْ يراه من المجمعيين بالمانوية، أي الزندقة؛ لأنه يظهر خلاف ما يريد بالعربية من القتل، لما قد علم من ضرر الدخيل، وما ستؤول إليه العربية إذا فُتِح عليها بابه من غير قيد.

وقد انتقد المستشرق الفرنسي، شارل بلا على العرب مسارعتهم في الدخيل، ورغبتهم عن التلوم على العربية والتعويل على تراثها، فقال: إن العرب منذ القرن

---

(١) دفاعا عن اللغة الهجين ضد الدكتور علي بن محمد.

(٢) المصطلحات العلمية في اللغة العربية، ٧١.

الماضي وجدوا أنفسهم في حال كحال أجدادهم في العصر العباسي: يغمرهم وابل من المفهومات الجديدة، أو المفهومات التي تنوسيت، فاستعمل كتّاب منهم عجلون، دون تفكير، الألفاظ التي كانت تعوزهم من الفرنسية والإيطالية والإنجليزية، وكان التعويل على ماضيهم وحده، لو عولوا عليه، زعيما بأن يتيح للغتهم ثراء حقيقيا من غير أن تنتهك عبقريتها[1]. وكان هذا بعينه هو رأي الشيخ أحمد الإسكندري، وكان يرى أن «التوسع في أوضاع اللغة القومية حتى تَفْرُه وتَغْنَى بنفسها أبقى على حياتها من غلبة الدخيل الذي يبعدها عن أصلها على مدى الدهور، حتى ينسخها، كما نُسِخت اللغات التي خذلها أهلها»[2]. وكان الغالب عليه وعلى أمثاله التريث، والبحث عما يساوق روح اللغة ويصونها، والتلوم على إصلاحها، حتى يجنبها عاقبة الدخيل، والغالب على من يخالفه العجلة، وإجازة كل ما استُعمل، وعدم إتعاب النفس في البحث؛ لأن البحث في هذا الميدان ليس مما تعودوا، فهم يجدون فيه مشقة، ويعسر عليهم فهم التراث، كما كان يصرِّح بذلك محمد كامل حسين، ويدعو إليه، فيقول إن البحث في بطون الكتب القديمة قد انتهى عهده، «وفيه عيوب كثيرة جدا؛ لأن اصطلاحات القدماء تقوم على تصورات، قُضِيَ عليها من قديم، وإذا أردنا إحياءها، كان الخلط واللبس. والطبيب المعاصر يستحيل عليه أن يتقمص روح الطبيب القديم، فيفهم علمه، ولو فهمه لفسد عليه تفكيره»[3]. وهذا خلاف ما يفعل الطبيب الغربي: يقرأ الطب اليوناني واللاتيني والصيني، ويفيد منها، ويأخذ من اللاتينية واليونانية ما يضع من اصطلاحات حديثة، بعد أن يدرس دلالته فيهما وتاريخه واشتقاقه، ويعرف كيف يستعمله فيما يريد، وهو الغالب على اللغات الأوربية: تستمد كثيرا من اصطلاحاتها من هاتين اللغتين الميتتين، وتحيي منهما ما يلزمها لتوليد اصطلاحات جديدة[4]، ويرى محمد كامل حسين أن الطبيب العربي إذا اتصل بتراثه كان حتما أن يتقمصه، ويعتقد ما فيه، وإذا فعل فسد تفكيره وفهمه! وهي مسارعة عجيبة إلى قطع العلائق بين العرب وتراثهم

---

(١) تاريخ اللغة والآداب العربية، ٦٤.
(٢) مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ١/ ٢٣٥.
(٣) اللغة والعلوم، ٢٨.
(٤) علم المصطلح، ٣٠.

والفناء في الغير. ومتى كانت العودة إلى علم من العلوم، أو قراءة تراث من تراث الإنسانية يوجب التقمص، أو يفسد التفكير؟ هل يجب على العربي إذا وجد الإنجليز يقولون: Cuir chevelu، أن يصطنع تسميتهم، أو يترجمها بـ «جلد الرأس المشعر»، ترجمة حرفية، بدلا من أن يسميها باسمها العربي (الفروة)، وأن يترجم Bec liévre، بأنف الأرنب، أو يأخذها بلفظها بدلا من أن يسميها العلَم والفلَح[1]، وأن يسمي «العروق» «الأوعية الدموية»؛ لأنها تُسمَّى في الفرنسية Les vaisseaux sanguins[2]، وألا يعود إلى كتب التراث يتطلب فيها هذه الاصطلاحات القصيرة الخفيفة؛ لأن ذلك يقتضي أن يتقمص روح أطباء العرب، وتقمصه يفسد الفهم؟ ولا يخفى أن ما يذهب إليه محمد كامل حسين يقتضي أن تقبر العربية في المعجمات وكتب التراث، وتستنبت على دمنتها لغة، إما أجنبية، أصولها مستمدة من اللاتينية واليونانية، ويعسر على المرء أن ينطق كثيرا منها، لطوله، وغرابته، وتنافر حروفه، وإما «عربية» هزيلة، مستنسخة من الفرنسية والإنجلزية، ومفرداتها محملة بدلالات مفرداتهما، وليس لها معان غير معانيها، وليس فيها من العربية إلا حروفها، وهي تنادي على موت الروح العربي، وحلول روح ثقافي آخر محله. وهو ما أظهرته رسالة دكتوراه، نوقشت في مدرسة الترجمة بباريس عن اصطلاحات علم الترجمة: أنْ ليس في العربية اصطلاح مخترع في هذا العلم، وأن بعض مفهومات العلماء العرب القدامى واصطلاحاتهم التي كان يمكن أن ينتفع بها أُهمِلت، وأُحِلَّ محلها الدخيل، والمترجم ترجمة حرفية من الألفاظ الإنجليزية والفرنسية[3].

وقد لخص كلود حجاج أسباب موت اللغات في ثلاثة رئيسة: التحريف، والاستبدال، والانطفاء. وردَّ التحريف والاستبدال إلى الثنائية غير المتكافئة بين لسانين، لأحدهما من الأسلحة والقوة ما ليس للآخر، فيزاحمه حتى يستحوذ عليه ويتخلص منه، ثم يحل محله. ومع هذين طريقتان أخريان، أولاهما أن يهجِّن اللسان اللسان ويحرِّفه بما يدخل عليه من تغيير كبير، في مدة، قد تطول،

---

(١) علم المصطلح، ٢٧.

(٢) السابق، ٤٣.

(٣) الترجمة وتطوير العربية، ١٣

ويظل اللسان الأضعف يتغير إلى أن يصير لسانا ثالثا. والطريقة الثانية الغزو بالدخيل، فإذا غزت لغةٌ لغةً بمفرداتها، امتدت إلى نواتها الصلبة، وهي النحو والصوت، وقد تصبح هذه الظاهرة علامة على تلف اللغة وفسادها، لما بين كثرة الدخيل واستقرار نظام اللغة الصوتي والنحوي من ترابط. واللغة التي تكون عرضة لهذا تلجأ إلى تعويض أنظمتها بأنظمة أخرى، فإذا كثر ذلك أودى بها. وليست المفردات وحدها هي التي تُغزَى وتهجَّن، بل الجمل والأساليب والعبارات المسكوكة أيضا[1]. وقال أحد المشتغلين بالترجمة إن العربية تُستنزَف استنزافا لغويا بسبب هذه الأمور، والاستنزاف اللغوي هو «فقدان المعرفة اللغوية مع الزمن»، ومن أعراضه الإكثار من الترجمة الحرفية، والاقتراض اللفظي والمجازي، واستعمال الصيغ الصرفية، والأنماط الفكرية الأجنبية. وبذلك تبلغ الحملات التي تروم زعزعة بنيان العربية، وإضعاف بنيتها الداخلية ما تروم. من أجل ذلك تجد المرء -إذا تكلم- يرصِّع كلامه بمفردات، وعبارات أجنبية، ويزداد الدخيل، ثم تصير اللغة مجرد حروف عطف وروابط، أو يستعمل الأساليب المجازية والاصطلاحات الأجنبية، فيخرجها بكلمات عربية[2]. ولسوف نرى ما يقع من هذا كله في العربية الحديثة.

وما ينبغي أن يُلجَأ إلى الدخيل إلا في حالتين: ألا يوجد لفظ عربي، يمكن أن يبين عن معنى اللفظ الأعجمي، وأن يكون علَما، أو مقدارا، كالمتر، والبوصة، والميل، والكيل، إلخ، بشرط ألا يكون له مساوٍ في كلام العرب، فإن كان له مساو استُغني به، على أن تُسَنَّ به سنة العرب في كلامها. أما الألفاظ التي اشتهرت في لغات العالم، فما ينبغي أخذها، ما دامت في العربية مندوحة عنها، فعجز لغات العالم عن البديل، أو عدم تكلفها أن تجده لا يعفي العرب من تكلفه، والسعي فيه، ولا يسوِّغ أن يركنوا إلى ما ركن إليه غيرهم. والاصطلاحات لا يكون عالميا منها إلا الألفاظ الدالة على المقادير، بشرط أن تكون مما اتُّفِق عليه حقا، لا أن تكون خاصة بلغة دولة من الدول المستعمِرة. أما الأوكسجين، والهيدروجين، وما شاكلها، من الألفاظ التي يُدَّعي أنها عالمية، فليست بعالمية،

---

(١) اللغة العربية في مراحل الضعف والتبعية، ١١٩.

(٢) أزمة اللغة والترجمة، ٣٦٢.

وإن أخذها بلفظها بعض اللغات؛ لأنه لم يجد غيرها، ولا يمكنه أن يشتق لها مقابلا. ولا يختلف ما تدل عليه عن غيره من المفهومات التي ينبغي أن يسميها كلٌّ بما يعينه على فهمها، ويقرب إليه معناها.

العربية الإنجليزية (العربيزي)

العربيـزي كلام مركـب مـن العاميـة، والعربيـة الفصحـى، والإنجليزيـة أو الفرنسـية، ويكتب بحروف إنجليزية، وأرقام أجنبية، ورموز من الرموز المسـتعملة فـي الأبجدية الصوتيـة الدوليـة. وهـو ضـرب مـن ضـروب اللغـات الهجيـن، يسـتعملها بعـض العامة، ومذيعـو التلفزة، وحـوارات الأفلام الخيالية (السـينمائية) المصريـة، والإعلانـات التجاريـة التـي تبـث فـي الفضائيـات والصحـف الخاصـة والحكوميـة[1]. ويسـمى الأرابيش (Arabish)، و«العربليزي» (مـن Arabic و English)، والعربلـش (Arablish)، والأرابيـزي، والعربيـزي (Arabizi)، والعربلشـية، والعربنجليزيـة، والأنجلـوأراب، والعربتينـي، و«المكرونيـة»؛ لأنـه يُقـرَن بغيـره، إذ المكرونـة، -كمـا يـرى بعضهـم- تحريـف لـ«مقرونـة»؛ لأنهـا لا تـؤكل إلا مقرونـة بلحـم أو بيـض، ونحوهمـا، وربمـا سُـمِّيَ «عربـي بالإنجليـزي» (Arabi bel Englizi). ويُسَـمَّى الفرانكـوأراب (Franco-Arab)، والعرنسـية، واللغـة الفيسـبوكية، واللغـة الهجيـن، والرَّومنـة، والكرشـنة، والنقحـرة، والتلتيـن، والفرانكـو، ولغـة الإنترنـت، ولغـة الشـباب، ولغـة الشـات، ولغـة الشـاتينغ، لكـن أشـيع أسـمائه العربيـزي[2].

وهو نوعان:

١ - منطـوق: ويخلـط الكلمـات العربيـة بالكلمـات الإنجليزيـة أو الفرنسـية فـي العبـارة، نحـو: «إذا وصلـت أعطنـي ميـس كـول»، «خـذ لـك وجبـة فاسـت فـود من الدرايـف ترو». ومنه مختصرات شـائعة بين الشـباب مثل: لـول (LOL)، اختصارا لـ Laughing Out Loud (أضحـك بصوت عالٍ)، وبـرب (BRB) اختصارا لـ Be

(١) الهوية العربية في ظل العولمة، ١٢.

(٢) العربيزي في استعمال العربية: تجديد أم تهديد؟، وأزمة اللغة والترجمة، ٣٧٦، ومستقبل الكتابة العربية في ظل فوضى النقحرة وهجنة العرابيزي، ٦ وما بعدها، والتعريب ووسائل تحقيقه، ١١٧، وطروحات حول الثقافة واللغة والتعليم، ٦٦، وظاهرة الفرانكو أرب مخطط أمريكي للقضاء على اللغة العربية.

Right Back (سأعود قريبا)، وTYT اختصارا لـ: Take your Time (استمتع بوقتك)، إلخ.

٢- مكتوب: ويكتُب الكلمة العربية بالأرقام والحروف اللاتينية، يستعيض بها عن الحروف العربية التي ليس لها مقابل من الحروف اللاتينية، فيجعل ٢ للهمزة، و٣ للعين، و٥ للخاء، و٦ للطاء، و٧ للحاء، و٩ للصاد. ويستعمل مختصرات لبعض العبارات المتعارف عليها عند أهلها، نحو: ISA لـ«إن شاء الله».

ويشيع استعمال العربيزي المكتوب بين أبناء العرب، في صفحات الشابكة، والجوال، والجرائد، والمجلات، والتلفاز، والسيارات، ودفاتر الطلاب، وألَّف به بعضُهم كتبا[1]. وكان لاستعماله أول مرة ما يسوِّغه، فلم تكن مفاتيح الحاسب أولَ ما اختُرع معرَّبة، فاستُعملت هذه الطريقة لكتابة الكلام العربي[2]. فلما عُرِّب الحاسوب، والجوالات، وغدا من اليسير استعمال الحرف العربي في كل مجال من مجالات الاتصال، وانتفت الحاجة إليه، ظل بعض الشباب مستمسكا به، فشعر غيرهم بأن ذلك يهدد لغتهم وهويتهم، فدعوا إلى كتابة العربية بالحروف العربية، فلاقت دعوتهم تجاوبا كبيرا، واستجاب لها آلاف الشباب من العرب في أيام قليلة، وتعَهَّدوا بعدم استعمالها إذا ما تهيأت لهم أسباب الكتابة بالعربية[3]. وتعصب له بعض الشباب تعصبا لا تبدو أسبابه مقنعة، فأصدروا به مجلة في مصر ربع سنوية، سموها «What's up»، توزَّع مجانا، وأصدر به منتدى طلبة الكويت مجلة، سماها «مجلة العصر»، وأصدر بعضهم برنامجا للتحويل والترجمة بين العربية والعربيزي، سُمِّيَ «قاموس شباب الواتس أب»، وأنشؤوا صفحات على الشابكة لتعليمه[4]. صحيح أن بعض الشباب المصريين والكويتيين ليسوا من أشد شباب العرب تعصبا للعربية الفصحى، ولا أشدهم حمية لها، وهو أمر يدل عليه تحمسهم لهذه اللغة الهجين، كما يدل عليه كثرة

---

(١) ظاهرة الفرانكو أرب مخطط أمريكي للقضاء على اللغة العربية، والثورات العربية أسهمت في توحيد لهجات لغة الضاد.

(٢) العربيزي في استعمال العربية: تجديد أم تهديد؟، والأرابيش، ولغة الأرابيش تخفف «الكانسل» وتكثر «الأوكيه».

(٣) كي لا تموت لغتنا العربية.

(٤) واقع الهوية اللغوية في المجتمعات العربية.

استعمالهم إياها في رسائل الجوال القصيرة[1]. غير أن من المريب أن يصدروا مجلتين بهذه اللغة التي لا تَخْفى أضرارها على الهوية العربية، وليست لها فائدة، تسوِّغ استعمالها، وهي لغة ملفَّقة من لغتين، وكتابتها ملفقة من كتابة لغة أجنبية وأرقامها، وللعربية هجاء، يغني عن هذا التلفيق، وهم، أو كثير منهم، ربما لا يجيدون الإنجليزية، وإنما يعرفون منها ما يفسد الهوية، ويعلق القلب بثقافة أخرى، كما أنهم لا يعرفون العربية. وهذا سبب ما يرى بعض مَن كتبوا عن هذه الظاهرة أنها خطة أمريكية لكيد العربية. وهو أمر لا يستبعده من له اطلاع على خطط أمريكية في تغيير الحرف العربي، وإحلال الحرف اللاتيني محله، منذ ما بعد الحادي عشر من سبتمبر، والحقبة التي ظهرت فيها هذه اللغة والتعصب لها على هذا الوجه هي التي انكشفت فيها خطط أمريكة، وما تبيت للعربية، وانكشف فيها بعض ما تفعل من أجل محاصرتها وإخراجها من حياة العرب، وإحلال الإنجليزية محلها. ومن المريب أيضا التداعي لهذا العمل، ونشر المجلات التي تروجه وتدعو إليه مجانا، ونشْر المعجمات والصفحات التي تعلمه، وليست هذه اللغة بلغة علم ولا فن، وليس لها من التراث إلا الرسائل، وحوارات بعض الشباب، وليست لها قيمة وراء ذلك، وفيها من الهجنة وإفساد العربية ما لا يخفى.

غير أن لانتشار العربيزي بين شباب العرب سببا غير ما تقدم، هو الذي صنع بالعربية من الهجنة ما قد رأينا وما سنرى، هو ثقافة حب المماثلة، وما تحمل عليه من محاكاة كل ما صدر من الغرب، ولا سيما بريطانية، وأمريكة، وفرنسة، والعربيزي محاكاة للمختصرات التي شاعت عند الغربيين في الجوالات، وبرامج المحاورة (الدردشة)، كما يختصرون how are you بـ hur، وare you ok بـ rouk، وtomorrow بـ moro[2]، ويقولون: yay، nope، noooo، yep، yup، بدلا من no وyes، ويكتبون: kay، وsokay، يريدون I'ts ok. أما الأساليب العاطفية التي تبين عن الرعب والصدمة، وما شابه ذلك، فتَستعمل

(١) اللغة العربنجليزية في وسائط الإعلام الجديد، ٢٠ و٢٢.
(٢) أزمة اللغة والترجمة، ٢٨٣، وبين العامية والفصحى، ٧٦ ما بعدها.

حروفا شتى، على حسب قوة المشاعر، نحو: aaaiiieee، وyayyyyyyy[1].
وهذا بعينه ما يكون في مواقع التواصل العربية، من تكرار الحروف في الألفاظ الدالة على انفعال، نحو: ههههه، ومررررررررررررررره، وأووووووه، إلخ. فالعربيز والفرانكو آرب -كالولع بالدخيل- وجه من وجوه ثقافة حب المماثلة في الثقافة العربية الحديثة. ومما يدل على ذلك -غير هذه المختصرات- أن الهاء التي يكررها العرب في مواقع التواصل للدلالة على الضحك (هههههههههههههههههههه)، هي التي تكرر في الإنجليزية للدلالة عليه أيضا (hhhhhhhhhhhh)، وكان المتبع في الصحافة العربية قبل ظهور العربيزي أن يُحْكَى صوت الضحك بالهاء والألف، مكرَّرين، فيقال: هاها هاها هاها. وكان هذا هو ما يصطنع الشعراء إذا أرادوا حكاية صوت الضحك، كما قال أحدهم:

فـ«هاها» مرة تكفي، ولكن بلغتَ من السفاهة منتهاها

ثم عدلوا عن ذلك إلى الاقتصار على الهاء؛ ليماثلوا ما يفعل في الإنجليزية.

---

(١) اللغة والإنترنت، ١١٩.

هجْر المعجم العربي

أماتت العربية الحديثة أكثر المعجم العربي، واقتصرت على أقله، بدعوى الرغبة عن الغريب وغير المألوف من الكلم، حتى أصبح ما يألفه العربي المتعلم من الكلمات لا يكاد يتجاوز ألفي كلمة، وأصبح الذي يترجِم من لغة أجنبية إما أن يستعمل «الغريب»، وهو الذي يدل على ما يريد، وإما أن ينقل الكلام نقلا مقاربا، لا يراعي صحة ولا دقة، تجنبا لـ «الغريب»، وغير المألوف[1]، ويتجاهل أكثرَ ما في المعجم العربي من مفردات مُبِينة، ثم يدَّعي خلوَّ العربية منها[2]. ويزعم بعضهم أن ما ذكر اللغويون من فروق بين دلالات بعض الكلم شيء صنعوه، وليس من العربية، وإنما هي كلمات مترادفة، بسبب اختلاف اللهجات، وأن ما قال فيها اللغويون مخالف للعقل؛ فيجب أن يُستغنى عنها؛ لأنها لا تفيد، ولا تدل على غنى ولا سعة، كما زعموا[3]، أي: يجب أن يُستغنَى عنها كما يُستغنى عن المترادف، وإذا أُقِرَّ ذلك كان حتما أن يُطَّرح كثير من المعجم العربي، ويستعاض عنه بالدخيل. ويذهب بعضهم إلى أن افتقار العربية إلى الألفاظ التي تعبر عن المفهومات الجديدة هو سبب تهافت العرب على ما يُدخلون فيها من الكلم الأعجمي، ولا سيما ما يدل منه على الأمور المستحدثة[4]. ويقول بعض إن: غنى اللغة لا يقاس بكثرة الكلمات المسطورة في معجماتها، والمترادفات المدفونة فيها، فإن المعجمات ليست مجمعا للكلمات الحية فقط، بل هي مدفن للكلمات الميتة أيضا، ولا سيما المعجمات العربية، فإنها مملوءة بالكلمات المهجورة التي فقدت قيمتها بعدم الاستعمال. وغاية اللغة الإفصاح عما في النفس، وغناها إنما يقاس بإبلاغها هذه الغاية،

(١) خطر الترجمة في عصر الفرنجة، ٢٠.

(٢) التعريب ومستقبل اللغة العربية، ٣٧.

(٣) أخطاء اللغويين، ١١٢ وما بعدها.

(٤) المباحث اللغوية في العراق، ٥٥.

والعربية -اليوم- لا تبلغها، ولكن ذلك ليس من نقص في جبلتها، فهي -وإن غدت فقيرة بالاصطلاحات المطلوبة- لا تزال غنية بالقابليات الكامنة فيها[1].

والإلف والغرابة أمران إضافيان، والمعيار فيهما معرفة العالمين، لا العوام وأشباه العوام، فجلُّ العربية غريب عليهم، وإنما يعرفون منها ويألفون ما تردِّد وسائل الإعلام، وخطباء الجمع والأعياد، من مبتذل المفردات والأساليب. ولا يُخرِج المرءَ من حكم العوام أن يكون ذا شهادة عالية، من جامعة يُعتدُّ بها، فإن حاملي الشهادات غير العارفين بالعربية لا يختلفون عمن لا يحملونها، وبعضهم باللغات الأجنبية أعرف منه بالعربية، وأكثر عناية، كبعض المتخصصين في العلوم الطبيعية والرياضيات. والاعتداد بما يعرفون دون ما لا يعرفون يعني أن تُفْقَر العربية، ويُستغنَى عن أكثر ما فيها من مفردات ومفهومات، وهو ما يجعلها غير صالحة لأن تكون لغة علم وحضارة، في عصر، يفيض كل يوم بالمخترعات، والمفهومات التي لا يفي بها إلا لغة غزيرة المادة، دائمة التجدد. ويترتب على هذا -بالضرورة- أن يبان عن المفهومات الكثيرة بألفاظ قليلة مكرورة، لا تبين إلا عن مجمل معانيها؛ لأن الألفاظ المبينة عن المعاني الدقيقة «غريبة»، وغير «مألوفة»، فإن لم توجد الألفاظ المألوفة المأنوسة، استعيض عنها بالدخيل؛ لأنه «أشهر وأوضح، وأخف على الألسنة، والناس بمعانيه أعرف». فالتبريد -في اصطلاح المهندسين-: عمل، تُخْفَض به درجة حرارة الجسم، وهو أنواع، تعرف في الإنجليزية بكلمات عدة، منها cooling وrefrigeration وquenching، وكلمات أخرى، لا تترجم في المعجمات والكتب الحديثة، إن ترجمت، إلا بكلمة واحدة، هي التبريد. وcooling إنما يراد بها التبريد مطلقا، وأما refrigeration، فيراد بها التبريد الشديد، والمعجمات العربية الحديثة تُجْمِع على ترجمة هذه الكلمة بالتبريد أيضا، فلا تفرق بينها وبين cooling، وترجمتها الدقيقة هي التقريس، وquenching يراد بها تبريد الجسم الحار تبريدا سريعا، بصبِّ الماء البارد عليه، دفعة واحدة، أو غَمْرِه فيه، وترجمتها هي القَرُّ، من قَرَّ الجسمَ يقُرُّه، وقرَّ القِدْرَ، إذا صبَّ فيها ماء باردا؛ كي لا تحترق[2].

---

(١) المباحث اللغوية في العراق، ١١٣.

(٢) خطر الترجمة في عصر الفرنجة، ٢١ وما بعدها.

غيـر أن هـذا كلـه يسـمى في العربيـة الحديثة تبريدا. وقـد أزعج هذا معلِّما للفرنسـية فـي جامعـة باكـو، سـأل طلابـه يومـا عـن معنـى aouette بالفرنسـية، وهـو القُبَّرة (lark)، فأجابوه: عصفـور، فصـاح غاضبـا: «كل هاجه أسـفور أسـفور» (كـل حاجة عصفـور عصفـور)[1]. وهـو ضجـر مـن فقـر معجـم الطـلاب، غـدا بسـببه كل طائـر عندهـم عصفـورا، وهـو أمـر تفعلـه الترجمـة العربية الحديثـة التي اسـتغنت عن جل المعجـم العربـي، واقتصـرت منـه على مفـردات يسـيرة، تسـمي بهـا كل شـيء، كأنْ تسـمي كل طائـر عصفـورا، أو تقتصـر علـى كلمة «طائر» مشـفوعة بصفـة أو صفتين مـن صفاتـه[2]. ويتبيـن من التسـوية بين هـذه المعاني غير المتسـاوية فداحة مـا تُمْنَى بـه العربيـة مـن الإفقـار، وقتْـل المعجـم، وتجميـد الكنوز فـي الكتـب القديمـة، لا يفـاد منهـا في الإبانـة عـن مفهومـات العلم التـي هي فـي أمـسِّ الحاجة إليهـا، وإلى مـا فيهـا مـن مـادة وفيـرة، لـو اسـتعملت اسـتعمالا صحيحـا، لنفعـت العلـم نفعـا جليـلا، لا يتأتـى مثلـه فـي كثيـر من لغـات العالـم. وهـذا الإفقار من أسـباب إعراض بعـض العالميـن باللغـات الأجنبيـة ومـا فيهـا مـن تمييـز المفهومـات المتقاربـة أو المشـتركة فـي بعـض المعانـي بأسـماء تخصهـا، عـن العربيـة، وزعمهـم أنهـا غيـر صالحـة للإعـراب عـن العلـم. وإنمـا أعـرض المعرضـون عـن هـذه الاصطلاحات لعـدم علمهـم بهـا، أو رغبـة عنهـا إلـى مـا لا يكلفهـم بحثـا ولا اسـتظهارا. ومـن هذا ترجمـة hides بجلـود الحيوانـات الكبيـرة، وskins بجلـود الحيوانـات الصغيـرة، وprocessing بالجلـد بعـد إعـداده[3]. ولـو كانـت للمترجـم معرفـة بالعربيـة مـا عمـد إلـى هـذا، فـإن لجلـود الصغـار والكبـار مـن الحيـوان أسـماء كثيـرة، فقـد عقد أبـو منصـور الثعالبـي فـي كتابـه «فقـه اللغـة وأسـرار العربيـة» فصـلا للجُلُـودِ، ذكر فيـه أسـماء أنواعهـا، ومـا تُسـمَّى بـه علـى حسـب أسـنانها، فقـال إن «الجَلَـد» جِلْـدُ البَعِيـرِ، يُسْـلَخُ، فَيُلْبَسُ غيـرَهُ مِـنَ الـدَّواب، والشَّـكْوَةُ جِلْـدُ السَّـخْلة (ولـد الشـاة)، مَـا دَامَـتْ تَرْضَـعُ، فـإذا فُطِمـت، سُـمِّيَ البدرة، فـإذا أجذعـت سـمي السِّـقاء. وجعل الفصـل الثالـث والخمسـين «فـي تَقْسِـيمِ الجُلُـودِ عَلَـى القِيَـاسِ والاسْـتِعَارَةِ»، فقال

(١) فن الترجمة ٣١.
(٢) السابق، ٣٢.
(٣) السابق، ٣٣.

إن المَسْك جلد الثَوْرِ والثَعْلَبِ، والمِسْلاخ جلد البَعِيرِ والحِمَارِ، والإهَاب جلد الشَّاةِ والعَنْزِ[1]، والوطب جلد الجذع فما فوقه. أما الجلد بعد إعداده، فيسمى الجلد المدبوغ، والدبيغ، والسبت، إذا كان من جلد البقر، والسُّلَف، إذا كان من جلد الضأن، وله أسماء كثيرة بحسب ما يدبغ به، كالمقروظ، والمنجوب، والمُقَرْنَى، والمأروط، والمسلوم، والمعرتَن، والغَرْف، إلخ[2]. وما يسميه الإعداد يسمَّى في العربية الدبغ. فلما لم يكن عارفا بالعربية كانت ترجمته من الضعف وعدم الإبانة بما لا يخفى.

وللإعراض عن المعجم العربي، والإصرار على إفقاره سبب آخر، يزاد في هذا، هو الهزيمة النفسية التي حاقت بالعرب منذ استُعمرت بلادهم، وألزمهم الغرب الذل والتبعية، وحقَّر إليهم أنفسهم، وأقرَّ فيها أن التخلف أمر كُتِب عليهم بالفطرة، والتقدم مما خص الله به المستعمر دونهم، كما فعل اليونانيون بالرومان، فقد غرسوا فيهم الشعور بالنقص، وسموهم المتوحشين (Barbarian)، فكان الرومان يحاولون جهدهم تقليد اليونان في كل شيء، وخلع جلبابهم؛ ليَسلَموا من التوحش. ثم فعل الرومان بالألمان ما فعل بهم اليونان، فكانوا يفعلون ما استطاعوا من تقليد الرومان والاندماج فيهم، وذهب بهم الشعور بالنقص والتأثر بالرومان، والتعلق بهم، والحرص على التشبه بهم إلى إلغاء الكلمات التي تبدو عليها علامة الأصالة الجرمانية، ليُحِلُّوا محلها كلمات لاتينية؛ لأنها -في نظرهم- مثال النبل والأناقة، ورمز الثقافة الرفيعة! فلما بقيت كلماتٌ ألمانيةَ مع كلمات لاتينية ترادفها كان الجرمان يستعملون الكلمات اللاتينية، ويفضلونها على الألمانية التي كانت -في نظرهم، لاندماجهم في الرومان، وشعورهم بالنقص- رمز التخلف، والبدائية، والهمجية[3]. وتخلَّص العرب من أكثر معجمهم كما تخلص الرومان والألمان من معجمهم بتأثير من دعاية الاستعمار، ومن يذهبون مذهبه، من تحقير العربية إلى أهلها، وذمها عندهم، مع أن أكثر ما يستعملون من المفردات الأجنبية أغرب من المفردات العربية التي يرغبون عنها.

---

(١) فقه اللغة وسر العربية، تحقيق عبد الرزاق المهدي، ٩٥ وما بعدها، والمخصص، تحقيق خليل إبراهيم الجفال. ١/ ٤٠٢ وما بعدها.

(٢) فقه اللغة وسر العربية، ٩٥، والمخصص، ط. بولاق، ٤/ ١٠٠ ١١١.

(٣) أصالية أم انفصالية، ٢/ ٣٧١ وما بعدها.

ومما يبين عن إماتة جل المعجم العربي وإفقاره هجْر جل معجم الحيوان، وما فيه من أسمائه، وأحواله، وأسنانه، وأطفاله، وذكوره، وإناثه، وحَمْله، ووضْعه، ورضاعه، وخَلْقه، وأمراضه، إلخ، والاستعاضة عن أكثر ذلك بتسمية عامة، كذكور الضفادع، وصغار الأرانب، وإناث الأُسُود. ومن المؤسف أن بعضهم لا يحملون هذه الأسماء على محمل الجد، بل يسخرون منها، وينسبونها إلى الغرابة، وإن لم تكن كذلك حقا، وكذلك يفعلون بما تضع المجامع اللغوية من ألفاظ الحضارة للمفهومات الحديثة، كزعْم بعضهم أن مجمع اللغة العربية بالقاهرة سمَّى «الساندويش» «شاطر ومشطور بينهما طازج»، وزعم آخر أنه سماه «الشاطر والمشطور والكامن بينهما»[1]. وقد أبدى أحد أعضاء مجمع اللغة العربية بالقاهرة امتعاضه مما تُلقَى به اصطلاحات المجمع من هزء وسخرية من بعض الصحفيين، على حين كان ينبغي أن تُلقَى بالقدْر والاحترام، وتعظيم الذين انتهوا إليها، فقال: إن أحدنا تتعلق همته بالعثور بالكلمة العربية، ترادف الكلمة الإفرنجية الشائعة في زماننا، فإن لم يوفَّق إليها أسف كثيرا، وندب حظه، فإن عثر بها، فرح أشد الفرح. ومع ما يلاقي المجمعيون من العناء في إصابة غرضهم الشريف يعترض عليهم مَنْ يعرف ومَن لا يعرف، ويهزأ بعلمهم كل من بدا له أن يتسلى، ويطالبونهم بالكمال المطلق، كأن أعمال المجامع كلها كملت، وليس فيها من ناقص إلا هذا المجمع الحديث[2]. وآلم للنفس من هذه السخرية التي تصدر من امرئ غير طائل أن يتعنَّى الأعضاء في إنجاز بعض الأعمال الجليلة، ثم تُهْمَل، فلا يُلتَفَت إليها، فتذهب جهودهم سدى، كما عهِد مجمع القاهرة إلى الشيخ أحمد الإسكندري وخبير عسكري بالنظر في وضع أسماء عربية، تقابل ألفاظ الجيش في التركية، ففعلا، فلما هَلَكا لم يوقف على أثرٍ لما وضعا[3]. ولا يمكن أن يحمل هذا إلا على الاستهانة بجهود العلماء، وأن المجمع غير جاد فيما يدَّعي من التعريب، وصون العربية، والعمل على ترقيتها، وإنما هو إحدى المؤسسات العربية التي لا يزيد غرضها على الإيهام، وادعاء

(١) كي لا تموت لغتنا العربية.
(٢) المذكرات، ٤/ ١١٠٣.
(٣) السابق، ٤/ ١٠٩٨.

أن الحكومات تصنع شيئا، كما يدل على أن الذين يتولون رياسة المجمع غير مقتنعين بما يُنْجِز، ولا جادِّين في بلوغ ما زُعم أنه غايته، ومن أبلغ الأدلة على ذلك أن ميزانية مجمع القاهرة الأولى كانت عشرة آلاف جنيه مصري، وهي لا تزيد على ميزانية مدرسة ابتدائية، وبلغت عام ١٩٦٢ سبعة وخمسين ألفا، أربعون ألفا منها رواتب الموظفين[١]، وأن يُجعَل على رأسه أحمد لطفي السيد، وهو من أنصار العامية، والدخيل، ودعاة الفرعونية، فأنَّى يكون خادما للعربية مَنْ يناصبها، ويجاهر بالانتماء إلى حضارة غير حضارتها؟!

ولو أريد الجد، وكانت الغيرة على اللغة والهوية هي التي تحرك هؤلاء، لكان فيما شاع في بعض العاميات العربية من أسماء «الساندويش» مندوحة عن هذه الكلمة الثقيلة الطويلة، إن لم يرضوا بتسمية المجمع (الشطيرة)، فإنها تسمى في العامية العراقية والفلسطينية لَفَّة[٢]، وهي كلمة قصيرة خفيفة، عربية الوزن، عربية الأصل، بخلاف «الساندويش»، فإنها طويلة، وثقيلة، وهي في الأصل اسم بريطاني، يدعى جون مونتاغو (John Montagu)، ويلقب إيرل السندويتش الرابع (the Earl of Sandwich – ٤). ونفرَ بعض أطباء السودان من تسمية «البنكرياس» «المعثكلة»، وتسمية «الالتهاب» «الخمج»، وكتبوا عنها مقالات كثيرة في الصحافة السودانية[٣]، ولكنهم يُقْبِلون على تحفُّظ مفردات اللغات الأجنبية، على ما يكون في كثير منها من الغرابة، والصعوبة، والطول، والثقل، وتنافر الحروف، وصعوبة الرسم. والأذن تألف بالاستعمال أغرب الأسماء[٤]، وما يثقل على المرء قد يخف على غيره، وآية ذلك أن بعض اللهجات العربية لا ينطقها غير أهلها حتى يكاد روحه يزهق، إن استطاع أن ينطقها، وهي خفيفة على أهلها، ولا يعدلون عنها إلى غيرها، ولا يبغون به بدلا، ولا يَدَعون ما تعوَّدوا منها إلاَّ مكرهين، فالمصري يقول: «تعال اشرب حاجة سأعة»[٥]، ولا يجد في نطق «سأعة» صعوبة، بل يجد لها من الخفة والروح

(١) أعمال مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ١٢ و٥٦.
(٢) تهافت اللغة العربية على شبكة الإنترنت.
(٣) انظر: مستلزمات تعريب التعليم العالي من واقع التجربة السودانية، ٣٠ وما بعدها.
(٤) المصطلحات العلمية في اللغة العربية، ٩١.
(٥) أصلها صاقعة، أي باردة.

ما يجد لـ«تعال»، و«اشرب»، و«حاجة»، وما يجد غيره من العرب لـ «باردة»، ويتعذر على غيره من العرب أن ينطقها، فإن تكلفها وجد من تكلفها عنتا شديدا، ولا يقوى على تكلفها إلا أن يتمهل في النطق، رجاء أن يخلِّص العين من الهمزة التي تقاربها في المخرج، وتشبهها في بعض الصفات، وربما كانت «العهخع» التي يضرب بها المثل في الثقل أيسر عليه منها. ويبدل أهل نجد الكاف حرفا بين السن والتاء، فلا يجدون في إبدالها مشقة، ولعلهم يجدون إبدالها أخف عليهم من نطقها كافا، فيقولون: سنت، ويحبِّتس، وديتس (كنتُ، ويحبُّكِ، وديك)، ولا يكاد لسان غيرهم ينقاد لهذا النطق إلا بمشقة. ويقولون للمخاطبة: رفيزتسك (رفيقتُكِ)، فينطقون الگاف (المنقلبة عن القاف) حرفا بين الجيم والزاي، وينطقون كاف المخاطبة حرفا بين التاء والسين. ويقول أهل الخليج للمخاطبة: حَلْجِش (حَلْقُكِ)، ورفيجتش (رفيقتك)، وللمخاطب: محاشيش (محاكيك، أي: محدِّثُك)، فيقلبون القاف جيما، والكاف صوتا بين التاء والشين، ويجدون ذلك أخف عليهم من حلقك، ورفيقتك، ومحاكيك، ويكاد يتعذر على غيرهم أن يحاكي نطقهم، وهكذا. أما اللغات الأجنبية، فإن العربي يجد مشقة في نطق بعض المفردات الإنجليزية والفرنسية، لتقارب حروفها أو طولها، نحو: suggest وsuggestion، وcharacteristically، و chromolithography، وconspicuous، وChristianization، وExcuse moi، وChamps-Élysées (الشانزلزيه)، وينطقها الإنجليز والفرنسيون بسهولة، ولكن يتعذر عليهم أن ينطقوا كلمة فيها حاء أو ضاد، أو ظاء، إلا أن يقلبوا الحاء خاء، والضاد والظاء دالا. فالسهولة والصعوبة ليستا مما يَسُوغ التعللُ به لترك الاصطلاح. على أننا كثيرا ما نرى المغرمين بالدخيل يستمسكون بكلمات أعجمية ثقيلة، ويعدلون عن الكلمة العربية الجميلة الخفيفة، كما يؤثرون «الإنفلونزا» على طولها، وثقلها، وتنافر حروفها، وبعدها من أوزان العربية، على «الزكام»، على قصرها وخفتها. ويؤثرون بروباغندا، على دعاية، و«ترم»، و«سمستر»، و«قروب»، وجمعها (أترام، وسمسترات، وقروبات) على فصل، وفصول، وجماعة وجماعات، وبينها ما لا يخفى، ويؤثرون تلفون على هاتف، وهاتف أخف وأقل حروفا. على أن من أنصار الدخيل من يرون أن الجمال

والخفة مما لا ينبغي توخيه إلا في لغة الأدب، أما لغة العلم، فحسْبها أن تؤدي المعنى فقط. وقد قال فيخته: إن الطبقة التي تتساهل في لغتها، أو تريد تيسيرها، وتتوخى السهولة، وتتحاشى الألفاظ الصعبة النطق هي التي تتباهى بكل ما هو أجنبي من لغة وعادات، ولباس، وترى فيه النبل كل النبل[1]. ويبدو أن الروح الذي يتلبس الشعوب في زمن نهضها وعثارها واحد، من أجل ذلك تتشابه عقولها، وأمزجتها، وأفعالها في كل شيء، خيرا كان أو شرا؛ فتتشابه أقوالها، فقد وصف فيخته الألمان أيام احتلال نابليون بونابرت بلادهم، فكان كل شيء من أمرهم في حال هزيمتهم، وخضوعهم لفرنسة، واستسلامهم لنابليون، وإعجابهم به، حتى كبار شعرائهم وفلاسفتهم، كهيغل، وهمبولدت، وموللر، وجوته، مطابقا لما يُرَى اليوم من حال العرب، وهزيمتهم النفسية، وتهافتهم على الغرب، وكَلَفِهم بثقافته، وتملقهم إياه، وتكلفهم تقليده في كل شيء، ولا سيما لغته، كما قال فيخته أيضا: إن هذا المرض، مرض التهافت على كل ما هو من الخارج لدى طائفة منا، هو أصل مصائبنا كلها، وسبب الهوة التي تزداد اتساعا بين هذه الطبقة التي ترطن بلغة الأجانب، وتتباهى بزيهم، وتقلدهم في الأخلاق، وسائر الشعب المتمسك بأخلاق البلاد، المحافظ على لغته التي هي قوته الطبيعية، الضامنة لأصالته، واستمرار وجوده[2]. ولا تحرُّر للعرب، ولا استقامة لأمرهم حتى يتحرروا من تلك العبودية كما تحرر منها الألمان قبل أن يتحرروا من استعمار نابليون.

وعثور المرء بكلمة عربية، يلابس معناها معنى اصطلاح علمي، وتترجِم لفظا أعجميا شائعا في كلامنا، ما كنا نعرف له بديلا، كالحاكوم، للريموت، والمجهار، للميكفرون، والناسوخ للفاكس، مما ينبغي أن يُفرَح به؛ لأن فيه عونا على صون العربية، وعصمةِ أهلها من التبعية، وتخفيفا مما نجد في نفوسنا من ذل وهوان حضاري، لا يهوِّن منه إلا ما نقع عليه من هذه الألفاظ ونحوها؛ فتردُّ علينا ما يفقدنا طول البؤس من الأمل في أن تُفَكَّ ألسنتنا يوما من أغلال العجمة، وتعتق رقابنا من العبودية المختارة. ويزدري بعضنا ما سمع، ويصر

---

(١) إنية وأصالة، ٦٠، وأصالية أم انفصالية، ٢/ ٣٧٢ وما بعدها.

(٢) السابق، ٦١.

على ما عهد؛ لأن بقلبه من تلك العبودية ما يأبى الأحرار، ومن العشق ما يجعله يرى الصحة في السقم، والشفاء في الاستزادة من الجوى، كأنما يتقلد مذهب أبي صخر الهذلي في الحب:

فيا حبها زدني جوى كل ليلة ويا سلوة الأيام، موعدُك الحشْرُ

(ومن يُهِنِ الله فما له من مكرم). وبعض من يَقْلُون التعريب إذا سمع اللفظ العربي بمعنى لفظ أعجمي ظلَّ وجهه مسودًّا وهو كظيم، مخافةَ أن يُحمَل على الاستقلال؛ فيأخذ في الانتقاد عليه، والسخرية منه، وتسقُّط ما يُسْقِطه به؛ ليُبْقِيَ على اللفظ الأعجمي الذي هو سوءة، ينبغي أن يواريها من يُضطَرُّ إليها، وتبعية يأنف منها كل كريم، له مندوحة عنها، كما أنف شارل ديغول من مفردة ألمانية، بقيت في الفرنسية، بعد ما تحررت فرنسة من ألمانية؛ فيصف اللفظ العربي بالثقل والغرابة، وعدم الشيوع، وشيوع ما يرادفه من اللغات الأجنبية، كأن اللغات الأجنبية ليست مِلاءً بكل غريب من اللاتينية واليونانية، وكلٍّ طويل ثقيل من السوابق واللواحق والحشو، حتى لتبلغ الكلمة منه سطرا، ونصف سطر، وربما بلغت خمسة وثلاثين حرفا[1]، وهي متنافرة الحروف، عسرة النطق على اللسان؛ لأنها قطار من الكلمات، رُبِط بعضه ببعض، ويتحتم نطقها في نَفَسٍ، كما تنطق الكلمة.

---

(١) النحت في العربية، رمسيس جرجس، ٦٢. والنحت، نهاد الموسى، ٢١١.

تبديل الدلالة

وأعني به استعمال اللفظ في غير معناه في العربية، لا على سبيل المجاز. ولذلك صورتان، تؤولان إلى معنى واحد:

١ - أن يُفْرَغ اللفظ من معناه العربي، ويصبَّ فيه معنى لفظ أجنبي، من غير صلة بينهما، تسوِّغ ذلك، إلا أن المعجمات المزدوجة تترجم أحدهما بالآخر ترجمة حرفية. وترتبَ على هذا أن صار مضمون العربية الحديثة الثقافيُّ هو مضمون الإنجليزية والفرنسية، وصارت العربية تبين عن ثقافتهما أكثر مما تبين عن الثقافة العربية الإسلامية، والعربي الذي يتكلم بها يعتقد -من حيث لا يدري- بعض ما يعتقد الفرنسيون والإنجليز، ويحب ما يحبون، ويكره ما يكرهون، ويستحضر من معاني الألفاظ «العربية» ما يستحضرون من معاني «مرادفاتها» الفرنسية والإنجليزية، ويجد لها من الظلال والمعاني ما يجدون. فـ«مشكل ومشكلة وإشكال» كانت تعني الشيء، يُشكل معناه، فأُفْرِغت من هذا المعنى، وصُبَّ فيها معنى problem وquestion، فصار يقال «مشكل التعليم»، و«مشكلة الصحراء»، و«هذه هي المشكلة»، كما يقال في الإنجليزية: this is the question، و«ما المشكلة؟»، كما يقال فيها أيضا: what is the problem؟، و«مشكلتك أنك»، كما يقال: your problem is that you are. ولا معنى لـ«المشكلة» في هذا ونحوه إلا الموضوع، والقضية، والمسألة، وهي في هذا الاستعمال بعيدة مما كانت تدل عليه المادة التي اشتُقَّت منها قبل هذا العصر، كما يبدو من الموازنة بينها في هذه العبارات وعناوين هذه الكتب: «تأويل مشكل القرآن»، «شرح مشكل شعر المتنبي»، «مشكل إعراب القرآن»، فقد اشتملت هذه الكتب على إشكالات، تولت إزالتها، ولا إشكال في «الإشكال» و«المشكل»، و«المشكلة» اليوم، وإنما فيها «موضوعات، ومسائل، وقضايا»، ليس غير. ومن هذا تسمية أهل المغرب العربي القضية سؤالا، كـ«سؤال اللغة»،

و«سؤال الأخلاق»، و«سؤال الهوية»، و«أسئلة دولة الربيع»، وقول أحدهم: «ذلك هو السؤال، كما قال شكسبير»[1]، يريد قوله: to be or not be that is the question. ولا يخفى أن عبارة شكسبير لا تعني السؤال، وإنما تعني الأمر، والشأن، والقضية، ونحو ذلك مما ينبغي أن يكون هو الذي يُهتَمُّ به، أما السؤال، فما يقتضي الجواب، ولا سؤال هنالك، ولكن لما كانت question من المشترك اللفظي في الإنجليزية، وكان «السؤال» أشهر معانيها المعجمية، وكان السؤال، و«المسألة» من مادة، وقد تستعمل «المسألة» في معنى القضية، ترجمَها به من لا يعرف الإنجليزية ولا العربية. ويتجلى خطأ هذه الترجمة، وبُعدها من أداء المراد إذا ترجم عنوان كتاب إدوارد سعيد (The Question of Palestine)، بـ«سؤال فلسطين»، أما ترجمته الصحيحة، فـ«قضية فلسطين»، ولأن ذلك هو معناه تُرجم أيضا بـ«مسألة فلسطين»[2].

ومنه قولهم: من منظور لساني (point de vue du linguistique /from a lingual perspective)، ومن منظور إيديولوجي (Du point de vue idéologique /from an ideological perspective)، والمنظور: اسم مفعول، وهو ما نُظر إليه، وليس في العبارتين ما يُنظَر إليه، وإنما المراد من جهة اللغة، ومن جهة العقيدة، أو من جانبهما، أو في رأي أهل اللغة، ونحو ذلك. وكذلك قولهم: كم أنت رائع (comme vous êtes /how wonderful you are)، وكم أحبك (comme je vous aime /How much I love you)؟، وكم هي فاتنة (Comme elle est charmante! / how charming she is)[3]، وكم هو جميل أن نبقى أصدقاء (Comme il est bon de rester amis /how nice if we could stay friends)[4]، و«كم أتمنّى لو كنتُ كاتبة؛ لأَكتُب قصّتي»[5] (Oh comme j'aurais aimé être écrivaine pour écrire mon histoire! / how i wish i was a writer to write my story). و«كم» -في العربية- أداة استفهام عن

---

(١) المجتمعات العربية وعلاقتها النفسية والاجتماعية بلغتها في الميزان، ٣٣.
(٢) انظر: تغطية الإسلام، ٢٠ (مقدمة المترجم).
(٣) محاسن العربية في المرآة الغربية، ٥٤٦.
(٤) أزمة اللغة والترجمة، ١٨٥
(٥) مقالات أحلام مستغانمي، ٦.

العدد، فمعاني هذه العبارات الحرفية هي: ما عدد أنت رائع؟ وما عدد حبِّكَ، إلخ، كما أنه إذا قيل: كم صديقا لك كان المعنى: ما عدد أصدقائك؟ إلخ. ولكن العربية الحديثة جعلت «كم» أداة تعجُّب كما أن «how»، وهي مرادفها المعجمي، تستعمل في التعجب، وإن كان أصل معناها كم. واستعمال «قُتِل» بمعنى مات، كقولهم: سقطت الطائرة وقُتِلَ ركابها، كما يقال في الإنجليزية: (The plane crashed and all the passengers killed)، والقتل والموت -وإن كانا يتفقان في أنهما نهاية الحي- مختلفان، فالموت نهاية تلقائية، والقتل إنهاء، أي: فِعْل يُفعَل. واستعمال «السلك» بمعنى الطور، والإدارة، نحو: السلك الديبلوماسي (Fil diplomatic)، وأسلاك التعليم أي أطواره، ودكتوراه السلك الثالث أي الطور الثالث. ويسمون العمال المختصين وشبه المختصين أُطُرا، ترجمة لـ Les Cadres، بالفرنسية، والإطار في العربية: ما أحاط بالشيء، كإطار الصورة، وإطار الباب. وتستعمل في الفرنسية مجازا في العاملين الفنيين وأشباههم، المختصين في معمل أو مشروع، أو إدارة حكومية، فاستعملها أهل المغرب العربي بمعناها المجازي ظنا منهم أنها تؤدي في العربية ما تؤديه في الفرنسية[1]، ومنهم مَنْ عَرَّب الأصلِ الفرنسي، وجَمَعَه على كوادر[2]. واستعمالهم «التدخل» بمعنى التعليق يعلّق به على كلام محاضر، ترجمة للكلمة الفرنسية «intervention»[3]. ويستعملون «الحقل» في معنى الباب كما يستعمل field في الإنجليزية في معناه. ويقولون: و«ثائقي»، بدلا من تسجيلي؛ ترجمة لـ documentary، بالإنجليزية، والممثل بمعنى الوكيل كما تستعمل representative في الإنجليزية بمعناه[4]. ويستعملون «المشروبات الروحية»، بمعنى spirits في الإنجليزية، يريدون المسكرات؛ لأنspirit تعني الروح في الإنجليزية، وتطلق على المسكرات مجازا[5]. ويقولون «يلعب» بمعنى يعمل، ويؤدي، نحو: يلعب دورا، ترجمة حرفية لـ: play a role، بالإنجليزية، وJouer

(١) في لغة الإعلام، ١٧ وما بعدها، والتعريب والعربية في الجزائر بين واقع قديم ورؤية مستقبلة، ١١٠.
(٢) السابق، ١٨.
(٣) في لغة الإعلام، ٢٢.
(٤) مغامرات لغوية، ١٣٧ وما بعدها.
(٥) السابق، ١٣٨.

un rôle، بالفرنسية[1]. ويستعمل play بالإنجليزية، وJoucr بالفرنسية لازمين ومتعديين، ولا يكون «لعب» في العربية إلا لازما. واللعب في العربية، من حيث المعنى، لا يكون إلا خلاف الجد، بخلاف الفعلين الفرنسي والإنجليزي، فيستعملان فيه وفي الجدِّ[2]، وبمعنى يعزف، نحو: play music[3]، وتترجم في العربية الحديثة بـ: يلعب موسيقى.

٢- أن تسمى المعاني بغير ما اصطُلح عليه من الألفاظ العربية، ملاحظةً لتسميتها في الإنجليزية والفرنسية؛ فينتج من ذلك ما لا يبين عن المراد، ولا يؤدي المعنى على الوجه الذي جرت العادة أن يؤدَّى به في العربية، ويُعدَل عن الألفاظ العريقة إلى ألفاظ، إنما تدل على معان أخر، لا علاقة لها بها في الثقافة العربية، وإن كانت لها علاقة بما «يرادفها» من الألفاظ الإنجليزية أو الفرنسية. أي إن تبديل الدلالة يعني أن يُحشَى اللفظ العربي بغير معناه، فتبدَّل دلالته، والمفهومَ يُلبَس غير مبناه، فيُشرب روحَ ثقافة أخرى. وقد ألحق هذا التبديل العربية بالإنجليزية والفرنسية، والثقافة العربية بالثقافتين الإنجليزية والفرنسية، وتأثَّرَ الفكر بالفكر، والشعور بالشعور، والذوق بالذوق، وغدا ما يرى العرب في بعض القضايا -من حيث لا تدري عامتهم، وبعض خاصتهم- مطابقا لما يرى الإنجليز والفرنسيون، بل لما يرى اليهود، على قدر تأثُّر الثقافة بالثقافة، وغدا مضمون كثير من الاصطلاحات العربية الإسلامية غربيا، ومبينا عن جانب من واقع الغرب الفكري والثقافي[4]. وإذا كان «العالم محمولا في جوف اللغة»، وكانت اللغة هي أهلَها، فكل استعمال لِلَّفظ في غير معناه اتِّباعا للإنجليزية أو الفرنسية استبدالٌ لما في جوفه بما في جوف العربية، أي: استبدالٌ للثقافة الإنجليزية والفرنسية بالثقافة العربية، وللإنجليز والفرنسيين بالعرب، وكل تسمية للمفهوم بغير اسمه تفريغ للفظ العربي الذي سُمي به من معناه، وإلباس للمفهوم لفظا ما جرت العادة أن يُلْبَسه. ومن المسلَّم به أن المعجم أداة من أدوات صوغ الفكر والهوية، وتلوين اتجاه مستعمليه الحضاري بحضارة

(١) في التعريب، ١٠٤، وتعريب الأساليب، ٣٤٢، وبين العامية والفصحى، ١٦٦ وما بعدها.
(٢) السابق، ١٠٥ وما بعدها.
(٣) مغامرات لغوية، ١٣٨.
(٤) معركة المصطلحات بين الغرب والإسلام، ١٢.

واضعيه وفلسفتهم. فالكلمة التي يقرؤها المرء في المعجم تبذر في عقله المعنى الذي يفسِّرها به، وهو جزء من حضارة مؤلِّفه، ومبينٌ عن جانب من ثقافته وفلسفته وفهمه. ومن الغالب ألا يولِّي المرء شطر المعجم إلا وقد وطَّن نفسه على أن يسلِّم لما يقول، ثقةً به، أو جهلا بغيره، أو عجزا عن الوقوف على المراد في غيره. ومن علم أن مصادر أكثر معجمات العلوم والفنون في ثقافة العرب الحديثة غربية، عرف كيف احتلَّ الغربُ عقول العرب، فلوَّنها بفكره وثقافته، وكيف غُرِّبت عقولهم في العلوم الإنسانية التي تتمايز فيها الحضارات، وتتمايز معاني كثير من الاصطلاحات[1]. وقد يكون من المتفق عليه أن الحقيقة في العلم البحت إضافية (نسبية)، وأن الموضوعية والحياد فيه عزيزان، فكيف بما وراء العلم البحت من فنون، وآداب، وعلوم إنسانية، ليست لها معايير العلم البحت ولا أدواته؟ ومع ذلك لا يُلْقي كثير من العرب بالا للاصطلاح، على كثرة ما يحمل من خير وشر، وإنما يكلون أمره إلى تراجمة، لم يُعَدُّوا للترجمة؛ فمسخوا هويتهم، بما بدلوا من ثقافتهم، وألزموهم أن يكونوا تبعا لغيرهم، بما بدَّلوا من مفهوماتهم، وما أحلُّوا محلها من مفهومات غيرهم، فغدوا يفهمون الأشياء كما يفهمونها، ويتأثرون بها كما يتأثرون؛ ففقدوا من عقولهم ودينهم وهويتهم واستقلالهم بقدر ما حُمِّلت لغتهم من ثقافة غيرهم. ومن قرأ بعض ما يكتب في النقد والفلسفة، وعلم الاجتماع، وقف على جانب مما صنع التراجمة من ذلك. هذا إلى أن فعلهم هذا كثيرا ما يَلبِس، ويحول بين القارئ وفهم المراد؛ لأنه يغيِّر دلالات الكلم المتعارف عليها، ويُحلُّ محلها من المعاني ما لا يعرفه من العرب إلا مَنْ كان عارفا باللغات الأوربية، فإنه يتبين معاني الكلم «العربي» من «مرادفاته» من تلك اللغات، ويكون فهم المراد أيسر عليه من فهمه من لفظ، عَهِده لمعنى غير الذي استُعمل فيه. فإذا كثر استعمال اللفظ في المعنى الجديد أَلِفَه الناس، فقرَّ في عقولهم، وصارت دلالته فيها كدلالة مرادفه في الإنجليزية والفرنسية، وأثره فيهم كأثره في الإنجليز والفرنسيين، فغدت نظرتهم إلى الأشياء، وعقيدتهم فيها مطابقة لنظرتهم وعقيدتهم؛ فيتبدل فكرهم من حيث لا يدرون فكرا إنجليزيا وفرنسيا، فيعتقدون -بمقتضى اللغة- ما لم

(١) الخصوصية الحضارية للمصطلحات، ٤١ وما بعدها.

يكونوا يعتقدون، وما لم يكونوا ليعتقدوا، لو قدِّم إليهم في الألفاظ التي تدل عليه دلالة، لا لبس فيها، وينسون ما كانت تقتضي عقيدتهم وثقافتهم، كما يَنسى أحدهم الأسلوب الصحيح، ويألف الأسلوب الخطأ، على علمه بأن الصحيح غيره، لكن الإلف وكثرة الاستعمال يغلبان علمه، فإذا طال عليه الأمد غدا من العسير عليه أن ينزع عن الخطأ إلى الصواب، وإن عرفه، وربما دافع عنه، فقال إنه مقتضى ما ينال اللغة من تغير لا مردَّ له، ولا مفرَّ منه، وإن التغير سنة من سنن اللغة؛ فما ينبغي أن يُعْنَتَ الناس بالتخطئة، مادام المراد من الكلام مفهوما، وربما تكلَّفَ وجها يخرِّجه عليه، وإن كان بعيدا. وكذلك يكون في الأفكار، تألفها النفس حتى تصدَّ عما سواها، ثم تغدو جزءا من الثقافة التي تسوق المرء من حيث لا يدري، كما غدت الوطنية بمفهومها الحديث، وحدود البلدان الإسلامية السياسية جزءا من ثقافة الشعوب الإسلامية، يستوي فيها أفسقها وأتقاها، وأعلمها وأجهلها، على ما يعلم بعضهم من أنها حدود، صنعتها فرنسة وبريطانية بمعاهدة سايكس وبيكو، من أجل تمزيق الأمة الإسلامية، ولم يكن لها وجود في ثقافة الأمة ولا واقعها قبل ذلك، حتى حين كانت دويلات متعادية، فلم يترتب على تعددها وتعاديها يوما شعورٌ باختلاف الهويات، ولا بتباين المسلمين، ولا رسْمُ حدود بينها، لا تُتَخَطَّى إلا بإذن من حاكمها، ولا منعَ المسلمين التنقل، والإقامة حيث شاؤوا من البلاد الإسلامية، ولا تجاوزَ الخلاف المختلفين من الحكام، إن اختلفوا، وعلى علْم المسلمين أن الحدود السياسية بين الدول الإسلامية كما هي معروفة اليوم منافية لوحدة الأمة الإسلامية التي نص عليها القرآن الكريم: (وأن هذه أمتكم أمة واحدة)، والأحاديثُ النبوية التي جعلت المسلمين «كالجسد الواحد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى»، و«المسلمون يسعى بذمتهم أدناهم، وهم يد على من سواهم»، وأن الوطن الإسلامي واحد، لا يتعدد، ولا يتجزَّأ، وإن تعددت أقاليمه، وتباينت ثقافاته ولغاته وأعراقه. بيد أن هذه الحقيقة الشرعية والتاريخية والثقافية غدت في فكر المسلمين المعاصرين كلهم تقريبا حكما نظريا، نسخه الواقع، وخيالا جميلا، تهديه الأحلام وأوقات الصفو والتجلي إلى الصالحين منهم، وغدا الواقع جزءا من الثقافة النفسية.

ولهذا ضرر آخر، هو قتل اللغة التي يُفعَل بها بامتصاص ثقافتها، فلا يبقى إلا شكلها، وتغرق في اللغة الغازية، وتتغير أصواتها، ونحوها، وصرفها، فلا تُبين عن رأي أهلها في العالم[١]؛ لأن مفرداتها محملة بمضمون مفردات اللغة الغازية، وعباراتها ترجمة لعباراتها، وتغدو هيكلا، لا يخدع إلا من لا يعرفه أو لا يعرف اللغة التي حلَّت فيه، أو من أَلِفه إلفا أنساه حقيقته، كما قال جلبير غرانغيوم فيما يشبه الشماتة: العربية المعاصرة في المغرب العربي ليست هي لغة القرآن، بل هي ترجمة من الفرنسية، فالفرنسية تعمل داخلها، وكثيرا ما تترجمها بدلا من أن تحل محلها[٢]. وقال إن الخصوصية التي قاومت الاستعمار، وظلت في مأمن من العدوى الغربية بسبب التعارض بين الفرنسية والعربية، صارت مهدَّدة بالاندماج في القيم الغربية، وتَبِعَ ذلك مَلْءُ اللغة والثقافة العربيتين بمضمون أجنبي بالتعريب، مع أن الاستعمار حاول إقحام ذلك المضمون، لكن الهوية المغربية عارضته معارضة شرسة؛ فصارت العربية الحديثة غرائرَ قَصير، أُدخِلت في دار الإسلام خفية، وما فيها إلا التغريب[٣]. وهي لغة ليس لها جماعة ولا مرجع ثقافي، وإنما هي لغة المواطنة العالمية (Cosmopolitisme) والطبقةِ الوسطى الصغيرة التي هي بابها على التأثير الأجنبي. وهي لغة، ليست لها حياة العامية، ولا عمق العربية الفصحى القديمة، وإنما هي نقولٌ من اللغات الغربية، ومادة بديلة، تفتقر إلى تماسك كتماسك الفرنسية[٤]. وهو حكم، يصدِّقه ما يقول أهل المغرب من أن غالبية المعجم المغربي مفردات مترجمة، تَلبسها المفهومات الأجنبية، وقد يكتفي من الاقتراض بتغيير يسير في الصيغة، أو بغير تغيير، ويعتمد على المضمون والصور والأساليب والإحالات التي تحل وتتجسد وتحيا عند غيرنا[٥]. وكثير من الوثائق الرسمية والوثائق الإدارية المكتوبة بالعربية يُرجَع إلى نظائرها المكتوبة بالفرنسية من أجل فهمها؛ لأنها كلها أو جلها، تكتب بالفرنسية، ثم تترجم إلى العربية، ومن الغالب أن تكون

---

(١) انظر: مستقبل اللغة العربية، الضبيب، ١٩.

(٢) اللغة والسلطة والمجتمع في المغرب العربي، ٨٠ و١٧٢ وما بعدها.

(٣) السابق، ١٠١.

(٤) أزمة اللغة العربية في المغرب بين اختلالات التعددية وتعثرات الترجمة، موقع صحفي.

(٥) السابق، ٧ وما بعدها.

ترجمتها رديئة، ولا تبين عن مضمون النص، وتثير خلافا عند تطبيقها، فإذا اختُلف في شيء من معناها كان النص الفرنسي هو الأصل الذي يُحتكَم إليه[١]. ومن تأمل الإعلان الذي يقدَّم بالعربية في المغرب العربي، لم يَخْفَ عليه أنه لم يُكتب بالعربية، وإنما تُرجم إليها بعد كتابته بالفرنسية، ومن الغالب أن يُترجم بمعزل عن اللغويين[٢]. وما يقع في لغة الدعاية يقع مثله في لغة الكتابة، وكل ما يُخشى على العربية في هذه الأقطار من الأضرار التي تُوقِعُها لغة الإعلان يُخشى عليها مما توقع لغة العلم، بل يُخشى عليها أكثر منه؛ لأن لغة العلم تدخل كل عقل متعلم، وهي التي تصنع الفكر، وتقرر ما يُستعمَل من اللغة وما لا يُستعمَل.

وليس من العلم تجاهل ما استقرت عليه دلالات الكلم في التراث العربي، ولا تجاهل ما بُذل في هذا العصر من جهود في الاصطلاح، بل هو خطأ، يقع فيه بعض من يظنون أن معرفتهم بدلالة الاصطلاحات الأجنبية تجعلهم أهلا لأن يستقلوا بوضع ما يشاؤون من الاصطلاحات، فينتهي بهم ذلك إلى أن يضعوا اصطلاحات مخالفة للعرف المستقر عند المتخصصين، ومخالفة لما أقرَّ العلماء، ويُحِلُّوا ما استحدثوا محل الاصطلاحات المشهورة عند المتخصصين[٣]. وهذا من أسباب اضطراب كثير من الترجمات، وما فيها من غموض، يتعذر معه فهمها. وتنكُّب الاصطلاحات العريقة، وصرف الكلم عن دلالاته المعهودة، على غير سبيل المجاز، يقطع الأمة عن تراثها، ويجعلها كأنما تولد اليوم؛ فيكون من اليسير أن تُزرَع في عقولها مفهومات الغير، وتُستبدل ثقافته بثقافتها، ومن اليسير أن تَجهل الاصطلاح العربي وتاريخه وإيحاءه وما يرمز إليه من معان، وما يترك في النفس من آثار، ويغدو قصارى ما يفعل الكاتب والمترجم منها أن يقلدا تقليدا باردا، لا يبين، فيُقْبَر الاصطلاح الأصيل في كتب التراث، وتشيع الاصطلاحات الآلية المُفَرْنجة، فتصير للعرب لغتان، وثقافتان، لغة قديمة، هي لغة التراث، ولغة حديثة لما يُكتَب ويُتَرجَم في هذا العصر،

---

(١) اللغة الوطنية والسياسات اللغوية، ٢٣٣ - ٢٣٥.

(٢) عن وضع اللغة العربية في الإشهار المغربي، ١١٣.

(٣) اللغة العربية في القرن الحادي والعشرين، ٤٥٣.

وثقافة، يُقرَأ بها التراث، وأخرى، يُقرَأ بها نتاج العصر، وبين اللغتين والثقافتين برزخ لا يلتقيان. يُفعَل هذا من غير فائدة يفيدها العرب سوى الاغتراب عن النفس والحضارة، وإماتة المفهومات العريقة وإحلال مفهومات حضارة أخرى محلها، كان يمكن أن يبان عنها بما يَصِلُها بمفهومات حضارة العرب، ويعين على استيعابها، والإفادة منها من غير ضرر. وإنه لأمر بالغ الخطر، عظيم الضرر أن تُمْحَى ذاكرة أمة وفكرها، وشعورها وثقافتها النفسية، وتستبدل بها ذاكرة أمة أخرى، وشعورها وثقافتها، وتفرَّغ مفرداتها من دلالاتها وتاريخها وما تستثير من ذكريات وأشجان، وتُوَطَّن فيها دلالات لغة أخرى، ومشاعر أهلها وعقائدهم وأفكارهم وعواطفهم وتاريخهم، على الوجه الذي قال جلبير جرانغيوم: يراد للثقافة التي أدخلتها الفرنسية على أهل المغرب العربي طوال الاستعمار أن تبقى لكن داخل العربية، وهي التي كانت وسيلة مقاومة الاستعمار[1]. أي أن يُنزَع روح العربية، ويُحَلَّ محله روح الفرنسية، فلا يبقى من اللفظ العربي سوى طلل من الصوت والرسم.

وضرر آخر، يُلحقه بالعرب تحريف الدلالة: أنه يشعرهم أبدا بأن كل ما تُرجم إلى العربية من لغة أخرى، على هذا الوجه، جديد في حضارتهم، ولا عهد لهم به، وإن كان قديما فيها، بل مبتذلا؛ فلا يعرفون موقعهم من الحضارة الإنسانية، وما صنعوا منها، وإنما يشعرون أبدا بأنهم تَبَعٌ، قُصَّر، يستهلكون ما يصدَّر إليهم، ثم ينتحلونه، كما يفعلون اليوم. وإذا صح قول صموئيل هنتنجتون: إننا إنما نعرف مَنْ نحن إذا عرفنا «من لسنا نحن»، وعرفنا مَنْ هم ضدنا[2]؛ فغني عن القول أن العرب إذا كان قصارى نتاجهم الاستنساخ، وكان غيرهم هو المثل الأعلى الذي يطمحون إلى أن يتحدوا به، وكان ذلك هو معنى الوجود عندهم، وغاية الكمال، لن يكون لهم ما يميزهم ويَعرِّفهم مَنْ هم، و«مَنْ ليسوا هم»، ولن يكون لهم «ضدٌّ»، تعينهم معرفته على أن يعرفوا مَنْ هم، وسيكون ضدهم هو مَنْ غاية أملهم أن يكونوا منه؛ لأن الهوية الثقافية التي هي «أكثر الأشياء

---

(١) اللغة والسلطة والمجتمع في المغرب العربي، ٣١.
(٢) صدام الحضارات، ٧٤.

التي لها معنى عند أغلب البشر»[1]، ليس لها معنى عندهم، مادامت تُبَاعِدهم عمن يسرهم أن يقتربوا منه، وتُميِّزهم منه، وتجعله ضدا لهم. وهذه حالهم التي تُصوِّرها عربية اليوم، كما يصورها سلوكهم، وأفكارهم، وثقافتهم التي هي مضمونها. ومن أضراره أيضا ما قال المرحوم، الدكتور عثمان أمين: إن من أخطار الآلية، في استعمال الوظيفة اللغوية أن نفكر بأفكار لغيرنا، حفظناها دون أن نعيها وعيا واضحا، أو أفكارٍ بَلِيَتْ ورثَّت وتخلَّفت عن روح عصرنا، أو أفكار، يكتنفها الغموض والإبهام، وإن توهمناها واضحة بسبب الإلف والعادة، ولكن الوضوح لا ينفصل عن اليقظة والانتباه، فمن الوضوح وضوح زائف في الفكرة المألوفة التي تسبغ عليها عاداتنا اللغوية بداهة ظاهرية[2].

لقد غدت المفردة العربية، بسبب هذا النهج في تبديل الدلالة، أشبه بمتنكِّر، ينتحل صورة غيره، أو يلبس زيا غير زيه، فمن رآه من غير توسُّم، خاله المرءَ الذي ينتحل صورته وهيئته، وخالَ ما ينتحل من الانتماء إلى البلد الذي يتزيا بزيه حقا، فإذا دنا منه، وجد الثياب تبرأ ممن فيها، ومن فيها ينادي على نفسه بحقيقته التي يخبِّئ. ولو قُدِّر لمن لا يعرف اللغة الأجنبية أن يسمع الكلمة «العربية» في سياق غير الذي عهدها تُستعمَل فيه، لم يفهم ما يراد منها، وإذا عرف معناها المُحْدَث، بالشرح، أو طول الاستعمال، لم يتبين علاقتها به، ولا علاقته بأصل معناها الذي لم يَنظر إليه من ترجمها به. وكفى بالمرء غربة أن يقرأ نصا «بلغته»، فلا يجد فيه ما يدل على أنه بها، ولا ما يذكِّره بأنه ينتمي إلى ثقافته، وإنما يذكِّره بلغة أخرى وثقافتها، ثم يكون هذا ديدن كل ما يسمع ويقرأ، لا يكاد يشذ عنه شيء، وأن يغدو ما يستحضر من المعاني، إذا رأى الألفاظ، هو ما يستحضر أهل اللغة التي اقتُرِضت منها تلك المعاني، وأثرها فيه -حين تُذكَر- كأثرها فيهم، كـ«أصولي»، فقد كانت تدل على العالم بأصول الفقه، ولم يكن لها معنى غيره، فحمَّلتها العربية الحديثة معنى fundamentalist، وتعني المتشدد الذي ينتمي إلى حركة بروتستانية أمريكية، نشأت في القرن التاسع عشر الميلادي، تقول بعودة عيسى -عليه السلام- قبل يوم القيامة بألف

(١) صدام الحضارات، ٧٠.

(٢) في اللغة والفكر، عثمان أمين، ٥٣ وما بعدها.

عام، وترى العصمة لكل كلمة في «الكتاب المقدَّس»، وتعادي العقل والتفكير العلمي، والمخترعات العلمية، وتهجر الجامعات، وتمنع التأويل، وتعادي نقد الإنجيل والكتاب المقدس، وتفسر النصوص النصرانية تفسيرا حرفيا، ولا تقبل الواقع، وتعتزل الناس، وتستعمل القوة لحملهم على ما تعتقد[1]. ولما كانت قضايا العقيدة والأخلاق والتاريخ ومسائل الغيب التي تؤمن بها أساطيرَ، في نظر علمانيي الغرب، كان الذي يؤمن بها امرأ، يتقلَّد الأسطورة دينا. ثم صارت «الأصولي» تعني الذي «يتعصب لأصوله»، وهو رجل الدين الغربي، ثم عُمِّم هذا الاصطلاح على سائر المجالات الفكرية والثقافية محمَّلا بمفهومه ذلك، فصار يدل على ظاهرة عامة في المؤسسات الغربية التي تُلزم الناسَ قبول هيمنتها ومُثُلَها الثقافية[2]. ثم صُبَّت هذه المعاني، بما فيها من تراث ثقافي، لا علاقة للإسلام ولا للتاريخ الإسلامي به، في «الأصولي»، فغدت تطلق على المسلم، يستمسك بالقرآن والسنة؛ لأنهما أصول الإسلام، ويأبى تفسيرهما تفسيرا لا يتقيد بالقواعد المقررة في علم الأصول، وصار ذلك مَنقصة؛ لأنه كالاستمساك بالكتاب المقدس، وما فيه من أساطير وخرافات، بعد أن كان الاستمساك بالكتاب والسنة في الثقافة الإسلامية وصْف كمال، لا يُنعت به إلا أتقى الناس وأورعهم. وغدا عدم الاستمساك بالأصول (الكتاب والسنة) وصْفَ كمال، كما يقتضي مفهوم المخالفة؛ لأنه دليل عقل، وعلم، وتسامح، ووعي، وتحرر من الخرافة. وصار يُنعَت بالأصولي مَن يراد تنقُّصه، ونسبته إلى الغلو وما يشبه مذهب الخوارج في التاريخ الإسلامي[3]. ومأتى هذا من كون «العهد القديم» هو أصول الحركة البروتستانتية، والقرآن والسنة هما أصول المسلمين، فسوَّى صبُّ هذه المعاني في «الأصولي» و«الأصولية» بين الأصول البروتستانتية والأصول الإسلامية، على ما بينهما، وغدا كل ما يُحْضِر

---

(١) المورد، ٣٧٣، ومعركة المصطلحات بين الغرب والإسلام، ٤٢ وما بعدها، وهدم الإسلام بالمصطلحات المستوردة، ٦٦ وما بعدها، والاصطلاحية الغربية في الفكر الإسلامي المعاصر، ٧١٠ (نقلا عن: المصطلحات الوافدة وأثرها على الهوية الإسلامية، ١٢٧).

(٢) الاصطلاحية الغربية في الفكر الإسلامي المعاصر، ٧١٠ (نقلا عن: المصطلحات الوافدة وأثرها على الهوية الإسلامية، ١٢٨).

(٣) العربية المعاصرة.

fundamentalist وfundamentalism إلى أذهان الغربيين من سيئ المعاني تُحضره «الأصولي» و«الأصولية» إلى أذهان المسلمين. وهكذا فرَض إفراغ الاصطلاح العربي من معناه، وصَبُّ معنى غربي فيه أن يَعتقد بعض العرب في دينهم ما يعتقد علمانيو الغرب في دينهم، ومن لم يعتقد ذلك منهم في دينه اعتقده فيمن يكره الغربيون من المسلمين؛ لأنهم يصفونهم بهذه الصفة ليبغِّضوهم إلى الناس، ويعينهم على ما يريدون من ذلك ترداد إعلام العرب هاتين الكلمتين محملتين بمضمون تينك، كما يفعل إعلام الغرب. وهذا من أخطر ما يمكن أن تحدثه اللغات من سيئ الآثار في ثقافات الشعوب. وقد قال الفيلسوف الألماني، فيخته: إن الشعب المتأثر بلغة أجنبية يبتلع -من غير شعور- الشتائم التي يُشتَم بها، ويعتقدها في نفسه، ويَشْتُم بها نفسه، فإذا أفاق من ذلك، لم يبق له إلا محاولة التجرد من نفسه، وتقمُّص شخصية الأمة الغالبة، من أجل أن يندمج فيها اندماجا كليا، حتى لا يشمله ما يُشتَم به قومه[1]. وهذا ما يقع للمسلمين اليوم: يبتلعون ما يشتمهم به الغرب، ويشتمون به أنفسهم؛ لأنهم لا يفعلون أكثر من وصف أنفسهم بما يصفهم به، و«النخبة المثقفة» منهم تتقمَّص شخصية الأمة الغالبة، لتندمج فيها اندماجا يخرجها مما يُشتَم به قومُها.

و«الدين» الذي كان رمزَ العصمة والكمال والاستقامة صار رمزا للتعصب، والأسطورة، ومخالفة العلم، والتحلل منه رمز العلمية، والتعقل، والاستنارة، والتسامح، وصار من الشائع أن يُسمَع المرء المسلم يقول، على سبيل الفخر: «أنا ما أفهم في الدين»، بعد أن كان الجهل به أكبر منقصة، والعلم به رفعة: (يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات)، «مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يطلب فِيهِ علما، سلك الله به طريقا إِلَى الجنة، وإن الملائكة لَتَضَعُ أجنحتها رِضًا لطالب العلم، وإنه لَيَسْتَغْفِرُ للعالم مَنْ فِي السماوات والأرض، حَتَّى الحيتان فِي الماء، وَفَضْلُ العالم على العباد كَفَضْلِ القمر على سائر الكواكب، إن العلماء هم ورثة الأنبياء، لَمْ يُوَرِّثُوا دينارا ولا درهما، وإنما وَرَّثُوا العلم، فمَن أخذ به، أخذ بحظ وافر»[2]. وقد نبَّه روفائيل باتاي على شيء كهذا، في قوله: ظهر على المسرح

---

(١) إنية وأصالة، ٥٨ وما بعدها.

(٢) مسند أحمد، تحقيق السيد أبو المعاطي النوري، ٥/ ١٩٦

الغربي المهيب، الذي يحتل المنزلة العليا، وله ثقافة، يُرْغَب في محاكاتها، أن الغربيين لا ينتمون إلى دين مختلف فقط، ولكن اتجاهاتهم نحو دينهم النصراني كانت فاترة؛ فلا غرو أن يقلِّد المعجبون بالغرب -فيما يقلدون منه- الفتورَ نحو الدين وعدم مبالاته، وإظهار عدم الاهتمام بدينهم[1]. وإنما صنع هذه الصورة النفسية للدين أن الحداثة الغربية تفرق بين الدين والعقل تفريقا مطلقا، فتحصر الدين في غير المعقول، بحجة أنه عقائد غيبية، أو أسطورية، وشعائر إيمانية غير معقولة[2]. والدين عند المسلمين «أحوال عقدية، وأحكام شرعية»، والأحكام الشرعية -بحسب العقل الأداتي الذي يهيمن على الحداثة الغربية- ليست كلها غير معقولة، بل أكثرها معقول؛ فيتعين إنزاله منزلته من الحياة الحديثة؛ لأنه لا يقلُّ عنها عقلانية، أما ما يبدو منه غيرَ معقول، فإما أن يُجتهَد في جعله معقولا، وإما أن يُبنى العقل بناء يجعله يستوعبه[3]. وما يستتبع هذا أن تبقى مكانة الدين الثقافية في نفوس المسلمين على حالها، من العصمة والإجلال، وأن يُنزَل المنزلة اللائقة به؛ لأنه ليس كدين الغرب، ولا كدين غيرهم من شعوب الأرض، ولا كالدين عند حداثة الغرب.

وقد سَمَّى علال الفاسي ما يقع من تبديل الدلالة في العربية الحديثة استعمارا لغويا، وقال إن النتاج الضخم الذي أنتجه العرب المعاصرون في سبيل التعريب لم يَحُل دون الوقوع في ذلك الاستعمار، وهو استعمار أبعد ما يكون من تطوُّر الكلمات الصحيح، والتسامحِ في التعريب والاقتباس، ذلك أن بعض الكلمات التي لها معانيها في العربية، وخصائصها في الاصطلاح الإسلامي، أُفرغت من معانيها النبيلة، وأُحلت محلها معاني كلمات أعجمية، هي أبعد ما تكون منها، ومن الثقافة التي انبثقت منها، ويوشك ألا يفهم الناشئون من العرب من معاني تلك الكلمات العربية إلا هذه المعاني، بل يوشك أن يصبح المعنى العربي النبيل من المعنى الأعجمي البغيض، وأن تُنْقل الأمراض بسبب هذا التحريف إلى من كان سليما منها[4]. وإنما سَمَّى هذا استعمارا لأنه يفصل العرب عن مفهومات

---

(١) أقوال منسية حول التغريب.

(٢) روح الحداثة، ٥١.

(٣) السابق، ٥٢.

(٤) تحريف الدلالة، ٨.

كثير من الكلمات العربية الحقيقية التي لها حياة مجيدة في تاريخ الألفاظ، وما تنبثق عنه من أفكار، ويستعمر الفكرَ العربي بمعان، لا وجود لها في تاريخ العرب، قديما ولا حديثا. وقال: إن حرب الكلمات أُولى حروب النظريات، ونحن عرب ومسلمون؛ فيجب ألا نَخرج فيما نقول ونكتب عن المعجم الذي يوافق عقيدتنا وديننا، وألا ننخدع بمن يَدْعُون باسم التقدمية إلى استعمال كلمات ليست في معجمنا، وأن نتعلّم أساليب القرآن، ولا نجعل للكلمة العربية الإسلامية معنى غير ما وُضِعَتْ له، فلا نَحْمِل كلمة الدين العربية المسلمة على معنى Religion الفرنسية النصرانية؛ فإن بينهما تناقضا في المعنى، ولا «الزكاة» على معنى Charité، فإن Charité اختيارية، والزكاة واجبة[1].

وذهب بعض الباحثين إلى أن الترجمة، تستعر فيها حرب المفهومات والاصطلاحات، وهي حرب ضروس، كثيرا ما يُدَسُّ فيها ما يسمم الأفكار من معان وصيغ، تخلط، وأن الخطاب الإنجليزي والأمريكي المهيمن على الترجمة، والدراسات المتعلقة بالترجمة قد ذلَّل السبيل لخطتين سلستين وشفافتين، أنتجتا تبادلا ثقافيا، وطَّن المختلَف فيه من الثقافات، بتكييف السياق اللغوي مع الثقافة التي يُنقَل إليها، وجعلتا الترجمة تُستعمَل في إعادة صياغة المفهومات، وقتْل الهوية. ومن تأثير الترجمة في العربية، «أسْر العقل العربي في حرب الخداع الثقافية»، بصنع حالة من الشعور بالتبعية والإذعان الفكري لدول، تتذرع بالدعوة إلى العالمية إلى إقرار اصطلاحات وألفاظ، ترسخ مفهومات فكرية بعينها، والطريقة التي يفكر بها صاحب اللغة، فيفكر بلغته متأثرا بما حملت الترجمة من اصطلاحات ومفهومات، لم تألفها لغته؛ فينشأ من ذلك ازدواج فكري لغوي، يصعب على من يفتقر إلى راسخ اليقين والإيمان بلغته أن ينجو منه. وتتوسل الهيمنة الاستعمارية على العالم بالترجمة إلى صنع حالة من الاحتجان والسعي في بسط سلطان لغة عالمية واحدة، تهيمن اصطلاحاتها، وأساليبها وتراكيبها[2].

وربما تُرْجِم الاصطلاح الأجنبي ترجمة حرفية، لا تبين عن شيء، وتجهل أو

---

(١) من أجل تفاعل لغوي، ٢١.

(٢) العربية ومعول الترجمة في منظومة العولمة.

تتجاهل العلاقة التاريخية بينه وبين معناه في اللغة الأجنبية، كاصطلاحي اليسار واليمين، فاليسار في الفكر الغربي -في نظر بعض الباحثين- يراد به الأُجَراء والفقراء، وأهل الفاقة، ويعني في العربية الغنى: (وإن كان ذو عسرة فنظرة إلى ميسرة). ويدل «اليمين» في الفكر الغربي على أهل التخلف والجمود، ويعني في العربية الصالحين الذين يُعطون يوم القيامة كتبهم بأيمانهم: (وأصحاب اليمين ما أصحاب اليمين في سدر مخضود وطلح منضود وظل ممدود وماء مسكوب...)[1]. وإن كان ما قال برنارد لويس يختلف عن هذا، فإن اليمين عند الأوربيين -في نظره- يرتبط بالوضوح، والأحقية، والعدل، والاستقامة، ويرتبط اليسار بالخُرْق شيئا، ويمكن أن يرتبط ارتباطا قاصدا بالفساد[2]. وهذا هو ما يفهم مما يوصف به الفريقان في وسائل الإعلام العربية المتأثرة بالإعلام الغربي، وهو المعنى الذي كان يفهمه من يسمع نشرات الأخبار في إبان الحرب الباردة، فقد كان اليسار فيها يعني الاتحاد السوفييتي ومن سار بريحه، ويعني اليمين أمريكة وأوربة الغربية ومَن تأثَّرهما. وليست الكلمتان بمستعارتين من يمين الإنسان ويساره، وإنما هما تلميح إلى ترتيب المجالس في الجمعية الوطنية الفرنسية بعد الثورة، وترتيب مجالس المعارضة والحكومة في مجلس النواب البريطاني[3]. واستُعمل في العربية الحديثة اصطلاحان مرادفان لهما، قد تكون دلالتهما أوضح، وليست في حاجة إلى معرفة أصلهما التاريخي، ودلالتِهما الثقافية، هما ثوري ومحافظ، غير أننا إنما نقول يساري ويسار، ويميني ويمين؛ لأنهما يسميان في الإنجليزية Rightist وRightism، وleftist وLeftism، و guauche، وdroite، في الفرنسية، ونقول أقصى اليمين لأن الإنجليز يقولون: far-right، ويسار الوسط لأنهم يقولون: centre-left، ويقول الفرنسيون le centre à gauche.

ومن هذا القبيل «إنساني»، بمعنى رحيم، ويُحسن إلى الناس. ولا تخفى ظلال الكلمة الثقافية، وأنها فرع عن «المذهب الإنساني» (Humanism) في

(١) معركة المصطلحات بين الغرب الإسلام، ٤٢، والخصوصية الحضارية للمصطلحات، ٣٥ وما بعدها.
(٢) لغة السياسة في الإسلام، ٢٩.
(٣) السابق، ٢٨.

الفكر الغربي، فإنه يَجعل «الإنساني» ضد الإلهي، والديني، والمقدس. وقد ظهر هذا المذهب أيام النهضة الأوربية، إذ رفض روادها لاهوت الكنيسة، وما اصطبغ بصبغته، من أدب، وفلسفة، وعلم، وفن، ودعوا إلى تحرير العقل من المرجع الديني المقدس، واستبدال العلوم الإنسانية به، وهي اللغات، والآداب، والثقافة اليونانية واللاتينية[1]. وهذا المفهوم لا أصل له في ثقافة العرب، قديما ولا حديثا، بيد أن عرب اليوم يستعملون الكلمة متلبسة بهذا المعنى، من حيث لا يدري بعضهم، وإن كان المثقفون منهم يعلمون أن «الإنساني» ما يُعمَل للمرء من حيث هو إنسان، مجردا من المقاصد الدينية، كامتثال أمر الله بالإحسان إليه ابتغاء مثوبته. أذكر أني لقيت مرة شابا عربيا، وأنا أخرج من الحرم النبوي الشريف، فذكر لي حاجة، وقال إنه يريد المساعدة، «لا من أجل الدين، وإنما خدمةً إنسانية»، يحسب أن ذلك يعطفني عليه أكثر مما يعطفني التوسل بالله، والتذكير بما عنده من حسن الثواب، كما هي عادة السائلين في بلاد العرب. فعجبت مما بلغ منا التأثر بالثقافة الغربية وتغير المفهومات. فالإنسانية لا تعذب ولا ترحم، وإذا كان المرء يعين المرء لا يرجو من عونه أجرا ولا مثوبة عند الله؛ لأنه لا يؤمن به، وإنما لإنسانيته التي يجلُّه من أجلها، وهي عنده كالإله عند من يؤمن به، فإن ما يفعله مَن يؤمن بالله ينبغي أن يُنظَر فيه أبدا إلى مرضاة الله -تعالى-؛ لئلا يذهب عمله بين الله والناس، والإحسانُ إلى الضعيف، وعونه، كائنا ما كان دينه مما تُبتغى به مرضاة الله وثوابه، بل في الإحسان إلى الحيوان رضا الله، وهو مما يُرجَى به ثوابه، كما ورد في الحديث: «وفي كل كبد رطبة أجر».

ومن هذا «المجتمع الدولي» الذي يردده إعلامنا ليلَ نهار، كما يردده إعلام الغرب، ولا يعني سوى الدول الدائمة العضوية في مجلس الأمن، ومن يتَّبعها، رغبا أو رهبا، فإن زادت على هذه لم تزد على الدول الغربية الموافقة لسياستها في قضايا بعينها. ومن المعلوم أن قرارات مجلس الأمن قلما أنصفت العرب، فإذا صدرت، فقال إعلامنا إنها قرارات المجتمع الدولي، والشرعية الدولية، فإنما يقول إن العالم يعادينا، ويؤيد ما تفعل بنا الدول الغربية، فنحن منبوذون؛ لأن أفعالنا مخالفة لما اصطلحت عليه دول العالم من قوانين، وما رضيت من

(١) الخصوصية الحضارية للمصطلحات، ٤٠ وما بعدها.

موازين، وهي أفعال غير متحضرة، وجديرة بأن تُكرَه وتعادَى، فما يُفعَل بنا جزاء وفاق. هذا إلى أن الاصطلاح يخيل إلى المرء أن ما قرَّر مجلس الأمن هو قرار شعوب الأرض كلها، وليس شيئا تقرره دول بعينها لدواع دينية وحضارية، أو منافع، تتبلَّغها، فإذا زعم العرب أن أمريكة وأوربة تعاديانهم لما بينهم وبينهما من خلاف ديني، وعداوة تاريخية وحضارية، ولمطامع مادية، تُبَغِّيانها في بلادهم، فإن غيرهما من دول العالم ليس بينها وبين المسلمين شيء من ذلك، وإنما هي مدفوعة بدوافع نزيهة. وهذا بتشويه العرب والاستعداء عليهم أشبه منه بكل شيء آخر. واعجبْ لمن يشهِّر بنفسه بإذاعة ما يقول فيه عدوه!

ومن هذا استعمال الاصطلاحات بالمعنى الذي يريد الغرب، على ما تشتمل عليه من تحيز وعنصرية، وتعالٍ، واحتقار للغير، كـ«العالم»، يراد به الغرب من دون العالم، كتسمية الحربين الغربيتين الكبريين «الحربين العالميتين»، وإنما كانتا «عالميتين» في نظر الغربيين، والغربيون يظنون أن الغرب هو العالم، وأن ما عداه أسواق ومستعمرات له. وقد سمى صموئيل هنتغتون «الأولى» منهما حرب الغرب الأهلية[1]، وهي أصح من تسميتها حربا عالمية. وكذلك «الرأي العام العالمي»، و«النظام العالمي الجديد»، فإنما يعنيان «الرأي العام الغربي»، وتحكُّمَ بعض دول الغرب الجديد في العالم. وكذلك قول بعضنا: «يجب أن نرتفع إلى مستوى العالمية بأدبنا»، فإنما يعني أن نكون بحيث يمكن بعضَ الغربيين أن يفهموا أدبنا ويترجموه، ويعترفوا به[2]. وغير مستغرب أن يكون هذا من الغرب العنصري المتحكم في العالم، بعد أن تقاسَمه، ثم استتبعه بصنائع، اصطنعهم معاولَ، يهدم بها، وسياطا، يجلد بها، وألسنة، ينطق بها، وأقلاما يكتب بها؛ وإنما المستغرب أن يكون رأينا فيه وفي أنفسنا كرأيه فينا وفي نفسه، وألا نزيد عند أنفسنا على حاشية من حواشيه. وأَعْجَب من هذا أن بعض كتاب العرب ومؤرخيهم يؤرخون للأدب والفكر العربيين بالحرب الثانية، كما يؤرخ بها الغربيون لأدبهم وفكرهم، مع أن الحرب بدأت وانتهت ولم يعلم بها جل العرب، ولم تكن تعني لعامتهم شيئا، وإن وقع بعضها في بلادهم؛ لأنها كانت

(١) صدام الحضارات، ٢٧١.
(٢) هاتان تفاحتان حمراوان، ٧١ وما بعدها.

مستعمرات غربية. وفي هذا تظهر العلاقة بين اللغة والفكر والثقافة، فلما كانت اصطلاحات العرب مستعارة كانت مُعربِة عمن استعيرت منهم، ولم يكن لهم منها إلا حروفها، ولم تغير ترجمتها إلى العربية شيئا من دلالتها عند أهلها، وعند إعلامهم الذي تلقوها منه، ولم يزيدوا فيها ما يُعْرِب عنهم، ويشعر بأن لهم وجودا مستقلا عن وجودهم، وليسوا كمًّا، لا معنى له إلا التبعية. وهذه حال العرب أيضا، يستوردون الأفكار والثقافات ويستهلكونها، ولو كانت شتما لهم، على الوجه الذي قال فيخته، كما يستوردون السلع، ويستهلكونها، وليست لهم صناعة، أو قاعدة اقتصادية مستقلة عن صناعة الغرب واقتصاده، وإنما هم نهب بين اليورو والدولار، ويستورد إعلامهم ما ينتج إعلام الغرب ويستهلكه، وليس له استقلال عنه، ولو ضئيلا.

ومثل هذا «الشرق الأوسط»، وأول من استعمله ضابط البحرية الأمريكي، المؤرخ ألفريد ماهان[1]، وهي تسمية وجد فيها الغربيون مندوحة عن «البلاد العربية»، وإنما استعملوها لأنهم يرون أن «الشرق الأوسط» إقليم يضم أديانا وشعوبا، لا رابط بينها، ولا يمكن أن تتوحد أو تتوافق. وهو رأي سياسي غربي، يخالف رأي العرب في هذه الأرض وفي أنفسهم[2]، كما يخالف تاريخ العرب فيها. وصارت هذه التسمية هي التسمية المحببة إلينا، التي لا نكاد نعدل عنها إلى غيرها، ولا نفكر فيه. ونقْل العرب هذا الاصطلاح من غير تمحيص قد يخيِّل أنهم لا يعدُّون أنفسهم من العالم، وأنهم يرون أن العالم هو الغرب وحده، كما يرى الغربيون، ويرضون أن يُحدَّد موقعهم من العالم بحسب موقعهم من الغرب، فيسمون بلادهم «الشرق الأوسط»؛ لأنها وسط بين الشرق الأدنى إلى الغرب، والشرق الأقصى منه، وقد درج علماء المسلمين على تسمية ما يقع غربي مصر من البلاد الإسلامية إلى الأندلس الغرب الإسلامي، ومصر وما يقع شرقيها المشرق الإسلامي، ولم يسموه الشرق الأوسط، كما لم يسموا ما وراءه الشرق الأقصى، ولا سموا الشرق الأدنى. وما ينبغي أن تتابع أمة أمةً في تحديد موقعها من الأرض بحسب موقعها هي، ولا أن تجعل غيرَها مركزا، ونفسها

(١) كتاب عملية اختراع الشرق الأوسط، أول من استخدم مصطلح الشرق الأوسط ملاح أميركي وحدث في ١٩٠٢.
(٢) ترجمة المصطلح بين الشرق والغرب، ٧ وما بعدها.

طرفا، فتقول: نحن نقع شرقي أوربة، أو جنوبيها، بدلا من أن تحدد موقعها بحسب معالم الأرض الكبرى المتعالمة عند أكثر شعوب الأرض، كالمحيط الأطلسي، والمحيط الهندي.

وإغفال التمايز بين معاني الاصطلاح في مذاهب الحضارة الواحدة وعلومها يؤدي إلى خلط مذهبي في هذه الحضارة، وإغفال تمايز الحضارات المختلفة في معاني الاصطلاحات باب واسع للخلط والتشويه المعرفي، يجعل من المعجم المترجِم الذي لا ينبِّه على ذلك التمايز وسيلة إضلال عن الحقيقة واستلحاق؛ لأنه لا يميز دلالة الاصطلاح في الحضارة التي يترجم منها من دلالته في الحضارة التي يترجم إليها؛ فيوهم أن الدلالة واحدة في الحضارتين، وليست كذلك[1]. وقد ردَّ بعض الباحثين ذلك إلى هيمنة الثقافة «الأخرى»، وفرْضها مفهوماتها الفكرية؛ فضعفت لذلك دلالة الاصطلاح العربي الأصلية عما كانت عليه[2]. والثقافة «الأخرى» أُقْحِمت، ولم تقتحِم، وإنما أقحمها المتيَّمون بها، ومن ليست لهم معرفة إلا بما شدوا منها، فهم يحاكونها، ويستحضرونها، ويحذون عليها؛ فيختارون من الألفاظ العربية ما يدل على ما يترجمون منها دلالة حرفية، ظنا أن ذلك أدنى إلى تمثلها، وإدخالِها في الثقافة العربية، وإدخالُها فيها خير، أما عدُّه ضربا من ضروب الهيمنة، وسيادة القوي، والاستسلام له، والتسليم بما يقول[3]، فإن الثقافة الغربية لم ترغم حرًّا على غير ما أراد، وإنما اصطنعها من اصطنعها عن إعجاب بها، كما يولع المغلوب بتقليد الغالب. وما يقع في الاصطلاح لا يختلف عما يقع في الحياة التي اختار أهلها العبودية للغرب بمحض إرادتهم. وأقصى ما فعلت الثقافة الغربية ما قال الشيطان: (وما كان لي عليكم من سلطان إلا أن دعوتكم فاستجبتم لي). وقد رأينا في كلام طه حسين ما يدل على ذلك. ولم يكن ذلك رأيَه وحده، وإنما هو رأي كثير من مثقفي العرب الذين فتحوا عيونهم أول مرة على الفكر الأوربي، القديم أو الجديد، فسبقَ إلى خواطرهم أنه هو الفكر الإنساني الذي لا فكر سواه؛

---

(١) الخصوصية الحضارية للمصطلحات، ٢٧.

(٢) السابق، ١٨٣.

(٣) السابق، ١٨٦.

لأنهم لم يَرَوْا غيره[1]، كما قال زكي نجيب محمود: بدأتُ متعصبا لهجر التراث العربي، ومتابعة الغربيين في علمهم وحضارتهم، ونظرهم إلى الإنسان، وكنت أتمنى أن نأكل كما يأكلون، ونجدَّ كما يجدون، ونلعب كما يلعبون، ونكتب من اليسار إلى اليمين، ظنا مني أن الحضارة وحدة لا تتجزَّأ، فإما أن نقبلها، وإما أن نرفضها، وليس لنا خيار ثالث، كأن ننتقي منها. ولعلَّ سبب تعصبي لهذا الحل إلمامي بشيء من ثقافة أوربة وأمريكة، وجهلي بالتراث العربي جهلا كاد يكون تاما، و«الناس أعداء ما جهلوا»[2]. على أن الجهل بالتراث وحده ليس سبب هذا، فقد كان طه حسين أزهريا، مطلعا على التراث العربي، ولكنه كان كزكي نجيب محمود، أو أشدَّ منه تعصبا للثقافة الغربية، وكلَفًا بها. وإذا كان زكي لا يرى في حضارة الغرب إلا الخير وحده، بدليل أنه لم يذكر أن فيها شرا، إما لأنه لا يراه؛ لأن عين الرضا عن كل عيب كليلة، وإما لأنه يرى خيرا منها ما يرى غيره أنه شرٌّ، فقد كان طه حسين يقر إقرارا نظريا -في الأقل- بأن فيها شرًّا كما أن فيها خيرا، لكنه يرى أن يصطنع شرها كما يصطنع خيرها، وأن ذلك هو سبيل التقدم الذي لا سبيل غيره. هذا إلى أن زكيا الذي يُفهَم من كلامه هذا أنه ثاب إلى رشد واعتدال، واستقام على أنَّ القصد في الانتقاء، قال في كتابه الذي أعلن ذلك في مقدمته ما ينقضه نقضا لا يبقي منه ولا يذر: «إني لأقولها صريحة واضحة: إما أن نعيش عصرنا بفكره ومشكلاته، وإما أن نرفضه ونوصد دونه الأبواب لنعيش تراثنا. نحن في ذلك أحرار، لكننا لا نملك الحرية في أن نوحد بين الفكرين»[3]. وهو تناقض، يقع في كتاب واحد، يُفرَض أنه يبين عن رأي أو آراء متساوقة، لا اختلاف فيها ولا تناقض، إن جاز أن تتناقض آراء المرء أو تختلف في كتب شتى، أُلِّفت في أزمنة متباعدة، جدَّ في كل منها ما يخالف غيره. وهو دليل على أن ما قال إنه نال فكره من تغير في هذا الكتاب ما ناله في الحقيقة، فإن ما وقع فيه من تناقض قد أقرَّ في مقدمته أنه وسَم بعض آرائه: «لقد تعاورني في أثناء محاولاتي الفكرية أمل ويأس، فكثيرا ما كنت ألمح مخرجا

---

(١) تجديد الفكر العربي، ٥.

(٢) السابق، ١٢ وما بعدها.

(٣) السابق، ١٨٩.

ينتهي بنا إلى حيث نريد أن ننتهي، هو المزج الثقافي الذي تكون فيه الأصالة ومسايرة العصر، ثم سرعان ما ينطفئ هذا القبس العابر؛ فينسدُّ أمامي الطريق، ولذلك كثيرا ما وقعت في أقوال متناقضة، نشرتها في لحظات متباعدة»[1].
فما وقع في أقواله المتقاربة في هذا الكتاب هو ما وقع في أقواله المتباعدة المنشورة في أوقات متطاولة، في كتب شتى.

هكذا اغترب اللفظ العربي عن معناه، بوضعه مقابل لفظ من لغة أخرى وإعطائه معناه، دون اعتداد بما بينهما من تباين، ولا بما بين تاريخيهما الثقافي من تخالف، أو بإيراده في سياقات مماثلة للسياقات التي يوضع فيها مرادفه من لغات أخرى. ولم يكن ما ناله عن تنقُّل طبيعي، من دأبه أن ينال دلالات الألفاظ، وإنما كان عن قلة علم بالعربية، وباللغة التي يترجَم منها. وترتب على ذلك صياغة العقول صياغة جديدة، بما دسَّت لها الترجمة غير العالمة، والترجمة غير النزيهة من مفهومات، بعد أن كانت العربية القديمة تصوغها صياغة أخرى، وبُدِّل الفكر والثقافة، فلم يبق منهما إلا رسوم:

أما الخيام، فإنها كخيامهم، وأرى نساء الحي غيرَ نسائها

وهو أمر يبين عن خطر اللغة، وأنها ليست كما يَظنُّ بعض العرب، فإن الذين لا يعرفون العربية، ولا اللغة التي يترجمون منها لا يزيد عملهم على وضع المفردة بإزاء المفردة، توضع إزاءها في المعجمات المزدوجة اللغة، من غير مراعاة للسياق والمقصد، ولا لما بين اللغات من خلاف في البيان عن المفهومات، ولا نظرٍ إلى أن دلالة الكلمة المعجمية ليست هي دلالتها على كل حال، وفي كل سياق. فهم يضعون «البُعْد» -مثلا- مقابل الكلمة الإنجليزية dimension، وتعني الطول والعرض والعمق، وليست بمعناها، وإنما البُعد في العربية ضد القرب، والذي يقابله من الإنجليزية distance. وإذا كانت dimension تدل -في الأصل- على امتدادات الجسم الثلاثة، ثم استعملت للدلالة على جوانب الشيء مجازا، تشبيها لها بها، فما يصح أن تترجم إلى العربية بالبعد؛ وإنما ينبغي أن تترجم بالوجه، والجانب، فيقال -مثلا-: للأمر وجه، أو جانب آخر، لا: بعْد آخر.

---

(١) تجديد الفكر العربي، ١٥.

ومن هذا الباب استبدال اصطلاحات حديثة بالاصطلاحات العربية العريقة، على ما تقتضي الترجمة الحرفية، دون مراعاة لما قد يترتب على ذلك من غموض المعنى، وقطع العلاقة بين الماضي والحاضر، والتكثر من الترادف، وإحلال الثقافة الغربية محل الثقافة العربية، وإلزام العرب أن يفهموا كل شيء كما يفهمه الغرب، والتخلي عن التراث، ونزع الثقة منه، والثقةُ بما عند الغرب، كما استبدلت «المدرسة» بـ«المذهب»، وهو ما يراه العالم ومن يقتدي به من آراء، وما يبني عليه آراءه من أصول. فقد أُلبس هذا المعنى لفظا غيرَ الذي كان يُلبَسه في التاريخ الإسلامي، هو «المدرسة» ترجمة لـ école / school. ولم تستعمل «المدرسة» في الحضارة العربية في هذا المعنى، وإنما استُعمِلت في مكان الدراسة، كما تقتضي صيغتها الصرفية. وإذا كان لتسمية المذهب في الثقافة الأوربية «مدرسةً» مسوغ تاريخي، هو أن الجماعة من فلاسفة أوربة في القرون الوسطى كان يكون لها مذهب واحد، ونظام واحد، ومكان واحد للاجتماع، ورئيس أو رؤساء، يتعاقبون على التعليم، ثم صارت تطلق على جماعة من العلماء أو الفلاسفة، ينتسبون إلى مذهب واحد، أو يدافعون عن أصل واحد[1]، فلا مسوغ لتسميته في العربية مدرسة، ولا للعدول عن «المذهب»، وهو الاصطلاح العريق، ما يسوِّغه، سوى الاتباع على غير بصيرة، والترجمة الحرفية عن غير علم. وكذلك إطلاق «المدرسي» على المقلِّد، ومَنْ يتصف بالمبالغة في تقسيم المسائل وتفصيلها وتفريعها من الأصل، والإكثار من التجريد والاستدلال اللفظي، على سبيل الزراية، فإنما هي ترجمة لـ scolastique /scholastic، وهي مأخوذة من الثقافة الأوربية النصرانية، فإن التعليم المدرسي فيها هو الذي نشأ ونما في مدارس الكنائس والجامعات في أوربة بين القرنين العاشر والسابع عشر، وهو مرتبط باللاهوت، والتوفيق بين العقل والوحي، ويعتمد على القياس البرهاني، وتفسير النصوص القديمة[2].

ومن هذا استبدال «الجملة الاقتضائية» بـ«الجملة الطلبية»، و«الجملة

(١) المعجم الفلسفي، ٢/ ٣٥٨ وما بعدها.

(٢) السابق، ٢/ ٣٥٩.

التقريرية» بـ«الجملة الخبرية»، والانزياحِ (l'écart)[1]، والانكسارِ النصي، والانحرافِ النصي بـ«العدول، والتغيير»، و«التصالبِ» بـ«المقابلة العكسية»، نحو: (يُخرِج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي)، و«النظرية الاستبدالية» بـ«الاستعارة التصريحية والأصلية»[2]، واستبدال الإرداف الخلفي بـ«الطباق»[3]. والعدول عن اصطلاحات النقد والبلاغة العربية العريقة إلى اصطلاحات، إنما هي ترجمات حرفية لاصطلاحات غربية؛ مما جعل النقد العربي غربي الوجه واللسان، موسوما بالتنكر لكل أصيل من التراث؛ إمعانا في العصف بالانتماء، وإيغالا في ترسيخ التبعية، ودفعا إلى الاستلاب الثقافي، وإشاعةً للشعور بالهزيمة[4]، وانبهارا بإنجازات العقل الغربي، وما ترتب على الانبهار به من الإعراض عن تراث البلاغة العربية، وعدِّه شأنا من شؤون الماضي، يجب أن يُنفصَل عنه، ويُقاطَع[5]. وقد ظهر شيء كهذا في العصر العباسي، للأسباب التي ظهر من أجلها في هذا العصر، فقد عدل البيروني وحازم القرطاجني عن «الأسباب»، و«الأوتاد»، و«الشطر» إلى «الأرجل»، وهي كلمة كانت مستعملة عند اليونانيين، تدل على مقاطع الشعر[6]، وهو اصطلاح، لا معنى للعدول إليه، ولا يعرف أحد من العرب معناه إلا من كان له اطلاع على التراث اليوناني، وإنما حمل عليه إعجاب، أحدث شعورا بأن كل ما عند اليونان نابع من عين الحكمة؛ فينبغي لمن يتعاطى الحكمة (الفلسفة) أن يصير إليه، كما رأى بعضهم أن يجعل لكل لفظ من النص المترجم من اليونانية مقابلا من العربية، ولو خالف نظام العربية، ولم يكن له فيها معنى، كما جعلوا «هو» مقابلا لـ«أستين» اليونانية، ظنا منهم أنْ لا بدَّ من أن يجعل له مقابل، وأن الاستغناء يقصِّر عن بيان معنى النص. وجعلَ بعضهم يُبْقي على اصطلاحات يونانية، لها مقابلات

(١) في نظرية الرواية، ١٠٧.
(٢) تغريب المصطلحات النقدية والبلاغية: مشكلات التواصل ووأد الانتماء، ٢٢.
(٣) جدل العولمة: نظرية المعرفة وسياستها، ١٤٠.
(٤) تغريب المصطلحات النقدية والبلاغية، ٢٨.
(٥) المرايا المحدبة، ١٣.
(٦) تحقيق ما للهند من مقولة، ١١٧، ومنهاج البلغاء، ٢٣٧. يستعمل البيروني «الأرجل» بمعنى أشطار الأبيات (تحقيق ما للهند من مقولة، ١١٠)، ويستعملها حازم بمعنى الأسباب والأوتاد، وما أدري أكان البيروني متأثرا باليونان، كحازم، أم هي تسمية هندية.

من العربية، أُذيعُ منها وأشيع في التراث العربي، كما سمى الراهب اللبناني الماروني القس بولس الكفرنيسي كتابه في نحو الآرامية «غراماطيق اللغة الآرامية السريانية»، وهي تسمية يونانية، تعني النحو[1]، ولا عذْر له في ذلك؛ فإن العربية واصطلاحاتها أدنى إلى نصارى العرب من اليونانية التي لم يكن يربطهم بها دين، ولا جنس، ولا أرض، ولا تاريخ، ولا كانت اصطلاحاتها معروفة عندهم، ومن كان يعرفها منهم، فهو بالعربية أعرف. وعدل يوسف السودا عن «النحو» إلى «الأحرفية» لأنها هي ترجمته باليونانية، وعدل عن اصطلاحات النحو العربي إلى اصطلاحات، ليست بأمثل منها، ولا أدل على المراد، فسمى «الفاعل» و«المفعول» «فعيلا»، والمفاعيل والحال تميما؛ لأن معنى الفعل يتم بها، والتحذير، والإغراء، والاستغاثة، والندبة، واسم الفعل، والتعجب يعربيات، إلخ[2]، ثم درج كتابه، ودرجت معه تسمياته، فلا يَعرفه ولا يعرفها إلا أقل الناس. واستعمل بعض العرب في هذا العصر «غراماطيقي»، كأنما سمعوها أول مرة؛ لأنهم وجدوها عنوانا لكتاب جاك ديريدا « «Of grammatology».

ومن هذا، وإن لم يكن من باب الاصطلاح، ولكنه من تسمية الأشياء بغير ما عُهد من تسميتها في العربية، تسمية النساء سيدات، كما يكتب على بعض المرافق والدوائر الحكومية والتجارية «فرع السيدات، مدخل السيدات»، بدلا من «فرع النساء»، كما يقال «فرع الرجال»، و«مدخل الرجال». وإطلاقُ «سيد» في بعض المقامات على كل أحد، إظهارا لاحترامه وقَدْره[3]، كما يقال في الإنجليزية jentelman، وفي الفرنسية monsieurs، وتسيمة المرأة سيدة، أبدا، كما تُدعى mesdames /lady، ولا يقال لها امرأة، ألبتة، بل غدت تسميتها «امرأة» «من المحرمات»، كما قال أحد المشتغلين بالترجمة، ولا يقال للرجل سيد، وإنما يقال له رجل[4]. ويبدو أن هذا أو بعضه أثر من آثار حركات ظهرت في الغرب، تدَّعي الانتصار للمرأة، والانتصاف لها، ثم انتقل إلى العربية بطريق الترجمة، وهي حركات كان لها أثر في اللغات، ودعوة إلى تغييرها من أجل أن

(١) بحوث مصطلحية، ٢٩.
(٢) الأحرفية، ، ١٠ وما بعدها.
(٣) المعجم الوسيط، (س ود).
(٤) أزمة اللغة والترجمة، ١١٥.

تساوي المرأة بالرجل. ومن آثارها في اللغة أنها اقترحت بدائل لـ«هو»، منها E، وhesh، وpo، وtey، وco، وjhe، وv، وxse، وheer، وthon، وna. ويتحاشى بعضهم الإشارة إلى الإنسان بـ he، ويستعمل الضميرين المذكر والمؤنث معا، فيقول: «she or he»، أو «He /she»، أو «s /he». كما يتحاشى لفظ المذكر والمؤنث في الإشارة إلى الوظائف، فلا يقول chairman، وإنما يقول «chairperson»، ونحو ذلك من الكلمات العامة التي لا تدل على نوع بعينه[1].

وكان أكثر هذه الحركات غلوا حركة، تُدْعى «علم الدلالة العام»، أنشأها كُونت ألفرد كورزبسكي عام ١٩٣٣، واشتهرت بسبب كتب تلميذيه ستيورت تشيس، وس. أ. هاياكاوا. وكان هاياكاوا ذا سمعة سيئة، لتحدِّيه تظاهرات الطلاب في الكلية التي كان عميدها، وكان أكثرَ أعضاء مجلس الشيوخ الأمريكي نوما[2]. وكان يدَّعي أنه يريد أن يجعل اللغة ديموقراطية، وهو لا يعرف الديموقراطية في إدارته، ولا يُعرَف له كبير اهتمام بالشؤون العامة، وآية ذلك كثرة نومه في مجلس الشيوخ. وهذه القضية قضية لفظية، لا تدل على احترام المرأة، ولا مساواتها بالرجل، وآية ذلك كثرة ألفاظ الشتائم التي تُشتم بها في اللغات التي ترى أنها بهذا ونحوه تحترمها وتنصفها، إذا قيست بالألفاظ التي يشتم بها الرجل، فضلا عن كثرة ما تُظْلَم، فإنصافها واحترامها إذن إنصاف واحترام لفظيان، ليس إلا[3]. ومن آثار هذه الحركات في الغرب أن مندوبي كندة وأوربة الشمالية في اليونسكو أثاروا عام ١٩٨٧ قضية اللغة المنحازة، في المؤتمر الرابع والعشرين، فأوصى المؤتمر بأن تَتَجنَّب اليونسكو اللغة المنحازة إلى الذكر أو الأنثى، وأن تصوغ وثائقها صياغة تتجنبها، إلا أن تتعلق بإجراءات إيجابية. وتمادَى المؤتمر في هذا النهج في دوراته الخامسة والعشرين، والسادسة والعشرين، والثامنة والعشرين[4].

ومن تأثُّر العربية بهذه الحركات ما يشيع اليوم في الكتابة العربية، من الجمع بين لفظي المذكر والمؤنث مفصولا بينهما بخط منكسر، في الكتب (الرسائل)،

---

(١) اللغة العربية تواجه التحديات.

(٢) الغريزة اللغوية، ٧٢ وما بعدها.

(٣) اللغة العربية تواجه التحديات،.

(٤) نحو المساواة بين الجنسين في لغة العرب: مقاربة مبدئية، ١٠٨.

والاستثمارات، وما شاكلها، هكذا: السيد/ السيدة، الطالب/ الطالبة، الدكتور/ الدكتورة، عزيزي/ عزيزتي. وربما وُضِعَت بعد الاسم المذكَّر هاء التأنيث بين قوسين، يُستغنَى بها عن الاسم المؤنث، إذا كان يُفرَق بين الاسم ومؤنثه بهاء التأنيث، نحو: السيد(ة)، الطالب(ة)، الزميل(ة)، المحترم(ة)، الدكتور(ة). ومن هذا ما ورد في افتتاح إحدى المجلات المغربية: «تطمح هذه الدفاتر -إذن- إلى أن تكون فضاءً مفتوحا للرأي الحر، والنقاش متعددِ الآراء والأطراف، ومنبرا لمختلف الفاعلين في العملية التربوية: المدرِّس(ة)، المكوِّن(ة)، المؤطِّر(ة)، المدير(ة)، الباحث(ة)، التلميذ(ة)، الطالب(ة)»[1]. فإن كان المستعمَل في الدلالة على المذكر ضميرا، أو ياء، أُتبِع ضميرَ المؤنث، وأُتبعت الياء تاء، وفُصِل بينهما بخط منكسر، نحو: عليه/ عليها، ليفعل/ لتفعل[2]. وهو من استنساخ اللغات الأجنبية، كالإنجليزية التي تجمع بين ضمائر الذكور والإناث، وعلامات التأنيث والتذكير، والأسماء الدالة على المذكر والمؤنث، في مثل هذه المقامات، تسويةً بين الرجال والنساء، كما تجمع بين «هو» و«هي» هكذا: he /she؛ ليشعر القارئ أن الكلام لا يُخَصُّ به ذكر دون إنثى. ومأتى التسوية بين الرجال والنساء، والجمع بينهما على هذا الوجه من عدِّ المرأة في الثقافة الغربية الحديثة ندًّا للرجل ومنافسا، وشريكا، فلا بد أن يُستحضَر ذلك في الخطاب، وفي اللغةِ التي هي لسان الثقافة، وترجمان الفكر. ومن هذا إبقاء المذيع والمضيف العربيين، في ترجمة العبارة الإنجليزية والفرنسية «سيداتي سادتي، أيها السيدات والسادة»، على تقديم النساء على الرجال، والجمع بينهم في الخطاب، وعدم الاكتفاء بـ «السادة» التي تشملهما. ومن التأثر بهذه الحركات والدعوات ما قال مصطفى صبري، من أن شيخا أزهريا، استهل خطبته في حفلة مختلطة بـ«سيداتي وسادتي»، ثم قال إنه لم يَجر في خطبته على ترتيب الآداب العصرية في المحافل الجامعة للجنسين، وإنما جرى على ترتيب القرآن الحكيم في ذكر الإناث قبل الذكور، ثم قرأ قول الله -تعالى-: (يَهَبُ لمن يشاء إناثا ويهب لمن يشاء الذكور)، وهو إنما اتبع العادة المحدثة، وزاد فأفتى

(١) انظر، دفاتر التربية والتكوين.
(٢) أزمة اللغة والترجمة، ٣٢ وما بعدها.

بحسنها وموافقتها أسلوب كتاب الله، ولإعجابه بهذه العادة لم يستوقفه آخر الآية التي قرأ كما استوقفه أولها، فقد جاء فيه: (أو يزوجهم ذكرانا وإناثا)، ولم تستوقفه آية الأحزاب: (إن المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات...)[١]. ومنه ما يشيع -أحيانا- من عدم التفريق بين المذكر والمؤنث في الألقاب العلمية وما شاكلها من أسماء المناصب، كالأستاذ، والدكتور، والبروفيسور، والعميد، والوزير، إلخ. وكانت اللغات الأجنبية، كالفرنسية، إلى عهد قريب، تفرِّق بينهما في هذه الألقاب والمناصب ونحوها، حتى اعترض على ذلك نساء فرنسيات مثقفات؛ لأنه -في نظرهن- هدر لهويتهن، وإنكار لاستقلال وجود المرأة عن وجود الرجل، وبقية من بقايا ثقافة القرون الوسطى ونظرتها إلى المرأة، واحتقارها[٢].

ومن تأثُّر العرب بهذه الحركات ما كتب حسام الدين الخطيب، معلقا على ما قال مندوبو كَنَدَة وأوربة الشمالية في اليونسكو عام ١٩٨٧: دلَّ هذا التغير على تزايد الوعي بأن اللغة ليست مجرد مرآة لطريقة تفكيرنا، وإنما هي أيضا وسيلة من وسائل صياغة تفكيرنا، فحين يطَّرد استعمال كلمات وعبارات، توحي -ولو دون قصد- أن النساء أدنى مرتبة من الرجال، يؤدي ذلك إلى أن يصبح هذا الفرض جزءا من تفكيرنا؛ ولهذا ظهرت الحاجة إلى تهذيب لغتنا لتناسب تغير الأفكار التي تعبر عنها[٣]. ودعا إلى تجنب الكلمات التي قد يفهم منها الانحياز للرجل، وأنه المقصود بالتبجيل، كاستعمال «رجل» في معنى «إنسان»[٤]. وقال إنه منذ ظهر كتيب اليونكسو عن هذه القضية عام ١٩٩٩ أخذ يشيع استعمال gender، ويتردد على الألسنة، بدلا من اللفظ الذي يدل على المراد من ذكر أو أنثى، تجنبا للتمييز، وإن بين البلدان الناطقة بالفرنسية (فرنسة وبلجيكة، وكندة) خلافا في تسمية النساء اللائي يتولين أعمالا تسمية كانت تخص الرجال دون الناس، كالوزارات، والإدارات، والرتب العسكرية، هل تؤنَّث، أو يُبقَى عليها مذكرة. والقضية معروضة أيضا في الوطن العربي،

---

(١) موقف العقل والعلم والعالم من رب العالمين وعباده المرسلين، ١/ ٤٤٣.
(٢) في اللغة، ١٢٥.
(٣) نحو المساواة بين الجنسين في لغة العرب، ١٠٨.
(٤) السابق، ١٠٩.

إذ يميل بعضهم إلى تذكيرها، فيسمي المرأة رئيسا ومديرا، بدلا من تأنيثها[1]. وبعد أن أورد ما يرى من صعوبة الوصول إلى صيغ محايدة في العربية قال إنه ينبغي اجتناب العبارات التي تحمل شبهة التحيز لأحد النوعين تمشيا مع التوجه العالمي الذي تشترك فيه منظمة اليونسكو اشتراكا فعالا، ومع حقيقة الازدياد المطرد لاشتراك المرأة العربية في شؤون الحياة العامة كلها[2]. وأقرَّ بأن العربية -على تمييزها بين النوعين- تميل -في الغالب- إلى عدم التحيز لواحد منهما، وتستعمل كلمات تشملهما، كالناس، والمرء، والإنسان[3]. ثم أورد طائفة من العبارات التي يرى أنها محايدة، وليس مقابلها الإنجليزي الشائع كذلك، مثل: حقوق الإنسان، مقابل human rights، وطبيعة الإنسان، مقابل nature of man، والجنس البشري، مقابل mankind، والإنسان البدائي، مقابل primitive man، والقوة العاملة، مقابل manpower، إلخ[4]. ولعل من آثار هذه الدعوات أيضا ما دعا إليه الاتحاد النسوي المصري مجمع اللغة العربية بالقاهرة من حذف نون النسوة من النحو العربي، من أجل المساواة بين الرجال والنساء، وما كُتِبَ عن اللغة وتحيزها للذكر، وظلمها الأنثى في العقود الأخيرة ومن آثارها قول نوال السعداوي: شرع النساء يتعاونَّ في بعض البلاد ويمثلن قوة جديدة، تستعمل التوراة أو الإنجيل أو القرآن من أجل تحرير النساء، لا من أجل عبوديتهن. وما عاد الله عندهن يخاطَب بلغة المذكر. إن كل دين يعطي الله صفة الذكورة، وإن كانت لغوية، ينزل المرأة -لا محالة- منزلة أقل من منزلة الرجل في اللغة. إن الإنجليزية والفرنسية والعربية والعبرية وغيرها لغات ذكورية، طردت النساء من اللغة، وليس من اللغة فقط، فجملة الرموز في الأديان السماوية كلها عدو للمرأة، والفقراء أيضا، وإذا كان الإله السماوي ذكرا، فلا بد أن يكون الحاكم الأرضي ذكرا أيضا؛ لأن الإله أنموذج البشر[5]. ولا يخفى ما في مذهب اليونسكو ومن أوحاه إليها من تعسف، إذ تنسب التحيز إلى اللغة؛

---

(١) نحو المساواة بين الجنسين في لغة العرب، ١٠٩.

(٢) السابق، ١١١.

(٣) الموضع السابق.

(٤) الموضع السابق

(٥) الإله يقدم استقالته في اجتماع القمة، ٨٦.

أن سَمَّت باسم الرجل دون المرأة، كأنما يريدون منها أن تمحو الفروق التي قامت عليها طبيعة الذكر والأنثى، أو تتجاهل الإبانة عنها، وهي فروق جسدية ونفسية، تترتب عليها مصالح البشر، ولو مُحيت، ما استقام للخليقة أمر، إذ الكون -حتى الجمادات- قائم على هذا الاختلاف: (ومن كل شيء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون)، وبه وحده يصلح حاله. وقد ركَز الله في فطر البشر تفضيل الذكر على الأنثى، وهو تفضيل ماهية جنس على ماهية جنس، وليس تفضيل جنس على جنس. فالذكورة، من حيث هي رمز القوة البدنية، وغلبة العقل، والصبر، أفضل من الأنوثة، من حيث هي رمز الرقة، وضعف البدن، وغلبة العواطف. وكل من النوعين خُلق بهذه الصفات لأن الحياة تتطلبها، ولا تصلح إلا عليها، ثم يكون لكل منهما وراء ذلك من العمل والإنتاج ما يتقدم به أو يتأخر، ومن أسرعَ به عمله لم يبطئ به نوعه. والرقة والعاطفة في مقام التربية والرعاية، والعلاقة بين الزوجين، خير من القوة، والقوة وغلبة العقل في مقام العمل، والقيادة، والإدارة، خير من الرقة والعاطفة. ولو تبادل الرجال والنساء هذه الصفات لفُضِّل النساء على الرجال؛ لأن هذه الصفات هي مناط التفضيل، وليس النوع في نفسه. ولكنَّ ما يسمَّى التسوية بين الرجال والنساء، ومحاولة تخطي سنن الله في خلقه هي التي صنعت هذه النظرة التي لا تميز اللغة التي صار كثير من دلالاتها مجازات تاريخية منسية، لا تأثير لها في الحقوق والثقافات والأخلاق، وتريد أن تمحو الفروق اللغوية الدالة على فروق جسدية ونفسية وعقلية، لا يمحوها أن تُمحَى الفروق اللفظية. وكان مقتضى العقل والعلم أن يحافظ على ما يميز المخلوقات بعضها من بعض، ويجعل لكل منها ما يدل عليه دلالة دقيقة، أما تغيير اللغة من أجل أن تطمس تلك الحقائق، أو تتجاهلها، فليس من مصلحة أحد إلا أصحاب هذه الدعوات التي تحركها أمور بعيدة من العقل والعلم بُعْدَها من العدل والحق. وتمييز المخلوقات بعضها من بعض، واختلاف الألفاظ الدالة عليه، لا ظلم فيه ولا هضم، ولا احتقار، فقد تُظْلَم المرأةُ والرجلُ، وتتسلط الأنثى على الرجل كما يتسلط الرجل على الأنثى، وهذه مسألة خارجة عن اللغة، واستعمال الألفاظ المبهمة التي لا تميز ذكرا من أنثى لا تغير بدنا، ولا عاطفة، ولا عقلا، ولا طبعا. فالمرء يدعو أمه

باسم غير الذي يدعو به أباه، فيقول لها أمي، ويقول لأبيه أبي، ويُنزل -مع التمييز في التسمية- كلا منهما منزلته اللائقة به، وتظل الأم أقرب إلى القلب، والتعلق بها أشد. والشرع الذي أمر بإكرامهما جعل لها منزلة فوق منزلته، حين قال: «أمك، ثم أمك، ثم أمك، ثم أباك»، فقدمها في الوصية عليه، وأوصى بها ثلاثا قبل أن يوصي به مرة. وإذا أُلغي من اللغة ما يميز الذكر من الأنثى لم تُلغَ الأسماء التي تميز الذكور من الإناث، فربما لا يستساغ أن يُسمَّى رجل باسم امرأة، ولا امرأة باسم رجل، كأن يُسمَّى مريم، وتُسمَّى سليمان.

ومن هذا ما يشيع في بعض الأقطار العربية من بدء الأسماء بالنَّسَب، أو اسم الجدِّ، يقدَّمان على اسم المرء، فيقال: بلعيد عبد السلام، والعلمي محمد، وطه عبد الرحمن، إلخ، يريدون: عبد السلام بلعيد، ومحمد العلمي، وعبد الرحمن بن طه. وأكثر ما يكون هذا في الجزائر، كما يبدو مما اطلعت عليه من رسائل طلاب الجامعات الجزائرية، نحو: سحنون شاوش أمينة، وبهلول سميرة، وبودينة نصيرة، إلخ، يريدون: أمينة بنت شاوش بن سحنون، وسميرة بنت بهلول، ونصيرة بنت بودينة. وقد أنكر مولود قاسم -رحمه الله- على بعض إدارات الجزائر وإذاعتها وصحفها قلب الأسماء على هذا الوجه، فقال: لم قَلَبت بلديةُ العاصمة، أو مندوبيتها الخاصة -وتبعتها في ذلك الإذاعة والجرائد، حتى «المجاهد» العربية- أسماء أبطالنا الشهداء، فبدأت باسم الجد، وأتبعته الاسم الشخصي: عبَّان رمضان، ديدوش مراد، زيروت يوسف؟ والأمثلة على هذا كثيرة في جرائدنا، وسائر وسائل نشرنا، وعلى الألسنة أيضا. إن هذا العمل ليس بغربي ولا شرقي، وإنما هو أثر من آثار العهد الفرنسي، وفرنسة التي ألزمتنا إياه لا تعمل به، ولا يُعمَل به في مكان من العالم[1]. ويفهم من هذا أن الفرنسيين لا يقدِّمون النسب على الاسم، وإنما هذا شيء كان يصنعه الاستعمار الفرنسي بالجزائريين، ثم لما رحل بقيت آثاره، فلم تغيَّر، كما لم تغيَّر الألقاب التي كان يلصق بالجزائريين تحقيرا لهم. وإنما أعني هنا أن كثيرا من العرب في المشرق والمغرب يقتصرون على نسب المرء دون اسمه، كما يقال في الفرنسية والإنجليزية: ماسنيون، ميتران، بلير، كلينتون، بوش، إلخ، لا

---

(١) إنية واصالة، ٢٤.

أنهم يقدمون هذه على الأسماء كما يفعل أهل المغرب العربي. وإذا كان من دأب العرب أن يدْعوا المرء باسمه ونسبه، أو باسمه فقط، فالأمر بعكس ذلك في الفرنسية والإنجليزية: ليس من الأدب أن يُدعَى المرء باسمه، ويعدُّون دعاءه به إسقاطا للكلفة، لا يكون إلا بين الأنداد والأصدقاء، وإنما يُدعَى بنسبه، في الغالب[1]. وتنكُّب الاسم في هذا المقام ونحوه من المقامات غير صحيح في العربية، ولا يفيد؛ لأنه من دعاء المرء بغير اسمه؛ إذ اسم الأب والجد ليس هو اسم الابن والحفيد، أما دعاؤه بنسبه، فربما فعلوه. ولعل مردَّ اقتصار اللغات الغربية على جد المرء دون اسمه أنها توالي بين اسم المرء وأبيه وجده، ولا تفصل بينهما بـ«ابن»، كما تفعل العربية، فإذا اقتصرت على ذكر أبي المرء، أو جده، على سبيل التعظيم، بدا أنها تسمِّيه به، وهي إنما تنسبه إليه، وحذا العرب على ذلك، فأسقطوا «ابن» بين الأسماء، واقتصروا على اسم الأب أو الجد جريا على ما تفعل اللغات الغربية. وأكثر ما يُقتَصر على النسب في الفرنسية إذا أريد التمجيد، ولا سيما إذا كان المرء من بيت نُبْل، وإنما يُقتَصَر عليه في العربية في مقام الفخر والمديح، إذا كان في النسب منقبة، وكان المنسوب إليه من الشرف بالمكان الذي لا خفاء به، كقول الشاعر:

من صدَّ عن نيرانها فأنا ابن قيس، لا براحُ

وقول الآخر:

هذا ابنُ فاطمةٍ، إن كنت جاهلَه، بجدِّه أنبياء الله قد ختموا

ولما كانت اللغة لسانَ الثقافة، كان حتما أن تكون العربية الحديثة مجلًى من مجالي ثقافة العرب الحديثة، وما تنطوي عليه من ولع بتقليد المظاهر، والاستهلاك الذي لا ينتهي عند حد: استهلاك السلع، والأفكار، والعلوم، والعواطف، والشعور، واللغة، والسلوك، والعادات، والأذواق، ومن استهلاك اللغة الحذو عليها في كل شيء، ومن الحذو إضافة المرأة إلى زوجها، أو جده أو نسبها إلى من ينتسب إليه، كما يقال اليوم: جيهان السادات (زوج أنور السادات)، وسوزان مبارك (زوج حسني مبارك)، ورانية العبد الله (زوج عبد الله بن الحسين، ملك الأردن)، وسهى عرفات (زوج ياسر عرفات). وإذا كان

(١) من أجل تفاعل لغوي، ٢٧.

لهذا معنى أو دلالة في اللغات الغربية، كاحتقار المرأة، أو إنزالها منزلة دون منزلة الرجل، أو معنى آخر غير هذين، فلا معنى له في ثقافة العرب، وهو -بعْدُ- مخالف لما أمر الله به من نسب المرء إلى أبيه: (ادعوهم لآبائهم هو أقسط عند الله). ولم تَجْرِ عادة العرب قبل هذا الزمان بأن تُنسَب المرأة إلى غير مَنْ وَلدَها.

وإذا كان في تسمية الرجل والمرأة «سيِّدًا»، و«سيدة» أدب، وتكريم -وهما أمران مستحبان-، فإنما يكون ذلك في مقام الخطاب، وما شاكله من المقامات، أما غير ذلك، فيحسن أن تسمى الأشياء بأسمائها، على الأصل، فيقال: حجرة الرجال، وحجرة النساء، ومدخل الرجال، ومدخل النساء، وفرع الرجال، وفرع النساء، كما يقال في الإنجليزية: male، وfemale. غير أن من الحق أن هذه الكلمات إنما تستعمل بهذه المعاني في العربية الحديثة تأثرا باللغات الأجنبية، لا أدبا، ولا احتراما لمن تطلق عليه، والأدب والاحترام يمكن أن يعرب عنهما بمفردات غير هذه، توافق الثقافة العربية. فمن المعلوم أن lady وgentleman و lord، والدوق (Duke)، والكونت (Count) إنما كانت تطلق في الإنجليزية على طبقة من النبلاء، فإطلاق lady وgentleman على كل امرأة اليوم في الإنجليزية، على سبيل الاحترام متأثر بالثقافة الإنجليزية، كما أن دعاء المصريين من أرادوا إظهار حترامه «باشا»، و«بيه»، و«بك»، و«أفندم»، و«هانم»، متأثر بالثقافة التركية التي كانت عامة في مصر أيام الحكم العثماني، إذ كانت هذه الكلمات ألقابا تطلق على طبقات من الناس، وكذلك تسمية المرأة «ستًّا»، متأثرة بالثقافة الشعبية منذ العصر العباسي، إذ كان الشعراء يدعون المرأة المحبوبة سيدة، على سبيل المبالغة في التعظيم والتفخيم، وإظهار التذلل، وخفض الجناح، في مقام الغزل، كما يبدو من قول أبي العتاهية:

ألا ما لسيدتي ما لها   أدلَّت، فأجمل إدلالها[1]

وقول أبي نواس:

وقلت: الوعدَ سيدتي، فقالت: كلام الليل يمحوه النهار[2]

---

(١) ديوان أبي العتاهية، ٣٧٥.

(٢) ديوان الصبابة، ١٢.

وقول ابن الرومي:

يـا فتْـكُ يـا سـيدتي، إن لـم تثيبـي فَعِـدِي[1]

وقول العباس بن الأحنف:

رُدّي جَـوابَ الكتـابِ سَـيّدتي، ولـوْ علـى قِطعَـةٍ مـنَ الخَـزَفِ[2]

ثـم تغيـر نطقهـا علـى ألسـنة العامـة، فصـارت تنطـق ستًّا، كقـول أبـي العـلاء المعـري:

ســتِّي، إن أعيــاك أمـري، فاحملينـي زَقَفُـونَـهْ[3]

وقول بهاء الدين زهير:

بروحـي مـن أُسَـمِّيها بسـتِّي؛ فتنظرنـي النحـاة بعيـن مقْـتِ[4]

ومثـل ذلـك مـا شـاع علـى الألسـنة مـن دعـوة المـرء، تُظهَـر لـه التجلـة: سيدي، ولعـل مأتاهـا مـن ثقافـة الصوفيـة التـي كانـت تبالـغ فـي إظهـار التعظيـم والإكـرام لـكل ذي منزلـة فـي العلـم والصـلاح. ثـم صـارت تطلـق علـى كل مـن يـراد إظهـار التواضـع لـه، كمـا تطلـق فـي حواضـر الحجـاز علـى الجـد والجـدة، فيقـال لهمـا «سيدي وستي»، ويُدْعَـى معلِّـم القـرآن فـي مصـر سيدنا. لكـن اسـتعمال هـذه الكلمـات فـي الثقافـة العربيـة كان موقوفـا -أكثـر شـيء- علـى النـداء، ومـا شـاكله؛ لأنـه مقـام إظهـار الاحتـرام، وتسـتعملان فـي غيـر مقـام النـداء، إذا أريـد بهمـا سـيد القـوم، حقـا أو مجـازا، كقـول اللـه -تعالـى-: (ربنـا إنا أطعنـا سـادتنا وكبراءنا)، أي ولاتنـا وسائسـينا، وعلـى الـزوج، كقولـه -تعالـى-: (وألفيـا سيدهـا لـدى البـاب)، سُـمِّي سـيدا لسياسـته زوجَـه، وعلـى الرجـل والمـرأة العابديـن الورعيـن، كقـول اللـه -تعالـى-: (وسـيدا وحصـورا)، إذ كان الأصـل فـي سيد القـوم أن يكـون مهـذب النفـس، فسُـمِّي كل مـن كان فاضـلا فـي نفسـه سـيدا[5].

ومـن هـذا اسـتبدال المفـردات الحديثـة باصطلاحـات الطـب العربيـة العريقـة، كتسـمية العـروق «الأوعيـة الدمويـة»؛ لأنهـا تُسـمَّى فـي الإنجليزيـة blood vessel،

---

(١) ديوان ابن الرومي، ٢/ ٦٧١.

(٢) ديوان العباس بن الأحنف، ٢١٣، وانظر أبياتا أخرى له، فيها «سيدتي»، في الصفحات ٢٥٢ و٢٦٤ و٢٨٤.

(٣) رسالة الغفران، ٢٦٠.

(٤) ديوان بهاء الدين زهير، ٥٦.

(٥) المفردات في غريب القرآن، ٢٤٧.

وتسمية صغار العروق أوعية شعرية، وقد سماها العرب العروق الدقاق. وتسمية «الرواضع» الأسنان اللبنية، ترجمة لـ milk teeth، في الإنجليزية، وكثر هذا في اصطلاحات العلوم والصنائع، كتسمية الجيش قوات؛ لأنه يسمى في الإنجليزية والفرنسية forces، وتسمية التجار رجال أعمال، ترجمة لـ Busness men، واستعمال «يركِّز» بدل «يهتم» و«يُعْنَى» ترجمة لـ concentrate ، و«يملي» بدل يجبر أو يرغم؛ ترجمة لـ dectate، وتسمية الأساس، والمرافق المهمة[1] «البنية التحتية»؛ لأنها تسمى في الإنجليزية infrastructure، وتسمية البحث ورقة؛ لأنه يسمى في الإنجليزية paper، وتسمية الرأي رؤية؛ لأنه يسمى في الفرنسية والإنجليزية vision، مجازا، إذ كان من معاني vision التخيل، والرؤيا، والمكاشفة، فكأن الرأي تخيلٌ أو رؤيا أو مكاشفة يراها المرء كما يرى النائم الرؤيا، أو يُكاشَف بها كما يكاشَف الصوفي بالمغيبات. وتسمية الغاية التي يُسْعَى في دركها رسالة؛ لأنها تسمى في الإنجليزية mission، والميزان الأخلاقي قيمة؛ لأنه يسمى في الإنجليزية value، وتسمية الفهم والتفسير قراءة؛ لأنهما قد يسميان في الفرنسية والإنجليزية lecture /reading، مجازا، وتسمية أعوام العقد بلفظ من ألفاظ العقود مجموعا، نحو: العشرينات، والثلاثينات، والأربعينات، إلخ؛ لأنها تسمى في الإنجليزية twenties، thirties، forties، إلخ، وكان خيرا من هذا أن تُسمَّى العقد الثالث، والعقد الرابع، والعقد الخامس، إلخ. ومنه إيثار «المقترض» على «الدخيل»؛ لأنه يسمى في الإنجليزية loanword، فيعدلون عن الكلمة العربية العريقة إلى الكلمة التي هي ترجمة حرفية لاصطلاح إنجليزي. ومنه قولهم: وَقَفَ شعرُه، ترجمة للعبارة الإنجليزية: His hair stood on، وإنما يقال في هذا المعنى: قفَّ شعره، كما قالت عائشة - ضي الله عنها-: «لقد تكلَّمت بشيء قفَّ له شعري»[2]. وأكبر الظن أن الذي ترجم العبارة الإنجليزية هذه الترجمة لم يسمع «قفَّ شعره» قط؛ فيعرِّب بها العبارة الإنجليزي، وإنما ترجم ترجمة حرفية. ومعنى قفَّ: قام وانقبض. ومنه ترجمة الاصطلاح الفرنسي Contrepoids -وهو «ما يُعدَل به ثِقَلُ غيره»- بـ «أثقال اتزان»، و«ثقالة» و«ثِقَل»،

(١) كتاب الأعاجيب، ١١٢

(٢) صحيح البخاري، تحقيق مصطفى ديب البغا، ٤/ ١٨٠٤، والنهاية في غريب الحديث والأثر، ٤/ ٩١

و«موازنة»، وهو بالعربية «رِجازة»، وهي كساء تُجعل فيه أحجار، ويعلق بأحد جانبي الهودج، إذا مال ليعتدل، جمعه رجائز[1]. وإنما حمل على هذا ونحوه توخي الترجمة الحرفية التي يبدو أن جلَّ تراجمة العرب لا يعرفون غيرها، ولا يعرفون الألفاظ العربية العريقة المبينة، من أجل ذلك يترجمون الكلمة الأجنبية بالكلمة العربية، ليس بينهما ما يسوِّغ أن تترجم بها، فيتلقَّف الناس ما يفعلون من غير نظر، وتطير به وسائل الإعلام؛ فأماتوا الأصالة، وشرَعوا التبعية، حتى غدت أظهر شيء في حياة العرب، حتى حين يتكلمون بالعربية. وسبب ذلك أن المتعلمين تعلما عصريا لم يدرسوا العربية، وإنما درسوا بعض قواعد النحو دراسة نظرية، لا تكاد تعلِّم أكثر من قواعد الإعراب، ودرسوا اللغات الأجنبية دراسة منقوصة، فاصطبغ بها كلامهم؛ فسقطوا بين بين، وغدا المرء منهم إذا تكلم بغير العامية ليس له مثال يحذو عليه سوى ما شدا من اللغة الأجنبية، ولما كان هؤلاء هم الذين بيدهم الأقلام، ومقاليد الإعلام، ومنابر الثقافة، صبغوا العربية الحديثة بما يعرفون، أما غير المُخِصِّين في العربية، فيتابعون ما يشيع، وليس لهم من العلم بالعربية ما يعرِّفهم حكم ما يسمعون، ولا من الوعي بسنن الثقافة ما يعرِّفهم ضرر ما يفعلون، والقلة القليلة منهم هي التي تتنبه للخطأ، وتعرف الصواب، وبعضهم تغلبه العادة على ما يعلم، فلا يفطن للخطأ، فيستعمله دون وعي، كما يستعمله من لا يعرفه، حتى يستحكم، فلا يُعرَف غيره، وينسيهم طول الاستعمال ما يعلمون، فيتكلمون ويكتبون باللغة الشائعة؛ لأن العلم النظري ليس هو وحده الذي يتملَّك المرء ويوجه ما يقول، فقد يؤلف المرء كتابا في التنبيه على الأخطاء الشائعة، فيقع فيما ينبه عليه، إذا كتب. وأكثر من يُعنى بكتب الأخطاء الشائعة خواص الخواص، من أهل العربية، دون غيرهم من المتعلمين والمثقفين الذين يستوي عندهم الصواب والخطأ فيها، كما يقول لسان الحال: واللحن عندهم ليس من السوء بحيث يُتَعنَّى في توقِّيه، حتى قال أحد الباحثين: لا نعرف من يعترف بجهله إلا إذا كان المجهول هو العربية، كأن لسان حاله يقول: العربية أصعب من أن يُضيع وقته في تعلمها مَنْ له عمل عظيم، يؤديه، أو

---

(1) التعريب ومستقبل اللغة العربية، ٣٧.

علم جليل، يشتغل به[1]، كما لا يرى بأسا بأن يتكلم بالعامية، ويمزجها بما شدا من العربية الدارجة في الإعلام، في كل مقام، تكلم فيه. فلما ذرَّ قرن اللغويين المحدثين، وأمِرَ أمرهم في العقود الأخيرة، أخذوا يشيعون أن التلحين عمل قديم، ومخالف لطبيعة اللغة المتغيرة التي لا تستقر على حال، ولمنهج العلم، فإنه يُعْرِض عن بيان ما ينبغي أن يكون، ويقتصر على وصف ما قد كان. ويرى بعضهم أن عالم اللسان يجرِّد كل قاعدة من قدسيتها، ولا يرى قاعدة إلا فيما هو متداول، ومستعمل عند الناس، وقد يرى «تكسير القاعدة قاعدة»[2]. ولما كان جل هؤلاء لا يعرفون العربية، وإنما درسوا فلسفة اللغة (علم اللغة)، كان في لغتهم من اللحن، والحذو على اللغات التي درسوا بها ما زاد الطين بلة، وضاعف الأمر من جهتين: جهة الاستعمال، وجهة الاحتجاج له بحجج، فيها غير قليل من الاستغفال وتحريف الكلم عن مواضعه.

ومن هذا العدول عن اصطلاحات علم الأصوات العربية العريقة، إيثارا للترجمة الحرفية؛ لأنها هي التي تبين عن الجانب الذي ينظر إليه أهل اللغة المترجَم منها إلى المعنى المراد، كتسمية الحروف والحركات أصواتا، ووحدات صوتية؛ لأنها تسمى في الإنجليزية phonetic units، والحروف المجهورة الحروف الانفجارية؛ لأنها تسمى plosives، وexplosive، وحروف الرخاوة الحروف الاحتكاكية؛ لأنها تسمى fricatives، وحروف التوسط الحروف المائعة؛ لأنها تسمى liqueurs / liquids، وحروف الشدة الحروف القذفية ترجمة لـ consonnes ou[3]، وانصرفوا عن «الشدة» انصرافا شبه تام، إلى «الانفجار»، و«الوقفة»، و«الاحتباس»، و«الانسداد»، و«الآن واللحظة»، وإن كانت تسميتها الآنية مما استعمل علماء التجويد، يشيرون به إلى قِصَر المدة التي ينغلق فيها مجرى الهواء ثم ينفتح، بخلاف الزمن الذي يستغرقه الصوت الرخو. وكان الأجدر بمن يشتغلون بهذا العلم أن يعنوا بما انتهى إليه القدماء،

(١) تعريب العلوم وقضية التنمية، الشاذلي القليبي، الأهرام، ع ٣٩٢٢٣ في ٢٧/ ٤/ ١٩٩٤ م. (نقلا عن «الترجمة إلى العربية قضايا وآراء»، ٢٧ وما بعدها).

(٢) الدين والهوية، ٩٧.

(٣) اللغة والمحيط.

وينتفعوا به، وإن كان فيه قصور؛ فإن الاصطلاح يثبت بالاستعمال[1]؛ لما في الاستمساك به من ربط حاضر اللغة بماضيها، وتوفير الجهد في البحث عن اصطلاحات جديدة، وسلامة الاصطلاح العربي التراثي وسهولته، وتجنُّب مضارِّ الدخيل، والإعانة على توحيد الاصطلاح العربي[2]، وإغفال اصطلاحات التراث، واستبدال غيرها بها يقطع ما يجب أن يوصل من تراث السلف، وليس فيه من نفْع إلا تجاهله، واحتقار أهله، وتعظيم غيرهم، وتكثير الترادف، وعدم الانتفاع بالنافع. وما يزال الغربيون يعودون في صناعة الاصطلاح إلى اليونانية واللاتينية ويستقون منهما ما يصطنعون من اصطلاحات لما يستحدثون، ولا يرون في ذلك غضاضة، وليس فيهم من يرى أن عليه أن يبدأ من الصفر، ولا أنْ ليس له سلف، يسترشد بما فعل. والإعراض عن الاصطلاح العريق يشعر بأن الإبانة عن المعنى وحدها ليست هي الغاية، وأن من المهم أن يُلْبَس المفهوم الثوب الذي يُلبِسه الإنجليز والفرنسيون، إما بلفظه، وإما بترجمته ترجمة حرفية، مجازا، إن كان مجازا، وحقيقة، إن كان حقيقة؛ فذلك هو الذي يبين عن الجانب الذي ينظر منه الفرنسيون والإنجليز إلى المفهوم الذي يدل عليه، ولا يبين عنه اللفظ الذي يدل على ما يصدق عليه فقط، كما هو شأن ترجمة النصوص العلمية التي تتغيا الإبانة عن المضمون، ولا تعتدُّ باللفظ في نفسه؛ لأن الإفهام ونقل المعاني هما غايتها؛ ولأن تطابُق مفهومات اللغات غير لازم، بل قد يكون مضلا[3]. ولما كانت اللغة مؤسسة اجتماعية -كما يقولون- كان لزاما على المترجم أن يضع مضمون المؤسسة التي يترجم منها في المؤسسة التي يترجم إليها، أي أن يُلْبِس الأفكار التي ينقل ثوب اللغة التي ينقلها إليها، ويسبغ عليها من ثقافتها ما ييسر فهمها، وفهمها لا يكون بالترجمة الحرفية؛ فإنها لا تزيد على إبدال كلمة بكلمة، وجملة بجملة، وتُبقي على ثقافة النص المترجَم، وتُبقي الاصطلاح في ثوبه الأول، ولا تُلبِسه الثوب الذي لا يُفهم إلا أن يُلْبَسه؛ فإذا رآه القارئ نكره، ولم يأنس به، وظل فهمه إياه منقوصا، وإفادته منه قليلة، كترجمة الاسم المنصرف

(١) المصطلح الصوتي في الدراسات العربية، ١٢٤ وما بعدها.
(٢) المصطلح التراثي العربي بين الإهمال والإعمال.
(٣) فقه اللغة والثقافة العربية، ٦٢.

بثلاثي الإعراب، كما فعل بعض المستشرقين، وترجمة الممنوع من الصرف بثنائي الصرف[1]؛ فإن ذلك قمين بأن يحول بين العرب وفهم ما يراد بهما، إن لم يصحب الترجمتين شرح وتمثيل. هذا إلى أن هذه الترجمة توقع من التأثير السلبي غير قليل؛ لأنها تُحلّ ثقافة وفكرا مكان ثقافة وفكر، وليست بتلقيح فكر بفكر. وإحلال ثقافة اللغة محل ثقافة اللغة يقتلها؛ لأنه يفقر مضمونها، ويستبدل بروحها روحا آخر، ويجعل المتكلم بها يفكر بغيرها، ولا يملك إلا رصيدها وثقافتها، فضلا عما يفعل بها من التهجين، وإذهاب الخصائص البيانية التي هي هويتها، ويجعلها لغة عاجزة عن التعبير عما يجد أهلها من المعاني، وليست بأكثر من عبارات وأساليب مسكوكة، يرددها كل متكلم على وجه واحد، لا يبين عن خصوصية المتكلم وقدرته على الإبداع. وهذا مما تتصف به العربية الحديثة، ولا سيما عربية الإعلام، فهي لغة فقيرة، محدودة في أساليبها، ومعجمها، وأفكارها، وما يَستعمل منها العربي هو ما يستعمله العرب جميعا، ولا يكاد المرء يجد في أهلها من يكتب بأسلوب مميز، يخص صاحبه؛ لأنهم لا يعرفون منها إلا ما يتلقون من وسائل الإعلام، ولا يعرفون منها ما يمكّنهم من التصرف فيها على كل وجه. واللغة وعاء الفكر، ومن تعلم أو بحث بلغة، فكّر بها، وتأثر بالفكر الذي يسكنها، والترجمة الحرفية -لأنها تُبقي المضمون في وعائه الثقافي، ولا تغير من النص سوى ألفاظه- وسيلة من وسائل الاستلاب، وهذا يعني أن الترجمة المبنية على أساس معرفي قوي، لا تكون حرفية. وإذا لم يكن في ترجمة النصوص الإحصائية والرياضية والمالية والوثائق ونحوها ترجمةً حرفية ضير؛ لأنها نصوص مبنية على الأرقام وما في حكمها من الرموز المجردة من الثقافات، ويستوي فيها المنشئ والمترجم، فليست ترجمة العلوم الإنسانية كذلك، فهي تنطوي على مفهومات ونظريات ومناهج في التفكير والتحليل، ليست -في كثير من الأحيان- إلا عقائد ومذاهب فلسفية، ووصفا لحقائق نسبية[2].

وفي العدول عن الاصطلاحات العريقة إلى الاصطلاحات التي تدل دلالة

---

(١) التراث العربي في ترجمة المصطلح اللساني، ٦٠ وما بعدها.

(٢) الترجمة والتعريب مدخلاً لتوطين العلوم في الجامعات العربية والإسلامية.

حرفية على مراد أهل اللغة ما لا يخفى من إعادة صياغة الوعي بالأشياء والمفهومات ليطابق رأيَ الغير وثقافتهم، ومن إيهام أن المفهومات بتسميتها تسمية جديدةً جديدةٌ، وليست بالمفهومات المعهودة في التراث العربي، على ما في ذلك من خلْط ولبْس، وإضلال عن بعض الحقائق، وغض من التراث العربي، ودعوة إلى تجاوزه، كما يُتجاوَز الأمر، ليس بذي بال، وخير منه وأقعد في العلم ما يُحْدِث الفرنسيون والإنجليز، وإن لم يتجاوز الألفاظ، مع ما اتفق عليه العقلاء من أنه «لا مشاحة في الاصطلاح»، وأن ما يراد من الاصطلاح هنا هو الحرف الذي يدل عليه، بغض النظر عن صفاته، والهيئة التي يَخرُج عليها، وهما صفة وهيئة ليس حتما أن يُتَّفَق على نعتهما. ووجه إعادة صياغة الوعي في تبديل الاصطلاحات أن الذي يرى هذا الرأي يريد العرب أن ينظروا إلى هذه الحروف من حيث نظر إليها الإنجليز والفرنسيون، وأن يعدُّوه هو الحقيقة العلمية، بعد أن كانوا ينظرون إليها من حيث نظر إليها سلفهم، فالإنجليز والفرنسيون ينظرون إليها من حيث هي انفجارية، أي إن النَّفَس ينحبس عند النطق بها ثم ينفتح مجرى الصوت، فينطلق الصوت محدثا ما يشبه الانفجار، وكان العرب ينظرون إليها من حيث هي حروف، يشتد لزومها موضعَها، وتقوى فيه حتى يمتنع الصوت أن يجري معها عند النطق بها[1]. ولا يخفى أن الجهتين اللتين يُنظَر منهما متكافئتان، في الجملة، وأنَّ تكافؤهما يجعل العدول عما اصطُلح عليه في العربية إلى ما اصطلح عليه في غيرها عدولا عن وجه من النظر له مسوغاته، إلى آخر، ليس بأوجه منه، ولا أولى بأن يُؤثَر، وهو عدول ليس له مسوغ علمي، إلا التبعية الفكرية، وحب الموافقة، وخلْع صفة الكمال على ما ليس بكامل. وهو أمر يخرج عن العلم إلى الثقافة؛ لأن مرده إلى الذوق والشعور، وليس إلى الحقيقة العلمية الخارجية. على أننا لو وازنا بين النظرتين العربية والأجنبية، لألفينا العربية أدق، فانفجار الحروف أثر من آثار شدة الاعتماد عليها في مخرجها، وامتناع النفس أن يجري معها، وكذلك الانفجار، إنما يكون أثرا من آثار الضغط؛ فتسمية الحروف بأظهر صفاتها وأقواها أولى من تسميتها بما هو أثر من آثار تلك الصفات، هذا إلى ما في تسميتها انفجارية

(١) الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة، ١١٧.

من مبالغة، يُرْغَب عن مثلها في الكلام العادي، فضلا عن الاصطلاحات العلمية التي تُتَحرَّى فيها الدقة. وكذلك الأمر في تسمية حروف الرخاوة، فإن ضعف الاعتماد عليها في مخرجها هو سبب جريان الصوت والنفس[1]، وسبب جريان النفس معها انفراج المخرج، وعدم وجود ما يحبس الهواء؛ فيحتكُّ بالمخرج، فيوقع «الحسَّ الخفي الضعيف»، الذي يسمَّى الهمس[2]؛ فالاحتكاك -إذن- أثر من آثار ارتخاء المخرج. وإذا رَجَحَت تسمية هذين الضربين من الحروف، فما بين الشدة والرخاوة أجدر بأن يسمى التوسط منه بكل تسمية أخرى، كتسميته مائعا، فإن الميوعة لا تدل -في العربية- على أكثر من الذوبان، والجري، والاضطراب، وليست بذات معنى في هذا السياق، إن كانت الكلمة التي تقابلها في الإنجليزية والفرنسية ذات معنى. وتعريف القدماء للمهموس يوافق تعريف المحدثين للحرف الرخو، وهو عكس الحرف الانفجاري، إذ الحرف الانفجاري يُنطق بعد انحباس الهواء، وأما الرخو، فلا ينحبس الهواء معه، وإن كانت الحروف الرخوة تتفاوت في سلاسة المخرج[3]. وقد استعمل القدماء اصطلاح المجهور، وقالوا إنه «حرف قوي، يُمنع النفس أن يجري معه عند النطق به لقوته، وقوة الاعتماد عليه في موضع خروجه»، وهذا التعريف يتفق هو وتعريف المحدثين للحرف الانفجاري[4]. وكذلك مفهوم الشدة عند القدماء، يتفق هو ومفهوم الانفجار عند المحدثين[5]. ويشترك الجهر والشدة عند القدماء في انحباس النفس فيهما. فالشدة والانفجار عند القدامى والمحدثين متساويان، ويتقاربون في مفهومي الرخاوة والهمس، فكلاهما لا ينحبس فيه الهواء عند النطق بالحرف[6]. وموافقة المحدثين للقدامى في وصف الحرف جدير بحملهم على استعمال اصطلاحهم، وعدم استحداث آخر.

يقول عبد القادر الفاسي الفهري صاحب هذه النظرية: كثيرا ما يخطئ

---

(١) الرعاية، ١١٦.

(٢) الموضع السابق.

(٣) ظاهرة القلقة والأصوات الانفجارية، ١١٣.

(٤) السابق، ١١٤.

(٥) السابق، ١١٥.

(٦) الموضع السابق.

الناس في ربط المناسبات بين الاصطلاحات العربية والاصطلاحات الغربية؛ لأنهم يهملون أوجه المجاز، ويكتفون عن المفهوم بالماصدق، فقد ترجموا consonant بصامت، وحرفِ صوت ساكن، وحبيس، وكلها مقابِلات، لا تؤدي المراد، إلا إذا توسعنا في معاني هذه الألفاظ، ولا سيما إذا علمنا أن الصامت عند العرب يقابل المصوت vowel. والأَولى أن تترجم بـ«مصاوت». وترجموا vowel بصوت لين، وصوت علة، وحركة، وصائت. ولا يفيد المعنى إلا «صائت»؛ لأن الحركة إنما تقابل السكون. وترجموا constrictive باحتكاكي، وانسيابي، ورخو، وحرف ضيق، والأولى أن يترجم بانقباضي، أو صَرِّي، ويترجم fricative باحتكاكي، وspirant بنفخي، أو نفَسي. وترجموا occlusive بانسدادي، وانفجاري، وشديد، وexplosive وplosive بانفجاري، وstop بانفجاري، ووقفي، وشديد[1]. فقد عدل -كما لا يخفى- عن الاصطلاحات العربية العريقة، ورأى أن تترجم بما يوافق دلالة مرادفاتها الحرفية في الإنجليزية والفرنسية، مع الإبقاء على مجازيتها، على إقراره بأن لبعض الاصطلاحات التراثية وجاهة، فالحروف الشديدة -مثلا- تمنع الصوت أن يجري معها، والرخوة يجري معها الصوت، وتسترخي المجاري، إلا أن المجاز ليس هو المجاز في اللغتين، وإن كان الماصدق واحدا[2].

وقد أتى خطأ آخر، هو اشتقاقه الاصطلاح من فعل ليس بمسموع في العربية ولا مقيس، إذ ترجم vowel بمصاوت، وليس في العربية «صاوت»، وإنما فيها صات، وصوَّت، وأصات[3]، واسم الفاعل منها صائت، ومصوِّت، ومُصيت، أما من حيث القياس، فالأصل في «فاعَل» أن يكون للاشتراك، واستعماله في غير هذا المعنى، وفي غير ما سُمع عن العرب، من تعدِّي حدود اللغة، وعبد القادر «جذيله المحكَّك، وعُذَيقه المرجَّب». ولا يخفى ما يلقى العربي من عنت في تحصيل المعرفة التي تكتب بلغة كهذه، فهو يقرأ كلاما لا معنى له، فيفكر مليا فيما يمكن أن يكون مراد قائله، بالنظر في السياق والقرائن التي تحفُّ به، وقد

---

(١) اللسانيات واللغة العربية، ٢٠٧.

(٢) الموضع السابق.

(٣) انظر: المعجم الوسيط، (ص و ت).

تكون ضعيفة، أو خفية، أو متعارضة. وربما تعذر عليه الفهم البتة، إذا لم يمثِّل المترجم لما أراد، كأن يمثل للمصاوت بحرف من حروف العلة. وغني عن البيان أن هذا يحول دون فقه ما يُقرأ؛ لأنه ينقل المعرفة مضطربة ملتبسة، على وجه يحول بينها وبين أن تخلُص إلى القلب، وهي حال كثير مما يترجَم اليوم إلى العربية؛ لأن الذين يترجمون لا يجيدونها، ولا يجيدون اللغة التي يترجمون منها؛ فيعسر عليهم أن يقيموا جسرا بين لغتين وثقافتين متباينتين، ويضعوا إحداهما في وعاء من الأخرى، ليقربوها إلى أهلها، ويعينوهم على فهمها.

وهذا العمل -فوق أنه ضرب من ضروب مسخ اللغة- يوهم أن من يصطنعه يقول شيئا جديدا، وإنما الجديد منه هو الكلم المعرَّب، والكلم المحرف عن مواضعه، أما المعنى، فلا جديد فيه، بل من الكثير أن يكون من البديهيات وتحصيل الحاصل، ويتضح ذلك إذ يُكسَى ما هو معهود من اللفظ العربي، كهذا العنوان الذي اختاره أحدهم لكتابه: «البنية التركيبية في الخطاب الشعري: قراءة تحليلية للقصيدة العربية في القرنين السابع والثامن الهجريين». فالمراد بالبنية التركيبية الأساليب، وبالخطاب الشعري القصيدة؛ إذ الخطاب هو الكلام، والكلام الشعري هو القصيدة. ومن علم أن هذا هو المراد، علم أن معنى العنوان الفرعي هو معنى العنوان الرئيس، إلا أن الفرعي أوضح، وأقل تكلفا وإيهاما: فالقصيدة لا تكون إلا شعرا، ولا تكون إلا كلاما مركبا، فهي و«الخطاب الشعري» مترادفان. وإذا صحَّ ذلك، فالعدول عن «القصيدة» إلى «الخطاب الشعري» عدول عن الجلاء إلى الخفاء، وعن المعروف إلى المجهول، وعن البيان إلى التعمية. «أما البنية التركيبية»، فلا معنى لها؛ لأن العنوان الفرعي يدل على أن البحث دراسة تحليلية للقصيدة في القرنين المذكورين، والعنوان الرئيس يستوجب أن تكون دراسة القصيدة في هذين القرنين دراسة أسلوبية فقط؛ إذ التركيب هو الأسلوب، والبنية هي النظام. وإذا شرع المرء في قراءة المقدمة، وجدها حافلة بلغة كهذه، تتعمد الغموض، والعدول عن المعهود، وتستعيض عنه بألفاظ، لا طائل تحتها. وإنما حمل الباحث على هذا العنوان وما كتب تحته ما له من رواج، وما فيه من إيهام أنه يعني ما لا يعني، وظنُّ أن الألفاظ المفهومة مُلَّت من قدمها، وأن حداثة الألفاظ تستوجب حداثة المعاني.

واللغات إنما تسمي الأشياء -أول مرة- بأسماء، تبين عن معانيها عند أهلها، كما سمى العرب الخيل خيلا، لما رأوا في مشيها من الخيلاء[1]، وكما يسمَّى الهاتف في الإنجليزية telephone بالنظر إلى أن الكلام فيه يكون عن بُعْد. وكلمة world الإنجليزية مشتقة من wer، أي: إنسان، وyld، أي: قديم، فالإنجليز، إذ سموا العالم هذا الاسم، إنما نظروا إليه من حيث مركزية الإنسان فيه. وأصل monde في الفرنسية moundus، وهي كلمة لاتينية مشتقة من اسم الفاعل movendus، وهو مشتق من movere، أي تحرُّك. فمعنى الكلمة الأول هو النجوم المتحركة أبدا في فلكها، ومعناها الثاني هو الكل المركب من السماء والأرض. هذا هو مصدر مفهوم العالم في تصور الفرنسيين، ثم يأتي بعده معنى البشر. و«العالم» في العربية مشتق من العلامة؛ لأنه في التصور العربي آية من آيات الله، وأثر من آثاره، ومَجْلى من مَجَالي جلاله[2]. ثم نُسِيَت تلك المعاني، وغدا المعتدُّ به هو الذات أو المعنى (الماصدق) الذي تدل عليه الأسماء الآن. فمن أراد الترجمة، وضع اللفظ الذي يدل على هذا المعنى في لغته مقابل اللفظ الذي يترجِم، غير ناظر إلى ما يعني أصل التسمية واشتقاقها في اللغة التي يترجم منها، فيضع الفرس مقابل horse، والبحر مقابل sea، والهاتف مقابل telephone، والعالم مقابل monde /world، غير ناظر إلى تطابق دلالتي الكلمتين في أصل اشتقاقهما، ولا إلى كونها مستعملة استعمالا مجازيا أو حقيقيا. فمن أبى أن يترجم world بـ «العالم»؛ لاختلاف اشتقاقهما، وما يدل عليه أصلهما، وأبى إلا أن يلتمس كلمة عربية، تدل على ما تدل عليه الكلمة الإنجليزية في الأصل، ألزم العرب أن يفكروا بعقل الإنجليز، والعربيةَ أن تستبدل بثقافتها ثقافة الإنجليزية. وكذلك الأمر في consonants، فهي الحروف التي ليست بحركات ولا حروف علة، والمراد بـ vowels الحركات الثلاث وحروف العلة، فهذان المعنيان هما اللذان يصدق عليهما consonants، وvowels، وإعراب بعض اللغات عنها بمفردات، تدل على بعض صفاتها لا يعني ألا تترجم تلك المفردات إلا بمفردات تدل على تلك الصفات بعينها.

---

(١) انظر: طبقات النحويين واللغويين، ٣٥ وما بعدها.

(٢) ما لا تقوله الكلمات، ١٧ وما بعدها.

وتَرْك تسمية الحرف بالصفة المشهور بها عند العرب إلى الصفة المعروف بها عند غيرهم من التخلي عن الثقافة العربية إلى غيرها، لأسباب غير مقنعة. ولعل الإنجليز لو ترجموا من العربية كتابا في الأصوات، لم يُسَمّوا «الحروف الصحيحة» إلا consonants، ولم يسموا «الحركات وحروف العلة» إلا vowels، ولم يسموا حروف الشدة إلا stops، أو plosive، أو explosive، ولم يسموا حروف الرخاوة إلا spirants، ولم يلزموا أنفسهم تطلُّب مفردات، يدل اشتقاقها على اللين، أو العلة، أو الشدة، أو الرخاوة؛ ليضعوها مقابل الاصطلاحات العربية. وكذلك فعلَ بعض اللغويين الذين اقترحوا أن يسمى telephone هاتفا، أو إريزا، أو مسرة، إنما أرادوا كلمة عربية تدل على هذه الآلة، غير ناظرين إلى أصل اشتقاقها الإنجليزي. وما لم تكن هذه هي السياسةَ المتبعةَ في التعريب كان حتما أن يتخلى العرب عن كل لفظ في العربية، يمكن أن يعرَّب به لفظ أجنبي، إلا أن يكون مفصَّلا عليه، دالا على معناه دلالة حرفية، ولسوف يعيدون تسمية جل المفهومات التي عرفت في تراثهم ليطابق إدراكهم إياها إدراك من يترجمون عنهم، فيُعْرِبوا عنها كما يعربون، بحيث لا تزيد تسميتهم على تسميتهم ولا تنقص، فذلك هو معنى أن تكون اصطلاحاتهم «دقيقة وعلمية»!

وإذا التُزِمت دلالة الاصطلاحات الحرفية في الترجمة، كان لزاما على اللغة المترجِمة أن تلزم فكر أهل اللغة المترجَمة، وأن تَفهم الأشياء كما يفهمونها، وأن تتقبل ما يصاحبها من دلالات فكرية وثقافية، وأن يكون حظها من العلم المتابعة، وأن تتنازل عن تراثها، إن كان لها تراث، وفهمها، إن كان لها فهم؛ لأن اللغتين إذا تكلَّمتا عن شيء واحد، فإنما تُبينان عن عالمين مختلفين، لا عن عالم واحد؛ لأن الشيء، وإن كان واحدا في نفسه، ليس واحدا في إدراك الناس، ولا في شعورهم، وهم إنما يسمون الأشياء بحسب ما يدركونها ويشعرون بها، وبحسب الجانب الذي يرون منها، فإن أبى المترجم أن يترجم اسمه إلا باللفظ الذي يدل على ذلك الجانب، ألزم أهل اللغة التي يترجم إليها أن يروا الوجود بالعين التي يراه بها غيرهم، وأن يتبدلوا بعالمهم الثقافي عالما آخر. فإن نظر إلى ما تصدق عليه التسمية، أتاح لأهل اللغة المترجِمة أن يعرفوا ما عند غيرهم من غير أن يتحولوا عن عقولهم، أو يعيدوا النظر في ثقافتهم، أو يروا

العالم بعيون غيرهم. وإذا استُلَّت اللغة من منبتها لتوافق لغة نبتت في منابت أخرى، فقدت الهيمنة على ما كانت تفصح عنه؛ «لأن الكلمات تحكي لكل منا حكايات مختلفة»[1].

ومما يستتبع عدم مراعاة هذا أن تكثر المترادفات في العربية كثرة مفرطة، لأن للماصدق في كل لغة لفظا، ينظر إلى جانب منه غير الجانب الذي تنظر منه ألفاظ اللغات الأخرى، وهي تبين عنه بطريق الحقيقة أو بطريق المجاز، وحتم على العربية أن تترجم الحقيقة وتترجم المجاز. ومما يجلِّي ضرر هذا تجلية لا مزيد عليها أن «البازي» يسمَّى في اللغات الأوربية بحسب ما يصيد من الطيور، في كل بيئة من بيئات اللغة، فيسمى في الإنجليزية goshawk (صقر الإوز)، وفي الفرنسية Autour des palombes (صقر الحمام المطوَّق)، وفي الألمانية Hühnerhabicht (صقر الدجاج). وسماه تراجمة العرب بهذه التسميات الثلاث (صقر الإوز، والصقر الإوزي، وصقر الحمام المطوق، وصقر الدجاج)[2]، وليس فيهم من سماه البازي، وهو اسمه العربي، أي إنهم ترجموا اللفظ، ولم ينظروا إلى الماصدق، فأوهموا أن التسميات تدل على ثلاثة طيور، لا على طير واحد؛ فحجبوا ما أرادوا أن يبينوا عنه، وأدخلوا في العربية ثلاثة أسماء جديدة مترادفة لطير واحد. وهذا دليل على قلة علم من يتصدون للترجمة[3]، كما يدل على ما تصنع الترجمة الحرفية من الإضلال عن المراد. وتسمي قبائل التوفا السيبيرية الثعابين «الديدان الطويلة»، و«سَمَك الجبال»، و«السَّمك الأرضي»، وليس في لغتهم لفظ يدل على الثعبان[4]. ولو جُعِلَت هذه العبارات الثلاث مقابل الألفاظ التي تدل عليها في لغة التوفا، توخيا للدلالة على معانيها الحرفية، لكانت الترجمة مضحكة، مضلة عما يريد التوفيون.

ونظرية عبد القادر الفاسي الفهري في ترجمة الاصطلاحات قد تحول بين القارئ وفهم المراد؛ لأنها تعيد تسمية المفهومات بما لا عهد للعرب به، وتضع اصطلاحات جديدة، تراعي فيها أن تكون موافقة لما تُترجم من

---

(١) ما لا تقوله الكلمات، ٧ وما بعدها.

(٢) خطر الترجمة في عصر الفرنجة، ٢٢.

(٣) السابق، ٧.

(٤) عند ما تموت اللغات، ٤٧.

الاصطلاحات الإنجليزية والفرنسية موافقة حرفية؛ فيتعذر على الذي لا يعرف الفرنسية والإنجلزية أن يفهمها؛ لأن الاصطلاحات «العربية» التي تُرجمت بها اصطلاحاتهما جرِّدت من معانيها، وحُمِّلت معاني أُخَر، ما كانت تدل عليها؛ من أجل ذلك نقرأ كثيرا من مفردات العربية الحديثة، فلا نفهم المراد منه؛ لأننا عهدناه يدل على غير ما استُعْمِلَ فيه، ولا نتبين العلاقة بينهما، كـ«الجدل»، فإن معناه في العربية: الخصومة، والنزاع، والحوار، ويعني في العربية الحديثة: التأثر والتأثير، فهو فيها بمعنى dialectique /dialectic، ولأنه مستعمل بمعناه في الفرنسية والإنجليزية لا يَفهم معناه هذا إلا من يعرفهما. وكذلك «المسطرة القضائية»، بمعنى الأحكام القضائية، لا يعرف معناها أكثر العرب، ولا يدري لم سميت مسطرة، ولا العلاقة بين المسطرة والأحكام، وإنما مأتى ذلك من ترجمة ruler (المسطرة) ترجمة حرفية، وهي تستعمل مجازا في الأحكام القضائية؛ لأنها ترسم الخطوط والحدود القضائية كما ترسم المسطرة الخطوط الهندسية، ولذلك يسمى القاضي في الإنجليزية أيضا رولر ruler؛ لأنه يقيم الأحكام. واستعمال المسطرة في القاضي والأحكام القضائية من آثار الترجمة الحرفية[1] التي لا تبين؛ فمن غير المعهود في العربية أن تستعمل المسطرة في هذين المعنيين حقيقة ولا مجازا. ولا يَفهم معنى «الاصطفافات» في قولهم: «غدت اللغة القومية عنوان الاصطفافات الإثنية والسياسية»[2] إلا من يعرف alignements الفرنسية؛ لأن الاصطفاف في العربية: مصدر اصطفَّ، أي انتظم صفا. وليس له معنى آخر، وكذلك قولهم: «النصوص المؤطرة»، أي النصوص المنظِّمة، فإن الإطار في العربية: ما أحاط بالشيء، والتأطير هاهنا يراد به التنظيم. ومن لم يعرف مقابل التأطير في الإنجليزية والفرنسية، لم يعرف معناه في العربية الحديثة. وكذلك «البنية العميقة»، و«البنية السطحية»، عند التوليديين، فإن هذين اللفظين غير معهودين في العربية، في هذا السياق، وإن كان ما يدلان عليه معروفا، هو: المعنى الذهني، والتركيب اللفظي الذي يدل عليه[3]، بيد أنْ

---

(١) اللغة الشاعرة، ٤٣.

(٢) مقاربات في المسألة اللغوية بالمغرب، ١١٦.

(٣) العربية الفصحى: مرونتها وعقلانيتها وأسباب خلودها، ٤٨.

لا سبيل إلى إدراك هذين المعنيين من هذين اللفظين؛ لأنهما يترجمان ترجمة حرفية لفظين إنجليزيين مستعملين استعمالا مجازيا، هما deep structure، و surface structure. من أجل ذلك يتعذر على الذي لا يعرف الإنجليزية أن يتبين المراد منهما. ولو ترجما بـ: البناء الذهني، والبناء الظاهر، إن كان لا بد من المحافظة على التعبير المجازي، لكان المجاز فيهما أوضح، وإدراك المراد منه أيسر، ولو سُميا بما يراد منهما حقيقة، كالنحو العقلي[1]، والنحو اللفظي، والبنية الظاهرة، والبنية المقدرة[2]، والبنية الداخلية، والبنية الباطنة[3]، والشكل والدلالة[4]، ما تردد عربي في فهمهما. بيد أن التراجمة لما عدلوا عن تطلب مراد تشومسكي من اللفظين، وما يدل عليه بالعربية، وتعلقوا بالدلالة المجازية عجزوا عن إيضاح مراده؛ فوقع في ترجمتهم من الغموض ما جعل فهْمهما يستعصي على كثير من القراء، وجعل كثيرا منهم يفهمونهما فهما مختلفا عما أراد[5]. صحيح أن سوء الفهم لم يسلم منه الأمريكيون، وأن مرد ذلك ليس إلى الترجمة، وإنما إلى أسباب أخرى، منها أن تشومسكي جاء بهما في جو ثقافي متأثر بالمذهب السلوكي في أول العقد السادس؛ فصار مفهوم «البنية العميقة» يشير إلى كل شيء خفي أو عميق، أو كلي، أو ذي معنى، ولم يمض زمن طويل حتى شاع الكلام عن البنية العميقة للإحساس البصري، والقصص، والأساطير، والشعر، والرسم، والتأليف الموسيقي[6]. وغموض الفكرة إذا صاحبه سوء الترجمة كانت معرفة المقصود أبعد؛ لأن جودة الترجمة رهْن بحسن فهم المترجَم، وامتلاك ناصية اللغة التي يُترجَم إليها. وهذا من أسباب أن الترجمات العربية تاهت فيها أيضا، ولم يكن فيها ما يعين على فهمها، فقد ترجم بعضهم البنية العميقة بالبنية الصورية، والبنية السطحية بالبنية المنجزة[7]، وترجم بعضهم البنية العميقة بالتكوين العميق، الذي يرتبط بمعنى الجملة، والبنية السطحية

---

(١) الغريزة اللغوية، ٢٩ و١٠٧.

(٢) فقه الفلسفة، ١/ ٧٠.

(٣) العربية الفصحى: مرونتها وعقلانيتها وأسباب خلودها، ٥٨.

(٤) أثر الترجمة في أسلوب التقديم والتأخير في القرآن الكريم (اللغة الإنجليزية أنموذجًا)، ١٤٥.

(٥) الغريزة اللغوية، (مقدمة المترجم)، ١٣.

(٦) السابق، ١٥١ وما بعدها.

(٧) السابق، (مقدمة المترجم)، ١٣

بالتكوين السطحي الذي تمثله الكلمات والعبارات المكونة للجملة[1].

ومثل ذلك «المتكلم السامع المثالي» (the ideal speaker, listener)، فإن المرء إذا سمعه صعب عليه أن يفهم المراد منه، ولو تُرجم ترجمة تتوخى المعنى، وتتوسل بالتراث العربي إلى إبلاغه لسُمِّي المتكلم بالسليقة. وما زال العرب لا يفهمون معنى «المدني» فهما دقيقا، ولا يدركون العلاقة بينه وبين المدينة، ويجدون بينهم وبينه حاجزا نفسيا، يمنعه أن يخلُص إلى قلوبهم كما تخلص إليها الكلمات التي يعرفون أصول معانيها، واشتقاقها، والعلاقة بين معانيها المجازية ومعانيها الحقيقية، إن كانت مستعملة استعمالا مجازيا. فلا يفهمون معنى أن يكون المدني ضد العسكري، ولا لم كان ضده، ولا لِمَ نُسب «الدفاع المدني» إلى المدينة، ولم سميت «الحماية المدنية» -كما تُسمَّى في المغرب العربي- حمايةً مدنية، ولا يعرفون المدينة التي نُسبا إليها، ولا معنى أن تسمى الإدارة التي تقوم على إصدار الوثائق الرسمية «الحالة المدنية»، و«الأحوال المدنية»، ولا يفهمون سبب تسمية الدولة مدنية، ولمَ كانت ضد الدولة الدينية، ولا يفهمون علاقة المدينة بهذا كله؛ وإنما وجد العارفون باللغات الأجنبية أهلها يقولون: citizen، وهي مؤلفة من city، وتعني مدينة، وzen، وهي علامة النسب، فترجموها بـ«المدني»، من غير أن يتبين بعضهم معناها الدقيق، ولا سبب نسبة ما يُنسَب إلى المدينة من هذه الكلمات ونحوها. وربما كان سبب ذلك أن «المدينة» كانت تعني عند اليونانيين القدماء الدولة؛ إذ كانت دولهم مدنا، كأثينة، وأيونية، وإسبرطة، وكانت الشعوب -غير الشعب الأتيكي- سكان قرى[2]، ولم تكن فيها دولة كبيرة. فإذا قالوا «المدينة» فإنما يعنون الدولة، وإذا نسبوا إليها فقالوا مدني، فإنما يعنون الشعب؛ لأنه هو أهل المدينة. وإذا فُهم تاريخ الكلمة، سهُل فهْم ما يُنسَب إليها اليوم، فمعنى الأحوال المدنية أحوال الشعب، ومعنى الدفاع المدني، والحماية المدنية الدفاع عن الشعب، وحماية الشعب. وإنما كانت الدولة المدنية ضد الدولة الدينية؛ لأن الدولة المدنية دولة الشعب، أي إنه هو الذي يحكمها، أما الدولة الدينية، فدولة رجال الدين،

---

(١) الفروق بين أحادي اللغة وثنائي اللغة من تلاميذ الصفين الثاني والثالث الابتدائي في بعض المهارات اللغوية، ١٩٧

(٢) محاولة في أصل اللغات، ٦١

لأنهم هم الذين يحكمونها. فالمدينة في العربية الحديثة تختزن جزءا من ثقافة اليونانيين وتاريخهم، صفر من ثقافة العرب وتاريخهم، من أجل ذلك لا يجدون بينهم وبينها نسبا ثقافيا، على شيوعها فيهم، وكثرة تردادهم إياها. ولما كان التراجمة الذين ترجموا كتب اليونانيين لا يحسنون اليونانية ولا يحسنون العربية، ولا يعرفون الفلسفة التي يترجمون، ولا يعرفون تاريخ اليونان ونظمهم السياسية، ولا يدركون الفرق بين دولة اليونان ودولة المسلمين، كان حتما أن تكون ترجمتهم ترجمة حرفية، لا تُبين. وتابعهم الفلاسفة، كالفارابي، فألَّف كتبا في السياسة، سمى أحدها «آراء أهل المدينة الفاضلة»، والآخر «السياسة المدنية»، مع أن الفارابي ما كان يعرف في زمانه دولة من مدينة واحدة، مع أنه كان في دولة بني حمدان؛ إلا أن بني حمدان كانوا يعدون دولتهم ولاية من ولايات دولة بني العباس، ليست لها سياسة مستقلة عنها، لا في فكرها، ولا في نهجها السياسي، ولم تكن ولاية بني حمدان مدينة واحدة أيضا، كما كانت الدولة في اليونان القديمة، ولا كان الفارابي ينظِّر لدولة بني حمدان، وإنما كان ينظِّر للدولة عامة، وآية ذلك أنه ابتدأ تأليف كتابه ببغداد، وأتمه بدمشق، وسئل أن يجعل له فصولا، تدل على قسمة معانيه، فعملها بمصر[1]. ولهذا نظائر كثيرة في العربية الحديثة التي لا تزيد على ترجمة حرفية لمفهومات فرنسية أو إنجليزية، تُخرَج من سياقها، ولا توضع في أوعية، تقربها من العرب، وتعينهم على فقهها.

وقد أحدثت هذه الظاهرة شيئا جديدا في العربية، هو «المعاني الدخيلة»، بعد أن كان الدخيل من الألفاظ وحدها. وترتب على المعنى الدخيل انقلاب في العربية، لا نظير له في المعروف من تاريخها، وأنْ صارت الكلمة العربية المستعملة في معنى حديث لا يُفهَم معناها حتى تفسر بكلمة إنجليزية أو فرنسية؛ لأنها إنما تستعمل بمعناها، فلا يَفهَم معنى «حولَ» في: «النقاشات حول السياسة اللغوية»[2] إلا من يعرف sur /about، ولا يفهم «المتصل اللغوي» في قول عبد القادر الفاسي: «يراعي الأبعاد الكتابية والشفهية للمتصل اللغوي

---

(١) كتاب آراء أهل المدينة الفاضلة، الفارابي (المقدمة) ١٠ وما بعدها.

(٢) السياسة اللغوية والتخطيط، ٢١.

العربي بين فصيحه وعاميه»[١]، إلا من يعرف العبارة الفرنسية أو الإنجليزية اللتين تقابلانها؛ لأن الاتصال في العربية ضد الانقطاع، وليس هو المراد في هذا الأسلوب ونحوه، كما أن «الأبعاد» ليس لها معنى في العربية إلا أنها جمع بُعْد، وهو ضد القرب، ولكنه يستعملها بمعنى الجوانب، وكذلك تُستعمَل في العربية الحديثة. وكذلك قولهم: على صعيد متصل، لا يفهم معناه إلا من يفهم: Dans le même contexte /on a related level. وقولهم: على صعيد آخر، فإنما هو ترجمة لـ De l'autre côté، وليس لهاتين العبارتين معنى في العربية أيضا؛ إذ كان الصعيد وجهَ الأرض، والتراب، وما ارتفع من الأرض، والموضع الواسع[٢]، وإذا حُملت العبارتان على هذا كان معنى الثانية منهما: على تراب آخر، أو على أرض أخرى، أو مرتفعٍ آخر، وكان معنى الأولى: على أرض متصلة، أو تراب متصل، أو مرتَفعٍ متَّصلٍ. وكذلك قولهم: أمر حيوي (vital)، وحيوية الخطاب (vivacité du discours). وقد تعوَّد الناس أن يفهموا ما يراد من هذه الأساليب وما شاكلها من أساليب العربية الحديثة من السياق الذي ترد فيه، دون نظر إلى اللفظ. وكان أوضح من هذا أن يقال: هذا أمر مهم، وأهمية الخطاب، فيفهم المراد منه من اللفظ، من غير أن تُجعل «الحياة» وما نُسِبَ إليها شرطَ الإبانة عنه؛ لأن الغربيين يتوسلون بها إلى الإبانة عن هذا المعنى. ولا يفهم معنى «الحَكامة» في لغة أهل المغرب العربي إلا من يعرف governmentality، ولا «تحليل الخطاب»، إلا من يعرف discourse analysis. من أجل ذلك يحرص بعض الكتاب على أن يفسروا كثيرا من المفردات والأساليب بمرادفاتها الأجنبية، كما تفسر الكلمة بالكلمة من لغتها، كأنما يقولون: مرادنا بالحكامة ما يريد الإنجليز والفرنسيون بـ governmentality، ومن تحليل الخطاب ما يريدون من discourse analysis؛ ليسهِّلوا على القارئ فهم ما أرادوا. ومن هذا تفسير عبد القادر الفاسي «المستوعبين» بـ assimilationist[٣]، لأن معناها لا يتبين إلا لمن يعرف معناها. من أجل ذلك كانت صعوبة لغة المغاربة على

---

(١) العربية الإستراتيجية والأمن.

(٢) انظر: المعجم الوسيط، (ص ع د).

(٣) السياسة اللغوية والتخطيط، ٢٠.

أهل المشرق؛ لأن في جوفها الفرنسية التي لا يعرفون، وهي إلى ذلك محذوة عليها، ويسهل منها على أهل المغرب الذين يعرفون الفرنسية ما يصعب على أهل المشرق.

وتابع عبد القادر الفاسيَّ الفهريَّ أو وافقه في نظريته في ترجمة الاصطلاحات بعض اللغويين المحدثين، كمحمد معموري، فقد كان مما اقترح لـ«تجديد» النحو العربي استبدال اصطلاحات مترجمة من الأنحاء الغربية باصطلاحاته، كتسمية الفاعل المنفِّذ، والمفعول به الضحية، والفعل اللازم الفعل اللامنصوب، والفعل القاصر الفعل اللاأركتي. وإدخال اصطلاحات من الأنحاء الغربية لوصف أساليب دخيلة في العربية، كـ«الموضوع الضمني»، و«البناء لغير الفاعل القصير»، و«البناء لغير الفاعل الطويل»، و«البناء لغير الفاعل اللاشخص»، و«البناء لغير الشخص»، والبناء لغير الفاعل الربطية»[1]، وقبول الأساليب الدخيلة، كتقديم المضاف إليه على المضاف، وذكْر الفاعل ونائبه مع الفعل المبني للمجهول، وذكر واو العطف مرة واحدة قبل المعطوف الأخير، إذا تعددت المعطوفات، كما تفعل الإنجليزية والفرنسية، وفك الإدغام حيث يجب[2]. وهي مقترحات لا يخفى ما فيها من المسخ: مسخ اللغة في نفسها بحذوها على الإنجليزية والفرنسية، ومسخ اللغة التي توصف بها، بحذوها على اللغة التي يوصف بها نحو الإنجليزية والفرنسية. لقد غدا العرب عند بعض الكتاب والتراجمة الذين لا يجيدون العربية مخيرين بين أمرين، أحلاهما مر: أن يكتبوا لهم بعربية، لا يفهمونها، وإن كانوا يعرفون ألفاظها؛ لأن ألفاظها محرفة عن مواضعها، ومبنية على غير بنائها، وأن يكتبوا لهم بلغة غير عربية، من قبيل الطوبولوجية، والأنطولوجيا، وأركيولوجية، وسوسيو-لسانية، وسوسيو-نصية، وسوسيو-تربوي، وميتا-لغة، وميتا-لسانيات، وميتا-نقد، إلخ، ومن الكثير أن يجمعوا لهم بين هذه وتلك. وكلها مسخ للعربية، أما أولاهما، فمسخ لدلالة الكلم وبناء الجمل، وأما الأخرى، فاستبدال للكلم الأعجمي بالكلم العربي، أو تهجين له، والنتيجة واحدة في الأحوال الثلاثة: ألا يفهم العرب ما يقرؤون من

---

(١) التبعية اللغوية أساس التخلف الشمولي، ١٥.

(٢) السابق، ١٤.

العربية المعاصرة؛ لأنه ليس بعربي.

وهذه النظرية في الترجمة من أسباب صعوبة فهم كثير مما يكتب بالعربية المعاصرة ويترجم إليها. ومن الأمثلة على الكلام الذي لا يُفهَم بسببها قول عبد القادر الفاسي الفهري: «المدخل المعجمي عبارة عن مركَّب مُبَنْيَن سِلْمياً، يُمثِّل السمات النحوية، والسمات الدلالية، والمميزات، وقيود التوارد، وتقوم قواعد الإسقاط أساسا بعملية ملغمة (amalgamation)، أو ضمٍّ، وهي تنطبق على السامة المركبية (phrase marker) من أسفل إلى أعلى طبقا لمبدأ التأليفية (compositionally principle)، والناتج عن تطبيق قواعد الإسقاط هو سامة مركبية محملة بقراءات كل عجرة (node) بما في ذلك أعلى عجرة، أي ج (جملة)»[1]، «ومشكل الجانب التعبيري للغة هو، دون شك، مشكل نسبي، إذا قورنت الطاقة التعبيرية للغة معينة بالطاقة التعبيرية للغة أخرى. وهذا يستدعي الوقوف على العلاقة بين الجهاز الاصطلاحي (والمفرداتي بصفة أعم) الذي توفره اللغة وبين التيار المعلوماتي (the flow of information) الذي تساعد على التقاطه، وكذلك الوقوف على افتراض النسبية اللغوية (linguistic relativism) لتبرير التدخل. وهذا الجانب قد يقود إلى مغالطة ثالثة، تكمن في تصور خاطئ للعلاقة بين اللغات بصفتها أجهزة تعبيرية»[2]، ومتعددة المواد (multidisciplinary)، وبينية المواد (interdisciplinary)، و«لتقرر فيما يوحد اللغات أو كلياتها (universals)، وما تختلف فيه عبر وسائط (parameter values)»[3]. فهذا الكلام لا يفهم منه إلا الألفاظ دون ما يراد بها؛ ولذلك خفي معناه الكلي، كما خفيت معاني ألفاظه في السياق الذي وردت فيه، فـ«التيار المعلوماتي» عبارة غير عربية، وإن كانت «التيار» وحدها، و«المعلومات» وحدها عربيتين. وسبب عدم عروبتهما أنهما رُكِّبتا لتقابَل بهما العبارة الإنجليزية: the flow of information، من أجل ذلك كان فهمهما متوقفا على فهمها، وفهم معناها المجازي. ومقابلة المفردات والعبارات «العربية» بمفردات وعبارات

(١) اللسانيات واللغة العربية، ١٩٦.

(٢) السابق، ١٨٥.

(٣) أزمة اللغة العربية في المغرب، ١٢.

إنجليزية لا تعين على فهمها إلا مَنْ يعرف الإنجليزية، وهي بمنزلة أن يقال: إذا لم تفهم معنى «التيار المعلوماتي»؛ لأنك لم تألفها في العربية، فإنها بمعنى the flow of information، في الإنجليزية، وأنت تعرفها، أو ينبغي أن تعرفها، فإن كان لا يعرفها، تعذَّر عليه الفهم. وكذلك «النسبية اللغوية»، وما فسرها به: linguistic relativism، لا تُفهم من حيث هي عبارة عربية، تدل كل كلمة منها على معنى عربي معروف، وإنما تُفهَم من حيث هي عبارة إنجليزية، كتبت مرة بحروف عربية، ومرة بحروف لاتينية، لكن الحروف العربية لم تعرِّبها، ولا قرَّبتها إلى العرب؛ لأن المعنى الذي حشيت به ليس هو معناها في العربية، وإنما هو معنى الكلمتين الإنجليزيتين: linguistic relativism. وكذلك قوله: «وقد ساهم التعريب في تقوية عناصر البينية اللغوية بالمغرب، بناء على المتصل اللغوي بين المدرسة الفصيحة والدارجة المغربية، واللغة الوسيطة المتداولة بين المثقفين المتمدرسين»[(١)]، «ضَعْف وظيفيات اللغة الوطنية الرسمية في الاستعمال»[(٢)].

ولو أراد تقريب المراد لالتمس اصطلاحات عربية، تبين عن هذه المفهومات، فلما لم يفعل -لأنه يرى الرأي الذي أشرنا إليه آنفا، أو لا يعرف من العربية ما يبين به عن هذه المفهومات- حال بين قارئه وفهم المراد، ولم يجد القارئ الذي لا يعرف الإنجليزية فرقا بين العبارة، تكتب بحروف عربية، والعبارة تكتب بحروف لاتينية. لكنْ ما ذا أفاد العرب من معرفة غامضة مختلطة، غير واضحة لمنتجها، ولا لقارئها، ولا لمترجمها؟ ولـمَ يُقْدِم المترجمون على ترجمتها، إن كانوا لا يفهمونها؟ وهل يمكن أن تنتج إلا التعالم، وشَغْل الناس بما لا غَناء فيه، وإيهامهم أنهم يفهمون ويعرفون ما لا يعرفون؟ وهل صنعوا بترجمتهم غير فتنة الطامحين إلى الشهرة والتصدر، وشَغْلهم بغثاء من الأفكار الغامضة التي لم تصنع معرفة، ولا تقدما، وإنما أخَّرت، وحقَّرت النفس والتراث إلى أهلهما، وعلَّقت القلوب بمن ترجمت عنهم، واستعبدتها لهم؟ وهل يمكن أن يبنى العلم والحضارة والتقدم على شيء كهذا؟! ويبدو أن الغموض والصعوبة اللذين يجدهما العربي فيما يُكتب بالعربية الحديثة يجدهما غيره أيضا فيما

(١) أزمة اللغة العربية في المغرب، ١٥.
(٢) السابق، ١٧.

يُكتَب بغيرها من اللغات، في بعض المجالات العلمية، كما يبدو من قول أحدهم: «تخبرنا السيميائية عن أشياء نعرفها، لكنْ بلغة لن نفهمها أبدا»[1]، بيد أن هذا لا يعذر العربَ فيما يأتون، فقد كان في وسعهم أن يتجنبوا ما يقع فيه غيرهم، لو كان لهم من الاستقلال عنه، والمعرفة بتراثهم والفقه بما يترجمون ما يكفي. فلما لم يكن ذلك كان لزاما أن يكون عملهم بما ذكرنا من السوء، وهو وجه آخر من وجوه الاتباع والمماثلة اللذين هما أظهر شيء في علاقة الثقافة العربية الحديثة بالثقافات الغربية.

والعربي الذي يرى «القراءة» في كتب النقد الحديث أولَ مرة يتعذر عليه أن يفهم معناها، لبُعْد ما بينه وبين معناها في العربية. وكل ما يمكن أن يُلتمَس من العلاقة بينهما أن المرء إذا أعاد قراءة الشيء ربما فهمه فهما يختلف عن قراءته الأولى، لكن ذلك ليس بمتعين، فقد يقرؤه، فلا تُجدُّ له القراءة غير ما كان قد فهم. وإذا قرأ «البنية»، و«البناء» لم يتبين معناهما (النظْم)، كما يتعذر على قارئ الفلسفة أن يفهم معنى «القيمة». ومأتى تعذُّر الفهم من أن القارئ يفهم من المفردات ما عهد من معانيها العربية، لا معاني المفردات الأجنبية التي تُترجم بها ترجمة حرفية، فهو لا يفهم معنى «القراءة» في العربية الحديثة؛ لأنها بمعنى lecture /reading، أي: التأويل، والتفسير، وما يعرف من معاني القراءة في العربية هو: التلاوة، وتتبع الكلمات بالنظر مع النطق بها أو عدمه[2]، ولا يعرف معنى «القيمة»؛ لأنها بمعنى valeure / Value، أي: الميزان الأخلاقي الذي تقوِّم به المجتمعات الأشياء، ومعناها الذي عهد في العربية هو: قدْر الشيء. وتُترجم Structuralisme Génétique بالبنيوية التوليدية والتكوينية، ويتعلل الذين يترجمونها بها بأن النص الذي يُدْرَس دراسة بنوية يتولد ويتكون من مرجعه الاجتماعي. وإذا كان الفرنسيون يفهمون التولد والتكون من Génétique؛ لأنها مشتقة من Gens، الدالة على الميلاد، والتناسل والتوليد، والنَّسَب، والسلالة[3]، فمن العسير على العربي أن يفهم ما يراد من اللفظ في السياق النقدي الذي يَرِد

(١) أسس السيميائية، ٤٢.
(٢) المعجم الوسيط، (ق ر أ).
(٣) إشكالية المصطلح في الخطاب النقدي العربي الجديد، ١٤٩.

فيه، وعسير عليه أن يفهم سبب اشتقاقه من التولد والتكون ما لم يُشرَح له، وقلّما يُعنى من يستعملونهما بشرحهما، ومن الكثير أن يقدِّروا أن القارئ يفهمهما دون شرح، وهو تقدير في غير محله، فجل العرب لا يعرفون غير العربية. ويقال مثل ذلك في «النحو التوليدي، ترجمة لـ Grammaire Générative / Generative Grammar. ويكثر هذا في النظريات النقدية والدراسات اللغوية الحديثة، وتكثر فيها الاستعارات الغريبة، التي يعسر فهمها، لصعوبة تبين العلاقة بين المجاز فيها والحقيقة. يستوي في ذلك القارئ العادي والقارئ المثقف[1].

وكذلك «المحور التركيبي»، و«المحور الاستبدالي»، فالمحور في اللغة: ما يدور عليه الشيء، كالحديدة التي تدور عليها المحالة، ووجه استعمالها في هذا المعنى غير بيِّن. وربما كان أمثل منهما «خيار التركيب»، و«خيار الاستبدال»، على عدم وضوحهما أيضا؛ لأن المراد بهما هو أن النص يمكن أن يركَّب على وجوه شتى، ولكن الأديب يختار واحدا منها دون سائرها، وعنده خيارات شتى في استعمال المفردات، لكنه يؤثر بعضها على بعض، وعلى قدر بلاغة التركيب، وحسن إيقاع الكلمة في موقعها، يقلُّ إمكان استبدال غيرها بها؛ لأنه لا يقوم مقامها في حسن البيان. غير أن التراجمة -لما كانوا لا يفقهون ما يقرؤون باللغات التي يترجمون منها، ولا يتملَّكون العربية تملُّكا يمكِّنهم من تطويعها للإعراب عما يترجمون، وبعضهم يرغب في التعمية والغموض المعتادين في الدراسات اللغوية والنقدية الحديثة؛ لأن الوضوح يُظهِر أن بعض ما يقال بديهي، كالمحور الاستبدالي، فقد أبدأ فيه البلاغيون وأعادوا، فيما قالوا في قضية النظم -عمدوا إلى ترجمة هذين المفهومين بالمحور التركيبي والمحور الاستبدالي، وهما غامضان؛ لما في «التركيب»، و«الاستبدال» من العموم والاشتراك، وما في استعمال المحور استعمالا مجازيا من غموض. وهو شيء يُذكَر مثله عن الفلاسفة، فقد قال أحدهم: أراد الفلاسفة ليفسروا -على وفق قواعد منطقهم- أشياء جلية، واضحة، فلم يستطيعوا إلا أن يجعلوها أشد غموضا[2]. ومنهم من يتعمد تغريب الاصطلاح، فيبقيه بلفظه الأجنبي، كالسيميوطيقا، والبويطيقا،

(١) المرايا المحدبة، ٣٧.
(٢) الفلسفة واللغة، ٣٩.

والأنطولوجيا، أو يهجنه، بأن يركِّبه من لفظين: عربي وأعجمي، كـ«ميتانقد». وقد كثرت هذه الأنواع من الاصطلاحات كثرة، جعلت النقد العربي يستعجم، ويستبهم كثير من مفهوماته على جل المخصين في العربية وآدابها[1].

وإذا قرأنا «النظام» و«النسق»، تعبنا في تبيُّن معناهما، فإذا تبين أنهما يعنيان النظْم والتأليف في التراث العربي، وأعدنا قراءة ما كنا قد قرأنا، بعد أن تبين لنا ما كان يحول بيننا وبين فهمه، تبين أننا نقرأ بديهيات، وتحصيل حاصل، وترداداً لما نعرف في البلاغة العربية، وإذا الذي جدَّ في القضية التي ملَّ الأولون تبيانها بألفاظ واضحة هو التعمية والغموض المتعمَّدان، أو العاجزان عن البيان، لعدم تملُّك صاحبهما ما يريد قوله، أو عدم تملكه اللغة التي يخاطبنا بها. ونصدَّع بكلمات من قبيل «التعاقبي»، و«الاستبدالي»، فلا نفهم معناهما، فإذا وجدنا من يجعل مكانهما الجوار والاختيار، تبيَّنَّا أننا إنما نسمع جعجعة، ولا نرى طِحنا، وإنما ذلك من تنكُّب الاصطلاح العربي الشائع الذي يفهمه جل العرب، والمتخصصون منهم جميعا إلى اصطلاح أجنبي، أو اصطلاح، هو ترجمة حرفية لاصطلاح أجنبي. ويعتذر بعضهم لهذا الصنيع بما لا عذر فيه، كما فعل محمد العمري إذ استعمل «ميتا» (méta) بلفظه الأعجمي، على ما فيه من غموض، ولم يترجمه[2]. وقد استقرَّ العرب منذ زمن بعيد على ترجمة «الميتا» بـ«ما بعد»، و«ما وراء»، فقالوا: ما بعد الطبيعة، وما وراء المادة. ومن لم يعرف معنى «ما بعد»، و«ما وراء»، فلن يعرف معنى «ميتا». ورأيت بعضهم يجعل مكان «ميتا نص» النصاني[3]، و«الميتا دلالية»، الدلالية[4]. وإذا كان بعض الكتَّاب يؤثر الإدخال على الترجمة، على عدم الحاجة إليه، وعلى ما فيه من ضرر، فمن غير البيِّن ما يحمل على الإبقاء على التركيب الخلاسي، ولا لم لا يأخذه بلفظه الأعجمي كله.

ويزيد الإبَّالة ضغثا، والطينَ بِلَّةً ما يصيب الاصطلاح من فوضى، تُشعر بأن لكل باحث مذهبا أو لغة تخصه. ويتعزى بعضهم عن ذلك بأنه ظاهرة

---

(١) تغريب المصطلحات النقدية والبلاغية، ٧.

(٢) البلاغة والأسلوبية: نحو نموذج سيميائي لتحليل النص، ١٠.

(٣) الصورة الأدبية وخصائصها اللغوية بين البلاغيين والأسلوبيين، ٢٨٢.

(٤) السابق، ٢٨٤.

عامة، تعانيها الثقافات كلها، ومنها الثقافة الغربية[1]، وإذا اختلف المرجع (الغرب) اختلف الناقلون عنه، لا محالة[2]. ومن آثار تخالف الناقلين أننا نقرأ الاصطلاحات المتعددة، للمعنى، فيداخلنا الشك فيما تدل عليه، وهل هي مترادفة، أو متباينة، ويحول ذلك الشك الذي لا نكاد نجد من يقطعه دون فهمنا معنى الاصطلاح، كاصطلاح Linguistics General، فقد زادت ترجماته على عشرين، كاللسانيات، واللسنيات، واللغويات، وعلم اللغة، إلخ[3]، وتُرجمت Syntanatic بالسياقية، والخطية، والأفقية، والنسقية، والضميمية، والتراصفية، والترابطية، إلخ. وتُرجم Paradigmatic بالاستبدالية، والاختبارية، والجدولية، والإيحائية، والرأسية، إلخ. وترجم Semiology بالسيميولجيا، والسيميوطيقا، والسيميوتيك، وعلم الإشارات، والإشاراتية، وعلم العلامات، والعلاماتية، وعلم الأدلة، والسيميائية، والسيميائيات. وترجم Poetics بالإنشائية، وفن الشعر، ونظرية الشعر، والشاعرية، وقضايا الفن الإبداعي، وعلم الأدب، وصناعية الأدب، ثم استقرَّ على «الشعرية»[4]، إلخ. وإن كان بعض هذا التعدد ربما أعان على فهم المراد، لأن بعض الاصطلاحات أوضح من بعض، فلو أن التراجمة وَكَلونا إلى السيميولوجيا والسيميوتيك، وعلْم الإشارة، وعلم العلامات، وعلم الأدلة اللغوية، والدلالية، والسيمياء، ما عرفنا ما أرادوا، ولا العلاقة بين اللفظ وما استعملوه فيه، غير أننا حين نجد من يسميها «علم الرموز»[5]، نستريح قليلا، ونطمع في أننا قد نفهم معاني تلك المعمَّيات؛ فإن معنى الرموز واضح. وقرأنا «التناص»، والنصنصة، فما علمنا ما هما، حتى وجدنا من يسميهما «تداخل النصوص»، ترجمة لـ (Intertextuality)، و«تنادي النصوص»[6]، ترجمة لـ contextualization، فأنقذنا الاصطلاح المغمور من الجهالة التي أوقعنا فيها الاصطلاح المشهور، مع أن المغمور كان أولى

(١) المصطلح اللساني النقدي، ٢٤٨ و٢٥٨، وانظر: تغريب المصطلحات النقدية والبلاغية، ١٢ وما بعدها.
(٢) السابق، ٢٥٦.
(٣) انظر: بحوث مصطلحية، ١٧٣ وما بعدها، وتغريب المصطلحات النقدية والبلاغية، ٢٥.
(٤) تغريب المصطلحات النقدية والبلاغية، ٢٥ وما بعدها.
(٥) إشكالية المصطلح في الخطاب النقدي العربي الجديد، ٢٢٩.
(٦) المترجم طليقا، ٨٠.

بالشهرة، لولا كلَف بعضهم بالغموض الذي قد يكون من دواعيه الحرص على اللفظ المفرد، وإن كان غيرَ مبين. وهذا يدل على أن الشيوع ليس له منطق سوى كثرة التداول، وأن ترك اللغة تسير كيفما اتفق، من غير تخطيط، جدير بأن يفسدها، كما أُفسدت العربية الحديثة بهذا ونحوه. و«تداخُل النصوص» أدق دلالة على الاصطلاح الأجنبي وأدنى إلى معناه الحرفي من «التناص»، فإنه مصدر تناصَّ القوم، أي: ازدحموا[1]. وليس في معاني هذه المادة (ن ص ص) ما يدل على «تداخل النصوص»، فإن ما فيها من الأفعال الزائدة على ثلاثة أحرف غير «تناصَّ» هو ناصَّ غريمه ونصَّصه (استقصى عليه وناقشه)، وانتصَّ الشيءُ: ارتفع واستوى واستقام، وانتصت العروسُ: قعدت على المنصة[2]. ثم إن «تفاعل» يدل على المشاركة، وما تشترك فيه النصوص من الألفاظ والمعاني لا يبين عنه هذا الفعل، كما يبين «تناطح» -مثلا- عن أن المتناطحين فعل كل منهما بالآخر من النطح مثل الذي فُعل به، وكل ما يمكن أن يُفهَم منه أن النصوص فعلَ كل واحد منها بالآخر من النص مثل الذي فُعل به، وهو أمر لا معنى له، وإن راق مَنْ صنع هذا الاصطلاح لفظُه، وراق مَنْ سمعه، فاستحسنه، على غير بصيرة، وكثيرا ما يقع هذا في الاصطلاحات الحديثة، إذا وضعها غير ذي علم بالعربية. أما «تداخل النصوص»، فيعني أن النصوص دخل كل منها في الآخر. ونقرأ «الشعرية»، فلا ندري ما يراد بها، حتى نجد من يسميها بويطيقا، كما كانت تسمى في اليونانية، ويقول إن المراد بها ما ترجمه العرب الأولون بـ «بفن الشعر». ونقرأ «الانزياح»، و«الخروج»، فلا ندري الخروج من ما ذا، ولا الانزياح (الزوال والتباعد) عن ماذا، ثم يتبين لنا بعد طول تأمل، ونظر في الأمثلة أنها تعني المجاز بمعناه الواسع، وكانت تسميته «التغيير» كما فعل ابن رشد[3]، و«الانحراف» و«العدول»، كما فعل شكري عياد[4]، أولى من هذه الاصطلاحات الغريبة، ولا سيما الانزياح؛ لأن غاية الكلام البيان، لا التعمية، وأجدر الكلام بالإبانة ما أُلِف، ولا سيما أن الذي يُعْدَل عنه أخف وأقصر،

---

(١) المعجم الوسيط، (ن ص ص).

(٢) الموضع السابق.

(٣) تلخيص كتاب الشعر، ١٢١ وما بعدها.

(٤) اللغة والإبداع: مبادئ علم الأسلوب العربي، ٧٨ و٨٦، ومدخل إلى علم الأسلوب، ٢٨.

والـذي يُعـدَل إليـه بعكسـه. ونقـرأ «الـكلام» فيمـا يُترجـم من علـم اللغة، ولا سـيما كتـب سوسـير، ترجمـة لــ parole، فيعسـر علينـا تصـور معنـاه؛ لأن أشـهر معانـي الـكلام فـي العلـوم العربيـة اللفـظ المركـب المفيـد، والتكليـم، كقـول الشـاعر:

قالـوا: كلامـك هنْدًا، وهـي مصغيـة، يَشـفيك؟ قلـت: صحيـح ذاك، لـو كانـا

فـإذا تبينـاه بعـد طـول شـرح وموازنـة بينه وبيـن «اللغة»، تبيـن أن ترجمـة parole بالتكلـم كانـت أولـى مـن ترجمتـه بالكلام، فـإن دلالة التكلـم على الفعـل والحدث أصـرح مـن دلالـة الـكلام الـذي هـو مـن المشـترك اللفظـي، وليـس «التكلم» أشـهر معانيـه، وقـد ترجمَـه شـكري عياد بالقـول والأداء[1]، وهـي ترجمة أدلُّ علـى المراد مـن «الـكلام» الـذي فيـه مـن اللبس مـا لا يخفى.

ويعدلـون عـن «التنـاول»، و«المعالجـة»، و«المنهـج»، و«الدراسـة»، إلـى «المقاربـة» ترجمـة لــ approach مـع أنهـا لا تعنـي أكثـر ممـا تعنـي هـذه الكلمـات، ولا شـيء، يسـوِّغ اسـتحداث اصطـلاح جديـد فـي العربيـة مـا دام فيهـا مـا يغني عنه، وإن كان بعـض القـراء يظـن أن اسـتحداثه يـدل علـى علـم وتبحـر فـي المذاهـب الحديثـة[2]. ولا يفهـم العربي معنى «المقاربـة» إلا أن تكون مصدر «قارب»، بمعنى اقتـرب، ودنـا، فـإن أُريـد بهـا مـا يريـد الإنجليز والفرنسيون بـ approach، فليسـت تـدل عليـه فـي العربيـة، ومـن المتعـذر أن يُفهَـم المـراد منهـا، مـا دام المعنـى الـذي حُمِّلتْـه ليس ممـا تـدل عليـه في العربيـة، حقيقة ولا مجـازا. فقـول الكاتـب العربي المعاصـر: «مقاربـات فـي اللغـة»، و«المقاربـات بالكفايـات»[3] يُرادف: أبروشـات فـي اللغـة، وأبروشـات بالكفايـات، ولمـا كان مـن غيـر المتوقـع أن يفهـم العربـي الـذي لا يعـرف الإنجليزيـة والفرنسـية معنـى «أبروشـات»، كان مـن غيـر المتوقـع أن يفهـم «المقاربـات»، وإن كانـت حروفهـا عربيـة. ويمكـن أن يقـال إن تنـاوُل الموضـوع، وبحثـه، اقتـراب ودنـو منـه، وعلـى هـذا يمكـن أن تسـتعمل «المقاربـة» فـي معنـى البحـث، لكـن مـن المهـم أن يقـال: إذا كان «البحـث»، و«المنهـج»، و«التنـاول» تـؤدي هـذا المعنـى أداء لا لبـس فيـه، والعـرب كلهـم يعرفونهـا، وهـي

(١) اللغة والإبداع، ٤١، ومدخل إلى علم الأسلوب، ٢٨.
(٢) ترجمة المصطلحات الأدبية وتعريبها، ١٠٩، والمصطلحات الأدبية الحديثة، ٧ وما بعدها.
(٣) مقاربات في المسألة اللغوية بالمغرب، ١٢٨.

المعهودة عندهم، فلا محوج إلى العدول عنها إلى مجهول. إن المسوغ الأوحد الذي يمكن أن يسوَّغ به ذلك هو أن الفرنسيين والإنجليز يقولونه!

وبسبب هذا التبديل في دلالة الكلم غدا العرب يتكلمون الفرنسية والإنجليزية بحروف عربية، وغدا العربي ملزما أن يعرف لغة أجنبية؛ ليفهم «العربية الحديثة». وانظر -مثلا- أحد عنوانات مجلة «عالم التربية» المغربية: «المسألة اللغوية بالمغرب والعالم العربي: المقاربات البيداغوجية والديداكتيكية»: فقد وزع العنوان بين العربية والفرنسية، فجعل الألفاظ العربية ترجمة حرفية لمفردات فرنسية، إلا «اللغوية، والمغرب، والعالم العربي»، أما «مسألة»، فترجمة لـ problem، أو question، وأما «مقاربات»، فترجمة لـ approaches، غير أن الكلمات المترجمة ترجمة حرفية تساوي في عدم وضوح معناها الكلمات الدخيلة التي أبقيت بألفاظها (البيداغوجية، والديداكتيكية). وقد شكا كل مَن قرأ هذه الاصطلاحات مما فيها من غرابة، وإيحاء متعمد بأنها تدل على معان بالغة العمق، تخيف القارئ غير المختص في النقد والفلسفة وعلم اللغة، وشكوا من الإلحاح عليها، والزج بها في كل مجال[(١)]، وعللوا ذلك بأن النقد العربي الجديد يَستعمل الاصطلاح الغربي دون أن يحدد مدلوله في نظام اللغة والثقافة العربيتين. وعدمُ تحديد المدلول يعني أن البحْث غير مكتمِل من الناحية النظرية، كما يعني صبْغَ بعض عناصره بالغموض، وأن الناقد أو الباحث قد استعمله استعمالا شكلياً، بأساليب عشوائية، وأوضح صور الشكلية والعشوائية عدم ردِّ الاصطلاح إلى أصوله الثقافية المنقول منها، وعدم إدخاله في المُفردات العربية المنقول إليها[(٢)]. وشكوا من أن أصحابها لا يكترثون بالقراء، ولا يحرصون على إفهامهم، كأنما يخاطبون أنفسهم أو من يعرفون ما يعنون، وكأن المهم عندهم في الاصطلاح هو استعماله، لا بيان معناه، وهو أمر يتفق عليه أكثر نصوص النقد العربي الجديد[(٣)]. وشكوا ما تركت من آثار سيئة في البحث العلمي، إذ أصبح بعض الطلاب يكتبون ما لا يفهمون، وهم

---

(١) المصطلحات الأدبية الحديثة، ٥.

(٢) مفهوم المرجعية في المصطلح.

(٣) إشكاليات المصطلح الغربي في ثقافتنا المعاصرة، ١٣

يظنون أن له معنى، فإذا استعملوا ما كتبوا فيما يظنون أنه معناه ناقض أحدهم نفسه، أو لم يدر ما يقول. واستفحل الأمر حتى غدا إحدى محدثات العصر. وهذا من أسباب إعراض بعض المثقفين عما يُكتب بهذه اللغة، واقتصارهم على كتب التراث؛ لأنهم يفهمونها، ويمكنهم أن يفهموا ما أشكل عليهم من أساليبها ومفرداتها بالرجوع إلى المعجمات، ويصعب عليهم إذا لم يفهموا الأسلوب أو الكلمة من العربية الحديثة، أن يجدوا ما يعينهم على فهمهما. ومن أراد معنى اصطلاح أو عبارة من هذه الاصطلاحات والعبارات «المفرنجة»، لم يصبه في معجم من المعجمات العربية، وإنما يصيبه في المعجمات الإنجليزية أو الفرنسية، بعد أن يردَّهما إلى أصلهما الإنجليزي أو الفرنسي[1]، فمن أراد أن يعرف معنى «مدرسة»، بمعنى مذهب، في العربية الحديثة، و«قوات»: بمعنى جيش، و«الأسنان اللبنية» بمعنى الرواضع، و«الكلام» بمعنى الأقوال، وجب أن يبحث عنها في معجم إفرنجي، في هذه المواد: school، forces، milk teeth، parole؛ لأن «المدرسة» في المعجمات العربية لا تدل إلا على مكان الدرس، وتدل «القوة» على ضد الضعف، أما «الأسنان اللبنية»، فلن يجدها في معجم عربي، وأما «الكلام»، فإنما يدل على التكلم، واللفظ المركَّب المفيد، وإنما مظنة هذه المعاني المعجمات الإنجليزية والفرنسية، فهي التي تستعمل الألفاظ التي بمعناها. غير أنه لا بد أن يعاني صعوبة أخرى، إن كان لا يعرف لغة أجنبية، هي ما الألفاظ الأجنبية التي هذه ترجمتها؟ فإن كان يعرف لغة أجنبية، فلسوف يتبين سريعا أن هذه الكلمات ليست إلا ترجمة حرفية لكلمات يعرفها من تلك اللغة.

وغني عن القول أن العربية إذا دامت على هذا النحو صارت لغة أجنبية، وصارت مفرداتها وأساليبها مرادفة لمفردات الإنجليزية والفرنسية وأساليبهما مرادفة حقيقية، ونُزعت منها الظلال والدلالات الثقافية، وكل معنى غير المعنى المعجمي، وصار فهم دلالتها مشروطا بمعرفة ما جُعلت مرادفة له من تينك اللغتين؛ لأنه أشهر في لغة «العلم»، والصحافة، والإعلام. وهذا يعني أن ينقسم المجتمع العربي فريقين: تراثي، لا يعرف إلا ما تدل عليه الألفاظ العربية العريقة،

---

(١) خطر الترجمة في عصر الفرنجة، ١٨.

وحداثي، لا يفهم من الألفاظ «العربية» إلا ما يَعرف مِنْ مرادفاتها الأجنبية، ولا يفهم من يحرصون على الخروج من هذا الحصار ما يكتب ويترجم إلا بشق الأنفس، وإذا فهموه لم يفهموه إلا منقطعا عن تراثهم. كما يعني أن تصير العربية عربيتين، عربية أصيلة، وعربية دخيلة، تشتركان في الألفاظ دون المعاني. ولغةٌ، تبدَّلت أساليبها ودلالات كلمها، حتى صارت لا تبين إلا عن دلالات كلم لغة أخرى لُغة أجنبية، وإن بقيت ألفاظها، كما تبقى مباني المدن المحتلة التي هجرها أهلها فاحتُلَّت، فاستُعملت في غير ما أُنشئت له، كما تصيَّر المساجد إصطبلات، أو متاحف، أو كنائس، والمدارسُ ثكنات عسكرية، والمستشفيات سجونا. وهذا من أسباب الإلحاح على إتباع العبارات والمفردات المكتوبة بحروف عربية مرادفاتها الأجنبية؛ فقد غدت بمنزلة القول الشارح الذي يُتبَعه القول المشروح مخافة ألا يفهم، أو يفهم منه غير ما أريد. وقد نبه الشيخ عبد السلام ياسين على شيء من هذا، إذ قال إن العربية الحديثة لغة ركيكة المباني، مترجمة المعاني، فاسدة النحو، قعيدة الصرف، عصرية جسم، تسكنه روح دخيلة[1].

والأصل أن تُصبَّ المعاني في ألفاظ معروفة، وأن يكون ما يُستعمَل منها استعمالا مجازيا تُعرَف علاقته بالحقيقة، وتُعرَف علاقة ما يستحدث من الألفاظ بما يوضع له من المعاني، ليتيسر انتقال الذهن مما يعلم إلى ما لا يعلم. ولكن بعض الاصطلاحات العلمية في العربية الحديثة ليس كذلك، وآية ذلك أن العربي ربما فهم المعنى من الاصطلاح الأجنبي إذ يُجعَل بين قوسين، عقب الاصطلاح «العربي»، ولا يفهمه من الاصطلاح «العربي». وبعض هذه الاصطلاحات لا علاقة بين معناها اللغوي والمعنى الذي صُرفت إليه، وما كانت بينه وبين معناه اللغوي علاقة لم يَنْظر إليها المترجم؛ لأنه ما يعرفها، وإنما نظر إلى المعنى الحرفي، وغفل عن أن الكلمات التي تُستعمَل استعمالا مجازيا، في لغة، إذا ترجمت ترجمة حرفية، حفاظا على مجازيتها، لم تدلَّ على معنى صحيح، فضلا عن أن تُبِين عن المعنى الذي كانت تبين عنه في اللغة التي تُرْجِمت منها؛ لأن مجاز الكلمة في لغة ليس حتما أن يكون مجازا لمرادفتها من

---

(١) حوار مع صديق أمازيغي، ٨٧.

لغة أخرى، إذ المجاز قائم على علاقات بين المعاني، تصنعها الثقافة، والثقافات عادات خاصة، بعضها غير قابل للترجمة، فالأصل ألا تبقى الألفاظ على دلالاتها المجازية، إذا تُرْجِمَت، إلا ما تكون العلاقة فيه بين الحقيقة والمجاز هي المشابهة الحسية، وإن لم يكن لزاما أن تتفق الشعوب على التنبه إلى كل علاقة حسية بين شيئين، وإنما الكثير أن يشتهر بعض العلاقات بين الأشياء في بعض الثقافات دون بعض، ويكثر حتى يَصْرِف عما سواه، فلا يكون له ذكر في مأثوراتها، كما أن من الغالب أن تشتهر الأشياء ببعض صفاتها دون بعض، فلا يكاد يذكر غيرها، وإذا ذُكر لم يَبِنِ المراد منه؛ لأن الشهير غطَّى عليه، وربما اتُّخذ رمزا لصفة من تلك الصفات، فلا ينصرف الذهن إلا إليها، إذا ذُكِرَ، كما اشتهر الحمار بالصبر والبلادة حتى صار رمزا لهما، فإذا استعمل رمزا للقوة، أو شُبِّه به في القوة لم يتبين المراد من التشبيه؛ لأن الذهن لا ينصرف إلا إلى أحد ذينك المعنيين.

و«من المألوف عند الفرنجة ومن تبعهم من المحدثين أن يتحدثوا عن الراية البيضاء التي يرفعها أحد الفريقين المقتتلين، إذا بدا له وأراد الصلح، فيقال في الإنجليزية: wave raise the white flag، أما في العربية، فيعبر عن ذلك بـ«التَّعْقية»، كما جاء في «الأمالي»: «وإذا اجتمع الفريقان للقتال ثم بدا لأحد الفريقين وأرادوا الصلح، رَموا بسهم نحو السماء، فعلم الفريق الثاني أنهم يريدون الصلح، فتراسلوا في ذلك، ويقال في ذلك عقُّوا بسهم»[1]. أي إن «رفع الراية البيضاء» ليس هو ما ينبغي أن تترجم به العبارة الإنجليزية السابقة إلى العربية، وإنما تترجم بـ: «عقُّوا بسهم»، فهذا الذي يبين عن مراد الإنجليز، أما «رفع الراية البيضاء»، فلا معنى له عند العرب؛ لأنه يحيل على شيء ما كان في ثقافتهم، وترجمة العبارة الإنجليزية به يحول بين من لا يعرف الإنجليزية وفهمها، وإن كانت كثرة استعمالها في العربية الحديثة، وعدم معرفة العرب المعاصرين بما يدل على معناها من العربية القديمة آلا بها إلى أن تُفهَم، وبما يقابلها من العربية القديمة أن يُجْهَل، وصار عرفا من أعراف الحرب في هذا العصر بسبب غلبة الفرنج وثقافتهم على ثقافات الشعوب. وبهذا ونحوه تبدلت ثقافة العرب،

---

(١) خطر الترجمة في عصر الفرنجة، ٢٠.

وحلت محلها ثقافة الفرنج، وتقطعت الأسباب بينهم وبين ثقافتهم وتاريخهم، فما منا أحد اليوم إلا وهو يعرف معنى «رفعوا الراية البيضاء»، ويستعملها، بالغا ما بلغ من قلة العلم؛ لأن الإعلام العربي الذي يقتات مما يُنشر باللغات الأجنبية ويعيش على استنساخ ما ينشر الإعلام الغربي، فرضها علينا، وما منا أحد يعرف «عقّوا بسهم»، ومن عرفها من المخصين رغب عنها، وعن ترجمة العبارة الأجنبية بها، مخافة ألا تُفهَم. ومثل هذا كثير جدا، وبعضه يستعمل على ما فيه من مخالفة للمعتقدات الإسلامية، كقولهم: بحق السماء، وتحت رحمة السماء، إلخ، فإنها ترجمة حرفية لـ (for heaven's sake)، و(under heaven's mercy). وإذا كان المتعلمون المتدينون يرددون هذه العبارات ونحوها من غير أن يعتقدوها، فإن غير المتعلمين وغير المتدينين ربما اعتقدوها جهلا، أو ظنا أنْ لا خلاف بين المسلمين والنصارى فيما يراد منها.

وسأضرب مثلا للمأساة التي أوقعها تبديل دلالة المفردات العربية، بتلخيص كلام لأحد المهتمين بالنقد الحديث، يبين ما صنع هذا التبديل من اضطراب، وغموض ولبس في دلالة الاصطلاح، وكيف أعان ذلك على صرف العرب عن قراءة ما يؤلَّف فيه. وهو كلام يصدق على غير النقد صدْقَه على النقد، ولا سيما علم اللغة، ثم أُتبع ذلك نصوصا منتقاة من الكتب المترجمة من اللغات الأجنبية، أو المؤلفة بالعربية الحديثة، ليتبين ما حل بالثقافة العربية من هذا التبديل. يقول سمير حجازي: يقاسي النقد العربي في صورته الحالية محنة اغتراب شديدة، ظهرت في أغلب كتاباته في العقدين الأخيرين. والنقاد والمثقفون منقسمون إزاء هذه الظاهرة فريقين: فريق يرى في عدم تحديد مفهومات النقد الغربي في الكتابات العربية مظهرا من مظاهر التخبط والاضطراب؛ لأن عدم تحديدها يشتت القارئ، ويشعره بوجود حواجز لغوية وفكرية، تفصله عن عالم هذه الكتابات. فغياب اللغة المشتركة يقضي على الشعور بالألفة اللغوية والفكرية والثقافية، ويقطع الوشائج بين النص والقارئ، فغموض الفكر يجعل المفردات اللغوية غامضة، وشيوع المفردات الغامضة يحول دون بلوغ الغرض من الكتابة. ويرى الفريق الآخر أن هذه الكتابات النقدية صورة متميزة لمسايرة حركات التطور الفكري والثقافي العالمي، وأنها بهذه المسايرة تُسلَك في

العلوم الإنسانية؛ لأنها تعمل بمناهجها ومفهوماتها. غير أن النقد العربي مصاب باغتراب، وعجْز عن الجمع بين تراثه النقدي الحديث وتراث النقد الغربي المعاصر، وعجَز عن وضع لغة للكتابة النقدية، تقضي على عزلة الناقد عن قارئه وعن المجتمع. فنقْل مفهومات النقد الغربي دون فهم، ودون قدرة على تحديد معانيها في العربية أو الثقافة العربية يُظهر أهم معالم هذه المحنة، فما يقوله النقاد في «البنيوية الشكلية»، و«البنيوية التوليدية»، و«التفكيكية» -مثلا- أحاديث، شاعت وانتشرت في أغلب كتاباتهم، منذ العقد التاسع، إلى اليوم، ليس فيها ما بيَّن للقارئ معنى «البنيوية الشكلية»، و«البنيوية توليدية»، ولا معنى «التفكيكية»؛ فالمخص وغير المخص -من أجل ذلك- لا يعرفان معاني هذه المفردات، ولا يستطيعان أن يوضحا معانيها، أي إنهما لا يستطيعان أن يوضحا معانيها النظرية والفلسفية والمنهجية المستوحاة من الاتجاه أو النظرية التي وضعت هذا الاصطلاح. فإذا نقل الناقد اصطلاحات أو مفهومات عن لغة أجنبية، واستعملها فيما يكتب دون أن يفهم معانيها، ويقدر على ترجمتها إلى لغته وثقافته العربية، وقع في شرَك الاغتراب. وليس الغموض وقفا على المفهومات والاصطلاحات، بل يشمل منهج الناقد ونصوصه النقدية أيضا. ولذلك شاع في الثقافة العربية الحديثة العجز عن القراءة، واعتزال الكتب[1].

وصاحبُ هذا النص واحد ممن ينتمون إلى النقد الحداثي، وهو خريج جامعة السربون، وفي لغته من الضعف، والأخطاء في مبادئ النحو والإملاء، غير قليل، من أجل ذلك آثرت ألا أنقل كلامه بحرفه، وهذا يدل على قلة زاده من التراث العربي، ومع ذلك يقر بأن النقاد الذين يترجمون من اللغات الأجنبية لا يفهمون ما يترجمون، ولا يقدرون على وضع مقابلٍ صحيح له من العربية، يمكِّن القارئَ العربيَّ المتخصص من أن يفهمه. كما يقرُّ بأن هذا سبب مقاطعة قراء العرب ما يُترجَم؛ لأنه نصوص غامضة، لا يمكن فهمها، ولا الإفادة منها. وكثير ممن يتولون الترجمة لا يجيدون العربية، ولا اللغات التي يترجمون منها، وبعيد أن يُبين المرء عما لا يفهم، وأبعد منه أن يُبين عنه بلغة لا يعرفها. غير أنهم يحاولون ستْرَ ذلك بالإيهام، كقولهم إنهم بما يصنعون يسايرون حركات التطور

(١) النقد الأدبي المعاصر: قضاياه واتجاهاته، ١٠٢ وما بعدها.

الفكري والثقافي العالمي، ويَتَّهمون من ينبِّه على حقيقتهم بالعجز عن استيعاب الجديد، والعزلةِ عما يكون في الثقافة الأوربية المعاصرة، وآفاق الفكر النقدي خاصة[1]. وهي أساليب يسترهبون بها مخالفيهم، وكثيرا ما يُقنعون بها أمثالهم، ومن يوهَم فيتوهم، فيرضون من الحقيقة العلمية بموطئ قدم من الساحة الثقافية؛ فيمتطون «الحداثة»، فيعيشون في وهم وإيهام. وإلا فإن هذا النقد وما شاكله من الأعمال ليس أهلا للحياة؛ لأنه مسخ، والممسوخ لا تعمَّر؛ لأنها خرجت من ماهيتها إلى ماهية، لم تؤتَ أسباب الحياة. وليس يخفى على قارئها أنها لا تدل على شيء، وأن الذين يؤلفونها أو يترجمونها يعجزون عن أن يقولوا شيئا ذا معنىً بالعربية التي لا يعرفون منها إلا ما ثقفوا من العاميات، وتلقوا من وسائل الإعلام. وهي حقيقة يقر بها بعض شركائهم في التوجه، كما قال محمد الناصر العجيمي، بعد نقله كلام أحد الذين يتعاطون النقد الحديث من العرب: «إنْ دلَّ هذا الخطاب (الكلام) على تجريد فكري عميق، ولم يكن مجرد تحذلق فلسفي مستغلق، أو شبه مستغلق، فإننا نقرُّ بعجزنا عن الفهم»[2]. وقال آخرون: «ما الفائدة من إنتاج مثل هذا الخطاب النقدي الفارغ من الدلالة؟»[3]، «بعض دارسينا يركبون مسالك في التعقيد تضيع بمقتضاه المادة المدروسة في خضم من العلامات والتفاصيل والألغاز غير الدالة -مهما دققنا النظر فيها، وأضعنا الوقت في تقليبها- على شيء. والشواهد على ذلك كثيرة، يصعب حصرها»[4]، «أما اليوم، فإنك واجد في الأساليب ما يعييك ويضنيك، فلا تكاد تقرأ فقرة أو فقرتين حتى يصرفك السأم عن المضي في سبيلك، فتتوقف، أو يتغشَّاك الضجر. حينما يقرأ المرء بعض هذا النقد ولاسيما الصادر عن أقلام مغربية أو جزائرية يجد فيه من المعاظلة، وازدحام الاصطلاحات المعرَّبة أو الأجنبية المروية بألفاظها ما يشق عليه، فيضطر الى قراءة النص كَرَّةً أخرى ليدرك أو ليتوهم أنه أدرك ما فيه»[5]، «قال لي يوما أحد أصدقائي إنني أتهم القراء العرب بالجهل

---

(١) النقد الأدبي المعاصر: قضاياه واتجاهاته، ١٠٣.

(٢) النقد العربي الحديث ومدارس النقد الغربية، ٥٤٩.

(٣) السابق، ٥٤٩.

(٤) السابق، ٥٥٠.

(٥) على محك النقد.

حين أقول إنهم لا يفهمون ما يُترجم لهم. قلت: «لا، بل أنا أرثي لحالهم»؛ لأن كثيرا مما يُترجم يظل في كثير من جوانبه سرا مغلقًا، لا يفك رموزه إلا مترجمُه وبعض حوارييه»[1].

وهذه حال الذين يُعْنَوْن بالكتابة في الوطن العربي، في كل علم وفن، ولا سيما المخصين في علم اللغة، فجلهم لا يعرفون العربية، ويفيض ما يكتبون بها باللحن الشنيع، والخطأ في أسهل الأشياء وأقربها، ولا يأبهون -مع ذلك- بما يُلقَى إليهم من انتقاد، وإنما يلقونه بالتعنت والإصرار على ما هم فيه، ووسم من ينتقد عليهم بالتخلف وقلة العلم، وهم لا يعلمون، ولا يعلمون أنهم لا يعلمون، أو يعلمون ولكنهم يستثقلون التعلم، ويرون أن الصبر على ما يلقون من النقد أيسر عليهم من تعلم ما يجهلون، وأعمالهم كلها قائمة على التبعية والاستنساخ، وتكتب بلغة هجين، يشك قارئها في أن صاحبها يفهم ما يكتب، إن كان مؤلفا، أو يفهم ما يترجِم، إن كان مترجما، ولهذا قال إبراهيم السامرائي: «لعل أصحابنا هؤلاء الممارسين لعلم اللغة الجديد يقصدون فتنة القارئ العربي بهذه الألوان الجديدة»[2] من الأساليب والاصطلاحات الغريبة التي لا تقبلها العربية. وقال -معلقا على قول أحدهم: «وأخيرا يهتم ديلوز بإبراز الطابع المحايث، أو الكموني (Immanent) للبنية»-: «قد يقف القارئ غير المتعود على هذا الجد، فيستغرب كلمة المحايث، حتى إذا أدرك أنها من الظرف «حيث» تملكته الدهشة، وهو لا يدرك هذا إلا بعد استيعاب الكلمة الأعجمية، إن كان من الشادين لشيء من الفرنسية أو الإنجليزية»[3]، أي إنه لا يفهم معنى «المحايث»، و«الكموني» إلا أن يكون عارفا بمعنى Immanent في الإنجليزية والفرنسية، فإن كان غير عارف بهما تعذَّرَ عليه فهمه؛ لأن «المحايث» ليست من العربية، واشتقاقها لهذا المعنى غير صحيح، ومستحدثها لم يبين معناها للقارئ، وإنما استحدثها ليقابل بها immanent، ولو أنها ترجمت بملازم، أو مصاحب، ونحوهما، لاستوى أن يكون القارئ عارفا بالإنجليزية والفرنسية وألا يكون عارفا بهما؛ لأنها كلمات

---

(١) جودة الترجمة العربية، ١٠٥ وما بعدها (نقلا عن: الترجمة وتطوير العربية، ٢١).

(٢) غزو الأساليب الأعجمية للغة العربية وغزو الأجنبي للغة العربية، ٢٥٢.

(٣) السابق ٢٥١.

عربيـة، لا خفـاء بمعناهـا. وإذا كان فهـم مـا يُكتَب بالعربيـة رهنا بمعرفة لغـة أجنبية، فقـد فقـدت العربيـة أهـم وظائـف اللغة، وهـي الاتصال، وغـدت رمـوزا لا تُبين، أو لا يمكـن فـك شـفرتها إلا بالرجـوع إلـى الإنجليزيـة أو الفرنسـية؛ لأنهمـا مرجعهـا، و«الدلالـة علـى الشـيء هـي -لا محالـة- إعلامـك السـامع إيـاه، وليـس بدليـلٍ مـا أنـت لا تعلم بـه مدلولا عليـه»[1].

وقـد أورد سـمير حجـازي فـي كتابـه «إشـكالية الاصطـلاح الغربـي فـي ثقافتنـا المعاصـرة» نصوصـا كثيـرة لكتَّـاب عـرب، يتعاطـون النقـد الحديـث، أو يترجمـون نصوصـه مـن لغـات أجنبيـة، كالفرنسـية، بيَّـن مـا فيهـا مـن غمـوض، يتعـذر علـى القـارئ العربـي أن يفهـم معـه شـيئا. ويبـدو أن مـرد جانـب مـن ذلـك الغمـوض إلى تعمـد الإغـراب فـي المجـاز، كأن الكاتـب أو المترجـم يتعمَّـد نسـج حجـب بيـن القـارئ ومـا يكتـب أو يترجـم؛ لأنـه لـو هتـك مـا بينـه وبيـن مـا يريـد، تبيَّـن أن ليـس تحتـه سـوى جعجعـة مخادعـة، وبديهيـات، لا يُكتَب عن مثلهـا، وأن ذلك هو كل ما فـي النـص مـن حداثـة. ومـن تمرَّس بقـراءة هـذه النصـوص وعـرف حقيقة مـا تحتها ازورَّ عنهـا صونـا لعقلـه، وضنا بوقتـه، وتبيـن مـا لـم يكـن فـي الحسـبان: أن يُصْطَنع المجْـد بالإيهـام، وأن الدجـل غـدا مهنـة، تحظـى بدعايـة كبيـرة، وهـذا الدجـل والدعايـة يتلفعـان بالمجـاز اللغـوي، ولهمـا امتداد في النقد العالمي، كمـا يبدو من عبـارة رومـان جاكبسـون الشـهيرة، «سـقط المحـور الرأسـي علـى المحـور الأفقي». وهـي -كما قال شـكري عياد سـاخرا-: عبـارة هائلة، وقد بقيتُ زمنـا، لا أقرؤها إلا تخيلـت كارثـة توشـك أن تقـع، وكأنهـا تذكِّرنـي بسـقوط المنـازل، وإنـي لأرجو أن أكـون قـد شـفيت مـن هذا الرعـب الآن، مع أنهـا لا جديد فيهـا إلا البراعـة في حبك العبـارة ووصلهـا بفكـرة سوسـير: أن فـي التحليـل اللغـوي طريقتيـن متكاملتين غير متعارضتيـن: أفقيـة، غايتهـا معرفـة ارتبـاط بعض الكلمـات ببعض، ورأسـية، غايتها معرفـة علاقـة الكلمـة المذكـورة فـي النـص بالكلمـة التـي مـن بابهـا (ولـم تُذكَر في النص)، إمـا لأن الاشـتقاق يربـط بينهـا، وإمـا لتقـارب فـي المعنـى بطريـق الترادف، أو القضـاء، أو العمـوم، أو الخصـوص، أو نحوهـا. فـزاد جاكبسـون علـى ذلـك أن أسـاس العلاقـة الأفقيـة هـو المجـاورة، وأسـاس العلاقـة الرأسـية هـو التنـاظـر، أي

(١) دلائل الإعجاز، ٥٣٠.

التشابه والتضاد، فسقوط المحور الرأسي على المحور الأفقي معناه أن تصبح العلاقة في النص المقروء علاقة تشابه وتضاد، فضلا عن كونها علاقة تجاور. فهذا القانون الهائل لم يزد على أن كرر شيئا معروفا مفصَّلا عند البلاغيين والنقاد[١]. وانظر -إن شئت- إلى هذا النص الذي ترجمه محمد البقاعي من الفرنسية: «النص ممارسة دلالية، منحها علم العلامات امتيازا؛ لأن عملها الذي يتم بوساطته اللقاء بين الفاعل واللغة عمل مثالي، وأن وظيفة النص هي التي تمسرح -إن صح التعبير- هذا العمل. ما الممارسة الدلالية؟ إنها -أولا- نظام دالي مميز خاضع لتصنيفية الدلالات (وليس لأصل العلامة الأولى). وكانت مدرسة براغ قد طرحت تلك الحاجة للتميز، فهي تفرض أن الدلالة لا تَحدُث بالطريقة نفسها، ليس فقط حسب مادة الدال (هذا التباين يؤسس علم العلامات) ولكن أيضا حسب تعدد الجوانب التي تؤلف كيان اللافظ (فملفوظه ثابت -ويتشكل تحت أنظار الآخر والاستماع إلى حديثه) من بعد يمكن له أن يكون ممارسة: ذلك يعني أن الدلالة لا تحدث في مستوى تجريد اللغة، كما قال بذلك سوسير، ولكن بترخيص من عملية تستمر في الوقت نفسه، وبحركة واحدة، وبجدل الفاعل، جدل الآخر، والسياق الاجتماعي»[٢]. ويقول في نص آخر: «والتمعني على عكس الدلالة، لا يملك إذن أن يقتصر على الاتصال، على التمثيل، على التعبير: إنه يضع الفاعل (الكاتب، القارئ) داخل النص، ليس كإسقاط يمكن أن يكون استيهاما، لا يوجد نقل فاعل مبني، ولكن كضياع في المعنى الذي تأخذه هذه الكلمة في علم استكشاف المغاور: ومن هذا يأتي تقمصه (أي التمعني) للمتعة: فالنص يصبح شهوانيا بواسطة متصور التمعني، «ولهذا ليس هناك أدنى حاجة لتمثيل مشاهد شهوانية»[٣]. لا يتبين القارئ معنى هذين النصين على وجه التفصيل؛ لأن اللغة التي كُتِبا بها تتعمد حجْب معناهما تعمدا، بما تتكلف من المجاز، وتتعمد من العدول عن الحقيقة؛ بغية أن توهم القارئ أن الكاتب يكشف في النص معنى، لم يسبق إليه، أو يَلْمح ملامح تدل

---

(١) موقف من البنيوية، ١٩٨

(٢) إشكاليات المصطلح الغربي في ثقافتنا المعاصرة، ١٠٠.

(٣) السابق، ١٠١.

على ذكائه، وفطنته إلى ما لا يفطن إليه أكثر الناس، بيد أن الحقيقة التي تصرف المرء عن التلوم على هذين النصين لفك رموزهما، والوقوف على ما أراد الكاتب منهما، هي أنهما يتحدثان عن اللفظ والمعنى والعلاقة بينهما، وكيف يبني الكاتب نصه من الألفاظ ليبين بها عما يريد. وهي علاقة بديهية، وليس في وسع الكاتب أن يقول فيها شيئا، لا يعرف القارئ ذو الثقافة الأدبية والنقدية معناه، في الجملة، وإن كان من الممكن أن يتنبه إلى علاقة طريفة بين اللفظ والمعنى، وكيف يكون المعنى، لكن ما سيقول من ذلك لن يكون إلا بديهية من البديهيات التي يعرفها أكثر الناس بالفطرة، فضلا عن الأدباء والمثقفين. وإذا صح ما نظن، فإن الكاتب قد أتعب نفسه في حَجْب ما كان ينبغي أن يريحها بكشفه، وأراد ليتعب القارئ في تطلُّب ما أراد؛ من أجل أن يوهمه أن تحت كلامه ما ليس تحته. وهذا وجه من وجوه انحراف الكتابة النقدية الحديثة عن غاياتها، مَنْ أدركه لم يكن له خيار في العزوف عن قراءتها؛ صونا لوقته. وإذا بدا المعجبون بالنقد الغربي الحديث (الفرنسي) قامات كبيرة عند أنفسهم؛ لأنهم ترجموا ما لم يفهموا، فلم يُفْهِموا غيرهم، وزادوا في الثقافة النقدية مفردات كثيرة، واصطلاحات لا يفهمها مَنْ قرأها من غير العارفين بالفرنسية، فليسوا -في الحقيقة- بأكثر من قامات من القش، تبتغي العزة بمثل هذا الصنيع الذي لا يصنع لها مكانة إلا عند أمثالها من الواهين بالشهرة، الذين لا علم لهم بالعربية وتراثها، فلم يصنعوا أكثر من الانتصار للجهل، ونشره والتمكين له، والدعوة إليه. ويقع هذا بعينه في علم اللغة الحديث، كما قال الدكتور محمد المدلاوي: الخطاب اللغوي الموجه إلى القارئ العربي فيه صعوبات عدة؛ منها انقطاع سند الاصطلاحات والمفهومات، أي إن اصطلاحاته ومفهوماته لا يُرْبَط حديثها بالقديم، بخلاف علم اللغة الحديث، في البلاد المتقدمة، فإن الاصطلاح فيها يتطور في تدرج، لا يحدث قطيعة معرفية، تخيل إلى قارئ النص اللغوي أنه يتناول شيئا مخالفا لما كان يعالجه ما كان يسمى النحو والصرف والمعجم. وترتب على هذا الانقطاع غياب الكتابات التي تعنى بالتيسير الذي يحتاج إليه في إرساخ العلوم؛ لكي يخلص نصيب منها إلى دائرة الثقافة العامة المشترك فيها. ومما ترتب على هذا الانقطاع أيضا أن أفاد كثير من المدعين من الخلط

المتولد منه ترويجَ خطابات، تُحسَبُ على علم اللغة بسبب عنواناتها، مع أنها مجرد هذيان ولغو، لا شيء تحتهما. وعلم اللغة، من حيث هو علم من العلوم الإنسانية، ليست له مناعة من «الشعوذة اللغوية». وهذا يجعل كثيرا من الكتابات التي تُحسَب عليه تُنفِّر الجادين منه؛ أما غيرهم فيتظاهرون بالفهم، حيث لا يوجد ما يُفهَم، ثم يعقِّبون بنصوص أكثرَ لغوا، يدَّعون فيها أنهم «غير متفقين»؛ فتروج سوق اللغو والشعوذة اللغوية[1].

ولا يَعذُر المترجمَ في غموض لغته أن اللغة التي يترجم منها غامضة؛ فالأصل ألا يقدم على الترجمة إلا من فَقِهَ النص الذي يريد أن يترجم، ومن فقهه كان على الإبانة عما فقه منه مقتدرا؛ فما «أَجدْنا تصوره، استطعنا أن نعبر عنه تعبيرا واضحا، وجاءتنا الكلمات المعبرة عنه طائعة مختارة»، لا عوج فيها ولا التواء، وليس في الدنيا فكرة فلسفية، مهما يكن حظها من العمق والدقة، إلا ويستطاع التعبير عنها بلغة الناس القريبة المتداولة[2]. والمترجِم المعنى لا اللفظ، والترجمان يدرِك المعنى بمعزل عن الشكل اللغوي، و«يحتفظ بالمعنى وينبذ المفردات»[3]. هذا إلى أن الترجمة شرح وتفسير، والأصل ألا يقدم على الشرح والتفسير إلا من قد فهم، إذ كيف يُفهِم المرء ما لا يَفهم؟. فإن لم يَفْهَمْه، كان تصديه لترجمته ضربا من المخادعة والإيهام. ولعل الذي أغرى من يفعلون ذلك بفعله ما رأوا من نَفاق هذا الغموض في سوق الثقافة العربية الحديثة، لتوهم من لا يجرب أن الغموض دليل عمق وتميز، وأن عدم فهم الغامض من تعاليه على من لا يفهمه، وليس من عيب في المترجِم، وعدم فهمه ما يترجم، ولا مِنْ عجزه عن البيان عن مراد مَن كتبه، ومِنْ أن ترجمته لا تزيد على وَضْع اللفظ العربي مقابل اللفظ الأجنبي، والإبقاء على اللفظ الذي لا يفهم معناه بلفظه، مستحقبا ما في ذلك الصنيع من مسخ اللغة، ببنائها بناء اللغة التي يترجم منها، والخروج عن نظامها، وإعطاء مفرداتها معاني ليست هي معانيها. وهذا يخالف ما كان عليه النقد قبل العقود الأخيرة، فقد كان النص النقدي في العقدين

---

(١) قضايا لسانية معاصرة.

(٢) في الفكر واللغة، ٤٢، ومشكلة الأفكار في العالم الإسلامي، ٦٦.

(٣) مفاهيم الترجمة، ١٩.

السابع والثامن على صلة وثيقة بالثقافة، وكان أبرز سماته الوضوح، وكان محمد مندور، ومحمد غنيمي هلال، وعبد القادر القط، وشكري عياد يتيحون للقارئ العادي فهم نصوصهم، وكان لذلك أثر عظيم في إعلاء شأن النقد والنقاد، والتربية الثقافية، بعامة، والأدبية بخاصة[1]. ولعل الفرق بين هؤلاء وأولئك أن هؤلاء يعلمون، ومن علم سهل عليه البيان، وأولئك لا يعلمون؛ فيوهمون.

ويمكن أن يُضرب المثل بلغة الفلسفة التي يصعب فهمها، في الكتابات العربية الحديثة بلغة أبي يعرب المرزوقي، فإنها غاية في الغموض، كقوله: «فالأشياء العُدوم، لكونها ليست مُثُلاً موجبة، توجد بذاتها، وإذن فهي بحاجة إلى ما تقوم به، كإمكان ذوات، ليس لها من ذواتها إلا قابلية الوجود والعدم. وهذا الأمر الذي ستقوم به، أو بحكمه، هو أحوال الذات الإلهية، أو «لما هو عليه بذاته»، من حيث إنها لها القادرية والعالمية»[2]. «وتلك اللحظة هي لحظة المطابقة بين الحال كحال، والماهوي اللازماني. فما يكون الحال عندئذ؟ أليس هو كون «الماهو-عليه- بذاته» يقتضي «كونه -لا-أحد-مما- هو- عداه»؟ «الماهو -عليه- بذاته» حتى إذا قيل عن الرب، فهو يعي الكون «لا- أحد- مما-هو - عداه»؟ وهو مطابقة الذات لذاتها، أو المحايثة الذاتية، حيث يتطابق «الكون- ما-هو-عليه- بذاته» و«الكون-لا- أحد- مما-هو- عداه» تطابقا، لا يصح وصفه بالوجود ولا بالعدم، ولا بالحدوث ولا بالقدم، ولا بالمعلوم ولا بالمجهول، لكونه شرطَ الوجود والعدم، والحدوث والقدم، والجهل والعلم، كأحوال متعاقبة. فيكون الحال محايثة الذات لذاتها»[3]، «الكتابة في وظيفتها الأولى المتقدمة على تكوُّن اللغات والمصاحبة لهذا التكوُّن أعم منها في وظيفتها الثانية، أعني في شكلها الأخير الذي هو ترجمة الفكر المتكلم إلى رموز. إنها، قبل ذلك، قبْلية شارطة، وليس فقط بالزمان، رسم مثبت للآثار القابلة للتثبيت المرئي من الأشياء والأفكار والمعاني، ومساعد -من ثم- على التثبيت النغمي الأكثر صعوبة من التثبيت المرئي لتفاضل المكان والزمان في

(١) إشكاليات المصطلح الغربي في ثقافتنا المعاصرة، ١٢٨

(٢) تجليات الفلسفة العربية: منطق تاريخها من خلال منزلة الكلي، ١٨١.

(٣) السابق، ١٨٢.

هـذه القابليـة: ذلـك أنـه لو كانت الأشـكال اللسـانية محتَّمـة لامتنع تثبيتهـا هي ذاتها أولا»[1]. ويبـدو أن مأتـى مـا فـي هـذا مـن الغمـوض مـن قلـة علمـه بالعربيـة، كمـا يبـدو مـن كثـرة خطئـه، وصعوبـة البيـان عليه، وعـدم قدرته علـى اسـتعمال الضمائر استعمالا صحيحـا، وتأثـره بالأسـاليب الأعجميـة، كقولـه: «كيـف مـات الإبـداع وكيـف انبعـث؟ ماهـي نظريتـه؟ ولـمَ لـمْ تفهـم وسـيطا»[2]. فقد اسـتعمل «وسـيطا» ظـرف زمـان، مـع أنـه لا يـدل علـى الزمـن، وإنمـا يكـون ظرفَ زمـان من الأسـماء ما ضُمِّـن معنـى «في» باطراد، من اسـم زمان، أو اسـم، عَرَضَت دلالتـه على الزمان[3]. وإنمـا الوسـيط فـي العربية: من يتوسـط بيـن المتبايعيـن والمتخاصميـن، والمعتدل بيـن شـيئين، وأوسـط قومه نسـبا، وأرفعهـم مجـدا[4]. وربما كان استعماله على هذا الوجه ترجمـة للكلمـة الفرنسـية moyenâgeux. وقولـه: «تلـك هـي الريـق البـاردة التـي صـار البعـض يتصورهـا عمقـا فلسـفيا، فيبنـي عليهـا الشـعر المتفلسـف»[5]، فالريـق مذكـر، والعبـارة غامضـة، ومـا يُفهـم مـن ظاهرهـا أنه يحسـب الريق شـرابا، أو شـيئا كالشـراب؛ ولذلـك وصفـه بالبـرود. والريـق ليس لـه معنى سـوى اللعاب، والقـوة، والرمـق[6]، وليـس فـي هذه ما يوصف بالبـرود، ولو مجـازا، إلا اللعاب في مقـام الغـزل. وفـي العربيـة كلمة قريبة مـن الريق، هـي الرَّيق، وتعني «المـاء، يشـرب علـى الرِّيـق غـدوة»[7]، ويبـدو أن هذا ليـس مراده، أمـا أولا، فلأنه مذكـر، وأما ثانيا، فـلأن العلاقـة بينـه وبيـن «العمـق الفلسـفي» غيـر واضحـة. ومـن الأخطـاء التـي يقع فيهـا نصـب اسـم «ليـس»، في قوله: «ليـس فيه فروقـا إلا بين الأفـراد»[8]، وجر صفة المبتـدأ فـي قولـه: «الثقافة الدينيـة والثقافـة الفنية العربيتيـن الحاليتيـن»[9]. وما أريد أن أطيـل بذكـر الأمثلـة، فـإن النصـوص التـي اقتبسـت مـن كتبـه دالـة علـى مـا أردت التلميـح إليه.

---

(١) في العلاقة بين الشعر المطلق والإعجاز القرآني، ١٤٤.
(٢) السابق، ١٥.
(٣) أوضح المسالك، ٢/ ٢٣١.
(٤) المعجم الوسيط، (و س ط).
(٥) في العلاقة بين الشعر المطلق والإعجاز القرآني، ٨٥.
(٦) المعجم الوسيط، (ر ي ق).
(٧) السابق، (ر ي ق).
(٨) في العلاقة بين الشعر المطلق والإعجاز القرآني، ١٤٤
(٩) الثورة القرآنية وأزمة التعليم الديني، ١٠.

وإذا كان من الممكن أن يُدَّعى أن مردَّ الضعف والغموض فيما أوردنا من النصوص، وفيما لم نورد، إلى أنها نصوص فلسفية، وفي بعض قضايا الفلسفة غموض، مرده إلى عمق الفكرة التي تعالج، وصعوبة تصورها، ولا سيما إذا كان القارئ غير مختصٍّ فيها. وهذا صحيح، بيد أن في وسع الممسك بزمام اللغة، العالم بما يريد أن يبين عما في نفسه، فإن لم يكن بذلك الوضوح في ذهنه، أو كانت معرفته بوسيلة البيان (اللغة) مزجاة، وقع في كلامه من الغموض -لا محالة- ما وقع في كلام مَنْ قد رأينا كلامهم من الكتاب. يدل على ذلك أن كتب أبي يعرب التي تعالج قضايا غير فلسفية، لا تخلو من هذا الضعف والغموض، كهذا النص الذي ورد في كتابه «الثورة القرآنية وأزمة التعليم الديني»[1]: «ليس الهدف من هذه المحاولة الكلام في إصلاح مؤسسات التعليم الديني التقليدية، من حيث البرامج والمناهج، ففضلا عن كون هذه المؤسسات لم يعد لها التأثير الذي كان لها، نراها تنقرض بالتدريج بانقراض الوظائف التي كانت تؤديها، فهي قد انحصرت في حجم طبيعي، لا يتجاوز ما يحتاج إليه المجتمع. ثم إن لها أهلها، وهم أدرى بشعاب مكة. لكن الداء المستفحل يتعداها إلى ظاهرة جديدة، توسلت أدوات الاتصال الجماهيري؛ فانتشرت انتشار النار في الهشيم، وهي من جنس ظاهرة مرَضية ثانية، تشبهها من حيث الوظيفة التجارية والتدجيلية. فأثر هذا التعليم الديني الجماهيري للقيم الروحية والدينية مجانس لما تعمله تلفزات الخلاعة للقيم الجمالية والفنية. ولعل الظاهرتين تصدران عن نفس البرنامج الخفي للقضاء على شروط النهوض والاستئناف سعيا لإفساد الثورة القرآنية. ومن المعلوم أن التربية الزائفة، مثلها مثل العُملة الزائفة، تقضي على الإبداع الرمزي والحياة الروحية للأمم كلها قضاء الاقتصاد الزائف على الإبداع المادي، والحياة المادية. الثقافة الدينية والثقافة الفنية العربيتين الحاليتين من جنس العملة الزائفة التي ستقضي على العملة الحقيقية». فبعض هذه العبارة ضعيف البناء، غير مبين عن المراد، وما يفهم منه لا يفهم من ألفاظه، وإنما يفهم من مجمل الفكرة التي أراد الحديث عنها. لقد أراد ليقول في مطلع العبارة إنه لا يريد الحديث عن إصلاح برامج مؤسسات التعليم الديني ومناهجها؛ أما أولا،

---

(١) ص ١٠.

فلأن تأثيرها آخذ في الزوال، وأما ثانيا، فلأن لها أهلها الذين هم أدرى بها منه، فلم يستطع البيان عن الفكرة بيانا قاصدا، سالما مما شابه من ضعف وإطالة.

وانظر كيف استعمل المثل العربي «أهل مكة أدرى بشعابها» في قوله: «ثم إن لها أهلها، وهم أدرى بشعاب مكة»، استعمالا لا يدل على مبلغ تمرسه بالكتابة بالعربية، فقد كان يمكن أن يقول: ثم إن لها أهلها، وأهل مكة أدرى بشعابها، أو: ثم إن لها أهلها، وهم أدرى بشعابها. فعدل عن هذين الأسلوبين؛ لأنه يحفظ المثل، ولكنه لا يدري كيف يُوقِعه موقعه، فجاء على هذا الوجه من الضعف. ووجه الضعف فيه أنه جعل شعاب مكة في هذه العبارة غير شعاب مؤسسات التعليم الديني، ولم يأت بالمثل على وجه تفهم منه الاستعارة التمثيلية التي هي مقصد من يتمثل بالأمثال، بأن يقتصر على المشبه به دون المشبه، كما هو شأن الاستعارة التمثيلية، فيقول: ثم إن لها أهلها، وأهل مكة أدرى بشعابها. ولو فعل، لكان المعنى أنه يشبه المؤسسات بمكة، والقائمين عليها بأهل مكة، وكما أن أهل مكة أدرى بشعابها، فالقائمون على المؤسسات أدرى بشؤونها. فلما عدل عن ذلك إلى قوله: ثم إن لها أهلها، وهم أدرى بشعاب مكة، لم يكن بين العبارتين علاقة، تسوغ الجمع بينهما. وإذا كان القارئ يفهم ما أراد، فليس فهمه متأتيا من لفظه، وإنما من السياق الذي ورد فيه. وعدَّى «توسل» بنفسه، وكان ينبغي أن يقول: توسلتُ بأدوات الاتصال، بدلا من «توسلت أدواتِ الاتصال». ومَنْ عَلِمَ أن «توسل» لا يتعدى بنفسه، إذا قرأ العبارة خُيِّل إليه أن فيها سقطا، وأنَّ ما توسلت به الظاهرة الجديدة وما توسلت إليه لَمَّا يُذكَرا، فإذا رجَعَ البصر فيها كرتين، تبيَّن المراد. وأما ثالثا، فلأن قوله: «فأثر هذا التعليم الديني الجماهيري للقيم الروحية والدينية مجانس لما تعمله تلفزات الخلاعة»، لا يتضح معناه؛ لأن الحرف الذي علق بـ «أثَر» غير الحرف الذي يتعلق به في العربية، وإنما كان ينبغي أن يقول: فأثر هذا التعليم الديني الجماهيري في القيم، لا «للقيم». وكذلك قوله: «ثم إن هيغل هو أعلم فلاسفة الغرب بقول اللسان العربي الفلسفة اليونانية قبل أن يصبح اللسان الألماني لسانا عاميا فضلا عنه حال ارتقائه إلى القول الفلسفي»[1]. فهذه العبارة غامضة، ومرد غموضها إلى

---

(١) أشياء من النقد والترجمة، ٥٦ وما بعدها.

عدم وضوح العلاقة بين «اللسان العربي» و«الفلسفة»، هل هي مفعول به، أو لها إعراب آخر.

ومن قرأ كلام بعض اللغويين، وشكواهم من ألا يكون لبضاعتهم القِدْح المعلَّى في حياة العرب، شعر بأنه ضرب من العُجْب، يؤذي صاحبَه ألا يكون له عند الناس ما له عند نفسه، لكنه عُجْب لا يغير من الواقع شيئا، ما دام أهله يكتبون ما لا يُفْهَم، ولا يملكون سوى الركض خلف «المحدثات» العلمية، وتغيير الجلد كل يوم. أما القول إن نظريات العلم وأنموذجاته قائمة على التجاوز والإقصاء، فلا تثبت الصورة مدة حتى يتراءى تفككها، فتبرز معطيات جديدة، وتقع الأزمة، والعالم أبدا ينتظر الأزمات، ويطرب لها، ويبحث عنها ويخلقها؛ لأنه لا يستمر إلا بها[1]، فمن وضْع الشيء في غير موضعه، فالذي يَتجاوز ويُقصِي هو الذي يَعْلَم، وليس الذي يقلد، أما من يقلد، فإنما ينتظر ما يجدُّ، ليمتطيه، على غير هدى. أما العالم الحق، فيعلم أن الحقيقة إضافية (نسبية)، (وما أوتيتم من العلم إلا قليلا)، فهو يركض خلفها، ليقبض منها على ما في وسْعه أن يقبض عليه، وهو يتوسل إلى دركها بالوسائل التي تبلِّغها.

ومن النصوص التي لا تفهم لقلة زاد أصحابها من العربية، قول كمال أبو ديب (مترجِم): «تعرف العربيةُ، ثقافةً ولغة، تصنيف الكائنات فصلات: الذكر والأنثى، والمذكر والمؤنث، والذكورة والأنوثة. وتصف العربية الفصلة التصورية لهذا التصنيف بأنها تصنيف من حيث الجنس، أو على أساس الجنس. يقسم اللغويون الكلام -مثلا- «من حيث الجنس»، إلى مذكر ومؤنث، غير أن العربية لا تعرف دالا مخصصا مميزا لهذه الحالة المتضمنة مفهوميا، في عبارة «من حيث الجنس»، سوى الدال جنس، وهي لا تستطيع دون التباس أن تصفه بأنه تصنيف جنسي. بالاصطلاح الصرفي، لا تعرف العربية دالا على فصلة تصورية يطابق «ذكورة»، أو «أنوثة»، وإن ذا لمن عجائب الأمور»[2]، وقوله: «تاريخيا وثقافيا، ثمة فرق كمي، كما أن ثمة فرقا نوعيا، بين الانشباك الفرنسي البريطاني، في المشرق، وانشباك أي دولة أوربية وأطلسية أخرى،

---

(١) نحن واللسانيات: بحث في إشكالات التلقي، ١٥.

(٢) الثقافة والإمبريالية، ٤٨.

حتى مرحلة الهيمنة الأمريكية بعد الحرب العالمية الثانية. ومن ثم فأن يتحدث المرء عن الاستشراق هو أن يتحدث، رئيسيا، وإن لم يكن حصريا، عن مشروع ثقافي بريطاني فرنسي، مشروع تضم أبعاده عوالم متباينة تباين الخيال نفسه، الهندو شرقي المتوسط -الليفانت- بأكملهما، ونصوص الكتاب المقدس، وأقاليم الكتاب المقدس، وتجارة التوابل، والجيوش الاستعمارية، والتراث الطويل من الإداريين الاستعماريين، وقدرا ضخما من تراث البحث، وأعدادا لا تحصى من الخبراء، والمساعدين الشرقيين»[1]. يتعذر على المرء أن يفهم المراد من بعض هذين النصين، إلا أن أولهما يدور على المذكر والمؤنث، والتذكير والتأنيث، ويدور الثاني على الاستشراق، وأنه مشروع بريطاني فرنسي. ومن المتوقع أن يكون سبب الغموض هو الترجمة التي لا تحسن البيان، ولا تملك من المفردات ما يكفي للإبانة عن المراد، وعدم وضوح ما يراد من بعض الاصطلاحات، مثل الفصلات، والفصلات التصورية، واستعمال بعض الاصطلاحات بغير معناها المعهود، من غير بيان لما صُرف إليه اللفظ، ولا لِمَ صُرف إليه، أي: ما العلاقة بين معناه الأصل، والمعنى الذي استُعمل فيه، كالذكورة والأنوثة، فيبدو أنه استعملهما في غير معنييهما العربيين، وهما الصفات الحسية والمعنوية التي يتصف بها الذكور والإناث، فلو استعملهما بهذا المعنى ما خَفِيَ المراد منهما. ولعل مردَّ ذلك إلى أنه ترجم بهما لفظين إنجليزيين لهما معنى غير هذين المعنيين. هذا إلى استعمال مفردات دخيلة من غير أن يبين معناها، كالليفانت، ويبدو أنها تعني عنده ما سماه «الهندو شرقي المتوسط»، لكن العلاقة بينهما غير بينة، وهل الكلمة مركبة من حروف، تختصر كلمات عدة، أو هي كلمة واحدة، دعك من غرابة التركيب «الهندو شرقي المتوسط»، وهو تركيب مخالف للتركيب في العربية. ويبدو أنه ترجم النص ترجمة، لا تزيد على وضع الكلمة مقابل الكلمة، دون أن يعنِّي نفسه في بناء بعض الكلم بناء عربيا أو كالعربي، يقرِّب معناه، كأن يسمي «الهندو شرقي المتوسط» -مثلا- القارة الهندية والأقاليم التي تقع شرقي البحر المتوسط. مع أن الموضوعين في نفسيهما ليس فيهما ما يتوقع أن يخفى على أحد. وقد قال

---

(١) الاستشراق، ٣٩.

كونفوشيوس: إذا لم تكن اللغة سليمة، فما يقال ليس هو المقصود[1]. وهذه حال بعض ما يكتب هؤلاء: ما يقال فيه ليس هو ما يُقصَد، وما يقصد ليس هو الذي يقال؛ لأن قائليه لا يعرفون اللغة، فلا يعرفون كيف يبينون بها عما يريدون. و«الجاهل بتأليف الكلام وأساليبه على مقتضى ملكة اللسان إذا حاول العبارة عن مقصوده ولم يحسن، بمثابة المُقْعَد الذي يروم النهوض ولا يستطيعه لفقدان القدرة عليه»[2]. وقد رأيت ما يصدِّق هذا عند ابن سينا، وإن لم يكن على هذا الوجه، فإن كتابته تظهر فيها العجمة، على وجه يتعذر معه -أحيانا- فهْم مراده إلا بمشقة، ولم تكن عبارته سلسة بينة، كعبارة الإمام أبي حامد الغزالي،كقوله: «وقد قلنا في الفنون الماضية ما دل على استنكارنا أن يكون السبب في اشتراك الاسم تناهيَ الألفاظ وغير تناهي المعاني، وإذا فُهم على هذه الصورة كان أقرب إلى الصواب، فهذا هو من أسباب أنْ وَقَعَ الاشتراك في الأسماء»[3]. فإنه يريد بقوله: «وغير تناهي المعاني»، وعدم تناهي المعاني، وبقوله: «وإذا فهم على هذه الصورة»: وإذا فهم الأمر على هذه الصورة، فحذف نائب الفاعل، وهو ركن، لا يستبين المعنى بحذفه، ولا سيما أنه لم يتقدم ما يدل عليه، فيقال إن نائب الفاعل ضمير مستتر يعود عليه. وقوله: «فهذا هو من أسباب أنْ وقع الاشتراك»، يعني: فهذا من أسباب وقوع الاشتراك، فذكْر ضمير الفصل هاهنا في غير موضعه، وهو من التأثر بلغته الصغدية، وهي كالفارسية، تفصل بين المبتدأ والخبر بفعل الكينونة «أستي». هذا إلى وضعه بعض الألفاظ في غير موضعها الدقيق، كوضعه «الماضية» موضع السابقة، و«استنكار» موضع «إنكار»، و«الصورة» موضع الوجه. وقد فطن عبد الصبور شاهين إلى أن في أسلوبه غرابة، قال إن مردها قد يكون إلى تأثره بما عرف من اللغات الأخرى، كالفارسية، واليونانية، والسريانية[4]. ومما ينبغي أن يدخل في هذا؛ فيعدَّ من خطئه زيادته الألف والنون في النسب، كقوله: نفسانية، وعصبانية، ولحماني، وسمسمانية، ووسطاني، والطولانيتين، وزيادته الواو في النسب إلى موسيقا

---

(١) اللغة العربية وتحديات العصر، ٣٦.

(٢) المقدمة، ٥٧٧ وما بعدها.

(٣) كتاب الشفاء، ٣ وما بعدها (نقلا عن: التفكير اللساني في الحضارة العربية، ١٩٧).

(٤) العربية لغة العلوم والتقنية، ١٨٤.

(موسيقاوي)[1].

ومن هذا قول كما أبو ديب أيضا: «وهكذا ترتبط القوة، في أعلى صورها، بامتلاك القدرة والطاقة على تقديم معجبة: فرجة مثيرة مفرطة»[2]. فالعبارة الأخيرة لا يتضح معناها، لا يتضح معنى «معجبة»، ولا معنى «فرجة مثيرة مفرطة». وكذلك وصفه كتاب إدوارد سعيد «الاستشراق» بأنه «مسفسط حتى الإدهاش»[3]. فإن معنى «السفسطة» المشهور عند المنطقيين أنها قياس مركب من وهميات، غرضه تغليط الخصم وإسكاته، وتُعْرَف عند الفلاسفة بأنها الحكمة المموهة[4]. و«حتى الإدهاش» لا يتضح المراد منها، وإن كان يمكن استنتاج أن مراده أن الكتاب أوتي قدرة فائقة على الجدل وقوة الحجة، والتحليل والتركيب، وتفنيد حجج المخالف، ونحو ذلك، وأن ما فيه من ذلك مدهش. لكن هذا شيء يُستدل عليه بما تُعُوِّد من سماع بعض الكلمات الواردة في هذه العبارة، ولا تدل عليه العبارة في نفسها. وكذلك قوله: «وثمة أيضا الإعلان المتبرئ دائما، والمتوقع حتى الفظاعة»[5]، و«إعجابي شبه المصعوق»[6]، فإنها فيما يبدو- ترجمة حرفية، لا تبين.

ومن قرأ ما يُكتب في علم اللغة، ولا سيما ما يكتب في المغرب العربي، أسف لأمرين: أنه يقرأ ما كان في وسعه أن يفهمه، لو كُتب بلغة غير التي كُتب بها، فيفيد منه؛ فيتنازعه التمادي في القراءة رجاء أن يفيدَ مما يقرأ، ولو فائدة يسيرة، والانصراف عنه ليأسه من فهمه، ثم يغلِّب الانصراف صونا للوقت والعقل عن التمادي في أمر، يعطيه من وقته وعقله فوق ما يستحق، وفي وسعه أن يبلغ ما يريد بطرق أخرى. الأمر الثاني أن هذه اللغة المسيخ سوف تحظى بمكانة فوق مكانتها، بسبب ما يحرص عليه بعض العرب من التهالك على المحدثات، والتظاهر بخلاف ما يَجِدُون.

---

(١) العربية لغة العلوم والتقنية، ٢١٢.
(٢) الاستشراق، ٣.
(٣) السابق، ٩.
(٤) السابق، ٢١٢.
(٥) الثقافة والإمبريالية، ٦٨.
(٦) السابق،٧٢.

وإذا قرأ المرء كلاما ككلام هؤلاء وجد قلقا ونفورا مما يقرأ؛ لأنه يبذل جهدا مضاعفا في فهم المراد، واستجلاء معاني الكلم والأساليب، وما أراد الكاتب منها، كما يفعل الذي يقرأ نصا بلغة أجنبية، يحل رموزه أولُ، فيضع لكل منها مقابلا من لغته، حتى يتبين أن المراد من هذه العبارة هو ما يراد من العبارة التي تقابلها في العربية. ومع هذا يظل يداخله الشك في أن يكون ما فهم هو ما أراد الكاتب، وهو -إلى ذلك- يلاحق المعنى الذي قد تكون به دقة وخفاء، يحولان دون إدراكه من أول مرة، ولا سيما إذا كان الموضوع فلسفيا، أو يعرض لقضية جديدة، لم يقرِّبها البحث، ولا ذلَّل السبيل إليها الاصطلاح. وإذا طال عليه القلق والعنت، فربما عدل عن إتمام الكتاب رجاء أن يجد الفكرة في كتاب أصح منه لغة، وأوضح عبارة، أو لأنه يشعر بأن ما يستخرج منه دون ما يلقىْ فيه. وكذلك فعلت الترجمة غير العالمة ببعض الكتب قديما: حالت بين العلماء والانتفاع بها، وما أفاد منها من أفاد إلا بعد عنت، كما قرأ ابن سينا «ما بعد الطبيعة»، لأرسطو أربعين مرة، فما وقف على حقيقة مراميه، ولا انفتحت له أغراضه إلا بعد اطلاعه على شروح الفارابي[1]. وكان أبو يعقوب يوسف بن عبد المؤمن مشغوفا بالفلسفة، وكان «يتشكَّى من قلق عبارة أرسطو، أو عبارة المترجمين عنه، ويذكر غموض أغراضه، ويقول: لو وقع لهذه الكتب من يلخِّصها ويقرِّب أغراضها، بعد أن يفهمها فهما جيدا، لقرُب مأخذها على الناس»، فرغب ابن طفيل إلى ابن رشد أن يتولى ذلك، ففعل[2]. وكانت ترجمة السريان من اليونانية شبيهة بترجمة العرب من الفرنسية في القرن التاسع عشر، يكثر فيها الدخيل، والأساليب الركيكة التي تترجم ترجمة حرفية، على وجه يدل على أنهم ما كانوا يفهمون ما يقرؤون فهْما يمكنهم من الإبانة عنه، ولا كانوا يعرفون من العربية ما يؤدون به ما فهموا. والعنت الذي يجده العربي اليوم مِن قراءة ما يَكتُب بعض المعاصرين كالعنت الذي يجده مِنْ ترجمة متَّى بن يونس لكتاب الشعر لأرسطو. وكانت معرفة مترجمي السريان بالعربية مزجاة، بل ربما كانوا لايعرفون منها إلا العامية، وكانت صلتهم بكثير من الألسن حائلا دون امتلاك

---

(١) الإشارات والتنبيهات، القسم الأول، ١٢٩ (نقلا عن: الإشكالية اللغوية في الفلسفة العربية: دراسة حليلية نقدية، ٢٧).
(٢) المعجب في تلخيص أخبار المغرب، ٢٤٣.

أحدها. أما معرفتهم بالفلسفة، فما كانت كمعرفة المخصين، ولا كانت مقصودة لذاتها، وإنما كانت وسيلة إلى إتقان الترجمة، وإنما عرفوا منها ما عرفوا بالتمرس بترجمة ما ترجموا من نصوصها[1]. وهذه حال كثير من تراجمة اليوم، يترجمون علوما لا يعرفونها؛ فيتعذر عليهم أن يبينوا عنها؛ لأنهم غير مخصين فيها. وهذا من أسباب عدول كثير من العرب عن بعض الكتب المترجمة في هذا العصر، ولا سيما الكتب ذات التوجه الحداثي، وسبب عدم استيعابهم ما يقرؤون منها والإفادة منه؛ لأنهم يجدون كلاما غامضا، يتعذر فهمه، لكنهم يتوهمون أن مأتى غموضه من عمق ما يعالج من القضايا، فيتلقونه بالقبول؛ لأن في تقبله بابا إلى الشهرة، والمنافع المادية، فيمتهنون محاكاة ما يقرؤون، ويشتغلون بإنتاج العبث والإيهام والمنافحة عنهما، فيكون ما يفعلون سببا من أسباب التخلف والإضلال عن الحقيقة، والشَّغْل والاشتغال بما لا طائل تحته. ومن آثار ذلك ما يصيب الثقافة العربية اليوم من التمزق، وأهلها من التخالف والتحزب، والتنابز والتعصب، وتبييت الحروب. ولو كان الكاتب عارفا باللغة، ملتزما قواعدها كما تووضع عليها، لكفَى القارئَ أحد العناءين، فانصرف إلى تعقل المعنى والتفقه فيه. إلا أن معاناة المثقف العربي في هذا العصر أشد من معاناة مثقفي العرب الأوائل، فقد كان جل علوم الأوائل من نتاجهم؛ فكانت اصطلاحاتها عربية، حتى العلوم الطبيعية والرياضيات، وبعض كتب الفلسفة، لا يكاد يوجد فيها لفظ دخيل، وأكثر ما يكون الدخيل في كتب الطب، وأسماء المواليد من حيوان ونبات، والأغلبية العظمى منه أسماء جامدة[2]، بخلاف ما أُلِّف في هذا العصر، فقد كثر فيه الدخيل في كل علم وفن؛ لأن النظريات الحديثة في اللغة، والآداب، والترجمة، وغيرها من مجالات المعرفة مستوردة، والعرب نَقَلة، وكثيراً ما يختارون أيسر السبل في النقل، وأقلَّها كلفة في الطور الأول: أخْذ النظريات والأفكار بألفاظها الأجنبية، مع أن في العربية من الألفاظ ما يغني عنها[3].

(١) اللسان والميزان، ٣٢٨.
(٢) الترجمة وتطوير العربية، ١٢.
(٣) السابق، ١٣.

مسخ المباني

وأعني به التصرف في الكلمة والعبارة تصرفا لا وجه له في العربية، حذْوًا لهما على الكلمة والعبارة من اللغة الأجنبية، كأن تهجَّن الكلمة العربية بالسوابق أو اللواحق اللاتينية، أو يزاد فيها ما لا يزاد فيها في العربية، ليقابل ما يزاد في مرادفتها الإنجليزية أو الفرنسية من السوابق واللواحق، وتذكَّر أو تؤنث؛ لأنَّ ما تُجعل مرادفة له من اللغة الأجنبية يذكَّر أو يؤنث، ويُجمَع منها ما لم تَجْرِ العادة بجمعه؛ لأن مرادفتها الإنجليزية أو الفرنسية تجمع، وتُبْنَى الجملة على خلاف ما تبنى عليه في العربية؛ من أجل أن تترجم بها عبارة، أو أسلوب إنجليزيان أو فرنسيان ترجمة حرفية، لا تزيد على جعل الكلمة بإزاء الكلمة؛ من أجل ذلك كانت كما قال أحدهم: «فصحاها ليست بفصحى، إذ إنها تزخر بالبنى النحوية الفرنسية التي انتقلت إليها عن طريق الترجمة. ومن المضحك أن نرى صحفاً تدّعي حمل مشعل «الأصالة» تكتب بعربية هي ثمرةٌ هجينة من ثمار الترجمة الحرفية من «لغة المستعمر»»[1]. وسأعرض لأهم ما يقع من ذلك وغيره في العربية الحديثة بإيجاز.

أولا- لواحق النسب

وهي الواو والياء، أو الواو والياء وهاء التأنيث، تزاد في الكلمة، ليكون معناها معنى كلمة أجنبية، تزاد فيها لواحق بعينها، لمعان بعينها، كزيادة ism / isme، في أسماء المذاهب، وist /iste في أسماء من يُنسبون إليها، نحو: Liberalisme /Liberalism و Romanticisme /Romanticism، و scientism، و Orientalisme /Orientalism و Méthodologisme، و Islamism / islamisme، و idéalisme /idealism، و secularism، و selfism، و Liberaliste /Liberalist،

(١) الجزائر: اللغات وهستريا الهويات.

وRomantiste /Romantist، وscientist، وOrientalistc /Orientalist، و islamiste /islamist، وidéaliste /idealist، فيقال في العربية الحديثة: إسلاموية، وسياسوية، ومثالوية، وعلموية، ومنهاجوية، وإسلاموي، وسياسوي، ومثالوي، وعلموي، ومنهاجوي، والأنانوية. ويزيد بعضهم ألِفًا ونوناً قبل ياء النسب وهاء التأنيث، في أسماء المذاهب، فيقولون: الشكلانية، والفكرانية، والدهرانية، والتقليدانية (Traditionalism)، والتراثانية[1]، والشخصانية، والحدثانية، والجذرانيّة، والنصانية[2]، والمشرقانية (Orientalism)، أي الاستشراق، والتاريخانية (historicism)[3]، والجماعانية (communitarism)[4]، والخُضرانية (greenism)، واللبرتانية (liberty)، والتحررانية (libertanism)[5]، والجمهورانية (Republicanism)[6]، والطبيعانية (Naturalism)[7]، والكليانية، (totalitarianism / totalitarisme[8])، وإقليمانية (territorialism)، وتُمَيِّز من الإقليمية، بجعل الإقليمية مقابلة لـterritorialist[9]. وقد يكون بعض هذا التمييز وما يسوَّغ به متكلفا، وغير صحيح، كما وقع لبعضهم من التمييز بين معنى Structurel وStructural، مع أن الخلاف بينهما خلاف في رسمين، ليس إلا، كما قال جورج مونان إن بعض المترجمين اللغويين المبتدئين الذين كانوا ينقلون عن الألمانية كانوا يستعملون Structurel، وإن أمثالهم من الذين ينقلون عن الإنجليزية يستعملون Structural، فظن بعض المتأخرين أن الكلمتين تدلان على مفهومين مختلفين، وهما كلمة واحدة، وما بينهما اختلاف بين الإنجليزية والألمانية في الرسم. وكذلك ظن بعض العرب، فقد جعل عبد السلام المسدي البنيوي مقابل Structurel، والبنائي مقابل Structural، وجعل بسام بركة «البنيوي التركيبي» مقابل Structurel، وبنياني

(١) عشرة مفاهيم - أعراض لتقويم الشأن اللغوي بالمغرب، ٢٥ وما بعدها.
(٢) ترجمة المصطلحات الأدبية وتعريبها: مشاكل وحلول وواقع مأمول.
(٣) الثقافة والإمبريالية، ٣٩٤.
(٤) السياسة اللغوية، ٨٥
(٥) السابق، ٨٨.
(٦) السابق، ١٠٩.
(٧) السابق، ١٠.
(٨) الذات عينها كآخر، ٣٣.
(٩) مسار اللغة الأمازيغية، ٣١٢.

وبنيوي مقابل Structural [1]، وهذا يدل على عدم صحة ما يدعي بعضهم من تحري الدقة في الاصطلاح، وإنما هو وجه من وجوه تطلب المماثلة بين العربية واللغات الأجنبية، غرضه أن يكون لكل لفظ أجنبي مقابل عربي، ولو اقتضى ذلك أن يُدخَل عليه من التغيير ما لا يقبله نظام الصرف العربي. ويقولون فيمن ينسب إلى هذه المذاهب: الشكلاني، والتاريخاني، والفكراني، والدهراني، والشخصاني، والحدثاني، والجذراني، والنصاني، والتراثاني، والتقليداني (Traditionalist)[2]، نسبة إلى الشكل، والتاريخ، والفكرة، والدهر، والتقليد، والتراث، والتقليد، إلخ. ومن زيادة الألف والنون وياء النسب في غير أسماء المذاهب المتوحِّداني (solipsiste)[3]. وكان خيرا من هذا وأصح الاقتصار على ياء النسب مع هاء التأنيث، من غير ألف ونون، ولا واو وياء، في أسماء المذاهب، إن أريد الاقتصار على كلمة واحدة، أو زيادة «مذهب» في الكلمة الدالة على اسم المذهب، إذا خيف اللبس، فيقال: مذهب التحرر، ومذهب الخضر، ومذهب الجماعة، ومذهب الطبيعة، ومذهب التقليد. وأكثر أسماء المذاهب في التراث العربي مصادر صريحة، كالتصوف، والتنزيه، والتفويض، والتشيع، والاعتزال، والإرجاء، والرفض، والتعطيل، والتجسيم، والجبر، إلخ، أو مصادر مسبوقة بكلمة «مذهب»، نحو: مذهب الطبع، ومذهب الصنعة، ومذهب التكلف، ومذهب اللذة. أو كلمة «مذهب» مضافة إلى صاحب المذهب، نحو: مذهب مالك، ومذهب الشافعي، ومذهب البصريين، ومذهب الكوفيين، ومذهب أبي حنيفة، ومذهب أهل المدينة، ومذهب أهل العراق، إلخ، أو يجعل مصدرا صناعيا، كاللاأدرية، والدهرية، إلخ، وقيس على ذلك في هذا العصر أسماء بعض المذاهب الحديثة، كالشيوعية، والرأسمالية، والعلمانية، والمادية، والمثالية، والناصرية، والغنوصية، والانطباعية (impressionism)، والطبيعية (naturalism)، والعقلانية (rationalism) والأسلوبية (stylisme)، والبنيوية (structuralism)، والشكلية (Formalism)، والتكعيبية (cubism).

(١) إشكالية المصطلح في الخطاب النقدي العربي الجديد، ١٣٢.
(٢) السياسة اللغوية، ٤٠.
(٣) الذات عينها كآخر، ٤٥.

وهذه الزيادة عربية صحيحة، وهي قديمة، وقد أقرتها مجامع اللغة العربية[1]. وإذا استُحدث اسم مذهب جديد، وجب أن تسلك به إحدى هذه السبل، أما إدخال هذه الزوائد، فمسخ للعربية، وحذو لها على لغات أخرى، وخروج بها عن سننها، يجعلها لغة إلصاقية كالإنجليزية والفرنسية، وإنما نُزِع إليها حين استحكم الجهل، وفسد الطبع، وتولى الكتابة من لم يعدَّ لها عدتها. وكان كمال أبو ديب إمام هذا المذهب، فقد قال إنه تعمد إلحاق «ويَّة» ليقابل بها النسب في الإنجليزية في نحو humanistic، وscientistic، فنسب إلى «علم» بعلموية، وإلى «إنسان» بإنسانوية، وإلى «شعب» بشعبوية، بعد أن كان الشائع من هذا في العربية الحديثة كلمة واحدة، هي «وحدوية». واقترح «ليـ» مقابل Ahitorical، و«فو» مقابل: extra، و«زيـ» مقابل psuedo، و«زا» مقابل over، و«لا» مقابل un وnon، واقترح عبارات، يقابَل بها ما سماه العبارات الإقحامية في الإنجليزية، نحو: so to speak, say it were، وأن تُجمَّد هذه العبارات وتجعل عتيدة للاستعمال، كالعبارات الإنجليزية، ومما اقترح لها: بوجه من القول، لِنَقُل[2]. وقد أقرَّ بما سيترتب على صنيعه هذا من إفساد العربية، فقال: إن «هذه العبارات والاقتراحات تخلخل الأسلوب العربي، تخلق حسًّا بالقلق، بالأجنبية»[3]، وأقرَّ بأنه تقبَّل بِنْيَةً لغوية إنجليزية، في نحو قوله: «إن إسهام زيد في، وتطويره للاستشراق، مهمان»[4]. بيد أنه سوَّغ ذلك بوفائه للنص الذي يترجم، وهو «الاستشراق»، و«الثقافة والإمبريالية» لإدوارد سعيد[5]. ثم أبان عن اغتباطه بتقبُّل العرب ما صنع، ومتابعتهم إياه، واتساعهم فيه، فقال إنه حين دعا إلى النسب بالواو والياء إلى المذكر (لإعطاء الكلمة دلالة مخصصة مع الإشعار بقدر من التظاهر والادعاء، أو التطرف المذهبي)، فقال علموي، وإنسانوي، لم يكن أحد -فيما يعلم- يفعل ذلك، ثم هاهي ذي «إسلاموي»، وقوموي»، و«عروبوي»،

(١) ترجمة المصطلحات الأدبية وتعريبها، ١١٢.

(٢) الاستشراق، ١٣، ونقل هذا الكلام بحرفه في مقدمته لترجمة «الثقافة والإمبريالية»، ونقل معه ما سوغه به (ص ٣٩).

(٣) الاستشراق، ١٣.

(٤) السابق، ١٦.

(٥) السابق، ١٣، والثقافة والإمبريالية، ٣٩.

وأشباهها تنتشر في الكتابة العربية[١]. ولما دعا إلى استعمال المهمل، ونَسَبَ إلى الجمع، فقال عوالمي، ومدائني، ومكاتبي، وأساطيري، وجمالاتي، ومؤسساتي، كان عمله مغامرة، تخرج عن قاعدة النسب في العربية، ثم هاهو ذا النسب إلى الجمع يطرد اطرادا شبه عفوي، سواء أكان من يأتونه يعلمون أنه أول من سبق إليه، أم لم يكونوا يعلمون، وصار من المعهود أن يقال «النقودية،» و«الجهاز المفهوماتي»، وصارت شعوب بأسرها تسمي نفسها «الاتحاد المغاربي»، وكتّاب يتحدثون عن «القصة المغاربية»، و«الأدب المغاربي»[٢]. وحذو العربية على الإنجليزية ظاهرة فيما يترجم كمال أبو ديب، كاستعماله «الـ ١٨٣٠ (ات)» حذوا على الصيغة الإنجليزية the 1830s، وسوَّغ ذلك بمسوغات ضعيفة، هي أنها أوجز من «الثلاثينات من القرن الثامن عشر»[٣].

ومن هذا القبيل ما يرى محمد هيثم الخياط من أن تُستعمَل غيرُ صيغة في النسب إلى «بيضة»، على حسب المعنى الذي يراد بالنسب، كأن يقال «بيضي» فيما ينسب إلى «البيضة»، و«بيضوي» و«بيضاوي»، في النسب إلى شكل البيضة، و«بيضاني» لما يشبه شكل البيضة ولا يطابقه، وحمرائي في النسب إلى النواة الحمراء، وحمراوي في النسب إلى الكرية الحمراء، وينسب إلى النواة السوداء بسودائي، وإذا وصف المزاج بالسواد نسب إليه بسوداوي[٤]. ومنه إجازة مجمع القاهرة «التقييم» بدلا من «التقويم»؛ لأن في الإنجليزية والفرنسية كلمتين مختلفتين للتقويم بمعنى التعديل وتحديد القيمة، هما: modification، وEvaluation، فجعَلَ المجمع «التقويم» بمعنى modification، والتقييم بمعنى Evaluation، والتمس لذلك أصلا في المعاقبة الحجازية، وهي تعاقُب الواو والياء على الصيغة الواحدة، كصوَّام وصيَّام، وقوَّام وقيَّام، وعيَّد من العيد، مع أن أصل الياء فيه واو، لئلا تلتبس بعوَّد، من العادة[٥]. ولا بأس بأن يقاس على كلام العرب، وأن يُعدَّ منه ما قيس عليه، إذا صحت العلة الجامعة بين المقيس

---

(١) الثقافة والإمبريالية، ٤٥.

(٢) السابق، ٤٤ وما بعدها.

(٣) الاستشراق، ١٦

(٤) المصطلحات والضرورة العلمية، ٣٥ (نقلا عن: علم المصطلح، ١٣٦).

(٥) كتاب في أصول اللغة، ٢٢٨، والعربية لغة العلوم والتقنية، ٢٥٢.

والمقيس عليه، كما هو شرط القياس، لكن المعاقبة الحجازية لا يترتب عليها اختلاف في المعنى بين الواوي واليائي، كما لا يختلف معنى صوام عن صيام، وقوام عن معنى قيام، أما عيَّد وديَّم، فلا تعاقب فيهما، وإنما عُدِلَ فيهما عن الأصل توهما لأصالة الياء، أي إن علة جعْل ما أصله واو ياءً ليست خشية اللبس، وإنما نسيان أصل الياء، وتوهم أصالتها. والحامل على هذا القرار أن يكون للمعنيين لفظان مختلفان، كما لهما لفظان مختلفان في الإنجليزية والفرنسية، وأن يكون لكل من اللفظين الفرنسي والإنجليزي لفظ يقابله في العربية، لا خوفُ اللبس، كما هو الحامل على ما قد رأينا من زيادة الحروف التي تزاد في الاسم المنسوب، وإلا، فقد أتى على العرب ما أتى من الزمن ما خافوا أن يلتبس «التقويم» بمعنى التعديل، بـ«التقويم» بمعنى التقدير؛ لأن السياق الذي تَرِد فيه الكلمة يخصص المعنى المراد. وما أراد مَنْ اقترح التفريق بين المعنيين بلفظين مختلفين إلا مماثلةَ الإنجليزية والفرنسية في خصِّ كل من المعنيين بكلمة، كما صرح بذلك عبد الصبور شاهين: «وهناك محاولات كنا قد اقترحناها على سبيل التجربة محاكاةً للغات الأوربية في مسلكها هذا»[6]. أو هو في أحسن الأحوال قد تملكته الإنجليزية أو الفرنسية، فصار لا يفهم الكلمة العربية حتى يعرفَ مقابلها منهما، ولما كانت «قوَّم» تدل على معنى الكلمتين الإنجليزيتين والفرنسيتين معا، ولا تتمحض لمعنى إحداهما إلا بالسياق، كان ذلك مما يشق عليه حقيقةً أو ادعاء، فأراد هذا التمييز، فأجابه إليه من أوتي بسطة في القول، وعلما بأباطيل النحويين، كما سماها المعري، وتكاذيبهم، كما سماها ابن حزم. وقياس إجازة «قيَّم» على المعاقبة عند أهل الحجاز لا يصح؛ إذ لا قياس مع السماع، وما سمع عن العرب هو قوَّم، ولم يسمع عنهم قيَّم، والمعاقبة سماعية لا قياسية، وليس فيها ما يؤتى دفعا للبس، وإنما هي لفظ واحد، لمعنى واحد، ينطق بالواو مرة وبالياء أخرى، وقد يكون مردُّ الاختلاف في نطقه إلى اختلاف لهجات العرب، ليس إلا. ومما يحمد للمجمع العراقي تنكُّب هذا، بل معارضته، وكذلك كان المجمع السوري قبل أن يستولي عليه الفرنسيون، ويوجهوه بمن أدخلوا فيه من صنائعهم. وقد راغ مجمع القاهرة،

(٦) العربية لغة العلوم والتقنية، ٢٧٤.

مذ توفي الرعيل الأول من علمائه، إلى حذو العربية على الإنجليزية، وهو حذو ليس فيه من نفع للعربية سوى الضيم، مهما يكن لمجيزيه من قدرة على التلعب بالألفاظ، والحرص على ما يُدعَى «الصوغ العالمي للاصطلاحات»[1]، وادعاء أن «مجال الاصطلاحات العلمية يجعل الكلمة مجرد رمز رياضي، يؤدي معنى وظيفيا محددا، على حين أن سائر مجالات الاستعمال اللغوي تبقى على أصلها»[2]، كأنَّ من الممكن أن تدخل العربية في اللغات الأوربية التي تنتمي إلى فصيلة واحدة، وتتوارد على لغتين (اليونانية واللاتينية)، لا صلة بين العربية وبينهما، وكأن ادعاء أنهما لغتان عالميتان يمكن أن يحطم الحواجز التي خلق الله بينهما وبين العربية، وكأن اللغات التي تجعل من الكلمة في الاصطلاح رمزا رياضيا أفسدت لغاتها بحذوها على لغات أخرى أجنبية عنها.

وفي الفرنسية كلمة واحدة، تدل على «يؤجِّر ويستأجر»، هي: louer، وفي الألمانية كلمتان لكل من المعنيين: miethen (يستأجر)، وvermiethen (يؤجِّر)، وفي الألمانية فعل واحد، يدل على الإعارة والاستعارة، هو lehnen، وفي الفرنسية فعلان يدلان عليهما، هما préter (يعير)، وemprunter (يستعير)[3]، فما اشتق الفرنسيون لفظا يقابل الكلمة الألمانية التي ليس عندهم مقابل لها، ولا اشتق الألمان ما يقابل الكلمة الفرنسية التي ليس عندهم ما يقابلها. ولم يلتفت العرب قديما إلى هذا، ولا حرصوا على أن يخصوا المفهوم باصطلاح، وإنما كانوا يستعملون اللفظ فيما يستعمل فيه في أصل اللغة، ويستعملونه فيما انتهى إليه الاصطلاح، فكانت لهم لغة واحدة، تستعمل في العلوم كلها، وفي كل شأن من شؤون الحياة العامة والخاصة، وكان السياق الذي يرد فيه اللفظ يبين معناه، من غير لبس، ولا سيما إذا استُعمل في سياق علمي بعينه، فإنه يبين دلالات الاصطلاحات تبيانا تلقائيا، لا لبس فيه، يغني عن هذه اللغة التي يُدَّعَى أن غرضها تجنب اللبس، بتخصيص المفهومات بمفردات، لا تشارَك فيها. فالمركب في الكيمياء -مثلا- لا يفهم منه إلا المادة المؤلفة من عناصر شتى

---

(١) العربية لغة العلوم والتقنية، ٢٧٤.

(٢) السابق، ٢٧٥.

(٣) اللغة، ٣٠١ وما بعدها.

بنسب ثابتة، وإذا ورد في كلام النحويين لم يفهم منه إلا الاسم المؤلف من كلمتين ليس بينهما عاطف، والكناية عند النحويين لا تعني إلا الضمير، ولا تعني عند البلاغيين إلا استعمال اللفظ وإرادة لازمه. ولما كان العلماء الأولون يعولون على هذا لم يحتاجوا إلى لغة غريبة، كـ «لغة العلم». ولعل للغربيين عذرهم في ذلك، بيد أن عذرهم ما ينبغي أن يُلْزَمه غيرهم. ومن المعلوم أن «التاريخية» -مثلا- يمكن أن تؤدي المعنى الذي يراد أن تؤديه «التاريخانية»، والذي يميز أحد المعنيين من الآخر هو السياق الذي ترد فيه الكلمة. لكن الحرص على المماثلة حمل على استحداث «التاريخانية» لاسم المذهب، تمييزا له من المصدر الصناعي الذي يمكن أن يستعمل في غير المذهب، كما تفعل اللغات الأوربية، أو بعضها.

ثانيا- زيادة النون

أي: زيادتها في الأفعال والمصادر وما يشتق منها، كعَصْرنَ (modernize)، ووطْنَنَ وطننة (localization، localize / localisation، localiser)، وعَبْرن، أي: هوَّد (Hebraize)، وغَرْبَنَ[1] غربنة، أي: غرّبَ (westernize، و westernization)، ولغْونَ[2]، وفرْدَنَ، أي: جعله فرديا (/ individualiser Indvidualize)، ومُفَرْدَن (Individualized)، ووقْعن (realize)، وموقعن (realized)، وتَجَمْعن (من الفلسفة الاجتماعية) (socializer /socialize)، والشعبنة أي جعْل الشيء شعبيا (popularization / Popularization)، وصَوْرن (جعل النظرية صورية، من المنطق الصوري)[3]، وبدْوَنَ، والبدونة[4]، ومسْحن، أي: نصَّر (christianiser / Christianize)، وشرقن، أي: جعله شرقيا (Orientalize)، ومشرْقَن (orientalisé[5]Orientalized /)، وطَلْين، أي: جعله إيطاليا (Italianiser / italianize)، وشَعْرن، أي: جعله شعريا (/ poétiser

---

(١) ثقافتنا في عصر العولمة، ٤٥.

(٢) الثقافة العربية وعصر المعلومات، ٢٣٢.

(٣) الكلام أو الموت، ٣١.

(٤) النقد الثقافي نظرية جديدة أم إنجاز في سياق مشروع متجدد، ١٣٣.

(٥) مسألة الهوية، ١٨٧.

(poeticize)، وعلْمـن (séculariser / secularize)، وعرْبَـنَ[1] (/ Arabiser Arabize)، ومعربـن (معرَّب)[2]، وطبعنـة (normalization)[3]، وقَوْمـنَ قومنـة[4]، أي: جعلَه قوميـا (nationalize، nationaliser، nationalisation / nationalization)، والمذهـب قومانيـة[5] (Nationalim / Nationalime[6])، والبَنْيَنـة، أي: جعْـل الشـيء بنويـا (structuration)[7]، وسـيرة ذاتيـة مُبَنْيَنَـة[8]، والمثلنة[9]، أي: جعْل الشـيء مماثلا للإنسـان، والأرْخَنَة أي جعْل الشـيء تاريخا، وعَضْـون، أي: جعَلَـه عضـوا (organiser / Organize)، وعقلـن عقلنـة، أي: عقَّـل (rationaliser، rationalisation / Rationalize[10]، rationalization)، ومعَقْلِنـات، أي: الأشـياء التـي تسـوِّغ عمـلا أو توضحـه (Rationales)، ويعَوْمـن، أي يقـرِّب مـن العامـة (populariser / Popularize)، وحدْثنَ، أي: جدَّد، أو جعله عصريـا (moderniser / Modrnize)، ومُحَدْثَـن (Modernized)، وشـخْصَنَ، أي: جعله شـخصيا (personnaliser / Personalize)، وتشـخصن، وتَشَـخْصُنات (Transfigurations). ورقمنـة، أي: جعْـل الشـيء رقميـا (Digitization)، وشَـرْعنَ (legalize)[11]، ورَوْمنـة (romanisation / romanization)[12]، ولتنـن لتننـة (Latiniser، latinisation / Latinize، Latinization)، وترجمهـا بعضهـم بلتَّـن[13]، كمـا هـو القيـاس، وجعلهـا بعضهـم لَيْتـن لَيْتنـة[14]، وترجمهـا بعـض بلَتْيَـنَ[15]. ولا يخفـى أن لتَّـنَ هـي الصيغـة الخفيفـة، وأن غيرهـا مـن الصيـغ

---

(١) انظر: الوضع اللغوي في الفصحى المعاصرة، ١٤٢، والاستشراق (مقدمة المترجم)، ١٤.
(٢) الاستشراق، ١٤.
(٣) الثقافة والإمبريالية، ٣٩٦.
(٤) مسألة أكراد سورية، ٦٦.
(٥) عولمة الثقافة، ١٠٠.
(٦) السابق، ١١٢.
(٧) مصطلحاتنا بين المشرق والمغرب.
(٨) حوار اللغة، ٧.
(٩) عولمة الثقافة، ١٥.
(١٠) الوضع اللغوي في الفصحى المعاصرة، ١٣٣ وما بعدها.
(١١) اللغة العربية تواجه التحديات.
(١٢) معجم المصطلحات اللسانية، ٢٩٠.
(١٣) المورد، ٧٩٥، وفي سبيل العربية، ٨٨، وثلاثة وثلاثون قرنا من تاريخ الأمازيغيين، ١١١.
(١٤) الأكراد واللغة والسياسة، ٨٩.
(١٥) انظر: المنهل، ٦٠٤.

ثقيل، فضلا عن أنه لا يصح قياسا، وإن كانت لتنن هي أشيعها. والمكننة، من المكنة (Machination)، وشكْلن (formalize/ formaliser[1])، وسَلْمن (islamiser)، فهو مُسَلْمَن، وعَمْلنَ، من «العمَل» (proletarianize)، وعملنة (proletarianization)[2]، والسَّيرْنة، من السيرة (auto /biographication)، والقَصَّنة والسردنة، من القصة والسرد (Narrativization)[3]، والخَرْجَنَة (externalization)[4]، ومُشَرْبَن (Mustachioed)، أي ذو شارب عظيم، وإنما فرَّ من «ذي شارب عظيم» إلى هذه الكلمة التي لا تبين عن شيء؛ لأنه وجدها في الإنجليزية على صورة اسم مفعول، ويريد أن تتساوى الكلمتان في الإفراد، كما تساوتا في كونهما اسمي مفعول، من «شارب»، وأن يشتق من «شارب» كما يشتق الإنجليز من (mustachio). ولم يتنبه إلى أن العربية ليس فيها «شُرْبِن»، بمعنى جُعل له شارب عظيم، وأن «صيغة المفعول لا تشتق من أسماء الأعيان، وإنما تشتق من الفعل» إلا ما شذ من «رجل مُدَرْهَم» (كثير الدراهم)، في رأي أبي زيد الأنصاري، و«فرس مدنَّر» (به نُكَت فوق البرش)، ومفؤود (جبان)[5]، وأن «الشارب» اسم جامد؛ فلا يُشتق منه، وأن في العربية ما يبين عن معنى الكلمة الإنجليزية، هو: ذو شارب عظيم. فإن أبى إلا كلمة واحدة نسبَهُ، فقال شارباني، كما يقال لحياني، وأنفاني، وبطناني، لعظيم اللحية، والأنف، والبطن، وهي كثيرة في النسب الذي يراد منه زيادة معنى الكلمة قوة، والمبالغة فيه[6]. وأكثر الألفاظ الأجنبية التي ترجمها كمال أبو ديب وغيره بكلمات كهذه ليست باصطلاحات، وإنما هي ألفاظ عادية، يُتَّبع في اختيار مقابلاتها طريق الترجمة، ولكل لغة خصائصها في الاشتقاق، وطرائقها في الترجمة والتعبير، ووجود صيغة اشتقاقية أو تركيبية للفظ في لغة لا يستلزم أن يحذى عليها في

---

(١) مصطلحاتنا بين المشرق والمغرب.

(٢) العربية لغة العلوم والتقنية، ٢٤٨ وما بعدها.

(٣) إشكالية المصطلح في الخطاب النقدي العربي الجديد، ٤٣٩.

(٤) مجلة عالم التربية في حوار مع الباحث الأكاديمي الدكتور عبد القادر الفاسي الفهري، ٨.

(٥) السماع والقياس، ١٨، والنوادر في اللغة، ٥٢٠ وما بعدها، ومعجم تيمور الكبير في الألفاظ العامية، ١/ ٣٢و٥/ ١٠٩، وتهذيب اللغة، ٦/ ٢٨٠، والمحكم والمحيط الأعظم، ١/ ٤٣.

(٦) النحو الوافي، ٤/ ٧٤٥.

لغة أخرى[1]. ولعل اللغة التي ترجم بها كمال أبو ديب كتابي إدوارد سعيد هي التي جعلت بعضهم يصفها بأنها صعبة جدا، لتعمده استعمال الأساليب الحداثية التي تتعمد الإبهام[2]، وقال إن فهْم النص الإنجليزي لمن يعرف الإنجليزية أيسر عليه من فهم ترجمة كمال أبو ديب[3]. وإنما مأتى الصعوبة من قلة علم كمال بالعربية، واعتماده الترجمة الحرفية المضحكة أحيانا، ظنا أن اللغة إذا عَبَّرت عن أمر أو شيء بكلمة واحدة، وجب أن تُتَرجم تلك الكلمة بكلمة واحدة أيضا. وأسرف بعضهم في الاشتقاق على الوجه الذي رأينا آنفا، ونحوه إسرافا، أقرَّ بأن بعضه مما لا حاجة إليه، وأنه أفسد العربية وشوهها. وهو عمل لا يشبه إلا الفوضى، والخروج المتعمد عن العربية، حملت عليه قلة العلم بها، وانقطاع ما بين من يفعلونه ولغتهم، وما ترتب عليه من عدم إدراك فظاعة ما يأتون من هذا الاشتقاق ونحوه. ومن وازن بين «عقلن» و«التعقيل»، في قول عثمان أمين: «الإنسان يعمد إلى تعقيل الوجود عن طريق اللغة»[4]، تبين ما بين الوضوح والرزانة العلمية، والتقيد بقواعد اللغة، والفوضى، واعتساف اللغة على غير علم. وهو أمر يفعله الأكاديمي، والصحفي الذي لا يدري ولا يدري أنه لا يدري، ويريد أن يكتب؛ لأن مهنته أن يكتب، وقلة علمه تحول بينه وبين أن يهتدي إلى الصواب، فيقول ما عنَّ له، كما يفعل الطفل، وإن كان الطفل يخضع لقياس لم يُحكمه، ولا يفيء الصحفي إلى سليقة، وليست له عدة من العلم، يَعتَدُّ بها على تحري الصواب؛ فيبغي اللغة عوجا، ليتحرر من عقدة النقص، ومنقصة الخطأ. وقد غلب على الكتَّاب نهج الصحفيين لتشابه الحال، فهم لا يعرفونها، ولا يريدون أن يعرفوها، ويريدون أن يكون كل ما قادتهم إليه قلة العلم بها مقبولا فيها، وليست بأكثر من قطعة صلصال، يصوغها أحدهم كيف شاء له المزاج، وليس لأحد أن يخطِّئهم، أو يصف عملهم بما هو أهله، ويحتجون لذلك حججا، تلائم قلة علمهم. ومِن قلْب المنطق أن يُحمَل العلم مع أهواء الجاهلين، ويحمل قول العالم على كل شيء إلا ما يجب أن يحمل عليه: (ولو

(١) حركة التعريب في العراق، ١٨٦.
(٢) إشكالية المصطلح في الفكر العربي، ٢١.
(٣) السابق، ٢١.
(٤) في الفكر واللغة، ١٤.

اتبع الحق أهواءهم لفسدت السماوات والأرض ومن فيهن). ولا يخفى أن في «عقّل» -فوق أنها هي القياس- من الوضوح ما ليس في «عقلن» التي لا تذكّر إلا بمعجمات دور النشر التي ليس لها أرب في غير الكسب. وقد استعمل كمال أبو ديب التسليع مرة وفسره بالتسلعن[1]، وهو دليل على أن التفعيل يؤدي ما تؤدي الأفعال المزيدة بالنون التي لا معنى لها، ولا فائدة فيها. وترجمت totalit بالكل، والمجموع، و«برمته»، وترجم بعضهم totalitaire بشمولي، و totalisation[2] بجمع وتجميع، وtotaliser بِجَمَع وجمَّعَ[3]، بدلا من الكليانية التي يعسر على المرء أن يفهم المراد منها، وهي -إلى ذلك- مخالفة لقاعدة النسب في العربية.

وقد احتجَّ لزيادة النون على هذا الوجه أحد أعضاء مجمع اللغة العربية بالقاهرة بأنه أصبح مألوفا بعد أن صقلته الألسنة والأقلام، وإن أنكره بعض النَّقَدة؛ لأن العرب لم تعرف من الكلام على مثال «فعْلن» إلا كليمات. وقال إنه تتبع هذه الكلمات وأمثالها في مظانها، فوجد الحاجة قد مسَّت إليها، والكتَّاب لا يجدون عن بعضها معدلا[4]. واحتج له عبد الصبور شاهين بزيادة النون في بعض الكلمات شذوذا، كبهراني، وصنعاني، وفي العصر الحديث عقلاني، وحقاني، ونفساني، وفي العامية المصرية: جدعنة، وفتونة، وحرفنة[5]. وهي حجة نحوي، يسوِّغ بها ما يأتي الجهلة كما يسوغ المفتون الرسميون ما ترتكب الحكومات من مخالفات، وإلا فما جدَّ في حياة العرب ولا يجدُّ ما يحوج إلى الخطأ، ومخالفة سنن العربية، وإنما جدَّ مزيد من الجهل بالعربية، ومزيد من الحرص على الحذو الذي يفعله التراجمة غير العارفين بالعربية لظنهم أن الترجمة لا تبين أو يحذى اللفظ العربي على اللفظ الأجنبي، بأن يكون مفردا، إن كان مفردا، ومركبا إن كان مركبا، وفعلا إن كان فعلا، واسما إن كان اسما. أما الذي لا يجد من الكتَّاب معدلا عنها، فأقلهم علما بالعربية، وأقلهم اكتراثا

---

(١) الثقافة والإمبريالية، ٣٧٥.
(٢) الذات عينها كآخر، ٣٣.
(٣) المنهل، ١٠٢٩.
(٤) الوضع اللغوي في الفصحى المعاصرة، ١٣٣.
(٥) العربية لغة العلوم والتقنية، ٢٤٩.

بتعلمها، ودينونة اللغويين لفعل مَن لا يعلم دينونة للجهل، ومن دان للجاهلين نزع باللغة إلى شر غاية. وذهب بعضهم إلى أن أبا العلاء المعري أجاز اشتقاق الفعل على وزن فَعْلنَ، فقال: ولا أمنع أن يجيء الفعل على «فعْلن»، وإن كان المتقدمون لم يذكروه؛ لأن الاسم إذا جاء على ذلك وجب أن يجيء عليه الفعل، إذ كان الاسم أصلا، والفعل متفرع منه. وقد قالوا: ناقة رعشن، وهي من الارتعاش، وامرأة خلبن، وهي من الخلابة[1]. وإنما أراد أبو العلاء أنه لا يبعّد أن يكون العرب قد تكلموا به، وإن لم يُرْوَ عنهم، قياسا على مجيئه في الاسم؛ لأن الاسم أصل والفعل فرعه. والسياق الذي ورد فيه كلامه هو استقصاء ما سُمع عن العرب من الكلمات التي تزاد في آخرها النون، لا إجازة الزيادة أو منعها، وزيادة النون في الأسماء سماعية وليست بقياسية، لقلة ما سمع منها، فكيف تقاس في الفعل، ولم تُسمَع فيه ألبتة؟. هذا إلى أن النون في الأسماء الذي ذكر المعري لها معنى، وليس للنون المزيدة في الأفعال التي يرتجل المحدثون معنى ولا فائدة، بل هي خارجة عن القياس، وهو أن يصاغ الفعل على فعَّل، كوطَّن، وعرَّب، وهي إلى ذلك غاية في السخف. وقد سمى مصطفى جواد النون التي في «ضيفن» «النون الكاسعة لزيادة المعنى»[2]. والملحقات التي ذكر القدماء كلها تحمل معنى زائدا على الأصل المجرد، فالضيفن هو من يحضر مع الضيف متطفلا، وليس هو الضيف، وإن كان أبو زيد الأنصاري يرى أنها ليست بزائدة، وأن الضيفن مشتق من «ضَفَن»، أي جاء مع الضيف، ويؤيده أنهم قالوا: رجل ضِفْن وامرأة ضِفِنَّة[3]. والرعشن هو من بلغ من الرعشة والاهتزاز مبلغا، والسِّمْعَنَّة النِّظْرَنَّة هي «التي إذا تسمعت أو تبصرت فلم تر شيئا تظننته تظننا»[4]، إلخ، خلافا لما يرى عبد الله أمين من أن زيادة النون في هذه الكلمات ونحوها للتوسع في اللغة بتكثير الصيغ، لا لمعنى من المعاني[5]. والمعنى الذي يزيد هؤلاء النون من أجله قد أبان عنه العرب بصيغة «فعَّل» في الأفعال، و«تفْعيل»،

(١) رسالة الملائكة، ٢٦٣.

(٢) ن والقلم وما يسطرون، ١٢٧.

(٣) رسالة الملائكة، ٢٦٤.

(٤) علم المصطلح، ٢٠٨ وما بعدها.

(٥) السابق، ١٤.

في المصادر، فالعدول عنه إلى زيادة النون لا معنى له، ومن الخطأ ظن أن «فعَّل» لا يؤدي معنى بعض الكلمات الأجنبية، لقلة ما سمعوه. وإصرار الكتَّاب على أخطائهم، وعدم عدولهم عنها ما ينبغي أن يعد أصلا لغويا، يُبنَى عليه في تصحيح الأخطاء، ومسوغا من مسوغات الاحتجاج لها! ولو كان كل امرئ أخطأ سُوِّغ خطؤه وأجيز، وأبيح لغيره أن يأتي مثله، وجُعِل أصلا من أصول اللغة، لأصبحت اللغة أثرا بعد عين، ولا سيما في هذا الزمان الذي غدا الكتَّاب فيه أكثر الناس عددا، وأقلهم علما بالعربية، وأشدهم إعراضا عن تعلمها، كما أن إجازة مخالفات المخالفين الشرعية مفسدة للدين.

وبين اللغويين والفقهاء المتساهلين شبه كبير، دافعه واحد، هو الحرص على التيسير، ورفع الحرج والمشقة، وتحامي التنفير، مخافة أن يُرمَى الإسلام بالشدة والضيق، واللغة بالصعوبة؛ فأحلُّوا ما حرَّم الله، وما لا تحل اللغة بأقوال شاذة، وأدلة ضعيفة، واحتمالات بعيدة، تغفل عن جانب الحكمة في الشرع، ويعطل التعويل عليها مقاصده، وتنتهك هوية اللغة. ولم ينظروا إلى الشرع من حيث هو رحمة، جاءت لجلب المصلحة ودفع المضرة، فإذا حرَّمت شيئا، فإنما تحرِّمه لأنه يضر، وإذا أباحته فإنما تبيحه لأنه ينفع، أو لا يضر. وأن مقتضى هذا أن يكون التحليل والتحريم محكومين بالمصلحة، وما يترتب على ذلك من إرساخ الرضا بالحكم في خلَد المسلم؛ لأن الشرع لا يرجو إلا مصلحته، وإن كان لا يرضيه حكمه أحيانا، كما يحرم عليه الخبائث لما فيها من أضرار، لا يظهر له بعضها. فصار دين الناس هواهم، ومهمة الفقيه أن يسوغ ما يفعلون بعد أن يفعلوه معرضين عن تبين حكم الله فيه، استهانةً به. ولو لم يسوِّغ لهم ما فعلوا، واقتصرت الفتوى على ردهم إلى حكم الشرع، لكان خيرا لهم وأقوم، وأعون على ضبط النفس، ولجم نزوات الأبدان، وجموح الأهواء. فترى بعضهم -مثلا- يلتمس ما في وسعه من الحجج لرفع الحرمة عن تعاطي التبغ، ويتعامى عما فيه من ضرر، كثيرا ما ينتهي بمتعاطيه إلى الموت، ويرون أن في عدم تحريمه من التيسير ما قد يستميله، ويرفع عنه الحرج والشعور بالذنب، كما أن فيه إظهارا لسعة الإسلام وسماحته، إذ يجعل الأصل في الأشياء الحل ما لم يُنصَّ على حرمتها. وتحريمه أدل على سماحة الإسلام وعظمته، وأنه

أحرص على مصالح الأنام، ولا يحرم ما يحرِّم تضييقا، ولا إرهاقا، ولا معارضة للهوى، وإنما لدفع الضر وجلب النفع؛ لأن الذي شرع الإسلام يعلم من أمر ما يحرِّم ما لا يعلم البشر.

وكذلك فعل المتساهلون من اللغويين، جعلوا همهم أن يصححوا ما يُؤتَى من الأخطاء، مع أن جل من يأتونها لا علم لهم باللغة، وإنما يكتبون أو يتكلمون كيفما اتفق، فالأصل ألا يصح منه إلا ما وافق العامية. وغلا مجمع القاهرة في ذلك فأصدر قرارا في جلستيه الثالثة والعشرين في الرابع والعشرين من أبريل عام ١٩٥٠ م، والخامسة والعشرين في الثامن من مايو عام ١٩٥٠ م، بأن تُدرَس الكلمات الشائعة على ألسنة الناس، على أن يراعى في الدراسة أن تكون الكلمة مستساغة، ولا يُعرَف لها مرادف عربي سابق صالح للاستعمال، وأن يقبل السماع من المحدثين بشرط أن تدرس كل كلمة قبل إقرارها[١]. وهو قرار إما على ظاهره، وإما مجامل، إن كان ما يُعْتَدُّ به في القبول صحةَ الكلمة قبل إقرارها، لا استعمالها وحده. فإن كان المراد الاعتداد بما يقول المحدثون من غير تمييز للعالم من غيره، فلا يخفى ما في القرار من عدم العلمية، وهو ما يظهر من قرار آخر: أن تتبع الألفاظ والأساليب الشائعة، في الصحف والمجلات والمسرح والإذاعة والرسائل والكتب، وتنشر على الجمهور، «فتسدُّ حاجة، وتحقق قسطا من التهذيب والإصلاح»[٢]. ومن المفارقات أن في بعض مَنْ أوصى المجمع بتتبع ألفاظهم وأساليبهم وأخْذها مَنْ يعادي العربية ويسخر منها، وأن من أمثلهم الصحفيين، وهم الذين يعلم العارفون أن لغتهم متدنية، وأنهم «أهل جرأة عجيبة في تعريبهم»[٣]، ولا يعرفون من العربية إلا ما درسوا في التعليم العام، على قلته، ويقولون إنهم أصبحوا كتابا بسبب الانتماء الحزبي، أو المنفعة الإعلامية، أو كل هوى من الأهواء إلا الكفاية العلمية والأدبية؛ فشاعت على أقلامهم، وأشاعوا أساليب ملأى بالأخطاء والعجمة والركاكة[٤].

ومن البديهيات أن صحة الاجتهاد مشروطة بالعلم، فهو الذي يتيح حسن

---

(١) قرارات المجمع في هذه الدورة: القرارات العلمية، ٥٦، ومجموعة القرارات خلال خمسين عاما، ٩ و ١١

(٢) مجموعة القرارات، ١٠.

(٣) في لغة الإعلام.

(٤) أثر الصحافة ووسائل الإعلام في تطور اللغة العربية، ٢٠٧.

التصرف، ومعرفة ما يحسن وما لا يحسن، والأمثل وما هو أمثل منه، ويميز الأصل من الفرع، ومتى يحسن القياس، ومتى يحسن العدول عنه، أما الجهل، فعقيم، والأصل في الجاهل ألا يصيب، وإن أصاب لم يدر أنه أصاب، ولا لم أصاب، فكيف يباح له الاجتهاد؟! وقد عول المتساهلون في تسويغ ما يأتي الجاهلون من أخطاء على كل ضعيف وشاذٍ من أقوال النحويين التي لا تُبْنى على ركن شديد، ولا رأي سديد، وإنما تُبْنَى على كل مصنوع من الشواهد، وواه من حجج النحويين وتخاريجهم. ففتحوا على العربية من أبواب الفساد ما جعلها لغة، ليس لها حدٌّ، تعرف به، ولا نهاية تنتهي إليها، وجعل تعلُّمها غاية في الصعوبة. وإنما فعلوا ذلك تسويغا لما يأتي الجاهلون بها جهلا مركبا، ومحتقروها الذين يأنفون من تعلمها، ويرونها دون أن يبذل في تعلمها من الجهد ما يبذلون في تعلم اللغات الأجنبية. ولو أنهم نظروا إلى القضية بعين العلم والحكمة، لعدلوا عما فعلوا إلى تخطئة المخطئ، والاقتصار على الوجه الشائع الذي ارتضاه الفصحاء في عصور الاحتجاج، وأبوا غيره إلا في الضرورة؛ فحملوا المستهينين بالعربية على تعلمها، أو الكف عن التكلم بها. ومما يترتب على ذلك من المزايا أن تبقى اللغة مضبوطة، مطردة، قليلة الشذوذ، سهلة التعلم، مميزة من اللهجات القديمة، كما تميز اللغات الفصحى من لهجاتها عند شعوب الأرض. ماذا يفيد العرب -غير الجهال الذين يأنفون أن يُوقَفُوا على جهلهم- أن يباح تعريف «غير» بأل، فيقال الغير عالم، وماذا يفيد العربية أن يُخرَج عن القاعدة التي تمنع تحلية المضاف بأل في غير الإضافة اللفظية؟ أليس من الأفضل والأيسر أن يقال لمن يريد تعلم العربية إن «غير» لا تعرَّف بـ«أل»، ويُقتصر له على ذلك، فإن عرَّفها من لا يعلم، رُدَّ إلى الصواب، ولم يُلتمس له وجه من قول نحوي ضعيف أو شاذ، أو مبني على ضرورة، أو شاهد مصنوع، يزهِّد به في تعلم العربية، ويُشعَر بأن كل شيء فيها ممكن، فليست أهلا لأن تُتَعلَّم، مادام من الممكن أن تخرَّج كل مخالفة لها على وجه مقبول؟ ومادامت القاعدة وما شذ عنها متساويين في جواز القياس عليهما؟

ومن أراد أن يعرف ما بين المتساهلين وما أدخلوا بتساهلهم على اللغة من ضيم، والعلماء المحققين الذين لا يُلقون القول على العواهن، ولا يكتفون

بظواهر الأشياء لنقض العربية، فلينظر ما قال عباس حسن في تجويز أن تدخل «قد» على نفي، في نحو: قد لا يكون، وما قال عطية الصوالحي فيها[1]، فإنه واجد فيه كلام العلماء المحققين، وكلام المتعجلين إلى نقض عرا اللغة حطاً في أهواء الذين لا يعلمون، والكلام الثقيل المقنع، والكلام الخفيف الذي لا يحقِّق. ولسوف يتبين من هذا المثال ونحوه أن بعض المجامع اللغوية ينتمي إلى الصنف الخفيف الذي يتطلب كل ذريعة إلى التيسير، والتحلل من قواعد العربية بأوهى سبب. وانظر، إن شئت مثالا آخر، إلى قول الحوفي: «يستعمل الناس كلمة العَمالة للدلالة على العمل وعلى العُمَّال، أي العَمَلة. ولكن الذي في المعاجم أن العَمالة، مثلثة العين هي العُمْلة بضم العين وكسرها وسكون الميم، أي أجر العمل. ومن الميسور أن نصوِّب كلمة عِمالة في الاستعمال المتداول، فنقول إنها مجاز، علاقته السببية؛ لأن العمل هو السبب في الأجر، والأصل في استحقاقه، ولا أجر بغير عمل أو عِمالة. لهذا يصح قولهم: العِمالة الزائدة، والعمالة الناقصة، والعمالة الزراعية والعمالة الصناعية»[2]. وخير من هذه الرياضة الذهنية أن يُرَدَّ المخطئ إلى الصواب، ويحمل على أن يقول: العُمَّال، والعَمَلة، ويستعمل العِمالة بمعنى الأجر، بدلا من إجازة الخطأ التي لا ينتج منها إلا الترادف، والاشتراك، أما الترادف، فبأن يغدو للعمال لفظان فصاعدا، كالعُمَّال والعِمالة، ويغدو لـ«العِمالة» معنيان، العُمَّال والأجرة. وهو أمر ما أدري أي نفع للعربية فيه. ومما يؤكد عدم صحة هذا العمل أن الذين يستعملون العَمالة بمعنى العمال أناس لا يعرفون العربية، وإنما يقولون ما عنَّ لهم من مفردات وأساليب، ولا يأبهون بصحتها ودلالتها، فما ينبغي أن يخرَّج كلام مثلهم على ما يخرَّج عليه كلام العلماء. وإذا كان في بعض التساهل دفع للحرج عمن يقع في الخطأ، فإن فيه تعسيرا على من يريد تعلم اللغة.

والمذهب الوصفي يباين في غاياته المذهب المعياري، وهو المذهب الذي ينبغي أن يقوم عليه عمل المجامع اللغوية؛ لأنها إنما أنشئت لصيانة اللغة الفصحى، لا لوصفها، فإن الوصف مما يقدر عليه الأفراد، وليس في حاجة

---

(١) كتاب الألفاظ والأساليب، ٢ - ١٠.

(٢) لغويات جديدة، ١٢٤

إلى مجامع، ولا إلى لجان، تنظر فيه، وإنما يُرفع إلى اللجان والمجامع ما يراد عرضه على موازين اللغة، لتنظر في موافقته أو مخالفته، وهي موافقة أو مخالفة قد تَخْفَيَان على الأفراد، وتستبين للجماعة، وهي بمنزلة المحاكم الدستورية التي تتقيد بأصول ثابتة، متفق عليها، أما المنهج الوصفي فلا يتقيد إلا بما يرى، وليس له أصل يؤول إليه، ولا حكْم يتقيد به، وليس من دأبه أن يحكم بصواب أو خطأ. وقد احتقر الكتابُ اللغويين، كما احتقر كثير من الناس علماء الشرع؛ لما رأوا من مرونة ألسنتهم، واقتدارهم على التماس مخرج لكل ما يقع من أخطاء لغوية وشرعية؛ فظنوا اللغة والشرع ألعوبتين، يمكن أن يُتَملَّص منهما بأيسر السبل، فانتهكوا الحدود غير مبالين. ولو علم المخطئون أن معرة الخطأ تلاحقهم، إذا أخطؤوا، ولن يجدوا إلا من ينتقد عليهم ما يأتون، لحرصوا على توقيه، بسؤال العارفين، وتعلم ما لا يعلمون.

وزعم الذي سوَّغ زيادة النون في هذه الأفعال ونحوها بإصرار الكتاب على الخطأ أنْ سيدلل على أن لها أصلا في العربية في الفعل، فلم يذكر فعلا واحدا، زيدت فيه النون إلا ما كان مشتقا من اسم فيه نون، مثل شيطن، وشأن شيطن وما شاكله غير شأن الأفعال التي يريد تسويغ زيادة النون فيها، فإنها اشتقت من أسماء، لا نون فيها ما عدا «علْمن». وقال في موضع آخر ما يفهم منه أن هذه الزيادة، وزيادة الواو في فوعل، كحوسب، وعورب كانتا نادرتي الاستعمال في العربية القديمة، فأحيتها العربية الحديثة، إلخ[1]. مع أنه لم يثبت استعمال فعلن في العربية القديمة، ومع أن قلب الألف في «حاسب»، أو «حاسوب»، مخالف لأصول الاشتقاق في العربية، أما زيادة الواو في «عورب»، ففظيعة؛ لأن ما اشتقت منه «عرب» ليس فيه واو ولا ما يمكن أن ينقلب واوا. أما أن الحاجة قد مسَّت إلى هذه الزيادة، فإن في اللغة ما يغني عنها، والحاجة لا تمس إلى اللحن، وإنما هذه ذريعة يتذرع بها بعض اللغويين في هذا العصر إلى تصحيح كل ما يأتي غير العارفين باللغة، وفي العربية صيغ قياسية مطردة، تؤدي المعنى الذي ابتُدعت له هذه الزيادة، هي فعَّلَ، فإنها تغني عن فعلن، مثل: عضَّى، وعقَّلَ، وحسَّبَ، وعرَّبَ، و«جعله قوميا»، و«جعله عضوا». أما

---

(١) اللغة العربية في القرن الحادي والعشرين، ١٧٥.

ورود النون زائدة في بعض الأسماء، كفِرْسن، وجعثن، وغسلين، فليس مما ينازَع فيه، إذ من المعلوم أن النون حرف من حروف الزيادة، وإنما كان ينبغي أن يُثْبِت أن النون تزاد في الأفعال لتؤدي معنى «فعَّل»، و«تفعلل»، أما ما عدا ذلك، فليس بمحلِّ خلاف، وليس فيه ما يقيم الحجة على صحة ما أراد. هذا إلى أن كثيرا من الأفعال التي ذكر أفعال مشتقة من أسماء جامدة، وأسماء أعيان، والاشتقاق منها خلاف الأصل، وهو -على كثرته- سماعي، كما نصَّ على ذلك قرار مجمع اللغة العربية، وهو عضو فيه، وأولى الناس باحترام قراراته: «اشتق العرب كثيرا من أسماء الأعيان، والمجمع يجيز هذا الاشتقاق -للضرورة- في لغة العلوم»[1]، ثم أجاز الاشتقاق منها من غير ضرورة؛ لأنه وجد منه عن العرب ما يربو على مائتي مثال[2]، على أن يكون الاشتقاق على طريقة العرب[3]، وهو ما لا يلتزمه بعض من يشتقون، كالذين يزيدون النون في هذه الأفعال؛ لأن قرارات المجمع لا يَعْتَدُّ بها إلا مَنْ وافقت هواه، بانتهاك العربية، وإباحة كل محظور، فإن التزمتها، ضرب بها عرض الحائط، وعدَّها من التشدد، والتمس للخروج عنها المعادل، من أجل ذلك غدا وجود المجمع كعدمه، وليس له تأثير في حياة العرب، يُذكَر. وكان الشيخ أحمد الإسكندري يكره المنطق الذي يسوغ به بعضهم ما يخالف قواعد اللغة، كزيادة النون على الوجه الذي قد رأينا، والاشتقاق من الجوامد، بإطلاق، ويعلل كراهيته بأنه «إذا فتحنا اليوم باب القياس في مادة اللغة نفتحه غدا بالأَوْلى في هيئتها، أي الصرف والنحو، فنقيس على ما ورد شاذا عن العرب، فننصب خبر المبتدأ، وخبر «إنَّ»، ونشتق من الجوامد كلها، ونستخرج من كل فعل ثلاثي مزيدات، ونستعمل الزيادة لكل المعاني...، وبالجملة، تَحْدُث فيها الأحداث الهائلة؛ فتتبلبل فيها الألسنة، وتُفقَد بعد قليل من الزمن»[4]. وقد وقع بعض هذا، فاشتُقَّ من كل جامد، تشتق الفرنسية والإنجليزية من مرادفه، واستُخرجت من كل فعل ثلاثي مزيدات، على ما تقتضي قلة العلم، كاهتجر، وأصهر، ووصَّف، بل وقع

---

(١) قرار الاشتقاق من أسماء الأعيان الجامدة، ٣٦، ومجموعة القرارات، ١٦.

(٢) مجموعة القرارات، ١٧.

(٣) السابق، ١٨.

(٤) مجموعة الخطب التي ألقيت في حفلة نادي دار العلوم، ٨٤ (نقلا عن: الوضع اللغوي في الفصحى المعاصرة، ١٠٤).

ما هو أسوأ من ذلك، فأُبيحت الأساليب الأعجمية التي لا خفاء بعجمتها، والتُمِست لها المعادل، والوجوه الشاذة، ولفَّقَ لها التخاريج مَنْ لا يرتاب في خطئها، وأنها ترجمة حرفية لأسلوب أعجمي.

واستساغ بعض الباحثين الاشتقاق على «فعلنة» لما يرى من شيوعها في الدرس اللغوي[1]، وإن لم يكن ما شاع في الدرس اللغوي حجة في العربية، ولا سيما إذا حاد عن سننها، وكان الذي يأتيه امرأً غيرَ عارف بها، ولا بأصول الاشتقاق فيها، وكانت حيدته عنها أكثر من لزومه إياها. وقد اعترض هذا الباحث على نفسه، فقال إن لسائل أن يسأل: لم تُبْنَى لتعريب الكلمات السابقة صيغة فَعْلَلة، فيقال لَتْنَنَ، ونَجْلَزَ، إلخ، ولا يقال عَرْبَبَ؟ ثم أجاب بأن مأتاه من شعوره بما بين ما يفعل الدرس اللغوي الذي ارتجل هذه الصيغة، وما أُثِر عن العرب من بنائهم فعَّل تفعيلا من كلمة «عرب»، وأن «التعريب» مستقرة في النظام اللغوي العربي، ودالة على مفهوم arabization، وهذا الإعمال يساوق استعمال الكلمة العربية القديمة التي تحمل معنى الاصطلاح الأجنبي[2]. والقياس في هذا الباب أن يُبنى الفعل منه على فعَّل تفعيلا، فإنه «بمعنى تصيير مفعوله على ما هو عليه، نحو: ضوَّأ الأضواء، وكوَّف الكوفة، وبصَّر البصرة»[3]، و«لِلْجَعْل بمعنى ما صيغ منه»، كعدَّل[4]، وعرَّب، ومَجَّس، وهوَّد، ونصَّر، كما ورد في الحديث: «فأبواه يهوِّدانه أو ينصِّرانه، أو يمجِّسانه»، أو يُجْعَل على فَعْلَل، ومصدره فَعْلَلة[5]. ولم يُرو في هذا المعنى «فَعْلَن»، ولا زيادة النون في فعل يشتق من اسم عين. ولو أن الدرس اللغوي وغير اللغوي تقيدا بالعربية شكلا ومضمونا لقالا: روَّم ترويما، ولتَّن تلتينا، ومرَّك تمريكا، وأسَّس تأسيسا، بدلا من رومن، ولتنن، وأمرك أمركة، ومأسس مأسسة. وبهذا تكون العربية الحديثة واصطلاحاتها موافقة لأصول الاشتقاق في العربية، سهلة الفهم على من يعرفها، أينما كان من الوطن العربي.

---

(١) المصطلح اللساني عند الفاسي الفهري، ٢٢٦.

(٢) السابق، ٢٢٦.

(٣) المواهب الفتحية، ١/ ٨٩.

(٤) ارتشاف الضرب من كلام العرب، ١/ ١٧٤.

(٥) العربية لغة العلوم والتقنية، ٢٤٩ (هامش).

وإنما زيدت النون في هذه الأفعال وما اشتُقَّ منها، واشتُقَّت من الأسماء الجامدة من أجل أن تُحذى على ما أوردنا بعدها من الأفعال والأسماء الإنجليزية والفرنسية، ويقابلَ الفعل بالفعل، والاسم بالاسم[1]، كما تقتضي الترجمة الحرفية، وكان خيرا من اشتقاق الفعل من بعض الأسماء وزيادة هذه النون فيها أن تترجم بـ«فعَّل»، أو بما يزيد على كلمة؛ إذ كان من المعلوم أن لزوم القاعدة واطرادها يعين على رفع ما يُخشى من اللبس، فمن عرف معاني «فعَّل»، فرآه في سياق، علم من فوره أيها المراد. أما غضُّ الطرف عن السياق، والنظر إلى المفردات بمعزل عن غيرها، وظَنُّ أن معانيها يجب أن تكون محمولة فيها، فغير صحيح، ومن الصعب أن يجد المرء لغتين، تطابق إحداهما الأخرى في كل شيء، وتبينان عن الأشياء بألفاظ واحدة، كأن تبين عن الاسم باسم، وعن الفعل بفعل، وعن الحرف بحرف، وتعبران عن كل معنى بكلمة واحدة. وكان خيرا من هذا الحذو وما ترتب عليه، أن يقال في «يعقلن»: يعقِّل، وفي يحدثن: يجدد، وفي يعضون: يجعله عضوا، وفي يشعبن يقرِّب من العامة، وييسِّر، إلخ، أما يعلمن، فيمكن أن تزاد فيه النون؛ لأنه مشتق من «العَلْمانية»، نسبة إلى «عَلْمو»، أو «علمويو»، أو «عَلْما»، بمعنى العالم، والألف في آخرها أداة تعريف، في السريانية. والأصل أن يكون النسب إلى «العالم» العالَمَيَّة، إن أبى المترجمون إلا النسب إلى «العالم»، لا إلى «الدنيا» و«الدهر»؛ فهي الكلمة العربية، ولا معنى لزيادة النون فيها، كما أنه لا معنى للنسب إلى «علمو» و«علمويو» و«علما»؛ لأنها كلمة سريانية. ودخلت العلمانية في التراث العربي أول مرة في القرن الرابع الهجري، في كتاب لأحد أقباط مصر، كان كاتبا للدولة الإخشيدية بمصر، يدعى أبا البشر ساوري بن المقفع، ويُدعَى كتابه «مصباح العقل». ثم ترجم بها إليوس بقطر القبطي عام ١٨٢٨ الكلمة الفرنسية laïque، في معجمه «القاموس الفرنسي العربي»، ثم استعملها بطرس البستاني في «محيط المحيط»، وصدر عام ١٨٧٠ م، بمعنى العامي الذي ليس بكهنوتي. ثم صارت تستعمل بمعنى الكلمتين secularism الإنجليزية، وlaique الفرنسية[2].

---

(١) إشكالية المصطلح في الخطاب النقدي العربي الجديد، ٤٨٧ وما بعدها.

(٢) تفكيك مصطلح العلمانية، ١٥٠ وما بعدها.

ولا يخفى أن أكثر هذه الأفعال وما اشتُقَّ منها، فضلا عما تقدم، ليس فيه اصطلاح، فلا شيء يحمل على صياغتها على خلاف ما تصاغ عليه الأفعال التي تؤدي معناها في العربية، إن كان من المباح أن يُخالَف القياس في الاصطلاحات العلمية، عند الضرورة. كما لا يخفى أن إباحتها على هذا الوجه تفسد العربية من جهتين: حذوها على لغة أجنبية، تخالفها في نظامها الصرفي، وصياغتها على خلاف ما يصاغ عليه ما يؤدي معناها من الأفعال. وإنما زيادة النون في هذه الأفعال كزيادة الواو في بعض الكلمات الثلاثية، قبل ياء النسب، كنهضوي، ووحدوي، وشعبوي، ونخبوي، وتعبوي، ورغبوية، وجمعوي، وسلطوي، وحزبوي، وطبيعوي، ونسبوي، وجهوي، وحداثوي، ولسانوي، وعلموي، واللفظوية[1]، وكُلَّوية (Totalistic)، وتقنوي[2]، وثقافوي، نسبة إلى: نهضة، ووحدة، وشعب، ونخبة، وتعبئة، ورغبة، وجمع، وسلطة، وحزب، وطبيعة، ونسبة، ونخبة، وجهة، وحداثة، ولسان، وعلم، ولفظ، وثقافة. وإنما زادها من استقلَّ حروف الكلمات الثلاثية، ليلحقها بالكلمات الرباعية، وليست مزيدة لتقابل الزيادة في كلمة أعجمية، كزيادة الواو وياء النسب وهاء التأنيث، والألف والنون وياء النسب في أسماء المذاهب. هذا إلى أن من زادها أول مرة ربما لم ير من نسب إلى الكلمات التي تزاد فيها قبله، ولا يعرف قواعد النسب في العربية، وربما قاسها على النسب إلى الأسماء الثلاثية المعتلة الآخر، كعليٍّ، وعديٍّ، وأميَّة، فظن أنه كما ينسب إلى هذه بعلوي، وعدوي، وأموي، ينسب إلى تلك الأسماء بزيادة الواو فيها، ولم يفطن إلى أن الواو في الأسماء المعتلة الآخر ليست بمزيدة، وإنما هي منقلبة عن حرف العلة الذي تنتهي به هذه الأسماء، وأنها من أصل الكلمة.

ثالثا- الغلو في الاشتقاق من أسماء الأعيان والأسماء الجامدة

وخلاصة القاعدة التي وضع مجمع القاهرة للاشتقاق من الأسماء الجامدة أنه إذا اشتق منها فعْل ثلاثي لازم جعل من باب نَصَر، كقَطَنَت الأرض تقطُن، أي

---

(١) المدرسة المغربية، ٨١، والعربية المعاصرة.

(٢) الاستشراق، ١٦٠.

كثر قطنها، ومن باب ضرَب، إذا كان متعديا، كقَطَنْتُها أقطنها، أي زرعتها قطنا، ويشتق الفعل من غير الثلاثي على وزن فَعْلَل متعديا، كقولب، وتَفَعْلَل لازما، كتقولب، فإن كان الاسم الجامد معرَّبا، فيشتق منه الفعل على وزن فعَّل بتضعيف العين، متعديا، نحو: أيَّن، وعلى وزن تفعَّلَ، لازما، كتأيَّن، من الأيون، ويشتق من الرباعي على فَعْلَل، ككبْرَتَ، وعلى تفعلل لازما، كتكبرت[1]. وهذا الاشتقاق خاص بالاصطلاحات العلمية، عند الضرورة، بيد أن كثيرا من الكتاب لم يلتفتوا إلى قيد القرار، وتنكَّبوه إلى ما انقاد لهم، صوابا كان أو خطأ، وثقيلا كان أو خفيفا، كاشتقاقهم الأفعال من الأسماء الجامدة على وزن فَعْلَنَ. وأجرأ العرب على هذا الاشتقاق أهل لبنان والمغرب العربي، وكمال أبو ديب، فقد أفرط فيه في ترجمته كتابي إدوارد سعيد «الاستشراق»، و«الثقافة والإمبريالية». وأكثر ما يشتقون من الأفعال إنما يحذونه على أفعال فرنسية أو إنجليزية، مشتقة من أسماء أعيان، ونحوها، وكان اشتقاقهم لغير ضرورة، وفي غير اصطلاح علمي. ويبدو أن الحدود بين الأسماء الجامدة والأفعال في بعض اللغات الأروبية، كالإنجليزية، ليست بقوتها في العربية، وأن لها جرأة على الاشتقاق منها كبيرة، كما يبدو من اشتقاق الإنجليزية من توماس بودلر bowdlerize و bowdlerization. ولو ترجم العرب هاتين الصيغتين لجعلوهما «بدْلَرَ بدلرة»، بدلا من أن يأتوا بعبارة فعلية بمعنى bowdlerize، على الوجه الذي قدمنا آنفا، وبدلا من أن يشتقوا من bowdler مصدرا صناعيا (البودلرية) للدلالة على اسم المذهب، أو يقولوا مذهب بودلر، كما هو الأصل في أسماء المذاهب في العربية، كما اشتقوا من «الدولار» الدَّوْلَرة حذوا على Dollarization، أي: تصيير المال دولارا، على ما فيها من الثقل، والاشتقاق من الدخيل. وكثير من الكلمات الإنجليزية يستعمل أسماء وأفعالا، من غير أن يغير شيء من بنائها، وإنما تتبين اسميتها من فعليتها من السياق الذي ترد فيه؛ لأن الإنجليزية لغة إلصاقية، وليست للفعل فيها صيغ ثابتة، كما في العربية، فقلَّما تكون في المعجم الإنجليزي كلمة من النوع الذي يدعونه Infinitive (المصدر) إلا وهي تستعمل اسما وفعلا مضارعا وفعل أمر، وكذلك بعض أسماء الأعيان التي يظن العرب

---

(١) في أصول اللغة، ١/ ٦٢، والعربية الفصحى الحديثة، ٩٥ وما بعدها.

أنها أبعد شيء عن أن تستعمل أفعالا؛ لأن مرادفاتها في العربية مغرقة في الجمود، بعيدة من صيغ الأفعال، مثل: smoke، فهي اسم بمعنى دخان، وفعل بمعنى يشرب الدخان، وfish، بمعنى سمك، ويصيد السمك، وwater، بمعنى ماء، ويسقي، وnail، بمعنى مسمار، ويدق مسمارا، وhammer، بمعنى مطرقة، ويدق بالمطرقة، إلخ. ومن رأى هذه الكلمات مستعملة أفعالا ظن أن من الجائز في العربية أن تستعمل أفعالا أيضا، كما تستعمل في الإنجليزية، فأدخل عليها من الحركات والحروف ما يخرجها إلى صيغ الأفعال، فقال: سمَّر، يسمِّر، وطرَّق، يطرِّق، ودخَّن، يدخِّن، وسمَّك، يسمِّك، وموَّه، يموه، أي: سقى يسقي. وإذا كنا نجتوي عملا كهذا ولا نستسيغه، فإن بعضه غدا شائعا كثير الاستعمال، بل لا يكاد يستعمل غيره في العربية الحديثة، كدخَّن، حذوا على smoke ودستر (constitutionalize)، وتصحَّر (desertification)، والتبرجز[1] (bourgeoisie) من البرجوازية، أي التخلق بأخلاق الطبقة الوسطى، والانتقال إلى طبقتهم ومعيشتهم، و«الأشكلة»، بمعنى تحول المفهوم من الوضوح إلى «الإشكال المستعصي» (problématisation). وأول من اشتق هذه الكلمة حذوا على الكلمة الفرنسية محمد أركون، وترجمها طه عبد الرحمن بالاستشكال[2]، وأَشْكَلَة الموضوع (جعله في أشكال ورسوم)[3]، والعوربة[4] (/ Arabisation Arabization)، أي: التعريب، وهي ضرب من ضروب ما يسمى النقحرة، وتعني كتابة الكلمات الأجنبية بالحروف العربية[5]. والمكنكة من الميكانيكا (Mécanisation)[6]. واشتق بعضهم من «كُلٍّ» اسم فاعل هو مُكَلٍّ ومُكَلِّية ترجمة لـ totalising، وهو اشتقاق، لا يخفى ما فيه من انتهاك حدود اللغة، إذ يجعل اسما جامدا (كل) بمنزلة الفعل، ويشتق منه صفات. والكتاب الذي ورد فيه هذا ونحوه نال به مترجمه جائزة الشيخ زايد للكتاب عام ٢٠٠٧ م، على أنه

---

(١) أحادية الآخر اللغوية، ٩٧.

(٢) أشكلة الهوية في الجزائر بين الأمزغة والعوربة والعولمة.

(٣) التقرير التحليلي لعام ٢٠٠٩، ٥٥ و٦٧.

(٤) أشكلة الهوية في الجزائر بين الأمزغة والعوربة والعولمة.

(٥) مستقبل الكتابة العربية في ظل فوضى النقحرة وهجنة العرابيزي، ٧.

(٦) إشكالية المصطلح في الخطاب النقدي العربي الجديد، ٤٨٧ وما بعدها.

أفضل ما تُرْجِم إلى العربية، في ذلك العام. والأجرأة: جعْل الشيء إجرائيا عمليا (pratiquisation). وحوكم أي: جعله حكوميا (governance)[1]، واللَّبرَلة (Libéralisation)[2]، والجزأرة (algériser)[3]، والتشييء (reification)، والتوطين (domestication، وlocalization)، وأتْمتَ (automate)، وفسْلج (physiologised). ومن هذا ما أقرَّ مجمع القاهرة من صياغة وزن فعْلَل من أسماء الأعلام والكلمات الأجنبية نحو: «بَسْتَر» من باستير (pasteuriser)، وبلْشَف من البلشفية (bolshéviser /bolshevize)، وتلْفَن (téléphoner /phoned)[4]، وفَبْرَك من الفابريكة، أي المصنع، وجبَّس من الجبس[5]. وبلغت الجرأة على هذا ونحوه أنَّ بعضهم اشتق من «إسرائيل» و«فلسطين» أَسْرَلة وفَلَسْطَنة[6]، حذْوًا على (/ palestinisation، israélisation Israelization،Palestinization). ، أي جعل الشيء إسرائيليا وفلسطينيا، وتحيف (muséifier)، أي تصيير المكان متحفا[7]. وقد قال المترجم الذي اشتق هذا الفعل إنه غير موجود في أمهات المعجمات الفرنسية، فلعله مستحدث[8]، ولعله هو استحدثه في العربية كما استحدث المؤلف الذي ترجم كتابه مرادفه الفرنسي. وعَوْلم (globalize)، وحَوْسب (computerize)، و«المثاقفة» (acculturation) من culture، والرَّمْنَسَة (/ romantisation Romanticization)[9]، أي الميل إلى قصص الحب والمغامرة المثيرة، والتلهيج[10]، من اللهجة، والتدريج، من الدارجة، والتَّأْلِيَة (automatization)، أي جعل الشيء آليا[11]، وأمْثَلَ أمثلة (/ idéalisation، idéaliser

---

(١) كتاب الأعاجيب، ١٣٠.

(٢) تدريس اللغات وتعلمها في منظومات التربية والتكوين، ٢٩.

(٣) التعريب والعربية في الجزائر بين واقع قديم ورؤية مستقبلة، ١١٣.

(٤) المعرب والدخيل: من مشكلة المصطلح إلى مشكلة الهوية، ٢٥٥.

(٥) مدخل إلى علم اللغة، ١٠٤.

(٦) اللغة العربية في إسرائيل، ٥٧.

(٧) عولمة الثقافة، ٩٦ و١١٢.

(٨) السابق، ١١٢.

(٩) الاستشراق، كمال، ٢٦.

(١٠) اللغة والبيئة، ٢٨.

(١١) السابق، ٣٥.

idéalisé، idéalisateur /) ومؤمثِل[١] ومُؤمْثَل (idealize،idealization، idealized، idealizer)، وأزْمَنة من الزَّمن، (temporalisation) والتقاين والأيقنة، من الأيقونة (iconisation)، والنمذجة، من الأنموذج (/ modélisation normalization)، ويبلور، من البلُّور (crystalize)[٢]، وقولب قولبة، من القالَب (stéréotyper و stéréotype)، والتبيئة، من البيئة، أي: التوطين (localisation و socialization)، والمَفْهَمة (conceptualisation)، من المفهوم، وهي مشتقة من concept، واشتُقَّ منه الفعل conceptualiser[٣]، والتفضية من الفضاء (espacement)، والتبئير (immersion précoce)، والأقصدة (economization)، من الاقتصاد، أي: صياغة العلاقات صياغة اقتصادية[٤]، ومؤسلب (stylized)، أي: مكتوب بأسلوب منمق، والنماذج المنمَّطة (stereotypes)[٥]، والإنشياء (fetishism)، أي: التعلق بالأشياء، وكلّى تكلية، (totaliser، toalisation / totalize، totalization) أي: حَسَب مجموع الشيء الكلي، أي: أجمله ولَخَّصه[٦]، ومُكَلٍّ (tpotaliseur /totalising)[٧]، والمُروْكبة[٨]، وإضوائي والتهامي[٩]، وكمَّى (Quantify) بمعنى قدَّر الكمية، والشَخْوصَة، أي الرسم الساخر (Caricature)، والعَرْبَسة (Arabesque)، ومُؤَوْرَب (Europeanized)[١٠]، والتذاوت (intersubjectivité)، من الذات، أي العلاقة الحميمة بين الباحث وموضوعه[١١]، ويذوِّت (internalize)، أي: يضفي عليه صفة ذاتية، ويدمجه في النفس، ليصبح مبدأ هاديا[١٢]. وكان يمكن أن تترجم هذه الكلمة بيتخلَّق، أو يتطبَّع، وما شاكلهما من الأفعال الدالة على التكلف،

(١) حوار اللغة، ٢٢١.
(٢) أزمة اللغة العربية في المغرب، ٣٢.
(٣) مصطلحاتنا بين المشرق والمغرب.
(٤) العقل العربي ومجتمع المعرفة: مظاهر الأزمة واقتراحات الحلول.
(٥) الاستشراق، ٢١ - ٣٤.
(٦) انظر: الثقافة والإمبريالية، ٣٩٥، والمورد، ٩٧٩.
(٧) السابق، ٣٩٩.
(٨) السابق، ١٠.
(٩) السابق، ٧٠.
(١٠) السابق، ٣٩٣ - ٣٩٩.
(١١) في غمار السياسة فكرا وممارسة، ٢٦.
(١٢) المورد، ٤٧٥.

على حسب المعنى، كما يقال: تحلَّم، أي تكلف الحلم، وتصبَّر، أي تكلف الصبر، ونحو ذلك، أما يذوِّت، والتذاوت، فلا تبينان، واشتقاقهما دليل على أن بعض التراجمة «تضيق» عليهم العربية -من قلة علمهم بها- ضيقا يجعلهم يلجؤون إلى كلمات غاية في الغرابة، ولو كانوا يفقهونها ما اضطروا إلى ما يفعلون. ويظهر هذا الضيق فيما يترجم كمال أبو ديب كثيرا، فقد اضطره عدم العلم بالعربية إلى أن يأتي بمشتقات، من الغرابة بما قد رأينا، كالاستجناب، والاستخطاطيات (الخطط)[١]، والمَعْجَبات (monuments)[٢]، أي: الآثار، والمَبرَط (imperium)[٣]، وقد جرت العادة بتسميته إمبراطورية، وكان يمكن أن يسميه المملكة، والمُؤَبْرَط (imperialized)[٤]، والتباسة وإرابة (equivocation)[٥]، أي: غموض والتباس، وتلابس المشاعر (ambivalence)[٦]، وتمفصل على (hinge on)[٧]، وتوضعات متظاهرة (posturings)[٨]، ومتآين (simultaneous)[٩]، من الآن، أي: موافق في الوقت، ومتفاعمان (inform each other)[١٠]، ومستوضعات (deposits)[١١]، أي: ودائع، وتموضعات واصطفافات (slignments)[١٢]، ونُساخات (versions)، أي: نُسَخ وروايات للنص[١٣]. والنساخة لا يعرفها إلا كمال، والرواية والنسخة يعرفها العرب جميعا، وواحدية (unitary)[١٤]، واستبنائي (reconstructive)[١٥]، أي: إعادة بناء،

---

(١) الثقافة والإمبريالية، ١٠.
(٢) الاستشراق، ٣٢.
(٣) الثقافة والإمبريالية، ٣٩٨.
(٤) السابق، ٦٨.
(٥) السابق، ٣٩٤.
(٦) السابق، ٣٩٥.
(٧) الموضع السابق.
(٨) الموضع السابق.
(٩) السابق، ٣٩٨.
(١٠) السابق، ٣٩٨.
(١١) السابق، ٢٢٢ و٣٩٨.
(١٢) السابق، ٣٩٩.
(١٣) السابق، ٣٧٤ و٣٩٩.
(١٤) السابق، ٣٩٩.
(١٥) السابق، ٣٩٣.

وأصلانية (nativism)[1]، وهي: السياسة المتحيزة لأهل البلد الأصليين، والمكرورية (التكرار)[2]، والإنشاء المكلّي[3]، وبتركيز محرقي[4]، ويكمي المربوحية[5]، و«أوّج هذا القرن ارتقاء الغرب»[6]، وصرامتها المؤرخِنة الحقلية التاريخَ[7]، إلخ، فهي كلمات وعبارات غريبة، لا تبين، ولا معنى لبعضها، كمؤسلب، من أسلوب، فالأسلوب إنما هو الطريقة، والاشتقاق منه لا يدل على تنميق، ولا على غيره، أما الشَّخْوَصة فليست جارية على طرائق العربية في الاشتقاق، فإذا كانت مشتقة من «الشخص»، فليس فيه واو، ولا ما يمكن أن يقلب واوا، واللغات تواضع، ولا تفهم حتى يُتلزَم فيها ما تووضع عليه، وإلا كانت لغة تخص من يستعملها. ولعل الذي جرَّأه على هذا الاشتقاق أنه يلائم معنى الكلمة الإنجليزية الحرفي التي يترجم، كما أن «مُشَرْبَنًا» تلائم معنى الكلمة الإنجليزية الحرفي mustachioed، من حيث هي اسم مفعول. ولا جرم أن بعض هذه الكلمات لم يكن الحامل على صنعها الحاجة إليها، وإنما الترجمة الحرفية، لظنٍّ أنها شرط ما يراد من الدقة، وحذو العربية على اللغة التي يترجم منها، كزيادة اللواحق في أسماء المذاهب، كما زاد الألف والنون وياء النسب في «المشرقانية»، وعدل إليها عن التسمية التي ارتضاها العرب منذ عقود (الاستشراق)؛ ليكون ما زاد فيها مقابلا لـ ism، في Orientalism، كما زادهما بعض المحدثين في «التاريخانية».

ومن هذا القبيل ترجمة privatization بالخصخصة، والتخصيص والتخصصية، والخوصصة[8]. وهي ترجمات غير دقيقة، وكان يمكن أن تترجم بالتحول إلى القطاع الخاص، وكذلك Islamization، وكان يمكن أن تترجم بـ (العمل بالشريعة الإسلامية). ويرى بعضهم أن Globalization يمكن أن تترجم

(١) الثقافة والإمبريالية، ٣٩٣.
(٢) السابق، ٦٨.
(٣) السابق، ٦٨.
(٤) السابق، ٧٨.
(٥) السابق، ٧٧.
(٦) السابق، ٧٨.
(٧) السابق، ١٠٤.
(٨) السابق، ١٠.

بعصر العولمة[1]، ولكن أكثر من ترجم globalization وmondialisation ترجمهما بالعولمة، كسمير أمين، وترجمهما إسماعيل صبري عبد الله بالكوكبة، وسيار الجميل بالكوننة[2]. غير أن الترجمات كلها تنحو منحى الإنجليزية والفرنسية في الاشتقاق من الأسماء الجامدة، فهي في الإنجليزية مشتقة من globe، أي الأرض، وفي الفرنسية من mond، أي العالم، فاشتق الثلاثة من العالم، والكوكب، والكون، على غير طريقة العرب في الاشتقاق، وعدلوا عن المصدر الصناعي (العالمية، والكوكبية، والكونية)، وهي أصح وأخف، وتقبُّلها أيسر، ومعناها أوضح؛ لجريانها على سنن العرب، في عدم الاشتقاق من الأسماء الجامدة. وكان هو الأنسب أيضا في الجزأرة، والتونسة، والمغربة، إلخ، فيقال بدلا منها: الجزائرية، والتونسية، والمغربية. غير أن المصادر الصناعية إنما تصلح لأسماء المذاهب، ولا تصلح لما تراد به الدلالة على الحدث الذي يُفْهم من الأسماء التي تنتهي باللاحقتين isation /ization[3]، كما يدل عليه المصدر الأصلي في العربية، وهو ما اتفق المترجمون الثلاثة على تطلب اللفظ الذي يدل عليه. وكذلك أراد من ترجمها بالأمركة، والغربنة، والكوكبة، والتدويل، والكوننة، والتكوكبية، والشوملة، والسلعنة. وكان يمكن تطلُّب لفظ آخر من غير هذا الباب، يدل على معناه دلالة أدق من دلالة المرادف المعجمي، كالهيمنة، والاستتباع، والاستلاب، والاستعمار الجديد، وما شاكل ذلك من الألفاظ التي فيها معنى الحدث، وتدل على السيطرة والاستحواذ، ما دامت غاية الترجمة الإبانة عن المعاني، بتفسير الألفاظ المترجَمة، والمعنى المقصود من اللفظين الفرنسي والإنجليزي تعميم الثقافة الأمريكية على العالم، وهو ما أراد من ترجمها بالسلعنة، والتدويل، والأمركة، والشوملة، والغربنة، وإن لم يوفق إلى الاشتقاقَ الصحيح. وسبب العدول عن التفكير في اصطلاح كهذا ما تعوَّد العرب من النزوع إلى الترجمة الحرفية، وإن اقتضت الخروجَ عن نظام العربية، ظنا أن اللفظ العربي لا يؤدي المعنى إلا أن يكون مقابلا مقابلة معجمية

(١) الترجمة إلى العربية وأثرها في شيوع الأخطاء اللغوية، ٢٢٧

(٢) الهوية الإسلامية في زمن العولمة، ١٠٥ وما بعدها.

(٣) العربية لغة العلوم والتقنية، ٢٧٦.

للفظ الأجنبي. ولا يخفى ما في الكونة، والكونائية، والسلعنة، من ثقل، مَرَدُّه إلى زيادة النون في الكونة والسلعنة، والنون والألف والهمزة في الكونائية، كما يفعل كثير ممن يستسيغون كل صيغة يصنعونها، ما دامت تقابل اصطلاحا أجنبيا، كالرقمنة، والوطننة، وسائر ما قد رأينا من الأسماء والأفعال التي زيدت فيها النون.

ومن الاشتقاق من أسماء الذوات تمحور، يتمحور بمعنى يدور على[1] (revolve)، وتَمَفْصَل (Hinge)، ويموضع (placer /position)، ويتموضع (Se positionner)، والتموضع (Positioning)، والموضعة[2]. وقد تُرجم placer بـ وضَع، ومَوْضَعَ[3]، وتمركز، وتمترس[4]، ويتموقع، والتموقع، وتمدرسَ (scolariser)، والتمدرُس (scolarisation)، والمَقْوَله (/ catégorisation categorization)، بمعنى إعطاء الشيء صفة القول وإكسابه إياها[5]، وفُسِّرت الكلمتان بالتصنيف[6]. ومأسسَ (établir /establish). وترجَمَ بعض المعجمات هذه الأفعال بصيغة غير التي تترجم بها إلى العربية الحديثة، فترجم établir بيتوطَّد، ويتأسَّس[7]، وترجم establish بيؤسس[8].

ومن هذا الباب «المَعْيَرَة»، و«التقييس»، وما اشتق منهما في العربية الحديثة، كقيَّس، ومَعْيرَ، وعَيَّر، وعايَرَ، وهي ترجمة لـ: standardiser / standardize، وهما مشتقان من standard، بمعنى المعيار، والقياس. وقد يصعب فهم المراد من هذه المشتقات على من لا يعرف الإنجليزية أو الفرنسية، ولم يتعود قراءة ما يكتب أهل المغرب العربي، ولا سيما أهل المغرب الأقصى، كتقييس الاصطلاح، وتقييس اللغة، ومَن فهمها لم يفهمها إلا بتأمل السياق الذي ترد فيه، فقد يهتدي إلى أن المراد بالمعيرة استخراج قواعد اللغة، وكتابة نحوها

(١) التعريب والعربية في الجزائر بين واقع قديم ورؤية مستقبلة، ١١٣.
(٢) اللسانيات واللغة العربية، ٢١١ وما بعدها.
(٣) المنهل، ٧٧٩.
(٤) كتاب الأعاجيب، ٥٥ وما بعدها.
(٥) المصطلح اللساني عند الفاسي الفهري، ٤٥.
(٦) المورد، ١٥٩، والمنهل، ١٧٤.
(٧) المنهل، ٤٠٩.
(٨) المورد، ٣٢٠.

وصرفها؛ لأن القواعد هي المعيار الذي توزن به اللغات، وتعرف صحتها من خطئها، كما أن المعيار هو الذي توزن به الأشياء. أما «تقييس الاصطلاح»، فتنظيمه، ووضع القواعد المتبعة في صناعته. وكل علم وضعت قواعده عُرف المطرد منه وغير المطرد، والمقيس وغير المقيس. و«وضع القواعد»، و«تدوين النحو»، و«كتابة قواعد الاصطلاح»، و«كتابة قانون اللغة»، و«قواعد الاصطلاح»، واضحة الدلالة، ولا إشكال فيها، فهي أجدر بالاستعمال. على أن التقييس أخف من المعيرة التي يُكثر منها المغاربة. وكان ينبغي أيضا أن يقال: «تنظيم استعمال اللغة في الحاسب»، بمعنى أن تجعل لاستعمالها فيه قواعد واضحة، يمكن الناس كلهم أن يسيروا عليها، فإن «التنظيم» أوضح وأدق من «التقييس»، وأولى بالاستعمال. أما «المعيرة، والتقييس، واللغة القياسية»[1]، أي: اصطناع لغة فصيحة، تخالف اللهجات، فأوضح منه أن يسمى اصطفاء الفصحى، أو اصطناعها. كما أن تسمية اللغة التي يُتكلم بها في مقامات الجد «اللغة الفصحى»، وتسمية ما عداها «اللغة العامية»، أولى من تسميتهما اللغة الممعيرة والمعيَّرة، والمعيارية، فإن هذه الكلمات غير مُبينة، وخير منها أن يسمى ما تصدق عليه التسميتين اللتين درج العرب عليهما، وما زالتا أشهر تسميتين وأوضحهما، وليس في العرب من يجهل معناهما، ولا يعرف معنى المعيارية والممعيرة والمعيرة، إلخ، إلا من يعرف standard، وstandadrisation، و standardization، وما اشتُقَّ منها، ومن يتطلب الألفاظ التي يريد أن يقابل بها الاصطلاحات الغربية مقابلة حرفية، تبين عن مراد الفرنسيين والإنجليز، وتحفل باللفظ أكثر مما تحفل بالمعنى، وتجهل الاصطلاحات العربية العريقة، أو تتجاهلها. وهو أمر علَّقَ العرب بالتبعية والاستهلاك؛ ففقدوا كل شيء، حتى لغتهم، وجعَلها ألفاظا شوهاء، تصاغ على غير وجهها، وتحمل في جوفها ثقافة غير ثقافتها، ومفهومات، قد تكون غريبة عليها، وحال بين كثير من أبنائها الذين لا يعرفون لغات أجنبية وفهمها.

ومن هذا تسميتهم منظمة iso المنظمة الدولية للتقييس، وكان خيرا من هذا وأصح أن تترجم بمنظمة توحيد المقاييس الدولية؛ لكنهم يأبون إلا أن

(١) انظر مثلا: الموسوعة اللغوية، ٣/ ٩٢٥.

يشتقوا من «المقياس» فعلا كما تشتق الفرنسية والإنجليزية standariser / standardize من standard، فذلك -في ظنهم- هو الذي يؤدي المعنى. وكلما أمكن استعمال اصطلاحات التراث في الدلالة على المفهومات المشتركة كان ذلك أولى وأعون على تبيُّن المراد، وتجنُّب اللبس، والتقليل من الترادف. وقد ارتضى لغويو العرب «القياس»، والنسب إليه «القياسي»، ولم يستعملوا المعيار، ولا المعياري، ولا المعْيرة، وسمى بعض العلماء كتبهم «المعيار»، ولكنهم ما نسبوا إليه، ولا اشتقوا منه، كما سمى الإمام الغزالي أحد كتبه «معيار العلم»، وسمى الونشريسي كتابه «المعيار المغرب». وأصل المعيار حجر الميزان الذي يوضع في الكفة التي تقابل كفة الموزون؛ فنسب اللغة إليه على سبيل التشبيه تغني عنها «قياس»، و«قياسي»، وهي أدق منها. لكن لما كان بعض أهل المغرب العربي قليلي الاطلاع على التراث العربي، ومعرفتهم بالفرنسية أفضل من معرفتهم بالعربية، واطلاعهم على ما يكتب بالفرنسية أفضل من اطلاعهم على ما يكتب بالعربية، كان نزوعهم إلى مثل هذه الاصطلاحات المترجمة ترجمة حرفية، وهي اصطلاحات لا يتقبَّل الذوق بعضها، لما فيها من غرابة، وتنافر، كالمعيرة، والمُمَعْيَر، والمعيَّر، وفي العربية إلى ذلك ما يغني عنها. ولا جرم أن قولنا: «اللغة القياسية»، إن كان لا بد من العدول عن «اللغة الفصحى»، أخف كثيرا من اللغة الممعيرة، والمعيَّرة، والمعيارية. ولما تأثَّر أهل المشرق بالإنجليزية في هذا الاصطلاح سموها اللغة المعيارية، والمنهج الذي يدرسها المنهج المعياري، وهو يقابل المنهج الوصفي، ولم يقولوا المعيَّرة؛ لما فيها من الثقل والغرابة، والاشتقاق من اسم الآلة دون الفعل الذي اشتق منه، وإنما عمدوا، إذ أرادوا الفعل الذي يدل على هذا المعنى، إلى كلمة القياس، فاشتقوه منها، فقالوا التقييس، ولم يشتقوه من المقياس، فيقولوا: المَقْيسة، واللغة الممقيسة، فكان ما فعلوا أوضح وأيسر، وإن كان غيره أولى منه. وقد ترجم بعضهم standardiser بيعاير، ويقنِّن، ويوحِّد النمط[1]، ولا يخفى أن «يقنن» و«يوحد النمط» أمثل من سائر الأفعال التي تُرجم بهذا الفعل، وإن كان غيرهما أمثل منهما.

---

(١) المنهل، ٩٧٦.

وقد حمل بعضَهم الولعُ بمحاكاة اللغات الأجنبية والحذو عليها على تَكلُّف ترجمة بعض الكلمات بكلمات مفردة ثقيلة، خارجة عن أوزان العربية، على وجه لا يمكن أن يستسيغه ذوق، كترجمة periodization بتمرحيل، و essentialization بتجوهير، بدلا من: التقسيم إلى مراحل، وإضفاء الطابع الجوهري[1]. فلا يخفى أن وزن التمرحيل والتجوهير ليس بعربي، وأنه إلى أوزان الأمازيغية والعامية المغربية المتأثرة بها أشبه منه بالعربية، مع أن اللفظ الذي اشتُقَّ منه الأول عربي (مرحلة)، واللفظ الذي اشتق منه الثاني معرَّب (جوهر). ومثل هذا اشتقاق بعضهم دَمَقْرَطَ دمقرطة[2]، من الديموقراطية، حذوًا على démocratiser[3]، واشتقاق فَلَسْطَنَةً من فلسطين، وأسرلةً من إسرائيل. وهذه الجرأة قد تشعر بأن صاحبها ليس له إلمام بأصول العربية، ولا معرفة بطرق استشارة مصادرها، من أجل الاسترشاد بها إلى ما يقيه ما يقع فيه من أخطاء كهذه. فوزن «دمقرطة» ليس بعربي، واشتقاقه مخالف لطريقة الاشتقاق في العربية، وهي أن الاسم إذا كان مزيدا، حُذف منه ما زاد، قلَّ أو كثر، حتى يعود إلى أصله، ثم يُشتَقُّ منه فعْل في عدد أحرفه ونوعها وترتيبها، ويحذف من الخماسي الحرف الخامس، أو ما يشبه الزائد، كما يُفعَل في الجمع والتصغير، حتى يصير رباعيا، فيشتق منه فعل رباعي مثله في عدد أحرفه ونوعها وترتيبها[4]. وسيرا على هذه القاعدة اشتقَّ بعضُهم من الديموقراطية «دَقْرط»[5]، ومَقْرَطَ. ولكنَّ من يعتدُّ بالذوق في الاصطلاح كره الدقرطة، والمَقرطة، وآثر عليهما «التحول إلى الديموقراطية»[6]، كما كره ترجمة contextualization بالتسييق، وآثر عليها «الإدراج في سياق»[7].

ولا جرم أن بعض هذا الاشتقاق غير مقبول، أما أولا، فلما فيه من اللبس، فإن الذين يقرؤون هذه الأفعال أول مرة لا يعرفون المراد منها، كما أن من العسير

---

(١) المترجم طليقا، ٨٢.
(٢) قضية استعمال اللغة العربية في المغرب، ١٩٣، واللغات الأجنبية بالمغرب.
(٣) المنهل، ٣٠٨.
(٤) الاشتقاق، ١٨٠.
(٥) المنهل، ٣٠٨، والترجمة وتطوير العربية، ١٨ وما بعدها.
(٦) المترجم طليقا، ٨٢.
(٧) السابق، ٨٢.

على المرء أن يتبين المراد منها بدقة في بعض الاستعمالات، وأما ثانيا، فلأن الاختصار والإيجاز لا يسوِّغان انتهاك قواعد اللغة، والنيل من هويتها بحذوها على غيرها، كأن يُشتق من «جدار» فعْل، يغني عن «بنى جدارا»، كأن يقال: جدَّر، أو جدرن، ومن «حرْف» فعلا يغني عن «كتب حرفا»، فيقال: حرَّف، أو حرْفَنَ. هذا إلى مخالفة كثير من هذه الصيغ قواعد الصرف العربي، كزيادة النون في كثير من الأفعال، وإنْ أجازه مجمع اللغة العربية بالقاهرة، كعادته في إقرار كل خطأ، يجري على الأقلام والألسنة، كما أجاز توهُّم أصالة الميم في بعض الكلمات المبدوأة بميم، مع أن اللغويين يحملونه على الغلط[1]، ويقولون إنه رديء، وقليل الاستعمال[2]، وما ينبغي أن يتابع فيه من وقع فيه[3]، وإن عدَّه ابن جني مما فعل العرب «توفية للمعنى، وحراسةً له ودلالة عليه»؛ إذ لو قالوا: تدرَّع وتسكَّن، وإن كانت أقوى اللغتين عند أصحابنا، فقد عرَّضوا أنفسهم لئلا يُعرَف غرضهم: أَمِنَ الدرع والسكون، أم من المدرعة والمسكنة؟»[4]، ودعا بعض المجمعيين إلى جعلَه قياسيا، بعد أن جمعوا منه أمثلة، بعضها قديم وبعضها حديث[5].

والاشتقاق من أسماء الأعيان والأسماء الجامدة بزيادة النون أو دونها، باب واحد، هو الاشتقاق من الأسماء الجامدة وأسماء الذوات، والفرق بينهما أن الاشتقاق الأول زيدت فيه نون، ولم تُزَد في الثاني؛ لأن الأسماء في النوع الأول ثلاثية، أو يمكن أن تؤول إلى ثلاثة، فكانت زيادة النون فيها جبرا لـ«قلة حروفها» عند من تعودوا الضخم، وطول الكلم، ولو بزيادة ما لا معنى له، والأسماء في الاشتقاق الثاني زائدة على ثلاثة أحرف، فلم يُزَد فيها شيء غالبا؛ لأن طولها أغنى عن الزيادة. واشتقاق الأفعال على هذه الشاكلة، مزيدة بالنون أو غير مزيدة، مخالف لروح العربية وقواعد الاشتقاق فيها، أما أولا؛ فلأن زيادة النون

(١) الخصائص، ١/ ٢٢٨، والصحاح، (س ك ن)، والخصائص، ١/ ٢٢٩، واللسان (س ل م) و(غ ف ر) و(م ع ز)، والمحكم والمحيط الأعظم، ١٠/ ٣٦٠.

(٢) المنصف لابن جني، ١/ ١٢٩ و١٠٧، وشرح شافية ابن الحاجب، ٢/ ٣٣٧، والأصول في النحو، ٣/ ٢٣٠.

(٣) كتاب في أصول اللغة، ٤٧.

(٤) الخصائص، ١/ ٢٢٨.

(٥) كتاب في أصول اللغة، ٤٤، والعربية الفصحى الحديثة، ٩٦ (هامش).

لا وجه لها، كما قد رأينا، وأما ثانيا؛ فلأن الاشتقاق من أسماء الأعيان والأسماء الجامدة سماعي، ويُلْتَزَم فيه ما سُمِعَ عن العرب، ولا يُتجاوَز، فلا يجوز أن يشتق من رجُل، وحَصى، كما اشتق العرب من «سَيْف» سافَه، ومن «الرأس» رأَسَه، ومن «حَجَر» استحجر[1]، وأما ثالثا، فلأن دواعي الاشتقاق هي التغير والتبدل الطارئ في معنى الكلمة، فيتولد منها لفظ يتضمن معناها الأصلي مع الزيادة الطارئة فيه، ولما كانت الجوامد ثابتة غير متبدلة، لم يكن فيها ما يدعو إلى الاشتقاق والتوليد، لما فيها من العقم المحض، بخلاف المصادر وأسماء الأحداث، فإن معانيها متغيرة، ولا تستقرُّ على حال، كالضرْب، فإنه لا يقوم بنفسه، بل يقوم بشخص، فتكون في معناه زيادة، فيقال فيه ضارب، ويقع على شخص، فيقال فيه مضروب، إلخ[2]. ومن تأمل ما اشتق العرب منه من أسماء الأعيان والأسماء الجامدة وجد أن من الكثير أن يكون مؤولا بمعنًى أو حدَثٍ، كالأسد، والنمر، والبحر، والناقة، والحجر، والورق، والسيف، والرأس، فقد لحظوا فيها معنى الإقدام، والشراسة، والسعة، والجمود، والشبه، والصلابة، والنبات، والضرب بالسيف، والضرب على الرأس، فاشتقوا منها: استأسد، وتنمَّر، وتبحَّر، واستنوق، واستحجر، وأورق، وسافَ، ورأسَ، كما أنهم حين قالوا: كر زيد أسدا، أرادوا التشبيه بالأسد؛ فساغ أن يجيئوا بالحال جامدة؛ لأنها بمعنى بالمشتق. ومثل هذا قولهم: ممعود، من المعدة، ومكبود، من الكبد، ومطحول، من الطحال، ومطحول، من الطحال، ومجنوب، من الجنب، ومبطون، من البطن[3]، فكل واحد منها ملحوظ فيه معنى الإصابة: الإصابة في المعدة، وفي الكبد، والطحال، والجنب، والبطن. والذين يشتقون من أسماء الأعيان والجوامد اليوم لم يمارسوا العربية، ولا يعرفون من قواعدها ما يوجه اشتقاقهم، فلم يكسبوا من الذوق ما يزنون به ما يأتيهم؛ فكان كثير من اشتقاقهم متنافرا، لا تستريح إليه الأذن، وآية ذلك أن أكثر ما اشتق منه العرب الأسماء الثلاثية، ويشتق هؤلاء من كل شيء، وإذا اشتقوا من الثلاثي زادوا فيه ما ليس

---

(١) الاشتقاق والتعريب، ٩ (نقلا عن: حركة التعريب في العراق، ١٠٦).

(٢) حركة التعريب في العراق، ١٠٦ وما بعدها، وانظر: الاشتقاق والتعريب، ٩.

(٣) العربية لغة العلوم والتقنية، ١٥٥.

منه، ليطول؛ فيسهل عليهم الاشتقاق منه، وكان العرب يحذفون من المزيد ما زاد قبل أن يشتقوا منه ليجعلوه قصيرا، أو يقربوه من الثلاثي ما استطاعوا، طلبا للخفة؛ فكان اشتقاقهم بما نرى من الخفة، ومساوقة روح العربية، وأنها لغة ثلاثية، وكان اشتقاق المحدثين بما نرى من التنافر، والغرابة، كدمقرط، وأسرل، وفلسطن، وتمرحيل، وخوصصة، وخصخصة، إلخ، وكما يأتي بعض الكتاب والتراجمة من الاشتقاق الذي يقفُّ منه الشعر، ككمال أبو ديب، وعبد القادر الفاسي الفهري، وبعض أهل المغرب العربي، كـ«الأجرأة»، من الإجراء، أي: وضع نظام إجرائي، والأشكلة، من الإشكال، والأشكال، كأنما اللغة ليست لها قواعد متواضع عليها، ليس لأحد أن يغيرها دون من تواضعوا عليها، فكلٌّ يعمل فيها على شاكلته، ويصنع اصطلاحه، ويشتق كما يوحي إليه علمه أو جهله، ويعدُّ نفسه أكبر من العربية، وعنه تؤخذ، ولا يُلزَمها، مع أنه لم يعنِّ نفسه في تعلمها، ويرى أن يُعتدَّ بما يقول كما يُعتدُّ بوجاهة الوجيه الاجتماعي في السياسة والاجتماع؛ من أجل ذلك يتولى التعريب كل من هبَّ ودبَّ، والعالم والجاهل[1]، وكثر المتصدُّون لوضع الاصطلاح، وكثر اختلافهم فيه، وصار تجارة، وبعض المؤسسات يعطي على ترجمة الاصطلاح أربعة دولارات، وربما اختار للترجمة من لم يكتب كلمة واحدة في العلوم التي يعالج اصطلاحاتها، وإن كان يحمل لقبا علميا كبيرا، أو ذا منزلة سياسية أو اجتماعية؛ فظهرت معجمات تجارية، جمع مصنفوها ألفاظها جمع حاطب ليل[2]، وكان في بعضها من الغرابة ما لا ينقضي منه العجب، كـ«عورب، وعربن»، و«الزَنْوَجة»، وهي كلمة منكرة نكارة «العوربة»[3]. والقياس في اشتقاق اسم المذهب من «الزنج» الزنجية، وفي اشتقاق الأفعال أن تكون على فعَّل، نحو: زنَّج تزنيجا، كما كان يقال: عرَّب تعريبا، ومصَّرَ تمصيرا. ومن غريب الاشتقاق من الأسماء الجامدة اشتقاق بعض السودانيين «جنْوَبة» القومية السودانية[4]، أي: جعْلها جنوبية،

---

(١) في التعريب، ٤٠.

(٢) السابق، ٦٥ وما بعدها.

(٣) لغتنا العربية والسياسة، ٧٤ وما بعدها.

(٤) السابق، ٩٠.

واشتقاق بعض المغاربة «لهوج لهوجة»، من «اللهجة»[1]، و«يجسر الهوة» حذوا على bridge[2]، والتجسير ومجسِّرًا، كما يقال في الإنجليزية: bridging وbridged[3]. ومعنى جسَرَ: صار جسرا، كما في الحديث: «فوقع عُوج على نيل مصر، فجَسَرَهم سنة»، أي صار لهم جسرا، يعبرون عليه[4]، أما بناء الجسر على النهر وما شاكله، فيقال فيه: جسَّرَ، كما قال المسعودي: «جَسَّرَ جِسْراً ببابل على شاطئ الفرات»[5]، أي: بنى عليه جسرا. غير أن الذي اشتق «جَسرَ» من «الجسر» حذا على الفعل الإنجليزي، غير متوخٍّ ما سمع عن العرب.

وقد مضت العهود الأولى ما اشتق العرب من الكلمات التي يشتق منها الآن، مع أن دواعي الاشتقاق منها الآن ليست بأقوى من دواعيه يومئذ، سوى ما جدَّ من الحاجة إلى الترجمة من اللغات الأجنبية ترجمة تحذو اللغة على اللغة في كل شيء. وآية ذلك أن يأتي على الإسلام في بلاد العرب نحو من خمسة عشر قرنا، ما اشتُقَّ منه فعل ولا اسم، على كثرة ما قالوا وكتبوا عنه وعما يتصل به، حتى كان هذا العصر، فقالوا أسلم أسلمة، ترجمة لـ islamiser / islamize وما اشتُقَّ منهما، كـ islamsation / islamization، دون مراعاة لما توجب الترجمة من توخي المفردة التي تبين عن معنى اللفظ المترجم في اللغة التي يترجم إليها إبانة دقيقة، وهو في العربية: امتثال الشرع، والحكم بما أنزل الله، ونحوها من العبارات والمفردات التي تفيض بها كتب العلوم الإسلامية. وحقيقة المفردات الأجنبية التي ترجمت بـ«أسلم» وما اشتق منها جعْل الشيء موافقا لأحكام الإسلام، وأحكام الإسلام هي التي يسميها المسلمون الشرع، من أجل ذلك يقولون الحكم بالشرع، وبما أنزل الله، (وأن احكم بينهم بما أنزل الله)، (ومن لم يحكم بما أنزل الله). ولو كانت الترجمة من العربية إلى الفرنسية أو الإنجليزية، فوضعت Islamisation / islamization مقابل «امتثال الشرع»، أو موافقته، أو العمل به، لكانت الترجمة حسنة؛ لأن هذا هو اللفظ

---

(١) التبعية اللغوية أساس التخلف الشمولي، ٨.

(٢) المصطلح العلمي في اللغة العربية، ٣٦١.

(٣) السابق، ٣٦١.

(٤) النهاية في غريب الحديث والأثر، ١/ ٢٧٢.

(٥) مروج الذهب، مراجعة كمال حسن مرعي، ١/ ٣٤.

الذي يدل على ذلك في الفرنسية والإنجليزية. و Islamisation / islamization -فوق ذلك- تحمل ثقافة غربية، فإذا تُرْجِمت، وجب أن توضع في وعاء من ثقافة العرب، حتى تصح ترجمتها، ويكون لها معنى، يمكن أن يفهمه العرب، لا أن تترجم ترجمة حرفية، لا معنى لها في العربية، وليست معهودة في ثقافتها. والإسلام عقيدة وشريعة، فمن تقلد عقيدته قيل أسلم، ومن لزم شريعته قيل امتثل، ومن خالفها قيل عصى، والمعصية لا تستلزم تغير العقيدة. وإذا تاب العاصي من معصيته، قيل تاب، وإذا أقام أعماله على حكم الشرع، بعد أن كان يخالفها، قيل أصلحها، ولا يقال أسلمها، لأن الإسلام -عند المسلمين- إنما يطلق على العقيدة. وإذا سمى الغربيون شيئا من هذا الإصلاح Islamisation / islamization فلهم ذلك، لكن ما ينبغي أن يتابعهم العرب فيه. فمن انتقل من ديانته إلى الإسلام قيل أسلم، ومن دعا غيره إليه، فأسلم، قيل جعله يسلم، أو دعاه إلى الإسلام، ومن انتقل من الإسلام إلى غيره قيل تنصَّر، أو تهوَّد، أو تمجَّس، ونحو ذلك، فمن تركه من غير أن يتقلد غيره، قيل ارتدَّ. فلما عمَّ الجهل بالعربية، وفسدت السلائق، ومرِضَ الطبع، وتولى الترجمةَ من ليس أهلا لها، كثر الاشتقاق من الجوامد وأسماء الأعيان على هذا الوجه ونحوه.

وقد تردد مجمع القاهرة -حين كان فيه علماء أفذاذ غُيُر على العربية، يدركون فظاعة ما يفعل عرب اليوم، ويخافونه على العربية- في إجازة الاشتقاق من أسماء الأعيان، والأسماء المزيدة، فأجازه في لغة العلم، للضرورة[1]، فما زال بعض أعضائه يعالجون ذلك القيد حتى كسروه عام ١٩٦٨، فأجازه من غير قيد[2]. والاحتجاج بوروده في اللغة لم ينفه أحد، بيد أنه ما كل ما سمع يستحسن، أو يجوز القياس عليه، وإنما يجب أن يراعى فيه الذوق، وروح اللغة، وروح نظامها. وقد نُسي أصل كثير مما اشتُقَّ من أسماء الأعيان، واستقر الأمر على ما يقبل الذوق دون ما لا يقبل؛ من أجل ذلك كان قليلا في العربية. هذا إلى أن بعض ما زعموا أنه اشتق منه من أسماء الأعيان، كالشرف، والمجد، والعِدل، إنما اشتُقَّ منه بعد أن نُقِلَ من دلالته الحسية إلى الدلالة المعنوية. ولا

---

(١) مجلة اللغة العربية بالقاهرة، ج١، ٢٣٥.

(٢) من الآثار الإيجابية للغة الإعلام: الاستجابة الآنية لاحتياجات اللغة وسد فجواتها المعجمية، ٨٨.

جـرم أن بيـن العربيـة قبـل أن تسـتباح علـى هـذا الوجـه، والعربيـة بعد أن اسـتبيحت بونـا كبيـرا، فـي الـرَّوْح، والخفة. ولـم يـراع المجمع في قراره الأخيـر ضرر الترجمة الحرفيـة التـي يقـوم بهـا مَنْ قـد رأينا من غيـر العارفين، وهـي ترجمة تتهـدد العربية، ولا تلتفـت إلـى قواعدهـا؛ لأن الذيـن يتولونهـا يجهلونهـا جهـلا يحـول بينهـم وبين أن ينتفعـوا بأوجـز مراجعهـا، وأيسـرها اسـتعمالا، وليس بيـن بعضهـم وبينها شـعور يعطفهـم عليهـا، ولا انتمـاء إليها ولا إلـى أهلها وحضارتها، وسـواء عليهم أأجازت المجامـع مـا يفعلـون أم لـم تجزه، فتشـريع مـا يفعلـون مـن تسـويغ إفسـاد العربيـة لمـن يحـرص علـى إفسـادها، ومن رأى توسُّـع بعض أهـل المغـرب العربي وبعض اللبنانييـن فـي ذلـك، فزع علـى مستقبل العربية.

رابعا- التركيب الخلاسي

وله صور، أهمها:

١- مـزج لفـظ عربـي بلفـظٍ أعجمـي، قـد يكـون سـابقةً، أو لاحقـة، أو جـزءًا من كلمـة يونانيـة أو لاتينيـة قديمـة[١]، ويُسَـمَّى التعريـبَ الجزئـي، وهـو ترجمـة أصـل الكلمـة الأجنبيـة، والإبقـاء علـى اللاحقـة بلفظهـا الأعجمـي. ويـرى بعضهـم أن للعلـم لغـة، مـا ينبغـي أن يُتَوَّخـى فيهـا الجمـال، وإنمـا يتوخـى الجمـال فـي لغـة الأدب؛ فـلا ضيـر علـى لغـة العلـم مـن الدخيـل، والنحـت الجـاري علـى غير سـنن العربيـة، ومنـه التفئيـم اللاتينـي واليونانـي، وهـو: وصـل سـوابق اللاتينيـة واليونانية وكواسـعها وحشـوها بمفـردات العربيـة وصـلا قياسـيا مطـردا، كمـا توصـل بهـا في اللغـات الأوربيـة، فذلـك هـو الـذي يمكِّنهـا مـن صناعـة الاصطـلاح، ويؤهلهـا لأن تسـتوعـب العلـم، وقبـل أن يُشْـرَع ذلـك، فلـن تُحَـل معضلـة التعريـب، وهـي معضلة لا تغنـي فيهـا الحلـول الجزئيـة الناقصـة، التـي تقتصـر علـى وضـع الاصطلاحـات، علـى غيـر قاعـدة مطـردة[٢]. ومـن أمثلـة التهجيـن زيـادة اليـاء والميـم، أو الميـم وحدهـا فـي بعـض الكلمـات، كالصوتـم، والصوتيـم (phoneme)، والصرفـم والصرفيـم (morphonéme)، والمعنـم، والمعنيـم (séme)، واللفظـم، واللفظيـم

---

(١) الترجمة وتطوير العربية، ١٦.

(٢) المعالجة الآلية للغة العربية بين الواقع والتحديات، ٧١ (نقلا عن: في الأمن اللغوي، ٣٩).

(moném)، والإيمائـم، والإيمائيـم (Mimeme)[1]. ويجمعون بعضها كما تجمعه اللغـات الأجنبيـة، وينسـبون إليـه، فيقولـون: الصواتـم (phonemes)، والصوتمية (phonologi)، واللفاظم (monéms)[2]، والمعانـم (sémes)، والمعنمي (sémique)[3]. مـع أن بعـض هـذه الاصطلاحـات، ومـا شـاكلها، قـد اقتُرِحـت لـه أسـماء عربيـة، خيـر من هـذه الاصطلاحات الهجيـن، هي: الصوتيـة (Phoneme)، والصرفيـة (Morpheme)، والمعجميـة (Lexeme)، والسـيمية (Lexeme)، والإيمائيـة (Mimeme)[4]. لكـن هـذه التسـميات أقـرب إلى روح اللغـات الأجنبية منهـا إلـى روح العربيـة، ولا يُفهَـم منهـا الصغـر الـذي تـدل عليـه الميـم فـي اللغـات الأوربيـة؛ مـن أجـل ذلـك اقتـرح بعضهـم تصغيرهـا، لتكـون: صويتـا، وصُرَيفـا، ولُفيظـا، ومُرَيْتِبـا، ومُعَينـى، ومعينـاة[5]. ويـرى بعضهـم أن مـن الممكـن أن تترجـم بـ: الوحـدة الصوتيـة، والوحـدة الصرفيـة، والوحـدة المعجميـة، والوحـدة الدلاليـة، والوحـدة الإيمائيـة، إلـخ[6]. وترجـم بعضهـم الفونيـم (phoneme) بالصـوت اللغـوي، والسـيمية بعلـم الـدلالات (semantique)، والسـيمولجيا بعلـم العلامات (semiologie)[7]، وعلـم الرمـوز. وإذا كان مـن الممكـن أن يترجـم الاصطـلاح ترجمـة عربيـة صحيحـة، تمكِّـن مـن فهمـه بسـهولة، فـلا مسـوغ للعـدول عنهـا إلـى التلفيـق الـذي يصنـع مفـردات خلاسـية، لا يفهمهـا إلا مـن لفَّقَهـا، أو عـرف مـا حُذِيَـت عليـه مـن الألفـاظ الأعجميـة.

ومـن زيـادة اللواحـق الأعجميـة فـي الكلمـة العربيـة زيـادة «أوز» (ous) فـي أسـماء بعـض العناصـر، كالذهـب (ذهبـوز)، والنحـاس (نحاسـوز)، كمـا يقـال فـي الإنجليزيـة aurous، وcuprous. وتـزاد أيضـا فـي الكلمـة لـلدلالة علـى سـكَّر، يكـون فـي المـادة التـي تكسـع، مثـل: جلوكـوز، وصقـروز، ولبنـوز[8]. وتـزاد اليـاء

---

(١) النقد العربي الحديث ومدارس النقد الغربي، ١١٠، والمصطلح اللساني عند الفاسي، ٢٢٣.
(٢) السابق، ١٦٤.
(٣) غزو الأساليب الأعجمية للغة العربية، ٢٥٣.
(٤) إشكالية المصطلح في الخطاب النقدي العربي الجديد، ٤٩٩، والمصطلح اللساني عند الفاسي، ٢٢٢.
(٥) السابق، ٤٩٩ و٥٠٢.
(٦) المصطلح اللساني عند الفاسي، ٢٢٤.
(٧) العربية والحداثة، ٨٠.
(٨) التعريب في القديم والحديث، ٢٥٩، وحركة التعريب في العراق، ١٠١.

والنون في بعض الألفاظ الإفرنجية لتدل «على خلاصة تستخلص من المادة التي تكسع»، مثل: بُنِّين، من البُنّ، أي: القهوة، وجُبْنين: «مادة تقوم أغلب ما في اللبن من الأحين أو جوهر الآح»[1]. ومنها ما أجاز مجمع القاهرة من تعريب بعض اللواحق الأجنبية، كزيادة الياء والكاف (ique /ic)، وهي علامة نسب في الفرنسية والإنجليزية، نحو حمض اللبنيك (lactic acid)، وذهبيك، كما يقال في الإنجليزية (auric)[2]، وحمض النمليك (formic acid)[3]، وحمض الكبريك (acide caprique)، وحمض السيروتيك (acide cerotique)، مع أن بعض الكلمات التي تنتهي بهذه اللاحقة لها مقابل عربي، كحمض الفورميك (acide formique)، فإنه يسمى بالعربية حمض النمل، وحمض الكبريتيك (acide sulfurique)، فإنه يسمى ريح الزاج[4]. وأجاز تعريب لواحق العناصر الكيميائية التي تنتهي بـ ium بيوم، ما لم يكن لاسم العنصر تعريب أو ترجمة شائعة، فيعرَّب منتهيا بالمقطع يوم، مع تعريبه الشائع[5]. واستعمال السابقة الفرنسية a في النفي، نحو: الأتاريخية، أي محو التاريخ وإلغاؤه، و«الأتاريخية اللاعلمية»، وهي ما يفتقرُ إلى العلم التاريخي، كما يقال morph (شكل)، و amorph (لا شكل له)، وpolitique (سياسي)، وapolitique (من لا يُعنى بالسياسة)[6]. ومنه زيادة الياء واللام في رُبعيل ترجمة لـ Qartile، وتعني الحدود التي تقسم السلسلة أربعة أقسام متساوية، وعشريل ترجمة لـ Decile، ومئيل (Centile)، وفحْميل (carbonyle)، والنمليل (formlyle)، والغَوْليل (alcolyle)، وحَمْضيل (Acyle)، إلخ[7]. وزيادة اللاحقة اليونانية أون (on) في الكلمة العربية للدلالة على الوحدة الصغرى من الشيء، أو الجسيم الابتدائي من الشيء، نحو: Phonon وPhoton، وElectron، وNucleon، وNeutron،

(١) حركة التعريب في العراق، ١٠١.
(٢) التعريب في القديم والحديث، ٢٥٩.
(٣) العربية لغة العلوم والتقنية، ٣١٥.
(٤) أعمال مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ٤٧٧ وما بعدها.
(٥) مجموعة القرارات، ١٩٣.
(٦) غزو الأساليب الأعجمية للغة العربية ٢٥٠، والعربية المعاصرة.
(٧) دراسات في فقه اللغة، ٣٢٥، وعلم المصطلح، ٣١٢ وما بعدها، والمصطلحات العلمية في اللغة العربية، ١٠٦ و١٩٧. وأعمال مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ٤٨١.

وProton، أي: الوحدة الصغرى من الصوت، والضوء، والكهرب، والنواة، والمتعادل، والابتدائي، فتصير بعد زيادة on في الكلمات العربية: صوتون، وضوءون، وكهربون، ونووون، ومتعادلون، وابتدائيون. واحتج مَنْ زادها بأن أهل الأندلس زادوا الواو والنون في بعض الأسماء، كحمدون، وزيدون، للتحبب، والتحبب يشبه التصغير! لكن كيف توحي هذه الكلمات، بعد زيادة الواو والنون فيها، معنى التناهي في الصغر وأظهر ما تدل عليه الواو والنون الجمع الذي يناقض التصغير؟! وأسهل من هذا وأقل امتهانا للعربية أن تصغر هذه الأسماء، فيقال: صويتة، وضويئة، وكهيربة، ونوية، وبديئة، ومعيدلة، إلخ. فالتصغير يدل على ما تدل عليه on في اليونانية، فالعدول عنه إلى زيادة أجنبية مسْخ مجاني للكلمة العربية، وتجاوز لنظام العربية الصرفي. وكان ينبغي أن يفرح المعرِّبون بوجود التصغير في العربية، وينزلوه منزلته اللائقة به من التعريب، بدلا من تجاهله، والإصرار على إدخال مقطع غريب، في الكلمة العربية، تعلُّلا بما لا يتَّجه. والأسماء الأندلسية التي زيدت فيها الواو والنون تدل على التكبير لا على التصغير، ويبدو أن التكبير وسيلة من وسائل التحبب أيضا، كالتصغير، كما يبدو من تغيير بعض الأسماء، كمحمد وخالد، بحمادة، وحمُّودة، وخلُّودة، والتكبير ضد ما تدل عليه on في اليونانية. ثم ما مصير العربية العلمية، إذا غدا كثير من أسمائها على غرار صوتيم (phoneme)، وصوتيك (phonics)، وصوتون (phonon)، وصوتولايت (phonolite)، وكهربود (electrode)، وكهربون (electron)، وكهربوم (electram)، وكهربولايت (electrolyte)، وكهربوليسس (electrolysis)؟[1]. وشبيه بهذا ما يفعل بعض وسائل الإعلام في الجزائر، من زيادة بعض اللواحق الفرنسية في بعض الكلمات العربية، كزيادة ist في «الحيط»، فتقول «الحيطيست»، وتعني به البطَّال، وتجمعها بزيادة السين، كما تفعل الفرنسية والإنجليزية، فتقول (الحيطستز) بمعنى البطَّالين، وهم المتعطلون عن العمل، يقضي أحدهم وقته واقفًا عند الحائط[2]. وربما كان تعريب الكلمات الأعجمية كلها، إن تعذرت ترجمتها، لا تعريب الكواسع

(١) الصعوبات المفتعلة على درب التعريب، ٣٧ وما بعدها.
(٢) خطر الدخيل على الفصحى والعامية معا، ٣٣.

وحدها، أمثل من هذا المسخ الذي يجمع بين لغتين، على وجه غير مستساغ، وهو ما فعل بعض أهل المشرق العربي، فقد آثروا «الفونيم» على «الصوتم»[1]. وفي قرارات مجمع القاهرة أن «كل كلمة أجنبية فيها الكاسعة (oid) التي تدل على التشبيه والتنظير تترجم في الاصطلاحات العلمية بالنسب مع الألف والنون، مثل: غرواني، وسمسماني، فيما يشبه الغراء والسمسم[2]. وفي قرار آخر: تستعمل صيغة النسب مع الألف والنون في الاصطلاحات الطبية التي تنتهي الكلمة الإفرنجية منها بحروف: oid، أو form، أو like، ما لم ينافِ ذلك الذوق العربي[3]. وهذا مأخوذ من السريانية، وهو أيضا من التلفيق، فالألف والنون في السريانية لا تدلان على الشبه، فلا تبلِّغان ما يريد المجمع، وتدخل في العربية ما ليس منها. وتلفيق الاصطلاحات من لغتين على هذا الوجه لا يختلف عما كانت عاميات المشرق العربي تفعل في النسب إلى بعض المهن على الطريقة التركية، كالكهربجي، والمكوجي، والعَرْبَجي، والشربجي، والقهوجي، ومحاسبجبي، ومكتوبجي، وكتبخانة، ورصد خانة، وعلمدار، وحكمدار، وسنجق دار، وخزندار، ودفتر دار، وباشمهندس، وباشكاتب، إلخ. على أن التريك كان يأتيه من العرب من تلقاء نفسه، عن غير معرفة بالعربية ولا سؤال عنها، وتلك الزيادات يزيدها المتعلمون الذين قد يكون بعضهم من المتخصصين في العربية، بل أعضاء في مجامع لغوية، تضطلع بتعريب العلوم، وصيانة العربية.

والتلفيق على هذا الوجه من حذو العربية على اللغات الأجنبية، فإن من الكثير أن تكون أصول الكلم الإنجليزية -مثلا- سكسونية، واللواحق التي تلحق بها لاتينية أو يونانية، ومن المرجح أن سبب استعمال هذه اللواحق عدم مطاوعة الإنجليزية السكسونية للتركيب والدمج كما تطاوع اللغات الأخرى[4]. ولعل اللغات الإفرنجية الأخرى، أو بعضها، توافقها في هذا التلفيق، ولذلك

---

(١) مصطلحاتنا بين المشرق والمغرب.

(٢) مجموعة القرارات، ١٨٤.

(٣) السابق، ١٨٥.

(٤) السوابق واللواحق في المصطلحات الطبية، ١٤٧.

كان بينها من تشابه الاصطلاحات العلمية ما هو معروف[1]، ويقول كثير من علماء الغرب إن لغاتهم ما كانت لتكون شيئا مذكورا لولا ما أخذت من اليونانية واللاتينية[2]. وقد يكون من أسباب ما قد رأينا من التلفيق حرص بعض العرب على أن يقابلوا الاصطلاح الأعجمي باصطلاح عربي مثله في عدد الكلمات، فإن كان كلمة، جعلوه كلمة، فإن زاد عليها زادوا فيه، وهو وقوف عند أمر شكلي، لا يعيره غيرهم من الأمم تلك العناية. ويقتضي وضعُ مقابل عربي واحد لكل زائدة أعجمية أن تكون هذه الزوائد ثابتة المعنى، أي: لا تدل إلا على معنى واحد، ولا تَرادُفَ فيها ولا اشتراك، وهو اعتقاد راسخ عند من يرون هذا التلفيق، وقد أثبت الباحثون عدم صحته، وبينوا أن الترادُف والاشتراك اللفظي فاشيان فيها، وأن الفرق بين العربية وغيرها من اللغات في الترادف في المقدار، ليس إلا. فاصطناع مقابل عربي لها ينقل إلى العربية ما فيها من ترادف وتعدد واشتراك، أما اصطناعها، فيؤدي إلى نظام هجين[3]. ولهذا كان من قرارات المجمع العلمي العراقي تجنب التفئيم الأجنبي؛ لأن العربية لغة اشتقاقية، وليست بإلصاقية، ووجوب لزوم الأساليب العربية في وضع الاصطلاح[4]. وهذا مجلى من مجالي أصالته، وسلامته مما أصيب به المجمع المصري، فهو يتبلَّغ ما يريد من غير أن يجعل هوية العربية ثمنا له، ولا يسارع في هدمها من أجل حاجة مصطنعة. كما لا يخفى أن ما فعل هو المساوق لروح العربية وخصائصها، بخلاف ما يفعل مجمع القاهرة وما تأثره من المجامع. ثم إن كثيرا من السوابق واللواحق الإنجليزية والفرنسية وما يتصل بها من الكلمات تترجمها العربية بألفاظ مفردة، من غير صعوبة، ولا حاجة إلى زيادة لفظ أعجمي، فاللاحقة al في national تترجمها بقومي، وتترجم السابقة a في atheist بملحد، وفي activation بتفعيل، مع أن في الكلمة الإنجليزية -علاوة على الأصل- ثلاث لواحق، وتترجم behaviorism بالسلوكية، و

(١) اللغة العربية كائن حي، ٧٩.
(٢) منهجية وضع المصطلح.
(٣) الترجمة وتطوير العربية، ١٦ وما بعدها.
(٤) بحوث مصطلحية، ١١٦.

structuralism بالبنوية، إلخ[1]. وفي وسع كل لغة أن تفيد مما في غيرها من اللغات من غير أن تخل بشيء من نظامها النحوي والصرفي والصوتي، كما احتفظ الأوربيون، في زمن الترجمة من العربية بلغاتهم، ولم يحدثوا فيها من التغيير ما يقابلون به نظام العربية الصرفي ليعينهم على الترجمة منها، ولا ادَّعوا أن اختلاف نظام لغاتهم ونظام العربية الصرفي يحول دون ترجمة العلوم، ولا أنه ينبغي أن يدخل في لغاتهم ما يسهِّل ذلك؛ ولا ادَّعى العرب مثلَ ذلك لَمَّا ترجموا علوم اليونان والفرس والهنود، ولا حالت السوابق واللواحق اللاتينية واليونانية دون التعريب، ولا شغل العرب أنفسهم يوما باختراع سابقة أو لاحقة، يقابلون بها اللفظ اليوناني أو اللاتيني[2]. وإنما هذا شيء يفعله العرب المعاصرون الذين هانت عليهم لغتهم، وجلَّت في عيونهم اللغات الأجنبية، فاعتقدوا أنه لا يمكن تعريب العلوم حتى تحذى عليها، ويؤخذ لها منها، وتحطَّم الحدود بينهما، فيزاد فيها من سوابقها ولواحقها وحشوها، وتَنحت ما تَنحت، وتَختصر ما تَختصر، دون اعتداد بما يلحقها من ذلك المسخ. وبسبب من هذا الهاجس ترجموا اصطلاحات أجنبية بكلمات مفردة، لا تؤدي معناها بدقة، وكان يمكن أن تُترجم بغير كلمة، فتكون ترجمتها خيرا وأوضح وأدق، وتناسوا أو جهلوا أن كثيرا من لغات العالم ملأى بالاصطلاحات المؤلفة من جمل وعبارات تزيد على الكلمة والكلمتين، وأن «الكلمة» في بعضها، تضم قطارا من الكلمات، وليست العربية بدعا منها، ولا لزاما أن تخرج عن سننها من أجل أن توافق لغة أجنبية في اصطلاح من الاصطلاحات.

ومن هذا النوع من التركيب تركيب الكلمة من كلمة عربية، وبعض كلمة أعجمية، يُقتَصر عليه دون سائرها، على وجه يشبه النحت، وإن لم يكن نحتا؛ لأن النحت في نظرنا هو ما كان الحذف فيه من اللفظ المنحوت كله، لا من بعضه فقط، وتكون الكلمة الثانية اختصارا لكلمة company (شركة)، يقتصر منها على الحرفين الأولين (co)، مسبوقين باسم صاحب الشركة، أو عملها، أو مجالها، نحو: يوسفكو، وهيدكو، وغازكو، وخدماتكو، ونادركو، وحنفيكو،

---

(1) اللغة العربية تواجه التحديات.

(2) الصعوبات المفتعلة على درب التعريب، 35 وما بعدها.

ومصنع فريدكو. فـ«غازكو» -مثلا- مركبة من gas (غاز)، والحرفين الأولين من company. وقد أفرط بعض العرب في هذا التركيب في أسماء الشركات حتى قال أحد المصريين ساخرا: «انظر كيف أصابتنا حمَّى «كو»، فأصبحت لدينا شركات مثل: «عصامكو»، و«نادركو»، و«صادقكو»، و«أرانبكو»، و«إسلامكو»، و«تنظيفكو»، والحاج عتريس يسمي شركته عتريسكو بدلا من شركة عتريس، ومتولِّيكو، بدلا من شركة متولي[1]. وفي هذا التركيب شيء آخر يخالف العربية، هو تقديم المضاف إليه على المضاف، كما هو دأب بعض اللغات الأعجمية، كالإنجليزية، فإن معنى عتريسكو: شركة عتريس، ولكنه قدم عتريسا على شركته، ولهذا عدَّه بعض اللغويين من أبشع النحت[2]. وقد غدا تقديم المضاف إليه على المضاف ظاهرة في العربية الحديثة في الأسماء التي يكون أحد عناصر التركيب الإضافي فيها غير عربي، نحو: المدينة هيلتون، ودار الإيمان إنتركونتننتال، وكويت كونتننتال، وصار بعض الكلم، إذا رُكِّب مع غيره، يجري على خلاف نظام الكلم العربي، كمول، وسنتر، وبلازا، وفون، فإنها إذا أضيفت إلى غيرها أُخِّرت عنه، فيقال: النور مول، ومزايا مول، وموري سنتر، وثوابت سنتر، والمدينة سنتر، ومعمار بلازا، وفَلَّة فون، والمدينة فون. ويستشري هذا الداء في أسماء المتاجر الموريتانية استشراء لم أر مثله في بلد عربي، ويتجاوز الأسماء التي يكون بعضها غير عربي إلى الأسماء التي هي عربية كلها، وأكثر ما رأيت ذلك في أسماء محالِّ بيع وسائل الاتصال، ويَرى السائر في شوارع الرباط العبارة: وفا بنك التجاري، أي: بنك وفا التجاري، وهو كثير جدا، ويرى السائر في شوارع تونس وموريتانية: التجاري بنك، وهي تسمية غريبة: فإذا كان التركيب وصفيا، وأصله «البنك التجاري»، فيجب أن يقدَّم الموصوف على الصفة، وأن يتفقا في التعريف، فيقال: البنك التجاري، وإن كان إضافيا، فيجب أن يقال: بنك التجارة.

٢- تركيبٌ، تكون ألفاظه عربية، ولكنها تُركَّب تركيبا يخالف التركيب

---

(١) انظر: اللغة والهوية ومرحلة الاستعداد لتعلم القراءة، ٦٥٧ وعناصر التعريب وقضيتنا الحضارية، ١٩٨ وما بعدها، ومواجهة العولمة في التعليم والثقافة، ٢١١ وما بعدها.

(٢) مستلزمات تعريب التعليم العالي من واقع التجربة السودانية، ٣٨.

في العربية، وإنما يُحذى على التركيب في الفرنسية أو الإنجليزية، نحو: الطرائق الصرف دلالية (procédés morpho-sémantiques)، والطرائق الصرف نحوية (procédés morpho-syntasiques)، والصرف صوتمية (morpho-phonologoque)[١]، وعَبْر وطني (transnational، بالإنجليزية، وtransnacional بالإسبانية)، والفوق وطني[٢]، والمقاربة العبر ثقافية (Approche transculturelle / trans-cultural-approach)[٣]، و«العوامل المجتمع لغوية (sociolinguistic factors)[٤]، والمخيلة الجدل عولمية، والدار البيضاء أحسن المدن الثالثعالمية[٥]، والصهيوأوروأمريكي (الصهيونية الأوربية الأمريكية). وهذا الضرب من التركيب ليس فيه من العربية إلا الحروف التي كُتِبَ بها، أما ما عدا ذلك فإنجليزي، أو فرنسي، فهو يقدِّم ما يقدِّم التركيب الأجنبي، ويؤخِّر ما يؤخر، فيقدم الصفة على الموصوف (الثالثعالمية)، ويستعمل الأسماء الجامدة صفات، ويصف المعارف بالنكرات، وينعت بالتركيب، ويدخل «أل» على المضاف (العبر ثقافية)، ولا يستنكف من الترجمة الآلية، نحو: «مجتمع لغوية»، فكل كلمة منه تقابل كلمة من المركب الإنجليزي (linguistic socio)، وكل كلمة من «الطرائق الصرف دلالية» تقابل مرادفتها من (procédés morpho-sémantiques)، وكذلك سائر المركبات، وهي كلها بمنزلة الصفة للاسم الذي قبلها، مع أنها مؤلفة من أسماء جامدة، والأسماء الجامدة لا يوصف بها، صحيح أن جزءها الثاني منسوب، والاسم المنسوب مما يوصف به، بيد أن الاقتصار على نسبة الثاني دون الأول لا يجيز الوصف به، إن كان يجيزه في اللغات الأوربية؛ لأنها تعد اللفظ المركب بمنزلة الكلمة الواحدة، والكلمة الأولى من أكثر المركبات معرفة، والثانية نكرة، والأصل أن تكونا معرفتين، كما أن الموصوف معرفة، وأن تكونا صفتين متواليتين للاسم الذي قبلهما. ولا يحمل على هذا ونحوه إلا الجهل بالعربية، والتعلق «بكل ما

(١) غزو الأساليب الأعجمية للغة العربية ٢٥٣.

(٢) حل مشكلة عدم المساواة الاقتصادية والسياسية، ١٩٩، والأمازيغ اليوم، ١٩.

(٣) البعد الثقافي في تعليم العربية لغة ثانية، ١٢٦.

(٤) أثر التعليم باللغة الأجنبية على التعليم باللغة العربية.

(٥) في لغة الإعلام، ١٩.

هو أجنبي، في اللغة وغير اللغة»[1]. ومن هذا «العوثقافية»، أي العولمة الثقافية، وهي مركبة من صفة وموصوف. وهو أثر من آثار الترجمة الآلية التي لا تزيد على وضع اللفظ مقابل اللفظ، وإن لم يكن لوضعه مقابله معنى، أما الصحة، فيبدو أن بعض الذين يتعاطون الكتابة من العرب المحدثين يرون أنها ليست بذات بال، وإنما يكفي أن يكون الكلام مفهوما، مع أنه قد يكون غير مفهوم أيضا، لكنه هو ما يقدرون عليه. ولا يعجب المرء من شيء عجبه ممن يرتضي مثل هذا العملِ، ولا سيما إذا كان في غني عنه، لكنَّ بعض العرب تقطَّع ما بينه وبين العربية، فصارت عنده كوما من الحروف، تُركَّب كيفما اتفق، وعلى كل وجه يرى أنه يدل على ما يريد. وما أظن أن الزمان إذا تبدل، واستعاض العرب من هزيمتهم النفسية ثقة وقوة إلا سيكُرُّون على هذا ونحوه، فيمحونه من دواوين العربية؛ لأنه مسْخ، ما يَسُرُّ عربيا أن يُنسب إليه اقتراحه، فضلا عن استعماله، والدعوة إليه، والتنظير له. وهو لا يختلف عما كان تراجمة السريان يفعلون، كما قال الشيخ أحمد الإسكندري: لما «توغَّلوا في ترجمة العلوم اليونانية والهندية كان الفصحاء قد انقرضوا من الأمصار، وتولى الترجمةَ بعضُ مستعربة الأعاجم، ممن لم تستحكم مِرَّتهم في العربية؛ فعجزوا عن ترجمة بعض الألفاظ الأعجمية، مع وجود مرادف لها فيها، ودوَّنوا من أسماء الحيوان والنبات ما لا تعرف العرب، بأسمائها الأعجمية، وعمَّت البلوى باستعمال فلاسفة المسلمين وأطبائهم هذه الألفاظ، وخاصة مَنْ كان منهم من سلائل أعجمية، كالفارابي، والرازي، وابن سينا. ولكن كثيرا من أصحاب المعجمات أبوا تدوين الأعجمي المحدث، وعابوا على صاحب «القاموس» نقْله كثيرا من أسماء النبات والحيوان والعقاقير الأعجمية»[2].

وتوسَّع بعضهم في التركيب الذي يكون جزؤه الأول «لا» النافية، تقابَل بها السوابق الدالة على النفي في بعض اللغات الأوربية، حذوًا على بعض المركبات الأعجمية، نحو: اللاجملة (Non-phrase)، واللادلالية (Asémantisme)، واللازمني (Atemporal)، واللامعنى (Non-sens)، واللاروائية (Anti-

(١) لغة العرب وكيف ننهض بها، ١٩ (نقلا عن: معارك أدبية، ٢٢٣).
(٢) مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ١/ ٢٠١.

(roman)، واللادلالة (Asémantique)، واللاسيميائية (Asémiotique)، واللارمزية (Asymbolie)، واللاحتمالية (Invraisemblable)، واللاتوقع (Irréalisé)، واللامنهج، واللاشخص[1]، واللازمان، واللامكان، واللامرئي، واللاتاريخانية[2].

٣- تركيب تكون ألفاظه غير عربية، وصورته غير عربية، وبعضه يشبه النحت في أن جزءه الأول يحذف بعضه، نحو: الأنجلوفرنسية[3]، أي الإنجليزية الفرنسية، وبارامغنطيسي، ودايامغنطيسي وميتافيزيقي، والأنجلوساكسون (Anglo-Saxon)، وأفروآسيوي (Afro-Asiatique)، وهندوأوربي (Indo-Uropéen)، وبتروكيماوية (Pétro-Chimiques)[4]، ونيوكولونيالي[5]، والكِيسواحلية[6]، أي: السواحلية الكينية، فـ«الكي» اختصار للكينية، وهي صفة مقدمة، والسواحلية موصوف مؤخر على الطريقة الإنجليزية، وكذلك نيوكولونيالي، قُدِّمت فيه الصفة (نيو) على الموصوف (كولونيالي). وكان يمكن أن تركَّبَ هذه المركبات كهذا: الإنجلية السكسونية، الإفريقية الآسوية، الهندية الأوربية، النفطية الكيميائية، فإن من طرائق العربية في النسب إلى المركب أن يُنْسب إلى طرفيه كليهما، كقول الشاعر في النسب إلى رامَ هرمز:

تزوجتُها راميةً هُرْمُزِيةً بفضلة ما أعطى الأميرُ من الرزقِ

أما المركبان الأخيران، فيمكن أن يقال فيهما: الاستعمار الجديد، والسواحلية الكينية. وهذا التركيب لا نظير له في العربية، فليس بمركب مزجي، ولا إضافي، ولا إسنادي، وإنما هو جمع بين كلمتين، هما في الأصل صفتان لموصوف واحد، لكن الأولى منهما يحذف بعضها.

٤- تركيب من كلمتين، إحداهما أعجمية، والأخرى عربية أو معرَّبة تركيبا يخالف التركيب العربي، نحو: ميتالغة (Métalanguage)[7]،

(١) إشكالية المصطلح في الخطاب النقدي العربي الجديد، ٤٨٨ وما بعدها.
(٢) السابق، ٤٧٦.
(٣) الاستشراق، ٦٤.
(٤) اللغة العربية ووسائل الإعلام، ١٠٨، والترجمة من حيث هي عامل هام من عوالم العدوى اللغوية، ١٦
(٥) تصفية استعمار العقل، ١٢.
(٦) السابق، ١٤.
(٧) الترجمة وتطوير العربية، ١٦.

ميتاقواعد (Metarules)، ميتاخطاب[1]، ميتاذريعي (Metapragmatic)، ميتانظرية (Metatheory)، ميتامتغير (Metavariable)[2]، والميتانص (Métatexte)، والميتانصية (Métatextualité)، وميتافيزيقي، والميتاأصوات، والميتاتركيب، والميتادلالة، والميتاخط، والقبلرومنطيقي (préromantique)، والبَعْدرومنطيقي (postromantique)[3]، ومابعدالمودرنية (Postmodernism)[4]، وسسيواقتصادية[5]، وسسيوسياسية، وسوسيومهنية[6]، وسوسيولسانيات (Sociolinguistics)، وسيكوألسنية[7]، والسيكولسانية[8]، وبسيكولسانيات (psycholinguistique)، والسوسيوبنائية، والسوسيوبنائي، والسوسيوثقافية[9]، وسسيوسياسية، وسسيونصية، وإثنولسانية، وإثنولغوية[10]، والإثنوصحفي، والإثنوتاريخية، والبيوثقافي، وبيولسانيات (Biolinguistics)[11]، وميكرووسيط (Microparameter)، وميكروسياق (Microcontext)[12]، والميكرومؤسسية، وإيكولوجيمجتمعي[13]، والسميوتركيبي، وفينونص (Phéno-texte)، وجينونص (géno-texte)، والسميولساني[14]، والسميودلالي، وأنثرولغوية، والكهروتقنية، والإغريقولاتينية[15] (الإغريقية اللاتينية)، والأورومتوسيطة[16]، والفرانكومغاربيين[17]، وبارامغنطيسي، ودايامغنطيسي. ومنه ما يكون التركيب فيه إضافيا مقلوبا، وذلك إذا كانت الكلمة الثانية «لوجيا» بمعنى علم، مثل:

---

(١) الترجمة وتطوير العربية، ١٦.
(٢) معجم المصطلحات اللسانية، ١٩٤.
(٣) غزو الأساليب الأعجمية للغة العربية، ٢٤٩.
(٤) إشكالية المصطلح في الخطاب النقدي العربي الجديد، ٤٧٦.
(٥) مجلة عالم التربية في حوار مع الباحث الأكاديمي الدكتور عبد القادر الفاسي، ١٦.
(٦) التقرير التحليلي لعام ٢٠٠٩، ٥٥ و٦٧.
(٧) غزو الأساليب الأعجمية للغة العربية، ٢٤٦.
(٨) الطفل واللغة، الغالي أحرشاو، بيروت، المركز الثقافي العربي، ط١، ١٩٩٣م، ٨١.
(٩) السياسة اللغوية والتخطيط، ٢٦.
(١٠) السابق، ٢٠.
(١١) إشكالية المصطلح في الخطاب النقدي العربي الجديد، ٤٧٤، والمصطلح اللساني عند الفاسي، ٢٣١.
(١٢) معجم المصطلحات اللسانية، ١٩٥.
(١٣) ثلاثية لغات الألفية الثالثة في المدرسة المغربية، ٤٣.
(١٤) اللغة العربية ومبدأ الترابية، ١١٢.
(١٥) إشكالية المصطلح في الخطاب النقدي العربي الجديد، ٢٣.
(١٦) الاستثمار في اللغة العربية من خلال الترجمة، ٥٨.
(١٧) مقاربات في المسألة اللغوية بالمغرب، ١١٣.

فكرولوجيا (Ideologie /ideology)[1]، والسردولوجيا (Narratologie)[2]، وكائنولوجيا (Antologie)، وأسطورلوجيا (Mythologie)، وقيمولوجيا (Axiologie)، وجمالوجيا (Esthétique /esthetics)[3].

٥- مركب من علمين بينهما شرطة، نحو: سايكس-بيكو، الحسين-مكماهون، بوش-بلير[4]. والأصل في هذا المركب أن يكون اسمين متعاطفين، لكن حرف العطف أُسقط منهما، واستعيض عنه بشرطة، وهو منقول من الإنجليزية والفرنسية، كغيره من أصناف المركبات.

٦- مركب من ظرف يليه اسم، تلحق به ياء النسب، ويكون المركب كله صفة لاسم قبله، مثل: «الأشعة فوق البنفسجية»[5]، وفوق الحمراء، وتحت الحمراء، والكفاءة بيْن ثقافية (intercultural competence)[6]، والماقبل إسلامي (جاهلي)، والمابعد استعماري[7]، والبَعدالاستعمارية[8]. وزاد بعض هذه المركبات خطأ آخر، هو إدخال «أل» على «ما».

٧- ومن التركيب ما لا يمكن تصنيفه؛ لأن المفردات فيه تركب كيفما اتفق، كأسماء بعض الفنادق والمنتجعات في بعض البلدان العربية، نحو: كلوفاندوم إنتركونتنتال بيروت- فندق، وشيراتون البحرين- سونستا، ومنتجع الشاطئ بلازا. إلا أن بين هذا وما قبله فرقا، هو أن أسماء الفنادق يضعها من لا علم له بالعربية، وربما لا يكون له علم بغيرها من اللغات، فيجمع الكلمات كيفما اتفق، وأصناف التركيب السابقة إنما صنعها المنتسبون إلى علوم اللغة.

وأكثر الذين يقدمون على هذه الأصناف من التركيب من أهل المغرب العربي، كما تدل عليه أسماء المراجع التي استقينا منها هذه الأمثلة. وقد أقرَّ عبد السلام المسدي بأنهم أجرأ من غيرهم على اللغة، كأن تعلقهم بالاستعمال

---

(١) منهجية وضع المصطلح.
(٢) إشكالية المصطلح في الخطاب النقدي العربي الجديد، ٤٩٤.
(٣) المصطلحات العلمية في اللغة العربية، ١٩٦، ومنهجية وضع المصطلح.
(٤) اللغة العربية في الإذاعة والتلفاز والفضائيات في المملكة المغربية.
(٥) السابق.
(٦) البعد الثقافي في تعليم العربية لغة ثانية، ١٢٨.
(٧) جدل العولمة، ٩٣.
(٨) السياسة اللغوية والتخطيط، ٢٣.

أشد من تعلقهم بالقواعد، ويستهينون بالجمال في صياغة الاصطلاحات على وجه يُحيِّر[1]. وهو إقرار، لا يخفى ما فيه من ديبلوماسية، إذا قيس بفظاعة ما قد رأينا من أصناف التركيب.

خامسا- النحت

وهو: صياغة كلمة من كلمتين فصاعدا، بحذف بعض حروفهما، طلبا للاختصار، كحَيْعَل، إذا قال: حيَّ على[2]. وهو نوع من أنواع التركيب، غير أن الأصل في التركيب ألا يُحَذف من المنحوت منه شيء. ويرى ابن فارس أن ما زاد على الثلاثة من الكلم العربي منحوت أكثره[3]، ولعل الذي حمله على ذلك تأثُّره بلغته الفارسية، وهي لغة نحت وتركيب، وغفلته عن أن العربية لغة اشتقاقية، وظنُّه أن حال اللغات واحد[4]. وما رواه العلماء من الكلمات المنحوتة قليل، وهو طائفتان: أفعال، وأسماء منسوبة منحوتة من اسمين متضايفين. والمحفوظ من النوع الأخير ستة أسماء، هي: تَيْمَلي، وعَبْشَمي، وعَبْدَرَي، ومَرْقسي، وعَبْقَسي، ومَرَئِيّ، وهي المروية عن العرب في عصور الاحتجاج، والنحت فيها شاذ عند طائفة من العلماء، وفي النسب إليها وجهان غير النحت، هما النسب إلى الجزء الأول، وهو القياس، والنسب إلى الجزء الثاني. أما الأفعال المنحوتة، فالمأثور منها مولَّد كله، وما قيل فيه من الأشعار مصنوع[5]. ويرى الدكتور جميل الملائكة أن الأفعال المنحوتة كـ«بسمل»، و«سبحل»، ليست من النحت في شيء، وإنما هي أفعال ومصادرها، أريدت بها حكاية أقوال مشهورة معروفة[6]. وإنما دخل العربية ما دخلها من النحت بعد عصور الاحتجاج، وكان قليلا، فلم يتجاوز -عند بعض الباحثين- أربعين كلمة، منها

---

(١) مصطلحاتنا بين المشرق والمغرب.

(٢) الصاحبي في فقه اللغة العربية، ٢١٠.

(٣) السابق، ٢١٠.

(٤) اللغة العربية والعصر، ٩، وانظر: المباحث اللغوية في العراق، ٨٦.

(٥) الاشتقاق، ٣٩٣ وما بعدها و٤٢٠ وما بعدها، والنحو الوافي، ٤/ ٧٣٩، وعبث الوليد، ٤٧٩، ورسالة الملائكة، ٢٦٦ وما بعدها.

(٦) المصطلح العلمي ووحدة الفكر، ١١٤.

الكلمات المنسوبة(١)،وستين، عند بعض، وثلاثا ومائة عند رمسيس جرجس(٢)، وبعضه ليس بنحت، وإنما هو مركب تركيبا مزجيا، وبعضه أُسقط من الكلمة الأولى منه حرف واحد لكثرة الاستعمال، كبلحرث، فإن حذف النون فيه لا يختلف عن حذفها في «مِاليوم» (من اليوم)، وحذف الألف في «عَلْمَاء» (على الماء)، وبعضه نحت على حسب نظرية ابن فارس وحده. وقال غيره إنه لا يكاد يبلغ مائتين، طوال تاريخ العربية(٣). وزعم بعض الباحثين أن هذا الإحصاء غير دقيق، واستدلوا بأنه أُلِّف فيه في القرن السادس الهجري كتاب في نحو عشرين ورقة، وعشرون ورقة تَسَعُ مئات الكلمات، إلا أن يكون مؤلفه على مذهب ابن فارس(٤). وهذا الاعتراض ينقض أوله آخره بهذا الاحتمال، وينقضه أيضا أن أمثلة الكتاب تدل على أن مؤلفه كان على مذهب ابن فارس، كما ينقضه قولَ المعترض في آخر كتابه هذا: إن استقراءنا للمنحوتات المخففة يدل على أن النحت طريقة غريبة على العربية، وتنافي سلائق أهلها، وإن الإفراط في النحت، بغير حدود ولا ذوق قادنا إلى كلمات هجين غريبة، يتعذر فهمها دون هوامش طويلة، تشرحها بعد أن تعيدها إلى أصولها؛ فتغدو الجملة الاصطلاحية الطويلة أقرب من الكلمة المنحوتة(٥).

ويذهب متقدمو اللغويين إلى أن النحت سماعي، ويُقتصَر فيه على ما قالت العرب؛ «لأن النحت اختراع ألفاظ، لم تعرفها العرب، فلا تُدخَل في لغتهم»، وقال الشموني إنه قياسي، أما ما قال ابن فارس في كثرته، فلا يفيد القياس إلاَّ إذا نُظر إلى أنه ادَّعى له الأكثرية فيما زاد على ثلاثة، ومع الكثرة يصح القياس والاتساع. وانتهى مجمع القاهرة عام ١٩٤٨ إلى إجازته في العلوم والفنون للحاجة الملحة إلى التعبير عن معانيها بألفاظ عربية موجزة، ولكنه شرطَ الجواز بتوافُق الحروف عند تأليفها في الكلمة المنحوتة، وتنـزيلها على أحكام العربية،

---

(١) اللغة ووضع المصطلح الجديد، ٧٢.
(٢) النحت في العربية، ٦٨ - ٧٦، وعلم المصطلح، ١٩٨.
(٣) المصطلح العلمي ووحدة الفكر، ١١٤ والنحت، وجيه السمان، ٩٤.
(٤) إشكالية المصطلح في الخطاب النقدي العربي الجديد، ٩٣.
(٥) السابق، ٤٩١ و٩٤.

وصياغتها على وزن من أوزانها[1]. وظل كذلك حتى كتب رمسيس جرجس بحثا مطولا عنه، فأُعيد النظر فيه، ووُكل أمره إلى لجنة الأصول، فحكمت بأنه وردت منه كثرة، تجيز قياسيته؛ فيجوز أن يُنْحَت من كلمتين فصاعدا اسم أو فعل عند الحاجة، على أن يراعى -ما أمكن- استعمال الأصلي من الحروف دون الزوائد، فإن كان المنحوت اسما اشترط أن يكون على وزن عربي، والوصف منه بزيادة ياء النسب، وإن كان فعلا كان على وزن فَعْلَل أو تفعلل، إلا إذا اقتضت الضرورة غير ذلك، جريا على ما ورد من الكلمات المنحوتة[2].

ثم توسع فيه بعض المعاصرين، وأولعوا به ولعا شديدا، وأمعنوا فيه، وتعصبوا له، فأفسدوا العربية بما أحدثوا منه من اصطلاحات، تخالف سننها، وسنن غيرها من لغات الإنس، فجاء ما أقروا من ذلك وما اقترحوا شيئا لا ينقضي منه العجب، ولا ممن أقره، واستساغه، ورأوا أنه من مقتضيات العصر، ولا بد منه في الاصطلاح العلمي خاصة، وزعموا أنه باب من أبواب التوسع، يفيد العربية في استيعاب العلوم، واستحداث الاصطلاحات، ولا غنى لها عنه، وهَزِئَ بعضهم بمن لا يعده من خصائص العربية[3]. وهي تعلات، لا تختلف عن كل ما قد رأينا وسنرى مما احتجوا به لما ارتكبوا من مسخ اللغة شكلا ومضمونا.

وكان الحديث عن إقراره في المجمع يستفز الشيخ أحمد الإسكندري، فيهدِّد بمغادرة بعض جلساته، إذا أُقِرَّ وسيلةً للتوليد، كما طالب بذلك بعض الأعضاء، وقال إن «اللغات ليست لعبا»، وكان شديد العداوة له[4]، وكان سعيد الأفغاني يسميه الموت[5]؛ لأن عاقبته لا تكون إلا وبالا على العربية؛ لأنه يميت المعجم العربي الأصيل، ويُنبت على دمنته معجما جديدا، مفرداته كلها تزيد على الثلاثة، ثم تُنسَى أصول المنحوتات، ويُشْتَقُّ منها كما يشتق من كل كلمة في العربية، فيصير المعجم العربي طويلا ثقيلا متنافرا، على شاكلة: صَلْكَلَ، يُصَلْكِل، صَلْكَلَة، ومصلكل، وجَدْلَغ، يُجَدْلِغ، جدلغة، ومجدغِل، والترجذاتية

---

(١) النحت، مجلة مجمع اللغة العربية الملكي، ١٩٥٣م، ٧/٢٠٣.

(٢) كتاب في أصول اللغة، ٤٩.

(٣) اللغة العربية والعصر، ٩.

(٤) أعمال مجمع اللغة العربي في القاهرة، ٣٣٠، والنحت في اللغة العربية، ٢٨٢.

(٥) كلمة حياد، ١٥٢.

(autobiographie)، أي: الترجمة الذاتية، وما هو أقبح من ذلك وأثقل، وأشد تنافرا، وأقل التزاما لبناء الكلم العربي. وفي هذا ما لا يخفى من استبدال الذي هو أدنى بالذي هو خير، ومن غزو العربية في أخص خصائصها، وتجريدها من الخفة، وجمال الإيقاع. وكان مصطفى جواد يقول إنه يشوه كلم العربية، ويبعد الاسم عن أصله بالحذف، فيختلط بغيره، وتذهب الفائدة المرتجاة منه، وإنَّ ما قال فيه ابن فارس لا يعدو الظن، والتأويل البعيد، «وكل ما ثبت عندي منه عدة رموز جميلة، مثل سبحل فلان، أي: قال: سبحان الله، وحوقل، قال: لا حول ولا قوة إلا بالله، وطلبق: قال أطال الله بقاءه، ودَمْعَزَ: قال: أدام الله عزَّك. ولولا أن هذه الجمل كانت من الشهرة والتكرار بالمكان المعلوم ما استجازوا لها هذا الاختصار»[1]. وكان أمين الخولي يقول إنه ليس من وسائل نماء اللغة، وإنما يكون نماؤها «بزيادة داخلية ذاتية من كيانها ومادتها، لا بتعريب من كلمات غيرها، ولا بنحت مصطنع من كلماتها»[2]. وكان وجيه السمان، وهو عضو في مجمع اللغة العربية بدمشق، يعارضه غالبا، ويعده مستثقلا، وينبغي ألا يستعمل إلا عند الضرورة، ولا سيما عند ترجمة الاصطلاحات المركبة في اللغات الأجنبية. وقال إن العربية لا تتقبله بسهولة، وخير للاصطلاح أن يكون كلمتين متاضيفتين أو ثلاثا من أن يكون كلمة واحدة منحوتة. وقال إن كل مَنْ عالج النحت كانت منحوتاته رديئة سقيمة، لا يقبلها أحد، وخير منه التركيب المزجي، إذا استُثْقِلت الكلمة المنحوتة، فخير من الكهرطيسي أن يقال الكهربي المغنطيسي. وفي النحت والتركيب المزجي مجال واسع لوضع الاصطلاحات العلمية، ولكن ينبغي ألا يغالى فيهما؛ لكيلا يقع التعقيد والإثقال؛ فتكون الاصطلاحات عويصة على الفهم، ثقيلة على السمع والنطق[3]. وكان مجمع العراق أكثر أصالة وحفاظا على العربية وخصائصها من بعض المجامع العربية، فقد قرَّر عدم إجازته «إلا عند عدم العثور على لفظ عربي قديم، واستنفاد وسائل تنمية اللغة، من اشتقاق، ومجاز، واستعارة لغوية، وترجمة،

(١) المباحث اللغوية في العراق، ٨٦.
(٢) علم المصطلح، ١٨٩.
(٣) جوانب الدقة والغموض في المصطلح العلمي العربي الحديث، ٨٤ وما بعدها.

على أن تلجئ إليه الضرورة القصوى، وأن يُراعى في اللفظ المنحوت الذوق العربي، وعدم اللبس»[1]. وهذا خلاف ما يرى رمسيس جرجس، من حصره في العلوم، كالطب، والكيمياء، والفيزياء، والرياضة، دون الأدب، وأنه سيكون ثقيلا في أول الأمر، فإذا تداولته الألسن، وتعودته الآذان، أصبح موسيقيا أكثر من الاصطلاحات الغربية[2]. ومن أذن بالنحت في العلوم، لم يمكنه أن يتحكم في دخوله في الآداب والفنون، وقد اصطنع منه المعنيون بالنقد وعلم اللغة ما اصطنع أهل العلوم التطبيقية، كما سوف نرى. أما كون الأيام ستزيل ما له من سيئ الوقع في الآذان، فلعلها لا تزيله ما دامت الخفة وحسن الإيقاع يُتوَخَّيان في الكلام، هذا إلى أن التضحية بجمال إيقاع العربية، واصطناع ما ثقل وطال من الكلم لا تدعو إليه ضرورة، وإنما تفسد به العربية مجانا. وكان أحمد فارس الشدياق، وساطع الحصري، وإسماعيل مظهر، ومنير البعلبكي من أشدّ اللغويين المعاصرين حماسة له، وقد حاولوا تطبيقه تطبيقاً عملياً، فقابلوا بما صاغوا من أمثلته المنحوتَ والمركَّبَ بأنواعه، في الإنجليزية وغيرها، فضلاً عن نقْلهم بعض المنحوتات الأعجمية بالتعريب.

وقد سعت المؤلفات التي أُلِّفت فيه، ولا سيما المعجمات الثنائية اللغة، في إدخال أربعة أنواع منه في العربية، هي:

١- ترجمة السوابق الأجنبية، ثم اختصارها ونَحْت اسم أو صفة منها ومما تدخُل عليه بعد ترجمته، كترجمة pre بـ«قبل»، واختصارها بـ «قَبْ»، ثم يُنحت منها ومما تدخل عليه كلمة، نحو: «قبتاريخ»، أي: قبل التاريخ (préhistore /Prehistory)، وقبمنطقي، وقبفمي، وقبمدرسي، وقببلوغ (prépubère)، وقبغحمي (précambrien)، وقبتزهر (préfloraison)، وقبتورُّق (préfoliation). وترجمة sub بـ«تحت»، واختُصارها بـ «تَح»، ثم يُنْحَت منها ومما بعدها «تَحْمُعَدَّليٌّ» (subaverage)، وتحشعوري (subconsient). وترجمة post الفرنسية بـ«غِبَّ»، للدلالة على حدوث شيء بعد شيء، ثم يُنحت منها ومما تضاف إليه كلمات، مثل: غبمدرسي، وغبجليدي (postgiaciaire)،

---

(١) علم المصطلح، ١٨٥، وبحوث مصطلحية، ١١٦.
(٢) النحت في اللغة العربية، رمسيس جرجس، ٦٢.

وغبُلوغ (postpubère). واختصار «الخارج» بـ«خا»، و«فوق» بـ«فو»، وينحت منهما ومما بعدهما كلمات، مثل: خامدرسي (extrascolaire)، أي: خارج مدرسي، وفوسوي (surnormal)، أي: «فوق سوي»[١]. وترجم عبد القادر الفاسي الفهري السابقة allo بـ«بديلة»، ثم اختصرها بـ«بَدْ»، وترجم ما بعدها، ونحت منهما كلمات، مثل: «بدْصوتة» (Allophone)، أي: بديلة صوتية، وبدصرفة (Allomorph)، أي: بديلة صرفية، وبدْنَغْمة (Allotone)، أي: بديلة نغمية، وبَدسيمة (Allosème)، أي: بديل سيمي، وبدسيميَّة (Alloosememe)[٢].

٢- ترجمة اللواحق واختصارها ونحت فعلٍ منها ومما يُركَّب معها على وزن فَعْلَلَ، كترجمة ectomy بـ «استئصال» واختصارها بـ «صَلْ»، وترجمة algia بـ «وَجَع»، واختصارها بـ «وَجْ»، وترجمة stomy- بـ «فَتْح»، واختصارها بـ «فَتْ»، وترجمة tomy بـ «قَطْع» واختصارها بـ «قَطْ»، فإذا كان الكلام عن استئصال الكُلْيَة (nephrectomy) نُحت من الكلمتين (اللاحقة وما قبلها): صَلْكَلَ صلكلةً، فإن كان عن وجعها (nephralgia)، نحت منهما: وَجْعَلَ وَجْعلةً، أو كان عن فتحها (nephrostomy)، نحت منهما: فَتْكَلَ فتكلةً، أو عن قطعها (nephrotomy) كان: قَطْكَلَ قطكلة، إلخ.

٣- النحت من الأسماء والصفات المركَّبة: ويكون بترجمة المركَّب ونحت كلمة منه، نحو: sleepwalking، يترجم بالسير في النوم، ثم ينحت منه السَّرْنمة، ويترجم surf-riding بركوب الأمواج، ثم تنحت منه الرّكْمَجة.

٤- النّحت من أسماء المقادير (أي: المقاييس والمكاييل والمساحات والأوزان): ومعظمها دخيل في العربية، كالمتر، واللِّتر، والميل، والإِرْدَبّ، والهكتار، والآر، والكيلو، والرّطل، والقنطار، والغرام، نحو: العَشْرَغ (decagram)، أي: عشرة غرامات، والعَشْرَل (decaliter)، وهو عشرة لترات، والعَشْرَم (decameter)، أي: عشرة أمتار، والعَشْرَر (decaare) عشرة آرات[٣].

---

(١) المباحث اللغوية في العراق، ٩٦ وما بعدها، وحركة التعريب في العراق، ١٣١ وما بعدها، وعلم المصطلح، ١٨٥ وما بعدها، والمنهل، ٥٦٥؛ والنحت في العربية قديما وحديثا، ٩٣.

(٢) اللسانيات واللغة العربية، ٤٠٥ (نقلا عن: إشكالية المصطلح في الخطاب النقدي العربي الجديد، ٤٧٨)، والمصطلح اللساني عند الفاسي، ٢٢٦، وانظر: معجم المصطلحات اللسانية، ١٩.

(٣) النحت في العربية، ٦٩، والنحت في العربية قديما وحديثا، ٩٥.

وممن تكثروا من النحت صلاح الدين الكواكبي، وهو كيميائي سوري، ومن منحوتاته الخلمهة (خل وإماهة) (Acétolyse)، والحمضليد، من حمض وغوليد، وهو حامض الدهيد (Acide aldéhyde)، وشمنزير، من شحم وخنزير (Axonge)، وفحمائيل، أي: فحم مائيل (Carboxyle)، وخَسْفَلَة، أي: خسف أو طرح فحمله (Décarboxylation)[1]. ومن مقترحات لجان مجمع القاهرة، وإن لم يوافق عليها المجمع خَلفمامي (خلفي وأمامي)، وبُلطَقَدَميَّات (المحاريات)، وبَطْنَقَدَميَّات (الودعيات)، ورَسْقَدَميَّات (رأس قدميات)[2]. ومن منحوتات عبد الحق فاضل: الأغْلِرَضانيَّة (geosphére)، أي: الأغلفة الأرضانية، والتنظطبيعي (ecosystéme)، أي: التناظم الطبيعي، والكثاسكن (Population density)، أي: الكثافة السكانية، ونعتَوطن (endemic)، أي: نوع مستوطن، والعمطبيعية (Natural factors)، أي: العوامل الطبيعية، والمصطلاجدة (Non rénauvelable Resourses) أي: المصادر الطبيعية غير المتجددة[3]، والصهيوأوروأمريكي (الصهيوني الأوربي الأمريكية). وهذه الكلمة والتي قبلها منحوتتان من ثلاث كلمات. ومن المنحوتات الثقيلة: زَمَكان (Esace–temps /spatial–temporal)، ونقْصَوَة (النقل الصوتي)، وهو نقل مضمون الكلمات الصوتي إلى رموز كتابيَّة، وهو المعروف في الإنجليزية بـ transcription، وهو الذي تتولاه الأبجدية الصوتية الدولية (IPA)، وتُرْجِم إلى العربيَّة بـ«الكتابة الصوتية»[4]، والنفسبنيوي، والتحلينفسي[5]، وهَدْبناء (dé–Constructure)[6]، من هدم وبناء، ومجوقلة (airborne)، أي: منقولة بالجو، وبرمائي (amphibia)، من البر والماء، وبَيْعَضَلي (Intermusculaire)، أي: بين العضلات، وبَيْعَظْمي (Interossux)، أي: بين العظام، والبيثقافية، والبيأمازيغي،

(١) جوانب الدقة والغموض في المصطلح العلمي العربي الحديث، ٨٤.

(٢) علم المصطلح، ١٨٧.

(٣) السابق، ١٩٦.

(٤) مستقبل الكتابة العربية في ظل فوضى النقحرة وهجنة العرابيزي، ٧.

(٥) اختلاف المصطلح بين المشرق والمغرب، ٢٤ وما بعدها (نقلا عن: تغريب المصطلحات النقدية والبلاغية، ٢٢ وما بعدها).

(٦) إشكالية المصطلح في الخطاب النقدي العربي الجديد، ٤٧٨.

وبَيْبرلماني (Interparlementaire)، أي: جامعٌ لأعضاء عدة البرلمانات[١]، والرَّكبرة (Syntagme)، أي: ركَّب وعبَّر، والجدلغة (Néologisme)، أي: جدَّد ولغة، والبدْعَدَة (Récurrence)، أي: أبدأ وأعاد[٢]. ونحت بعضهم من «المنتج والمستهلك» كلمة المنتهلك، ليترجم بها prosumer، كما نحتت prosumer من producer وconsumer، وهو الذي ينتج ما يريد أن يستهلك[٣]. ونحت بعضهم من «تحت اللسان» تحلساني، ليترجم بها sublingual، و«ضَبَخن» من «ضباب ودخان»، ليترجم بها smog ، وهي منحوتة من smoke وfog[٤].

ومن المنحوتات: يتبرجع، فهو متبرجع (من البرج العاجي)[٥]، وقوليل، وقدليل، ومفلم، وخدليل، وفدليل، وعتدل، وندلالة، وحدليل، وصدلمة[٦]، والغُذّيعَضَلِي، والشِّبْهغُذّي، بدلا من الغُذّي العَضَلي، وشبه الغذي، والألْفِيوَرَقي بدلا من أَلْفِيِّ الوَرَق، أو ذي أَلْف ورقة[٧]. وهذا كله مخالف لما يُشتَرَط للنحت من الحاجة، وتوخي ما يوافق الذوق العربي، ولا ينفر منه السمع[٨]. و«قَبْلامي» (الجاهلي)، وهي منحوتة من «قبل»، و«إسلامي». وفي هذا ما لا يخفى من تجاوز الاصطلاحات الإسلامية إلى اصطلاحات، ليست بأدق دلالة، ولا أوفى بالمراد، وتسمية الجاهلية «ما قبل الإسلام»، تسمية غير دقيقة، ولا مبينة عما تبين عنه «الجاهلية» من أخلاق العرب في هذه الحقبة، ومعارفهم، أما النحت، فثقيل، ولا حاجة إليه، فضلا عما فيه من اللبس، وهو -إلى ذلك- نَحْتٌ من عبارة، تترجم اصطلاحا استشراقيا (Pré-Islam / Pre-Islam) يخالف الاصطلاح الذي تواتر عليه العرب وعلماء العربية قديما وحديثا، ولم يرد في القرآن ولا كلام النبي -صلى الله عليه وسلم- غيره. ولعل الذي حمل صاحب هذا الاصطلاح على نحته على هذا الوجه ما يَرَى من أن العربية تشارك اللغات

---

(١) المنهل، ٥٦٥.
(٢) شعرية القصيدة، ٤٢ (نقلا عن: إشكالية المصطلح في الخطاب النقدي العربي الجديد، ١٧٢ و٤٧٩.
(٣) المترجم طليقا، ٨١.
(٤) السابق، ٨٣.
(٥) اللغة والحضارة، ٤٩.
(٦) إشكالية المصطلح في الخطاب النقدي العربي الجديد، ٤٧٩.
(٧) مدى النحت في اللغة العربية، ٥٥١.
(٨) السابق، ٥٤٨.

الأوربية في تعويلها «المسرف على النحت والتركيب المزجي»[1]، وهو أمر، قد رأينا ما يخالفه.

ومن هذا ما ورد في ترجمة كمال أبو ديب لكتابي «الاستشراق»، و«الثقافة والإمبريالية»، لإدوارد سعيد، من منحوتات ثقيلة، لا يتضح معنى أكثرها إلا بالشرح، كالاجتصادي، أي الاجتماعي الاقتصادي (Socio-economic)، والاجتماسي، أي الاجتماعي السياسي (Socio-political)، والإغريلاتيني (Greco-Latin)، أي: الإغريقي اللاتيني، والزيعلمي، أي الزيف العلمي (Pseudo-scientific)، والسِّياتاريخية أي السياسة التاريخية (Politico-historical)، واليهوسيحية، أي اليهودية المسيحية (Judeo-Christian)[2]، وجغراسي، أي جغرافي سياسي (Geo-political)، وعرقغرافيا، أي: علم الأعراق الوصفي (Ethnography)، ولاهوصوفية (لاهوتية صوفية)[3]، والشرقوسطية[4]، وقبرأسمالي، وسوقشعبي (بازاري)[5]، والمجمع اللي-نغمي (atonal ensemble)[6]، والحقول التعدُّثقافية (multicultural)[7]، وشارِجَبة، وشارِسَبة، من «شاردة موجبة»، و«شاردة سالبة»، وهما اصطلاحان من اصطلاحات الكيمياء، يستعملان في تحليل السوائل بضغط الحرارة الكهربية، والهكراطيسي اختصارا لكهربي مغناطيسي[8]، وشَوْجنيات، (من شائكات الزعانف)، ومُشْجَناحيات (من مستقيمات الأجنحة)، وعَصْجَناحيات (من عصبيات الأجنحة)[9]، وعقبوضعية، وعقبحداثية[10]، لما بعْدَ الوضعية وما بعد الحداثية. ومنه ما اشتمل عليه «الاشتقاق» لعبد الله أمين من المنحوتات، نحو: دَرْطَع، ودَرْدَغ، ودَحْرَر، وحَلْكَح، وحَلْكَل، وكَلْفَض، وكُبْأَكْحَد، وكَبَكْنَح،

---

(١) نظرية اللغة العربية، ٢٠٥.

(٢) انظر هذه الكلمات في ثبت الاصطلاحات في مقدمة «الاستشراق، ٢١ - ٣٤.

(٣) انظر: الثقافة والإمبريالية، ٣٩٧.

(٤) السابق، ٦٨.

(٥) الموضع السابق.

(٦) الموضع السابق.

(٧) السابق، ٣٧٦.

(٨) المصطلح النقدي، ٢٨.

(٩) دراسات في فقه اللغة، ٣٢٤.

(١٠) كتاب الأعاجيب، ٥١ وما بعدها.

وكَبَكْزَن[1]، وقروسطي (Moyenageux)، من القرون الوسطى، وكهرجابي (Eléctro-positif)، من كهربي وإيجابي، وكهرُسلبي (Eléctro-négatif)، من كهربي وسلبي[2].

وهو عمل ما حمل عليه إلا الولع بالممثالة ولعا أورث التعلق بحذو العربية على غيرها، وحسبان أن في ذلك فائدة لها، وإلا فليس في مثل هذا النحت ما يُغْري به، لا من حيث الاختصار، ولا من حيث الخفة، فبه من الثقل والتنافر ما لا يخفى، وهو مباين للعربية في الصميم، بل مباين للفصيلة السامية التي هي منها، فإنها ثلاثية، ولذلك يجتمع الرأي أو يكاد على أنها ليست بلغات نحت، وليس فيها أثر لإدغام كلمة في أخرى حتى تصير الاثنتان كلمة واحدة، تدل على معنى مركب من معنى كلمتين[3]، وتراد -مع ذلك- على أن تكون كاللغات الأوربية، التي هي «لغات نحت»[4] وتركيب. ولا يخفى أن الاصطلاحات غير المنحوتة -على طولها- خفيفة على اللسان، واضحة المعنى، مثل: شائكات الزعانف، ومستقيمات الأجنحة، وعصبيات الأجنحة، أما المنحوتات -وإن كانت أقل حروفا-، فثقيلة، متنافرة الحروف، لا يَعرِف معناها إلا من عُرِّف الأصل الذي نُحتت منه. كما لا يخفى أن جلَّ المنحوتات مخالف لأوزان العربية، وللشروط التي اشترطها قرار مجمع القاهرة. وهذه الضروب من النحت مجلى من مجالي التبعية، فقد غبر الأولون لا يستعملون النحت، على كثرة ما عربوا وترجموا، ولم يعدلوا عن نظام لغتهم، وجعل هؤلاء النحت أمرا لا بد منه؛ لِمَا رأوا من كثرته في اللغات الأجنبية؛ لأنها لغات إلصاقية، والنحت والتركيب من خصائصها، وهي قائمة عليهما، والعلاقة فيها بين المنحوت وما نحت منه بينة، ولا تلبس، وبعض أجزاء المنحوتات سوابق أو لواحق ثابتة، معروفة المعنى في اللغات الأوربية كلها لوحدة أصلها، وبعض النحت فيها ليس بنحت وإنما هو تركيب مزجي، بخلاف العربية، فإن النحت فيها مبني على حذف بعض حروف الكلم. ومن طريف هذه التبعية والحرص على المماثلة نحت «العصرفة» من

---

(١) الاشتقاق، ٤٣٦ - ٤٤٤.

(٢) العربية والحداثة، ١٧٨ وما بعدها.

(٣) انظر: تاريخ اللغات السامية،١٥، والنحت، نهاد الموسى، ٧٢.

(٤) اللغة الشاعرة، ١٣.

«علم الصرف» لتقابل La morphologie[1]، فقد غبر من غبر من اللغويين القدامى والمحدثين لا يعرفون إلا الصرف، والتصريف، وعلم الصرف، وفن الصرف، ولا يعرفون La morphologie، ومن عرفها منهم لم يفكر يوما في أن يحذو عليها تسمية جديدة لعلم الصرف، ينحتها من الكلمتين كما نحت له الفرنسيون La morphologie، ثم يأتي من يقول إنه لا بد من حذو «الصرف» عليها بتسميته «العصرفة»؛ فإن ذلك هو الذي يتأتى منه أن ينسب إليه، والنسب إلى «الصرف» -إن كان لا بد منه- أخف، وأجمل، وهو شائع على كل قلم ولسان. ومن زعم أن العربية في حاجة إلى النحت، فإنما يعبر عن حاجة نفسية، هي التي جعلته يضع لكل لفظ أجنبي مقابلا عربيا، يشبهه في بساطته، إن كان بسيطا، وتركيبه، إن كان مركبا، ونحته، إن كان منحوتا. فما دامت «جي» تعني «علما»، في اليونانية، فلا بد أن يشتمل اللفظ الذي يترجِم اصطلاحا أجنبيا، هي فيه، على لفظ، يدل عليها، أما ما تعارف العرب عليه منذ خمسة عشر قرنا، فلا اعتداد به، وإنما يجب أن تعاد صياغة الاصطلاحات في العربية كلها؛ لتطابق الاصطلاحات الفرنسية والإنجليزية؛ لأنها هي العلمية، كما يجب أن تعاد صياغة الفكر العربي حتى يطابق الفكر الغربي؛ لأنه هو الفكر العلمي، وأن تجعل الإنجليزية والفرنسية العين التي ينظر بها العرب إلى العالم، كما ينظر بهما الإنجليز والفرنسيون.

ومما وضع المولعون بالنحت، والمدافعون عنه من غريب المنحوتات ما اقترح مارون غصن من ترجمة Quadrumane (الحيوان ذي الأيدي الأربع) بـ«أربيد»، ويُثَنَّى على «أربيدان»، ويُجمع على «أربيدات»، وأن يترجم Kuadrupède (الحيوان ذا الأرجل الأربع) بـ«أرْبِدجْل»، ويثنى على «أربدجلان»، ويجمع على «أربدجلات»، وتصاغ منه الصفات على «أربيدي»، وأربرجلي». وأن يترجم Psychologie بـ «النفسلوجية» بدلا من علم النفس، وأن يترجم mammifère (الثدييات) بـ«ذوثد»، ويثنى على «ذوثدان»، ويجمع على «ذوثدات»[2]. وردَّ عليه بعض أعضاء مجمع دمشق بأنه لو سمع قائلا بهذا قبل مارون ما شك في

---

(١) ابن خلدون والدرس اللغوي الحديث، ٩٣.

(٢) انظر: النحت في اللغة العربية وسيلة لتوسيع اللغة، ٣٠٢.

أنـه سـاخر يهـزأ، أو محموم يهذي، وأن اقتراحه هذا أسـرع وسـيلة لهـدم العربية[1].
وقـال: إن النحـت مطلـوب ومقبـول، إذا كـان لفظـه خفيفـا علـى اللسـان، مأنوسـا فـي السـمع، قريبـا مـن الفهـم، مُبينـا عـن المـراد، وليـس فـي «أربدجـل» وأخواتهـا مـا يصـدق عليـه ذلـك. فـإن كـان يريـد هـدم العربيـة وإذهـاب نضرتهـا، وإدخـال الأعجمـي والعامـي فيهـا، فمـا يقترح خير وسـيلة إلى ذلك وأنجعها[2]. وقـال سـعيد الأفغانـي إن فـي المقـال الـذي أعلـن فيه مقترحـه هذا غمزا في العربية، وإنـه يقترح أن تدخـل فيهـا ألفـاظ مسـتكرهة، لا تمـت بصلـة إلـى لغـات الإنس، ولا إلـى لغات الجـان، تشـويهًا لجمالهـا، وإشـاعةً للاضطـراب في قواعدهـا»، وإنه نَشـر بعد مقاله الـذي دعـا فيـه إلـى هـذا النحـت مقـالا، دعا فيـه إلى اسـتعمال الألفـاظ الدخيلـة[3].
وقـال إن هذيـن المقاليـن ومقـالا آخـر، يدعـو إلـى العاميـة والعدول عـن الإعـراب، عنوانـه «أقـرب الطـرق إلـى نشـر الفصحى»، نُشـرت في مجلـة مجمع اللغـة العربية بدمشـق، كانـت أثـرا لمـا أوحـى لويـس ماسـنيون إلـى أعضـاء مجمـع دمشـق، أن يلغـوا الإعـراب، فلـم يجـد مـن يعيـر إيعـازه اهتمامـا، فقـد علمـوا أنـه ممـا يكيـد بـه الاسـتعمار الفرنسـي العربيـة فـي الشـام، كما يكيدها فـي كل مكان، حـلَّ به من بلاد المسـلمين[4]. وردَّ مـارون غصـن بأن محمـد سـليم الجندي ليس في وسـعه أن يأتي بتعريـب كتعريبـه لتلـك الكلمـات، أخصـر، وأدلَّ، وأفصـح ممـا عرَّبهـا بـه[5]. وقـال: «أتمنـى أن مـا تـم فـي الماضي يتـم في المسـتقبل، وذلـك بتعميم هـذه الطريقة، ولا سـيما فـي الألفـاظ العلميـة، فنقـول مثلا: صُـوَر خانه، بمعنـى متحـف للصـور، بدلا مـن أن نقـول متحـف الصـور، وتمثالخانـه، بمعنـى متحـف للتماثيـل، وآثـار خانـه، بـدلا مـن دار الآثـار. ويمكننا أن نصـوغ الصفات والظروف من جميـع هذه الألفاظ المنحوتـة، فنقـول -مثـلا-: النفقـات الصورخانيـة، والاعتمـادات الصورخانيـة، إلـخ»[6]. فهـو يؤثـر صورخانـه وتمثالخانـه علـى مـا بهمـا مـن الثقـل والعجمـة على

(١) من حاضر اللغة العربية، ١٠٧.
(٢) ما هكذا يا سعد تورد الإبل، ٣٦١ وما بعدها.
(٣) من حاضر اللغة العربية ١٩٤.
(٤) السابق، ١٩٥.
(٥) النحت وسيلة لتوسيع اللغة، ٤٦٥.
(٦) النحت في اللغة العربية وسيلة لتوسيع اللغة، ٣٠١ وما بعدها.

«متحف الصور»، و«دار التماثيل»، على ما بهما من خفة ووضوح معنى. ولا يخفى أن «تمثال خانه»، و«صورخانه» ليسا منحوتين، وإنما هما لفظان مركبان تركيبا إضافيا مقلوبا، على طريقة الترك في تقديم المضاف إليه على المضاف، وهو يرى أن إدخالهما هما وما شاكلهما في العربية من تلقيح لغة بأخرى[1]. ورد عليه سالم كرنكو رأيه في النحت بأن هذه المركبات المنحوتة لا تلائم اللغات السامية عامة، ولا العربية خاصة، وأن العربية ليست في حاجة إليها. وقال إن الألفاظ التي أتى بها مأخوذة من الفارسية، ولعله تعلمها من التركية، ولكن العرب لم يستعملوها، وبعيد أن يفهموا «صُوَرخانه، وآثارخانه»، وأسهل عليهم من فهمها أن يفهموا المركبات الإضافية، كدار الصور، ودار الآثار، أو متحف الصور، أو متحف الآثار[2]؛ لأن المركبات الإضافية مركبات عربية خالصة، في مفرداتها، وتركيبها، فمن غير الممكن أن يخفى على عربي ما يراد بها، لكن أقلهم من سمع «خانه»، أو يعرف معناها، وربما زاده جهلا بها أن تُرَكَّب مع كلمة عربية تركيبا مقلوبا، لا وجه له في العربية، والعدول عن عبارة عربية إلى أخرى أعجمية مبهمة ليس له مسوغ ظاهر، يُعذَر به من يراه، مادام الغرض من الكلام البيان. ومن الطريف أن مارون غصن يقول -بعد ما أبدى من المقترحات والآراء-: وإذا اعترض بعض المتعنتين المدَّعين حبَّ العربية، وهم الممسكون بخناقها، فقالوا إن النحت وقْف على الألفاظ المسموعة عن العرب، أجبناهم بكلام المرحوم أحمد فارس الشدياق: هل لعاقل أن يقول إن «الطلبقة» لازمة وغيرها غير لازم؟ مع أن الوضع إنما يُراعَى فيه اللزوم والضرورة، فإذا ساغ للعرب نحت بعض الألفاظ، ساغ لنا أن ننحت ما تمسُّ الحاجة إليه، فهم رجال ونحن رجال[3]. فهو يسوي نفسه بالعرب الأولين، مع ما بين ما نحتوا ونحت. وهو -مع ذلك- يجعل ما فعل مما تلجئ إليه الحاجة والضرورة، مع أنه لا حاجة إليه ولا ضرورة له، وقد تُرْجِمَت الاصطلاحات بما هو أجمل وأوضح، وأكثر مساوقة لروح العربية ونظامها مما صنع. وقد سقطت

---

(١) ما هكذا يا سعد تورد الإبل، ٣٦٠ وما بعدها.

(٢) ماذا يقول الأعاجم، ٣٤١ وما بعدها.

(٣) النحت في اللغة العربية وسيلة لتوسيع اللغة، ٣٠٢.

منحوتات مارون، فلم يستعمل واحد منها، فلم تتأثر العربية بسقوطها، ولا اختل شأن من شؤونها، غير أنها تعلة يتعلل بها كل من يرى أن تُدخل هذه المنكرات وأمثالها في العربية: يقولون لا بد منها، والواقع يقتضيها، وقد غدت ضرورة من الضرورات، وإن لها أصولا في العربية، وهي فيها قياسية، وما يرغب عنها إلا متعنت، يريد تجميد العربية، وقتلها، والحؤول بينها وبين استيعاب العلوم، ومسايرة العصر، إلخ، وهم يقولون ذلك في كل شيء، يخالَفون فيه.

ومن النحت نحت، جدَّ في هذا العصر، يأخذ الحرف الأول من كل كلمة من كلمات الاسم المركب، كأسماء الدول، والمنظمات، والأحزاب، والشركات، وما شاكلها، والمخترعات، والأمراض، ويركِّب منها كلمة مفردة. ومن الكثير أن يكون ذلك بعد أن يترجم الاسم إلى الفرنسية أو الإنجليزية. ويسميه بعضهم النحت الاستهلالي؛ لأن اللفظ يُبنى من الحروف التي تُستهلُّ بها الكلمات، ويُسمَّى في لغات الغرب Acronym[1]، ويسميه بعض العرب نحت البدء. وليس بنحت، في الحقيقة، وإنما هو اختصار للكلمات التي تؤخذ أوائلها، وإنما سمي نحتا لما فيه من الاختصار الذي هو غرض النحت. ومن أمثلته الرادار (Radar)، وهي اختصار لـ Radio detecting and ranging ، ويعني الكشف وقياس الأبعاد بالراديو[2]، والليزر (Laser)، وهي اختصار لـ Light amplification by stimulated emission of radiation، وتعني تضخيم الضوء عن طريق انبعاث الإشعاع المحفِّز، وأواكس (Awacs) وهي اختصار لـ Airborne Warning & control system، وتعني نظام الإنذار والتحكم المحمول في الجو، والنازية (Nazism)، وهي اختصار لـ Nationalsozialistische Deutshe Arbeiterpartei ، وتعني حزب العمال الوطني الاشتراكي الديوشتوت، والناتو (NATO)، وهي اختصار لـ North Atlantic Treaty Organization ، أي: منظمة معاهدة شمال الأطلسي، واليونسكو (UNESCO)، وهي اختصار لـ Unit Nations of Educational, Scientific & Cultural ، وتعني المنظمة الدولية للتربية والعلوم والثقافة، والجات (GATT)، وهي اختصار لـ The

(١) النحت في العربية قديما وحديثا، ٩٧ - ١٠٠.
(٢) علم المصطلح، ٦٤.

General Agreement on Tariffs and Trade أي: معاهدة التعريفات الجمركية والتجارة[1].

وحذا العرب على هذا الاختصار في العربية الحديثة، ولحذوهم عليه ثلاث صور: ترجمة التسمية العربية إلى لغة أجنبية، ثم اختصارها في كلمة مؤلفة من حروفها الأولى، نحو: سانا (SANA)، اختصارا لـ Arab News Agency Syrian، أي الوكالة العربية السورية للأنباء، وكونا (KUNA)، من Kuwait News Agency ، أي: وكالة الأنباء الكويتية، وأرامكو (ARAMCO)، من Arabian American Oil Company ، أي شركة الزيت العربية الأمريكية[2]، والألكسو (ALECSO)، من The Arab League Educational Cultural and Scientific Organization، أي: المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، وإسيسكو (ISESCO)، من The Islamic Educational Scientific and Cultural Organization، أي المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة، وريم (RIM) من République de Islamic de Mauritania ، أي: الجمهورية الإسلامية الموريتانية، وكاوست (KAUST)، من King Abdulla Bin Abdul Aziz University، أي: جامعة الملك عبد الله بن عبد العزيز. ويبالغ بعض الصحف الجزائرية في هذا الضرب من النحت، فيقول في جبهة التحرير الوطني ف ل ن (FLN)، وهي الحروف الأولى من اسم الحزب بالفرنسية (Front de libération nationale)، وتنطقها «أفلان»، وكذلك تفعل بأسماء سائر الأحزاب السياسية، والشركات الوطنية، والجمعيات، فتقول في التجمع الوطني الديمقراطي «الرند» (RND) من (Rassemblement National Démocratique)، وسونالغاز SONALGAZ من (Société nationale d'électricité et de gaz)، أي: الشركة الوطنية للكهرباء والغاز. وراج هذا العمل حتى أصبح المواطنون كلهم يعرفونه، ولو كتب الاسم المنحوت بحروف عربية، أو نُطِقَ بها ما عرفوها. وهذا الضرب من النحت أسوأ أنواع نحت البدء، لما فيه من الحذو الصريح على اللغات الأجنبية، إذ يُترجَم الاسم إلى لغة أجنبية

---

(١) النحت في العربية قديما وحديثا، ١٠٢ - ١٠٤.

(٢) السابق، ١٠٢ - ١٠٤.

أولُ، ثم يُختصر، كأن الأسماء العربية لا تُختصر اختصارا مقبولا حتى تترجم إلى لغة أجنبية، والحروف العربية لا تصلح للاختصار، وإنما تصلح له الحروف اللاتينية، فضلا عن أنه يحذو في الاختصار حذو اللغات الأجنبية. وهو عمل يدل على الاستخفاف بالعربية[١]، وأقبح ما يكون من منظمة عربية أو إسلامية تُعنى بالثقافة، وهي، إذ تفعل ذلك، كأنما تسمي نفسها للغير، ولا تسميها للعرب والمسلمين، ولا تحفل بلغتهم، وإنما تحفل بالإنجليزية أو الفرنسية وحدهما، ولذلك ارتضتهما لشعارها، أو هي أشد حفولا بهما منها بالعربية.

والصورة الثانية من صور نحت البدء أن يبقى الاسم عربيا، ويركَّب من أوائل كلماته اسم مفرد، نحو «واس»، من وكالة الأنباء السعودية، و«مآب»، من مؤسسة آل البيت، وجستن، من الجمعية السعودية للعلوم التربوية والنفسية، و«حشد» من حزب الشعب الديمواقراطي الأردني، و«رَما»، من رابطة المرأة الأردنية، و«أَمَل»، من أفواج المقاومة اللبنانية، و«حماس»، من حركة المقاومة الإسلامية[٢]. والصورة الثالثة هي الاقتصار على الحروف الأولى من كلمات الاسم مفردةً، من غير أن تكوَّن منها كلمة، بعد أن يترجم الاسم إلى لغة أجنبية، ويكتب بالحروف اللاتينية وينطق بها، كالتسميات التي تشيع اليوم في أسماء الفضائيات العربية: L.B.C، وA.N.N، وM.B.C.، وA.R.T ، فهي على غرار: B.B.C، وC.B.S، وN.B. ، وC.N.N[٣] وهي عادة متبعة في اللغات الغربية، فإنها نزاعة إلى وضع مختصرات للأسماء المركبة، حتى لتفعل ذلك في أسماء الأعلام، كما تفعل مثلا باسم توماس ستيرنز إليوت، فإنها تختصره بـ T. S. Eliot، وتكتب صندوق البريد هكذا: B.P اختصارا لـ Boîte Postale /box of postage. وTél. اختصارا لـ Télephone، وإن كان هذا الاختصار يختلف عن سائر ما قد رأينا من المختصرات، فإنه اختصار لكلمة واحدة بالاقتصار على بعضها. وشاع في الكتابة العربية في هذا العصر الاقتصار على الحروف الأولى من الأسماء تقليدا لما يفعل الفرنسيون والإنجليز نحو: م. صالح (محمد

---

(١) المختصرات وطريقة أدائها في اللغة العربية، ١٦.

(٢) السابق، ٢٦٧.

(٣) واقع اللغة العربية في وسائل الإعلام، ٦١٦.

صالح)، وح ح عبد الوهاب (حسن حسني عبد الوهاب)، ويختصرون صندوق البريد بـ: ص، ب[1]، وإن لم تكن كثرة هذا بكثرة ما قد رأينا من المختصرات.

وليس الاختصار على هذا الوجه من دأب العربية، لما يوقع من اللبس؛ لأن دلالة الحرف الذي يُقتَصر عليه على المراد ليست بقطعية ولا راجحة، فالأسماء التي تبدأ بالميم -مثلا- من أكثر الأسماء في العربية، وذكر الميم وحدها لا يتعين منه المراد، وكل رمز يَلْبِس، فما ينبغي استعماله؛ لأنه لا يبين. من أجل ذلك كان أكثر الناس يجهل اسم توماس ستيرنز إليوت، ولا يعرفون منه إلا اسم جده (إليوت)؛ لأن الأسماء التي تبدأ بالتاء والسين كثيرة. ويجهلون أن اسم أبي جورج دبليو بوش هو Walker؛ لأن W تبدأ به أسماء كثيرة. ولهذا قال محمد عناني إن في اللغات الأوربية صعوبة، لا نظير لها في العربية، هي المختصرات، والتسميات الأولية (نحت البدء)، والكلمات المشتقة من أسماء أشخاص بأعيانهم، ومن العادة أن يوردها الكاتب توفيرا لوقت القارئ. والمترجم مخيَّر بين اصطناع مثيل للاختصار من لغته، وإيراده كما هو دون تغيير، ولو لم يعرف معناه الكامل. وقد يكون المختصر لعبارة أجنبية، فيُبْقِي عليه كما وجده، مثل: R.S.V.P.، اختصارا لـ répondez s'il vous plait، أي: أجب من فضلك، وذلك حين يسأل الداعي الرد على دعوته بالإيجاب أو السلب[2]. ومن المستبعد أن يَعرف معنى هذا الاختصار غيرُ مَنْ تعوَّده من أهل اللغة، ومن الممكن أن يدل عند من لا يعرف العبارة التي هو اختصار لها على كل عبارة، يمكن أن تبدأ كلماتها بهذه الحروف، وهي لا تنتهي. فهذا المختصر mp إذا كُتب mp كان اختصارا للعبارة الإيطالية: mezzo piano أي: اعزف اللحن برقة متوسطة، وإذا كتب في بريطانية: MP ، فهو إشارة إلى عضو مجلس النواب (member of parliament)، ويعني في أمريكة الشرطة الحربية (military police)، وإذا كتب p.m عنى: post meridiem، أي مساء، وpremium، وهو قسط من أقساط التأمين، وpost mortem، أي تشريح الجثة لمعرفة سبب الوفاة. وإذا كتب هكذا P.M. عنى Prime Minister، أي رئيس وزراء بريطانية، وله عدة احتمالات في

---

(١) العربية والحداثة، ١٦٣.

(٢) فن الترجمة، ٣٤.

أمريكة، منها past master، أي محنَّك أو خبير، أو police magistrate (قاضي الشرطة)، أو post master، أي مدير مكتب البريد، أو provost marshal، أي المدعي العام العسكري[1]. فهي -إذن- تلبس، وضررها أكبر من نفعها، وليس فيها من نفْع سوى أنها تعين الكاتب على الاختصار الذي قد يكفيه بعض مشقة الكتابة، لكنه يحول بين القارئ وفهم المراد. وقد صارت المختصرات، لكثرتها، عبئاً عظيما، فهي وحدها في النفط، والفيزياء، والكيمياء تملأ معجماً مستقلاً بمئات الصفحات[2]. والكتابة العربية أخصر وأيسر من الكتابة غير العربية، لاستغنائها عن الحركات، بخلاف الكلمات الأجنبية، فهي -من أجل ذلك- تكفي العرب من الجهد ما لا تكفي الكتابة الأجنبية أهلها؛ لأنها تكتب الحركات مع الحروف على كل حال.

ومن الاختصار استعمال عبد القادر الفاسي الفهري (خ ل س ل) اختصارا للتخطيط اللغوي والسياسة اللغوية، حَذَوا على ما يُفعَل في الإنجليزية من كتابة LPLP اختصارا لـ language planning & language policy[3]، وهو عمل يلبس؛ لأن الخاء ليست أول حرف من «التخطيط»، ولأن كثيرا من القراء لا يعرفون الإنجليزية ولا يعرفون أنه، إذِ استعمل هذه الحروف، إنما يحذو عليها، وإن كان قد أتبع الحروف العربية الأربعة -حين استعملها أول مرة- الحروف اللاتينية الأربعة، غير أن الذي لا يعرف الكلمات الإنجليزية التي هذه الحروف أولها، لا يفهم ما يراد بها، كما لا يفهم ما يراد بالحروف العربية، كما لا يعرف جلُّهم معنى سابك، وسمارك، ونادك، ومابكو، وسابتكو، وريماكو، إلخ. ومن أشهر الكلمات رادار (Radar)، وأقل الناس من يعرف أنها اختصار لـ Radio Detection And Ranging[4]، وإنما يظن جلهم أنها كلمة إنجليزية مفردة، ولهذا جعل بعض المجامع مقابلها كاشوفا، ولم يترجمها. ومما يدل على ذلك ما قال أحد اللغويين من أن بعضهم حاول مرة أن ينحت اسما للمنظمة

---

(١) فن الترجمة، ٣٨.

(٢) اللغة العربية تواجه التحديات.

(٣) السياسة اللغوية والتخطيط، ١١.

(٤) منحوتات البدوء، ١١٥.

العربيـة للتربيـة والثقافـة والعلـوم، فاقتـرح أن تسـمى يونسـكو عربية[1]، يحسـب أن «يونسـكو» اسـم المنظمـة الـذي تُسـمَّى بـه، وليسـت اختصـارا لعـدة كلمـات. وإذا كانـت غايـة الـكلام البيـان، فـإن الأصـل فـي المختصـرات أن تحـول دون البيـان. مـن أجـل ذلـك تحوَّل بعـض السـوريين عـن اسـتعمال المنحوتـات الاسـتهلالية إلـى تسـميات عربيـة واضحـة، فصـارت شـركات الأدويـة ومسـتحضرات التجميل عندهـم تسـمَّى بأسـماء بعـض أطبـاء العـرب، كالـرازي، وابـن سـينا، وابـن النفيس، أو أسـماءٍ تتصـل بمجـال عملها، كالشـفاء، والحكمة، ودار الدواء، أو أسـماء مدن ومواقـع أثريـة وسـياحية، كأوغاريـت، وعمريت، وأفامية. واسـتبدلت المؤسسـات والشـركات الحكوميـة بأسـمائها المنحوتـة أسـماء عربيـة خالصـة[2].

ويـرى بعـض أعضـاء المجامع العربيـة أن لا بأس بهذا النوع مـن النحت، ويرون أن توضـع لـه قواعـد ليستعمل فـي العربيـة كمـا يستعمل فـي اللغـات الأجنبيـة[3]. وذهـب بعضهـم إلى أنه فُـرِض على العربية بسـبب الضرورة والحاجة، ثم اسـتقبلته اسـتقبالا حسـنا، ولـم تبتئـس بـه، بـل عرَّبته حتـى صار كأنـه مـن الكلم العربـي، كما يبـدو مـن تعريفه باللام، كاليونسـكو، والألسـكو، والفاو[4]. وأجـازه مجمع القاهرة عنـد الضـرورة العلميـة، ثـم أباحـه من غيـر ضـرورة[5]، كدأبه فـي أكثـر المخالَفات: يبدؤهـا بالإباحـة المشـروطة بالضرورة، ويقصرهـا على العلم، فـإذا أُلِفت، أو مات مَـنْ كان يعارضهـا، أو غُلـب علـى أمـره، كـرَّ علـى شـروطه فأسـقطها، لتكـون كل مخالفـة مشـروعةً دون قيد أو شـرط. وهو دأب المهـزوم: ينفعل أبدا ولا يفعل، ولا يكـون إلا مفعـولا مطلقـا، ولا تكـون أفعالـه إلا ضـرورة؛ لأنـه لا يبـادر، ولا يسـبق؛ فـلا يختـار، فـإن فَعَـلَ، اقتصـر فعله على تسـويغ «انفعالـه»، وعجـزه وتبعيته.

وكان ينبغـي أن يُقلَّـل مـن مثـل هـذه المختصـرات أشـدَّ التقليـل، ولا يُلجَـأ إليهـا إلا فـي مقـام الاختصـار، على شـريطة أن يكون الاسـم المختصَر من الشـهرة بحيث

---

(١) منحوتات البدوء، ١١٨

(٢) النحت في العربية قديما وحديثا، ١٠٥.

(٣) انظر: «المختصرات وطريقة أدائها في اللغة العربية،» عبد الكريم خليفة، مجلة مجمع اللغة العربية الأردني، ع ٣٨، جمادى الأولى - شوال ١٤١٠ هـ.

(٤) المختصرات والرموز في التراث العربي، ١٠٦.

(٥) مجموعة القرارات، ٢١ وما بعدها.

يسابق لفظَه المرادُ منه، إذا ذُكِرَت الحروف الأولى منه، على أن تسنَّ بها سنة المختصرات في العربية، فتقصر على الكتابة دون القراءة والكلام، فإذا نُطقت، نطقت كاملة، ولم يُحذَف منها شيء، ولم يقتصر على الحروف المكتوبة دون التي لم تُكتَب، كما يكتب «ص»، وينطق: صلى الله عليه وسلم، و«خ» وينطق: البخاري، و«م»، وينطق: مسلم، و«خد»، وينطق: البخاري في «الأدب المفرد»، و«تخ»، وتنطق: البخاري في التاريخ، و«صح»، وتنطق: الحديث صحيح، و«إلخ»، وتنطق: إلى آخره، و«اه»، وتنطق: انتهى[1]. أي أن تجعل المختصرات في العربية الحديثة كالمختصرات في العربية القديمة: مسألة كتابية، لا علاقة لها باللغة؛ لأنها تكتب مختصرة، وتنطق كاملة، لا كالمختصرات الأجنبية الحديثة: تكتب مختصرة وتنطق كما تكتب، كأنها كلمة[2]. والنحت كله ثقيل، وأكثره غامض الدلالة، ومجافٍ لروح العربية، وهو -إذا لم تَدْعُ إليه ضرورة- قبيح[3]، والضرورة تقدَّر بقدرها. وإيثار الثقيل الغامض على الخفيف المبين إنما يصير إليه أحد رجلين: رجل عليل الذوق؛ فما ينبغي أن يُعتدَّ بقوله، ورجل يريد بالعربية سوءا. ومما يصرف عنه، ويزيد المرء زهدا فيه أن يكون محاكاة للغة، نظامها الصرفي يخالف نظام العربية، وأن يكون الحامل على محاكاتها إرادةَ أن تطابق الكلمة المنحوتة الكلمة الأجنبية في إفرادها؛ وأن يمكن النسب إليها كما ينسب إلى مرادفتها الأجنبية، فتُتَعَدَّى حدود العربية، وتُنْتَهك حرماتها، وتؤتى الفظائع في حقها، وهو كثير في المعجمات ذات اللغتين، فإن مؤلفيها يجدون الكلمة منحوتة في اللغة الأجنبية، فيضعون لها مرادفا من العربية منحوتا أيضا. وهو وجه من وجوه الفوضى التي تَسِم العربية الحديثة، جعل كل امرئ يعمل فيها على شاكلته، وليس لها من يسوسها، ويقوم على أمرها، فينظم شؤونها، ويصون هويتها، ويوحد اصطلاحاتها، ويزع غير العارفين عن التعبث بها.

والذين كَلِفوا بالنحت لكثرته في بعض اللغات الأجنبية لا يراعون ما بين النحت فيها والنحت في العربية، فليست في العربية سوابق أو لواحق تؤدي

---

(١) منحوتات البدو، عبد المجيد نصير، ١١٨.

(٢) علم المصطلح، ٦٥.

(٣) المصطلحات العلمية في اللغة العربية، ١٥٧.

معاني ثابتة، كما في اللغات الأجنبية، من أجل ذلك كان من العسير على العربي أن يفهم معنى كلمةٍ منحوتة، يراها أول مرة؛ لأن الحروف التي تؤلِّف منها لا يتعين معناها، ولا يُفْهَم المراد منها ما لم يتبيَّنِ الأصل الذي نُحتت منه، ويتعلم الإنجليزي والفرنسي اليونانية واللاتينية، فيعرف معنى ما زيد في الكلمة الأصلية من لغته من اليونانية واللاتينية، من صدور وكواسع[1]. أي إن لبعض النحت في لغته قواعد، تسهِّل تبيُّن المراد من المنحوتات، ولا سيما النحت الذي يكون بعض أجزائه زوائد ذات معان معلومة. وإذا نحت الإنجليز والفرنسيون من كلمتين يونانيتين جهدوا في جعل المنحوت مفهوما، فإذا سَمَّوا بعض رتب الحشرات Orthoptéres وNévroptéres وHémiptéres، أدرك الطالب الفرنسي والإنجليزي معانيها بسهولة، وإذا تُرْجِمَت للطالب العربي بمستقيمات الأجنحة، وعصبيات الأجنحة، ونِصْفيَّات الأجنحة، ولم يُحذف منها شيء، فهم معانيها بلا مشقة، فإذا نُحتت لها أسماء منها، قياسا على ما يفعل الإنجليز والفرنسيون، فسُمِّيت: مسجناحيات، وعصجناحيات، ونصجناحيات، لم يدر ما أريد بها؛ لأنه لا يعلم الغيب، ولا يعرف الكلمات التي نحتت منها. وكذلك إذا قيل له: هذه الدودة من الشَّورَسيات، وهذه السمكة من الشَّوجَنيات، فإذا قيل له إن الدودة من شائكات الرؤوس (Acanthoeéphales)، والسمكة من شائكات الزعانف (Acanthoptérigiens)، فَهِم من فوره أن الدودة من فصيلة من الدود، لها رؤوس شائكة، والسمكة من فصيلة من السمك، ذات زعانف شائكة[2].

والنحت في اللغات الأجنبية -غير نحت البدء- جِدٌّ بعيد من النحت في العربية: النحت في العربية دمج كلمتين فصاعدا في واحدة، بحذف بعض حروفهما، والإبقاء على بعض، وكثير من النحت في اللغات الأوربية تركيب مزجي، وليس بنحت في الحقيقة، وما حذف بعض حروفه كان المحذوف منه قليلا، ومن اليسير معرفته، ومن الكثير أن يكون من الكلمة الأولى دون الثانية، نحو: هندوأوربي (Indo-European)، وبتروكيميائي (petro-chemical)، وأنجلو ساكسون (Angl-Saxon)، وبترودولار (Petro-dollar) فأوربي،

---

(١) مدى النحت في اللغة العربية، ٥٥٠.

(٢) المصطلحات العلمية في اللغة العربية، ١٠٩.

وكيميائي، وساكسون، ودولار لم يحذف منها شيء، وهندو وأنجل حذفت منهما علامة النسب، وحذفت اللام من (petrol). والأصل فيه أن يبدأ مركبا من كلمتين بينهما شرطة، ثم تحذف وتوصلان، ثم ينقص من إحداهما، وقد ينقص منهما كلتيهما بعد ذلك[1]. فمن اليسير على من رآه أن يعرف أصله من غير تردد. وهذا بخلاف «النقحرة» -مثلا-، وتعني كتابة لغة بحروف أخرى[2]، فإنها منحوتة من «النقل الحرفي»، وقد أُثبتت منهما أربعة أحرف، وأسقط سائرهما، وما أُثبت يمكن أن يكون من كلمات، لا حصر لها، كأن تكون النون والقاف من «نقص»، و«نقم»، و«نقر»، إلخ، و«حر» من «حرم»، و«حرث»، و«حرص»، إلخ. وضَمُّ ما بقي من الكلمة الأولى إلى ما بقي من الثانية لا يغير من الأمر شيئا، وإنما يزيد الاحتمالات، وزيادتها تزيد المراد بها بعْدًا. والأصل الذي اختصرتْه غير معهود في حياة العرب، ولا جارٍ على ألسنتهم، بل ليس بمستعمل في حياتهم الخاصة؛ فلا يمكن أن يُفهَم المراد منها إلا إذا شُرحت، وذُكِرَ أصلها. وقلْ مثل ذلك في: الرّكمجة، والرَّكبرة، والسَّرنمة، والرَّجصفة، والجَذْلغة، والصَّلْكَلة، والقَشْطرة، والفَقْلغة، والعَشْرَغ، والعَشْرم، والعَشْرَل، وفَسْكر، وزَغْنَطَ، ونَزْكَرَ، وما هو أفظع من ذلك، أو مثله[3]. وإنما نَحتَ «النقحرة» من أراد ليقابل بها translitération / transliteration، وهي ثلاث كلمات: trans (يترجم)، وlitter (حرف)، وation (لاحقة تدل على الحدث)، وحروف «النقل الحرفي» الذي فرَّ منه مَن نحت «النقحرة»، أقلُّ من حروف translitération / transliteration، والمساحة التي كُتِبت عليها أصغر من المساحة التي كتبت عليها، ومع ذلك لم يختصرها الإنجليز والفرنسيون، ولا حذفوا منها شيئا، وإنما ضموا الكلمات الثلاث في الكتابة، فهي مركبة تركيبا مزجيا، وليست بمنحوتة. وmulticellulairé ليست بكلمة واحدة، وليست بأقصر من «متعدد الخلايا»، وهي ترجمتها بالعربية، وإن كانت كلمتين[4]. وHypercholesterolaemia (زيادة الكولسترول في الدم)، مؤلفة من cholesterol، وهو الأصل، وهو مؤلف أيضا من chole، ويعني

(١) النحت، نهاد الموسى، ٢١٦.

(٢) انظر: خوارزميات لرومنة الأسماء العربية، ٢ (الهامش)، واللغة العبرية في الكيان الصهيوني، ٤٠٢.

(٣) إشكالية المصطلح في الخطاب النقدي العربي الجديد، ٩٤.

(٤) مدى النحت في اللغة العربية، ٥٥٢.

المادة الصفراء، وster، ويعني مادة صلبة، واللاحقة ol، وتعني أن المادة مركبة من أصل غولي، إذ هذه اللاحقة هي خاتمة alchol، أما hyper فتعني زيادة، وaemia، تدل على وجودها في الدم. وelectroencephalography مؤلفة من electro (كهربي)، وencephalo (دماغي)، وgraphy (تسجيل أوتخطيط). ومقطع encephalo مكون من en (داخل)، وcephalo (الرأس)، فهما معا يعنيان داخل الرأس، ومعنى الاصطلاح كله: تخطيط الدماغ الكهربي. و pseudohypoparathyroidism تبدو كلمة واحدة، وهي خمس، وُصل بعضها ببعض، هي: pseudo بمعنى شبيه أو كاذب، وhypo بمعنى نقص، وpara، ويعني جنيب، وthyroid بمعنى الغدة الدرقية، وism بمعنى حالة[1]. وكذلك السوابق واللواحق، كثير منها في الأصل كلمات، أفرغت من معانيها الحقيقية، ثم صارت ذات قيمة تجريدية، جعلتها قابلة للتعبير عن فصيلة صرفية، فبعضها يعبر عن صفات، وبعضها يميز أسماء الحدث، وبعضها يميز أسماء الفاعلين[2]. والاصطلاحات الألمانية الطويلة التي يوصل بعضها ببعض ليست بكلمة واحدة، ولا يمكن أن تكون، كهذه الكلمات: weltgetriedeprouktion (إنتاج العالم من الحب)[3]، وunmicrowaveability[4]، وNasenspitzenwurzelentzündung، وfloccinancinihilipilification[5]، وfloccinancinihilipilificational[6]، و f,.........loccinancinihilipilificationalize[7]، وfloccinancinihilipilific ationalizeational[8]، إلخ. فهي، وإن وُصلت حروف بعضها ببعض، لا يصدق عليها مفهوم الكلمة، أي: الوحدة الدالة على معنى، المركبة من عدة أصوات، لا تمكن تجزئتها[9]، وإنما هي كلمات، قُرن بعضها ببعض، مثل: full، وless، في carefull، وcareless، وdom، المشتقة من dóm في الإنجليزية القديمة، أي:

---

(١) السوابق واللواحق في مصطلحات العلوم الطبية، ١٤٨ وما بعدها.

(٢) انظر: اللغة لفندريس، ١١٧ و٢٢١، وحركة التعريب في العراق، ١٨٧.

(٣) فقه الترجمة، ١٣١ وما بعدها

(٤) أي: بطاطس غير ممكن قليها بالفرن الشعاعي.

(٥) أي: تصنيف شيء على أنه قيمة له.

(٦) أي: شيء له علاقة بتصنيف شيء على أنه لا قيمة له.

(٧) أي: جعل شيء يكون له علاقة بتصنيف شيء على أنه لا قيمة له.

(٨) أي: له علاقة بالعمل على جعل شيء يكون له علاقة بتصنيف شيء على أنه لا قيمة له، وانظر: الغريزة اللغوية، ١٦٣.

(٩) الغريزية اللغوية، ١٨٧.

حكم، وتوصل بكلمات مثل: kingdom، وfreedom وغيرها. وكلمات مثل: Geology (علم الأرض)، وbiology (علم الأحياء)، وanthropology (علم الإنسان)، وthermometer (مقياس الحرارة أو ميزانها) كل عنصر مما تتألف منه أصل، فـ geo تعني أرض، وbio تعني حياة، وanthropous تعني إنسانا، وليست لواصق صرفية مثل ed، وing[1]، وسائر الكلمات بمعنى علْم. وكثير من أسماء أجهزة القياس في الفرنسية -مثلا- مؤلفة أبدا من كلمتين: كلمة تدل على ما يراد قياسه، وكلمة «متر»، مثل: Galvanomètre (مقياس غلفاني)، و Ampèremètre (مقياس الأمبير)، وVoltmère (مقياس الفولت)، وWattmètre (مقياس الوات)، وPolarimètre (مقياس الاستقطاب)، وPhasemètre (مقياس الطور)، وManomètre (مقياس الضغط)، وFluxmètre (مقياس التدفق)، و Accèlèromètre (مقياس التسارع)، وAnèmomètre (مقياس الريح)[2]. ويرى بعض المجمعيين أن تراعى تلك القاعدة في المصطلح العربي؛ لأنها قابلة للتطبيق على أجهزة القياس الموجودة، وأجهزته التي ستخترع[3]. وإذا صح ذلك، تبين أن ما يرى بعضهم من أن فتح باب تركيب الكلمات من وحدتين صرفيتين فصاعدا، يكسب الكلمات العربية رشاقة؛ لأنه يجعلها كلمة واحدة بدلا من كلمتين فصاعدا، كما فعل التركيب بهذه الكلمات: psychology (علم النفس)، وnaturalism (المذهب الطبيعي)، وAnthropology (علم الإنسان)[4] -غير دقيق، وهو وقوف عند الأشكال مدفوع بحب المماثلة، والحرص على حذو العربية على اللغات الأوربية، وإن خالف خصائصها، وانتهى بها إلى ما قد رأينا وما سنرى. وإذا كان الذي يرى أن النحت أخصر من غيره؛ لأنه يختزل الحروف، فإن النحت في اللغات الأوربية ليس وسيلة من وسائل الاختصار، على كل حال، وإن كان بعض ما يجتمع في اللفظ المنحوت من السوابق واللواحق قد يكون غير طويل. و«كثيرا ما يكون استعمال كلمتين عربيتين أصلح من استعمال كلمة واحدة منحوتة، يمجها الذوق، ويستغلق

---

(١) منهجية وضع المصطلحات الجديدة في الميزان، ٦٣.

(٢) جوانب الدقة والغموض في المصطلح العلمي العربي الحديث، ٧٩.

(٣) السابق، ٧٩.

(٤) اللغة العربية تواجه التحديات.

فيها المعنى»[1]، كما أن «الترجمة الذاتية» وهي كلمتان، أصلح من «ترجذاتية»، الثقيلة الوخيمة المنحوتة من كلمتين لتقابل autobiographie، وهي كلمة في الظاهر، وكلمتان في الحقيقة[2]، هما auto، بمعنى ذاتي، وbiographie بمعنى سيرة. ولا يضير العربية أن تؤدي «الاصطلاح الإفرنجي بكلمتين عربيتين، لهما دلالتهما الواضحة وخفتهما على اللسان، فالأساس الذي نتبعه دائما في إقرارنا للاصطلاحات هو الوضوح والخفة؛ ليقبلها الجمهور، ولا تمجها الآذان»[3]، ولا يُلْجَأ إلى النحت إلا عند الضرورة القصوى، وعلى شرط أن تكون الكلمة المنحوتة مستساغة، وعلى أوزان العربية المألوفة[4]. هذا إلى أن من الكثير ألا يزيد الفرق بين المنحوت والمنحوت منه في العربية على الحرف والحرفين والثلاثة ونحو ذلك، وما كان إسقاط ذلك ونحوه ليسوِّغ ما فيه من ثقل وغرابة وغموض، وتعدٍّ لحدود العربية، وانتهاك لهويتها، ولا ليسوِّغَ العدول عما هو أخف على اللسان، وأحسن وقعا في الآذان، وهو فوق ذلك، مساوق لطبيعة اللغة، موافق لروحها وخصائصها ومقاصدها. فما بين «العوثقافية»، و«العولمة الثقافية» ثلاثة أحرف، أما ما بينهما من الخفة فكبير. وقد اشترط اللغويون للنحت أن يكون بين المنحوت والمنحوت منه تناسب في اللفظ والمعنى[5]، وهو ما لم يكن في جلِّ المعروف من المنحوتات الحديثة، فإن المرء لا يفهم المراد منها ما لم يعرف أصلها، وإذا عرفه لم يكن للنحت فضل في نفسه؛ لأن المعنى إنما فُهِم من الأصل لا من المنحوت. هذا إلى أن «النحت يحتاج إلى ذوق سليم»، وعلْم باللغة، وقلَّ فيمن ينحتون ويركِّبون التركيب المزجي من يفقه العربية، وما يأتون منهما من أكبر الأدلة على ذلك، هذا إلى ما يتلبس بهم من ثقافة نفسية، تنزع بهم أبدا إلى المتابعة والحرص على المماثلة.

وقد تبين المتحمسون للنحت من المشتغلين بالعلوم والترجمة، بعد زهاء قرنٍ من الجدال النظري وصوغ المنحوتات بطرق شتى، أن النحت والتركيب

(١) المصطلحات العلمية في اللغة العربية، ١٠٩.

(٢) الترجمة وتطوير العربية، ١٣.

(٣) السابق، ٧٧.

(٤) النحت في العربية، التعليقات، ٧٨.

(٥) المصطلحات العلمية في اللغة العربية، ١٧.

مباينان لطبيعة العربية، مجافيان لأذواق العرب، وأن الذين أولعوا بهما أولعوا بهما لسبب نفسي، لا لحاجة لغوية، ومن آيات ذلك أن المعجم الطبّي الموحّد -وهو معجم عربي ثلاثي اللغات، أنجزه باحثون من سبع دول عربية من المشرق والمغرب، بتكليف من اتحاد الأطباء العرب- لم يلجأ إلى واحد منهما إلاّ فيما ندر، كأن تكون الكلمة قد شاع استعمالها، أو مقبولة مفهومة، أو في النسب، مع اتّباع القواعد والضوابط المقرّرة[1]، وأن بعض المعجمات التي صدرت عن مكتب تنسيق التعريب خلت من النحت، أو كادت، كمعجم الفيزياء (ألفاظه ٥١٢٦)، ومعجم النفط (ألفاظه ٣٨٠٢)، ومعجم الطب (ألفاظه ٢٣٠٥)، فليس فيها من المنحوت سوى ثلاثة عشر اصطلاحاً، ثمانية منها في الأول، وخمسة في الثاني، وخلا منها معجم الطب[2]. وذهب بعض الباحثين إلى أن العربية المعاصرة لم تتقبَّل منه إلا أمثلة قليلة، كالمجوقل، والنقحرة، وكهرمائي، وكهرطيسي، على موافقة معظم المنحوتات للضوابط المحدّدة في قرار مجمع اللغة العربية بالقاهرة. ولم تتقبل مما كانت ألفاظه عربية خالصة إلا منحوتات معدودات، كدَرْعميّ، من دار العلوم، وفصعميَّة من الفصيحة والعامية، ومَسْرواية، من المسرحية والرواية، وطحاسنة، من طه حسين، وفقلغيَّة، من فقه اللغة. وفي الحق أن هذه المنحوتات -ما عدا درعميا، والنقحرة، وكهرمائيا، وكهرطيسيا- ليس فيها ما هو متداول في العربية الحديثة، ولا ما هو شائع في الاستعمال. وإنما مردُّ قبول ما قُبل من النحت إلى أمر يتعلق بالكلمة المنحوتة في نفسها، والمركَّب الذي أغنت عنه، هو خفة النحت، ووضوح دلالته على المركب، لخفة المركب، وقلة حروفه، وقلة ما يُحذَف منه، وكثرة دورانه على الألسنة، وكثرة دورانه عليها مما شرط له الخليل: «والعرب تفعل هذا إذا كثر استعمالهم للكلمتين ضموا بعض حروف إحداهما إلى بعض حروف الأخرى»[3]، وقال مصطفى جواد: «ولولا أن هذه الجمل الرمزية كانت عندهم من الشهرة والتكرار بالمكان المعلوم، ما استجازوا لها هذا الاختصار»[4]،

---

(١) النحت في العربية قديما وحديثا، ٩٧ - ١٠٠.

(٢) اللغة ووضع المصطلح الجديد، ٧٢.

(٣) لسان العرب (ه ل ل).

(٤) اللغة العربية والعصر، ٩.

والتكرار وكثرة الدوران على الألسنة هما اللذان سهلا انتقال الذهن من اللفظ المنحوت إلى ما نحت منه، وجعلاهم يرغبون عن اللفظ الطويل إلى ما هو أخصر منه، لتعيُّن المراد منه، وعدم خفائه على أحد، ولهذا ساغ النحت في أسماء القبائل لكثرة دورانها على الألسنة كما تدور عليها أسماء الأشخاص، وكون الوجه المقيس فيها، وهو النسب إلى الصدر، ربما يَلْبِس، هذا إلى مجيء النحت فيها على وزن واحد، هو فَعْلل، وتوافق حروفه، وسلامتها من الغرابة والتنافر. وبعضه قيل على سبيل السخرية، كالبلكفة، فعُدَّ من قبل النكتة الغريبة القريبة، فاستُظْرِف من أجل ذلك، كما استُظْرِفت تسمية من يكثر من «ينبغي»، «ينبغيا»، وتسمية أقواله «ينبغيات». وبخلاف ذلك المنحوتات الحديثة؛ فإنها تحيل إلى مركب يجهله غير مَنْ نحت منه، ولذلك كان فهمها مشروطا بمعرفة أصولها، وهذا أمر، يبدو أن المغرمين بالنحت لم يدركوه؛ فوقعوا فيما وقعوا فيه من المعمَّيات، وهو سبب أن نحتهم لم يغادر كتبهم، ولم يجد له مكانا فيما يكتب العرب ويقولون. ولغة العلم لغة خاصة، وألفاظها قليلة الدوران على الألسنة؛ فليست مهيأة للنحت، ولعل هذا من أسباب أن علماء العصر العباسي لم ينحتوا كلمة علمية واحدة[1]، وأن النحت لم يدخل لغة العلم في التاريخ العربي، وإنما اقتصر على العبارات «الشعبية»، التي كانت تدور على كل لسان، كالبسملة، والحمدلة، والحيعلة، والهيللة. هذا إلى ما في حروف كثير من النحت من تنافر، لا يستسيغه إلا من تقطَّع ما بينه وبين العربية، فغدت عنده كوما من الحروف، يركِّبه كيفما اتفق، ما دامت تبين عما يريد، كما يشعر به أو يفهمه، وإن كان غيره لا يوافقه في شعوره أو فهمه، ولا يستسيغ ما ينحت، كالعشرل، والصلكل، والزغنط، والفقلغة، والعصرفة، والجدلغة، والعوحلة (glocalization)، والعوحلية (glocalism)[2]. وأهم وظائف الاصطلاح الإبانة والتوضيح، بل هي مهمة اللغة عامة، والنحت يحول دون ذلك[3]. من أجل ذلك آثر العرب العبارات، وإن كان بعضها طويلا، على الألفاظ المتنافرة

---

(١) المباحث اللغوية في العراق، ٨٦، والنحت في اللغة العربية، (أحمد مطلوب)، ١٤.

(٢) المترجم طليقا، ٨٣.

(٣) علم المصطلح، ١٩٤ وما بعدها.

الحروف، المبهمة المعنى، ونفرُوا منها كما نفروا من «الهعخع»، وما شاكلها من غريب الألفاظ. فالعبارات التي يُنْحَت منها -مع أنها أكثر حروفا- أخف على الألسنة، وأكثر مسايرة لطبيعة اللغة، وهي واضحة، وكل كلمة منها تعبر عن جزء من المعنى، وليس الأمر كذلك في المنحوتات، ولهذا قال بعض الباحثين إن اختصار النحت إذا أدى إلى «ولادة الغرائب الممجوجة على الألسنة، والعسيرة على الأسماع، فالأولى هجره والصدود عنه»[١]. وانظر إلى هذا النحت «فَقْلَغي» (فقيه لغة)[٢]، وما فيه من ثقل وتنافر، وانظر إلى قول صاحبه: «لا يعرفها إلا فقلغيو هذه اللغات»، أي فقهاء اللغة[٣]، هل يمكن أن تكون بين من رضيه واستعمله وبين العربية رابطة شعورية؟. بَلْهَ أن هذا الثقل، والتنافر، والغرابة لا محوج إليها، إلا أنه يسهل النسب إلى الاصطلاح، إذ يتأتى من النسب إلى الكلمة المفردة ما لا يتيسر من النسب إلى المركبات[٤]، وذلك حين يترجم ترجمة حرفية من لغة من اللغات الأوربية، وقد ذرَّ للنسب -بسبب الحذو على اللغات الأجنبية- من الأغراض والدواعي ما لم يكن له في تاريخ العربية قبل هذا العصر، هذا إلى أن النحت يعين على إفراد الاصطلاح، أي جعْله كلمة واحدة، وآكد ما يكون ذلك عند من يحرصون عليه إذا أريد أن يترجم به اصطلاح أجنبي مفرد في الظاهر، وإن لم يكن مفردا في الحقيقة، وإنما هو مركب نوعا من أنواع التركيب التي قد رأينا[٥].

ولا يَنْقض هذا الحكمَ قول بعضهم إن العرب تقبلوا نوعين من النحت، هما المنحوت الأعجمي المُعَرَّب، والنحت الاستهلالي، مستدلا على ذلك بأمثلة منه شائعة، كالأكسيد (oxide) من oxys + acide، والترانزستور (transistor) من transfer +، resistor والإنتربول (interpol)، من international + police، والتِّلكس (telex)، من exhchange + teleprinter والإنترفون (interphone)،

(١) المعاجم والمصطلحات، ١٩٠ (نقلا عن: إشكالية المصطلح في الخطاب النقدي العربي الجديد، ٩٥).
(٢) العربية ورهانها العولمي لسانيا، ٧١٨ وما بعدها.
(٣) السابق، عبد الجليل مرتاض، العربية الراهن والمأمول، ٧٢٤.
(٤) المصطلحات العلمية في اللغة العربية، ١٢٢.
(٥) النحت قديما وحديثا، كيفورك ميناجيان، اللسان العربي، مج٩، ج١، ١٦٨.

من telephone + intercommunication، إلخ[١]؛ فإن العرب إنما تقبلوا المنحوتات الأجنبية من حيث هي كلمات أجنبية مفردة، لا من حيث هي منحوتات؛ لأن من لا يعرف منهم اللغات الأجنبية لا يعلم أنها منحوتات، كما لا يعرف أصولها واشتقاقها، وإنما يستعملونها كما يستعملون غيرها من الدخيل. أما قياسهم على «المنحوت الأعجمي»، فمن الحذو المتبع في العربية الحديثة؛ للأسباب التي تحدثنا عنها مرارا، لا أنهم احتاجوا إليه.

بقي أن أقف عند بعض الحجج التي يحتج بها أنصار النحت، من أجل أبين أنْ ليس في حياة العرب اليوم ما يحوج إليه، كما لم يكن فيها ما يحوج إليه قبل اليوم. فقد بلغ العرب من التقدم والحضارة ما بلغوا، ما احتاجوا إليه، ولا اعتَدُّوا به، ولا كان له أثر في صوغ اصطلاح من اصطلاحات العلوم، وما زال كثير منهم لا يستسيغه، ويعارضه أشد المعارضة[٢]. فأهم ما يحتج به أنصاره أن النسب من الظواهر التي انتشرت في عربية هذا العصر من تأثرها باللغات الأجنبية، والنحت يسهله ويعين عليه؛ لأنه يصير الكلمتين والثلاث واحدة، فيتأتى من النسب إليها ما لا يتأتى من النسب إلى ما زاد عليها. والحجة الثانية أنه يجعل الاصطلاح كلمة واحدة، والكلمة الواحدة أخف وأسهل حفظا مما زاد عليها، وهي في الاصطلاح مقدمة على الكلمتين والثلاث، بإجماع. غير أن النسب على الوجه الذي شاع في العربية الحديثة لا مقتضى له، ولا فائدة فيه، بل هو مما مُسخت به العربية، وحُذيت على اللغات الأجنبية، ولا يرى وجوبه إلا من لا يعرف العربية، وما فيها من أساليب، تغني عنه، ومَنْ لا يعلم أن الترجمة هي إفراغ المعنى المترجَم في قوالبَ من اللغة التي يُترجَم إليها[٣]، ولا تعني مقابلةَ الكلمة بالكلمة، ولا حذو الصيغة على الصيغة. وإفراد الاصطلاح خير من تعدُّده، غير أن ذلك مشروط بوضوح المعنى، وموافقة خصائص اللغة، وعدم تعدي حدودها. وفي لغات العالم من الاصطلاحات وغير الاصطلاحات المؤلفة من كلمتين فصاعدا مثل ما في العربية، بل ربما كان فيها أكثر مما فيها.

---

(١) النحت في العربية قديما وحديثا، ٩٧ - ١٠٠.

(٢) العربية لغة العلوم والتقنية، ١٥٦.

(٣) المصطلحات العلمية في اللغة العربية، ١١٢.

وفي العربية ألوف من الكلمات، لا تستطيع لغة من اللغات ترجمتها إلا بكلمتين فصاعدا، ولا يرى أهلها بأسا بذلك، ولا أهمَّهم، ولا عملوا على تغييره[1]. فشيات الخيل -مثلا- في العربية تسمى بكلمة واحدة، وتسمى بالفرنسية بكلمتين أو ثلاث، نحو:

- أغرُّ (الفرس الذي له بياض في الجبهة): Marqué en téte.
- سائلة (الغرة تسيل على قصبة الأنف، وتعرُض في الجبهة): Liste en téte.
- شِمْرَاخ (الغرة التي دقّت وسالت في الجبهة وعلى قصبة الأنف، ولم تبلغ الجحفلة): Petite liste.
- يَعسوب (إذا سال البياض على قصبة الأنف دون أن يبلغ العينين): Liste incomplete.
- خاتم (أقلُّ التحجيل، وهو شعيرات بيض في قوائم الفرس): Principe de balanze.

ويقال مثل هذا في الكثير الكثير من الأفعال وأسماء الأعضاء، تسميها العربية بكلمة، ويسميها الإنجليز بعبارات، قد يطول بعضها، مثل:

- فجَّ: part the legs.
- قَرْفَصَ: sit with arms around drawn-up knees.
- فَرْشَخَ: stand with legs apart.
- طأطأ: bow ones head.
- سمد: to raise ones head proudly.
- اشرأبَّ: rubbernecked.
- ثرم: to be gap-toothed
- درد: lose ones teeth[2].
- ناب: canine tooth
- ضرس: molar tooth
- يافوخ: crown of the head

---

(١) المصطلحات العلمية في اللغة العربية، ١١٠.

(٢) محاسن العربية في المرآة الغربية، ١١٩ وما بعدها.

- بُوع: metatarsal bone [١]
- أَحْور: having eyes with a marked contrast of black and white
- أكتع: having crippled fingers
- هِدْب: having long eyelashes [٢].

ويقال للمشرف على الموت عطشا «هائم»، ولا تستطيع الفرنسية أن تبين عن هذا المعنى إلا بثلاث كلمات، هي: Mourant de soif أي ميت من الظمأ، أو بسبع؛ ليكون المعنى أوضح: Sur le point de mourir de soif، أي: «على وشك أن يموت من العطش»[٣]. ويقال -في الإنجليزية، في التعبير عن معاني هذه الأفعال على الترتيب: أذهبَ، ونوَّمَ، وأنسَى-: made go، وput him to sleep He، وcaused to forget أو made forget. ويشتق في العربية اسما الزمان والمكان على صيغ قياسية مطردة معروفة، فيقال: المسْبح، والمغرب، والملتقى، ولا نظير لذلك في الإنجليزية، وإنما يقال في المسبح: swimming pool، وفي المغرب: time of sunset، وفي الملتقى: meeting time أو meeting place. ولكلمات، كمَكْلَبة، ومَأْسَدة، ومذأبة (للمكان تكثر فيه الكلاب، والأسود، والذئاب) A place where there are so many dogs، إلخ. ويقال في العربية: تَلاقَيَا، فلا يبين عنه الإنجليزي إلا بنحو: they meet each other. وفي صيغ المبني للمجهول تطويل مزعج في الإنجليزية والفرنسية، وهو في العربية غاية في الإيجاز، فكُتِبَ -مثلا- يعبر عنها في الإنجليزية بـ: It was written، وفي الفرنسية: il a ete ecrit[٤]. والترجمة المتوقعة لـ «يستقرئونه» إلى الإنجليزية هي: They asked him to read، ولـ«تَناوَمَ» He pretended to be asleep، ولـ«حفَّظَه القصيدة» He made him memorize the poem، ولـ«استعنتك»: I asked for your help، أو I turned to you for your help. ولـ«استنجد»(طلبَ النجدة): He asked for help، ولـ«تضاربوا»: They hit[٥]،

---

(١) محاسن العربية في المرآة الغربية، ١١٨.
(٢) السابق، ١١٨.
(٣) فلسفة اللغة العربية، ٥٨ وما بعدها.
(٤) منزلة اللغة العربية بين اللغات المعاصرة، ٢٣٥.
(٥) الصعوبات المفتعلة على درب التعريب، ٣٥.

He perpetrated slaughter :«قتَّلهم»، ولـ(ضرب بعضهم بعضا) each other upon them. (أوقع بهم مجزرة)، ولـ«سُرِقَ»: He was robbed[1]، ولـ«هيهات»: It is too far، ولـ«شتان»: there is a great difference، ولـ«سأذهب»: I shall go، ولـ«لم أقابله: I didn't meet him، ولن أقابله: I will not meet him، وفي الفرنسية: Je ne l'ai pas rencontré، وJe ne le rencontrerai jama[2].

وليس بصحيح ما يُشيع بعضهم من أن العربية دون غيرها من اللغات تواجه مشكلة مع اللغات الأجنبية، ولكن الأمر عامٌّ في اللغات كلها، غير أن المشكلة لا تظهر عند غير العرب بتلك الشدة؛ لأن العرب يترجمون عن أهلها أكثر مما يترجم أهلها عن العربية، هذا إلى أنهم يعرفون الاختلاف بين اللغات، وينظرون إليه بعين الاعتبار، ولا يكيلون الشتائم للغاتهم، ولا لِلُّغات التي يترجمون منها[3]. أي إن التراجمة من غير العرب كثيرا ما يجدون الكلمة العربية المفردة التي لا يمكن أن تترجم بكلمة من لغتهم مفردة، فلا يجدون غضاضة في ترجمتها بما يزيد عليها، ولا يعدُّون ذلك منقصة في لغاتهم، ولا يخرقون قوانينها من أجل أن يكيفوها مع العربية، كما يفعل بعض العرب. والعربية لغة اختزال، ولا يضيرها أن تعبر عن معنى من المعاني العلمية بغير كلمة، ولكن يشوِّهها أن يضم إليها ألوف من المنحوتات والمركبات الثقيلة التي لا داعي إليها، وضررها أكبر من نفعها[4]. ومما يدل على أن ما يُدَّعى على العربية غير صحيح، وإنما هو ضرب من التجني، يستكنُّ فيه الولع بالحذو على بعض اللغات الأجنبية، أن تراجمة العرب إذا وجدوا اللغة الأجنبية تطيل العبارة عن معنى، والعربية توجزها، مطَّوا العربية حتى يجدوا لكل كلمة في العبارة الأجنبية ما يقابلها، فـ: I will not see him يقابلها في العربية: لن أراه، لكن التراجمة يترجمونها بـ: سوف لن أراه، من أجل أن تجد will وnot ما يقابلهما، ولو ترجمت بـ«لن أراه»، لحسبوا أن الترجمة غير دقيقة؛ لأن will وnot ليس لهما مقابل فيها. مع أن «سوف» لا يُفصَل بينها وبين الفعل المضارع، وهم يفصلون بينهما بـ«لن»، و«لن» تغني

(١) الصعوبات المفتعلة على درب التعريب، ٣٥.

(٢) اللغة العربية ومكانتها بين اللغات، ١١.

(٣) اللغة العربية تواجه التحديات.

(٤) المصطلحات العلمية في اللغة العربية، ١١٠ وما بعدها.

عن سوف، وتقوم مقام will وnot كلتيهما. فهم يفعلون بالعربية ما كان يفعل اللص اليوناني بمن يظفر به من النساء: إذا قصُرَت أرجلها عن سريره بَسَطها حتى تساويه، ويقطع ما زاد منها عنه. وهو من العبث الذي لا طائل تحته، فلبُّ الترجمة نقْل المعنى، وهو الثابت الذي يجب أن يحافظ عليه، أما اللفظ، فلا تتجاوز مهمته الدلالة على المعنى، وإذا استُخرج المعنى منه، وأريدت ترجمته أُعيد التعبير عنه باللفظ الذي تعوَّد أهل اللغة التي يراد أن يترجم إليها أن يبينوا به عن مثل هذا المعنى، ولم يترجم اللفظ، وإنما يستغنى عنه؛ لأنه بلَّغ مراد المتكلم، وليس هو المقصود، وإنما المقصود غيره. من أجل ذلك يُسْأَل الطلاب في دروس الترجمة أن يقولوا ما فهموا من الكلام، ثم يعبروا عنه باللغة التي يترجمون إليها[1]. وهذا عكس ما يفعل هؤلاء: يحافظون على شكل اللغة التي يترجمون منها أكثر مما يحافظون على المعنى، ويهملون شكل اللغة التي يترجمون إليها، بل يهدمونه ليوافق شكل اللغة التي يترحمون منها، فيفسدونها، ويعجزون عن نقل المعنى إليها، ويجوز منطقهم على من يوافقونهم في التفكير والكسل، والخلود إلى السهل، كائنة ما كانت عواقبه.

سادسا- بناء الجملة

ومن مسخ المباني مسخ الجملة العربية بحذوها على الجملة في اللغات الأروبية، فيقدَّم منها ما تقدِّم، ويؤخَّر ما تؤخر، ويزاد في مفرداتها ما يزاد في مفرداتها، في بعض السياقات، كهذه الأساليب: أذهب إليه يوميا، هذا البلد متقدم اقتصاديا، تاريخيا العربية ميتة، أنا غير مستعد نفسيا، شخصيا لا أحب الكذب، التعبير نثريا بالنثر، التعبير نثريا بالوزن، التعبير شعريا بالنثر[2]. وهي أساليب ليست بعربية، وإنما هي مبنية على غرار هذه العبارات:

I go to him daily.

This contry is economically advanced.

Historically, Arabic is dead.

---

(١) انظر: نظرية المعنى للترجمة، أحمد القصوار.

(٢) سياسة الشعر، ٢٢.

I am not psychologically prepared

Personally, I do not like lie.

وياء النسب في هذه الأساليب تقابل ly في الكلمات الإنجليزية، ولكن لا معنى لها، فالشيء لا ينسب إلى نفسه، ولم يذكر قبل هذه الكلمات ما تنسب إليه، ولا هو مقدر. ونصْب (يوميا، واقتصاديا، وتاريخيا، ونفسيا، وشخصيا، ونثريا، وشعريا) لا وجه له، كما لا وجه للتركيب كله. وأقرب ما يمكن أن يُنصبَ عليه بعض هذه الكلمات التمييز ونزع الخافض، فعلى على التمييز يكون محولا عن الفاعل، وأصل الكلام: هذا البلد متقدمة سياسته، واقتصاده، وعلى نزع الخافض يكون أصله: متقدم في سياسته، واقتصاده. وعلى أي الوجهين حُمل لم يكن لياء النسب معنى، ولا وجه صحيح. أما الأسلوب العربي الذي يمكن أن تترجم به هذه العبارات وما شاكلها، فهو: أذهب إليه كل يوم، وهذا البلد متقدم في سياسته واقتصاده، أو متقدم سياسةً واقتصادا، أو متقدم السياسة والاقتصاد، ونحو ذلك. ووجه آخر من الخطأ، في هذا الأسلوب، هو أن الحال في العربية تصف صاحبها، كالفاعل والمفعول، وما يقابلها في الفرنسية والإنجليزية (adverbe / adverb) يصف الفعل، في المقام الأول، من حيث زمانه، أو مكانه، أو تكراره، أو توكيده، أو درجته، أو كيفيته، ويتضح هذا في قولهم: قدَّر عاليا، وثَمَّن عاليا، ويرفع الرأس عاليا، والأول ترجمة للعبارة الإنجليزية highly appreciated، وhighly values[1]، والثاني ترجمة لـ Lever tête, porter la tête haute, avior la têhaute[2]، فـ«عاليا» وصف للأفعال «قدَّر وثمَّن ويرفع»، والفعل في العربية لا يوصف، وإنما يؤكد، ويبيَّن نوعه، وعدده، وزمانه، ومكانه، والذي يؤكده ويبين نوعه وعدده هو المفعول المطلق، ويبين الظرف زمانه ومكانه. وترجمة الأسلوب الإنجليزي المذكور وما شاكله من الأساليب بهذا الأسلوب ترجمة حرفية، أخرجت الحال في العربية الحديثة عن ماهيتها ودلالتها في العربية الفصحى، وألحقتها بـadverbe / adverb، وأحلتها محل المفعول المطلق، والحال، والتمييز، والنعت السببي، وجعلت / adverbe

(١) أزمة اللغة والترجمة والهوية في عصر الإنترنت، ٣١، كتاب الأعاجيب، ٢٦٤.

(٢) يرفع الرأس عاليا، ١٠٣.

adverb تترجم إلى العربية الحديثة أحيانا كثيرة بنحو: «بطريقة»، و«»بشكل، و«بصورة»، كما يقال: ركِّب الجهاز بطريقة صحيحة (install the device correctly)، بدلا من: ركِّب الجهاز تركيبا صحيحا[1]. ومثل الياء في هذه الأساليب الكاف في قولهم: كمسلم لا أحب هذا، وكنتيجة لـ، فإنها تقابل as في الإنجليزية، في هاتين العبارتين: as a Muslim don't lik this، وAs a result of، وcomme في الفرنسية، في نحو هاتين العبارتين: comme musulman، و comme résultat.

ومن هذا العطفُ بحرفي عطف مختلفين، بينهما خط منكسر، كقول أحدهم: «قسْم نحوي وقسم صرفي (و/ أو تصريفي)»[2]، «للتعبير عن المفاهيم والمضامين الجديدة و/ أو المستجدة»[3]. وإنما يجوز استعمال أحد حرفي العطف، فقط؛ فلكل منهما معنى غير معنى الآخر، وإدخالهما معا على معطوف واحد يعني الجمع بين متباينين، لا يُجمع بينهما على هذا الوجه، فالواو تدل على مطلق الجمع، وتدل «أو» على أحد الشيئين، واجتماع الشيئين معا، ووقوع أحدهما فقط غير ممكن، فمن غير الممكن في هذه العبارة أن تدل على المضامين الجديدة والمستجدة معا، كما تقتضي الواو، وتدلَّ على أحدهما فقط، كما تقتضي «أو»، كما لا يصح أن يجتمع مجيء زيد وعمرو كليهما، ومجيء أحدهما فقط. وإنما يقال في هذا المعنى: للتعبير عن المفهومات والمضامين الجديدة والمستجدة، أو التعبير عن أحدها. وإذا كانت العبارة غير الصحيحة أوجز من الصحيحة، فإن المعتدَّ به هو موافقة اللغة، لا الطول أو القصر، فاللغة تواضُع، وبالتواضع يكون الاتصال والتفاهم، ومن تنكَّب ما تووضع عليه كان بيانه لنفسه وحدها. وهذا الأسلوب مترجم ترجمة حرفية من اللغات الأجنبية، فهو: et /ou، بالفرنسية، وand /or، بالإنجليزية.

وحذو قوانين العربية على قوانين غيرها ظاهرة في عربية هذا العصر، فكثيرا ما نقرأ في الصحافة: «يسافر من وإلى المدينة»، أي: يسافر من المدينة وإليها،

(١) أزمة اللغة والترجمة، ٢٦٠ و١١٤ وما بعدها.
(٢) اللسانيات واللغة العربية، ٢٢٨.
(٣) عن وضع اللغة العربية في الإشهار المغربي، ١٠٧.

و«لـم ولـن أفعـل»، ولا ولـن أكتـب إليـه، أي: لـم أفعـل ولـن أفعـل، ولا أفعـل، كما هـو أسـلوب القـرآن الكريـم: (فـإن لـم تفعلـوا ولـن تفعلـوا)، أمـا «لا» و«لـن» في العبـارة الثانيـة، فتغنـي إحداهمـا عـن الأخـرى؛ لأنهمـا دالتـان على نفي المسـتقبل، فإيرادهمـا معـا مـن الفضـول. وهما ترجمة حرفيـة لـ: I don't and will not do، و He doesn't and will not write to him ، وإن كان الأسـلوب الإنجليـزي الأول ينفـي الحاضـر، والثانـي ينفـي المسـتقبل، بخـلاف الأسـلوبين العربييـن، فإنهمـا ينفيـان المسـتقبل، وكان ينبغـي أن يقـال: مـا أفعـل، ولـن أفعـل، أو: مـا أفعـل ولا أفعـل[1]، على رأي مـن يرى من النحوييـن أن «لا» لا تكون لنفي الحال. أما «سـافر مـن وإلـى»، فترجمـة حرفيـة لـ traveled from and to thc city، ومـن المعلـوم أنه لا يجـوز فـي العربيـة الفصـل بيـن حرف الجـر ومجـروره. ومنه قول أحدهـم: «كوة الاختصـاص الفقهـي ينبغي أن تضيـق (بـ)، و(عـن) زحـف الأقـلام الشـمولية»[2]، وقول آخر: «يرتكز إلى (ويجب أن يرتكز إلى) طَرْحٍ داخلي كافٍ»[3]، و«لتأويـلات الروايـة فـي -لِنَقُـلْ- العصـرِ الفيكتـوري»[4]، و«يتنـاول الكتـاب -بشـكل محـدد- المنهجيـة الفكريـة (الأيديولوجيـة) التـي تـم نقلهـا مِـن، ومـع، ومِـن خـلال اللغـة الإنجليزيـة»[5]: فصـل بيـن الجـار والمجـرور، والمضـاف والمضـاف إليـه، وجعل ثلاثـة عوامـل تتنـازع علـى معمـول واحـد، فـ«اللغة» مجـرورُ «مِـن»، وأضيـف إليها «مـع» و«خـلال»، وإنمـا كان ينبغـي أن يقـال فـي الجملـة الأولـى: يسـتند إلـى طرح داخلـي كاف، ويجـب أن يسـتند إليـه، وفـي الثانيـة: ويتنـاول الكتـاب المنهجيـة الفكريـة التـي نقلـت مـن الإنجليزيـة، وبهـا، ومعهـا. وإتيان مـا لا يجوز فـي العربية، علـى هـذا الوجـه، جَمْـع بيـن اللحـن والمسـخ، ومَن ثقلـت عليـه لغـة، فليدعها إلى التـي تَخِـفُّ عليـه، ولا يمسـخ غيرهـا طلبـا لإيجـاز، ينتهـك قواعدهـا، فمـا كل لغـة عَلِـم أهلهـا أن غيرَهـا يـؤدي معنـى أسـلوب مـن أسـاليبها بمـا هـو أقـلُّ منـه ألفاظا

---

(١) كون «لا» النافية إذا دخلت على الفعل المضارع تخلصه للاستقبال هو ما عليه معظم متأخري النحاة والزمخشري، وهو ظاهر كلام سيبويه، ويرى الأخفش والمبرد وابن مالك أنها قد تنفي الحال (الجنى الداني في حروف المعاني، ٢٩٦).
(٢) الأدب الجاهلي وبلاغة الخطاب، ١/ ٥.
(٣) اللسانيات واللغة العربية، ١٨٤.
(٤) الثقافة والإمبريالية، ٧٧.
(٥) الهيمنة اللغوية، ٢.

تركوا أسلوبهم وصاروا إلى الذي هو أوجز، أو حذوا عليه، ولو صحَّ ذلك لترك الإنجليز والفرنسيون أكثر كلامهم إلى العربية، هذا إلى أن تقليل الألفاظ ليس كل شيء في اللغة، وليس هو الإيجاز الذي يُحرَص عليه، وإنما الإيجاز الذي يُحرَص عليه الإيجاز الذي يؤدَّى فيه المعنى بأقل لفظ، على أن تكون الألفاظ التي يُستغنَى عنها مما يصح الاستغناء عنه. وإن كان يخيل إلي أن ادعاء طلب الإيجاز حجة يُرْفَع بها الحرج، أما سبب ما يقع فيه هؤلاء، فقلة العلم بالعربية، فهو الذي جعل بعضهم إذا كتب بها خبط خبط عشواء، على وجه يُشعِر بأنه لا يعرف منها ما يقيده، أو يوجهه إلى غير ما يعرف من العامية، وغيرِ ما تعلَّم من اللغة الأجنبية، من أجل ذلك يشتق الصيغ على كل وجه عنَّ له، ويبني الجملة كيفما اتفق، ويستعمل الكلمة في كل معنى توهَّم أنها تدل عليه، كقول أحدهم: «انتهكه كلا الغرب وثلة كاملة»[1]، فأضاف «كلا» إلى متعاطفين، وهي إنما تضاف قياسا إلى مثنى. وكالنسب إلى «حتم» بحتموي[2]، على كثرة تداول «حتمي»، و«الحتمية التاريخية»، وكوصف آخر الاستيهام بالخلَّب[3]، والاستيهام غير معروف في العربية، ولم أجد له ذكرا فيما اطلعت عليه من كتب التراث، إلا «استوهم» في قول شاعر قديم في أهرام مصر:

لم أدر حين كبا التفكُّر دونها، واستوهمت لعجيبها الأوهام[4]

ومعناه: أرادت الأوهامُ أن تتوهمها (الأهرام) لما فيها من العجائب، بعد أن كبا التفكر دونها، أي سقط دون إدراك حقيقتها، أي: عجز. ويبدو أن «الاستيهام» ترجمة للكلمة الفرنسية fantasme، وتعني تصورا تخيليا من حلم أو هلوسة[5]، وfantasm أو phantasm بالإنجليزية، وتعني الوهم[6]. والخلَّب الخادع، وأصله السحاب، يومض بَرْقُه حتى يُرجَى مطره، ثم يُخلف ويتقشَّع[7]. وصياغة الأفعال

(١) الثقافة والإمبريالية، ٧٥.
(٢) السابق، ٦٨.
(٣) الموضع السابق.
(٤) فتوح مصر والمغرب، ٦٤.
(٥) انظر: المنهل، ٤٣٢.
(٦) المورد، ٦٧٩.
(٧) المعجم الوسيط، (خ ل ب).

ومصادرها كيفما اتفق، كقول أحدهم كاملتُ[1]، أي: جعلته يكمِّل بعضه بعضا، وقول آخر: «أكثر إشاقة»، ترجمة لـ more interesting[2]، و interesting ممتع، ومعنى أشاق: هاج. ويلقي بعضهم القول على وجه يدل على أنه لا يعلم أن الكلام العربي يتحكم فيه العامل، فلا يجوز أن تذكر فيه كلمة إلا وهي منوطة بعاملها، وإلا لم يكن للكلام معنى، ولا بينه ترابط، كقول أحدهم: «أو تؤثِّر في بعضها بعض»[3]، فـ«بعضها» معمول «في»، أما «بعض» فليس لها عامل، ولذلك لا تستبين علاقتها بسائر الجملة، وعدم وجود علاقة بينها وبين الجملة وأجزائها جَعَلَ المعنى يتم دونها.

ومن مسخ الكلام، وحذوه على اللغات الأوربية إدخال «أل» على الضمائر كما تدخل عليها في بعض اللغات الأوربية، نحو: الأنا، والنحن، والأنت، والهو، والهم[4]. وهي ترجمة حرفية لـ le moi, le ça/The I The we، إلخ. و«أنا» في العربية لا يدل على أكثر من المتكلم، وليس له إيحاء وراء ذلك، وهو في ذلك كسائر الضمائر، لا تزيد على المتكلم، والمخاطب والغائب، مفردا ومثنى وجمعا. وإذا كان إدخال أداة التعريف عليها جائزا في الفرنسية والإنجليزية، ويجعل لها معنى ما كان لها قبله، فلا يجوز في العربية؛ لأن الضمائر في العربية معارف، ومبنية، و«أل» إنما تدخل على النكرات المعربة. فإذا أريدت ترجمةُ The I، وما شاكلها، فينبغي أن يلتمس لها لفظ يدل على معناها أو معنى قريب منه، كما ترجمها بعضهم بالذات الفردية، أما أن تقتصر الترجمة على وضع الكلمة مقابل الكلمة، ويُدخَل عليها من الأدوات ما يدخل عليها، فليس من الترجمة في شيء، وهو انتهاك لقوانين العربية، لا يسوغِّه شيء. ولو أن المترجمين وضعوا «العُجْب»، أو «التيه»، أو «الكبرياء»، أو «الاعتداد بالنفس»، ونحوها من الألفاظ الدالة على المعنى الذي يفهم من The I، وأشاعوه كما أشاعوا «الأنا»، لغدا مرادفا لها، فأدَّوا المفهوم أداء حسنا، وصانوا لغتهم؛ ذلك أن العلاقة بين اللفظ والمعنى اعتباطية، وكل لفظ يمكن أن يُلْصِق به الاستعمال

---

(١) الثقافة والإمبريالية، ٧٧.

(٢) السابق، ٣٩٤.

(٣) الترجمة والمصطلح: دراسة في إشكالية ترجمة المصطلح النقدي الجديد، ١١.

(٤) سؤال اللغة: الهوية وزمن التحولات، ١٧١.

ما يراد أن يُصطنع له من المعاني، مهما بدا بينهما من تباعد، كما أَلْصَقَ بـ «الأنا» المعنى الذي يُفهَم منه في العربية الحديثة، وهو العُجْب، والاعتداد بالنفس، والتيه، وكما ألصقه بـ The I في الإنجليزية، وليس مما تدل عليه في الأصل. ومما يقوي إمكان ترجمة الكلمة بواحد من هذه الألفاظ أن في الإنجليزية لفظا يدل على معنى The I، هو ego، أي: الذات، والغرور[1]، وهو يدل على أن The I ليست هي اللفظ الأوحد الذي يدل على هذا المعنى، وأن في استعمال الكلمة التي هي بمعنى مرادفتها مندوحة عن مسخ العربية وتعدي حدودها.

ومنه قولهم: الإخوة بربروسا، يعنون خير الدين بربروسا وأخويه، محمد إلياس، وإسحاق، والأخوان رايت، والأخوان شليجل: أوجوست وفردريش، والأخوات برونتي، والإخوة كرامازوف. وهذه العبارة لا معنى لها في العربية، وإنما هي ترجمة لما يقال في الإنجليزية Barbaros brothers، وSchlegel brothers، وWright brothers، وBronte sisters، وهي غير صحيحة، فإن الذي يفهم من بربروسا -مثلا- أنه بدل كلٍّ من «الإخوة»، والبدل هو عين المبدل منه، وبربروسا ليس من «الإخوة»، وإنما هو أبوهم أو جدهم، وهو مفرد، وإبدال المفرد من المثنى والجمع في بدل الكل لا يصح؛ لأن البدل حينئذ لا يساوي المبدَل منه، وإنما يمكن أن يكون بدل بعض من كل، كما يقال: جاء القوم رئيسهم، وإنما الصواب أن يقال: أبناء بربروسا، وأبناء كرامزوف، وأبنا رايت، وبنات برونتي، والإضافة فيها تبين المراد، فإضافة «أبناء» إلى «بربروسا» و«كرامزوف» تعني أنهم إخوة، لأن أباهم واحد، وإضافة «ابنا» إلى «رايت» تدل على أنهما أخوان، وإضافة «بنات» إلى «برونتي» تدل على أنهن أخوات. وأقرب أسلوب عربي إلى الأسلوب الإنجليزي، إن أريدت ترجمته ترجمة حرفية، هو النسب: البربروسيون، والكرامزوفيون، والرايتيان، والبرونتيات.

ومنه استعمال أزواج من الكلمات، بينها خطوط منكسرة استعمالا يشعر بأن الثاني من الزوجين صفة للأول، أو بدل منه، نحو: الكتاب/ المشروع، الشِّعر/ الظاهرة، القصة/ الرمز، المبدأ/ المعيار، الكلفة/ الفائدة، الدول/

(١) المورد، ٣٠٥.

الأمم، العنصر/ الإثنية[1]. وربما استعمل الزوجان ووضع بينهما خط منكسر، يُستغنَى به عن حرف العطف، وذلك إذا كان بين الكلمتين طباق أو ما يشبهه، نحو: الوزن/ القافية، جِدُّ الدهر/ عبثه، الحياة/ الممات، الطاعة/ المعصية، الغنى/ الفقر، المدح/ الذم، المؤلف/ الثقافة. وهذا من الحذو على ما يفعل بعض اللغات الأجنبية، نحو: Poetry /the phenomenon (الشعر/ الظاهرة)، The story /the symbol (القصة/ الرمز)، وClause-Equivalent (الكلمة/ الجملة)، وMote-théme (الكلمة/ الموضوع)، وThem-word و Con-word، بمعنى الكلمة المكررة في الإنجليزية)، وMot-clé و/mot-clef Key-word (الكلمة/ المفتاح)، وhead-word (الكلمة الأساس). وكان يمكن أن يترجم هذا ونحوه إلى العربية ترجمة خيرا من هذه، لا تخالف قواعدها، كأن تترجم Key-word بالكلمة المفتاحية، وتترجم Head-word بالكلمة الرئيسة[2]، وتترجم الكلمة/ الجملة بالكلمة التي تؤدي معنى الجملة، أو التي هي بمنزلة الجملة، إلخ. ويمكن أن تترجم بما هو أبلغ من هذا وأوجز، وأقعد في العربية، على ألا يحبس المرء نفسه في الترجمة الحرفية، ويرى أن هذه الألفاظ يجب أن تكون اصطلاحات في العربية كما أن مرادفاتها اصطلاحات في الإنجليزية والفرنسية؛ فلا بد أن تترجم ترجمة حرفية.

وبعض الكلمات لا توضع بينه خطوط، وبعضها توضع بينه شرطات، كقول عبد الوهاب البياتي: «ينمو القمل-الطحلب»، فالقمل مشبه، والطحلب مشبه به، وقوله: «كانوا يسرقون غارها الذابل في المتاحف-المزابل- النصوص»، فالنصوص هي المتاحف والمزابل، فهي مشبه، والمتاحف والمزابل مشبه به، وقوله: «كانوا يمدحون الخدم-الملوك في الأقفاص»، وقوله: «حاملا وصية الأزمة-الانهيار». وهو كثير في العربية الحديثة. وأقرب شيء إلى إعراب الكلمة الثانية في النوع الأول البدلية، إلا أن البدل هو المقصود بالحكم، والكلمتان مقصودتان كلتاهما، والثانية منهما إنما يراد بها وصف الأولى، وإن لم تكن وصفا لها بالمعنى النحوي؛ لأنها جامدة، والاسم الجامد لا يوصف به إلا أن

---

(١) السياسة اللغوية والتخطيط، ٢٥.

(٢) إشكالية المصطلح في الخطاب النقدي العربي الجديد، ١٩٦.

يكون اسم إشارة، أو اسما موصولا، أو منسوبا، أو «ذا» التي بمعنى صاحب، أو مصغرا، أو عددا، أو مصدرا، على خلاف، أو اسم مصدر، أو ألفاظا مؤولة بالمشتق، معناها بلوغ الغاية في الكمال أو النقص، أو جامدا يدل دلالة الصفة المشبهة مع قبول التأويل بالمشتق، نحو: رجل فراشة الحلم، أي أحمق[1].

والمراد بأزواج الكلمات في هذا الأسلوب ونحوه التشبيه، مقلوبا وغير مقلوب، فالقمل مشبه بالطحلب، والنصوص مشبهة بالمتاحف والمزابل، والملوك مشبهة بالخدم، والأزمة مشبهة بالانهيار. وإسقاط حرف العطف، والاستعاضة عنه بخط منكسر، ليس بجائز؛ فإن الحروف المكتوبة رموز للأصوات المنطوقة، والخط المنكسر لم يُتواضَع على أنه رمز لصوت أو كلمة، وإذا قرئ الكلام الذي هو فيه، لم يمكن نطقه، ولا الإشارة إليه، ولا أن يُدَلَّ عليه بصوت، إلا أن يُجعَل مكانه الحرف أو الكلمة اللذان هو بمعناهما. على أن الذين يستعملونه في بعض اللغات الإنجليزية بدل حرف العطف ربما استعملوه طلبا للاختصار، إذ كانت أداة العطف عندهم تزيد على حرف، كـ Et في الفرنسية، وAnd، في الإنجليزية. ولعل هذا سبب استعمالهم &، بدلا منه؛ لأنه أخصر، وهو في العربية حرف واحد، ليس الخط المنكسر بأخصر منه.

أما حين تكون الكلمة الثانية بدلا من الأولى أو صفة لها، فليست بحاجة إلى الخط؛ فليس من دأب البدل والمبدل منه والوصف والموصوف أن يُجعل بينهما شيء، فإن كان المراد من الخط بيان العلاقة بينهما، فإن السياق، وقواعد النحو العربي تدل عليها بلا وساطة، دلالة جلية، تغني عن الخط وغيره. هذا إلى أن الأصل في اللغات الإنسانية الشفهية، ومقتضى ذلك أن الناس كانوا يتفاهمون بها من غير حاجة إلى وسائل إيضاح من الخط، وما يزالون يتفاهمون بها كما كانوا، وإنما احتيج إلى علامات الترقيم ليستعان بها على الإيضاح، ورفع اللبس عما يَحتمِل غير معنى، وأمْر الصفة والموصوف في العربية من الوضوح بحيث لا يحتاج إلى شيء منها، أما البدل والمبدل منه، فقد اصطُلِح على أن تُجعَل بينهما فاصلة، ولعلها إنما وضعت بينهما لغرض إلقائي، لا إيضاحا ولا رفعا للبس

---

(١) النحو الوافي، ٣/ ٤٥٨ وما بعدها. وأجاز ابن الحاجب والرضي، وغيرهما النعت بالجامد بشرط أن يدل على معنى في متبوعه (انظر تفصيل الخلاف في: القرارات النحوية والتصريفية لمجمع اللغة العربية بالقاهرة، ٢٤٩ وما بعدها).

محتمل. فإن أريد الحذو على لغة أجنبية، فليست للحذو فائدة؛ لأنه لا يزيد الكتابة وضوحا، بل يلبس منها ما كان غير ملتبس؛ إذ أكثر العرب ما تعودوا هذا الخط في الكتابة، وأكثرهم لا يعرف لغة أجنبية، وتعلمه، لو تعلموه، لا يفيدهم شيئا، سوى أن يتبدلوا بجلودهم جلودا فرنسية أو إنجليزية، وهو ما لا يحرص عليه من يعتدُّ بنفسه. فإن أريد ترويضهم على طرائق الفرنسيين والإنجليز في الكتابة، فينبغي أن يكون ذلك في مقام تعليم الفرنسية والإنجليزية.

والكلمة التي يراد أن تكون مشبَّها به في هذه الأزواج تغني عن الأخرى؛ لأن الأسلوب الذي جمعهما هو الاستعارة التصريحية، وفيها يُحذف المشبه ويُبقَى المشبه به، ولا يُجمع بينهما، والجمع بينهما ليس معهودا في العربية، كأن يقال: لقيت الرجل البحر، ولقيت الرجل الأسد، وقابلت الرجل البدر، وإنما يقال: لقيت البحر، ولقيت الأسد، وقابلت البدر، فمن أراد الجمع بينهما، كان لزاما أن يربط بينهما بأداة التشبيه، فيقول: لقيت رجلا كالبحر، ورجلا كالأسد، وقابلت رجلا كالبدر، إلا أن يجعل التشبيه مؤكدا، فيجب حينئذ أن يقول: رجلا، هو البحر، هو الأسد، هو البدر، أو يقول طحلبُ القمل، إذا أراد تشبيه القمل بالطحلب، أو قمل الطحلب، إذا أريد تشبيه الطحلب بالقمل. ولو استعمل «المشروع»، و«الظاهرة»، و«الرمز» بدلا مما يقارنها من الكلمات، لكانت كلها كناية عما يراد منها، والسياق الذي ترد فيه يبيِّنه. وهذا الأسلوب من الأساليب التي أُغرِم بها كل من أراد أن يُشعر قراءه بأنه حداثي، وأن له قَدَمًا في الأدب والنقد والثقافة والفكر الحديث، وهو، إن دل على شيء من ذلك، يدل أيضا على قلة الزاد من العربية، كما يدل عليه كل ما قد رأينا من الظواهر اللغوية. ولو كانت في هذا الأسلوب فضيلة ما زادت على المحاكاة، وما المحاكاة من خلال المفكر، والأديب الحق، لما فيها من الإقرار بالضعف، والعجز عن الإبداع.

وربما أورد بعضهم هذا الزوج من الكلمات، على وجه لا يصح فيه إلا الإضافة، أو البدلية، كقول أحدهم: «القاموس/ الصناعة»[1]، وهو يريد صناعة القاموس، أو القاموس صناعته، أي صناعة المعجم، فأخرج كلامه على وجه لا وجه له، ولا معنى في العربية. ولا يخفى أن الخط المنكسر في مثل هذا الأسلوب

(١) اللسانيات واللغة العربية، ١٩٩.

قائم مقام «أي» التفسيرية، كأن الكاتب أراد القاموس، أي: صناعته. ولو أنه قال «صناعة القاموس»، أو القاموس صناعته، لكان قد أخرج الكلام على مقتضى الكلام العربي، فأغناه عن الخط، وكان كلامه أصح وأوضح. ولا يخفى أيضا أن «القاموس/ الصناعة» تساوي في كلماتها وحروفها «صناعة المعجم»، بل هي أقل منها حروفا، لحذف «أل» من «الصناعة»، وحذف الخط المنكسر. والفرار مما هو أصح وأوجز وأوضح إلى العجمة إنما تحمل عليه قلة العلم، والولع بالتقليد على غير بصيرة؛ لما يخيِّل إلى المقلد من تميز، لا حقيقة له. ومما يحسن التنبيه عليه في هذا المقام؛ لأنه يدل على مبلغ علم صاحب هذه العبارة بالعربية وبالتراث العربي، أنه يستعمل «القاموس» بمعنى المعجم، كما يفعل بعض العامة، والقاموس في العربية البحر، وإنما سمى الفيروز آبادي معجمه «القاموس المحيط والقابوس الوسيط فيما ذهب من كلام العرب شماطيط» تشبيها له بالبحر في سعته، كما سمى الصغاني معجمه «العباب»، والبستاني كتابه «محيط المحيط»، ولم يستعمل أحد من العرب واحدا من هذه الأسماء بمعنى «المعجم»، ولا اسم واحد من المعجمات التي أُلِّفت قبل هذه أو بعدها بمعناه، كـ«العين»، و«الجيم»، و«الصحاح»، و«المنجد».

ومثل هذا إسقاط حرف العطف بين المفردات والجمل في غير مواضع الفصل، كما يفعل أدونيس وبعض أهل المغرب العربي كثيرا، متأثرين بالفرنسية، أو متعمدين الحذو عليها، كقول أدونيس: «جاءتني على غفلة، وكان سبب ذلك حضوري، نشاطي، حيويتي، ذكائي، كل هذا فرَض الزعامة»[1]. وكان مما أخذ أحمد فارس الشدياق على «لغات الإفرنج»، أنها «لم تزل في ضم الكلام بعضه إلى بعض في حالة الطفولية، أعني أنهم يوردون جملة بعد جملة اقتضابا من دون حرف عاطف، وكثيرا ما يوردون الجمل من غير مناسبة أو ارتباط»[2]. والذين يفعلون هذا لا يعلمون أن لكل من الوصل والفصل معاني في العربية، لا يؤديها الآخر، وأن المعاني التي يؤديها الفصل تفوت بالوصل، كما تفوت المعاني التي يؤديها الوصل بالفصل، من غير أن يعَوَّض الفائت بما يقوم مقامه

(١) أدونيس منتحلا، ٧.

(٢) كتاب التمرنة في الأصول النحوية، ٢/ ١٤.

في البيان، هذا إلى أن هذا العمل لا يعدو الترجمة الحرفية. فإذا قيل: جاء زيد، عمرو، من غير عطف فالذي جاء هو عمرو، وهو المقصود بالحكم، وهو بدل غلط من زيد، وإذا قيل رأيت عمرا أبا محمد، كان «أبا محمد» هو «عمْرا» بعينه، وإنما «أبا محمد» كنيته، وإذا قيل: رأيت عمرا وأبا محمد كان عمرو و«أبا» محمد امرأين مختلفين، ولاختلافهما كان العطف، إذ العطف يقتضي التغاير. وإذا قيل: جاملت زيدا، أهديت إليه هدية، أو أكرمت زيدا وزرته، كان معنى العبارة الأولى أن الهدية هي ما جامل به زيدا، ومعنى العبارة الثانية أن الإكرام والزيارة عملان مختلفان، وأن المتكلم فعَلهما كليهما، والذي دلَّ على تباينهما عطف إحداهما على الأخرى، ولو أُريد أن الإكرام هو الزيارة، لحذفت الواو، فقيل: أكرمت زيدا، زرته. وهو إلى ذلك يفسد العربية؛ لأنه يخرجها عن نظامها، ويلحقها بنظام لغة أخرى، ويفقدها ما تتسم به من دقة البيان. ولما كان هؤلاء الكتاب لا يعرفون العربية، كانوا يكتبون ويتكلمون كيفما اتفق، لا يعرفون ما أصابوا فيه ولا ما أخطؤوا. ومن أمثلة ذلك قول محمد البقاعي في ترجمته قول رولان بارت: «وينطوي مفهوم النص على أن الرسالة المكتوبة متركبة كالعلامة، في جمل، في فقرات، في فصول...، فالعلامة التقليدية وحدة مسيَّجة، سياجها يضبط المعنى ويمنعه من الارتعاش، من الازدواج، من الهذيان»[1].

وكان أحد المشتغلين بالترجمة قال إن باحثة سويدية انتقدت على أساليب الإنشاء العربي في معرض تقويمها أعمال نجيب محفوظ، فقالت إن كتَّاب العرب يصطنعون عطف التكافؤ في تداعي الأفكار وربط الجمل وإحكامها. وحللت العربية على وفْق ما يرى فيها الأجانب، وبنت على ترجمات حرفية ضعيفة في الإنجليزية، فأخذت على العرب الإكثار من حروف العطف، ولم تدرك حقيقة التعاطف الإنشائي في العربية، وطرائق ترابط الجمل وتماسكها، وأن لتلك الحروف معاني، لا تنحصر فيما يسمى بالإنجليزية coordination، والتزام المترجمين من العربية إلى اللغات الأخرى حرفية الأدوات، دون وعي ولا مراعاة لمعاني تلك الحروف وعملها يخيل إلى قارئ الترجمة وإلى الباحثة أن العربية متخلِّفة، فيسارع العرب إلى العمل بنظرياتها وتطبيقها في كتاباتهم،

---

(١) انظر: إشكاليات المصطلح الغربي في ثقافتنا المعاصرة، ٩٩.

مع أن هذه الباحثة لا تعرف من العربية إلا أذن الجَمَل[1].

والذين ينحون هذا النحو من الحذو على اللغات الأجنبية مدفوعون بأمرين: عدم العلم باللغة، وعدُّ كل ما يفعل الغربيون عالميا؛ لأنهم يعتقدون الجبر في الحضارة، والحتمية في التاريخ، وهي عقيدة مؤداها أن غير الغرب ليس له بدٌّ من تمثُّل الغرب في كل شيء، وإلا لفظته الحياة، وطواه التاريخ، وأن حتما عليه أن يصير إلى ما صار إليه، فحلْق الشوارب واللحى، وعقد الأُرَب في الأعناق، ولبس البناطيل أمور لا مفر منها، وهي زي العالم اليوم، ولغات الغرب هي اللغات العالمية، فليس لأحد أن يستنكف منها، والمفردات التي تسقط منها إلى لغات غيره من الشعوب، غالبة على ما يرادفها من تلك اللغات، وإن جهد أهلها في صدها، أو إخراجها، فالاعتراف بها، والتسليم لها، والإعراض عن التفكير في استبدالها أجدى، وأولى، ويُريح من عناءٍ، يذهب سدى. هذا إلى جعلهم الغرب معيارا معرفيا، وضربا «من المعرفة العلمية التي لا هوية لها»[2]. مع أن الغرب ليس بينه من التجانس الثقافي ما يظن هؤلاء، وبه من الاعتداد باللغات والخصوصيات ما قد رأينا. ومما يبين عن جانب من ذلك نوع بيان ما قال ريمون بيكار: دعنا نسلِّم بأن النقد الحديث، الإنجليزي والأمريكي، معروف على نحو محدود جدا في فرنسة، أما تأثيره، فيمكن أن يكون محدودا من الناحية العملية. وليس النقد الفرنسي الحديث بأكثر انتشارا في إنجلترة وأمريكة من نظيريه في فرنسة. إن الجهل بالآراء النقدية الحديثة: الإنجليزية والأمريكية مدهش في شكله[3]. ولعل أهم أسباب القطيعة الثقافية بين هذه الشعوب اعتداد كلٍّ بثقافته واستغناؤه بها، واستقلال المناهج التربوية المبنية على ذلك الاعتزاز والاستغناء والاعتداد. ولو استقلت مناهج العرب، وكان لهم من الاعتداد بثقافتهم وهويتهم مثل ما لهؤلاء، لكان للتأثر بهم حدود، وكان مبنيا على أصول علمية، مشروطا بشروط متعقلة، تبتغي الفائدة العلمية، ليس غير، ولا يحاكي من أجل أن يحاكي، ولا يلقي الزمام للهوى، ولم يكن بالحال التي هو عليها اليوم،

(١) أزمة اللغة والترجمة، ١٧٨.

(٢) الثقافة العربية والمرجعيات المستعارة، ٩٨.

(٣) الاتجاهات النقدية في فرنسا، ١٠٧

استنساخا، وتبعية على غير بصيرة، يحركهما الهوى المحض، قسَّما العرب بين الثقافة الأمريكية والإنجليزية والفرنسية، والثقافة الروسية أو التشيكية، يوم كان بعضهم أحمر.

ويفصلون بين المضاف والمضاف إليه بالصفة جريا على ما يترجمون من اللغات الأجنبية، فيقولون: أمين عامٍّ الأمم المتحدة، كما يقال في الفرنسية والإنجليزية: Secrétaire Général des Nations Unies / General Secretary of the United Nations، وسكرتير عامٍّ لجنة التنسيق، كما يقال فيهما أيضا: Secrétaire général du comité de coordination[1] / General secretary of the coordination committee. وكل ما فعل المترجم أن جعل المفردة بإزاء المفردة من العبارتين، ولم يفطن إلى أن المضاف والمضاف إليه لا يفصل بينهما في العربية كما يفصل بينهما في الإنجليزية والفرنسية بـ of، وde وdu.

ويقدِّمون الحال على صاحبها وعاملها كليهما، فيقولون: وحْدَه فلان يفهم، وهو غير جائز[2]، وإنما يفعلون ذلك حذوا على الأسلوب الإنجليزي: Only he understands. ويقولون: القراءة والقراءة وحدها، وهي بالفرنسية والإنجليزية: la lecture et la lecture seulement / only Reading and reading، وإنما الصواب: القراءة القراءة وحدها، فالقراءة الثانية توكيد لفظي للأولى، والتوكيد لا يُعطَف على المؤكد؛ لأن العطف يقتضي المغايرة، ولا مغايرة في التوكيد، وإنما هو تكرار من أجل تقرير المعنى في النفس. ويقولون: أنا أكتب بينما هو يقرأ، وهي بالإنجليزية: I write while he reads. واستعمال «بينما» في العربية الحديثة على هذا الوجه غير صحيح، وإنما هو ترجمة حرفية لـ: Tandis que، بالفرنسية، وMientras que، بالإسبانية، وwhereas، وwhile بالإنجليزية[3]. و«بينما» و«بينا» ظرفا زمان يفيدان المفاجأة[4]، ولا يكونان إلا أولا، كقول النبي -صلى الله عليه وسلم-: «بينما رجل يمشي بطريق اشتد عليه العطش»، وقول عمر بن أبي ربيعة:

---

(١) اللغة العربية ووسائل الإعلام، ١٠٨.

(٢) انظر: همع الهوامع، ٤/ ٢٧.

(٣) نظرية اللغة العربية، ٢١٦.

(٤) النهاية في غريب الحديث والأثر، ١/ ١٧٦.

بينمـا ينعتنَنـي أبصرنَنـي دون قِيـدِ المِيـل يَعْـدُو بـي الأغـرّ

ويقولـون: لـدى وصولـه صرح الرئيس، وهـي بالإنجليزيـة: Upon his arrival the president declared.، والصـواب: لمـا وصـل الرئيس صـرح، أو قـال. ووجـه الخطأ في هـذا الأسـلوب إعـادة الضمير علـى متأخـر لفظا ورتبة، وهـو غيـر جائـز. ويقولـون: إذا وإذا فقـط، وهـي بالفرنسـية والإنجليزيـة: si et seulement si / If and only if. و«إذا» أداة شـرط، فينبغـي أن تُتبَـع بفعلهـا، ولا معنـى لعطفهـا علـى نفسـها، فـإن أريـد التوكيـد، كـررت من غيـر عطـف. ويقولـون: «يحـب بحسـه وحسـه فقـط»، وهـي محـذوة علـى العبـارة الفرنسـية والإنجليزيـة: il aime sensationnellement et seulement sensationnellement /He loves sensationally and sensationally only، والصـواب: إنمـا يحـب بحسـه وحـده، ولا معنـى لأن يعطـف الحـس علـى الحـس، وهمـا شـيء واحـد. ويقولـون جوابا عـن: هـل أتـى زيـد؟: «ليس بعـد»، كمـا يقـال فـي الفرنسـية والإنجليزية pas encore / not yet، و«ليـس» إنمـا تدخـل علـى جملـة اسـمية، ولا جملـة فـي هـذه العبـارة، والمسـؤول عنـه إتيـان زيـد، فـكان ينبغـي أن يكـون الجـواب: لَمَّـا يـأت، فـإنَّ «لمَّـا» تفيـد النفـي مـع توقـع حصـول المنفـي. ويقولـون: شـعر بنفـس الطريقـة نحـوي، وهـي بالفرنسـية والإنجليزيـة He sentit la meme chose envers moi / He felt the same way towards me، و«نفـس» لفـظ مـن ألفـاظ التوكيـد المعنـوي، ولا يتقـدم علـى المؤكـد، هـذا إلـى أن الأسـلوب كلـه غريـب علـى العربيـة، لمـا فيه مـن وضـع «الطريقـة» موضـع المصـدر. والـذي هو أدنى إلـى العربية أن يقال: شـعر ذاك الشـعور، أو أحبنـي ذلـك الحـب، أو أحبني كمـا أحبه، أو رآنـي بالعين التي أراه بهـا، ومـا شـاكل ذلـك من الأسـاليب المبينـة عن التشـابه فيمـا يكنُّ أحدهمـا للآخر مـن الحـب. ويقولـون: تحـول إلـى حـب، وهـو بالإنجليزيـة: transformed into love. و«تحـول» لا يتعـدى بإلـى، وإنمـا يقـال: تحـول حبـا، وإن كان الأفضـل أن يقـال: صـار حبـا.

وتستعمل «حتـى» فـي العربيـة المعاصـرة استعمالا، لـم تذكـره كتـب النحـو، نحـو: لا يسـتطيع حتـى أن يكتـب اسـمه، وهـي بالفرنسـية والإنجليزيـة il ne sait même pas écrire son nom /He cannot even write his name. ويسـتعمل

هذا الأسلوب كثيرا في المغرب العربي، في فصحاه وعاميته، ومنه قول أبي القاسم الشابي:

فــي ظــلام الأيــام أدفــن نفســي ولا أســتطيع حتــى بكاهــا

وقول محمد مواعدة: «كما يقومون بتحديد الميادين العلمية وحتى الكتب أحيانا لنقلها إلى العربية»[1]. ويقال في العامية التونسية: «ما عندك حتى حق»، كما يقال في الفرنسية: vous n' avez aucun droit، و«ما ثَمَّ حتى مشكل» (il n'y a aucun problème). ويَرِدُ في بعض ما يكتب محمد كرد علي، وكان يعرف الفرنسية، كقوله: «أكَّدَ حتى خصومي أن المجمع يطلبني»، «أسأت حتى إلى أقرب الناس إليك»[2]، «ونستهجن حتى الصالح مما عند غيرنا»[3]. ومن أمثلته في العربية المعاصرة: لم يحضر المؤتمر حتى المنظمون، ولم يقرأ حتى الصحيفة، ولم يسافر في الإجازة حتى إلى القرية، وما نحب حتى أصدقاءنا أن يعلموا. وهي ترجمة لقول الفرنسيين والإنجليز on ne veut même pas que nos amis le sachent / We don't want even our friends to know، وحتى بالمقاييس الحديثة، وهو من قول الفرنسيين والإنجليز: même selon des critères modernes /Even by modern standards. وما بعد «حتى» في هذه الأمثلة يصلح أن يكون مفعولا، ومبتدأ، وفاعلا، ومفعولا به، واسما مجرورا. وهي في هذا كله مستعملة استعمال même / even. ووجه الخطأ في هذا الأسلوب أن «حتى» فيه حرف عطف، ولا يكون معطوف «حتى» إلا بعضا من جمع، كـ«قَدِمَ الحاجُّ حتى المشاة»، أو جزءا من كل، كـ«مزَّقت الكتاب حتى جلدَه»، و«أعجبني زيد حتى إشاراته»، أو غاية لما قبله في زيادة أو نقص، نحو: «يموت الناس حتى الأنبياء»، و«سلَّمت على الزائرين حتى الأطفال»[4].

وقد تبارى المجمعيون -كعادتهم- في تسويغ هذا الاستعمال وتقريبه من الفصحى وتجويزه[5]، بعد أن لقي تجويزه معارضة شديدة من بعضهم، ثم

(١) حركة الترجمة في تونس، ١٧٠.
(٢) المذكرات، ٣/ ٧٩٢.
(٣) أقوالنا وأفعالنا، ١٢.
(٤) مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، ١/ ١٢٧.
(٥) كتاب في أصول اللغة، ٢/ ١٩٩-٢٠٨.

أجازوه -كعادتهم- على أن تكون «حتى» عاطفة والمعطوف عليه محذوف مفهوم من المقام[1]. وما فعل المجمع شيئا سوى أن احتج لمسخ العربية، وتعبُّث الجاهلين الذين لم يفكروا حين استعملوا هذا الأسلوب أول مرة في صحته من خطئه، ومَن استعمله من المتعلمين إنما استعمله متأثرا بما يعرف من الإنجليزية أو الفرنسية؛ لأن اللغتين إذا اجتمعتا في اللسان أدخلت كل منهما الضيم على الأخرى. ورفْض الأسلوب يجعل قواعد العربية أكثر اطرادا، ومعرفتها أيسر، فضلا عما فيه من الحفاظ على هويتها. أما حذوها على لغة أجنبية، فلا نفع فيه إلا لمن لا يعلم، فإنه يرفع عنه حرج الخطأ، أو أهلِ اللغات الأوربية؛ لأنه ييسر لهم فهم العربية ودراستها، إذ تُحذَى على لغاتهم حذوا يجعل الفرق بينهما أنها تكتب بالحرف العربي، وتكتب اللغات الأوربية بالحرف اللاتيني؛ فيسهل عليهم من فهمها ما كان يعسر. وقد شبه سعيد الأفغاني «حتى» في هذه الأساليب بالزائدة الدودية في الجملة، وقال إن السلامة في بترها، وقال عمر فروخ إنها ترجمة لـ even، «وليس عمل المجمع أن يقبل ما يقوله رجل الشارع، ويبذل جهده في تصويبه على نحو من الأنحاء»[2]. ويبدو أن «حتى» في هذه الأساليب عاطفة، وأن العموم الذي يدخل فيه ما بعدها محذوف، تقديره: لم يحضر المؤتمر أحد حتى المنظمون. وهذا التقدير من الوضوح في مكان في أكثر استعمالات «حتى»، في العربية الحديثة، لكن حذف العموم غير مسموع عن العرب، إلا ما احتجَّ به علي النجدي من قول المعري:

عدمت الرضا حتى على ضاحك المزن ... فلا جادني إلا عبوس من الدَّجْن[3]

وأبو العلاء يُحتَجُّ بعلمه، أما سليقته، فكسلائق غيره من العلماء قبله وبعده، وقد وقع في كلامه ما يستقبح أهل اللغة، كقوله:

قد أقرَّ الطبيب عنك بعجز ... وتقضَّى تردُّدُ العواد

قدَّم «عنك» على «عجْز»، وهو متعلق به، «وتقديم صلة المصدر عليه وعلى عامله قبيح»[4]. ولَحَّنه بعض العلماء في قوله:

---

(١) في أصول اللغة، ٣/ ١٥٤ وما بعدها.

(٢) السابق، ٣/ ١٥٥ (هامش).

(٣) القياس في اللغة العربية، ١٧٢.

(٤) شروح سقط الزند، ٩٩٥.

يُذيب الرعبُ منه كلَّ عَضْب   فلولا الغمد يمسكه لسالا

لذكره الخبر بعد «لولا»، وهو كون عام[1].

وتستعمل «أي» في العربية المعاصرة على نحو لا يستقيم رده إلى معنى من معانيها المعروفة في العربية، مثل: على أي حال، وعلى أية حال، حذوا على العبارة الإنجليزية: any way، ولم يصدر عنهم أي تصريح، واشْتَرِ أي كتاب، ولم تسفر وساطته عن أي نتائج. وإن احتج بعض اللغويين المعاصرين لصحتها بقول الفرزدق:

إذا حارب الحجاج أي منافق   علاه بسيف كلما هز يقطع

وقول علي بن أبي طالب: «اصحب الناس بأي خلق شئت»، يريد: بخلق أي خلق شئت. وقالوا إن منه قول الله تعالى-: (في أي صورة ما شاء ركَّبك)[2]. وقال العقاد إنها في هذه الأساليب تقابل any في الإنجليزية، وإن الصحفيين زادوا معنى any إلى معانيها في العربية، ولو لم يفعلوا البقي مقابلها ناقصا في العربية، وليس من واجبنا أن نترك لغتنا عاجزة عما تدل عليه اللغات الحية[3]. ولو أن كل معنى لحرف من حروف اللغات الأجنبية زيد في مقابله العربي، لغدت العربية لغة أعجمية. وخير من هذا التسويغ أن يخطَّأ الأسلوب، ويُرَدَّ مستعملوه إلى الصواب، ويعلَّموا منه ما لا يعلمون، إلا أن يُعْتَدَّ بالشواهد المذكورة آنفا، إذا ثبت أن معناها في هذه الشواهد هو معنى any، فحينئذ يقال إن استقراء النحويين لمعانيها كان ناقصا.

ويقولون: احتاجوا نموذجا من نوع ما، وإنما حذوا على الأسلوب الإنجليزي: They needed a model of some kind.، ووجه الخطأ فيه تعدية «احتاج» بنفسه، كما يتعدى مرادفه الإنجليزي (needed) بنفسه، وهو إنما يتعدى بـ«إلى»، والإتيان بـ «ما» مع «نوع»، فيقولون: «نوعا ما»، و«ما» هاهنا تفيد التنويع، فذكرها مع «نوع» من الفضول، فالعرب يقولون: ضربته ضربا ما، وهم يريدون نوعا من الضرب[4]. ويستعملون كلمات عربية استعمال

---

(١) الجنى الداني، ٦٠٠، ومغني اللبيب، ١/ ٣٠٢.

(٢) القياس في اللغة العربية، ١٦٧ وما بعدها. وزظة

(٣) كتاب في أصول اللغة ٢/ ١٩٩-٢٠٨.

(٤) انظر: الجنى الداني، ٣٣٤.

بعض الحروف الإنجليزية: ككلمتي حول، وضد، فالأولى تُجعَل بمعنى / sur about، فيقولون: دراسة حول، وملاحظات حول، وكتاب حول، كما يقال في الانجليزية: study about، وnotices about، وbook about. ولعل سبب الإكثار من «حول» بهذا المعنى كثرة استعمال مرادفتها في الإنجليزية والفرنسية. وكثيرا ما تستعمل استعمالا لا معنى له، كالعبارات السابقة، وكقولهم: مؤتمر حول السلام، وتنازلات حول، ومبادرة حول، ورأي حول. فـ«حول» في هذه كلها لا معنى لها، إذا حملت على معنى «حول» في العربية، وهو أنها ظرف مكان، يدل على الإحاطة بالشيء، والقرب منه، كقول الله -تعالى-: (وممن حولكم من الأعراب منافقون)، وقول النبي -صلى الله عليه وسلم-: «كالراعي يرعى حول الحمى، يوشك أن يرتع فيه». فمعنى «كتاب حول» -كما يقتضي الأصل- : كتاب قربَ، أو محيط بـ ، وكذلك: مؤتمر حول السلام، إلخ، وهو كلام لا معنى له. ويستعملون «ضد» مرادفة لـ contre / against[1]، فيقولون: قاتلَ ضد كذا، ومنازلة ضد، ومواجهة ضد، كما يقال في الإنجليزية: fighting against. والأسلوب العربي هو: مؤتمر عن السلام، وتنازُلٌ عن كذا، ومبادرة إلى، ورأي في، وألَّف كتابا في كذا، أو عن كذا، ونازل فلان فلانا، وواجهه، وقاتله، وحمل عليه، كما قال الله -تعالى-: (لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين)، وقال عمرو بن معديكرب:

نازلت كبشَهمُ، ولم أر من نزال الكبش بُداً

ويقولون: أنا سعيد طالما أنك هنا، ومن هذا قول إبراهيم ناجي:

اسقني واشرب على أطلاله، وارْوِ عني، طالما الدمع رَوَى

ومعنى العبارة الأولى في العربية هو: أنا سعيد، طال وجودُك هنا، فهي مؤلفة من جملتين، لا رابط بينهما، من حيث اللفظ، ولا من حيث المعنى؛ لأن «ما» المتصلة بـ«طال» هي «ما» المصدرية، والأصل أن يكون معنى بيت إبراهيم ناجي: وارو عنِّي، طال إرواء الدمع، وليس هذا هو مراده، وإنما مراده: وارو عنِّي ما أروى الدمع، أي: ما دام الدمع يُروي، ومعنى العبارة السابقة: أنا سعيد ما دمت هنا، فهما كقول الله -تعالى-: (وأوصاني بالصلاة والزكاة ما دمت

---

(١) في التعريب، ٤٤.

حياً)، أي مدة حياتي. وإنما أوقع المتكلمين في هذا الأسلوب أنهم استعملوا «طالما» بمعنى as long as، وأنهم إنما يترجمون العبارة الإنجليزية: I am happy as long as you are here، أو as long as you are around، ترجمة حرفية. ومن طريف ما رأيت من لغة كتّاب العرب المحذوة على اللغات الأجنبية هذه العبارة: «لو أخذنا باليد الأخرى»[1]، فإنها بمعنى: d'autre part /on the other hand. وإذا كان الأخذ باليد يعني في أعراف الإنجليز والفرنسيين الانتقال إلى جانب آخر من القضية، فإنه يعني في العربية استيقان الشيء، على وجه ينفي كل احتمال، كما يستيقن المرء أنه يمسك يد امرئ بعينه، فيقال في العربية من أجل ذلك: هذا كالأخذ باليد، أي لا محل فيه للإنكار.

وترتب على هذا الحذو أن صار كثير من عبارات العربية الحديثة يُفهَم المراد منه من سياق الكلام بالتعود، لا من ألفاظه، فإنها لا تدل عليه، بل لا تدل على شيء، كالعبارات السابقة. وهذا هو حال الإنجليزية، يفهم أهلها مجمل ما يقال بها، فإذا تأملوه تملكتهم الحيرة والضياع، ولا يضطر إلى التأمل إلا في أحوال نادرة، كالقانون والترجمة[2]. ومن هذا القبيل ما ذكر ريتشارد ليدرر (Richard Lederer) في مقالته: «English Is A Crazy Language» من مفردات وأساليب، تخالف ألفاظها معانيها، كقوله إن اسم الفاعل في الإنجليزية يشتق من الفعل بزيادة er في الفعل، فيقال من write: writer، إلا أن هذه اللاحقة تزاد في finger (إصبع)، وليس في الإنجليزية fing، فعلا، وتزاد في grocer (بدّال)، وليس في الإنجليزية groce فعلا. وتسمي الفول السوداني: peanuts، وليس في الفول السوداني nut (بُنْدُق)، ولا pea (بازيلا). ويقال: hamburger، وليس فيها ham، وهو الخنزير. وتسمي اللحم meat، والحلوَى sweet، والخبز bread، غير أن ما تسميه sweetmeat حلوى لا لحم فيها، أما sweetbread، فمصنوع من اللحم، وليس في لفظه لحم! وتسمي النار Fire والمقاتل fighter، ومَن يُطفئ النار firefighter، وتدعو من يناضل من أجل الحرية: freedom fighter، وهو إنما يناضل من أجلها، ولا يقاتلها. ومعنى chance فرصة، ومعنى slim

(١) أساسيات اللغة اليابنية وقواعدها، ٦.

(٢) أزمة اللغة والترجمة، ٣٦٤.

ضئيل، ومعنى fat سمين، ومع هذا فإن slim chance وfat chance بمعنًى. وتزاد un في الفعل إذا أريد ضد معناه، فيقال: tie (يربط)، وuntie (يحل)، فلمَ يكون loosen وunloosen بمعنى، واللفظان متضادان؟ وتزاد less في الكلمة لتعكس معناها، وتعني full ملآن، ومعنى harm الضرر، ومعنى harmless خال من الضرر، ومعنى harmful عظيم الضرر، فإذا زيدت less أو full في shame، بمعنى العيب، كانت shameless وshameful بمعنى، هو قبيح أو كثير العيب. ومعنى up أعلى، ومعنى down أسفل، ومع هذا فمعنى upright عمودي، ومعنى downright بصراحة![1]. ومعنى هذا أن في الإنجليزية من الكلمات ما يُفهم منه خلاف ما يقتضي ظاهره، وهي حال كثير من أساليب العربية الحديثة، ليس لها معنى، أي إن بناء اللفظ في نفسه لا معنى له، وإنما يُعرَف المراد من مجمله بالتعود والمقام والسياق الذي يورَد فيه، فإذا نُظر إلى الكلمة بمعزل عن ذلك لم يكن لها معنى، وإنما مأتى ذلك من قلة العلم بالعربية، وحذو الكلام على الكلام الأجنبي، وإذاعة وسائل الإعلام به، فيتلقفه مَنْ لا علم لهم بالعربية، فيصير على كل قلم ولسان، وربما أعجبت جدته من تعجبه الجدة لذاتها.

ومما لا معنى له في العربية الحديثة، إذا تُؤُمِّل وحُلِّل، ولكن المراد منه مفهوم، قولهم: أنا كمسلم لا أحب الكذب، فإن الكاف فيه، إذا حملت على التشبيه، كما هو معناها في العربية الفصحى، لا معنى لها، ولا للكلام كله؛ لأنه يؤول إلى: أنا مثل مسلم لا أحب الكذب، وإنما يكون له معنى إذا حملت على معنى comme وpour / as، في الفرنسية والإنجليزية، وهو التعليل، أو الحالية؛ فيكون المعنى: أنا مسلماً (حالة كوني مسلما)، أو: لأني مسلم، ما أحب الكذب. وcomme وas -فوق دلالتهما على التشبيه- لهما معان كثيرة جدا في الفرنسية والإنجليزية، منها الحالية، كما في هاتين العبارتين: Il a été désigné comme ministre dans le gouvernment، وIl travaillit comme correspondent du journal، أي: سُمِّي وزيرا في الحكومة، وعمل مراسلا للصحيفة[2].

ويقال في العربية الحديثة: «تمت بطريقة حادة، تقوم على التسلط والتوجيه

---

(١) English Is ACrazy Lznguage ١١٠ -١١٣.

(٢) انظر: في التعريب، ٣٧، والمورد، ٦٥.

السياسي»[1]، فيُفهَم مجمل المراد من العبارة، ولكنه لا يفهم على التفصيل، لعدم وضوح معنى الحدة في العبارة، وعدم وضوح العلاقة بينها وبين الطريقة؛ لأن الحاد في العربية ليس له سوى معنى واحد، هو ضد الكليل. ويقال: من أسباب الخوف أن تتراجع الأمم المتحدة عن اتخاذ العربية لغة رسمية «استخدام جانب من ممثلي الدول العربية اللغات الأجنبية عند إلقائهم كلماتهم الرسمية»[2]، و«في فيانا (فيينا) يؤمِّن معهد اللغات والثقافات الشرقية دروسا بالعربية»[3]، فـ«جانب من ممثلي الدول» لا معنى له، لأن «الجانب» بمعنى البعض لا يستعمل في الناس ونحوهم، لكن القارئ يعرف من السياق أن المراد فئة. ويفهم من «تأمين» المعهد دروسا بالعربية أنه يقدمها، أو يتعهد بتقديمها، وإن كان «التأمين» إنما هو ضد التخويف. وقول أحد الكتاب: «مع الطبيعة الغيمية»، لا يتضح معناه (عدم الوضوح) من لفظه إلا لمن علم أنه ترجمة للعبارتين: nature nuageuse / Cloudy Nature[4]، وإن كان ربما عرفه من السياق. ومن هذا قول أحدهم: «أنا ممتن بعمق لكليهما»[5]، لا معنى لها في العربية، لولا أننا تعودنا أن نقرأها ونسمعها في مقام البيان عن شدة الاغتباط بعظم فضل المحسن. وكذلك قول الآخر: «إن ما تقوله يجانب الصواب، على الأقل لجهة تساؤلاته حول الحقيقة»[6]. فـ«لجهة تساؤلاته حول»، ليس لها معنى في نفسها، وهي كثيرة الاستعمال في لغة أهل المغرب العربي، ويبدو أنها ترجمة حرفية لـ: vis-à-vis ses interrogations à propos de la réalité /in terms of[7]، وما يُفهَم من السياق أن المراد بها التعليل، أي: من أجل سؤاله عن الحقيقة. أما ما يدل عليه اللفظ، فالجهة، والاشتراك في السؤال، كما يدل التضارُب، والتعارُك على الاشتراك في الضرب والعراك، وأن الاشتراك في السؤال وقع في مكان قريب من الحقيقة، أو في مكان يدور عليها. غير أن كثرة الاستعمال

---

(١) السياسة اللغوية القومية للغة العربية، ٣٠.

(٢) السابق، ٤٤.

(٣) السابق، ٤٦.

(٤) كلمات العالم، ١٦.

(٥) الكلام أو الموت، ٢٧.

(٦) أحادية الآخر اللغوية، ٢٣ وما بعدها.

(٧) أزمة اللغة والترجمة، ٤٢.

صرفت العبارة عن هذا المعنى إلى المعنى الذي يُفهَم منها اليوم، وهو معنى العبارتين المذكورتين في اللغات الغربية. ومثلها قولهم: يتعلق الأمر بكذا (il s'agit de)، إذا أرادوا أن يفصِّلوا كلاما مجملا. وقول الآخر: «تنهض العملية النقدية، بوصفها فعالية تهدف إلى اكتناه عالم الخطاب الإبداعي، في مستوياته الأسلوبية والتركيبية والدلالية، على ركيزتين»[1]. فمن حلل هذا النص، لم يجد له معنى في العربية، وإنما هو ترجمة حرفية للعبارة الإنجليزية (The critical process, as an activity aimed at discerning the world of creative discourse, is based, in its stylistic, structural and semantic levels, on two pillars). بيد أن القراء تعودوه، فصاروا يعرفون من التعود أن المراد به: أن النقد -من حيث هو عمل، يتغيَّا معرفة كنه الإبداع، أسلوبا ومعنى- يُبنَى على ركيزتين. ولا يخفى أن «بوصفها فعالية» لا معنى لها في العربية، وإنما هي ترجمة لـ (As an activity)، كما أن العملية النقدية ترجمة لـ The critical process. وقول آخر: «إن «ثقافة» كانت قد أصبحت في عام ١٧٠٠ لفظا قديما في التعبير الفرنسي. ظهرت في أواخر القرن الثالث عشر، متحدرة من Cultura اللاتينية التي تعني العناية الموكولة للحقل وللماشية، وذلك للإشارة إلى قسمة الأرض المحروثة»[2]. فغني عن البيان أن العبارة الأخيرة «العناية الموكولة للحقل وللماشية...» لا معنى لها؛ فإن «وَكَلَ» يعني سلَّم وفوَّض، ويعدَّى بإلى، نحو: وكلت إليه الأمر، فالمعنى -إذن- أن العناية جُعِلت إلى الحقل والماشية، أي: فُوِّضت إليهما؛ فصارا يتوليانها، وهو كلام لا معنى له، وإنما المراد أن cultura كانت تعني حرث الأرض وزراعتها، والعناية بها، وقد استعملها شيشرون بهذا المعنى، إذ سمى الفلسفة زراعة العقل وتنميته[3]. وليست العبارة الأخيرة «للإشارة إلى قسمة الأرض المحروثة» بأوضح معنى من العبارة التي قبلها. ودون هاتين العبارتين قوله في ترجمة تعريف الثقافة لتايلور: «إن ثقافة أو حضارة موضوعة في معناها الإثنولوجي الأكثر اتساعا، هي هذا الكل المركب

---

(١) المتخيل السردي، ٥.

(٢) مفهوم الثقافة في العلوم الاجتماعية، ١٧.

(٣) النحت في العربية، التعليقات، ٧٨.

الذي يشمل المعرفة والمعتقدات، والفن والأخلاق، والقانون والعادات، وكل القدرات والعادات الأخرى التي يكتسبها الإنسان بوصفه عضوا في المجتمع»[1]، وإن لم تكن مبينة، وقُلْ مثل ذلك في ترجمة سائر الكتاب.

ومن هذا القبيل قول أحدهم: «لم أعد صائما أبدا، يقول أوستين، في كل هذا اليوم»[2]. فالعبارة في نفسها لا معنى لها، وإن فهمها القارئ فإنما يفهم مجملها، من السياق، ومِنْ تعوُّده أن يقرأ ويسمع أمثالها. فـ«لم أعد صائما أبدا» متناقضة؛ لأن «لم» تقلب معنى الفعل المضارع ماضيا، و«أبدا» تفيد المستقبل، والأصل أن الذي يقول هذه العبارة كان صائما، ثم قطع صومه، فهو الآن غير صائم. ومن معاني «عاد» «صار»، كقول الله تعالى-: (قد افترينا على الله كذبا إن عدنا في ملتكم)، أي صرنا فيها، ومنها «رجع». والمعنيان كلاهما لا يصحان هاهنا؛ ولا يلائمان المراد، فإذا حُملت على أنها بمعنى «صار» كان معنى العبارة: لم أصر صائما هذا اليوم، وإذا حُملت على أنها بمعنى «رجع»، كان المعنى: لم أرجع صائما أبدا. ثم إن «كل هذا اليوم» تفيد تركه صيام اليوم كله، وما صام منه ليس في وسعه أن يرجع فيه، أمَّا ما في وسعه، فأن يفطر، ويعدل عن صوم سائر اليوم. وإنما مأتى الخلل في التعبير من كون «لم يعد» في العربية الحديثة ترجمة حرفية للعبارة الفرنسية: «il n'est plus»[3]، وأن الكاتب غير متمرس بالكتابة بالعربية. أما ما يبين عن المراد، فأن يقول: ما أنا بصائم سائر اليوم. ووسَّط «يقول أوستين»، ولم يقدمه كما يقدَّمَ كثيرا، ليكون ما بعده هو المقول، ولا أخَّره، كما يؤخر أحيانا، كقول الله -تعالى-: (قل لن تتبعونا كذلكم قال الله من قبل)، ليكون ما سبق القولَ هو المقول. ومثله قول آخر: «لنا أن نتخلى عنها لصالح الأولى، طوعا أو كرها، أو هكذا تكلم بوش»[4]، أي: كذلك قال بوش؛ فإن «الصالح» -في اللغة- ضد الفاسد، ولا معنى له هنا، ومعنى تكلَّم: نطق بكلام، وليس مطابقا لمعنى «قال»، ولذلك يقال: قال فلانا كذا، فيُذْكَر بعده المقول، ولا يُذكر بعد «تكلم»، وإنما يقال تكلم بكلمة، أو بكلام، أو كلاما،

---

(١) الحضارة الثقافة المدنية، ١٩.

(٢) الكلمات والأشياء، ٢١.

(٣) في لغة الإعلام، ٢١.

(٤) أزمة اللغة العربية في المغرب، ٧.

أو تكلَّم، فقال. غير أن عبارة «هكذا تكلم» مما يستهوي بعض الكتاب؛ ولعل مأتى الإعجاب بها من أنها ترجم بها إلى العربية عنوان كتاب نيتشه: «كهذا تكلم زاردشت»، وعلى منواله نسج أحدهم، فسمى كتابا له: «هكذا تكلم علي شريعتي»، وإن لم يكن العنوان خطأ، غير أن العبارة التي سُمِّي بها الكتاب لا يصح إيرادها في السياق المتقدم آنفا. ومأتى ما يقع من هذا ونحوه من قلة العلم بالعربية، وهو أمْرٌ بيِّن في ترجمة الكتاب كله (الكلمات والأشياء)، كهذه العبارة: «ربما لأنَّ في أثره ولدت ريبة أن هناك فوضى أسوأ من فوضى ما هو غير لائق»[1]. فمما وقع في هذه العبارة أنه جعل اسم «إن» «ولدت»، واسم «إن» لا يكون إلا اسما، والعبارة كلها لا يتضح معناها؛ لأن تركيبها غير صحيح. ومثل هذا قول الآخر: «عند ما نقيم ترتيبا رزينا، عند ما نقول إن القطة والكلب يتشابهان أقلَّ مِنْ تشابه كلبين سلوقيين: حتى لو كان هذا وذاك داجنين أو محنطين، حتى لو كان كلاهما يركضان كالمجانين، وحتى لو كسرا لتوهما الجرة، فما هي الأرضية التي نستطيع انطلاقا منها إقامة التصنيف بتعيين كامل؟ وعلى أي طاولة، ووفق أي مجال للهويات، للمتشابهات والقياسات اعتدنا أن نوزع كل هذه الأشياء المختلفة والمتشابهة؟ وما هو هذا التماسك الذي نرى جيدا، على الفور، أنه غير معين بتسلسل قبلي ضروري، وليس بمفروض من قِبَل مضامين نحسها على الفور؟...»[2]. فهو كلام لا يتضح معناه، أما اللغة التي صيغ بها، فلا عربي منها إلا الحروف التي كتبت بها، والكلمات، لكن بعضها مستعمل في غير ما يدل عليه في العربية، أو رُكِّب تركيبا جرَّده مما كان يدل عليه. وكل شيء فيها (العبارة) يدل على مبلغ علم المترجم بالعربية، فاستعمال «عند»، وهي ظرف مكان، في معنى «حين»، وهي غير مضافة إلى ما يدل على الزمن، والإشارة إلى القطة والكلب بـ«هذا وذاك»، كأنهما سواء في التذكير، وإسقاط واو العطف بين المتعاطفات، غير الأخير منها، و«الأرضية» التي لا يتبين إلا م نُسِبت، وأساليب أخر، ما أريد أن أطيل بالوقوف عندها، تدل على أن المترجم إنما يكتب الفرنسية بحروف عربية، وأنه يحسب أن الترجمة كذلك

(١) الكلمات والأشياء، ٢٢.
(٢) السابق، ٢٣.

تكون، وأنه يكفي فيها أن يُكتَب الكلام المترجَم بحروف لغة أخرى. لقد أشقى «المترجم» نفسه، كما أشقى القارئ، وأضاع وقته، بعد أن أضاع من ماله ما اشترى به كتابه، ثم ما ظفر هو ولا القارئ بشيء، فلا هو قوي على تعريب المعرفة، ولا القارئ أفادها، أما اللغة، ففعلَ بها من المسخ ما لا خفاء به، وجرَّأ غيره على أن يتعبث بها، كما جرَّأه على أن ينحو بالترجمة منحاه، وسنَّ سنة غير حسنة، حالت بين العرب والاطلاع على ما كُتب بغير لغتهم. وترجمةٌ، هذه حالها، لا تفيد القارئ العربي، فإن أفاد منها، فإنما يفيد بعناء، يَصُدُّ مثله عن القراءة. وهو شيء أشعر به كلما فتحت كتابا من الكتب التي ترجمتها المنظمة العربية للترجمة، ويباعد بيني وبينها، على حرصي على قراءة بعضها. دعك من خيبة أمل من أمَّل أن يجد كتابا، يسوقه جمال لغته ووضوحها إلى الصفحة الأخيرة منه سوقا، وينقع صداه إلى الأفكار المترجمة، ويلتذ بما يتعلم منها من غير مشقة. وهو يدل على معاناة العربي الذي لا يعرف لغة أجنبية، ويتطلع إلى أن يعرف ما عند الغير، فلا يجد سبيلا إليه إلا تراجمة، يصدونه عما يتوق إليه، ويعينون عليه الصوارف عن القراءة.

ومما يدخل في مسخ المباني الأساليب والمفردات التي غلبت على العربية الحديثة بسبب الترجمة الحرفية من الإنجليزية والفرنسية، وليس لها معنى في العربية، وهي كثيرة جدا، حتى إن متتبعها يغلب على ظنه أن ما يكثر دورانه على الألسنة والأقلام من العربية الحديثة مستنسخ كله من الإنجليزية والفرنسية، وليس فيه ما هو أصيل، إلا ما تتوافى عليه اللغات من الأساليب. ويتبين أمر هذه الأساليب والمفردات من كون بعضها غير جار على نظام العربية، وبعضها ليس معهودا فيها، وفي العربية ما هو أجمل منه. من ذلك: التكثر من استعمال «شخص» وما يشتق منها، كشخصيا (personellement / personally)، والشخصية (Personalism [1]/ personnalisme)، وشخصك votre propre personne /your person)، وأغراضك الشخصية (your personal stuff)، والمحامي الشخصي لفلان (l'avocat personnel / the personal advocate)، و«نفس» وما أضيفت إليه، نحو: نفس الشيء (la même chose / the same

(١) اللغة والحضارة. ٤٩.

thing)، وفي نفس الوقت و(En même temps / in the same time)، وهو نفسه (lui-même / He himself). وتستعمل «هو نفسه» وما شاكلها، في العربية الحديثة، في غير توكيد، كقول طه حسين: «المسلمون أنفسهم»[1]، وقول آخر: «القدماء أنفسهم وَعَوْا الخلاف بين علم الكلام وعلم الفقه والفلسفة...، الفارابي نفسه يميز بدايةً بين علم الكلام وعلم الفقه»، وهو من الفضول؛ فإن «نفس» و«عين» إنما يؤتى بهما لتوكيد الذات، لرفع احتمال أن يكون المراد غيرها، على سبيل المجاز، وليس في هذه الأمثلة ما يدعو إلى التوكيد، لعدم وجود احتمال أن يكون المراد غير المسلمين، والقدماء، والفارابي. ويبدو أن سبب كثرة هذا الأسلوب في العربية الحديثة، في غير مقام التوكيد، أن مقابله في الإنجليزية والفرنسية قد يستعمل في غير التوكيد، نحو: he himself, in the same time، ولما كان جل ألفاظ العربية الحديثة وأساليبها مترجما من الإنجليزية والفرنسية ترجمة حرفية، كان حتما أن تُذكر «نفسه»، وإن لم يكن لذكرها معنى ولا فائدة، وإنما لتقابل meme / self، ويبدو أنهما تستعملان فيها كثيرا، وهو أثر من آثار توغل الإنجليزية والفرنسية في العربية الحديثة.

ومن هذا الدخول المدرسي (rentrée scolaire)، وفجأة (/ soudainement suddenly)، ومفاجأة (surprise)، ونسبيا (relativement /relatively)، وعادةً (habituellement / usually)، ووفقا لـ (conformément à /according to)، وفيما يخص (en ce qui concerne / concern)، ومن ضمن (including)، ومن بينهم (parmi eux / among them)، وسوف يجد وسيلة أو أخرى (Il trouve un autre moyen / He will find one way or onother)، وبشكل أو بآخر (d'une autre façon manière / in some way or another)، وليس فقط بل أيضا: (non seulement mais aussi / not only but also)، وبالنسبة إلى (par rapport à /with respect to)، و«موقف» (situation /position)، واستعمالاته، نحو: اتخذ موقفا (prendre une position / take astand)، وأنقذ الموقف: (sauver la situation / save the situation)، والوضع (position)، وطبعا، وبالطبع، (Naturellement / of course)، وبطبيعة الحال

---

(١) مستقبل الثقافة، ٢٣.

(naturelement / naturally)، وبدرجة كبيرة (/ dans une large mesure to a large extent)، وإلى درجة أن (Atel point que /to the extent that)[1]، وأكثر فأكثر (de plus en plus / More and more)[2]، ووجهة نظر (le point de vue / The point of view)[3]، وتوصَّل بكذا، أي تسلَّمه (recevoir, réceptionner)، ويأخذ بنظر الاعتبار (prendre en considération)[4]، وبكى بكاء مرا، أو بمرارة (pleurer amérement)[5]، وبالنسبة إلى (Quant àmoi)، وعلى ما يبدو (Apparemment)، وباستمرار (constamment)، ومن طرف (de la part de)، وبجانب (àcôté de). واستعمال «عانى» لازما، وهو متعد، ترجمة لـ: souffrir de، بالفرنسية، وهو فيها فعل لازم، وقد يعدَّى[6]، وأستمعُ إليه أكثر (Il l'a beaucoup écouté /listen to him more I)، وأرضية مشتركة (terrain commun= terrain d'entente / common ground)، والسؤال الذي يطرح نفسه (la question qui se pose)[7]، وعلى خلفية (on the backdrop of)[8]. والخلفية (Background)، وعلى الأرض (sur terre, par terre / on earth)، وبالرغم من (Malgré en dépit de= /in spite of)[9]، ورجل بسيط (un homme simple /A simple man)، وببساطة (simplement / simply)[10]، والتقدم إلى الأمام (move forward)، والمواطنة المتعددة ثقافيا (citoyenneté multiculturelle /multicultural citizenship)[11]، وتحت الإنشاء (en construction / underconstruction)[12]، وفكَّرت طويلا وطويلا جدا (J'ai longtemps réfléchi longtemps et bien longtemps / I thought for long

---

(١) تعريب الأساليب، ٣٤٤.
(٢) مغامرات لغوية، ١٣٨، والعربية الفصحى الحديثة، ٢٥٣.
(٣) اللغة والحضارة، ١١٧.
(٤) العربية في الجزائر، ١١٢.
(٥) تعريب الأساليب، ٣٣٩.
(٦) إصلاح الأوضاع، ١٠٦.
(٧) العربية المعاصرة، ٨٠ - ١٠٢.
(٨) أزمة اللغة والترجمة، ٢٨.
(٩) مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ٣٣٩، وتعريب الأساليب، ٣٣٩.
(١٠) العربية الفصحى الحديثة، ٢٤٤.
(١١) السياسة اللغوية والتخطيط، ٢٠.
(١٢) أزمة اللغة والترجمة، ٢٠٥ و٢٠٧، وعبارات وتراكيب دخيلة.

par le biais) وبواسطة (égoisme / Selfishness)[2]، والأنانية (and long[1]،
Possibilités /) والإمكانيات (de=par l'intermédiaire de /by means of[3]،
possibilities[4]، وتنبأ بكذا (prédire /Prophesy)[5]، والتنبؤ ادعاء النبوة، وإنما كان ينبغي أن يقال: تفرَّس، كما قال البوصيري:

يومٍ تفرَّسَ فيه الفرس أنهمُ   قد أُنْذِرُوا بحلول البؤس والنِّقَمِ

وتمثلات (illusions)، والرئتان (lungs)، والذي درج عليه العرب أن يسموها رئة، ولا يثنوها، وإنما تثنيتها بسبب جمعها في الإنجليزية، وكنتيجة (comme résultat / as a result)، لو تفضلت اجلس، (voudriez-vous vous asseoir /would you please seat)[6]، واستعمال «لو» هنا غير صحيح؛ لأنها حرف امتناع لامتناع، ولا معنى لها هاهنا، ويبدو وكأن (Il parait que)[7]، وبما فيه الكفاية (suffisamment /sufficiently)، وبشكل أكبر (in a larger form)، وفتح النار (ouvrir le feu / opened fire)، وغسيل الأموال (blanchiment d'argent / mony laundering)[8]، ونوعية عالية (qualité supérieure /high quality)، وتوتر عال (haute tension / high tension)، وكثافة عالية (haute densité / high density)، وقدرة عالية (grande capacité / high ability)[9]، وتأتي كمفاجأة (Comes as a surprise)[10]، وكيف تكون فاهما أكثر (how to be more understanding)، والإنتاجية (Productivité[11] / Productivity)، وأطلق تهديدات (lancer des menaces / launched threats)، واستعمال الـ«كون» في التعليل، كقولهم: فعل كذا كونَه، أي لأنه، كما تستعمل فيه

(١) العربية الفصحى الحديثة، ٢٥٤.
(٢) تقويم اللسانين، ٣٤.
(٣) مجلة مجمع اللغة العربية الملكي، ٢٥٩ وما بعدها.
(٤) تقويم اللسانين، ٤٤.
(٥) السابق، ٦٨.
(٦) العربية والحداثة، ١٨٠.
(٧) الموضع السابق.
(٨) أزمة اللغة والترجمة، ٢١٩.
(٩) السابق، ٢٥٩.
(١٠) أعمال مجمع اللغة العربي بالقاهرة، ٣٨٥.
(١١) اللغة والحضارة، ٥٨.

(being)، في الإنجليزية[١]، وفعل كذا؛ ما أدى إلى (/ ce qui a engendré which led to)[٢]، وفعلت ذلك سنةً قبل سفري (J'ai fait ça une année avant mon voyage / I did that a year before I travelled) وتغلق الأبواب خمس عشرة دقيقة قبل موعد المغادرة (Les portes seront fermées quinze minutes avant l'heure du depart. / Gates close fifteen minutes before departure time) ومنه قول أحدهم: «وسنةً بعد هذا نادى علي وزير التعليم العالي»[٣]، أي: وبعد هذا بسنة دعاني وزير التعليم العالي، والمعطيات (les données)، أي: المسلَّمات التي لا نزاع فيها[٤]، ولتغطية حاجاتنا (pour la couverture de nos besoins)[٥]، وأثر عليه (Influer sur[٦] / Influence on)، وكرَّس حياته (II a consacré sa vie / devote one's life committed to)[٧]، وملتزم بالتفوق (excellence)[٨]، ويرفع الوعي، أي يزيده (raise awareness)[٩]، والمصداقية (crédibilité /credibility)[١٠]، ومرحلة مِفْصَلية (tape critiqueé /critical juncture)[١١]، ويتموضع (se positionner / position)[١٢]، وتحت رعاية (sous le patronage)، وتحت الاختبار، أو تحت التجربة (sous experience)[١٣]، وتحت تأثير (sous l'influence de /under the influence)، ووضع كارثي (situation catastophique / catastrophic situation)[١٤]، ومريم وأنا، وزوجتي وأنا (Marie et moi/mon épouse et moi / Mary and I، my wife and

(١) أزمة اللغة والترجمة، ٢٨.
(٢) الموضع السابق.
(٣) مجلة عالم التربية في حوار مع الباحث الأكاديمي الدكتور عبد القادر الفاسي ٩.
(٤) اللغة العربية ووسائل الإعلام، ١٠٢ وما بعدها، واللغة والحضارة، ١١٥.
(٥) اللغة العربية ووسائل الإعلام، ١٤.
(٦) مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ١/ ٣٣٩.
(٧) اللغة والحضارة، ١٠٩، وأثر الترجمة في الأخطاء الشائعة، ١٠٢
(٨) أزمة اللغة والترجمة، ٤٦.
(٩) السابق، ٣٨.
(١٠) الموضع السابق.
(١١) السابق، ٣٠.
(١٢) كتاب الأعاجيب، ٥٥.
(١٣) السابق، ٢٧٧.
(١٤) أزمة اللغة والترجمة، ٣٠ و٢٦١.

I)[1]، ومستوى (niveau / level)، وعاش الأحداث (vivre les événements /lived the events)، وعاش تجربة (vivre une experience /lived an experience)، و«عاش المسألة» بمعنى كابدها واحتملها وخبر نتائجها (Il a vécu l'affaire)، والإنجليزية والفرنسية تعديان (vivre /live)[2]، ومن الحذو عليهما جاءت تعدية العربية الحديثة مرادفه (عاش)، وهو فيها لازم. وهو أحد أكبر العسكريين (un des grands officiers=un des grands militaires /one of the bigger)[3]، وطبقا لـ (According to) بالفعل (Indeed, actually)، ومعالج كيميائيا (chimiquement traité /chemically treated)، ومن منظور لساني (dans une perspective linguistique /from a lingual perspective)، ومن منظور إيديولوجي (dans une perspective idéologique / from an ideological perspective)، كم أنت رائع (comme vous êtes magnifique / how wonderful you are!)، كم أحبك (comme je vous aime! / How much I love you)، كم هي فاتنة (Comme elle est charmante! / how charming she is)[4]، كم هو جميل أن نظل أصدقاء (Comme il est bon de rester amis /how nice if we could stay or remain friends)[5]، بغلاف مالي (enveloppe financère)، وهو بدوره (à son tour /In his turn)[6]، وشدَّد على، أي: أكَّدَ (=emphasized/insister sur stressed)، وعلى المستوى الشخصي (sur le plan personnel /on the personal level)، يقيم في جدة أين يقيم أبوه، أي: حيث يقيم أبوه (il vit à Jedda où vit son père / he lives in Jeddah where his father lives)، وارتفاع الأسعار (hausse des prix /raisng prices). والإشهار، بمعنى الإعلان (Publicité)، وسافرت برغم المطر (j'ai voyage malgré la pluie /I travelled despite of the rain)، وأكثر من أي

---

(١) أزمة اللغة والترجمة، ٣٨.
(٢) من العربية المعاصرة، ، وأثر الترجمة في الأخطاء الشائعة في اللغة العربية، ١٠١.
(٣) اللغة العربية ووسائل الإعلام، ١٠٤.
(٤) محاسن العربية في المرآة الغربية، ٥٤٦.
(٥) أزمة اللغة والترجمة، ١٨٥.
(٦) نظرية اللغة العربية، ٢٣٦.

وقت مضى (plus que tout autre moment / more than ever)، وساد الجهل والفوضى (L'igrance et l'anarchie se sont propagées /Ignorance and chaos prevailed)، ذهب ضحية مبادئه (Il a été victime de ses principes، Il est devenu victime de ses principes / went victim to his principles)، وإلى حد أنه (au point que / to the point)، وبالتالي (therefore)[1]. ومن تأثر العربية الحديثة بالفرنسية تذكير المؤنث وتأنيث المذكر؛ كتسمية أهل المغرب العربي «مشكلا» ما يسميه أهل المشرق «مشكلة»؛ لأنهم يترجمون به problème الفرنسية، وهي مذكر، ويقولون «الوضعية»؛ لأنهم يترجمون الكلمة الفرنسية situation، وهي مؤنث[2]، والساكنةَ، بمعنى السكان ترجمة لـ La population، بالفرنسية، وهي مؤنث[3]. ويقولون: الوطن الأم؛ لأن مرادف «الوطن» (parrie) بالفرنسية مؤنث، ومقتضى تأنيثه أن يوصف بأنه «أم»[4]. وقد انتقلت «الوطن الأم» إلى عربية المشرق العربي أيضا، فلا يستعمل فيه غيرها. ومن هذا تأنيث أهل المغرب الأقصى الفعل، إذا كان الفاعل مؤنثا مضافا إلى مذكر هو المقصود، نحو: «توصلت جلالة الملك ببرقيات تهنئة»، وهو ما تفعل الفرنسية[5].

ومن الإخلال ببناء الجملة العربية ما دعا إليه بعضهم من العدول عن الجملة الفعلية إلى الجملة الاسمية والاقتصار عليها، وهو ما انتشر في العربية الحديثة، حتى لا يكاد يستعمل غيره، مع ما له من آثار غير حميدة في العربية، ومع ما أفاتها من القدرة على الإبانة عن المعاني أدق بيان، وجعَلها كاللغات الأجنبية، لغة جامدة، تُصَفُّ الكلمات فيها كما تُصَفُّ الأشياء صفا ثابتا لا يتغير، وإن اقتضت المقامات غير ذلك. وقد قصَّر بها ذلك عن أن تبين عما زاد على معاني اللغات الغربية، وحال بينها وبين أن تتصرف في الكلام بأكثر مما تتصرف فيه،

---

(١) أثر الصحافة ووسائل الإعلام في تطور اللغة العربية، ص ٢٠٣.

(٢) في لغة الإعلام، ١٧، والمعجم الوجيز في مصطلحات الإعلام، ١٠ (نقلا عن: أثر الترجمة في الأخطاء الشائعة، ١٠٢ و١٠٦ وما بعدها)، وفي شرف العربية.

(٣) معجم تصحيح لغة الإعلام، ٧٠ (نقلا عن: أثر الترجمة في الأخطاء الشائعة في اللغة العربية، ١٠١).

(٤) إصلاح الأوضاع، ١٠٤ وما بعدها.

(٥) السابق، ١٠٥.

وفُرِّط فيما فيها من معان وأساليب، لا مقابل لها في غيرها من اللغات. وسَوَّغ بعضهم ذلك بمسوغات ضعيفة، وسوغه بعض بأن استعمال الجملة الاسمية دون الجملة الفعلية يستميل المشاهد، ويرسخ مضمون الخبر، ويمكِّن من النفاذ بيسر وسرعة إلى الجمهور[1]. وهي تعلاَّت باردة، لا يدرك من يأتيها أسرار التعبير في العربية، ولا يدرك فضل العربية على غيرها من اللغات، وإنما تلقَّف ما يردِّد من يحسب أن الإنجليزية والفرنسية خير اللغات لقلة علمه بهما وبالعربية.

إن حرص المترجمين على التشبث بالألفاظ والعبارات الأعجمية أشدُّ من تشبثهم بمعانيها، وقد أوقع ذلك خللا كبيرا في اللسان العربي؛ بما أدخل فيه من أساليب أعجمية المبنى، خلاسية المعنى؛ فكثرت العجمة والرطانة، وتجاوزت العدوى الذين يعرفون اللغات الأجنبية إلى الذين لا يعرفونها[2]. وكان إبراهيم اليازجي من أقدم من نبَّه على تأثير الترجمة الحرفية من اللغات الأجنبية في العربية الحديثة، وهو التأثير الذي طما بحره بعد ذلك[3]. ويرى محمد الكتاني أن سبب دخول هذه الأساليب في العربية الحديثة ليس الترجمة فقط، وإنما التأثر بمنهج الأوربيين في التفكير وتحليل الظواهر الاجتماعية والسياسية والحضارية؛ فمن دأْب الفكر، إذا تعلم بلغة أجنبية، أن يتأثر بثقافتها، فإذا أراد الكتابة بلغة أخرى تعذَّر عليه أن يتجنب القوالب اللغوية التي كانت أدوات تفكيره[4]. وربما لا يكون هذا -على صحته- السببَ الأقوى، وإنما السبب الأقوى قلة العلم بالعربية، وما ترتب عليه من ترجمة آلية، وإلا، فالمعنى تُمكِن الإبانة عنه بما لا حصر له من الأساليب، وكل واحدة من المفردات والعبارات المذكورة هاهنا يمكن أن تؤدَّى معانيها بمفردات وأساليب غير التي أُديت بها، لا أثر فيها للغة الأجنبية. هذا إلى أن بعض من تصدَّوا للترجمة ترجموا علوما وفنونا ليسوا مُخصِّين فيها، فلم يكونوا يفقهون المعاني التي تصدَّوا لنقلها، ومن لم يفقه المعنى، لم يتأت له البيان عنه، ولا نقله نقلا صحيحا، ولم يكن له بدٌّ

(١) اللغة العربية في الإذاعة والتلفاز والفضائيات في المملكة المغربية.
(٢) في التعريب، ٣٧.
(٣) التصحيح اللغوي.
(٤) أثر الصحافة ووسائل الإعلام في تطور اللغة العربية، ٢٠٥.

من ترجمته ترجمة حرفية؛ لأنه لا يستطيع غيرها. وتشويه التركيب العربي أَضرُّ أنواع التغريب بالعربية؛ لأنه يُخِلُّ بأبنيتها، ويفسد نحوها وصرفها، ويشوههما[1].

وكان بعض تراجمة العصر العباسي ينقلون من الفارسية والهندية والسريانية واليونانية، فيوردون الكلمة الأعجمية بلفظها، أو بتحريف يسير، ولكنهم قلما أدخلوا على العربية أسلوبا من أساليب تلك اللغات، واستعارت العربية في تاريخها الطويل مفردات من اللغات التي كانت تجاورها، وما استعارت من أساليبها إلا قليلا؛ فكان المرء يقرأ بعض الكلام المترجم، فلا يفطن إلى أنه مترجم من شدة مطابقته العربية وأساليبها، كبعض مترجمات عبد الله بن المقفع، فإنه لا يُدرَى أمن إنشائه، أم ترجمها؛ لأن أسلوبها لا يختلف عن أسلوب ما يُظنُّ أنه من إنشائه. وما وقع من خلاف ذلك إنما وقع أكثره في ترجمات السريان، وما كان بعضهم يحسنون العربية، ولا كانت لهم معرفة بالفلسفة، وكانوا نصارى، أو صابئة، فما كان لهم اتصال بالقرآن ولغته؛ فكان أكثر ما يقع في كلامهم العجزُ عن البيان؛ لأنهم ما كانوا يفهمون ما يترجمون. ومما وقع في أساليب العربية القديمة من العجمة بسبب الترجمة ما قال الشيخ محمد الطاهر بن عاشور من أن المنطق «ألمَّ به سوء الترجمة والغفلة عن التطبيق على أسلوب العربية التي نقل لأجلها؛ لأنه علْم لساني أيضا، لا عقلي بحت، حتى نقول إنه لا يختلف باختلاف الأمم؛ فلذلك اشتمل على مسائل، لا تصح في اللغة، منها قولهم: «السالبة تصدق بنفي الموضوع، مع أنه غير موجود في اللغة، وأما ما احتجوا به من قوله: «على لاحب لا يُهتدَى بمناره»، فهو من قبيل الكناية، فإن المنار هو علامة الطريق، ولا يفارقه الاهتداء، فإذا نُفِيَ عنه الاهتداء انتفى ملزومه، وهو المنار. ومنها ذِكْرُ الرابطة، وهي كلمة «هو» لتصحيح الحمل، وهي مفقودة في العربية، في هذا المعنى. ومنها ذكر الاستثناء بلكن في القياس الاستثنائي، مع أنَّ ما بعدها ليس مغايرا لما قبلها، وهي منقولة عن اليونانية. ومنها وضع كلمة «لو» للواقع، مع أنها في العربية للامتناع»[2]. وذكر منها الدكتور طه عبد

---

(١) لافتات الشارع التجاري في المشرق العربي بين العربية والتغريب، وفاء كامل فايد.

(٢) أليس الصبح بقريب، ١٩٥ وما بعدها، وفلسفة اللغة العربية، ٩، واللسان والميزان، ٣٢٩، واللغة كائن حي، ٥٦ وما بعدها.

الرحمن:

١- القلق الصرفي: بسبب النقل الحرفي للصيغ الصرفية اليونانية، كاستعمال «الموجود» حيث يجب استعمال الوجود، واستعمال الصادق حيث يتعين استعمال الصدق، واستعمال الصيغ الطويلة حيث يحسن استعمال الصيغ القصيرة، نحو: المتفقة أسماؤها، المتواطئة أسماؤها، المشتقة أسماؤها، بدلا من: المتفقة، المتواطئة، المشتقة.

٢- استعمال الألفاظ استعمالا يخالف استعمال الجمهور، نحو: يقال على، بمعنى: يدل على.

٣- استحداث الكلمتين: المتى، والمعا، بمعنى: الزمان، والمصاحبة، مع عدم الحاجة إليهما[١].

وذكر منها جرجي زيدان:

١- كثرة الجمل المعترضة.

٢- كثرة الفعل المجهول.

٣- إدخال الألف والنون قبل ياء النسب في بعض الكلمات، كروحاني، ونفساني، وباقلاني، وهو مألوف في اللغات الآرية، ولا يحسن في اللسان العربي[٢].

٤- تركيب الألفاظ مع «لا» النافية، وإدخال «أل» عليها، في نحو: اللانهاية، واللاأدرية، واللاضرورة.

٥- اشتقاق المصدر الصناعي من أسماء الحروف والضمائر، كاللمية، والكيفية، والكمية، والهوية.

٦- نقل الألفاظ من الوصفية إلى الاسمية، كقولهم: المائية، والمنضجة، والخاصة.

٧- أخذ بعض الأساليب الفارسية الإدارية، كصاحب الشرطة، وصاحب الستار[٣].

---

(١) اللسان والميزان، ٣٢٨ وما بعدها.

(٢) اللغة العربية كائن حي، ٥٦ وما بعدها.

(٣) السابق، ٥٧.

وبعض هذه لأساليب متأثر باليونانية تأثرا سلبيا، وبعضها متأثر بها تأثرا ليس فيه ما يخالف العربية، وبعضها ليس بمتأثر بها، فاشتقاق المصادر الصناعية من الحروف، والضمائر، والأسماء الجامدة، والجمل المعترضة، وبناء الفعل للمجهول، ونقل الصفات من الوصفية إلى الاسمية، والإضافة في «صاحب الشرطة» وما شاكله، لا تخالف العربية، وإن كان الإكثار منها أثرا من آثار الترجمة، وقد جدَّ من مقتضيات التكثر منها ما لم يكن قبل العصر العباسي. وأما الألف والنون في نفساني وروحاني وباقلاني فداخلة على أسماء جامدة، لا على صفات، وهي تخالف النسب في العربية.

وقد ابتليت العربية بلغويين متساهلين، يعينون بتساهلهم على كل ما يمسخها، وينتهك هويتها، ويلحقها بالإنجليزية والفرنسية، وذلك بتصحيح كل ما يقال، والاحتجاج له، وجعلوا أنفسهم كالمفتين الرسميين، مهمتهم تسويغ ما يؤتَى، وإن لم يكن له وجه، والاحتجاج له، ولو بأوهى الحجج، فما كانوا يرفضون أسلوبا أعجميا، يصادم روح العربية أو يهددها في الصميم، على إقرارهم بعجمته، وعلمهم بالأسلوب الصحيح، وعلمهم أن هداية المخطئ إليه أولى من تلمُّس وجهٍ لخطئه، على ما قد يكون فيه من تمحُّل، لا يقبله العلم، ولا يرتضيه مَنْ كانت وجهته الحق. ويزعمون أن في ذلك تيسيرا، يحول دون الإعراض عنها، والتبدل بها، وإنما هو حظٌّ في أهواء الكسالى، وتألُّفٌ لقلوب الجاهلين، ما له من فائدة سوى تزيين الاستهانة بالعربية، والتزهيد في تعلمها، والتجريء على التمادي فيما يُؤتَى من إفسادها، وعدم الاستنكاف منه، ثقة بأن في اللغويين من سيلتمس له مخرجا، يرفع عنه الحرج، إن كان يحرجه التنبيه على ما يأتي في حقها. وقد فتح هؤلاء على العربية من أبواب الفساد ما لا قبل لها به، فعقَّدوا نحوها، بما وسَّعُوا من قواعده حتى صارت لا قواعد لها؛ لأنها محمولة مع كلام من تكلَّم، ممن لا علم له بها، ومن يحذو كلامه إذا تكلم على لغة أجنبية. ذلك أن ما يباح من تلك الأخطاء يغدو قاعدة جديدة، أو استثناء من قاعدة، أو شذوذا، يقاس عليه كما يقاس على القاعدة، على ما في ذلك من قلْبِ منطق العلم، بتسوية النادر والشاذ بالغالب والمطَّرد، وإذا كان لكل قاعدة شذوذ، وسُوِّيَ بين الشاذ والمقيس في جواز القياس عليهما، بطل العلم،

وصارت القاعدة أن لا قاعدة. على أن كثيرا مما يبيحون يبيحونه بالتمحل، والتماس المخارج البعيدة التي لا يقتنعون بها في أنفسهم. ولزوم القواعد وردُّ مَنْ خالفها إليها كفيل بالحفاظ على وحدة العربية[1].

وقد اشتدَّ ساعد الذين يرون أن ليس لأحد أن يخطِّئ، وأن لكل امرئ أن يتكلم كيف شاء، وتطاولوا على مَنْ يرون خلاف ما يرون، ورمى بعضهم مَن يعرضون للإصلاح اللغوي، كمصطفى جواد، وإبراهيم اليازجي، ومحمد علي النجار، وبعض اللغويين القدماء، كالأصمعي، بالتشدد[2]، وردُّوا عليهم بتصحيح بعض ما حكموا بخطئه. والمرء إنما يخطِّئ ويصوِّب بحسب علمه، والشواهد التي استدل بها راموهم بالتشدد إما لم يكونوا يعرفونها، ولو عرفوها ما خطَّؤُوا مَنْ وافقها، (وفوق كل ذي علم عليم)، وإما أن لهم فيها رأيا غير رأي من استدلوا بها، كأنها غير صحيحة، أو مِن كلام من لا يحتج به، أو محمولة على غير ما حملوها عليه، إلخ. على أن بعض اللغويين كان له مذهب صحيح في منع بعض ما رُوِيَ عن العرب، هو أن لهجات العرب لا تنتهي، ويجب أن توضع للناس لغة ذات قواعد صارمة، يُلزَمُونها، ولا يرخص لهم في الحيدة عنها، وإنما تقبل اللهجات من أهلها؛ لأنهم كانوا أعرابا لا يتخيرون، وكما لا يُرتَضى استعمال بعض اللغات المروية عن العرب، كالكشكة، والكسكسة، والتلتلة، والطمطمانية، والاستنطاء، والفحفحة، إلخ، وهي لغات صحيحة، قرئ ببعضها القرآن، وكانت أشيع في العرب وأذيع مما ارتُضي في الفصحى، والذين يتكلمون بها أكثر من الذين لا يتكلمون بها، وكما لا يُقبل بعض اللغات، كعطشانة، وريانة، ونشوانة[3]، في غير ضرورة، حرصا على طرد القاعدة، وتيسيرا اللغة على من يتعلمها، لا يرتضى غيرها من اللهجات في الاستعمال. وما فعل هؤلاء هو ما تفعله الأمم التي تصطفي من لغاتها لغة رسمية، يفيء إليها الشعب كله، وكان اللغويون الأولون يعون ما فعلوا من أول يوم، كما يبدو من قول أبي عمرو بن العلاء، وقد سئل عما وضع من قواعد العربية،

---

(١) معجم تصحيح لغة الإعلام العربي، هـ.

(٢) النقد اللغوي بين التحرر والجمود، ٣٧ وما بعدها.

(٣) السابق، ٤٥.

«أَيَدْخُل فيه كلامُ العرب كلُّه؟»، فقال: لا، ولكني «أعمل على الأكثر، وأسمي ما خالفني لغات»[1]. والسماح بغير هذا يوقع العربية في فوضى، تجعل ضبطها مستحيلا، فإن كثيرا مما خالف القياس المطرد مأخوذ من الشعر، ومعلوم ما بُني عليه الشعر من ضيق، وما فيه من روايات، بعضها لا يصح. ثم إن كثيرا ممن يستعملون خلاف الأفصح لا يستعملونه عن علم؛ فيسوغ الاحتجاج لهم بذلك، وإنما يستعملونه عن جهل، فيوافق لغة، لا تُرتَضَى.

وما يأتيه بعض منتقدي التصحيح اللغوي اليوم كان يأتيه بعض النحويين عصبيةً للعرب الأولين، فيخرِّجون أخطاءهم تخاريج يرتكبون فيها غير قليل من الشطط، أما المحدثون، فإنما حملهم على الانتقاد على التصحيح اللغوي ما يسمونه التيسير، وإرادة أن يكون كل من تكلَّم أصاب، وإن أخطأ، وتأثُّر بعضهم بالمذهب الوصفي، فضلا عن قلة العلم بالعربية، والكسل عن تعلمها، والضن بالنفس عن أن تَكْلَف مشقة التعلم، وضعف الهمم، والرضا بالدون. ومما يدل على ذلك أن أشهر اصطلاح من اصطلاحات النقد الحديث، وأذيعه (البنيوية) غير صحيح، فهو منسوب إلى «بنية»، والقياس في النسب إليها بنيي وبنوي، وإجماع النقاد على الخطأ في اصطلاح بهذا الشيوع والذيوع، على سهولة توقيه، يدل على مبلغ الزهد في معرفة الصواب، وأن ما يصدر عن بعضهم ليس إلا خبْطًا، فإن أصاب، فعن غير تحرٍّ للصواب، ولا معرفة بالطرق إليه، وإن أخطأ، فعن غير توقٍّ للخطأ، ولا استنكاف من إتيانه، ومن سمع أحدهم يتكلم، استيقن ذلك. ثم تلتمس لهم المخارج بأن معيار التداول المعاصر لا يقر إلا «البنيوية»، على علاَّتها الصوتية؛ فإنها أكثر اطرادا، وأشيع استعمالا، وقد فرضها التداول، وغلَّبها كما غلَّب النسب إلى قريش بقرشي، على مخالفته للقياس[2]. وإذا كان الذي يشيعه غير العارفين بالعربية من الأخطاء هو ما سيآل إليه، ثم تلتمس له المخارج، وتتنكب من أجل تسويغه القواعد، ويسوَّى بين ما شذَّ وما قيس، وما سمع وما لم يسمع، ويتاح لأقل الناس علما بالعربية أن يستعملها كيف هدته قلة علمه، عُلِم أين تتجه العربية، في هذا العصر، وما سيكون مصيرها. وقد

---

(١) طبقات النحويين واللغويين، ٣٩.

(٢) إشكالية المصطلح في الخطاب النقدي العربي الجديد، ١٣٢.

أخطأ هؤلاء وأولئك بما تنكبوا من سبيل العلم، وعصموا من غير المعصومين، وصححوا من الأخطاء، وهونوا من أمر قواعد اللغة حتى تعذَّر أن تضبط؛ لأن كل ما يُروى منها يُروَى ضده، وإن لم يكن صحيحا، أو كان ضرورة، أو خطأ، أو تغييراً أتاه لغوي عمدا، لحاجة في نفسه. وظنَّ بعض معارضي التصحيح اللغوي أن في ذلك تيسيرا ورفعا للحرج، وقد يكون كذلك في حق من يخرِّج خطؤه على وجه صحيح، لكنه عسَّر على متعلمي اللغة، إذ سوَّى بين القاعدة والخطأ فيها، والشذوذ عنها. وَزَعْمُ أن التمسك بالأفصح يضر باللغة، ويحرمها صيغا وأساليب كثيرة، ويجعلها في نظر المتكلم وعرة الجانب، عزيزة المنال[1]، ما يقوله إلا من ينظر إلى القضية من جانب واحد، فكثرة الصيغ والوجوه هي التي تجعل معرفة اللغة صعبة، ليست لها قواعد، فكيف إذا لم تكن للصيغة مزية، وهي تؤدي ما يؤدي غيرها من المعاني؟.

ومن طريف ما رأيت من هذا أن بعضهم إذا وجد الكاتب أو الشاعر حاد عن القياس، التمس له مخرجا في الشذوذ، فإن رجع بالشاذ إلى القياس، كأن يبني للمعلوم ما لم يُسمع فيه إلا البناء للمجهول، قال إنه تكلم على مقتضى الأصل، فما ينبغي أن يُخطَّأ. فلما خُطِّئَ المتنبي في مجيئه بـ«جائد» من «جاد»، قالوا إنه اتبع القياس، ولما خُطِّئ مَنْ قال هاويا وجَمَعه على هُواة، بأن المسموع فيه هَوٍ، وفي جمعه هوون، وفي مؤنثه هَوِيَة، قالوا إن القياس في اسم الفاعل أن يكون على هاو، ويجمع على هواة، ومؤنثه هاوية، وإن في تخطئة مَن رجع إلى القياس حرمانا للعربية من الانتفاع به، ولا يفعل ذلك إلا «المتزمتون»![2]. ومن المعلوم أن لكل قاعدة شذوذا، وأن الشاذَّ منها يجب التزامه كما يُلْتَزَم القياسي، ومن استصحب القياس في الشذوذ، أخطأ؛ لأن الأصل في اللغة السماع، وإذا ورد، بطل القياس[3]، وإنما يُلجأ إلى القياس عند عدم السماع؛ لأن غاية القياس تبيُّن حكم مجهول من معلوم، فإذا لم يكن مجهول، فلا حاجة إلى القياس، كما قال أبو إسحاق، إبراهيم الشاطبي: «القياس عند أهل اللسان تابعٌ للسماع، فالسماع

(١) النقد اللغوي بين التحرر والجمود، ٤٦.
(٢) السابق، ٤٧ و٥١.
(٣) السماع والقياس، ١٤.

هو الحاكم، لا العكس»[1]، وإذا سُمع في الشيء غير قياسه، امتنع النطق بقياسه[2]. وهذا حكم عام في اللغات كلها، وما أظن أن الإنجليز يسوِّغون لأحد أن يجمع man وtooth وfoot على mans، وtooths، وfoots؛ بأن ذلك هو القياس، ولا أنهم يجيزون جمع fan على fen، قياسا على جمع man على men، وإنما هذا شيء يفعله بعض متأخري النحويين الذين أوتوا براعة في التمحل، جعلتهم يجعلون من أصولهم: «عجبتُ لنحوي يخطِّئ»، على ضربهم المثل بضعف حجج النحويين، وما فيها من تكلُّف، يشكك في اقتناعهم بها. وكان بعض المتأخرين منهم يقبل ما جاء من نادر اللغات، ويبني «على اللفظة الواحدة، تأتي في القرآن الكريم، ظاهرها جواز ما يمنعه النحاة، فيعول عليها في الجواز ومخالفة الأئمة»[3]. وللكوفيين قاعدة، يبنون عليها القياس، هي أنهم «قد يعتبرون اللفظ الشاذ، فيقفون عليه، ويبنون على الشعر الكلامَ من غير نظر إلى مقاصد العرب، ولا اعتبار بما قلَّ أو كثر»[4]. وقيل إن الكسائي، إمام الكوفيين: «كان يسمع الشاذ الذي لا يجوز، من الخطأ، واللحن، وشعر غير أهل الفصاحة والضرورات، فيجعل ذلك أصلا، ويقيس عليه حتى أفسد النحو»[5]. وهو مما يميل إليه المتساهلون الذين يحبون أن يصححوا كلام كل من تكلم، وإن أقروا بأنه محذو على لغة أجنبية، ولذلك يقولون: «إن مذهب الكوفيين أقرب إلى الحق والواقع، إذ أجاز القياس على المثال الواحد المسموع، ولم يعتبر القلة والكثرة، وذلك أن القبائل العربية تتساوى في صحة القول وسلامة اللغة»[6]. غير أن المحققين من العلماء، الذين لا يريدون العربية تمرا، يأبون هذا المذهب؛ لمخالفته منطق العلم، ولما يترتب عليه من صعوبة اللغة، وتعذُّر أن تكون لها قواعد يمكن أن تُتَعلَّم، وإذا رضي النحويون ذلك، لأسباب تخصهم، فما ينبغي أن يرضى به من يقيده العلم، ويربأ بنفسه عما رضي بعض

(١) المواهب الفتحية، ١/ ٣٩.
(٢) السماع والقياس، ١٤. وانظر ما نقل أحمد تيمور عن النحويين في ذلك في هذا الكتاب.
(٣) المواهب الفتحية في علوم اللغة العربية، ١/ ٤٢.
(٤) السابق، ١/ ٤٢ وما بعدها.
(٥) معجم الأدباء، ٤/ ١٧٤٤.
(٦) البحث اللغوي عند العرب، ١٣٨ وما بعدها.

النحويين لأنفسهم. وقد اعترض الأنباري على الكوفيين، فقال: «لو قدَّرنا أن هذه الأبيات التي ذكروها كلها صحيحة عن العرب، وأن الرواية ما ادعوه، لما كان فيها حجة، وذلك لشذوذها وقلتها في بابها، إذ لو طردنا القياس في كل ما جاء شاذا مخالفا للأصول والقياس، وجعلناه أصلا لكان ذلك يؤدي إلى أن تختلط الأصول بغيرها، وأن يجعل ما ليس بأصل أصلا، وذلك يفسد الصناعة بأسرها، وذلك لا يجوز»[1]. وممن انتقدوا عليهم هذا المذهب الفراء، وهو من أئمة الكوفة، فقد قال: «واعلم أن كثيرا مما نهيتك عن الكلام به، من شاذ اللغات، ومستكره الكلام، لو توسَّعتُ بإجازته، لرخصت لك أن تقول: رأيت رجلان، ولقلتَ: أردت عن تقول ذاك. ولكنْ وَضعنا ما يتكلم به أهل الحجاز، وما يختار فصحاء أهل الأمصار؛ فلا تلتفت إلى من قال يجوز، فإننا قد سمعناه، إلا أننا نجيزه للأعرابي الذي لا يتخير، ولا نجيز لأهل الحضر والفصاحة أن يقولوا: السلام عليكِم، ولا جئت من عَنْدك، وأشباهه، مما لا نحصيه، من القبيح المرفوض»[2]. وكثير مما يسوِّغون من الأخطاء يقع فيه مَن لا علم له بالعربية، فهو يقول ويكتب كيفما اتفق، ومَن كان له علم بها، أنسته لغة الإعلام ما علِم، وعوَّدته ما تذيع، فصار كالذي لا يعلم. ومن صحح ما يأتي هؤلاء أفسد اللغة، لا محالة، ونزع منها أهم صفات اللغة الإنسانية، وهي الانتظام، وجعلها بدعا من اللغات، ونهبا، يستعمله كلٌّ كيفما انقاد له. وانظر -تصديقا لذلك- إلى هذا النص الذي كتبه أحدهم يدافع فيه عن العربية: «الجرائد، الصحف، المجلات، كلها تكتب، وعليها البسملة، وتكتب بحروف عربية، تكتب آياتا، تكتب مواضيعا، وحِكَمًا، تكتب كلماتا، وجملا ...، وتشن مع الأسف حربا ضد لغة الضاد،...، يقاتلون العربية بالحرف العربي، ليقتلونها،...، فيظللون، يظللون ... يكتبون أفرنجي بالخط العربي...، وبسمِّهم ينفثون، ينفثونه من نوافذهم، وبأقوال ركيكة يبررون ...، هم مجرمون بحق اللغة العربية ...، يقاتلوننا ليقتلوننا ...، القراء ليسوا غافلون ...، هم بدون غيرة، ولغيرة الجمل يجزعون». وهو نص، أظن أني دونته عام ١٤١٢ هـ، ونسيت أن أدون اسم كاتبه، والصحيفة أو

(١) الإنصاف في مسائل الخلاف، ٢٦٨ وما بعدها.

(٢) تكملة إصلاح ما تغلط به العامة، ٥.

المجلة التي نقلته منها. وليس بنص شاذ، كتبه نكرة؛ فلا يصح الاستشهاد به على ما نريد، بل له نظائر كثيرة جدا فيما يكتب اللغويون، والنقاد والمثقفون، والأساتيذ الجامعيون، كهذه العبارات التي أنقلها من كتاب، ترجمه أستاذ جامعي، ونشرته جامعة عربية مرموقة: «يقول للحكومات الخارجية: آسفين، لن نوفر لكم ١٠٠ مدرس لغة، سنوفر اثنان فقط»[١]، «وجد أن الأدب الإنجليزي ... مفرغا من المحتوى الفني»[٢]، «هناك مثالين فقط، تُعَدُّ استثناء»[٣]، «كما أنَّ هناك تحليلٌ نقديٌّ حول هذا الموضوع»[٤]، «نرى أن هناك تسلسل هرمي»[٥]، «من المحتمل أن يكونوا كذلك؛ كي يبقون فرنسيون»[٦]. ومثل هذا ما يقع فيه عضو من أعضاء مجمع اللغة العربية بالقاهرة، وأستاذ جامعي شهير، من أخطاء، لا تذكِّر إلا بكلام العوام، وحديثي العهد بتعلم اللغة، مثل: المبغوظ[٧] (المبغَض)، مواضبته[٨] (مواظبته)، الحضيرة[٩] (الحظيرة)، والمحضور (المحظور)[١٠]، ونهل مباد‌ءها[١١] (نهل من مبادئها)، ولا أدلَّ على ذلك مثل الكلمات[١٢] (من الكلمات)، شمَّر على ساعد[١٣] (عن ساعد)، أرجينا[١٤] (أرجأنا)، رؤياه[١٥] (رؤيته)، وفرض وجوده إلى يوم الدين هذا[١٦] (يوم الناس هذا)، لوْي اللسان[١٧] (ليُّ اللسان). وقال إن «لو» دون جوابها تستعمل «في

---

(١) الهيمنة اللغوية، ١٤.
(٢) السابق، ٢٤.
(٣) السابق، ٤١.
(٤) السابق، ٥٠.
(٥) السابق، ٨٩.
(٦) السابق، ١٧٠.
(٧) أعمال مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ٧٤.
(٨) السابق، ٧٦.
(٩) السابق، ٦١.
(١٠) السابق، ٣٣٠.
(١١) السابق، ٧٧.
(١٢) السابق، ٣٠.
(١٣) السابق، ٢٤.
(١٤) السابق، ١٨.
(١٥) السابق، ٨٥.
(١٦) السابق، ١٥٩.
(١٧) السابق، ٢٠٤.

العربية الكلاسيكية إذا كانت تعبر عن اللوعة أو الحسرة، مثال: لو زوجتهن»[1]، ويذكر فعل الكون بين ركني الجملة الاسمية كما تفعل الإنجليزية والفرنسية: «إن إصلاح أسس اللغة يكون في حد ذاته هدفا على غاية من الأهمية»[2]، ويقول: «وقد خَصَّص مؤلَّفان (مؤلفين) منها للأساليب العربية»[3]، وهي أمثلة يسيرة مما يقع فيه، ووقعت كلها في رسالته للدكتوراه. وهو -مع هذا- يتنقص أكابر العلماء، ويسخر من قراراتهم، ويسفِّه آراءهم انتصارا لتغريب العربية وإفسادها، بإباحة كل محظور فيها، كحذوها على اللغات الأوربية، وملئها بالدخيل، على وجه يشعر بأن غايته أن يفتح الباب لكل ما يجيء من الغرب، ويغيظه أن يأبى العلماء العارفون بالعربية تشريع ما لا حاجة إليه من الدخيل المفسد، وأن يكونوا أصلاء، غير مخطوفين عن أنفسهم، ويخشون على لغتهم التي نزل بها القرآن، وتكلم النبي -صلى الله عليه وسلم-، وكُتِب التراث، أن تُمات، ويحال بين الأجيال وبينها، فلا تعرف منها إلا ما تعرف من اللغات الأعجمية. فهو يقول -معلقا على تفضيل الشيخ أحمد الإسكندري المعرَّب القديم على الدخيل الحديث-: «ولا شك أن هذه المحاولة متولدة عن سذاجة لغوية، تضرب عرض الحائط بكل محاولة منهجية لعرض القضايا اللغوية المطروحة والتعمق فيها»[4]. ووَسْم كلام عالم جليل، كالشيخ أحمد الإسكندري، لا يدانيه المنتقد في علم ولا فكر، بالسذاجة، مما لا يستساغ في الحوار العلمي. ثم إن السياق الذي أخرج فيه انتقاده يشعر بأنه يبني ما يقول على أساس من العلم قوي، ومن حلَّل آراءه واعتراضاته كلها في كتابه هذا، علم أن كثيرا منها غير ثقيل في ميزان العلم، وأن في بعضها ما يشبه الشغب والتهويل، تهوينا لآراء غيره، وإثارة للخواطر عليه، وهي طريقة معروفة عند بعض من يستمرئون الإيهام، ولا يقوون على المناقشة العلمية الجادة. ودعوى الحداثة، وما يترتب عليها -عند أصحابها- من العمق والعلمية لا يجعلان الخطأ صوابا، ولا الصواب خطأ. وقد كان الشيخ أحمد الإسكندري -رحمه الله- على حق فيما

---

(١) العربية والحداثة، ١٨٠

(٢) أعمال مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ١٦٣.

(٣) السابق، ٨٦.

(٤) السابق، ٤٠٥.

ذهب إليه؛ فالمعرَّب القديم تغلغل في العربية، زمانا، حتى غدا كالكلم العربي، فاستبقاؤه وإخراج الدخيل الحديث الذي لما يتجاوز وسائل الإعلام والكلام الشفهي أيسر، واستبقاؤهما معا لا داعي له؛ لما فيه من تكثير الترادف لغير فائدة، وهو مما اتفق اللغويون المعاصرون على منعه في الاصطلاح[1]. هذا إلى أن القديم صار من طول الاستعمال أقرب إلى أنظمة العربية الصوتية والصرفية؛ لما ناله من صقل وتهذيب، أو كذلك ينبغي أن يكون، أو كثير منه، أما الدخيل الجديد، فباق على لفظه الأعجمي -غالبا- من غير تغيير. ويمكن أن يرى الفرق بين قديم المعرب والجديد في «الخوان» و«الطربيزة»، والأبزن والبيانيو، فوزن الخوان (فِعال) مطابق لأوزان العربية، وكذلك الأبزن (أفْعل)، والطربيزة والبيانيو مخالفان لها، وهما من أجل ذلك أثقل. أما دعوى أن الأبزن مأخوذ من bain، وأن الشعوب التي أخذت هذه الكلمة غيَّرتها من ذلك النطق إلى هذا (الأبزن)، إلخ[2]، فالإسكندري وأمثاله إنما ينظرون إلى كلمة صارت من التراث العربي، ويفاضلون بينها وبين كلمة ترادفها حديثة عهد بالدخول في العربية، ما زال في الوسع رفضها، كما رُفض كثير من الدخيل الذي استعمل زمانا، ثم مجَّه الذوق، لَمَّا وجد ما هو خير منه، وأخف، وأكثر موافقة لنظام العربية الصوتي والصرفي. ولم يعرض الإسكندري وأمثاله لتغير الكلمة من عدمه. وإذا كان الفرق بين اللفظين تغيرا في النطق فقط، فإدخالهما في العربية معا، ومعناهما واحد، ليس مما ينبغي، وهو كإدخال café في العربية، مع وجود مقهى، والكحول مع وجود الغَول، والثانية من الكلمتين هي أصل الأولى، وما بينهما من اختلاف سببه تغير النطق بهما في اللغات التي أدخلتهما من العربية.

ولم يسلم من الخطأ الشنيع بعض الذين يعدون في كبار الأدباء، كأدباء المهجر، والذين يتعاطون الكتابة الصحفية، ويمتهنون العمل في الإذاعة. وكان بعض المهجريين يقرضون الشعر، ويكتبون النثر، ويشاركون في النقد، ولهم ثقافة غربية، لكنهم ما كانوا يعرفون العربية؛ فكان ما يكتبون «سقيم التراكيب،

---

(١) انظر: المصطلحات العلمية في اللغة العربية، ٦.

(٢) السابق، ٦.

مشوش القوالب»[1]. وكان بعضهم يدافع عن عدم علمه بالعربية، ويسخر ممن ينتقد عليه ما يأتي من اللحن، ويحتج بأن اللغة تتطور، ولا تقف على حال؛ فيجب أن يقبل منهم ما يأتون ولا يُنتقد عليهم، كقول ميخائيل نعمية، في مقالته الشهيرة «نقيق الضفادع»: «من طبع هذه الضفادع الحرص بكل قواها على المستنقعات التي تجول فيها، حتى إذا رأتك تقتلع منها ولو قصبة، أو تضيف إليها ولو قطرة من الماء الزلال، تنتفخ حناجرها، ويملأ نقيقها الفضاء»[2]. ودافع عما يأتي هو وأمثاله بأن اللغة آلة بيد الأديب، يتصرف فيها كيف يشاء، ولكن «الضفادع» تريد أن تجعل الأديب آلة بيد اللغة[3]. وهي سخرية، ليس في وسع صاحبها أن يعدو قدره، ولا أن يخفي قلة زاده من العربية. وتغير اللغة لا ينكر، لكنه لا يعني أن تترك نهبا لمن لا يعرفها، ومن يريد أن يعربها فيعجمها. وميخائيل نعيمة وجبران خليل جبران، وأمثالهما من شعراء المهجر وكتَّابه، ما كان لهم من العلم بالعربية ما يسوغ التخلية بينهم وبينها يكتبون بها كيف شاءت لهم قلة العلم بها، ومن قوي عقله نبُه، وتطلعت نفسه إلى الكمال، ومن ضعف عقله خمل، وكسل، وقنع بالدون، ثم التمس المعاذير لما يأتي: (وكان الإنسان أكثر شيء جدلا). ولا يكفي في العلم بالعربية أن يدرس المرء الإنجليزية، ويشدو شيئا من أدبها؛ ليكون كاتبا ماهرا، يتصرف في العربية كما يتصرف العلماء والأدباء، والذين يتكلمونها بالسليقة. والعوام لا يقبلون اللحن في العامية، ولا يتخذون من يلحن فيها قدوة لهم في القول، إذا تكلموا، وحجة يحتجون بها، وإنما يعيبونه، ويستسقطونه، ويَصِمُونه بقلة المعرفة بها، وربما شكُّوا في صحة عقله، وانتمائه إلى البلد الذي ينتمي إليه، والثقافة التي ينتحل. وإذا كان ذلك هو تقويم العامة لمن يجهل العامية، أفيطمع أن يجله الخاصة، وينزلوه المنزلة التي يريد، وهو يجهل من الفصحى ما يجهل ذلك من العامية؟ إن الأدب لغة، والبلاغة نظم، ومن عجز عن نظم اللغة على وجه يبين عن مراده، فما ينبغي أن يُجعل إليه التصرف فيما لا يعرف من نحوها وصرفها. ويقول بعضهم إن المهم

---

(١) وحي الرسالة، ١/ ٣٨٥.

(٢) الغربال، ٩١.

(٣) السابق، ٩٣ وما بعدها.

المعنى وفهمه، لا اللغة. وهو خلاف ما عليه الأدباء والنقاد، من أن الرديء من الألفاظ يقوم مقام الجيد منها، في الإفهام، وأن المعنى قد يفهم واللفظ غَثٌّ مستكرَه، ونافر متكلَّف، ومخالف لقواعد اللغة، وأن الخطب الرائعة، والأشعار الرائقة ما عُملت لإفهام المعاني فقط؛ وإنما يدل حسنُ الكلام وإحكام صنعته، ورونق ألفاظه، وجودة مطالعه، وحسن مقاطعه، وبديع مباديه، وغريب معانيه، على فضل قائله، وفهم منشئه، وأكثر هذه الأوصاف يرجع إلى الألفاظ دون المعاني ولو كان الأمر في المعاني لاطرَّح البلغاء أكثر ذلك؛ فربحوا كدا كثيرا، وأسقطوا عن أنفسهم تعبا طويلا. وإنما البلاغة إيصال المعنى إلى القلب، في أحسن صورة من اللفظ[1]. ما الفرق بين الجاهل باللغة، يسره أن يجعل إماما من أئمتها، والصبي تخيل إليه الحداثة أنْ قد بلغ من معرفة اللغة ما يبلغ الراشدون؟ وإذا جاز أن يُعتدَّ بتصرُّف الصبيان في اللغة جاز أن يعتد بتصرف غير العارفين بها، إذ لا فرق بينهم في قلة العلم بها، سوى أن غير العالم يعظم في عينه ما يصغر من نفسه، ويكبر عليه أن يخطَّأ؛ لأنه يعد نفسه فوق الخطأ، وإذا رُدَّ الصبي إلى الصواب، رجع إليه، ولم يعارض، وسلَّمَ لمن ردَّه. يكون تاجر كلام»[2].

وما يريد المنتقدون على التصحيح اللغوي أن تترك العربية الفصحى تسير كما تسير اللغات العادية، كيف شاء الاستعمال، عالما كان أو جاهلا، وأن يقتصر العلماء على وصفها، ولا يتدخلوا في توجيهها، ولا يحرصوا على صونها. وإذا كان هذا هو ما يفعل المنهج الوصفي، فإن للمنهج المعياري مذهبا آخر، وإذا كان العلمانيون يستوي عندهم أن تتغير العربية تغيرا تاما، وأن تبقى على حالها، بل يبدو من جدالهم، وملاحاة من يخالفهم أنهم يميلون إلى أن تتبدل، فتؤول إلى لغة أخرى، ولا كانوا يرون بأسا بأن تكون لغةً «عالمية»، أكثرُ مفرداتها فرنسي أو إنجليزي، وأساليبها محذوة على أساليب الفرنسية والإنجليزية -فإن غير العلمانيين يعدون من الدين الحفاظ عليها من كل تغير، يحول بين العرب وفهم دينهم وتراثهم. ولو أراد القوم كلمة سواء، ما نازعوا من خالفهم، فإذا كان يستوي عندهم أن تكون العربية على هذا الوجه أو ذاك، وكان الذين يخالفونهم يأبون إلا

---

(١) النكت في إعجاز القرآن، ٧٥ وما بعدها، وكتاب الصناعتين، ٧٣.
(٢) البرقيات للرسالة والمقالة، خ.

أحد الوجهين، فإن قبول ما لا يضرهم ويرضي غيرهم مَخرَج من الخلاف، وهو مقتضى تساوي الوجهين عندهم. لكن من سمات المثقف العربي «التقدمي» الاستماتة في تسويغ كل سلبي يجدُّ في حياة العرب، بمسوغات ليس فيها ما يدل إلا على ضعف الإرادة، والعجز عن صنع التاريخ، وأنه لا يستطيع غير تلاوة بيان الهزيمة والاستسلام، وأنه صفر من روح المقاومة والتحدي، والطموح إلى ما هو خير مِنْ «الواقع». لقد أصدرت المنظمة العربية للثقافة والتربية والعلوم عام ٢٠١٠ م كتابا، عنوانه «السياسة اللغوية القومية للغة العربية»، أعده ثلاثة من حملة الدكتوراه من أهل المغرب العربي، رتبة أحدهم العلمية أستاذ، ينبغي -إن لم يكونوا مخصين في العربية- أن تكون لهم بها معرفة، تؤهلهم لإعداده، بيد أن ما كتبوا لا يدل على ذلك، فقد كُتِب بعربية مغربية[1]، وقلة الزاد من العربية تحمل على مناصرة التساهل فيها، وقبول كل ما يقال، ولو كان قائله أقل الناس علما بها. وكان مما قالوا فيه إنه لا معنى للقول بوجود عربية صافية خالصة من الشوائب، أو ما يتوهم أنه شوائب لهجية، أو مقترضات أجنبية، فالنظرة التاريخية الواقعية للعربية هي التي ستمكن من النهوض بها، وليس وهْم وجود لغة عربية أصيلة، تتقهقر طوال التاريخ كلما ابتعدت عن أصلها النقي؛ لأنه أصل متوهَّم، لم يكن البتة. وقد اغتنت العربية طوال تاريخها وبعد طور التأسيس اغتناء كبيرا، معجما وأسلوبا لانتفاعها بالمستجدات العلمية المعرفية والاجتماعية، وبالإنتاج الثقافي والأدبي والفلسفي والفقهي، والعلمي والتقني، زمن سيادة العرب علماً وحضارةً[2]. و«واقع العولمة الثقافي وما يصاحبه من تلوث لغوي يفرض على أهل العربية اليوم التخلي عن اعتبار اللهجات خطرا على الفصحى واعتبارها امتدادا فعليا لها وحليفا إستراتيجيا في مواجهة التلوث اللغوي»[3]. وليس الأمر أمر تعايش، فإن التعايش أمر مفروغ منه، ولم يعترض عليه أحد قديما ولا حديثا، وإنما الخلاف في إحلال العامية محل الفصحى عن عمد وتخطيط، بحيث تخرج الفصحى من الحياة، وتحشر في أضيق الزوايا، فينفر الناس منها،

(١) انظر مثلا: السياسة اللغوية القومية للغة العربية، ١٣ وما بعدها.
(٢) السابق، ٥٤.
(٣) السابق، ٥٧.

ويقر في نفوسهم أنها لغة ميتة، ويُقصَر استعمالها على فئة قليلة من الناس. وإذا كانت العامية تنال المكانة المعروفة في حياتنا، ثم يتولى تسويغ ذلك منظرو العرب ومفكروهم في المنظمات المعنية برعاية الثقافة والتمكين للعربية، فما ندري عند مَن يرجى الشفاء؟. أما تسويغ هذا بطغيان العولمة، فمباين لمنطق الأشياء، فإن الداء إذا استشرى وعزَّ جانبه، وجب أن يلاقى بما يلائم قوته واستشراءه، فإن قوبل بالتساهل، والملاينة، كان ضرره أقرب، وفساده أطم؛ لأن وسيلة المكافحة الضعيفة لا تلائم بأس الداء وعنفوانه، وحتْم عليها أن تنهزم. ولكنها واقعية العرب: تعني أبدا تقبُّل ما يكون، والتنظير له، وإعلان الهزيمة من غير مواجهة. وإنما الواقعية التصدي بالمتاح من الوسائل لصد المكروه، وليس الاستسلام له. وإذا قرأ المرء ما تصدر المنظمة بشأن التعريب أسف كثيرا لأنها غدت منظمة متفرنسة (فرنكوفونية)، تنظِّر للهزيمة الثقافية وتقبُّلها، وتعلي شأن اللغات الأجنبية، وتنال من التعريب، كما يُرى في قول مُعِدِّي كتابها هذا: الثابت أنَّ تعلُّم اللغات الأجنبية، قسرا، بحكم الاستعمار، أو طواعية، كان له أثر إيجابي في تطوير اللغة العربية وثقافتها، فللاحتكاك اللغوي بالترجمة تأثير إيجابي في تطويعها للتعبير عن المفهومات والتصورات الحديثة. ومن البيِّن أن طور الصراع بين العربية واللغة الأجنبية في عهد الاستعمار انتهى بانتصار العربية، والحد من آثار اللغة الأجنبية في الهوية القومية والوطنية[1]. وللقضية جانب آخر، سكت عنه الكتاب، هو أن الترجمة من اللغات الأجنبية كانت وبالا على العربية، بما أدخلت عليها من مفردات وأساليب أعجمية محذوة على أساليب الإنجليزية والفرنسية، هجنتها، ليس فيها ما هو أمثل ولا أدق بيانا عن المعنى من الأساليب العربية الأصيلة.

وتجاوز الكتاب هذا إلى القول: إن مستقبل العربية والنهوض بها في كل أمر رهن بدعم تعليم اللغات الأجنبية، وتعميمها على أوسع نطاق ممكن، حتى لا تقطع الثقافة العربية صلتها بالمستجدات العالمية، وحتى تتمكن من أن تغني رصيدها المعجمي وطرق أدائها للتعبير عن قضايا العصر ومفهوماته،

(١) السياسة اللغوية القومية للغة العربية، ٥٩.

واصطلاحاته وتصوراته[1]. ومأتى الخلل في هذا الكلام من أمرين: أنه يوصي بما هو واقع، من شدة العناية باللغات الأجنبية وتعليمها تعليما يغطي على تعليم العربية والعناية بها، ويخرجها من أهم مجالات العلم والحياة، ويحشرها في زاوية من الحياة، يرغب عنها جل الناس؛ لأنها لا تتيح من دخول عالم المال والأعمال ما يتيح غيرها، ومنطق الأشياء يقضي بأن يكون الإيصاء بما يُهمَل، وأن يكون الحض عليه بقدر إهماله، وأن يكون التحذير من المرغوب فيه بقدر الإسراف في الإقبال عليه، أما عكس ذلك، فقلب للحكمة، غير أن هذا المنطق هو الذي يتكلم به بعض العرب، ولا سيما بعض أهل المغرب العربي. الأمر الثاني أن الإفادة من تعلم اللغات الأجنبية رهْنٌ بتعلم اللغة الأم، والتمكن منها، فذلك الذي يعين على استيعاب اللغات الأجنبية، وإذا استُوعِبَت أمكن أن يفاد منها الإفادة الصحيحة، وقبل الفقه باللغة الأم لا مطمع في تعلم اللغات الأجنبية تعليما يمكِّن من استعمالها في البحث العلمي، كما أثبتت البحوث والدراسات، ففي تقرير التنيمة العربية لعام ٢٠٠٣ أن جل الذين يعرفون الإنجليزية في الوطن العربي لا يعرفونها معرفة جيدة، ما عدا قلة من أساتيذ الجامعات والمثقفين، وأن ذلك يحول بين الباحثين ونشر بحوثهم في الدوريات العلمية التي تصدر بالإنجليزية، كما يحول بينهم وبين التعليق على ما يحضرون من اللقاءات العلمية، والاشتراك في حلقات النقاش في الشابكة[2]. ومعرفة اللغة الأم هي التي تمكِّن المتعلم من النظر بعين لغته وثقافتها إلى اللغات الأخرى، وتجعل له مركزا ثقافيا، يردُّ إليه كل شيء، وميزانا يزن به ما عند الغير من علوم وثقافات، وتحول بينه وبين الاستلاب، والتبعية الفكرية والثقافية والنفسية التي لا يصلح عليها شأن من شؤون الحياة، وهو ما يُرَى في الدول التي آثرت اللغات الأجنبية على العربية، فقد فقدت نفسها وهويتها، وكانت التبعية والاستلاب الحضاري أظهر شيء في حياتها. ثم إن الحديث عن أهمية اللغات الأجنبية على هذا الوجه، وتعليق كل شيء على معرفتها مبالغ فيه، ومن المعلوم أن أشد الدول العربية عناية بتعليم اللغات الأجنبية من أقلها إفادة منها، وأقلها اكتراثا بالهوية

---

(١) السياسة اللغوية القومية للغة العربية، ٦٠.

(٢) تقرير التنمية الإنسانية العربية للعام ٢٠٠٣، ١٢٤.

والانتماء العروبي. ويظهر الاستلاب في هذا الكتاب الذي بين أيدينا، فإن فيه ما يشكك في جدوى التعريب، وهو الذي وُكل إلى معديه وضع سياسة لغوية قومية للعربية، ولكنهم قالوا: ما الذي ينتج من تعريب البيئة الاقتصادية تعريبا شاملا، والتعامل بين العرب لا وجه للموازنة بينه وبين التعامل الاقتصادي بين البلدان العربية والبلدان غير العربية، والأرجح أن الاختيار الواقعي المفيد لحاضر العربية ومستقبلها فرض العربية في القطاعات التي لا بأس بغياب اللغات الأجنبية فيها، كالإدارة المحلية، والتعليم الأساسي، ووسائل الإعلام، إلخ، وفرض العربية مع حضور اللغات الأجنبية في القطاعات التي يضر بها التعريب الشامل، كالاقتصاد، والتجارة والمال، والبحث العلمي والتقاني، إلخ. أي إن العربية لا بد منها مع اللغات الأجنبية، إما مهيمنة عليها، وإما مشاركة لها، والنهوض بها وثيق الارتباط بالنهوض بتدريس اللغات الأجنبية، على كل حال[1]. ومنطق كهذا ينبغي ألا يكون أصحابه هم الذين ينظِّرون للسياسة اللغوية العربية؛ فإن منطقهم منطق من لا يثق بنفسه، ولا يعامل الغير معاملة الند لنده، وإنما يعامله معاملة التابع، وإلا فإن الدول الأجنبية لها من المصالح عند العرب مثل ما للعرب عندها، وكما تدار العلاقات الديبلوماسية بلغة البلد مع غيره، يمكن أن تدار شؤون المال. وإذا كان المال والتجارة والعلم والتقنية هي أوسع مجالات الحياة العصرية، وأكثرها جمهورا، فاتخذت اللغة الأجنبية لغة لها، لم يبق للعربية مجال مهم سوى الإدارة المحلية، والتعليم الابتدائي، وما يتخاطب به عامة الناس، كوسائل الإعلام. وهذه سيادة ناقصة، لا تحافظ على هوية، وتشعر الشعوب بالدونية والتبعية. والذي تفعله الشعوب العزيزة الجانب، التي تأبى أن تعطي الدنية في هويتها وسيادتها أنها توطن العلوم بلغاتها، وتتخذ مراكز للترجمة، وتصطنع لغتها في البحث العلمي، وتعلِّم طلابها من اللغات الأجنبية ما يفيدهم في البحث. والدول التي سلكت هذا المسلك، وسنت هذه السنة هي الدول المتقدمة، أما غيرها، فليس له شأن يذكر، وهي مسلوبة مغلوبة تابعة مستعبدة. ولا يخفى أن الكتاب لا يستنكف من تقديم اللغات الأجنبية على العربية، وأنه يجعل النهوض بالعربية رهنا بالنهوض بتدريس اللغات الأجنبية،

---

(١) السياسة اللغوية القومية للغة العربية، ٦١

وأنه يرى أن لا مكانة للعربية ولا قيمة لها إلا بذلك. وهي وجهة يعرفها المرء عند متفرنسي المغرب العربي.

ولا يخفى خطأ مجمع القاهرة، ومَن وافقه في التماس المخارج لأخطاء كل من أخطأ، حتى الذين لا يُتوقَّع أن يصيبوا إلا فيما وافق العامية من العربية الفصحى؛ فإنما تُلتَمس المخارج لما صدر عن العارفين باللغة «سهوا أو لضرورة، لا فيما يرتكب عن جهل، أو في سعة من اجتنابه، على ألا يُجعَل قاعدة يسوَّغ بها ركوب الشطط، ثم تتكلف له الأعذار الباردة، والحجج الواهنة»[1]، ولو التُمس التخريج لكل من أخطأ، ما كُتِبَ حرف، إذ قلَّما يكون في الكلام تركيب مخالف للصحة إلا وله وجه يُرَدُّ إليه، ولو حَمْلاً على بعض شواذ الكلام، وإذا كان ذلك، انتهت العربية لا محالة[2]، وهو ما يفعل مجمع اللغة العربية بالقاهرة، حتى كأن لسان حاله يقول، قبل النظر في كلام من تكلم: منك القول، وعلينا التخريج. لقد رجعت إلى «كتاب الألفاظ والأساليب»، وقرارات مجمع اللغة العربية بالقاهرة، وهما كتابان صادران عن المجمع، فصَّلت فيهما لجان المجمع المتخصصة حكْمَ ما نُسِبَ إلى الخطأ من كلام المحدثين، وعُرِضت آراؤها على أعضاء المجمع ومؤتمراته، فلم أكد أجد فيها لفظا أو أسلوبا خُطِّئ، على إقرار اللجان وبعض الأعضاء بأن ما صُحِّح منها يخالف ما ثبت في دواوين اللغة، ولم يُسْمَع عن العرب، وأن بعض الألفاظ والأساليب ترجمة حرفية لمفردات وأساليب أجنبية. وكان كثير من القرارات وصفا بحتا، لا يزيد على ذكر ما قال العرب، وما يقول المحدثون، كأن الأمرين سيان، وكأن المجمع ليس بمؤسسة، تسوس لغة معيارية، أنشئت للقيام على صونها وخدمتها. وانظر -إن شئت- إلى هذه القرارات:

١ - مما تجري به أقلام المعاصرين قولهم: عدد الطلاب، بما فيهم الغائبون أربعون طالبا: «درست اللجنة هذا الأسلوب، وانتهت إلى أنه أسلوب صحيح، معناه: عدد الطلاب مع شيء متضمن فيهم، هو الغائبون»[3]. ولا يخفى ما في

(١) لغة الجرائد، ١٣.

(٢) السابق، ١٣.

(٣) كتاب الألفاظ والأساليب، ٩٧.

الأسلوب المصحَّح والأسلوب الذي خُرِّجَ به من ركاكة، وما في الاحتجاج له من تعسف، وإن المرء ليأسف كثيرا أن النحاة ما زال فيهم من لا يستنكف من هذا ونحوه، على ما فيه من تكلُّف، ورياضة ذهنية، تتنكب العلم، وتتجاهل طبيعة اللغة، ولا تلقي بالا للسماع، وتأتي ما لا يليق بمجمع علمي، أعضاؤه يعرفون ما تَزِنُ حجج النحويين، وما تستند إليه، ويميزون الحقيقة اللغوية من القدرات الذهنية ومرونة اللسان، ولا يخفى عليهم أن صحة المعنى لا تستوجب صحة المبنى، وما كل أسلوب وافق معناه معنى أسلوب صحيح كان صحيحا، ولا أن ما ينتهي إليه التخيل ليس هو ما قالت العرب، وأن كون الكلام يمكن حمله على معنى من المعاني لا يعني أن العرب تكلمت به، كما أن كون كلام الصبيان، وحديثي العهد بتعلم العربية له معنى، لا يعني أنه عربي. وفي العربية ما يؤدي معنى هذا الأسلوب، ويغني عنه، نحو: «الطلاب، ومنهم الغائبون، أربعون طالبا»[1]. وردُّ المخطئين إلى الصواب خير من حضهم على التمادي في الخطأ، بإجازته، وتسويغه بما لا يُعتدُّ به من حجج النحويين. وإذا كان من دأب متأخري النحاة أن يذهبوا في التمحل كل مذهب، فيُعجِب بعض الناس تمحلهم، فقد آن أن يُقصِروا عن ذلك، وينزعوا منزعا علميا، يقتنعون بنتائجه قبل أن يقنعوا بها، وأن يعلموا أن الزمان غير الزمان، وأن ليس من العلم ما كان مصدره «الذوق»، و«الحال»، والخيال، وأن الباحثين عن الحقيقة لا يقنعهم إلا ما يمكن أن تقام عليه البراهين التي يشترك الناس في إدراكها، والقدرة على تقويمها، وأن هذا النهج في الدرس النحوي كان ضره أقرب من نفعه، وبسببه اجتوى الناس النحو، واجتوى بعضهم العربية؛ لأنهم لا يميزونها منه.

٢- «مما تجري به أقلام كثير من المعاصرين نحو قولهم: قد أدى واجبه، ومحمد هو الآخر يؤدي واجبه، فاطمة تصلي، وهند تصلي هي الأخرى»: درست اللجنة هذا الأسلوب، وناقشته من شتى نواحيه، وانتهت إلى أنه لبيان المماثلة، وقد يكون للتبكيت، على نحو ما جاء في «تفسير الإمام الرازي»، من قوله: «يقول من يكثر تأذيه من الناس -إذا آذاه إنسان-: هو الآخر جاء يؤذينا، وربما يسكت على قوله: أنت الآخر، فيفهم غرضه، كذلك هنا»...، ولهذا ترى

(١) كتاب الألفاظ والأساليب، ٩٦.

اللجنة أن التعبير صحيح، لا بأس على الكتّاب فيه»[1]. وما قال الرازي هو: «ويُحتَمل أن يقال: «الأخرى» تستعمل لموهوم أو مفهوم، وإن لم يكن مشهورا ولا مذكورا»[2]، وهو احتمال جعله خامس احتمالات خمسة، فسَّر بها قول الله -تعالى-: (ومناة الثالثة الأخرى)، ويضعِّفه أنه لم يُسمع عن العرب، وأن «هو الآخر جاء يؤذينا» -فيما يبدو- من كلام أهل زمان الرازي، ولم ينسبه إلى أحد ممن يُحتجُّ بهم. ولو جاز أن يحتج به لجاز أن يحتج بكلام كل من يتكلم اليوم من العلماء، ولا سيما الذين يُعْنَوْن منهم باللغة والأدب. وكان أسامة بن منقذ عالما وأديبا وشاعرا وناقدا، وكان من أهل القرن السادس الهجري، وهو عربي صليبة، وكتابه «الاعتبار» -مع ذلك- ملآن بالعامية الشامية في عصره، وما ورد فيه لا يُحتجُّ به في العربية الفصحى، وكذلك الرازي، وكان من أهل القرن السادس الهجري (٤٨٨- ٥٨٤ هـ). وقد خُطِّئَ سيبويه، على جلالة قدره وعلمه، وتقدمه، وقرب عهده بالعرب، ومِيزَ علمه من سليقته، إذ كانت اللغة إنما يُتكلم بها «من غير وعي بمنطقها الخفي»[3]، وما سبق منها إلى العقل تمكَّن فيه، وتحكَّم فيما يتعلم من اللغات، فغلب عليه من حيث لا يدري؛ ولذلك قال الجاحظ: «العلماء الذين اتسعوا في علم العرب حتى صاروا إذا أخبروا عنهم بخبر كانوا الثقات فيما بيننا وبينهم، هم الذين نقلوا إلينا. وسواء علينا جعلوه كلاما وحديثا منثورا، أو جعلوه رجزا وقصيدا موزونا. ومتى أخبرني بعض هؤلاء بخبر لم أستظهر عليه بمسألة الأعراب، ولكنه إن تكلم وتحدث، فأنكرتُ في كلامه بعض الإعراب، لم أجعل ذلك قدوة حتى أوقفه عليه؛ لأنه ممن لا يؤمَن عليه اللحن الخفي قبل التفكر»[4]. ومما يصدِّق ذلك قول سيبويه: «وأما «بلى»، فتُوجِب به بعد النفي، وأما «نعم»، فعِدَة وتصديق...، فإذا استفهمت فقلت: أتفعل؟ أجبت بنعم، فإذا قلت: ألست تفعل؟ قال: بلى، يجريان مجراهما قبل أن تجيء الألف»[5]. غير أنه استعمل «نعم» مرتين في بضعة أسطر على خلاف

(١) كتاب الألفاظ والأساليب، ٩٥.
(٢) تفسير الفخر الرازي، ٢٨/ ٢٩٦.
(٣) الغريزة اللغوية، ٢٤.
(٤) الحيوان، ٤/ ١٨٤.
(٥) الكتاب، ٤/ ٢٣٤.

ما قال، وذلك في قوله: «وإن زعم زاعم أنه يقول: مررت برجلٍ مخالطٍ بدنِه داءٌ، ففرَّق بينه وبين المنون، قيل له: ألست تعلم أن الصفة إذا كانت للأول، فالتنوين وغير التنوين سواء، إذا أردت بإسقاط التنوين معنى التنوين...، فإنه لا يجد بدًّا من أن يقول: نعم، وإلا خالف جميع العرب والنحويين، فإذا قال ذلك، قلتَ: أفلستَ تجعل هذا العمل إذا كان منونا، وكان لشيء من سبب الأول، أو التبس به، بمنزلته إذا كان للأول؟ فإنه قائل: نعم»[1]. فقد وقعت «نعم» في الحالين جوابا لاستفهامين منفيين بـ«ليس»، وكان ينبغي أن يجيب عنهما بـ«بلى».

ونبه محمد كرد علي على ما يقع في كلام أنستاس الكرملي من خطأ، على علمه بالعربية، وقضائه جلَّ عمره في درسها، فقال إن كتابته كانت سهلة، خالية من الألفاظ التي تعلو عن أفهام جمهور القراء، لكن ديباجتها لا تناسب كتابة رجل قضى عمره وسط كتب بلغاء العرب، أي إنه ما كان كاتبا بليغا، وتَعْرِض له الركاكة أحيانا[2]. من أجل ذلك كان عدم الاحتجاج بلغة كبار العلماء، وعدم الاحتجاج بالحديث الشريف لتأثره بلغة المحدِّثين، قضية علمية بحتا، والعالم إذا تكلم نزع إلى سليقته غير الواعية لا إلى علمه، فيخطئ، إذا كانت اللغة التي يتكلمها بالسليقة تخالف اللغة التي يتكلمها بالتعلم، فلا ينتبه إلى ما يقع فيه إلا أن يراجع كلامه، فيعرضه على علمه، أي بعد أن يعود إليه وعيه، وربما لا يفطن لخطئه، فيبقى فيما كتب. ولما كان الغالب على المرء النزوع إلى الطبع، وسليقته أشد تملُّكا له من علمه، كان الاحتجاج بكلامه على اللغة التي لا يتكلمها بالسليقة غير متجه. وهذا ما حمل اللغويين على قصر الاحتجاج على أهل زمان ومكان بعينهما من العرب، كانوا مظنة صحة الطبع، والسلامة من المؤثرات التي تنال من السلائق. ونحن حين نقول هذا لا نطعن في علم عالم، وإنما نضعه حيث ينبغي أن يوضع. فكلام العالم لا يحتج به إلا إذا صرَّح بأن ما يقول موافق لما يعلم، فيكون التعويل حينئذ على علمه، لا على سليقته. ولما كان كثير من كتاب العرب المعاصرين لا يدركون هذه الحقيقة التبس عليهم من يحتج بكلامه ومن لا يحتج به، وظنوا أن عدم الاحتجاج بكلام العلماء

---

(١) الكتاب، ٢/ ١٩.

(٢) المعاصرون، ١٤١.

والشعراء المتأخرين عن زمن الاحتجاج تعصب وتشدد، وأن الشعراء والأدباء جميعا ينبغي أن يعاملوا معاملة واحدة، وأن يجعلوا مصدرا للغة.

٣- «يستعمل بعض المعاصرين من الكُتَّاب تعبير: «عاش الأحداث»، وقد درست اللجنة هذا التعبير، وانتهت إلى أنه تعبير صحيح، يقال لمن عاصر الأحداث، سواء أشارك فيها أم لم يشارك. وأن توجيهه على تضمين «عاش» معنى «عاصر»[1]. مع أن «عاش» كثيرا ما تستعمل استعمالا آخر لا يمكن حمله على معنى عاصر، كقولهم عاش تجربة، وعاش آلامه، إلخ، بمعنى قاسى، واحتمل، وخبر، وذاق. ومن المعلوم أن الذي يستعمل «عاش» هذا الاستعمال لم ينظر إلى المعنى الذي فسَّرته به لجنة المجمع، وليس له من السليقة والمعرفة باللغة ما يظن المحتجون له، وإنما ترجم ترجمة حرفية: Il a vecu l'épreuve /lived an experience، lived the events[2]. وقد يقول اللغويون إن العبرة بموافقة اللغة ومخالفتها، لا بعلم المتكلم أو جهله، وهذا صحيح، لكنْ في الأساليب التي سمع عن العرب مثلها، أو ما هو قريب منها، وما له وجه صحيح في العربية، لا تمحُّل فيه ولا تكلُّف، وليست فيه شائبة الترجمة الحرفية من لغة أجنبية، أما الاحتجاج لهذا ونحوه فاستعمال للعلم ومرونة الذهن في إفساد العربية، وهو أمر، إن فعله من يجامل في مقام من المقامات، لسبب من الأسباب، ما ينبغي أن يفعله مجمع علمي، فضلا عن أن يكون ديدنه، كإجازته «ثار ضد الحكم»، و«مشى بصورة جيدة»، و«سار بشكل حسن»، في قراريه اللذين يقول فيهما: «يخطِّئ بعض النقاد ما تجري به أقلام المعاصرين من قولهم...، وقد درست اللجنة هذا، فانتهت إلى أن الأسلوب صحيح، وأن كلمة «ضد» فيه يمكن أن تكون صفة لمصدر محذوف»[3]، «يخطِّئ بعض النقاد قول بعض المعاصرين: مشى بصورة جيدة، أو سار بشكل حسن، ويرون أن الصواب فيه: مشى مشيا جيدا، وسار سيرا حسنا. وترى اللجنة أن الأسلوب الأول صحيح أيضا؛ لأنه يتضمن بيانا لهيئة الحدث، أو صاحبه»[4]. وإنما «ضد»

(١) كتاب الألفاظ والأساليب، ٨٥.
(٢) اللغة والحضارة، ٤٢ و١١٥.
(٣) كتاب الألفاظ والأساليب، ٩٢.
(٤) المعجم الوسيط، (ش ك ل).

في هذا الأسلوب ونحوه ترجمة حرفية لـ contre / against، أما «بشكل»، و«بصورة»، فترجمة حرفية أيضا للأسلوب الفرنسي: de façon، وليس لهما وجه آخر. وليست تخطئة من يُخَطِّئ الأسلوب الأخير من أنه يرى أنه لا يبين الهيئة، وإنما لأن «بشكل»، و«بصورة»، في هذا الأسلوب لا معنى لهما، إذ الشكل يعني هيئة الشيء وصورته، والشِّبْه والمِثْل[1]، وتعني الصورة الشكل، والنوع، وماهية الشيء المجردة، وخياله في الذهن أو العقل[2]، ولأن المراد من هذا الأسلوب بيان نوع العامل (مشى)، والذي يبينه أن يقال: مشى مشيا جيدا، وسار سيرا حسنا. وإجازة هذا ونحوه من الأساليب الأعجمية يعني مسخ العربية، وتحطيم الحدود بينها وبين اللغات الأوربية، والعون على التعجيل باستلحاقها. وقد يعسر على من ينحو هذا النحو في التخريج والاحتجاج، ولا يستنكف منه أن يعجز عن رد خطأ في العربية إلى الصواب، بالغا ما بلغ من العجمة، ومباينة العربية في كل شيء، وهو يجعل العربية بدعا من اللغات، ليس لها نظام، ومعيار الصواب فيها الكلام، ولا مرجع للكلام فيها إلا المتكلم، لا التعاقد بين المجتمع، كما هو شأن سائر اللغات. ومما تخالف فيه العربية التي هذا حالها العامياتِ العربية، أن للعاميات نظاما، يلتزمه أهلها، وليس لأحد أن يخرج عنه، وليس فيهم من يقبل الخطأ، إذا وقع، أو يخرِّجه، أو يسوغه، أو يتساهل في قبوله. وما يفعل مجمع اللغة يبطل الثقة به وبأعضائه الذين رضوا أن ينصبوا أنفسهم مجادلين عن أخطاء التراجمة غير العارفين بما يترجمون، ولا باللغات التي يترجمون منها، ولا بالعربية التي يترجمون إليها، ملتمسين لهم كل واهٍ من الحجج، بما أوتوا من علم وبيان، مخذِّلين عمن ينتصر للعربية، جادِّين فيما يسقطون به أنفسهم من عيون العلماء وطلاب العلم كما سقط المفتون الرسميون من عيون الناس؛ بما رأوا من مسارعتهم في هوى من لا يحرص على تبيُّن حكم الله، وإعراضهم عما تقتضي الأمانة والميثاق، من بيان الحق. وسيترتب على هذا أن يغدو المجمع مؤسسة رسمية منعزلة عن الشعب وقضاياه وما يهمه، وربما شعر بعضه بأنها مصدر من مصادر إفساد لغته وكيدها، وأن

---

(١) المعجم الوسيط، (ص ور).

(٢) كتاب الألفاظ والأساليب، ٩٤.

مهمتها ضرار العربية، لا خدمتها وصونها، كما يقتضي ميثاقها. على أن المرء لو جاز له أن يلتمس عذرا لهؤلاء وأولئك لكان المفتون أولى بالعذر، لما يتملَّكُهم من الرَّغَب والرَّهَب، وليس في عمل اللغويين ما يُرْغَب أو يُرْهَب، فيما يظهر للناس. وهذا العمل يسقطهم من عيون العارفين بالعربية واللغات الأجنبية من غير العرب، فإنه يظهرهم مَهَرَةً بالتلعُّب بالألفاظ، وصرْف القواعد إلى حيث شاء الهوى، وطحا الخيال، وزيَّن التكلُّف، وسوَّلت المهارة الذهنية الزائفة. وإذا كان هذا -قديما- يدل على صفة محمودة في النحوي، هي قدرته على التأويل، والتخريج، ولطف النظر، وإدراك ما دقَّ ولطُفَ من أوجه الشبه والعلاقات بين الأشباه والنظائر، فإنه غير مقبول اليوم؛ لأنه مناف لمنهج العلم، لما فيه من إسقاط، وفرْض للهوى على اللغة، وتطويع قواعدها لأمور مفروضة على نتائج البحث والاستقراء. وهذا من أسباب قول ابن حزم إن أكثر النحو تكاذيب[١]، وقول ابن السيد البطليوسي في بعض علل ابن جني وتخاريجه: «إذا كان الأمر على هذا السبيل، كان التشاغل بما تشاغل به ابن جني عناءً، لا فائدة فيه»[٢]، وقول أبي العلاء المعري على لسان ابن القارح، يخاطب عدي بن زيد العبادي: «لقد هممتُ أن أسألك عن بيتك الذي استشهد به سيبويه، وهو قولك:

أرواح مودع أم بكور، أنت، فانظر لأيِّ حالٍ تصير

فإنه يزعم أنَّ «أنت» يجوز أن يرتفع بفعلٍ مضمرٍ، يفسره قولك: فانظر، وأنا استبعد هذا المذهب، ولا أظنُّك أردته. فيقول عديّ بن زيدٍ: دعني من هذه الأباطيل»[٣]. وإذا كان النحويون ربما أقنعوا غير العارفين بتلك «الأباطيل»، و«التكاذيب»، وما «لا فائدة فيه»، فهل يمكنهم أن يُقنعوا عارفا باللغات الأوربية الحديثة بأن «الكاف الدخيلة الاستعمارية»، كما سماها محمد تقي الدين الهلالي[٤]، في نحو: «نحن كعرب لا نفعل كذا» عربية، وأنها للتمثيل، أو التعليل، وأن لها أصلا في العربية، يمكن أن تخرَّج عليه، وهو يعلم متى استَعملها العرب، ويعرف مبلغ علم أول من أدخلها في العربية، ويعلم أنها إنما

---

(١) رسالة مراتب العلوم، ٤/ ٦٦ وما بعدها.

(٢) الاقتضاب في شرح أدب الكتاب، ٢/ ١٠٩.

(٣) رسالة الغفران، ١٩١.

(٤) تقويم اللسانين، ١٠.

استعملت أول مرة ترجمة لـ as الإنجليزية، و als الألمانية، و comme الفرنسية، و como الإسبانية[1]، وأنها لا تدل على التمثيل والتعليل في شيء مما تستعمل فيه في العربية الحديثة، وأن معناها، لو صح أنها للتمثيل، هو: نحن مثل العرب لا نفعل كذلك، وهو بعيد من المعنى المراد، بل لا معنى له، ومعناها، لو صح أنها للتعليل: نحن لأننا عرب لا نفعل كذا، وليس هذا هو المراد، وإن كان التعليل من معاني مرادفاتها الأوربية، ويعلم أن الأسلوب العربي الذي يبين عن معنى الأسلوب الأوربي الذي تستعمل فيه هذه الكلمات، هو التخصيص، وأن الجملة السابقة ينبغي أن تكون: نحن العربَ لا نفعل كذا، وكذلك قولهم: أنا كمسلم لا أكذب، إنما ينبغي أن يكون: أنا أيها المسلم ما أكذب[2]. وإنما تنكَّبَ الترجمة الصحيحة مَنْ تنكَّبها لقلة علمه بالعربية واللغات الأوربية، وظنه أن الكلمات الأوربية المذكورة إنما تدل على التشبيه وحده؛ لأنه أشهر معانيها. وليس لأن التشبيه من معاني الكلمات الأوربية السابقة، وأنه أشهر معانيها، يسوغ أن تترجم بالكاف، أو بحرف من الحروف العربية التي تدل على التعليل؛ لأن التعليل من معانيها في اللغات الأوربية؛ لأن دلالتها عليه ربما كانت مما لا يعرف التراجمة الذين وضعوها بإزاء الكلمات الأوربية أول مرة؛، وآية ذلك أن الأساليب التي تستعمل فيها الكاف ليس فيها ما يمكن حمله على أسلوب من الأساليب التي تستعمل فيها الكاف للتعليل، في العربية، هذا إلى أن دلالتها على التعليل في العربية، عند من يرى من النحاة أنه من معانيها، نادرة، ولا يعرف أمثلتها إلا بعض النحويين، والتراجمة قديما وحديثا من أقل الناس علما بالعربية. وقد شرط الذين يرون أنها تكون للتعليل أن تتصل بـ«ما» الكافة، كقول الله -تعالى-: (واذكروه كما هداكم)، أما ما اعترض به ابن هشام من ورودها للتعليل في (وي كأنه لا يفلح الكافرون)، غيرَ متصلة بها، فلا يخفى أن معنى الكاف فيه مختلف عن معنى مقابلها في اللغات الأوربية اختلافا كبيرا، وأن السياق يدل على أن الكاف في الآية ليست للتعليل، وأن الكلمة مؤلفة من «وي»، اسم فعل مضارع للتعجب، والكاف، وهي إما للخطاب وإما ضمير، فهي كالكاف في قول عنترة:

---

(١) الكاف التمثيلية، ١٣١.

(٢) انظر: شرح شذور الذهب، ٢٨٦.

ولقد شفى نفسي وأبرأ سقمها   قيل الفوارس: ويْكَ، عنترَ، أقْدِمِ

وكما أن الكاف في هذا البيت ليست للتعليل ليست الكاف في الآية للتعليل أيضا. ويرى الكسائي أن أصلها «ويلك»، والكاف ضمير في محل جر، وعند الخليل وسيبويه أن «وي» وحدها، والكاف للتشبيه[1]. وإذا سُلِّم لابن هشام أنها للتعليل، فإن دلالتها عليه مشروطة بأن تُسبق بـ«وي»، وحينئذ يكون استعمال الكاف في التعليل مشروطا بأحد أمرين: اتصالها بـ«ما» الكافة، أو مجيئها بعد «وي»، ولا يخفى أن استعمالها في العربية الحديثة ليس فيه ما يتصل بـ«ما» الكافة، ولا ما يُسبق بـ«وي»؛ فلا يصح إخراجها عن معنى التشبيه. وحملها على التعليل يجعل الكلام -في كثير من الأحيان- لا معنى له، وما يكون له معنى يكون محولا عن المعنى الذي تدل عليه الكلمة الأجنبية المترجمة، وكذلك تفعل الترجمة الحرفية؛ لأنها ترجمة آلية. وإذا لم يَرِد هذا الأسلوب في كلام مَنْ مضى من العرب، قبل العصر الحديث، وعُرفت أصوله في اللغات الأوربية، وتاريخ دخوله في العربية، ثم اشتغل النحاة بستويغه وتخريجه، وادعاء أنه عربي، فمن ذا الذي يثق بعد هذه بعلمهم وعقولهم، وجدارتهم بأن يتولوا أمر العربية، وأن يكونوا خلفاء العرب الأقحاح؟!

لقد قدَّم الشيخ عبد الله كنون -رحمه الله- بين يدي ما قال في هذه الكاف أن اقتباس الأساليب كاقتباس المفردات، لا ضير فيه، ولو كان في العربية ما يماثلها، فإنه كالمترادف، والمترادف قلَّما يخلو من فرق دقيق بين معانيه[2]. واستبعد أن يكون معنى الكاف في الأسلوب السابق التشبيه؛ لأن المشبه به في الأساليب التي تستعمل فيها اليوم هو المشبه، ونَفَى سائر معانيها التي ذكر النحاة غير التعليل، وقال إنهم -غيرَ ابن هشام- قيدوا مجيئها للتعليل بأن تكون مكفوفة بـ«ما». ثم قال إنه لا يمنع أن تكون في: «الوالي كأحد رجال السلطة يجب أن يحتفظ بهيبته»، للتعليل، ويكون التقدير: لأنه من رجال السلطة، وكذلك: «فلان كوزير لا ينبغي أن يتعاطى التجارة»[3]. وقال، بعد أن نقل كثيرا

(١) الجنى الداني، ٣٥٣.

(٢) الكاف التمثيلية، ١٣١.

(٣) السابق، ١٣٢

من أقوال العلماء في معنى الكاف في «كمثل»: فتلخَّص من هذا أن الكاف، وهي للتشبيه، قد يُعنى بها ما يُعنى بمثل ذات الشخص، والشخص نفسه، فإذا قلنا: فلان كسفير يمثل بلاده أحسن تمثيل، فالمراد فلان نفسه، وإنما عُدل إلى هذا التعبير بقصد الكناية التي هي أبلغ من التصريح[1]. وقال إن من معاني الكاف أن تكون اسمية بمعنى مثل، فإذا قيل: زيد كأديب له شهرة عالمية، كان معناه زيد مثلَ أديب، بنصب «مثل» على الحال، «ولعله أن يكون على ما تقدَّم أبلغ من قولنا: زيد أديبا. وقلت: «لعله»؛ لأني لا أجزم بهذا الحكم، ولا آخذ بهذا النظر الذي شرحته حتى يحصل على موافقتكم (أعضاء مجمع القاهرة)»[2]. وما أحب أن أطيل الوقوف عند هذا الكلام، فليس بأمثل مما قد رأينا من كلام النحويين وما فيه من تمحُّل، ولا يخفى على أحد أن كل ما مثَّل به الشيخ -رحمه الله- من الأمثلة لدلالة الكاف على التعليل ليس فيه ما يصدق على هذا الأسلوب، وأنه أسلوب أوربي بحت، وإن كُتِب بحروف عربية، ولا يجوز أن تُلتمس له مخارج في العربية؛ فإن ذلك أشبه بالتلفيق منه بكل شيء آخر، ولن تقبله العربية كما لا تقبل الأجسام الأجسام الغريبة عنها[3]، وإن قبله العرب كما يقبلون كل غريب من الألفاظ، والصور، والهيئات. ومن بديع التخاريج ما قال الشيخ محمد رفعت فتح الله، خبير لجنة الأصول بالمجمع: «ونحن نرى إجازة هذا الأسلوب بأحد وجهين من الوجوه التي ذكرها العلماء للكاف: الوجه الأول أن تكون الكاف للتشبيه...، فإذا قلت: «أنا كباحث أقرر كذا وكذا»، فهو على تقدير: «أنا كشخص باحث أقرر»...، والوجه الثاني أن تكون الكاف حرفَ جر زائدا للتوكيد، فقولك: «أنا كباحث أقرر كذا وكذا» بمعنى قولك: «أنا باحث أقرر كذا وكذا»، فيكون «باحث» خبرا أول، تليه جملة خبر ثان. أو بمعنى قولك: «أنا باحثا أقرر كذا وكذا»، فنصبَ «باحث» على الحالية، لكن زيادة الكاف أعطت فضل توكيد»[4]، يقول هذا مع أنه يقول في صدر كلامه إن هذا الأسلوب «بعثته الترجمة المعاصرة»، وإن كان البعث يدل على أنه كان يستعمل

(١) الكاف التمثيلية، ١٣٢.
(٢) السابق، ١٣٢
(٣) اللغة العربية ووسائل الإعلام، ١٠٠.
(٤) في أصول اللغة، ٣/ ٢٢٢ وما بعدها.

قديما في العربية، ثم مات، أو قلَّ، فأحيته العربية الحديثة، ولو صح ذلك، لأتى بمثال واحد من العربية القديمة، يصحح به دعواه. واحتجاج اللغويين لما يُحدث التراجمة أسوأ من إحداث التراجمة؛ لأنهم يحتجون للخطأ عن علم بخطئه وبأصله، ويحدثه التراجمة عن جهل. غير أن المحتج له لن يكون إلا نحويا أزهريا، يفكر بعقل نحاة العصر المملوكي والعثماني.

٤- «وترى اللجنة -مع أنه ليس فيما تقدم (من كلام العرب) نصٌّ صريح على صحة كلمة «انعدم»- أنه يمكن إجازتها، نظرا لاستعمالها منذ قرون مضت، وللحاجة إليها كثيرا في المجالات العلمية[١]».

٥- «يقرأ العرب الأعداد المركبة من المائة فصاعدا من اليمين إلى الشمال، فيقولون: نحن في سنة ست وثمانين وتسعمائة وألف، والمحدثون يقرؤونها من الشمال إلى اليمين تأثرا بلغات الغرب، فيقولون: نحن في سنة ألف وتسعمائة وست وثمانين»[٢]. فالمجمع يصف، ولا يحكم، ومهمته كمهمة الوصفيين من اللغويين المحدثين؛ فما يقول العرب، وما يخالف ما يقولون، وما يُحذى على لغة الغرب متساويان عنده.

٦- وصححت اللجنة «لا أعرف فيما إذا كان قد حدث هذا»، وقالت إنه لا حرج في استعماله[٣]. مع أن الأسلوب ترجمة حرفية لـ Je ne sais pas si ceci est arrivé /I don't know if that happened.

ولم يخطِّئ المجمع شيئا من هذه الأساليب التي عرضت عليه، وإنما صححها، أو اقتصر على القول إن القدامى من العرب يقولون كذا، ويقول المحدثون كذا، ولم يزد على ذلك، ما عدا ما قال في «تأكدت من»، فقد قال إنها لا تصح إلا على وجه بعيد[٤]، أي إنها يمكن أن تخرَّج على وجه صحيح، وإن كان بعيدا، وفي أسلوب «وبالتالي» إنه «دخيل، وإن لم يكن خاطئا»[٥]، وقال في التكتل والكتلة: «والعرب لا يعرفون تكتَّلَ إلا بمعنى تجمَّع وتدوَّر،

---

(١) كتاب الألفاظ والأساليب، ١٢.
(٢) القرارات المجمعية في الألفاظ والأساليب، ٤٧.
(٣) كتاب الألفاظ والأساليب، ١٢٣ وما بعدها.
(٤) القرارات المجمعية في الألفاظ والأساليب، ٧.
(٥) السابق، ٩.

ولا من الكتلة إلا بمعنى ما «جُمع» من التمر والطين ونحوهما»[1]، وفي القيِّم: «يقول المحدثون: كتاب قيم، ومقالة قيمة، أي له ولها قيمة. ولم يسمع عن العرب هذا المعنى، وإنما يطلقون اسم القيِّم على زوج المرأة، وعلى متولي الأمر، والقيِّمة: الديانة المستقيمة»[2]. والغالب على قراراته أن يجيز ما استُعمل، وأن تكون مهمته تخريج الاستعمال والاحتجاج لصحته، كما أجاز النسب إلى كيمياء بـ: كيميائي، وكيمياوي، وكيماوي، وكيموي، وكيمي[3]. وكان ينبغي أن يكون تدخُّله من أجل الضبط والجمع على قاعدة، أو كلمة، أو أسلوب، لا ليقر الفوضى والتشتت، ويسوي الخطأ بالصواب، والعلم بالجهل. من أجل ذلك قال أحد الباحثين إن الأساليب المنقولة من اللغات الأجنبية، لا سيما الإنجليزية، إذا شاعت جاءت مجامع اللغة العربية، تجر ذيول الاستكانة والقبول بالأمر الواقع، فجادلت عنها في اجتماعاتها ومؤتمراتها وناظرت، «ثم تخرج بقرارات ومراسيم تجيزها، وتحتج لها، بعد ما فات السبت»[4].

ويكثر مثل هذا في كتاب «الوضع اللغوي» لمحمد حسن عبد العزيز، وهو عضو في مجمع القاهرة، كقوله إن استعمال «حتى» كما هو شائع اليوم «أثر من آثار الترجمة عن اللغات الأجنبية، فهي تشبه استعمال even، في الإنجليزية، في هذا الأسلوب ونحوه: he never open even the letter، أي: لم يَفتح حتى الرسالة، وقولهم: it was cold there even in july، أي: كان الجو هناك باردا حتى في يوليو. ومع إقراره بأن الأسلوب غير عربي، وأنما هو أثر من آثار الترجمة من الإنجليزية، اقترح على المجمع أن يصححه، ويسوِّغ تصحيحه بحمل «حتى» على أن تكون عاطفة، والمعطوف عليه محذوف، أو أن تكون حرفا للغاية، لا يُبنى على وجوده أثر إعرابي فيما بعده[5]. وفي هذا ما يدعو إلى العجب: أن يُقِرَّ بأن الأسلوب إنجليزي، ثم يخرِّجه على الأساليب العربية، ولقد كان علمه بحذوه على كلام العجم، جديرا بصرفه عن التماس وجه له في

(١) القرارات المجمعية في الألفاظ والأساليب، ١٩.
(٢) السابق، ٣٩.
(٣) انظر معجم الأغلاط اللغوية المعاصرة، ٥٩٤، وإشكالية المصطلح في الخطاب النقدي العربي الجديد، ٤٩٤.
(٤) كتاب الأعاجيب ٤٩.
(٥) القياس في اللغة العربية، ١٧١.

العربية، فإن كان يتقلَّد المذهب الوصفي، ويرى أن مهمته أن يصف اللغة كما يُتكلَّم بها، دون حكم بصواب أو خطأ، أو بحسْن أو قبْح[1]، قال إنه أسلوب جديد في العربية، دخلها بطريق الترجمة، وبيَّنَ أصله في اللغة التي دخل منها، ثم أمسك عما سوى ذلك. وقد وافق مؤتمر المجمع عام ١٩٧٧ على عدِّ «حتى» في هذه الأساليب عاطفة على محذوف مفهوم من المقام[2]. ومن هذا تسويغه الجمع بين «لم» و«لن»، و«لن» و«لا»، على إقراره بأنه لم يعهده فيما قرأ، ولم يتحدث عنه النحاة في باب العطف، وإنما هو من آثار اللغات الأجنبية في العربية المعاصرة، ففي الإنجليزية يقال: I didn't and will not write to him، وhe does not and will not write to him[3]، وقال إن أقرب ما وجد إليه أنهم يتحدثون في باب العطف عن الجمع بين «إما» و«إما» بالواو. غير أنه أتبع هذا الإقرار أنه يرى أن العطف في المثالين السابقين قد يكون من عطف الجملة على الجملة، وأن الأصل في هذه العبارة: «إن صورتها لم ولن تغيب عني» هو: إن صورتها لم تغب عني ولن تغيب عني، ثم حُذفت جملة «تغيب عني» اختصارا واستغناء بالجملة الثانية عن الأولى. وكذلك الأمر في: إن موقفك لا ولن يغير رأيي. واقترح أن يساغ الجمع بين «لا» و«لن»، و«لم» و«لن»، ويخرَّج على أنه حُذف من الجملة الأولى ما هو موجود في الجملة الثانية، أو أنه من قبيل عطف الحرف على الحرف[4]. وعُرِضَ اقتراحه على المجمع فأجازه[5]. لقد أقرَّ بأن الأسلوب محدث، أي ليس من كلام العرب، وأنما هو أثر من آثار الإنجليزية في العربية، أي إنه أسلوب أعجمي، بيد أنه أجازه، واحتجَّ له بتقدير حذف بعض الجملة، وتقدير الحذف إنما يبين معنى الكلام، ولا يثبت صحة الأسلوب، وإنما يثبتها السماع، أو القياس. والمنحى الذي ينحوه محمد عبد العزيز يخالف قوله إن اللغة أعراف، وإن العرف هو الذي يحدد معايير الاستعمال في اللغة، والمتكلم بلغة، يستعملها على وفْق العرف

---

(١) القياس في اللغة العربية، ١٢٦.

(٢) السابق، ١٧٢.

(٣) السابق، ٣/ ١٨٤.

(٤) في أصول اللغة، ٣/ ١٨٢، والوضع اللغوي في الفصحى المعاصرة، ١٨٣ وما بعدها.

(٥) الوضع اللغوي في الفصحى المعاصرة، ١٨٤ وما بعدها.

اللغوي الاجتماعي، فالصواب ما وافق العرف، والخطأ ما خالفه، فالعرف هو الذي يقرر القواعد، وهو الذي يحافظ عليها. والمعيارية مقبولة في اللغة بل ضرورية في كثير من الأحوال، وهي لازمة لتعليم اللغة القومية والحفاظ عليها من تأثير اللهجات، وإن كانت غير مقبولة في دراسة اللغة، فينبغي على الدارس أن يصف ما يسمع وصفا موضوعيا، وليس من عمله أن يضع قواعد للحكم بالخطأ والصواب[1]. لقد نص مرسوم إنشاء مجمع اللغة العربية بالقاهرة على أن غايته أن يحافظ على سلامة العربية، ويجعلها وافية بمطالب العلوم والفنون في تقدمها، ملائمةً لحاجات الحياة في العصر الحاضر[2]، فإذا سَوَّغ الخطأ البيِّن، وجعل العجمة الصُّراح من العربية، واحتجَّ لها، فهل يصح القول إنه حافظ على سلامتها؟ وإذا فتح الباب للدخيل على مصراعيه، يلج كيف شاء له الكسالى، وغير العالمين، ومن لا يبالون ما يكون عليه العرب والعربية بعد قرن من تأسيس المجمع، ومن يسرُّهم أن تزال الحدود بين العربية والإنجليزية والفرنسية، ويرون وحدة اللغات الإنسانية، وأن يكون بينها من التقارض في المفردات والأساليب ما يكون بين الشعوب من تقارض الأفكار، فهل يمكن القول إنه عمل بما أُنشئ من أجله؟ أم عمل بضده؟ لقد إنشئ للمحافظة على سلامة العربية، فألحقها بالفرنسية والإنجليزية، مفردات وأساليب ودلالة، ولم ينجز شيئا آخر، وهو أمر تتولى منه الصحافة والإعلام ما ليس في وسع أحد، أما المجمع، فأعظم إنجازاته تسويغ ما يأتي غير العالمين، والاحتجاج له، كأن مهمته أن يؤيد ما يُصنَع بالعربية، ويحض عليه بما يتكفل به من رفْع الحرج عمن يأتيه.

لقد قال أحد الذين يرون أن يكون الاستعمال هو معيار الصحة والخطأ في اللغة إن المجمع أجاز زيادة الواو في النسب إلى «وحدة ونسبة»، وكان حقه أن يطلق الجواز في كل ما شاع على ألسنة المعاصرين، «وقد فرضت هذه الكلمات وأمثالها نفسها على لغة المعاصرين، فلعل المجمع يتنبه إليها فيجيزها

---

(١) القياس في اللغة العربية، ١٢٧.

(٢) مجلة مجمع اللغة العربية الملكي، ١/ ٦.

دون تأخير»[1]. وإذا كان معيار الصحة والجواز هو الاستعمال وحده، فلا معنى للمجمع، ومنْعُه وإجازته من تحصيل الحاصل، مادام الاستعمال هو الميزان الذي توزن به صحة انتماء الكلمة والأسلوب إلى العربية الفصحى. وإذا أُجيز كل ما يقع فيه غير العالمين بالعربية من أخطاء، صارت العربية عربية جديدة، ليست هي عربية القرآن، من أهم سماتها الحذو على الفرنسية والإنجليزية، وصارت في عداد اللغات الأوربية. وبإجازته كل ما شاع تكون مهمته مناقضة لما كان يفعل العلماء القدماء، من صونها من الخطأ، أن يدخلها، أو يُعَدَّ منها، بتبيانه، والردِّ عنه إلى الصواب؛ وكانوا يعدون الخطأ خطأ كائنا من كان الذي يأتيه، ولم يميزوا خطأ عالم من خطأ عامي أو جاهل، ولا التمسوا له ما يلتمس أعضاء المجمع لأخطاء غير العالمين، ولا جعلوا استعمال العلماء مصدرا للغة، وإنما بينوا أخطاءهم كما بينوا أخطاء العامة؛ لئلا يُظَنَّ أن وقوع الخواص في الخطأ دليل على صحته. فصانوا العربية من أجل ذلك حتى وصلت إلينا، لم ينلها من التغير ما نال غيرها من اللغات. وإذا تمادت مجامع اللغة في هذا ونحوه سيرا على نهج بعض المجامع الأجنبية، فلسوف يُصيِّرون العربية كاللغات التي لا يخشى عليها أهلها التبدل؛ لأنهم لا يرون فرقا بين عاميها والفصيح، ولا يعطفهم عليها من عواطف الدين والحرص على الوحدة الثقافية ما يعطف العرب على العربية.

لقد قال عبد القادر المغربي، عضو مجمعي دمشق والقاهرة إنه يجدر بالمنقطعين لخدمة العربية في المجامع اللغوية أن يتقصَّوا الأساليب الأعجمية الدخيلة، فيدونوها، كما دَوَّن مَن سبقهم الكلمات الأعجمية المعربة، ويميزوا الغث منها من السمين، ويهيئوها للدخول في المعجم الجديد[2]، وإن كلا من تعريب الأساليب وتعريب الكلمات أمر، يتعذَّر تجنبه والاحتراز منه، في لغات البشر، والعناية الإلهية التي جعلت لتفرُّق بذور النبات نواميس، تساعد على نموها وبقاء جنسها جعلت للغات نواميس، تساعد على نموها وتكاثر

---

(١) من الآثار الإيجابية للغة الإعلام، ٨٥.

(٢) مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ١/ ٣٣٤.

أساليبها[١]. وقال إن دخول الأساليب الأعجمية في العربية كان في الجاهلية، وكثر في الإسلام، وربما نما وتكاثر في العصر العباسي، وربما وُجدت له أثار في شعر عدي بن زيد العبادي، وقد رُبِّيَ في بلاط الأكاسرة، وشعره مملوء بالكلمات الأعجمية، فبعيد ألا تكون فيه أساليب أعجمية أيضا. وكذلك شعر الأعشى وغيره من الشعراء الذين خالطوا الأعاجم، وتأثروا بثقافتهم[٢]. واستدل على نشوء الأساليب الأعجمية في صدر الإسلام بقول أبي هلال العسكري: «مَنْ عرف ترتيب المعاني، واستعمال الألفاظ على وجوهها بلغة من اللغات، ثم انتقل إلى لغة أخرى تهيّأ له فيها من صنعة الكلام مثل ما تهيأ له في الأولى؛ ألا ترى أنّ عبد الحميد الكاتب استخرج أمثلة الكتابة التي رسمها لمن بعده من اللسان الفارسي؛ فحوّلها إلى اللسان العربي»[٣]. ولا يعني أبو هلال بأمثلة الكتابة الفارسية -في نظره- إلا أساليبها التي لا عهد للعرب بها. وهو كلام يقيس حيث لا يصح القياس، وقد كان من اليسير عليه -لو شاء- أن يقرأ شعر عدي بن زيد والأعشى، ويستخرج ما فيه من الأساليب الدخيلة، إن شاء أن يكون لكلامه مستند علمي، يسوِّغ ما يريد، ويقطع قول كل خطيب، بدلا من أن يبني حكمه على احتمالات، تساوي أضدادها. ومما ينقض قياسه أن في القرآن الكريم معرَّبا، ولم يقل أحد إن فيه أساليب أعجمية قياسا على ذلك، ولا أن اقتراض المفردات يسوغ اقتراض الأساليب. ثم إن أمْر المفردات والأساليب شتى: المفردات تشتد حاجة بعض الناس إليها في كل وقت، لعدم وجود ما يقابلها في لغتهم، كالكلمات المعربة من الفارسية: جلها أسماء أدوات، وأطعمة، وملابس، ونحوها من الأشياء المادية، ويندر فيها ما يدل على علم أو فكر، أو ديانة، وما كان منها كذلك فإنما عُرِّب في الإسلام، إذ تعلم العرب الفارسية، وقرؤوا آدابها، وتعرَّب المثقفون من الفرس، فترجموا أدبهم إلى العربية. أما الأساليب، فطرائق في الإبانة عن المعاني المركبة، وطرائق الإبانة عن المعاني لا تنتهي، وليس في لغة أسلوب إلا يمكن العدول عنه إلى غيره، وما من لغة

---

(١) مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ١/ ٣٣٣.

(٢) السابق، ١/ ٣٣٣.

(٣) كتاب الصناعتين، ٦٩.

إلا يمكن أن تستغني بأساليبها في البيان عن أساليب غيرها؛ من أجل ذلك يتفق الباحثون على أن في معجمات اللغات الأوربية المئات أو الألوف من المفردات العربية، ولم أر فيما اطلعت مَنْ ذَكر أنها تأثرت بأسلوب من أساليب العربية، وكذلك أمر العربية في الجاهلية وصدر الإسلام. والتأثر بالأساليب يستوجب المعرفة باللغتين معرفة تجعلهما تتنازعان في العقل، فتغلب إحداهما الأخرى، ولا يتأتى التأثر قبل ذلك، بخلاف المفردات، فإنه يكفي فيها أن يسمع المرء اسم الشيء، لا نظير له في لغته، فيأخذه، أما الأسلوب، فلا بد أن تُعرَف معاني مفرداته، والعلاقة بينها، ووجه دلالتها على المعنى المراد، ولا يتأتى ذلك إلا بتعلم اللغة، إلا ما كان من العبارات الشائعة الجارية مجرى المفردات، كألفاظ التحية، والمجاملة، وما شاكلها، نحو: good morning، وgood luck، وça va، وAu revoir، فإن المرء يحفظها حين يسمعها المرة والمرتين ونحو ذلك، وربما حفظها من أول مرة كما يحفظ المفردات، ولا يفكر في ترجمتها إلى لغته؛ لأنه إنما يعرفها لفظا واحدا، لا يدري أين تبدأ المفردة منه، ولا أين تنتهي، وهل هو كلمة أو كلمتان أو ثلاث، أو أكثر من ذلك، وإنما يعرف المناسبات والمقامات التي تُلْقى فيها، فيلقيها كلما عنَّت، ولا يعرف منها ما وراء ذلك، فهي بمنزلة الكلمات المفردة. من أجل ذلك لا يُتوَقَّع أن تنتقل أساليب الفارسية إلى العربية في الجاهلية وصدر الإسلام؛ لأن عرب الجزيرة الذين خالطوا الفرس ما كانوا متعلمين، فكانوا إذا احتاجوا إلى شيء من الفارسية أخذوه بلفظه، مفردا كان أو مركبا، ولم يترجموه، كما يفعل عوام العرب اليوم باللغات الأجنبية، وهم في ذلك بخلاف المتعلمين، فإن من الكثير أن يحتاجوا إلى الترجمة منها؛ فيكون في لغتهم من الحذو على اللغات الأجنبية ما قد رأينا، وقد يسقط إلى عربيتهم من أساليب اللغات الأجنبية ما يسقط إليها من المفردات، دون وعي. على أن الذي يهمنا أن الباقي من شعر عدي بن زيد الذي يمكن أن يكون صحيحا لا يختلف عن غيره من الشعر الجاهلي إلا في لينه، كما نبه على ذلك محمد بن سلام الجمحي، وعلَّله بأنه «كان يسكن الحيرة، ويراكن الريف؛ فلان لسان، وسهل منطقه»(١). وكان الأصمعي؛ من أجل ذلك يقول إنه «ليس بفحل ولا

(١) مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة،١/ ١٤٠.

أنثى»[1]. وذكر النقاد ما أُخِذ على شعره، من جهة المعاني، والأوزان، واللغة، كإبدال الهمزة ألفا في قوله:

يا ليت شعري وان ذو عجَّةٍ متى أرى شربا حوالي أصيصْ[2]

ولم يجعلوا منه تأثر لغته بأساليب الفارسية، وإن كان يُرْوَى أن بعض اللغويين لم يستشهدوا بشعره، كما لم يكونوا يستشهدون بكلام أهل الحيرة كلهم، ولا بكلام الذين كانوا يخالطون العجم من العرب، في الشام والعراق، وشمالي الجزيرة، وشرقيها وجنوبيها؛ لأنهم مظنة التأثر بلغاتهم، وهو عمل مبناه على الاحتياط، كما قال أبو عبيدة: «والعرب لا تروي شعره (عدي)؛ لأنّ ألفاظه ليست بنجديّة»[3]. غير أن هذا يخالفه أن المبرد نسب إلى عدي البيت:

أكلَّ امرئ تحسبين امرأ ونار توقَّدُ بالليل نارا[4]

وهو من شواهد سيبويه، وإن نُسِبَ في كتابه إلى أبي دواد الإيادي[5]، واستشهد سيبويه أيضا بقوله:

أرواح مودّع أم بكور؟ ... أنت فانظر لأيّ حال تصير[6]

واستشهد غيره من النحاة واللغويين بشعر عدي وأبي دواد، وهما من أهل الحيرة، كما استشهدوا بشعر بعض العرب الذين كانوا يخالطون العجم في أطراف الجزيرة. أما الأعشى فلم يميزوه من سائر الجاهليين، وليس كعدي بن زيد، فقد كان عدي عارفا هو وأهل بيته بالفارسية، ورُبِّيَ في فارس، ودرس في مدارسها؛ فدواعي تأثُّر لغته بالفارسية أقوى، وإن لم يذكر اللغويون والرواة من شعره ما يدل على ذلك، أما ورود كلمات أعجمية في شعره، فقد ورد مثلها في شعر أشد العرب إيغالا في البداوة، في عصور الاحتجاج كلها.

وما أعرف أحدا قال إن عربية الجاهلية تأثرت بأساليب الفارسية إلا ما قال فاضل عبد الحق من أن تقديم الصفة على الموصوف، في نحو: طيب الرائحة، وحسَن الحظ، وضيِّق اليد، من تأثير الفارسية في العربية، فإنه يقال فيها: خوش

---

(١) سؤالات أبي حاتم السجستاني الأصمعي ورده عليه فحولة الشعراء، ٣٧.

(٢) رسالة الغفران، ١٩١.

(٣) سؤالات أبي حاتم السجستاني، ٣٧.

(٤) الكامل في اللغة والأدب، ١/ ٢٢٩.

(٥) الكتاب، ١/ ٦٦.

(٦) السابق، ١/ ١٤٠.

بو، تنگ دست، تنذْ خو، فتأثَّر بها أهل العراق وشرقي الخليج العربي[1]. ولم يفطن إلى ما بين تقديم الصفة في العربية وتقديمها في الفارسية، فتقديم الصفة في العربية تقديم إضافة، أي إنه يَنقل الأسلوب من الوصفية إلى الإضافة، فيجعل الموصوف في المعنى مضافا إليه، بخلاف تقديمه في الفارسية، فإن الوصفية فيه باقية على حالها، فالصفة صفة، والموصوف موصوف لفظا ومعنى، إلا أن الصفة تقدَّم على الموصوف، والعلاقة بينهما ليست كالعلاقة بين المضاف والمضاف إليه: العلاقة بين المضاف والمضاف إليه علاقة نسبة، والعلاقة بين الصفة والموصوف علاقة وصف بموصوف. والإضافة في الأمثلة العربية المذكورة من إضافة الصفة إلى فاعلها. ويمكن أن تقدم الصفة على الموصوف على وجه آخر، بأن يكون الموصوف في المعنى تمييزا لها محولا عن الفاعل، نحو: طيب رائحةً، وحسنٌ وجهًا، وضيقٌ يدًا[2]. وهذا هو الأصل الذي كان عليه التركيب قبل الإضافة، ثم أضيفت الصفة إلى التمييز إضافة لفظية، وحذف التنوين طلبا للتخفيف، وحذفه هو غرض الإضافة اللفظية. ومما يبعِّد أن تكون إضافة الصفة إلى الموصوف أثرا من آثار الفارسية أنها مما يتكلم به العرب جميعا، وليست لبعضهم دون بعض، فهي كرفع الفاعل، ونصب المفعول، وتقديم المضاف على المضاف إليه، وتأخير المجرور عن الجار، ولو كانت أثرا من آثار الفارسية لكانت مما يتكلم به أهل العراق والخليج، دون سائر العرب.

أما النص الذي نقل عبد القادر المغربي عن أبي هلال، فليس فيه ما يدل على التأثر بالأساليب الأعجمية، وإنما المراد به فن الكتابة، أو «أدب الكتابة»، كما كان القدماء يسمونه، فهذا هو الذي حذق عبد الحميد الكاتب من الفارسية، وهو الذي نقل إلى العربية، كما هو صريح في قول أبي هلال: «استخرجَ أمثلة الكتابة التي رسمها لمن بعده من اللسان الفارسي، وحوَّلها إلى اللسان العربي»، وهذا هو الذي إذا حذقه المرء في لغة انتفع به في كل لغة، وأمكنه أن ينقله إليها، أما اللغة وأساليبها، فلا تنقل، وإنما يتعلمها من أراد أن يتكلم بها، أما حذو اللغة على اللغة، فليس مما يُعلَّم؛ لما فيه من الإفساد والتهجين، ومَنْ وقعَ في كلامه

---

(1) مغامرات لغوية، ١٤١ و١٥٧ وما بعدها.

(2) النحو الوافي، ٣/ ٢٩٥.

لم يُرتَضَ، ولو وقع منه في كلام عبد الحميد، وأمكنه أن يتخلص منه، لفعل، فكيف يتقصاه ويدل عليه، ثم يُتَقَبَّل منه؟!.

وكان إبراهيم السامرائي يرى أن لا ضير على العربية من دخول طائفة من الأساليب الدخيلة، بل ربما أفادت منها ونمت، كما لا ضير من قبول ما قبلت من الدخيل. «ومن صفات اللغة الحية أن تقبل من غيرها فتزدهر وتنمو. وإذا علمنا أن اللغة ظاهرة اجتماعية، فقد قبلنا أنها متطورة متجددة، يؤثِّر فيها الزمان والمكان»[1]. وكان عليه أن يميز الأساليب من المعاني، كالتشبيهات، والاستعارات، والأفكار، أما المعاني، فلا يضير العربية «أن تستعير من اللغات الأخرى مجازات جليلة، واستعارات جميلة، على شريطة ألا تكون نابية منافية لطبيعتها، مباينة لأذواق أهلها، عسيرة على مداركهم»[2]، وألا يُتَوَكَّأ عليها كلَّ التوكُّؤ؛ فيُستغنَى بها عن الاختراع، فإن ذلك دليل عجز، يورث الرضا بالمتابعة، واستنساخ العتيد، أو انتحاله، ويصرف عن التفكير والإبداع، وهو مما مُنِيَ به العرب في هذا الزمان لاتكالهم على ترجمة ما يُنشَر في الغرب، والاستغناء باستيراده عن اختراع مثله أو ما هو خير منه، كما استغنوا باستيراد السلع عن بناء المصانع. ولا جرم أن في ترجمة المثل والحكمة، وما جرى مجراهما إغناءً للعربية بالمعاني، وإضافة لعقول أهلها إلى عقول العرب، أما اقتراض الأساليب، والحذو عليها، فمسخ للغة، وانتهاك لهويتها. والذي أدخل هذه الأساليب هم التراجمة الذين لا يعرفون العربية ولا اللغة التي يترجمون منها، كما أقرَّ بذلك السامرائي[3]. لكن مما يتعذر فهمه أن السامرائي إذ يقبل الأساليب الدخيلة يقر بأنها غرَّبت اللغة: «فليس غريبا أن تأتي إلينا عربيةٌ جديدة كل الجدة، في ثوب قُدَّ لها في عصرنا هذا، وليس بدْعًا أن تكون هذه العربية «متغربة» في كثير من كلمها واصطلاحاتها، ثم أساليبها»[4]، فكيف يقبل الأساليب التي تغرِّب العربية، إلا إذا كان لا يرى بأسا بتغريبها؟. يبدو أن بعض اللغويين لا يميزون المعنى من الأسلوب، وأنهما يستعملونهما بمعنى، كما يبدو من عبارة مجمع

(١) العربية تواجه العصر، ٤٨ وما بعدها.

(٢) اللغة العربية والعصر، ٩.

(٣) السابق، ٤٦.

(٤) السابق، ٤٧.

اللغة العربية بالقاهرة: فالباب مفتوح للأساليب الأعجمية تدخله بسلام؛ فليس فيها كلمة أعجمية، ولا تركيب أعجمي، وإنما هي كلمات عربية محضة، ركبت تركيبا عربيا خالصا، لكنها تفيد معنى لم يسبق لأهل اللسان أن أفادوه بتلك الكلمات[1]، وإذا كانت المفردات عربية، والتركيب عربيا صحيحا، فالأسلوب عربي؛ لأن اللغة إنما تتميز من غيرها ببنائها النحوي والصرفي، لا بما تشتمل عليه من المعاني. على أن إبراهيم السامرائي ربما قادته «الواقعية»، وما شاع بين لغويي العرب المعاصرين من تقلد المذهب الوصفي، إلى خلاف ما يريد، فإن ما تدل عليه كتبه وبحوثه أنه يحرص على صحة العربية وأصالتها، وسلامتها مما ينال من هويتها، ومن أجل ذلك كتب ما كتب من البحوث في الانتقاد على العربية الحديثة، وبيان ما دخلها من الأخطاء، وآثار الترجمة في ذلك، وبيَّن تأثر عربية أهل المغرب العربي بالفرنسية وأساليبها، وقال إن فيها شيئا كثيرا من الرطانة[2]، وإن قال مرة أخرى -على سبيل المجاملة- إن جملة ما يُؤثَر عنهم «صحيح، تحتمله العربية، بوجه من الوجوه، ولكنه ذو خصوصية، اكتسبها من أنه منقول عن أصل أعجمي»[3].

لقد كان من أقدم من نبه على ضرر الترجمة الحرفية، وحذو العربية على اللغات الأجنبية، وما سيجران على هويتها من تبدل، يوهان فك، فقد قال إنه يقرِّب الشقة بين العربية الحديثة واللغات الأوروبية الراقية تقريبا بينا، قد يترتب عليه أن تُعَدَّ من فصيلتها[4]. وتابعه جاروسلاف ستتكيفيتش[5]، وقال إن ذلك سيمكِّن العرب من التغلب على الصراع بين العامية والفصحى، وإن العربية الحديثة ستكون لغة للفكر المتطور جدا، وسوف تكون مثلا للنشاط والقوة[6]، وهذا التطور والمزايا إنما نالتها بمشابهتها اللغات الأوربية. وهو رأي مبني على تحيز واضح، وإلا فما الذي جعل النحو الأوربي خيرا من النحو العربي،

---

(١) مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ٢٢٢ (نقلا عن: العربية تواجه العصر، ٥١).
(٢) اللغة العربية ووسائل الإعلام: أترجمة أم عدوى لغوية؟ ١٠٦.
(٣) في لغة الإعلام، ١٧.
(٤) العربية، ٢٤٠.
(٥) العربية الفصحى الحديثة، ٢٧٧ و٢٧٩ و٢٨٢ و٢٨٤.
(٦) السابق، ٢٨٥.

وغلبَه مدعاة إلى التقدم والصناعة، وعدمه مدعاة إلى التخلف؟ ما الذي يجعل الفكر الذي تُبين عنه: «الأمر خطير وخطير جدا»، أكثر مرونة وتطورا من الفكر الذي تبين عنه: «الأمر خطير خطيرا جدا»؟ هل مجرد إسقاط حرف العطف بين التوكيد والمؤكد؛ لأن ذكره، لو ذُكر كما يُذْكَر في اللغات الأوربية، من باب عطف الشيء على نفسه، والشيء إنما يعطف على ما يغايره، هل يَقْعُد ذلك بالفكر عن التطور، وإثبات هذه الواو يجعله يتطور؟ وما الذي جعل «أراه يوميا» أكثر مرونة وتطورا من «أراه كل يوم»؟. ولو احتكمنا من الدنيا إلى حكم، وكان لزاما علينا أن نفاضل بين أساليب اللغات، لكان لزاما أن نقول إن الأسلوب العربي هو الأسلوب المنطقي؛ لأن المراد من العبارة الأولى هو التوكيد، ليس إلا، ودلالة التكرار على التوكيد أوضح من دلالة العطف، وكون العطف يقتضي التغاير، والتغاير ليس هو المراد في هذا السياق، أكثر منطقية، فالعدول عنه إلى التوكيد هو المنطقي. «أما أزوره كل يوم»، فإن المراد بها شمول الزيارة الأيامَ كلها، وإذا كان ذلك يفهم من العبارة الأوربية التي تُترجَم ترجمة حرفية بـ«أزوره يوميا»، فإنه لا يفهم عند العرب إلا من «أزوره كل يوم»، فالعبارتان متكافئتان، وليس العدول عن إحداهما إلى الأخرى بالذي يكون سبب تقدم أو تأخر. ومما لا يجادل فيه عارف بالعربية، يلم ببعض اللغات الأوربية أن اللغات الأوربية ليست فيها واحدة تداني العربية في مرونتها، وتنوع أساليبها، وغزارة مادتها، وصلاحيتها للبيان عن المعاني بأبلغ ما يكون من العبارات وأشدها مطابقة لما في النفس. أما ما وصف به ستتكيفيتش أسلوب طه حسين من السذاجة والوضوح[1]، فإن مرد ما يُحمَد من أسلوب طه حسين إلى أصالته، ومعرفة ما يعرف من العربية وآدابها، وتأثره بالقرآن وأساليبه، وأساليب كبار كتاب العربية وبلغائها الأولين[2]، ولا سيما الجاحظ، وليس فيه ما يمكن رد الجمال فيه إلى محاكاة الأساليب الفرنسية، أما ما ورد فيه من الأساليب الفرنسية المترجمة، والمفردات الدخيلة، فليس مما يحمد له، بل هو من مواطن الغميزة فيه[3]، أما

(١) العربية الفصحى الحديثة، ٢٨٥.

(٢) العربية والبحث اللغوي المعاصر، ٢٥٩.

(٣) انظر: العربية والبحث اللغوي المعاصر، ٢٦١ - ٣١٢.

أولاً، فلأنه مقلِّد للدارج من العبارات الفرنسية الجارية على كل لسان، وليس في التقليد فضيلة أو دليل على قدرة بيانية، وأما ثانيا، فلِمَا يدل عليه من هجنة، إنما يتصف بها ضعاف الكتاب، ومن يريدون أن يستميلوا العامة وأشباه العامة بالجديد عليهم، وإن لم يكن جديدا في نفسه، ولا متميزا، وهو عمل، لا يتضح وجه الحسن فيه. لا يتضح وجه الحسن في أن يقول طه حسين في عمر بن أبي ربيعة إنه «إنما كان يحب بحسه وحسه، ليس غير»[1]، وقوله: «مضى المسلمون بعد ذلك في إقامة سياستهم على المنافع، وعلى المنافع وحدها، إلى أبعد حد ممكن»[2]، فالحس الثاني هو الحس الأول، في العبارة الأولى، والمنافع الثانية هي المنافع الأولى، في العبارة الثانية، فعطف الشيء على نفسه ليس بمنطقي، بل هو من الفضول، وكان خيرا منه أن يقول: يحب بحسه وحده، أو بحسه ليس غير، وعلى المنافع وحدها، أو على المنافع ليس غير، فإن «وحْده»، و«ليس غير» تدلان على ما أراد بالعبارتين المترجمتين من الفرنسية، إلا أنهما أوجز منهما، وأصح لغة. ولا يخفى أن قوله: «إلى أبعد حد ممكن»، عبارة صحفية. وإيراده المثل الفرنسي: «سقط بين كرسيين»، ليس شيئا هو اخترعه، وإنما ترجمه عن الفرنسية، وكل ما له فيه من الفضيلة أنه يدل على أنه يعرف الفرنسية، غير أن المعرفة باللغة شيء، والإبداع شيء آخر، وكم من مبدع لا يعرف غير لغته، وكم من عارف باللغات الأجنبية عيي بكيء، ولا يكاد يبين.

أما الذي يمكن المرءَ أن يقوله، مطمئنا إلى أن من غير الممكن أن يرميه بالتحيز عارف منصف، فأن العربية فقدت من جمالها وقدرتها البيانية ودقتها وأصالتها بقدر تأثرها باللغات الأوربية، وبُعْدها عن أصولها، وإن كلَّ ما نُسب إليها من مزايا وفضائل بسبب التأثر بلغات الغرب، بطريق الصحافة، ليس بمزايا، في الحقيقة، وإنما هو نقص وقصور مُنِيَتْ بهما على أيدي من لا يعرفونها، ولا يجيدون غيرها، فسقطت بين بين، فما احتفظت بجمالها وأصالتها، ولا صارت لغة غربية. وانظر -إن شئت- إلى هذه العبارة: كعرب لا نخون، فإنها عبارة هجين، ليست بعربية، وإن كانت حروفها عربية، ولا بإنجليزية، وإن كانت

(١) حديث الأربعاء، ٣١٤.
(٢) مستقبل الثقافة في مصر، ٢٣.

محذوة عليها، ولا معنى لها، إذا حُمِلت على ما تقتضي ألفاظها «العربية»، وإنما هي شيء ألفى العربي قومه في هذا الزمن يقولونه، فقاله تقليدا، فالكاف في العربية لا تكاد تستعمل إلا للتشبيه، وإذا حملت على التشبيه كان معنى العبارة: نحن مثل العرب، لا نخون، وإنما يقول هذا من ليس بعربي، ويريد أن يشبه قومه بالعرب في أنهم لا يخونون، وليس هذا هو المراد، وإنما المراد أن العرب لا يخونون. وإذا صُرِفت الكاف فيها عن التشبيه لم يكن لها معنى آخر يمكن أن تُحمَلَ عليه. وإذا أُعجب الأوربي بشيء من العربية الحديثة المحذوة على لغته، كهذه العبارة، فإنما يعجبه ما يرى فيها من آثار ثقافته، وما يذكِّره منها بأساليب لغته، وأنها غدت سهلة عليه؛ لأنها تطابق أسلوبا من أساليبها، وصار من اليسير عليه أن يترجم منها إلى لغته، وأن يترجم من لغته إليها، من غير مشقة، أي إنه صار يجد لغته مكتوبة بحروف عربية، وكان قبل ذلك يتعنى في فهم أساليبها. واللغات إنما تقاس بدقتها في البيان عن مراد أهلها، لا بقربها من لغة أخرى، ليس لها فضل عليها، إلا ما يرى لها أهلها، و«كل فتاة بأبيها معجبة». لقد مدح ستتكيفيتش العربية الحديثة بأنها غدت أقل انتظاما واطرادا، وهو أثر من إباحة اللغويين كل ما يأتي غير العالمين بها من أخطاء، ولكن متى كان عدم الاطراد في علم من العلوم ممدحة؟ وهل تسهل اللغات والعلوم إلا باطراد القواعد وقلة الشذوذ؟! وكيف يدَّعي أنها غدت أكثر منطقية، على ما فقدت من اطراد القواعد، واطرادها «نوع من المنطق»؟! ويتناقض تناقضا آخر في قوله: إن ادعاء أن قواعد العربية أصبحت أكثر منطقية، نسبي جدا[1]. على أن مما ينبغي ألا يخفى على أحد أن كلامه كله في هذه القضية ليس إلا ضربا من الدعاية لما يريد من إغراء الذين يقرؤونه من العرب بالتمادي في مسخ العربية، واستلحاقها باللغات الأوربية، إمعانا في القضاء على ما بقي من خصوصيتها.

وأيُّما يكن من أمر العربية اليوم، فإن ما حلَّ بها هو من صُنْع علمائها وأدبائها، ومجامعها العلمية، فقد كانوا يحرصون على أن تلاقي اللغات الأوربية، ويريدونها لتكون «عالمية»، أي موافقة لبعض اللغات الأوربية في نظامها النحوي والصرفي، وتَستعمل أكثر ما يمكن من مفرداتها. لكن انظر إلى السخرية التي

---

(١) العربية الفصحى الحديثة، ٢٨٢ وما بعدها.

يسخرها ستتكيفيتش منها ومن علمائها وأدبائها: فقد جعلها نسخة من اللغات الأوربية، وجرَّد علماءها من كل تميز، وقال إنهم مفتونون بالغرب، ويتابعونه على غير بصيرة، ولا يعرفون لغتهم ولا لغات الغرب، وكان الكاتب العربي إذا حاول أن يفهم أعمال أناتول فرانس -مثلا- تبين أنه لا يعرف من العربية والفرنسية ما يكفي لفهمها، وإن العرب صنعوا معجما جديدا، ولم يصنعوا لغة جديدة؛ لأنهم لم يفكروا كما يفكر العصريون، والتفكير في العلوم كلها لا يمكن فصله عن اللغة. وكان دعاة التجديد الأوائل في هذا العصر دعاة إلى عربية فصيحة جديدة، تقتات من العربية الفصحى الجامدة، لكنهم عجزوا عن إدراك أن الكلمات الجديدة تصاحبها سياقات لغوية جديدة، وأن العربية الحديثة حديثة بقدر ما تحمل من الثقافة الحديثة. والثقافة العربية الحديثة ليست ظاهرة قومية، وإنما هي مستعارة، وهذه حقيقة، من اليسير الإقناع بها. وإن العرب كانوا يحاولون في الخمسين سنة الأخيرة فهم العالم في خوف، ثم حاولوا أن يفهموه في اندفاع، وكانوا يحاولون إدراك أمانيهم الثقافية من مفهومات وأعمال فكرية ليست من صنعهم. وما كان التأثير الغربي تأثيرا لفظيا فحسب، بل كان تأثيرا في الأسلوب الجديد، وفي الإدراك الجديد الكامل للغة[1]. لقد اتسم كلام الرجل بالتهذيب، والديبلوماسية، في هذه الفقرة، ولم يعْدُ الحقيقة، لكنها حقيقة، ما تسرُّ حداثيي العرب، لقد كان هذا تقويمه إياهم، وتقويمه للعربية الحديثة، وهو مسرور بما آلت إليه، لا لأنها صارت خيرا مما كانت، وإنما لأنه صار من اليسير على الأوربي أن يبلغ منها ما كان يعسر عليه بلوغه. ومما يستحق التوقف أن محمد حسن عبد العزيز، وهو مترجم كتابه هذا، لم يتأثر بتقويم ستتكيفيتش للعربية الحديثة، وآية ذلك ما قد رأينا من آرائه التي تبالغ في تقبل الأساليب الدخيلة، وتتكلف من تخريجها ما يجعل لها وجها في العربية، على إقراره بعجمتها، وعنايته بتبيين أصلها الإنجليزي، كأنه لا يرى بأسا بأن يكون العرب والعربية الحديثة كما وصفهما ستتكيفيتش!.

لقد لمَّح محمد عابد الجابري مرة إلى أن مردَّ النزاع بين دعاة السلفية والأصالة ودعاة الحداثة والمعاصرة، في الفكر العربي الحديث والمعاصر،

---

(١) العربية الفصحى الحديثة، ٢٨٠ وما بعدها.

إلى أن الفريق الأول يفكر بنظام العربية المعرفي القديم، ويفكر الفريق الثاني ببعض النظام المعرفي الذي انتقل وينتقل بالترجمة، والقراءة والدراسة باللغات الأجنبية[1]. وفي الحق أن الفريقين يفكران بلغة واحدة، هي هذه اللغة التي صنعها الإعلام والتراجمة غير العارفين بالعربية ولا باللغات التي يترجمون منها، وليس فيهم من يفكر بالعربية الفصحى الصحيحة السالمة من تأثير اللغات الأجنبية. هذا إلى أن من دعاة «السلفية» من يعرفون من اللغات الأجنبية ما يعرف «الحداثيون»، وأن بعض «الحداثيين» لا يعرفون لغة أجنبية، ومعرفة من يعرفها منهم ليست بتلك. واللغة، من حيث هي نحو وصرف ومعجم، ليست بنظام معرفي خاص، وإنما يعني من يربطون بين اللغة والفكر الثقافةَ التي تشتمل عليها. والحقيقة المستكنة وراء الظاهر أن تفكير الفريقين متشابه، فكلهم تقليدي، وبعيد من الحداثة، من حيث هي فلسفة، مبناها على الرشد، والنقد، والاستقلال، وإنما يختلفان في المقلَّد: يقلد «السلفيون» سلفهم، ويقلد «الحداثيون» سلف غيرهم، وكلاهما يقلد على غير بصيرة، فيما وافق هواه، وقرُب من عقله، وسهل عليه تقليده. والعربية التي يستعملونها واحدة، هي هذه العربية الهجين، فكلهم يقولون: كعرب لا نخون، ونفسيا غير مستعد لهذا العمل، وأنا أفهم بطريقة مختلفة عنك، إلخ، ومعرفة من يعرفون منهم اللغات الأجنبية متقاربة.

إن العربية الحديثة التي تأثرت كثيرا باللغات الغربية ملحونة، وما من أسلوب فيها خطأ إلا وقد نبه اللغويون على خطئه، وبينوا وجه الخطأ فيه، وهَدَوْا إلى صوابه، وما أخطأ من أخطأ في العربية لقصور فيها عن البيان عما يريد، وإنما لقلة علمه بها، وما سدَّت الترجمة نقصا كان فيها، ولا أفادتها قوة أو ثراء، ما كانا فيها، ولا أعانتها على البيان عن جديد، كانت عاجزة عن البيان عنه، وما أخذ العرب من أساليب اللغات الأجنبية ومفرداتها، ليس فيه ما يهدي إلى طريقة في التفكير والإبداع، وبعيد أن يكون الأسلوب مبينا وهو غير صحيح؛ إذ الأسلوب المبين هو ما طابق نظْمه ترتيب المعاني في النفس، كما قال الإمام عبد القاهر الجرجاني، وإذا نُظِم الكلام نظما غير صحيح، لم يطابق ما في النفس. فـ:

(١) التراث والحداثة، ١٥٩.

«كعرب لا نخون»، لا تبين عما في نفس العربي بيانا أبلغ من: «نحن العرب لا نخون»، ولا تبين عنه: أنا غير مستعد نفسيا لهذا العمل، أبلغ مما تبين: نفسي غير مستعدة لهذا العمل.

سابعا- استهلاك المجاز والأمثال

وإذا تجووزت المفردات ودلالتُها، والجمل وبناؤها، إلى المجاز والأمثال وما جرى مجراها من العبارات العتيدة، أُلفي الخيال العربي مفلسا، يقتات من نتاج الخيال الغربي، كما يستورد أهله كل شيء من الغرب، ولا يزيد عمله على ترجمة العبارات الدارجة على أقلام الإنجليز والفرنسيين وألسنتهم، وإن جَهِلَ مَنْ لا اطلاع له على اللغات الأجنبية أصلها، حتى إن المرء قلَّما يجد فيما يُكتَب بالعربية المعاصرة عبارة من اختراع عربي، أو عناية بالأساليب والأمثال العربية العريقة، وقلَّما يجد فيه أثرا للتراث العربي، يدل على معرفة به، أو انتماء إليه، إلا أن يكون استشهادا بآية، أو تمثلا ببيت ذائع، أما العربية الصحيحة السالمة من آثار الترجمة، فمن النادر أن يجدها القارئ فيما يُكتَب اليوم، حتى ما تنكَّب الطريقة الذائعة في الكتابة الحديثة إلى ما تُظَنُّ به الأصالة والإعراق، واستلهام التراث الأدبي، ككتابي محمود المسعدي «حدَّثَ أبو هريرة»، و«السُّدُّ»، فإن لغتهما لم تكن بتلك الصحة، ولا بذلك الجمال والتميز، وإن تنكَّبت لغة الصحافة المبتذلة وما شاكلها من لغة النثر الحديث، كلغة القصص والروايات. والأصل أن يقتات المرء مما تزوَّد، وآخر ما يفكر فيه عامة الكتاب والصحفيين العرب التراث العربي الذي لم يدرسوه، يوم كانوا طلابا، ولا يكاد أحدهم يُعنَى بقراءته بعد أن تخرَّج، إن كان قد درس دراسة نظامية، وإنما يقتات المتميزون منهم مما ينشر في الغرب، إن كانوا يعرفون لغة من لغاته، أو مما يترجم منها.

واستهلاك المجاز وجه من وجوه ثقافة المماثلة والحذو التي هي أظهر شيء في العربية الحديثة، كما أنه دليل على موت القرائح، وتقاصر الهمم، والرضا بالاستنساخ. فالآداب آثار العقول، وصنائع الأمم مَعارِض عقولها، والأمة المبدعة لا تكون إلا فتية العقل؛ والأمة الخاملة الكسلى التي لا تنتج وإنما تقلد وتتابع على غير بصيرة، أمة شاخ عقلها، وضعفت مُنَّتها، ولم يبق في قوسها

منزع؛ فتركن إلى من ترى فيه ضد ما تعرف من نفسها، وتثق به، وتُسلس له قيادها، وترضى بمتابعته، في خطئه إن أخطأ، وصوابه إن أصاب، على الوجه الذي قد رأينا في كلام طه حسين وزكي نجيب محمود. وأحسب أن ما قد رأينا في الأبواب التي سلفت، من صور التقليد في العربية الحديثة، وحذوها على اللغات الأجنبية من أوضح الأدلة على ذلك، وعلى ما أردت تجليته في هذا الكتاب. وسأزيد فيها وجها آخر من وجوه هذا الحذو، هو الاقتصار من الإبداع والتميز على ترجمة الأساليب، والأمثال، والعبارات الجارية مجرى الأمثال، على ألسنة الإنجليز والفرنسيين وأقلامهم، مثل: «يُلقي الضوء على» (mettre la lumière sur /throw light on shed light on=)، و«يصطاد في الماء العكر» (Il pèche en eau trouble / To fish in troubled water)[1]، و«ذرُّ الرماد في العيون» (jeter de la poudre aux yeux / throw ash in the eye)[2]، هذا حدث أثلج الصدور (cela me réchauffe le coeur / cette chose sa me chofe le Coeur)، و«نَمِر من ورق» (tigre en papier / Paper tiger)، و«الغريق يتعلق بقشة» (le nauffragé s'accroche à une planche / a drowning man will clutch at a straw)، و«يكسب خبزه بعرق جبينه» (Gagner son pain à la sueur de son front)[3]، و«لا يرى أبعد من أرنبة أنفه» (Ne vois pas plus loin que le bout de son nez)[4]، والسؤال الذي يطرح نفسه (la question se pose)[5]، و«يلعب بالنار» (Iljoue avec le feu / play with fire)[6]، و«بكل معنى الكلمة» (Dans tout le sens du mot / In the full sens of the word)[7]، و«بكل ما في الكلمة من معنى» (in every sense of the word)، و«لا جديد تحت الشمس» (il n'y a rien de nouveau sous le soleil /there is nothing

---

(١) تعريب الأساليب، ٣٤٣.

(٢) السابق، ٣٤٢، واللغة والحضارة، ١٠٧، والعربية والحداثة، ١٨١.

(٣) السابق، ٣٤٢، واللغة والحضارة، ١٠٨.

(٤) السابق، ٣٤٢.

(٥) من العربية المعاصرة.

(٦) دراسات في اللغة، ٢٤٣، وتعريب الأساليب، ٣٤٢، واللغة والحضارة، ١٠٨.

(٧) اللغة والحضارة، ١٠٩.

(new under the sun)[1]، و«ملكي أكثر من الملك» (Il est plus royaliste que le roi)[2]، و«طلب يد فلانة» (demander la main de telle /ask her hand)[3]، و«بكى بدموع حارة» (pleurer à chaudes larmes)[4]، و«بكى بكاء مرا» (pleurer amérement)[5]، و«أعطاه إرشادات» (donner des instructions=donner des recommandations / gave him instructions)، و«أعطى رأيه» (Donner son avis /gave his opinion)[6]، و«يعطي صوته» (II a donné sa voix / give one's vote)[7]، و«يعطي وعدا» (II a donné rendez-vous /give a promise)[8]، و«ألقى المسألة على بساط البحث» (=Soumettre la problématique à la recherche mettre une affaire sur)[9]، و«قضية مطروحة على بساط البحث» (Cette cause est)، و«توترت العلاقات» (les rapports sont tendus)[10]، و«يشكل خطرا على» (représente un danger pour /represents a danger for)[11]، و«وجد طريقه إلى الأدب» (Found its way into the literature)، و«هو في طريقه إلى» (On his way to)، و«هدَفَ إلى» (viser / aimed at)[12]، و«بدأ يأخذ مكانه» (commence à prendre place / Began to take his place)، و«في ضوء هذه الجملة» (à la lumière de cette phrase / In light of this sentence)، و«الطرق تُملى بالأساليب» (The methods are dictated by the sorts)، و«الشيطان يكمن في التفاصيل» (le diable est dans les détails /The devil lies in the details)

---

(١) تعريب الأساليب، ٣٤٢، والعربية والحداثة، ١٨١، واللغة والحضارة، ١٢١.
(٢) السابق، ٣٤٢.
(٣) العربية والحداثة، ١٨١، واللغة والحضارة، ١٢٠.
(٤) تعريب الأساليب، ٣٣٨.
(٥) السابق، ٣٣٩.
(٦) السابق، ٣٤١ وما بعدها.
(٧) السابق، ٣٤٢.
(٨) أثر الترجمة في الأخطاء الشائعة، ١٠١.
(٩) تعريب الأساليب، ٣٤١.
(١٠) السابق، ٣٤٣، واللغة والحضارة، ١٠٩.
(١١) المدخل إلى وسائل الإعلام، عبد العزيز شرف، ٢٣٥، (نقلا عن: تأثير اللغة الإنجليزية على اللغة العربية الإعلامية، ٢٢٠ وما بعدها).
(١٢) نظرية اللغة العربية، ٢٧٤.

و«يضع العربة أمام الحصان» (placer la carosse devant les chevaux=placer la charrue devant les boeufs / put the cart before the horse)[٢]، و«يركب الموجة» (surfer sur la vague / ride the wave)، و«سخرية القدر» (ironie du sort /the irony of fate)[٣]، و«على الطائر» (on the fly)، و«سياسة العصا والجزرة» (politique de la carotte et du baton / carrot and stick policy)، و«تحت الطاولة»، للعمل الذي يخالف القانون (sous la table /under the counter or table)[٤]، و«الحاجة أم الاختراع» (nécessité est mere de l'invention /necessity is the mother of invention)[٥]، و«خط الرجعة» (fallback position)[٦]، و«الوقاية خير من العلاج» (plutôt prévenir que guérir / prevention is better than cure)[٧]، و«الاتحاد قوة» (l'union fait la force / union is strength)، و«الجدران لها آذان» (les murs ont des oreilles / walles have ears)، و«غاب القط، إلعب يا فار» (Quand le chat n'est pas là les souris dansent /when the cat is away the mice play)[٨]، و«قُبلة الموت» (baiser de la mort / kiss of death)[٩]، و«الحرس القديم» (ancienne garde / old guard)[١٠]، و«يجسر الهوة» (bridge the gap)[١١]، و«لغة خشبية» (la langue de bois / deadwood language)[١٢]، و«تجفيف منابع الإرهاب» (assécher les sources du terrorisme /dry up the sources of terrorism)[١٣]، و«يضع الكرة في ملعب»

---

(١) أزمة اللغة والترجمة، ١١٤.
(٢) السابق، ١١٤.
(٣) السابق،٥٥.
(٤) السابق، ٣٨.
(٥) مصابيح التجربة، ٦٨.
(٦) أزمة اللغة والترجمة، ٢٦.
(٧) مصابيح التجربة، ٧٤.
(٨) السابق، ٩١ و٩٣.
(٩) أزمة اللغة والترجمة، ٣١٠.
(١٠) السابق، ٢١٧.
(١١) السابق، ١١٤.
(١٢) السابق، ٤٨.
(١٣) أزمة اللغة والترجمة، ٥٠.

(mettre la balle dans le camp de /put the ball in someone's playground)[1]، و«يدس أنفه» (fourrer son nez /Pock his nose)، و«تحت ستار» (derrière le rideau / under the pretext)، و«العودة إلى المربع الأول» (retour à la case depart / go back to square one)[2]، و«قمة جبل الجليد» (The tip of the iceberg)، و«كسر الجليد» (briser la glace /break the ice)، و«قتْل الوقت» (tuer le temps / kill time)[3]، و«ألسنة الدخان» (Tongues of smoke)، و«القشة التي قصمت ظهر البعير» (The straw that broke the camel's back)، و«التفكير داخل الصندوق» (thinking inside a box)، و«حطم الرقم القياسي» (Il a battu le record / Beat the record)[4]، و«جرح شعوره» (Il blesse son amour-propre / Wounded his feelings hurt his feelings)[5]، و«اعتنق دينا» (embrasser une religion/ embraced a religion)، و«البرج العاجي» (la tour d'ivoire / Ivory tower)[6]، و«ضحكة صفراء» (rire jaune)[7]، وبالرغم من (in spite of)، و«وضع النقاط على الحروف» (Mettre les points sur les lettres)، و«لعب ورقته الأخيرة» (Il a joué sa dernière carte / play his last card)، و«ساد صمت مشحون بالتوتر» (un silence chargé de tension avait régné /There reigned a silence charged with tension)[8]، و«كلّل مسعاه بالنجاح»، (son objectif s'est couronné par le succès / His effort was crowned with success)[9]، و«زوبعة في فنجان» (une tempête dans un verre / a storm in a tea cup)، و«الدوائر السياسية» (cercles politiques / political circles) و«الدوائر العليا»

(١) أزمة اللغة والترجمة، ٤٦.
(٢) السابق، ٤٦ و١١٧.
(٣) تعريب الأساليب، ٣٤١.
(٤) اللغة والحضارة، ١١٤.
(٥) السابق، ١١٣.
(٦) السابق، ١١٥.
(٧) السابق، ١٠٩، وتعريب الأساليب، ٣٤٣.
(٨) العربية الفصحى الحديثة، ٢٥٩.
(٩) السابق، ٢٦٢.

(les hautes sphères /the higher circles)(١)، و«شخصية لامعة» (personnalité brillante /Brilliant character)(٢)، و«يا للسخرية» (quelle ironie! / ironically)، و«من جهة أخرى» (on the other hand)، و«الوحدة في التنوع» (l'unité dans la diversité /unity in diversity)(٣)، و«اللغة الكونية» (langage universel / universal language)، و«القرية الكونية» (global village)، و«نكران الذات» (déni de soi /Self-denial)، و«بكل ألوان الطيف» (toutes les couleurs du spectre / full spectrum)(٤)، ويسمم الرأي العام (Il empoisonne l'opinion publique /poison the public opinion)(٥)، و«الاستثناء الوحيد» (la seule exception / exception la seule / The only exception)، و«أهلا بكم إلى نشرة الأخبار» (welcome to the news)(٦) و«ذو طابع نفعي» (caractère utilitaire / pragmatic)، و«سؤال الزمن» (une question de temps / the question of time)، و«أرجو الانتباه» (De l'attention s'il vous plait / attention please)، و«اللمسات الأخيرة» (dernières touches / Final touches)، و«رجل عملي» (un home pratique / Practical man)(٧)، و«حسنا» (d'accord / well)، و«سطحي» (superficiel / superficial)(٨)، وانتهازي (opportuniste / opportunist)(٩)، وانتهازية (opportunisme / opportunism)(١٠)، و«انهزامي» (défaitiste /defeatist)(١١)، وانهزامية (défaitisme / defeatism) و«وصولي» (Arriviste / profiteer)، و«الوصولية» (Arrivisme)(١٢)، و«يمكنك أن تفعل»، وبإمكانك أن تفعل» (Vous

(١) اللغة والحضارة، ١٠٩.
(٢) مغامرات لغوية، ١٣٩.
(٣) السياسة اللغوية والتخطيط، ٦٤
(٤) أزمة اللغة والترجمة، ١١٦.
(٥) اللغة والحضارة، ١١١.
(٦) أزمة اللغة والترجمة، ١١٦.
(٧) العربية الفصحى الحديثة، ٢٥٦.
(٨) اللغة والحضارة، ٤٤.
(٩) السابق، ٤٤.
(١٠) السابق، ٤٤.
(١١) السابق، ٤٥.
(١٢) السابق، ٤٥ و ٥٨ وما بعدها.

(pouvez faire /you can do)، والإمكان في العربية ضد الاستحالة، وليس هذا هو المراد، والأسلوب العربي المستعمل في هذا المقام هو: افعل، وليس المراد به حقيقة الأمر، وإنما الدعاء، أو الالتماس، على حسب السياق الذي يرد فيه. فمن استثقل صيغة الأمر، وإن لم يكن الفعل دالا على الأمر، فليقل: ألا تفعل، أو: لو لا تفعل. و«الأنا والآخر» (le moi et l'autre / the I and the other)، و«لا للتدخين، نعم للصحة» (No for smoking yes for health)، «قتله بدم بارد» (le tuer avec sang-froid /killed him in cold blood)[1]، و«وسط معارضة متنامية» (amid growing opposition)[2]، و«آخر صيحة في عالم الساعات» (Dernier cri dans le monde des montres)[3]، و«تبييض»، بمعنى غسل (blanchissement)، و«اقتصاد السوق» (économie de marché)، و«الأكثرية الساحقة» (la majorité écrasante / overwhelming majority)[4]، و«صباح الخير» (bonjour / good morning)، و«مساء الخير» (/ bonsoir good evening)، و«جهود فردية» (efforts personnels / individual effort)، و«خدمة ذاتية» (self-service)، و«حظ سعيد» (bonne chance / good luck)، و«فرصة سعيدة» (happy chance)، و«مع أطيب التمنيات» (with best wishes)، و«تهانينا» (felicitation / Congratulations)، و«يتقاطرون» (rally)[5]، و«شاب واعد» (un jeune homme prommeteur /a promising young man)[6]، و«المحصلة النهائية» (final count)، و«في التحليل النهائي» (en dernière analyse /In the final analysis)[7]، و«لا تذهبوا بعيدا» (ne pas partir loin= ne pas s'éloigner /don't go away)[8] و«عزيزي العميل» (cher partenaire / dear customer)، و«وقف بجانبه»، أي أعانه (/ rester à ses côter

(١) أزمة اللغة والترجمة، ٢١٧.
(٢) السابق، ١٥٢.
(٣) اللغة العربية ووسائل الإعلام، ١٠٥، والترجمة من حيث هي عامل مهم من عوامل العدوى اللغوية، ١٣.
(٤) السابق، ١٠٥، واللغة والحضارة، ١١٢.
(٥) أزمة اللغة والترجمة، ٥٤.
(٦) بين العامية والفصحى، ١٦٦ وما بعدها.
(٧) أزمة اللغة والترجمة، ٤٦.
(٨) كتاب الأعاجيب، ٤١٤.

il est derrière l'explosion /) «وقف وراء التفجير»، و(stood beside him la pierre angulairc /) «حجر الزاوية»، و(stood behind the bombing terrorisme et contre-) «الإرهاب والإرهاب المقابل»، و[1](corner stone call) «ينادي بكذا»، و[2](terrorisme /terrorism and counter terrorism «سلسلة أعمال»، و(auto-apprentissage /self learning) «تَعلُّم ذاتي»، و(for en réalité / in) «في الواقع»، و(série de travaux /series of works) «هذا»، و(moment de vérité /moment of truth) «لحظة الحقيقة»، و(reality إن دل على شيء فإنما يدل على» (If it means something it means)، و«يكتسي طابعا» (revêt un caractère / prend forme)، و«يكتسي أهمية» (prend de l'importance) و«العربية الكلاسيكية» (classical arabic)، و«يركز على» (se baser sur / concentrate on)، و«نقطة اللاعودة»: (point de non retour /a point of no return)، و«مع الأسف» (avec mes regrets / regrets) with)[3]، و«ابتسامة هادئة» (sourire calme / a calm smile)، و«يمثل الرأي العام» (represente l'opinion publique/ represent public opinion)، و«يسهر على المصلحة العامة» (l'intérêt général veille sur)، و«يلعب دوره» (joue son rôle / play his part)، و«بدوره» (à son tour / In his turn)[4]، و«لم يعد قادرًا»، أو «لم يعد يستطيع»، (n'est plus capable)[5]، و«هو مع رفيقه على قدم المساواة»، (Il est sur un pied d'égalité avec son ami / he is on equal footing with his friend)، و«على شرف فلان» (en son honneur / on his honour)[6]، و«الشخصية البارزة» (Persnalité marquante /amarked personality)[7]، و«بهذه المناسبة» (in this occasion)، و«بالإضافة إلى»(in

(١) اللغة والحضارة، ١١٧.
(٢) أزمة اللغة والترجمة، ١٥٦.
(٣) اللغة والحضارة، ١١٣.
(٤) السابق، ١٠٧ وما بعدها.
(٥) في لغة الإعلام، ٢١.
(٦) معجم ودراسة في العربية، ٣ (نقلا عن: أثر الترجمة في الأخطاء الشائعة، ١٠٢).
(٧) دراسات في اللغة، ٢٥٠ واللغة والحضارة، ١١٦.

«ومرشح للارتقاء» (set to rise)[1]، و«أعصاب هادئة» (nerfs tranquilles / quiet nerves)، و«بأعصاب باردة» (with cold nerves)، و«فيما يتعلق بـ» (en ce qui concerne / as regard)، و«يخصك» (belong to you)، و«انطلاقا من» (à partir de / proceeding from)، و«من منطلق» (from the perspective)، و«على سبيل المثال» (par exemple / for exaple)، و«يَفرض نَفْسَه» (s'impose) و«آلية» (mécanisme / mechanism)، والإكثار من «أحيانا» كما يكثر في الإنجليزية من sometimes، وبجانب (besides)، و«يؤسس لهذا المفهوم» (Ceci introduit cette notion=ce concept=donne naissance à ce concept /lay the foundation for)[2]، و«بالنظر إلى» (Au regard de / Regard to)، و«مسألة جوهرية» (essentielle question / this is an essential question)، «وبعبارة أصح» (And more properly apeaking)[3]، و«مسألة بسيطة» (une simple af /simple matter a)، و«عقول مفتوحة» (esprits ouverts /open minds)، و«يخرُج عن السيطرة» (échapper au contrôle / get out of control)[4]، و«نقطة نظام» (pointof order)[5]، و«حَجَر عثرة» (Pierre d'achoppement /stumbling block)[6]، و«العين المجردة» (un œil nu / naked eye)[7]، و«من خلال» (through)، واستعمال «الطبخ» وما اشتق منه في معنى التخطيط، نحو: ما الطبخة؟ (what is cooking)، ومن طَرف (de la part)[8]، و«يبكي بدموع التماسيح» (Il pleure aux larmes de crocodile /ched crocodiles tears)[9]، وليس هذا التشبيه خاصا بالفرنسية والإنجليزية، بل هو معروف في الأدب العربي القديم، فقد ورد في قول عبد الله بن المعتز في أرجوزته في سيرة المعتضد، وهو يتحدث عن خذلان أهل

---

(١) أزمة اللغة والترجمة، ٤٦.
(٢) السابق، ١٧٧.
(٣) العربية الفصحى الحديثة، ٢٤٣.
(٤) كتاب الأعاجيب، ٩٥.
(٥) السابق، ٢٠٥.
(٦) تعريب الأساليب، ٣٤٣، واللغة والحضارة، ١٠٨.
(٧) اللغة والحضارة، ١١٢.
(٨) التعريب والعربية في الجزائر ١١٢.
(٩) العربية تواجه العصر، ٥٣.

الكوفة عليَّ بن أبي طالب -رضي الله عنه-:

ثـم بكـوا مـن بعـده وناحـوا جهْـلا، كـذاك يفعـل التمسـاح[١]

غير أن العرب اليوم لا يستعملونه متأثرين بالأدب العربي، وإنما متأثرين بالأدب الفرنسي والإنجليزي؛ لأن الذي أشاعه في العرب لا يعرف الأدب العربي، وإنما يعرف ما يتردد على ألسنة الصحفيين الغربيين وأقلامهم. و«ازدهرت التجارة» (trade flourished)، «وتبادلوا التحيات»(Il sont échangé / they exchanged greetings)[٢]، و«تكريس الجهود» (devote the efforts)، و«بناءً عليه»[٣] (based on)، و«المعادلة الصعبة»[٤] (the hard equation)، وأزمة الثقة (The crisis of confidence)، وأزمة الضمير (the crisis of conscience)، وحمامة السلام (la colombe de paix)[٥]، والستار الحديدي (iron curtain)، والنُّصُب التذكاري (memorial)، ومهما يكن من شيء (whatever)، وليس فقط بل أيضا (not only but also)، وأكثر من أي وقت مضى (more than ever)، وعلى هامش[٦] (On the margin).

ومن هذا القبيل استعمال العبارات والأمثال التي تلمِّح إلى شيء من ثقافة الغرب، كما يردد العرب اليوم: حصان طروادة (Trojan horse)، وكعب أخيل (Achilles heel)، فهذان المثَلان يلمِّحان إلى قصص، وردت في «الإلياذة»، وهي ملحمة يونانية، لا يعرفها إلا أقل العرب، وإذا كان للتلميح إليها مزية فنية في التعبير، عند من يعرف الحوادث التي تلمِّح إليها، فليست لها مزية عند من لا يعرفها، وليس لها رصيد رمزي في نفسه، فاستعمالها في كلام يخاطَب به العرب لا يتجه، وكل ما فيه من المزية إشعار القارئ أن للمتكلم اطلاعا على ثقافة اليونان. ومن هذا عنوان خبر، نشرته «الشرق الأوسط» يوم السبت ٨/ ١٢/ ١٤٣٧ هـ، هو: «جنيف تنتظر الدخان الأبيض من اجتماع كيري لافروف» (وزيري خارجية أمريكة وروسية)، فهو يلمح إلى طريقة الكرادلة في انتخاب بابا الفاتيكان، فإنَّ

---

(١) ديوان عبد الله بن المعتز، ٥٠٤.

(٢) اللغة والحضارة، ١٢٠.

(٣) أثر الصحافة ووسائل الإعلام في تطور اللغة العربية، ٢٠٣.

(٤) أشتات من فوضى الكلم، ٢٤.

(٥) اللغة والحضارة، ١١٩.

(٦) أثر الصحافة ووسائل الإعلام في تطور اللغة العربية، ٢٠٣.

أوراق التصويت توزع عليهم ليختاروا اسم مرشحهم، فيطوونها، ثم يتوجهون مرتبين على السن، إلى وعاءٍ، يتوسطهم ليضعوا فيه أوراقهم، وبعد ظهور نتائج الاقتراع توضع أوراق التصويت في مدفأة الكنيسة التي يصوَّت فيها، فإذا لم يحدَّد المرشح الفائز، زيدت مواد كيميائية في أوراق التصويت التي وُضعت في المدفأة لتحترق، ويظهر دخان أسود، فيعلم المراقبون في ساحة القديس بطرس أن البابا لما يُنتخب، فإن ظهر دخان أبيض من الكنيسة، كان ذلك إعلانا من الكرادلة بأنهم انتخبوا بابا جديدا. ومن قرأ عنوان هذا الخبر لم يفهم ما أريد منه إلا أن تكون له معرفة بكيفية اختيار البابا، وتعليق فهْم ما يُكتَب للعرب بأن يكونوا على علم بثقافة غيرهم ما يفعله من يعتدُّ بثقافته ويعتز بها. ومثله الكناية عن التشدد باليعقوبية كما يكنى عنه في الفرنسية بـ (Jacobinisme)[1]، وترجمة avec cynisme بـ «على نحو كلبي»، وتسمية الذي يحيا حياة متمردة، لا تبالي الأعراف بوهيميا، وتسمية الحياة التي تكون كذلك بوهيمية (bohemianism). والبوهيميون هم الغجر، ينسبون إلى بوهيمية، وهي تشيكية، اليوم؛ لأنهم مروا بها في هجرتهم من رومانية. وهي، و«اليعقوبية»، و«على نحو كلبي» لا تؤدي المعنى المراد إلى القارئ العربي، ولا يفهم معناها إلا من له اطلاع على الثقافة الأوربية وفلسفة اليونان، فهو الذي يعرف جانبا من تاريخ الغجر، وحياتهم، وأخلاقهم، وثقافتهم، ويعلم أن «اليعقوبية» إنما يكنى بها عن التشدد؛ لما اشتهر به اليعاقبة، وهم المنتسبون إلى كنيسة القديس يعقوب، من الجبروت والتشدد والإرهاب، وسفك الدماء، مذ حكموا فرنسة عام ١٧٩٣، أما العرب، فإنما يعرفون يعقوب بن إسحاق -عليهما السلام-، وهو عندهم رمز الحزن، ويعلم أن الكلبية مذهب فلسفي، يُعرَف أصحابه بصراحة، تبلغ حد الوقاحة وعدم مبالاة الأعراف. وإنما كان ينبغي أن تترجم avec cynisme بـ: بصراحة تامة، وأن تترجم Jacobinisme بالتشدد، والغلو.

وقد أشار بعض المشتغلين بالترجمة إلى أن التراجمة المحدثين يضعون الشيء في غير موضعه لقلة فقههم بالعربية واللغات التي يترجمون منها، وعدم معرفتهم بما بين الثقافات من اختلاف، لا يصح معه النقل الحرفي، ويستعملون

---

(١) عن سياسات تعريب ما بعد الاستقلال.

الأساليب استعمالا لا يبين؛ ويترجمون المجاز ترجمة حرفية، كترجمتهم carrot and stick بالتلويح بالعصا والجزرة، وليس من دأب العرب أن يلوحوا بالجزرة ترغيباً أو ترهيبا، للحمار ولا للإنسان[1]؛ ولذلك لا يكون لهذه الترجمة معنى، ولا تبين عن شيء. وقولهم كَسَرَ الجليد (break the ice)، في التعبير عن فعل الشيء الذي يساعد على التغلب على الخوف أو الخجل، أو عدم الاطمئنان، في أول لقاء بين المرء وغيره. وهو في الأصل صورة مجازية لكسر صفحة الجليد في النهر ليشرع أصحاب القارب في العمل والارتزاق من النهر. وليس لهذا نظير في العربية، ولا يفهمه العرب[2]. وقولهم: البطة العرجاء (lame duck) كناية عن مسؤول أو حزب منتخب ضعيف أو عاجز، ولا يفهم العربي معنى هذا الأسلوب، ومع ذلك يُترجم إلى العربية ترجمة حرفية[3]. ومنه قولهم: «رمى القفاز» (throw down the gauntlet)، رمزا للتحدي، وهي عادة يبدو أنها كانت متبعة عند الفرسان في أوربة في القرون الوسطى، وما كانت معروفة عند العرب، ولا لها معنى في ثقافتهم[4]، ومنه العبارات الشهيرة: رأس جبل الجليد: (tip of the iceberg)، وتكسَّر الجليد (break the ice)، وكُرَة الثلج (snowball)[5]، والخروف الأسود (black sheep)، ونوتة حزينة (sad note)[6]، وتدوير الزوايا (rounding the corners)[7]. ولا تستسيغ العربية «اللعب» كنايةً عن أمر جدي، كقولهم: لعب دوره، فذلك من أبعد الاستعارات عن العرب، وأغربها عليهم، وقد حاول بعض الكتاب إصلاح التعبير بجعله «مثَّل دورا»، مع أن التمثيل أيضا ترجمة واهية لـ sentaionèrepr بمعناه الفني والسياسي[8]. وما يُتَّبع من الترجمة الحرفية في نقل الكلام، ولاسيما الاصطلاحات والأساليب المجازية، من الغالب أن يخفق؛ لأنه يولِّد معانيَ، تختلف اختلافاً كبيراً عن

---

(١) أزمة اللغة والترجمة، ١٦٧.
(٢) كتاب الأعاجيب، ١٢٣.
(٣) السابق، ١٩٣ وما بعدها.
(٤) السابق، ٤٢٦.
(٥) السابق، ٨٠.
(٦) السابق، ١٠٤.
(٧) السابق، ١٥٦.
(٨) المباحث اللغوية في العراق، ٣٥.

المعاني الأصيلة، ويرسم صوراً دخيلة، منفصلة عن المعاني المقصودة من تلك الصور الأصيلة في بيئتها الطبيعية في اللغة التي يترجِم منها[1]. وإبقاء المجاز على معناه الأجنبي يحول دون الفهم، وهو مخالف لما تفعل اللغات في الترجمة، فليس في المبدعين الذين يكتبون بالإنجليزية، بريطانيين كانوا أو أميركيين أو أستراليين، مَنْ يلجأ إلى ما ليس في بيئته ليعبر به عن شيء مما يريد، فإن عرض له ما يخالف منطقه اللغوي، كيَّفَه مع ما يوافق سليقته وفكره[2]. ومعظم الترجمات في زماننا تفتقر إلى الدقة، والضبط، والتحكم في المعنى، والقبول، وليست فيها جدة ولا إبداع ولا احتراف، وكثير من المترجمين تعوزهم المقدرة على فهم النصوص الأجنبية من كل جانب، ويفتقرون إلى منهج حديث في النقل والتعريب والترجمة واع وثابت؛ من أجل ذلك تدخل المعرفةُ المنقولةُ إلى اللغة من باب ضعيف، وتَحْمِل معها فيما تحمل أساليب مجازيةً واصطلاحيةً، لا علاقة لها بالمقصود من الكلام الأصلي، وذلك للزوم المترجِم نقل الكلام نقلا حرفيا، وعدم نظره إلى جوانبه الأسلوبية والثقافية. فمن الأساليب الأجنبية ما يُفهم دون تردد، إذا تُرجم ترجمة حرفية، لشمول المجاز الإنساني الذي تعبر عنه، وكثير منها تخفق ترجمته في تأدية المعنى، لخصوصية المجاز فيه، وطرائق التعبير اللغوية والثقافية والبيئية[3]. وهذا النهج يضعف صحة المعلومات والمعارف ودقتها وسلامتها، ويشوه مقاصد النصوص؛ فتنشأ فكرة أو أدب أو فلسفة أو سيرة من المحاكيات الحضارية الزائفة التي لا تمت إلى الأصل بصلة[4].

ولقد كان في العربية وآدابها ما يغني عن اقتراض بعض أساليب اللغات الأوربية وأمثالها، فإن طرائق التعبير بين اللغات الراقية، كالعربية والفرنسية، متشابهة، وقلما تكون في إحداها كناية أو استعارة أو استعمال، ليس في الأخرى مثله أو ما يقاربه، وذلك لتشابه المقاصد والعواطف الإنسانية، ولا سيما اللغات التي يكون أهلها متقاربين في الحضارة. فقول الفرنسيين في كناياتهم: jeter

(١) أزمة اللغة والترجمة، ١٦١.
(٢) السابق، ١٧٣.
(٣) السابق، ١٥٩.
(٤) بين العامية والفصحى، ٢٢١.

des perles aux pourceax معناه الحقيقي: رَمَى باللؤلؤ إلى الخنازير، ومعناه المجازي: «عرض على الإنسان ما لا يدرك قيمته»[1]. وقريب منه في العربية ما ورد في أخبار شعبة المحدث، قال: رآني الأعمش وأنا أحدِّث قوما، فقال: ويحك يا شعبة، أتعلِّق اللؤلؤ في أعناق الخنازير؟»[2]، وينسب هذا القول إلى عيسى -عليه السلام-، لكن بألفاظ تختلف عن ألفاظ هذا، منها: «لا تطرح اللؤلؤ إلى الخنزير»، «إن من الحكمة ألا تعلِّق الدر بأعناق الخنازير». وقول الإنجليز: Carry coal to Newcastle (يحمل الفحم إلى نيو كاسل)[3]، مثل قول العرب: «كمستبضع التمر إلى هجر»، وقولهم: love is blind ورد في أمثال العرب وأشعارهم بلفظ يطابقه، كقول عمر بن أبي ربيعة:

فوالله ما أدري أَحُسْنٌ، رزقْتِه ... أم «الحبُّ أعمى»، كالذي قيل في الحبِّ؟[4]

وبلفظ قريب منه في الحديث: «حبك الشيء يعمي ويصم». وقول الإنجليز: speech is silver, but silence is gold، يوافق قل العرب: إذا كان الكلام من فضة، فالسكوت من ذهب، وقولهم: a fox is not taken twice in the same snare يوافق: لا يلدغ الحر من جحر مرتين، وقولهم: afriend in need is friend indeed، يوافق: الصديق عند الضيق. وقولهم: a man is known by the company he keeps، يوافق الحديث: «المرء على دين خليله»، وقول الشاعر:

عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه ... فكل قرين بالمقارن يقتدي

وقولهم: birds of a feather flock together (الطيور المتشابهة الريش يألف بعضها بعضا) يوافق: إن الطيور على أشكالها تقع. وقولهم: disecrtion is the better part of valor (الرأي هو الجانب الأفضل من الشجاعة) يوافق قول المتنبي:

الرأي قبل شجاعة الشجعان ... هو أولا، وهي المحل الثاني

ويمكن أن يستعاض عن «حصان طروادة» بـ«غرائر قَصِير»[5]، فإن قصتها

---

(١) المباحث اللغوية في العراق، ٣٤ وما بعدها.
(٢) الكامل في ضعفاء الرجال، ١/ ١٤٧.
(٣) من إشكالات الترجمة الأدبية وخصوصيتها الثقافية، ٢٢٢.
(٤) ديوان عمر بن أبي ربيعة، ٧١.
(٥) مجمع الأمثال، ١/ ٢٣٦.

تطابق قصة حصان طروادة، والتلميح إليها يؤدي المعنى الذي يؤديه التلميح إلى «حصان طروادة».

وقد نسب محمد رشاد الحمزاوي استنساخ العرب المحدثين البلاغةَ الإفرنجية إلى عُقْم الصور وأشكال البلاغة العربية القديمة، وتعنُّتِ اللغويين الحراص على نقاء العربية في رفض الأساليب البلاغية العامية[1]. والبلاغة أثر من آثار الحذق باللغة، وتملُّكِها تملكا يمكِّن مِن نظمها نظما يطابق حال المعاني في النفس، ولا يكون إلا في حدود ما تتيح اللغة من خيارات، تُخْرِج الكلام من الإبلاغ إلى التأثير، ولا يتأتى ذلك إلا بالفقه بها، وبأساليبها، وبموهبةِ المرء، وسعة خياله، ومعرفته بالحياة، واستقلاله. والذين يعولون على استنساخ البلاغة الإفرنجية قوم، خلبتهم فرنسة وبريطانية وأمريكية، فرأوها بعين الكمال؛ فصار أقصى ما يطمحون إليه أن يستنسخوا كلام أهلها، واستغنوا بالعتيد منه عن الإبداع، كما يستغنون بسلعهم وأفكارهم عن صنع مثلها، أو ما هو خير منها، وأكثر موافقةً لذوقهم وثقافتهم وحاجاتهم. وفي قول محمد رشاد الحمزاوي هذا برهان على ذلك، فليس فقيها بالعربية، ويدل ما يكتب بها على أنه لم يتعلم منها إلا ما تعلَّم خريجو المدارس والجامعات التونسية، وهو أقل مما يتعلمون من الفرنسية، أو أقلُّ منه بقاء في ذواكرهم؛ فكان ما يَكتب بالعربية محذوا على ما يَعرف من الفرنسية؛ لأنه يترجم منها ترجمة ذهنية. ولأنه ليس عارفا بالعربية لا يمكنه أن يفكر بها، ولا أن يبدع، وليس في وسعه أن يكتب بالفرنسية أو يتكلم بها كما يكتب الفرنسيون ويتكلمون؛ لأنها ليست بلغته. وكان في معاصريه من العرب من يعرفون الفرنسية والإنجليزية، وقد تعلموهما بعد أن حذقوا العربية، وكان فيهم مبدعون بالعربية، كأحمد حسن الزيات، وطه حسين، وإبراهيم المازني، لكنهم لا يبدعون إلا إذا نسوا أو تناسوا عتيد الفرنسية والإنجليزية، فإن استحضروه لم يصنعوا أكثر من ترجمة، ليس فيها ما يُحْمَد لهم. وقد نوه بذلك الشاذلي القليبي في حديثه عن فنِّ طه حسين ومحمود المسعدي، فقال إن طه حسين جمع بين أصالة اللغة التي تعلَّمها من القرآن وكتب الحديث والفقه والأدب، وذهنية اللغة والثقافة الفرنسية التي اكتسبها في باريس، وإن

(١) العربية والحداثة، ١٦٨.

المسعدي انصرف منذ نعومة أظفاره إلى حفظ القرآن وسائر ما كان يَحفَظ الراغبون في دخول جامع الزيتونة، في بداية القرن، ولكنه توجه إلى التعليم العام، ثم إلى جامعة السوربون، فحذق الفرنسية وآدابها، وبلغ في ذلك شأوا بعيدا، يؤهل مثله للكتابة بالفرنسية، لو أراد أن يكتب بها، ولكنه آثرَ أن يكتب بالعربية، فكانت لغته لغة أصيلة ورائعة، وهي إلى لغة القرون الأولى أقرب منها إلى لغة عصره[1]. وذكر محمود المسعدي في روايته «حدَّث أبو هريرة قال»[2]، شيئا كهذا: «إلى أبي -رحمه الله- الذي رتَّلت معه صباي على أنغام القرآن، وترجيع الحديث». وقال أحد مريدي إبراهيم اليازجي إنه «سمعه يقرأ فصولا، استملح عربيتها، ثم تبين أن نظره كان يجول في السطور الفرنسية، فيلقيها لسانه بالعربية الفصحى»[3]، وكان أحمد زكي ينشئ في الفرنسية ويخطب كما ينشئ أدباء الفرنسيين ويخطبون، وكان إذا سمع الخطاب العلمي في أحد المجامع بالفرنسية نقله في الحال إلى العربية، دون استحضار، ولم يكد يخرم منه معنى، ودون أن يتلجلج أو يتلكَّأ[4]. وبلغ أحمد فتحي زغلول من تضلعه من الفرنسية أنه كان يلقي نظرة على كتاب علم، كُتب بها، ويترجم عبارته ببيان عذب، لا يشعر جليسه أنه يترجم، وإنما يظن أنه يقرأ من كتاب[5]. ولو بحثنا عن إبداع كل مبدع ما كان أهم أسبابه إلا مهارته بلغته، وعلمه بآدابها، أو بحثنا عن سبب إخفاق من أخفق في الأدب ما كان إلا عكس ذلك، فقد تعلم أدباء المهجر من اللبنانيين -مثلا- بعض اللغات الأجنبية، كالإنجليزية، واطلعوا على آدابها، بيد أنهم لما راموا إنشاء الأدب بالعربية، لم ينشئوا إلا أعمالا ضعيفة، فقد كانت معرفتهم بالعربية مزجاة؛ فكانت أساليبهم متهافتة، وكانوا يعرفون ذلك من أنفسهم، فكانوا يضيقون ذرعا بأن يُنتقَد عليهم، فكانوا يقولون إن العبرة بمضمون الأدب وليس بلغته، ولهم في ذلك أقاويل ضعيفة، كاللغة التي كُتبت بها.

---

(١) بعض الإشكاليات المتعقلة بلغتنا العربية، ١١٩

(٢) صنحة الإهداء.

(٣) المعاصرون، ١٢.

(٤) السابق، ٤٩.

(٥) السابق، ٩٨.

وليست الجوانب البلاغية هي ما يأباه «المتعنتون» من اللغويين، أو «الصفويون»، كما سماهم الحمزاوي، وقد أباح مجمع القاهرة دخول الأساليب الأعجمية في العربية، ويعني بها العبارات التي استشهد الحمزاوي ببعضها، كـ«ذرِّ الرماد في العيون»، و«طلبَ يد فلانة»، و«هو ملكي أكثر من الملك»، إلخ؛ إذ ليس في هذا ونحوه ما يخالف العربية، وقد دخل فيها مثله منذ القدم، ولم يعارضه أحد من اللغويين، ومنه ما تُرجِم من أقوال اليونانيين وحكمهم[1]، وأقوال الفرس، كبزرجمهر، ونقلها كبار الأدباء واللغويين[2]، ولم يستنكفوا من ذلك فضلا عن أن يعارضوه، ودارت في كتب الأدب، وتمثَّلَ الشعراء كثيرا من معانيها، ونظم صالح بن عبد القدوس ألف مثل من أمثال العجم، وهي في ديوانه[3]. وليست هذه الأقوال إلا كغيرها من الآداب والعلوم التي ترجموا من الفارسية والهندية، واليونانية. وما كانوا ليبيحوا ترجمة كتب كاملة، ويستحسنوا ترجمتها، وينتفعوا بأدبها، ويأبوا دخول معنى العبارة ونحوها من الإنجليزية والفرنسية. وكانوا ينبهون على ما سقط إلى شعر الشاعر من كلام العجم، من غير أن يزعموا أنه مخالف للغة، وإن عدُّوه سرقا، والسرق مذموم من حيث هو سرق، ولو كان المسروق عربيا. ومما نبهوا على أنه مأخوذ من كلام اليونان ما قال أبو العتاهية في رثاء علي بن ثابت:

ألا مَنْ لي بأُنْسك يا أخيَّا ومَن لي أن أَبُثَّكَ ما لديَّا[4]

وقول المتنبي:

ووضع الندى في موضع السيف بالعلا مضرٌّ، كوضع السيف في موضع الندى

وقوله:

أعيذها نظرات منك صادقة أن تحسب الشحم فيمن شحمه ورم[5]

وقوله:

---

(١) انظر ملامح يونانية في الأدب العربي، ٤٧ وما بعدها، و١٢٧ وما بعدها و١٤٣ وما بعدها و١٥٢ وما بعدها و١٧١ وما بعدها.

(٢) انظر: عيون الأخبار، ١/ ٣٧ و٢/ ١٧ و١٢٠ و١٢٢ و١٢٣ و١٢٦ و١٢٧ و١٧٥ و٣/ ٦ و٩٠ و١٠٣ و١١٣ و١٧٦ و١٧٩ و١٩١ و٢٢٢ و٢٧١ و٢٩٥.

(٣) العصر العباسي الأول، ١٥٠.

(٤) الأغاني، ٣/ ١٤٢.

(٥) ملامح يونانية في الأدب العربي، ١٧٥.

وإذا كانت النفوس كبارا تعبت في مرادها الأجسام[1]

وقوله:

يراد من القلب نسيانكم وتأبى الطباع على الناقل [2]

وقد عني أبو علي الحسن بن محمد الحاتمي بتتبع ما أخذ المتنبي من أرسطو في رسالة، سماها «ما وافق فيه المتنبي في شعره كلام أرسطو في الحكمة»[3]، وإن كان بعض ما يُنسب إلى المتنبي أخْذه لا تتضح العلاقة بينه وبين ما ينسب إلى أرسطو من كلام، لبعد ما بين معنييهما[4].

ولم يفرق الحمزاوي بين المعاني المنقولة من اللغات الأجنبية بعربية صحيحة من الأساليب المحذوة على الأساليب الأعجمية، كما يبدو من قوله: إن البلاغة القديمة المبنية على «قل ولا تقل» قد أخذت تتقهقر أمام أسلوبية متسامحة متفتحة، تصطنع الاستعمالات الحديثة الناتجة من السماع من المحدثين، وقد أقرَّه مجمع القاهرة[5]. فإن إصلاح الغلط اللغوي الذي سماه «مبدأ قل ولا تقل» أمر مستقل عن البلاغة التي تعني استعمال الكلام على وجه يجعله أشد تأثيرا، وإبانة عن المراد، ومطابقة لمقتضى الحال، وإنما يُعنَى إصلاح الغلط بصحة الكلام، أي موافقته العربيةَ مفرداتٍ، وأساليبَ، بغض النظر عن منزلته في البلاغة، ولم تكن البلاغة يوما مما يُعنَى به المصلحون اللغويون. وإذا شاعت في العربية الحديثة العجمة، وعدم توقي الخطأ، والأساليب المحذوة على أساليب اللغات الأعجمية، فما ذلك بالذي ينبغي أن يستبشر به العالِمُ العربي، الحدب على اللغة والهوية وصيانتهما؛ لأنه شيوع للجهل والضعف والتقليد، والتبعية ومسخ الهوية، وليس فيه أثر من آثار العلم والقوة والاستقلال، ولا ما يبشِّر بقدرة على «إبداع»، لا يتأتى بالتبعية، والنظر بعيون الغير. وإذا شَمِت من يُعْنى بالعلم واللغة، فإنما ينبغي أن يشمت بمن يفسد اللغة، ويدخل عليها الضيم بإفساد هويتها، وإلحاقها بغيرها. وما أحسب أن في فرنسة عالما أو مثقفا،

---

(١) الرسالة الحاتمية، ٢٧٤.

(٢) السابق، ٢٧٦.

(٣) ملامح يونانية في الأدب العربي، ١٧٦ - ١٨٧

(٤) انظر مثلا: ديوان أبي الطيب المتنبي، ٤/ ٢٤٠ وما بعدها.

(٥) العربية والحداثة، ١٧٠.

أو سياسيا يرضى هذا ونحوه للفرنسية، فضلا عن أن يفرح به، أو يشمت بمن يسوءه».

على أن القضية لو وضعت في سياقها الإنساني، عُذر من يذهب هذا المذهب ونحوه، فإن من لا يعرف العربية، ويحرجه أن ينبه على ما يدل على ذلك من كلامه، يبغيها عوجا، ويسره أن تبطل القواعد؛ فيتساوى الخطأ والصواب، والعلم والجهل، ويغدو كل من تكلم أصاب، فلا يخشى أن يُنتقد عليه: (ودُّوا لو تكفرون كما كفروا فتكونون سواء). ولو تعلموا اللغة، وألزموا أنفسهم أن يتكلموا بها، لصحَّت سلائقهم، وانقادت لهم اللغة وانقادوا لها؛ فسهل عليهم ما يستصعبون. ومن عرف هذا، عرف جانبا من عدم المودة الذي يعلن به محمد رشاد الحمزاوي للتراث اللغوي، والمحافظين عليه، وما يَشُنُّ عليه وعليهم من حرب، يعوزها العدل كما يعوزها العلم، كقوله: لقد شن أهل صفاء اللغة -وكانوا ملة كثيرة- حربا شعواء على أنواع المعرَّبات كلها، وكانت هذه الحرب اللغوية تستمد قوتها من القومية الغربية الوحدية، ومن السلفية الداعية إلى الوحدة الإسلامية[1]. وقوله، وهو أصرح من سابقه: النقد التاريخي يبين أن المعرفة لم تتقدم في أوربة إلا حين حل أهل التقنيات محل أهل الدين والموسوعيين، وقامت الطباعة مقام الخطاطة. إن اصطلاحاتنا ستكون رائدة متناسقة، ولا أقول موحدة، إذا عبَّرت عن مفهوم العلم الذي يعني ترك أكثر القديم، على جلالة قدره، فنتجنب التيه في المعارك الثانوية والثلاثية والرباعية المتمثلة في المترادفين أو الثلاثة أو الأربعة، بالنسبة للاصطلاح الأعجمي الواحد[2]. ولعل الذي خفي عليه أن ما يتقلدَّه هو ومن يوافق مذهبه في المتابعة والحذو على ما عند الفرنسيين لا يتأتى منه إلا الترجمة، وقد أقرَّ بأنها هي الغالبة عليه وعلى أمثاله: «يجب أن نقرَّ أنَّ علْمنا علْم ترجمة، في غالب الأحيان»[3]، «العلم الذي نخوض فيه منسوخ وليس مستوعبا، ولذلك فإن التشويش الطارئ على الاصطلاحات يبدو طبيعيا؛ لأننا نستهلك منه بحسب ما يعرض علينا،

(١) العربية والحداثة، ١٦١

(٢) السابق، ١٠٢

(٣) السابق، ١٠٣.

وبحسب مناهج طلبنا منه»[1]. وهو اعتراف، لا يعدو الحقيقة. والإبداع لا يتأتى ممن وُكْده النسخ والترجمة، ومن أراد التقدم والحداثة، كانت أمته أجل عنده من أن يكون وكدها الاستهلاك و«النسخ غير المستوعب»، وكان لزاما عليه أن يخالف هذا المذهب، ويبيِّن خطأه، ومباينته ماهية الحداثة التي يُدَّعى أنه من مقتضياتها، لما فيه من تبعية، لا تقود إلا إلى ما فيه العرب من تخلف.

وما ذهب إليه الحمزاوي تذهب إليه طائفة من المستشرقين، منها جلبير غرانغيوم، غير أنها تتبع في الإعراب عنه دهاء الغربيين، إذا هموا أن ينالوا من الإسلام والتراث الإسلامي، فيُخرجون ما يريدون مخرج النتيجة التي انتهى إليها البحث العلمي، ولا يخرجونه مخرج الرأي، يراه أحدهم؛ مخافة أن يُحْمل على ما ينبغي أن يحمل عليه. وإن كان جلبير ربما عدل عن دهائه إلى التصريح بما يرى، غير أن الغايات التي يتغيا في الحالين واضحة، كقوله إن دراسات عدة أظهرت ما أصاب اللهجة العامية واللغة الأمازيغية في المغرب من تغير كبير، من تأثرها بالفرنسية، وهو تغير، نال النحو والصرفَ والدلالة. وهذه الدراسات كانت من عمل باحثين مغاربة، ومِن صورها ما سماه ظاهرة «السنن المختلط» (code-mixing)، وهو يقود المتكلم المغربي إلى إدخال كلمات أو عبارات فرنسية في كلامه، وانتقاله إلى الفرنسية وهو في غمرة الكلام بالعربية. وانتهى بحث ميداني لباحث مغربي، أجراه عام ١٩٧٠ م إلى أن من المغاربة من يتكلم بالفرنسية إذا أراد أن يبين عن حب أمِّه، وإنما يفعل ذلك؛ لأن العربية والأمازيغية ليس فيهما ما يبين عنه[2]. وما زعم أن البحث الميداني انتهى إليه هو ما ساق الكلام على الوجه الذي ساقه عليه من أجل أن ينتهي إليه، وهو عجز العربية والأمازيغية عن بلوغ ما في نفْسِ المغربي من معان وعواطف، كما تبلُغها الفرنسية؛ فمن الخير للمغربي -إذن- أن يصير إلى الفرنسية التي تهيئ له من الأساليب المبينة عما يريد ما لا تهيئ له لغتاه العربية والأمازيغية. ولا جرم أن ما انتهى إليه هذا البحث، إن صح، شاذ، ولا يصح أن تستنتج منه نتيجة كالتي استنتج، أما الذي لا خلاف فيه، وهو بديهية من البديهيات، فأن اللغة، إذا سبقت

---

(١) العربية والحداثة، ٨٤.

(٢) سياسة التعريب والفرنكفونية.

إلى العقل، تملَّكته، فلم يبلغ غيرُها ما في النفس من المعاني كما تبلغه. ومهما يبلغ تأثر المرء بلغة من اللغات الأجنبية يجد نفسه في لحظة من لحظات الغفلة يعود إلى لغته الأم عودا تلقائيا، كما يروى أن جاسوسا ألمانيا في الحرب الثانية أتقن الفرنسية إتقانا تاما، حتى لم يكن يظهر في كلامه أثر للألمانية، وتسرَّب إلى أكثر المواطن الفرنسية خصوصية في الحرب والسياسة، حتى غلى فيه ارتياب خبراء مكافحة التجسس، فدلَّهم أحد الخبراء على أن استثارته المفاجئة قد تردُّه إلى لغته الأم، فتعقَّبه أحد المراقبين في سفرة له بالقطار، فصفعه بغتة، وهو منهمك في قراءة صحيفة، فردَّ عليه بعبارةِ استنكار بالألمانية، قبل أن يلتحما[1]. وما كل من استعمل عبارة أو كلمة من لغة أجنبية كان استعماله إياهما من أن لغته ليس فيها ما يقوم مقامهما، أو يبين عما أراد غيرهما، فكثير مما يستعمل العرب من مفردات وأساليب أجنبية لها مرادفات في العربية، كثيرا ما تكون أدق منها وأبلغ، وهم بمعانيها أبصر منهم بمعاني ما يستعملون من الألفاظ الأجنبية، وإنما يَستعمِلونها لحاجة نفسية غير البيان، وقد يستعملونها لمجرد الإعجاب بها[2]. هذا إلى أن بعض الذين يتكلمون باللغة الأجنبية كثيرا ما يكونون جهالا بلغتهم، عربية كانت أو أمازيغية. غير أن بعض المستشرقين إذا رام غاية اعتسف إليها الطريق، وتجاهل الضروري من الحقائق، والبديهيات التي لا خفاء بها، ولم يبال ما أتى من إحالة.

ثامنا- كثرة الفضول

ومن المسخ ما يُرَى في عربية اليوم من كثرة الفضول، والكلمات التي لا تؤدي معنى في الجملة، كالعبارة التي تُرجم بها قول بول ريكور: «تطلق كلمة نص على كل خطاب تم تثبيته بواسطة الكتابة، وهذا التثبيت أمر مؤسس للنص ذاته ومثبت له»[3]. فشِقُّ العبارة الأول يمكن أن يستغنى عنه بـ: النص: كل خطاب مكتوب. فإن أُريد ما هو أوضح، تُرْجِمَ بـ: النص كل كلام مكتوب.

---

(١) إنقاذ اللغة إنقاذ الهوية، ١٨ وما بعدها.

(٢) الاشتقاق والعريب، ٢٤.

(٣) نقلا عن: مدخل إلى علم النص، ١٤.

وربما دلَّ بعض الكلام على ضعف السليقة، وقلة العلم بالعربية، وأن المرء إذا كتب أو تكلم لا يعي ما يقول، كعبارة رأيتها تتكرر في بحث أستاذ جامعي، منشور في مجلة علمية محكَّمة: «مثلا، على سبيل المثال»، فلم تهده مراجعاته إلى ضعف هذه العبارة، ولا اهتدى إليه من حُكِّم في بحثه، فإنَّ معنى «مثلا»، و«على سبيل المثال» واحد، إلا أن «مثلا» أوجز، وهي المعهودة في العربية، أما «على سبيل المثال»، فإنما أُولع بها المحدثون؛ لأنها ترجمة لـ / par exemple For example، وجَمْعُه بين عبارتين، تدلان على معنى واحد دليل على أنه يردد ما درج على الألسنة والأقلام دون وعي، كما يردد بعضهم: «ومِن ثُمَّ»، و«هناك ثَمَّةَ»، و«استراح من عناءِ التعب»، و«سها عن بالي»، و«الآراء في البرنامج تعبر عن آراء أصحابها»[1]، إلخ. وقصارى ما يعرف جلُّ الذين يُعنون بالعربية الفصحى منها اليوم، ويتوقَّون اللحن فيها، العوامل الإعرابية وآثارها، وما وافق الفصحى من العامية. فلا غرو أن يكثر في كلامهم الضعف، والفضول، والإطالة، وما لا معنى له. والإطالة نوعان: إطالة كلمات، بزيادة ما ليس معهودا أن يزاد فيها، وإطالة جمل بالتكثر من المفردات التي لا تزيد في معناها، فمن إطالة المفردات «خطوبة» (خطبة)، ونضوج (نضج)، وخصوبة (خصب)، وإيثار الأفعال المزيدة على الأفعال المجردة، والصيغ الطويلة على الصيغ التي هي أقصر منها، نحو: وصَّف، واكتشف، وتفحَّص، بدلا من وَصَف، وكشَف، وفحَص، مع أن الفعل المجرد أخف من المزيد، ويرى بعض اللغويين أن «المعنى الواحد إذا دل عليه فعلان: ثلاثي ورباعي على وزن أفعل، فالثلاثي هو الراجح، وهو الفصيح، مثل: وقفه وأوقفه، ورَجَعَه وأرجعه، ورَعَبَه وأرعبه، ونَهَكَه وأنهكه، وعاقه وأعاقه، وهاجه وأهاجه، ونعَشه وأنعشه، وحَرَمه وأحرمه، ونقصه وأنقصه، ودانه وأدانه، ورماه وأرماه للحجر، وكسب وأكسب، في التعدي، وذعره وأذعره»[2]. ولا يخفى أن جل المستعمل اليوم من هذه الأفعال هو المزيد، كأوقف، وأرجع، وأرعب، وأنهك، وأعاق، وأنعش، وأدان، وأكسب، وأقل الناس من يعرف الثلاثي منها أو يستعمله. هذا إلى أن

---

(١) أزمة اللغة والترجمة، ٣٧.

(٢) المباحث اللغوية في العراق، ٤٣.

استعمال المزيد من بعض هذه الأفعال غير مسموع في الفصحى، كوصَّف، وأما «اكتشف»، فيعني مبالغة المرأة في التكشف لزوجها[1].

ومن هذا إيثار المغاربة ومن تأثرهم «يندرج»، على «يدخل»؛ لأنه أكثر منه حروفا، وأثقل، وشيوع «بلْوَر» بدلا من بلّر، مع أن بلَّر هو الصحيح. ولبعض الكتاب ولع شديد بالأفعال المزيدة غير المعروفة في العربية، والعدول عن الأفعال المجردة الشهيرة التي هي أخف منها وأجمل، من غير أن يكون للزيادة معنى، كاستعمال بعضهم أصهر بمعنى أذاب[2]، والاهتجار، بمعنى الهجرة[3]، والإغماس[4]، بمعنى الغَمْس، وليس في العربية «أغمس»، ولا اهتجر، وإنما فيها غمس، وهجر، وهاجر، وغمس متعد بنفسه، وليس في حاجة إلى همزة التعدية، وإذا كان للفعل صيغتان: مجردة ومزيدة آثروا المزيدة على المجردة، كما يؤثر بعضهم أشاق على شاق، مع أن أشاق لا تكاد ترد إلا في المعجمات، أما المشهور في الاستعمال الأدبي، فشاق، كقول لبيد:

شاقتْكَ ظُعْنُ الحي حين تحمَّلوا فتكنَّسوا قُطُنا تَصِرُّ خيامها

واللغة تواضُع؛ فليس لمن أراد البيان والإفهام أن يخرج عما تووضع عليه، ومما تووضع عليه في العربية معاني صيغ الأفعال، كاستفعل للطلب، والتحويل، وافتعل وتفاعل للاشتراك، فمن استعمل الصيغة في غير معناها، خرج عن التواضع؛ فلم يُبِنْ، كأن يقول: استصرع القوم، أي: تصارعوا، وأمات فلان في الحصول على كذا، أي: استمات؛ لأن «استفعل» لا يدل على الاشتراك، و«أفعل» لا يدل على الطلب. ومن رأى أن هذه قيود، وأن من حقه أن يتحرر منها، فله ذلك، لكنه سيصنع لغة، لا يفهمها غيره؛ لأن ما تواضع عليه العرب خلافها، فإنْ فُهم مراده من السياق الذي يَرِدُ فيه ما استحدث، كأن يُفهم من «استصرع» القوم أن المراد اصطرعوا؛ لأن القوم جماعة، والجماعة تشترك فيما يُسنَد إليها من الأفعال، كان الذي أبان عنه هو السياق وليس الصيغة التي استعملها في غير معناها، وتحليلا يحلله السامع، كما يحلل كلام الصبيان وحديثي العهد بتعلم

(١) القاموس المحيط. (ك ش ف).

(٢) السابق. ١٠٨

(٣) السابق. ٥٣

(٤) السابق. ١٩

اللغة؛ ليعرف مرادهم من غير أن يكون ما يقولون دالا في نفسه، ولا مساوقا للغة التي يحسب أنه يتكلم بها، وذلك كما نفهم اليوم من السياق أن معنى «تفانى في الحصول على كذا»: استمات في الحصول عليه، لا من الصيغة، فإن «تفاعل» تدل على الاشتراك، كقول الشاعر:

تداركتما عبسا وذبيان بعد ما   تفانوا، ودقُّوا بينهم عطر مَنْشِم

أي: أفنى بعضهم بعضا. وإذا صح ذلك، فاستعمال أصهر، واهتجر، ووصَّف، وما شاكلها من الصيغ الخارجة عن قانون اللغة خطأ. وأقبح ما يكون استعمالها إذا كان ما يؤدي معناها من الأفعال معروفا في العربية مشهورا، بل لا يُعرَف غيره، وهو يغني عن الاعتساف واختراع الخطأ.

ومن الإطالة قولهم: من كذا وحتى، و«سبق وأن»، و«كما وأن»، و«نجح فلان، بل وكان متفوقا»، والواو في هذا كله لا تفيد، واستعمالها غير صحيح[1]. وقولهم: سنعاقبه إذا تكرر منه ذلك مستقبلا، ولا فائدة في «مستقبلا» لدلالة السين و«إذا» على الاستقبال. وقولهم: تقدم إلى الأمام، والتقدم لا يكون إلا إلى الأمام، ولم يرسل الكتاب إلى الآن، ولم يرسل الكتاب حتى الآن، بدلا من: لما يرسل الكتاب، والمذكرة التي كُتبت من قِبَل فلان، بدلا من: المذكرة التي كتب فلان، وسوف لن أحضر الحفل، وسوف لا أحضر الحفل، بدلا من: لن أحضر الحفل، أو لا أحضر الحفل، وقولهم: ألقى فلان خطابا، بدلا من: خطب[2]. وقولهم: مدة زمنية، والمدة لا تكون إلا زمنية، والوقت الحاضر، بدلا من الآن، ويوم غد بدلا من غدا، ويوم أمس بدلا من أمس، كما يقال في الإنجليزية (yesterday)، وليلة البارحة (last night)، بدلا من البارحة، وقام بمساع حميدة، بدلا من: سعى مسعى حميدا، وأعطى مثالا (gave an exsaple)، بدلا من مثَّل، و«أعْطِ أجنحةً لأحلامك» (Donnez des ailes à vos rêves)[3]، وكم عدد الكتب؟، وأين مكانك؟ ومتى وقت السفر؟ وكيف الحال؟، ولا يُسأل بـ«كم» إلا عن العدد، ولا بـ«متى» إلا عن الزمن، ولا بـ«كيف»

(١) العربية المعاصرة والحس اللغوي، ١٠ وما بعدها.

(٢) السابق، ١١ وما بعدها.

(٣) الممارسات اللغوية في الخطاب الإشهاري الجزائري، ١٠٥.

إلا عن الحال، ولا بـ«أين» إلا عن المكان؛ فذكر «عدد»، و«مكان»، و«وقت»، و«حال»، من الفضول. وقولهم: عددهم عشرة، وثَمَّ عدد من الكتب، ويرى عدد من المختصين، وإنما كان ينبغي أن يقال: هم عشرة؛ لأن «عشرة» دالة على العدد، و«كتب»، و«متخصصين» يدلان على الجمع، فهما يغنيان عن «عدد»، ويمكن أن يقال: يرى بعض المتخصصين، أو فئة من المتخصصين، أو: يرى متخصصون، فإن أريدت الكثرة أو القلة قيل: يرى كثير من المتخصصين، أو قليل من المتخصصين. وقولهم: صرح عدد كبير، ويكفي أن يقال: قال كثير. ومن الفضول ما رأيت مكتوبا في بعض مسالخ المدينة المنورة: منقطة المنحر، ومنطقة المسلخ، مع أن «المنحر»، و«المسلخ» تغنيان عن «منطقة»؛ لأنهما اسما مكان النحر والسلخ، فهمان يغنيان عن كل كلمة أخرى، تدل على المكان، واستعمال «منطقة» في العربية الحديثة وجه من وجوه توغل اللغة الأجنبية فيها، فإنها إنما استعملت لتقابل area، و«مكان» تغني عنها، ولا داعي لاستعمالها في كثير من الأساليب العربية الحديثة، واستعمالها فيها كاستعمال «مكان» في: «مكان الذبح».

ومن الفضول قولهم الكرة الأرضية، وبينهما أرضية مشتركة، بدلا من الأرض، وبينهما أرض مشتركة، وتسميتهم جزيرة العرب شبه الجزيرة العربية، والجزيرة العربية، وشبه الجزيرة الإيبيرية (الأندلس)، بدلا من الجزيرة، وجزيرة العرب، وكان العرب القدماء يسمون كلا منهما الجزيرة، كما يبدو من تسمية الهمداني كتابه «صفة جزيرة العرب»، وتسمية ابن بسام الشنتريني كتابه «الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة». وهذا من الفضول الناتج من الترجمة الحرفية، فإن الجزيرة العربية إنما يقولها مَنْ يستحضر Arabia Island، أما «شبه الجزيرة»، فإنما يقولها من يترجم Peninsula، وهي تسمية ما أذكر أني رأيتها في شيء من المراجع العربية قبل هذا العصر. وقولهم: الدين الإسلامي، بدلا من الإسلام؛ لأنهم يحذون على: Islamic religion، والإسلام دين، وذكر الدين معه فضول. وقرأت الكتب باستثناء واحد، ووجه الفضول فيه أن «باستثناء» تنوب عنها أداة من أدوات الاستثناء، كإلا، وغير، وعدا، وخلا، وحاشا، وكان ينبغي أن يقال: قرأت الكتب إلا واحدا، أو غير واحد، أو عدا واحد. ومن الفضول قولهم:

ابتداء من كذا وإلى غاية كذا، فإن «من» تدلُّ على ابتداء الغاية، وتدلُّ «إلى» على انتهائها، فلا معنى للجمع بين الحرفين والكلمتين اللتين ينوبان عنهما، كما لا يجوز أن يقال: زيد مستقر في الدار، وعمرو كائن فوق الشجرة، فإن متعلق الظرف مفهوم، ولذلك وجب حذفه، وإنما يكفي أن يقال: من كذا إلى ذلك، كما قال الله تعالى: (من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى). أما الواو التي قبل «إلى»، فلا معنى لها. وهذا الأسلوب شبيه بما يقال في العامية المصرية: لغاية ما أذَّن الفجر: يجمع بين الحرف (اللام) و«غاية» التي هو بمعناها. وعقدوا اجتماعا، وقام بتسليمه رسالة، وتمت إجازته، وأعطاه إرشادات، وفَعَلَ كذا عن طريق كذا، وفعل كذا بواسطة كذا، ومن خلال كذا، وارتفاع الأسعار، وأُلقي القبض عليه، إلخ. وكان يمكن أن يقال في هذه العبارات: اجتمعوا، وسلَّمه رسالة، وأُجيز، وأرشده، وفعل كذا بكذا، والغلاء، وقُبِضَ عليه. ولعل الذي استعمل هذه العبارات أول مرة كان يترجم من لغة أجنبية، لا يعرف غيرها، فدرجت على الأقلام والألسنة حتى نُسي الأسلوب العربي، على سلامته من الفضول.

ومن الفضول جمع أسماء الجنس، والمصادر، التي يؤدي مفردها ما يؤدي الجمع، إن جاز جمعها، كأبقار (vaches / cows)، وأغنام (brebis)، وأسماك (poissons)، ومياه (waters)، وخيول (horses)، وأجبان (cheeses)، وألبان (laits)، وتمور (dates)، وحبوب (grains)، وأخشاب (woods)، وتهديدات (threats)، وتفسيرات (explanations)، ونجاحات (Succés / successes)، ونشاطات (activites / activities)، واستحثاثات (urges)، و«تفضيلات» (favorites)[1]، ومدَيات، جمع مدى (étendues / scopes)، إلخ. وتجاوز بعضهم الجمع إلى جمع الجمع، مبالغة منه في الإطالة والفضول اللذين لا تطيب نفوسهم دونهما؛ لأنهم -إذا تكلموا أو كتبوا- إنما يترجمون ترجمة ذهنية، نحو: حجوزات (Bookings)، وأذونات (permissions)، وكشوفات (discoveries)، وخروقات (violations)، وجراحات (wounds)، وخفوضات (discounts)، وفروقات (differences)، وميوزات، جمع ميز (distinctions)،

---

(١) أزمة اللغة والترجمة، ٣١.

إلـخ. فهـذه الجمـوع كلهـا لا تفيـد معنـى لا يفيـده المفـرد، فأبقـار لا تفيـد معنـى لا يفيـده بقـر، ولا تفيـد أغنـام معنى لا تفيـده غنـم، ولا تفيـد حجوزات معنـى لا يفيده حجْـز، فجمعهـا من الفضول، وهو ينافـي روح العربية النزاعة إلى الإيجاز، والتقلل مـن الألفـاظ. وفيهـا مـا لا يصـح جمعـه، كالمصـدر، إلا إذا أفـاد التنـوع، وانتقل من الحـدث إلى الاسـمية[1]، والذيـن يجمعونـه لا ينظـرون إلـى هـذه الشـروط، وإنمـا يجمعونـه كمـا يُجمَـع مرادفـه فـي اللغـات الأجنبيـة[2]. ومـن هـذا قولهـم: عربـة تجرهـا ثلاثـة خيـول، فالخيـل اسـم جمـع، وجمعـه بمنزلـة جمـع الجمـع الـذي لا يكـون إلا كثيـرا، وإنمـا ينبغـي أن يقال: تجرها ثلاثـة أفراس، أو ثلاثـة أحصنة. ومن أعجـب مـا رأيـت مـن جمـوع «العربيـة» الحديثـة جمـع «كُلّ» علـى «أكلال»، كمـا يجمـع مرادفه في الإنجليزية (whole) على wholes، وجمع «كلٍّ» في العربية لا معنى لـه؛ لأنـه يفيـد استغراق أفـراد ما يضـاف إليـه أو أجزائـه[3].

ومـن الفضـول الإفـراط فـي الإضافـة إلـى يـاء المتكلـم، كليلتـي، وحفلتـي، وسـهرتي، وسـيارتي، وسـيدتي، وحقيبتـي، ومبايلـي، إلـخ، وهـو أثـر مـن آثـار الإنجليزيـة والفرنسـية، فـإن مـن دأبهمـا التكثـر منـه علـى الوجـه الـذي أخـذ يشـيع فـي عربيـة اليـوم. ومنه الإفراط في ياء النسـب، ولا سـيما إذا أريـدت صياغة مصدر صناعـي، فإنهـم يزيـدون يـاء النسـب وهـاء التأنيـث فـي الكلمـة ولـو كانـت مصدرا أصليـا يغنـي عـن المصـدر الصناعـي، ولا تزيـده يـاء النسـب مصدريـة، كاتفاقيـة، وإحصائيـة، وجدوائيـة، وجديـة، واسـتمرارية، واطراديـة، وتفكيكيـة، وتقويضيـة، ومقصديـة، وتخاطبيـة، وتواصليـة، وجماليـة، وحداثيـة[4]، وجدليـة[5]، بدل: اتفاق، وإحصـاء، وجـدوى، وجد، واسـتمرار، وتفكيـك، وتقويض، ومقصـد، وتخاطـب، وتواصـل، وجمـال، وحداثـة، وجـدل. ومـن هـذا الإشـكالية، و«الإشـكال» يغنـي عنهـا؛ لأنـه مصـدر أصلـي، ولعـل مـن عـدل عنـه إليها إنمـا فعل لأنـه يريـد أن تكـون «إشـكالية» مرادفـة لـ problematic، وهـي منسـوبة؛ فـلا بـد أن تكـون الكلمـة التي

---

(١) انظر: مع المصادر في اللغة والأدب، ٢/ ٢٣٩ (هامش).
(٢) اللغة والحضارة، ١١٣.
(٣) المعجم الوسيط، (ك ل ل).
(٤) ترجمة المصطلحات الأدبية وتعريبها، ١١١ وما بعدها.
(٥) الاستشراق، ٦٩.

ترادفها منسوبة أيضا، وإلا لم تصح الترجمة[١]. وشاع المصدر الصناعي شيوعا لا حدَّ له مذ أجازه مجمع القاهرة، حتى أصبح كثير من الكتاب يفضلونه على الصفة البسيطة، بل يكاد يكون من سمات كلام العرب الجاري[٢]. وإنما شاع ذلك الشيوعَ بسبب الولع بالفضول، والزيادة في الكلام، لغير حاجة، هذا إلى أن لكل جديد لذة، وأن بعض الناس -ولا سيما غير العالمين- يستهويهم الجديد لجدته، بغض النظر عن قيمته في نفسه، وعن صحته وخطئه؛ إذ ليست لهم موازين يزنون بها الأشياء؛ فتكون الجدة هي ميزانهم.

ومن ولعهم بالنسب عدلوا عن الإضافة إليه؛ لأن فيه جمعا بين المضاف والمضاف إليه مع ياء النسب، وزيادة «أل» في الكلمة التي كان ينبغي أن تكون مضافة، كقولهم: الحليب البقري، واللحم البقري، والغسيل الكلوي، والمغص الكلوي، والفشل الكلوي، والعمود الفقري، والقفص الصدري، والقفص الذهبي، والجهاز الهضمي، والعمل التوعوي، والجملة الماضوية، والنقد القافوي، والمدة الأصغرية، والاتفاقية التصفوية، والبرامج التنموية، والأنظمة التربوية، وعلم النفس التربوي[٣]، والمقياس القاعدي (basic standardization)، والمقياس الجذري (fundamental standard). ويسمي بعض أهل المغرب العربي أصل الراتب «الراتب القاعدي». وأوجز من هذا وأصح أن يقال: لبن البقر، ولحم البقر، وغسل الكلى، ومغص الكلى، أو ألم الكلى، وإخفاق الكُلى، والصدر، والظهر، وفقار الظهر، وقفص الذهب، وجهاز الهضم، والتوعية، وجملة الفعل الماضي، ونقد القافية، والمدة الصغرى، واتفاق التصفية، وبرامج التنمية، وأنظمة التربية، وعلم نفس التربية، ومقياس القاعدة، ومقياس الأصل، وأصل الراتب، فهذا ونحوه أخف وأقصر من النسب، وما فيه من حذو على اللغات الأجنبية، لقلة العلم بالعربية[٤]. وكان محمد كرد علي قد اشمأزَّ مما جدَّ من هذا النسب وكثرته في زمانه، فقال: «أتونا بألفاظ وتركيب، لو حلفنا لأهل عصور زهو العربية بالطلاق والعتاق أنها عربية ما صدقوا ولا

---

(١) مقاربات في المسألة اللغوية بالمغرب، ٨٢.

(٢) المصطلحات الأدبية الحديثة، ٢٥.

(٣) اللغة العربية ووسائل الإعلام، ١٠٦.

(٤) الموضع السابق.

آمنوا. وجاءنا المتفاصحون من المترجمين بتركيب النزعة الواقعية، والقوة الوجدانية، الذاتي، الموضوعي، الإقليمي، الفكرة الأساسية، الفكرة الرئيسية، الطريقة الاعتباطية»[1]. وليس في هذه الأسماء ما هو مصدر صناعي، وإنما هي أسماء زيدت فيها ياء النسب لغير معنى، كزيادتها في «الأساس» و«الرئيس»، أو زيدت في كلمات، لم تكن معروفة في العربية، وإنما استُحدِثَت في هذا العصر بتأثير من الترجمة الحرفية، كالذاتي والموضوعي، إلخ. وما أدري ماذا كان سيقول محمد كرد لو رأى ما صار إليه النسب في زماننا!.

وتجاوز المغرمون بالنسب ما جرت به سنة العربية من قصر النسب على المفرد، إلى المساواة بينه وبين الجمع، كما اجترؤوا على التوسع في الشذوذ وساووا بينه وبين القاعدة، حتى صارت القاعدة كالشذوذ، والشذوذ قاعدة. وعدَّ بعضهم النسب إلى الجمع خروجا عن القواعد اللغوية «البالية» التي تمنعه، وتوجب أن ينسب إلى المفرد وحده، كما هو مذهب البصريين، واحتجوا لذلك بخوف اللبس، فقالوا: العلاماتية، والرموزية، والعلاقاتية، والنصوصية، والموضوعاتية، والأغراضية، والمستوياتية، والألسنية، ومداولاتية، وتداولاتية، وانطباعاتية، وظاهراتية، ومفهوماتية[2]، إلخ. ويرى بعضهم أن تسوية أهل مصر بين «الدولة» و«الدول» في النسب إليها بـ «دوْلي» يلبس، وأن العربية لما كانت سمحة وتجيز -عند الضرورة- النسب إلى الجمع، تجنُّبا للبس، وجب أن ينسب إلى «دُول» بـ «دُوَلي»، وإلى الدولة بدوْلي[3]. ويرى بعضهم أن استعمال البنيوية الموضوعاتية أولى من البنيوية الموضوعية، لما يجنب من الوقوع في اللبس بين Thématique، وObjectivé، ويقيس على ذلك النسب إلى الجمع، خلافا للقاعدة[4]. وليس الأمر كذلك، أما أولا، فلأن كثيرا من النسب في العربية الحديثة لا يحمل عليه وشيء، ويمكن أن يؤدَّى المعنى دونه، كما كان يؤدى دونه في العربية القديمة، وإنما حمل عليه حذو العربية

(١) المذكرات، ٤/ ١١٢٤.

(٢) إشكالية المصطلح في الخطاب النقدي العربي الجديد، ٤٨٩ وما بعدها، وترجمة المصطلحات الأدبية وتعريبها: مشاكل وحلول وواقع مأمول.

(٣) بعض الإشكاليات المتعلقة بلغتنا العربية، ١٢٠.

(٤) إشكالية المصطلح في الخطاب النقدي العربي الجديد، ٤٩٠.

على اللغات الأوربية، فلما كانت الفرنسية تقول: Thématique، وهو لفظ منسوب، كان لا يؤدي معناه من العربية إلا لفظ منسوب، مع أن من الممكن أن يترجم بغير نسب، كأن يقال: علم الموضوعات، أو فن الموضوعات، وما شاكل ذلك من كل اصطلاح، تقوم فيه الإضافة مقام النسب، كما كان شائعا في العربية الأصيلة. وقد سَمَّى بعضهم المعنى الذي يُطْلَق عليه Thématiqueعلم الموضوع، ترجمة لـ (Thématologie)[1]، من غير نسب ولا جمع. ويمكن أن تسمى «البنيوية الموضوعاتية» بنوية الموضوعات، أو بنوية المعاني، لكن لما كانت اللغات الأوربية تسميها: Structure Thématique، كان لزاما أن تكون ترجمتها إلى العربية أن يوضع بإزاء كل كلمة من كلمات اللفظ الأجنبي مقابل من العربية، وأن يُلحَق به ما يُلحَق به، من أجل أن تكون الترجمة صحيحة، والاصطلاح دقيقا. وكذلك العدول عن التفكيك إلى التفكيكية؛ فإن «التفكيك» أقرب إلى العربية الفصحى، أما التفكيكية فأدنى إلى الإنجليزية والفرنسية، وصياغتهما أسماء المذاهب على نحو ثابت، بزيادة isme / ism، وهو يدل على توغل اللغات الأجنبية وأنظمتها في العربية الحديثة. ومما أعان عليه قرار مجمع القاهرة أن «المصدر الصناعي هو وسيلة اللغة لصوغ اسْم المعنى من الجوامد، وهو قياس، اتخذه مجمع اللغة العربية بالقاهرة للتيسير على المترجمين في نقل الكلمات المنتهية في الإنجليزية باللاحقة (ism) مثل: humanism, liberalism, racism»[2]. وكان ينبغي أن يقصر هذا على غير المصادر، أما المصادر، فتستغني بنفسها عن النسب، كما استغنى «الاعتزال»، و«التشيع»، و«الرفض» و«التصوف» عن الياء. فالنسب إلى الجمع -إذن- دافعه الولع بحذو العربية على اللغات الأجنبية، لا خوف اللبس، والذين يدَّعون خوف اللبس لا يعرفون العربية، ومن عادة من لا يعرف اللغة أن يكون خوفه اللبس أشد من خوف من يعرفها؛ لأنه لا يعرف قواعدها، وأساليبها، وإنما يعرف منها شيئا يسيرا، وكلما تنوعت الأساليب، وتفنن العارفون باللغة فيها تعذر عليهم أن يفهموا المراد. والنسب إلى المفرد خير من النسب إلى الجمع غالبا؛ لما فيه من إيجاز بتقليل

(١) إشكالية المصطلح في الخطاب النقدي العربي الجديد، ١٥٣.
(٢) العربية لغة العلوم والتقنية، ٢١١.

حروف الكلم، وعدم الركون إلى الضخم اللفظي الذي تكثر فيه الحروف لغير فائدة. وليس هو مذهب البصريين وحدهم، وإنما هو مذهب العرب كافة، وإنما أجاز الكوفيون النسب إلى الجمع على عادة بعضهم في التوسع في القياس على الشاذ والنادر[1]. أما الحجج التي يحتج بها المسوون بين المفرد والجمع في النسب لما يرون، فضعيفة غالبا، وليس فيها ما يقنع، وينبغي أن توضع في سياقها، وهو الضيق بالعربية وقواعدها، والحرص على جعلها لغة لا قواعد لها، وكل من تكلم بها أصاب، ويستوي فيها العالم بها والجاهل، وهذا سبب أنهم لا يخطّئ مخطئ في العربية إلا ركبوا في تصحيح خطئه كل صعب وذلول. وقد قيد مجمع القاهرة إجازة النسب إلى الجمع بإرادة التوضيح والتبيين، فإذا أُمن اللبس، فالبقاء على الأصل هو الأفضل[2]، طردا للقاعدة. وقد صار كثير من النقاد «يتفننون في النسبة إلى الجمع، ويخرجون عن القاعدة دون حاجة أو ضرورة»[3]، كقول كمال أبو ديب: الغرب أو العالم الحواضري[4]، فإنه غاية في الثقل، ولا شيء يدعو إلى النسب إلى الجمع في هذه العبارة، ولا إلى المفرد، وإنما كان يمكن أن يقول: الغرب أو عالم الحواضر. ولو أن الذين يدعون إلى التوسع في الشذوذ وانتهاك قواعد العربية اتفقوا على صونها، والدعوة إلى لزومها لسهل عليهم كثير مما يستصعبون من العربية، وعلموا منها ما يجهلون؛ فسهل عليهم تعلمها وسهُلَ على من يتعلمها من غير أهلها.

وكثرة النسب في العربية الحديثة وجه من وجوه حذوها على اللغات الأوربية، كالإنجليزية، فإن النسب فيها كثير، وهو بمنزلة الصفة في العربية، وياء النسب في العربية تقابل الكواسع التي تدل على الوصف فيها، مثل: al، وic، و ive، وy[5]. وكان النسب في العربية القديمة قليلا، ويكاد يقتصر على القبائل، والبلدان، والمذاهب، والنِّحَل، والأديان، والحرف، والصناعات، ونحو ذلك. وكثيرا ما يشعر قارئ الكتابات الحديثة أن النسب غدا لازمة من لوازم العربية،

---

(١) القياس في العربية، ٥٠.

(٢) النحو الوافي، ٤/ ٧٤٢ وما بعدها (هامش).

(٣) إشكالية المصطلح في الخطاب النقدي العربي الجديد، ٤٩٠.

(٤) الثقافة والإمبريالية، ٧٨.

(٥) المصطلحات الأدبية الحديثة، ١٩ وما بعدها.

ولـو كان الكاتـب يترجـم نصا أجنبيـا، ليس فيه نسـب، كعبـارة: Communication situation، فقـد تُرجمـت بـ«المقـام الاتصالـي»[1]، وليـس فـي العبـارة المترجمـة منسـوب؛ فمـا تقتضيـه الترجمـة الحرفيـة، فضـلا عـن المعنـى، أن تترجـم بـ: مقـام الاتصـال، وكترجمـة: Overview of the translation task بـ: إطلالة على العمل الترجمي، وليـس فيها نسـب، ولا مـا يستدعيه. وإذا كان المترجَم هـو المعنى دون اللفـظ، فترجمتهـا الصحيحـة هـي: إطلالـة علـى الترجمة، فإن كان لا بد مـن مقابل لـكل كلمـة فـي النـص، مع أن منه بدًّا، فيمكـن أن تترجـم بـ: إطلالـة علـى عمـل الترجمة.

ويرى بعـض المشـتغلين بالترجمـة أن النسـب مريـح في ترجمـة الاصطلاحات العلميـة؛ لأنـه يختصـر الكلمـات، ويجنب خلـط المعاني الـذي تسببه الإضافة، إذا اعتُمِد عليهـا وحدهـا، بـل ييسر الإشـارة إلـى المفهومـات الحديثـة، وهـي تقتضي استعمال كثيـر مـن الصفـات، وقـد غـدا ضـرورة فـي العلـوم التـي تـدرَّس بالعربية، ولـو كانـت الأسـاليب التـي تُصطنـع فيهـا غيـر عربيـة[2]. ولا ريـب أن فـي وسـع العـارف باللغـة، المقتـدر علـى التصـرف فيهـا أن ينقل معنـى النص بعربيـة صحيحة سـالمة مـن العجمـة والغمـوض، وأن في سـعة العربية وكثـرة أسـاليبها مندوحة عما لا يصـح ولا يبيـن، ولا يُرتضَـى مـن الأسـاليب. وإنمـا يلـزم لفـظَ النـص مَـن يظـن أن اللفـظ هـو المترجَـم، وأن الترجمـة لا تسـتقيم أو يُتقيَّـد ببنـاء العبـارة المترجمـة فـي لغتهـا، وإن اقتضـى ذلـك تجـاوز قواعـد اللغـة المترجـم إليهـا وخصائصهـا الأسلوبية. ونقْل كتاب أو مقال إلى العربية -على أهميته- لا يسـوِّغ إفسـادها، ولا انتهـاك هويتهـا، وإلحاقهـا بغيرهـا مـن اللغـات التـي ليسـت مـن فصيلتها. وقـد فُطِر الإنسـان علـى إنـكار مـا يجهـل، حتى لو قيـل للجنين إن خـارج الرحم ما هو أوسـع منـه، لأنكـر، كمـا قـال الإمـام الغزالـي، وكذلـك مَـن كانـت معرفتـه باللغـة محدودة، حسـب أنْ ليسـت بأكثر ممـا يعرف، فنسـبها إلى الضيـق، وزعم أن الـذي يُخرِج من ضيقهـا أن تُتَعـدَّى حدودهـا، ويُـزالَ ما بينها وبيـن اللغات الأورربية؛ لتكتسـب منها مـا ليـس فيهـا مـن السـعة، ولـو زاد علمـه علـى علمه، لأيقـن أنهـا أرحب ممـا يظن.

---

(١) الترجمة والمعنى، ١٤.

(٢) المصطلحات الأدبية الحديثة، ١٨.

وأكثر العرب إفراطا في النسب أهل المغرب العربي، وبعضهم يوقعه حيث لا معنى له، كالنسب إلى «الجملة»، و«الساعة»، و«النهضة»، في نحو: التوزيع الساعي، والنظام الجملي، «يساعد على إقلاع نهضي»[1]. يريدون توزيع الساعات، ونظام الجمل، وإقلاع نهضة، وكقول عبد الجليل مرتاض في عنوان مقال له: العربية ورهانها العولمي لسانيا، وتسمية إحدى الباحثات الجزائريات رسالتها لدكتوراه الدولة «الحبسيات في الشعر العربي»، أي شعر السجن في الأدب العربي. ومن هذا عدول محمد عابد الجابري عن «مدارس تابعة»، على وضوحها، وملاءمتها للبيان عن المراد إلى «مدارس ذيلية»[2]؛ لأنه يترجم ترجمة ذهنية، لتأثره بالفرنسية. وهو شيء، يبدو أن بعض أهل المغرب العربي صاروا يميلون إليه، ولا يرون به بأسا. وأكثر ما رأيت ذلك عند عبد القادر الفاسي الفهري، وربما فعله في الصفات التي لا معنى للنسب فيها، كقوله: «اللغات في صراع هينمي دائم»[3]، «عملية الترجمة لها أبعاد أكثر مشكلية»[4]، العائدية، المفرداتية، الحركية التعبيرية، الميزية (الميزة)[5]، الإعجاميات[6]، المعلوميات. وليس للنسب في هذه الكلمات من فائدة إلا الإغراب، ومفاجأة القارئ بما لا عهد له به، وأنها تشفي ما بنفس الكاتب من ولع بالترجمة الحرفية، لظنه أن المعنى لا يتأدى بغيرها، وبعض الكلمات المنسوبة في العبارات السابقة إنما نسب لأن الكلمات التي يراد أن تترجم بها منسوبة، أو مكسوعة بكواسع تقابل ياء النسب في العربية، أو أسماء بمنزلة المصادر، كالمشكلية، فإنها ترجمة لـ Problématique / problematic، و«أكثر مشكلية» ترجمة لـ: (more problematic)، والمفرداتية ترجمة لـ lexicalism، والحركية التعبيرية ترجمة لـ expressionism، والعائدية ترجمة لـ revenues. وقد كان يغني عن: «صراع هينمي» -مثلا-: صراع على الهيمنة. وليس بعض هذه العبارات باصطلاح؛

(١) الدارجة ليست لغة المعرفة واستعمالها في التعليم سيحكم على المغرب بمزيد من التخلف، حسين مجدوبي.

(٢) التعليم في المغرب العربي، ٨٠.

(٣) اللغة والبيئة، ٢٥.

(٤) اللسانيات واللغة العربية، ٢٣٢.

(٥) اللغة والبيئة، ٦٧.

(٦) السابق، ١٠٠.

فيدعَّى أن لها شأنا غير شأن المفردات غير الاصطلاحية.

وكثيرا ما يوقع التكثر من ياء النسب في الغموض، ويجعل فهم المراد من الصعوبة في مكان؛ لأنه يشغل القارئ بتطلب المنسوب إليه، وليس في الكلام، ولا فيه ما يدلُّ عليه، وليس بمقدر، والبحث عن سبب النسب مع عدم وجود ما يقتضيه. كما أن من الكثير أن يكون النسب، ولا سيما نسب أهل المغرب العربي، ثقيلا غريبا، ولا يدل على علم بالعربية، وإنما يدل على أن آتيه يتعمده تعمدا؛ ليوحي إلى قارئه أن في كلامه من حداثة المعنى ما فيه من حداثة اللفظ، ومما يعين على ذلك ألا يُفهَم بسهولة، كهذه الجملة: «فمما اعتمده النقد البنيوي البحث في بنية النص الشاملة من خلال البحث عن البنى الفرعية والتي هي مجموعة التركيبات الجزئية التي تتوالج لتجسم التناسق الجملي الذي يقوم عليه النص»[1]. فقد كان يغني عن: «التناسق الجملي» أن يقال: تناسق الجمل، وهي عبارة أوجز، وأصرح وأوضح، وأقعد في العربية، وأخف من تلك التي لا يجد المرء نسبا بينها وبين العربية. وما العدول عن الإضافة إلى النسب إلا كالعدول عن «البناء»، و«النظام» إلى «البنية»، وغيرها من المفردات الجديدة، أي العدول عن المعهود المعروف إلى الغريب المنكور، إيهاما أن تحت جديدِ اللفظ جديدَ معنى. وكان ذلك من أسباب شيوع هذه اللغة واصطلاحاتها؛ لأن مصطنِعيها يوهمون ويتوهمون أنهم يعرفون ما لا يعرفون، ويقولون ما لا يقولون.

تاسعا- بناء النص

ويُحذَى النص العربي الحديث على النصوص المكتوبة بالفرنسية والإنجليزية، فيوجز حيث توجز، ويطنب حيث تطنب، ويكثر من الجمل الاعتراضية إكثارا يلبس، أو يحول دون فهم المراد، ويحاكي أساليب الروايات، والمذكرات، واليوميات، والأخبار، والمقابلات، والمقالات، الإنجليزية والفرنسية، بذكر ما تذكر، وحذف ما تحذف، وصياغة الفقر والعبارات كما تصاغ، كما يرى في صياغة المقابلات والأخبار في الصحافة العربية، إذ يقسَّم

(١) قضية البنيوية، ٥٧.

الخبر فِقَرًا، تُجعَل كل واحدة منها بين علامتي تنصيص، وتُذكَر قبل كل فقرة أو بعدها عباره تدل على أنها من قول المرء الذي يَنقل الخبرُ كلامَه، نحو: «قال فلان»، و«أضاف فلان»، و«شدَّد فلان»، و«أكَّد فلان»، و«يواصل فلان»، و«تابع»، و«يتابع»، «ولدى سؤاله قال فلان»، إلخ، مع تكرار اسمه في كل عبارة من هذه العبارات، ويكون الذي يُذْكَر منه نسبه، أو اسم أبيه أو جده. وإنما هذه العبارات ونحوها ترجمة لهذه العبارات:

- En le questionnant il a répondu (ولدى سؤاله أعرب فلان).
- Il a enchainé (وتابع).
- il a enchainé tout en déclarant (واسترسل قائلا).
- il a affirmé (وأكد).
- et confirmé (ومؤكدا).
- he said (وقال).
- and he went on (وتابع).
- and he added (وأضاف).
- mr x. said (قال السيد فلان).
- mr x. added (أضاف السيد فلان)، إلخ.

ومن أمثلة ورودها في أعمال الصحفيين هذا النص: «قال الأمين العام للمحافظة السامية للأمازيغية، سي الهاشمي عصاد، إن ترقية الأمازيغية إلى لغة رسمية في المشروع التمهيدي لتعديل الدستور يعد مكسبا هاما من شأنه أن يعزز الوحدة الوطنية الديمقراطية في الجزائر. وأعرب عصاد عن ارتياحه الكبير لترسيم الأمازيغية في الدستور المقبل، موضحا أن المحافظة السامية للأمازيغية تعتبر هذا الاعتراف مكسبا هاما، سيعزز الوحدة الوطنية الديمقراطية في الجزائر. وتابع: الترسيم يعني أنه سيكون للغة الأمازيغية وضع قانوني آخر، مذكرا بأنه أوضح في تصريحات سابقة للصحافة أن أعضاء المحافظة السامية للأمازيغية كانوا مقتنعين بأن مسار ترسيم الأمازيغية قد بدأ فور إدراجه في الدستور القديم، ثم ترقيتها إلى لغة وطنية، معتبرا أن ذلك كان يعني أن الأمر ما هو إلا مسألة وقت، مشيرا إلى أنه حان الوقت للإعلان عن

ذلك. واسترسل قائلا إن هذا القرار يعد عملا منهجيا سيسمح بإحداث تغيير فعَّال ومنظم للغتنا تحت إشراف أكاديمية اللغة الأمازيغية، مؤكدا أنه من بين الانعكاسات الإيجابية لهذا الترسيم هو أن الدولة ستجند إمكانيات أكبر لتدارك التأخير في مجال البحث، التطور، التعليم، والنشر. واعتبر المسؤول الأول للمحافظة السامية للأمازيغية أن هذا المسار لن يكتمل إلا بالتطبيق الفعلي للإرادة الدستورية، مشيرا إلى أنه من واجبنا التحلي بروح المبادرة؛ حتى لا يتم تقييد هذا القرار في إطار نظري فحسب. وبعد أن أكد على ضرورة العمل بعزْم لوضع الآليات الدستورية لمرافقة هذا المسار، دعا عصاد إلى العمل في مجالات الإنتاج الأدبي العلمي الثقافي النوعي. وخلص إلى القول إن هذا القرار سينعكس بإصدار سلسلة من النصوص ستحدد تطبيق الطابع الرسمي للغة الأمازيغية واستعمالها في الإدارات ومؤسسات الدولة»[1]. فقد ورد في النص -على قِصَره-: قال، وأعرب، وتابع، واسترسل قائلا، وأكد، ومؤكدا. أما الأسلوب العربي، فيسرد نص الخبر من غير حاجة إلى هذا الفضول، ولا إلى ترداد اسم القائل في كل مرة، فإنه متعين من السياق، وليس في النص مَنْ يمكن أن يظن أن الكلام انتقل إليه، فلا داعي لترداده، وإنما يغني عنه ضميره. أما ما يقول الصحفيون من أنهم يريدون دفع الملل عن القارئ بهذا التقطيع ونحوه، فيمكن أن تصطنع طريقة تدفع الملل من غير أن تكون استنساخا، أو ترجمة حرفية لطريقة، ليست لها مزية في نفسها. وأضعف من ذلك دعوى أن هذه طريقة متعارف عليها في الصحافة العالمية، فليس لأحد أن يحيد عنها، أو يخالفها، فإن طرائق الكتابة شأن ثقافي، وليس في الثقافات والآداب والفنون ما هو عالمي، إلا أن يختار امرؤ لنفسه التبعية، ضعفا، أو عجزا؛ فيتعلل بهذا ونحوه. ويقول العارفون باللغات الأجنبية إن ما يُقرأ ويُسمع في الوطن العربي ليس إلا نسخة مما تقدِّم فضائياتٌ ومحطات غربية، أكثرها أميركي أو بريطاني، يُخال للوهلة الأولى عربيا، وهو إنما ينطق ويكتب بأساليب إنجليزية، بأصوات وحروف عربية، يترجمها الصحفيون إلى العربية ترجمة حرفية مطلقة، تنم على

---

(١) ترسيم الأمازيغية لغة رسمية مصافحة مع الذات وانتصار للهوية الوطنية.

«غباء وجهل بأصول الترجمة والنقل»[1]. والجزء الأكبر من لغة مثقفي العرب اليومية مستورد من اللغات الغالبة، ولاسيما الإنجليزية، وهي ظاهرة تكاد تكون فريدة من نوعها في تاريخ البشر الحديث، هي التردي اللغوي والاستلاب الحضاري الذي يأتي على الفكر والأدب والحضارة والاجتماع والسياسة، ويظهرُ في نقل المواضيع المختلفة نقلا عشوائيا ومبتذلا، وفي تقليد الصيغ الصرفية والتراكيب النحوية، والأساليب البلاغية الإنجليزية، تقليدا أعمى مقيتا، بلا مسوغ، واصطناع الطرق الغربية في صياغة الأخبار، وعرض المعلومات، دون مراعاة للبيئة العربية الحضارية والاجتماعية. ولَمَّا كانت اللغة مرآة أهلها، ووعاءَ فكرهم كانت العربية صورة للتردي الفكري واللغوي والاجتماعي الذي وصل إليه العرب في مطلع القرن الحادي والعشرين[2].

ولهذا الاستنساخ أسباب، منها:

١ – فقدان القيود التي تُلْزِم الناشرين مراعاة قواعد مقررة في أساليب الكتابة، كما هي عند الغرب، فإن التغير الفكري الذي رافق نمو النظُم القومية الإقليمية في أوربة كان سبب ظهور سمات عامة، تتميز بها الكتابة في كل أمة، مع أن أصولها العامة مشتركة، ولذلك كان لكتَّاب الإنجليزية والفرنسية والإيطالية والإسبانية أسلوب يتميزون به، وينظِّم كتاباتهم العامة، مع الحفاظ على خصوصية كل منهم الإبداعية. والسمات العامة المشتركة تتحكم فيها طبيعةُ كل لغة، وعاداتٌ، حرصت على إبقائها حيةً جامعاتٌ وأكاديميات ومؤسسات ثقافية، وأفرادٌ، تميزوا بإتقان تلك التقاليد والحرص على السير عليها بسبب الاعتزاز القومي، ومتابعة ما أَلِفو ونُشِّئوا عليه. ولكل قطر جامعة أو جامعات، تحتفظ بالعادات المميزة، وتعمل على تثبيتها ونشرها في الجامعات الأخرى. وأكثر مؤسسات النشر الكبيرة في الغرب يستعين بالمخصين على إصلاح أخطاء المخطوطات التي تقدَّم للنشر، وجعْل أسلوبها موافقا خصائصَ الثقافة العامة في قطرها[3]. وقد ترتب على عدم وجود هذا في الوطن العربي تحرر

(١) أزمة اللغة والترجمة، ٧١ وما بعدها و١١٣.

(٢) السابق، ١٧ و١١٣

(٣) الأسس النفسية والاجتماعية للغة العربية، ١٨٠ وما بعدها.

الكتَّاب من كل قيد، سوى المحاولة والتجريب، وعدم الخضوع للمعايير الفنية التي ينبغي أن توزن بها الأعمال[1].

٢- عدم وجود مُثُل فنية للكتابة، يهتدي بها الكتَّاب.

٣- قلة الزاد من العلوم العربية التي توجه، وتعصم من الفوضى، وتكسب المعايير التي توزن بها الأعمال. وترتب على هذا أنْ صار ما يطَّلع عليه الكاتب في الصحافة الأجنبية هو مثله الأعلى في الكتابة، مع أن ما يفيد منه هو صورته الظاهرة، وأساليبه اللغوية، وبعض هذه يتسم بالخصوصية، فلا يصح تقليده، ولا سيما اللغة، فإن محاكاتها انتهاك لخصوصية العربية. وأعان على ذلك أن بعض الكتاب درسوا في الغرب، فأعجبوا بحضارته، وزادُهم من تراثهم يسير[2]، وزادهم من تراث الغرب ليس بذاك؛ فكان لزاما أن تكوت الأساليب التي يكتبون بها محذوة على أساليب اللغات الغربية[3]؛ لأنهم لا يعرفون غيرها. ولعلَّ مبالغة بعض العرب في قدْر الجدة وعدها دليل تقدم من الأسباب التي أعانت على ظهور هذه الأساليب وتكاثرها[4]. وكثير منهم يزاولون الكتابة عن هواية، فيتلمذون للصحافة العربية، على علاتها؛ فتتشابه أعمالهم ولغتهم، ولا يجد المرء عند أحدهم إلا ما يجد عندهم جميعا.

٤- ظن أن تقليد الجوانب الشكلية من الصحافة الأجنبية تقليد لمعايير عالمية في الكتابة، مع أن الجوانب الشكلية من الصحافة ليس فيها ما يدل على عالمية، وإنما هي طرائق خاصة، نابعة من ثقافة أصحابها وتربيتهم، وسياستهم. هذا إلى أن الصحافة ليس فيها ما يخاطب شعوب العالم، وإنما تخاطب صحافة كل بلد أهله، ومخاطبتها إياهم تعني أنها تنتمي إلى ثقافة بعينها، لها خصوصيتها التي تقيم عليها طرائقها في الخطاب والإثارة والإقناع والتوجيه. وإذا كانت الصحيفة تُكتب بلغة شائعة، ولها قراء خارج بلدها، فإن ذلك لا يعني أنها تَكتب لكل من يقرؤها، أو من يمكن أن تبتغي التأثير فيه، إلا أن تتعمد ترك جمهورها إلى جمهور آخر، خارج الحدود، كما يفعل بعض الصحف حين ينشر خبرا عن بلد بعينه،

---

(١) الأسس النفسية والاجتماعية للغة العربية، ١٨٢.

(٢) السابق، ١٨١ وما بعدها.

(٣) السابق، ١٨٠.

(٤) الموضع السابق.

بغية التأثير في فئة من أهله، من دأبها أن تقرأها، كصحيفة «لموند» الفرنسية حين تكتب عن قضية سياسية في مستعمرة من مستعمرات فرنسة الإفريقية كتابة مغترضة. على أن هذا لا يكون إلا في الخبر والمقال والتحقيق، ونحوها، ولا يكون سياسة للصحيفة ثابتة، ثم إن مخاطبتها غير جمهورها لا يترتب عليها اصطناع أسلوب جديد في الكتابة، وإنما تؤثر الصحيفة في قرائها خارج وطنها بذكر ما تذكْر من المعلومات، والسكوت عما تسكت عنه، والتحليل، والتفسير، والمبالغة، والمغالطة، والإيهام، والادعاء، والإثارة، والاختلاق، ابتغاء توجيه القارئ الوجهة التي تريد.

ويتجلى التأثر بأساليب الكتابة الغربية، في المقالة، والقصة، والرواية، والمقابلات، والمذكرات، في العناية بالتفصيل، ووصف ما لا أهمية له، كما يُرى في المقدمات التي توضع بين يدي المقابلات الصحفية، وفصول القصص والمذكرات. فالكاتب يصف مكان اللقاء، لا يغادر منه شيئا: الجدران وألوانها، وما عليها من رسوم، وراسميها، إن كانوا معروفين، والمقاعد، والمناضد وما عليها، وهيئة الشخص وملابسه وملامح وجهه وسائر بدنه، وحركات يديه ورأسه، حتى ليخالج القارئَ الشكُّ في أن الكاتب يبغي شيئا وراء الوصف. وهذا، إن لم يكن له مغزى يرْغَب الكاتب عن التصريح به إلى التلميح إليه، كذوق من يكتب عنه، وثقافته، وغناه، أو فقره، ومبلغ ذكائه، إلخ، ثرثرة، لا طائل تحتها، وليس من طبع العربية الميالة إلى الإيجاز، المبغضة للإطناب في غير محله، حتى لتسميه عياً، كما يروى عن ربيعة بن أبي عبد الرحمن -رحمه الله- أنه «تكلم يوما، فأكثر، وأُعجب بالذي كان منه، فالتفت إلى أعرابي كان عنده، فقال: يا أعرابيُّ: ما تعدون العِيَّ فيكم؟ قال: ما كنت فيه منذ اليوم»[1]. وقال ابن الأثير: «جلس إلي في بعض الأيام جماعة من الإخوان، وأخذوا في مفاوضة الأحاديث، وانساقَ ذلك إلى ذكر غرائب الوقائع التي تقع في العالم، فذكر كل من الجماعة شيئا، فقال شخص منهم: إني كنت بالجزيرة العُمَرية في زمن الملك فلان، وكنت إذ ذاك صبيا صغيرا، فاجتمعت أنا ونفر من الصبيان في الحارة الفلانية، وصعدنا إلى سطح طاحون لبني فلان، وأخذنا نلعب على

---

(١) البيان والتبيين، ١/ ١٠٢.

السطح، فوقع صبي منا إلى أرض الطاحون، فوطئه بغل من بغال الطاحون، فخفنا أن يكون آذاه؛ فأسرعنا النزول إليه، فوجدناه قد وطئه البغل، فختنه ختانة صحيحة حسنة، لا يستطيع الصانع الحاذق أن يفعل خيرا منها. فقال له شخص من الحاضرين: والله إن هذا عِيٌّ فاحش، وتطويل كثير، لا حاجة إليه، فإنك بصدد أن تذكر أنك كنت صبيا، تلعب مع الصبيان على سطح الطاحون، فوقع صبي منكم إلى أرض الطاحون، فوطئه بغل من بغال الطاحون، فختنه ولم يؤذه، ولا فرق بين أن تكون هذه الواقعة في بلد، نعرفه أو في بلد، لا نعرفه، ولو كانت بأقصى المشرق أو بأقصى المغرب لم يكن ذلك قدحا في غرابتها، وأما أن تذكر أنها كانت بالجزيرة العمرية، في الحارة الفلانية، في طاحون بني فلان، وكان زمن الملك فلان، فإن مثل هذا كله تطويل لا حاجة إليه، والمعنى المقصود يفهم دونه»[1].

ولعل سبب فشو هذا الأسلوب في الكتابة العربية الحديثة أن الذين اطلعوا على اللغات الأجنبية راعهم كل شيء منها، كما راعهم كل شيء من أهلها؛ فعدُّوا محاكاتهم في الكتابة دليل تميز وبلاغة، من غير أن يفطنوا إلى أن اللغات ثقافات، وأن ما يستساغ في واحدة لا يستساغ في غيرها، وما يميل إليه قوم لا يميل إليه غيرهم، لتبايُن الأمزجة، والأفكار، والثقافات. هذا إلى أن كثيرا من الكتَّاب ليس لهم علم بالعربية وآدابها وأساليبها؛ فليس لهم مثال منها يحذون به؛ فقلَّدوا ما عرفوا من الأدب الأجنبي على غير بصيرة. ولم يكن لبعض الأنواع الأدبية الحديثة نظير في الأدب العربي، كالرواية، فلما أرادوا كتابتها حذوا على ما وجدوا عند الغربيين. وقلَّ من حاول منهم أن يكتب الفن كتابة عربية، بأن يستعمل الأنواع الأدبية العربية الأصيلة في البيان عما يريد؛ كأن يستعمل المقامة والرسالة في البيان عما تستعمل فيه الرواية عند غير العرب، كما فعل محمود المسعدي في «السد»، و«حدَّث أبو هريرة»، أو يستوحي الجنس الأدبي الغربي، بعد أن يعربه شكلا ومضمونا، ويحدث فيه من التغيير ما يجعله ملكا له.

وقد انتقد المستشرق الفرنسي جاك بيرك على العربية الحديثة ما فيها من

(١) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ٢/ ٢١٥.

إسهاب، وترداد لـ«عبارات مسكوكة»، يعبَّر بها عن كل شيء[1]، وقال ديفيد جستس إن ما قال ليس بصحيح، إلا إن أراد أن أفكار مؤلفي العرب المعاصرين مبتذلة، أما العربية الفصحى المعاصرة، فتكاد تخلو من العبارات العتيدة، أي العبارات المكرورة، بخلاف الإنجليزية، والمقالات الفكاهية التي تسمى «خبير الكليشهات» في أمريكة، فإنها تحمل متكلمي الإنجليزية على الاستغراب؛ لما فيها من نمو الصيغ اللفظية الكبير المطرد أبدا[2]. وما قال جاك بيرك أدقّ، بغض النظر عن موافقة ذلك للمستعمل في الإنجليزية، أو مخالفته، وقد أوردنا بعض ما يدل على ذلك، أما استعمال العبارات المسكوكة في كل شيء، فمنه ما قد رأينا من العبارات الجارية مجرى الأمثال، والأساليب المجازية، والعبارات الدارجة على كل قلم ولسان، المخالفة لأساليب العربية، بسبب الترجمة الحرفية من الإنجليزية والفرنسية، وهي أظهر شيء في العربية الحديثة، ولا سيما عربية ما بعد الرعيل الأول من الكتاب المثقفين الذين كانوا يكتبون العربية عن علم بها. وقارئ ما ينشر في الصحافة والإعلام العربيين يخيل إليه أن ما يكتب بالعربية المعاصرة مترجم كله ترجمة حرفية عن اللغات الأجنبية (الإنجليزية والفرنسية)، وليس فيه ما يجري على سنن العربية، أو يُشْعر بأن كاتبه ينتمي إلى الحضارة العربية، أو له معرفة بالعربية وآدابها، تتجاوز هذه العبارات المتداولة التي يشترك في استعمالها العرب المعاصرون كلهم، لقلة أصداء التراث العربي فيما يكتبون، كالتلميح إلى حادثة تاريخية، أو قولٍ بليغ مأثور، أو تضمين بيت، أو مثَل، أو حذو على أسلوب، أو تأثرٍ بمذهب أديب من الأدباء، أو وجود روح أدبي، يدل على معرفة بالعربية، وقدرة على تجاوز الدارج على الألسنة والأقلام. ولكنه يجد فيها آثار اللغات الأجنبية محرفة عن موضعها[3].

ومن وازن بين العربية الحديثة والعربية العريقة رأى بينهما بونا كبيرا، فلم يكن في العربية القديمة هذا التكرار ولا العبارات العتيدة، وكان الذين يتعاطون الكتابة يتعاطونها عن علم بالعربية وآدابها، وإن توافقوا في المذهب الفني،

---

(١) محاسن العربية في المرآة الغربية، ٥٧.

(٢) السابق، ٥٨.

(٣) أشتات من فوضى الكلم، ٢٣.

كالبديع، فإنهم لا يتوافقون في المعاني والأساليب، إلا ما كان منها جاريا مجرى الأمثال، لكنها تستعمل استعمالا غير مبتذل، يُشْعِر بأنها في كل سياق تفيد معنى غير الذي تفيده في سياق آخر. وأمر آخر من الأهمية بمكان، هو ما تتسم به الكتابة الحديثة من ضعف، وقلة إبداع، إذ من النادر أن يجد المرء فيها ما يدل على أن كاتبها ذو استعداد فني، أو قدرة على الاستقلال عن الطرائق المعهودة في الكتابة الصحفية. ولعل مردَّ ذلك إلى الاستنامة إلى الترجمة، والرضا بها، والترجمة -كما تقول الحكمة الصينية- كطعام، لاكه غيرك[1]، وتحدُّ من الإبداع اللغوي والفكري والثقافي، إن لم يكن لها منهج، يكفل الانتقال من النقل إلى التأليف والإبداع، ولا سيما بين الشعوب والأمم المتخلفة والخاوية[2]. هذا إلى الغرام بالغرب، وتعظيم ما يصدر عنه، على وجه يقرر في نفس من يصاب به أن «لا عِطْر بعد عروس»، وليس في الإمكان إلا محاكاة ما كان، ولا في الوسع أن يُتناوَل موضوع بأفضل مما تناوله الغربيون، أو يُعرَض لغير ما عَرضوا له من الأغراض والمعاني، فقد سبقوا إلى ما يستحق أن يكتب عنه، وأبدعوا فيما كتبوا إبداعا لا يُدرَك شأوه، فما لغيرهم من عمل يعمله سوى أن يترجم عنهم.

---

(١) كتاب الأعاجيب، ٣٨٧.

(٢) السابق، ٣٨٥.

الترجمة ومسخ اللغة

عُنِيَ العرب الأوائل بالترجمة من اليونانية والفارسية والسريانية والهندية إلى العربية، وترجموا من تراث الأمم، ولا سيما اليونان والفرس، ما هو معلوم. وعني بها محمد علي باشا، وأنشأ من أجلها المدرسة الشهيرة التي عرفت بمدرسة الألسن، ثم لم تلق الترجمة بعده ما هي أهله، وكان أكثر ما يكون منها أعمالا يقوم بها أفراد، اقتنعوا بأهمية ما يترجمون. وليست للترجمة في الوطن العربي معايير علمية، ولا سياسة، توجهها، كأن تُقصر على من حازوا مؤهلات المترجم، من العلم باللغة التي يترجم منها واللغة التي يترجم إليها، والخبرة، والإعداد العلمي، الذي تتولاه أقسام علمية متخصصة، وإعداد اللجان المتخصصة التي تراقب الترجمة في أطوارها كلها، وتراجعها بعد تمامها، من أجل أن تنجز عملا، يفيد من قرأه، ويغني العربية بجديد العلم، وما يبين عن جديد المفهومات من الاصطلاحات، على وجه يهيئها لاستيعاب كل علم وفن، ولا يدع الترجمة لاجتهاد الأفراد، وما في بعضه من فوضى، وتحرر من قيود العلم ومتابعةِ الحسيب الرقيب، وما يترتب عليهما من فوضى الاصطلاح، والتباس الأفكار والمفهومات، وإدخال الضيم على اللغة. وإذا صح أن «العلم لغة محكمة»[(١)]، وأن معنى قولنا إنَّ علمًا تقدمَ ونضج أن لغته ضُبِطَت[(٢)]، فإن ترجمة، تنطلق من قيود العلم، ويتولاها غير العارفين، لا تعين على ذلك، وإنما تحول دونه، كما تحول دونه الترجمة العربية اليوم؛ لأنها غير منظمة، وبعض من يتولونها ليسوا أهلا لها، وإنما هم كما قال أبو سعيد السيرافي لمتَّى بن يونس وأصحابه: ترجموا «لغة، هم فيها ضعاف ناقصون، بترجمة أخرى هم

---

(١) العربية والحداثة، ٨٥.

(٢) تجديد الفكر العربي، ٢١١.

فيها ضعاف ناقصون»[١]. من أجل ذلك كانت ترجمة حرفية قليلة النفع، عظيمة الضرّ، وألحقت بالعربية من الضيم ما قد رأينا، وصنعت منها لغة جديدة، ليست بعربية ولا إنجليزية ولا فرنسية، وأعانت الثقافات التي تترجم منها على الاعتداء على العربية[٢]، ولم تنقل العلم إلى العرب نقلا يمكِّنهم من تمثله.

والحقيقة التي لا يخالف فيها منصف أن سوق الكتابة العربية نطاق ثقافي بلا حرَّاس[٣]، وأنها عامرة بمن لا يرفع رأسا بالعربية، ويندر فيها من درسها دراسة متفقهة؛ فإن نظام التعليم في أطواره كلها لا يعلِّمها، ولا يعين على تعلمها، وقلَّ مَنْ درسها دراسةَ حريص على تعلُّمها خارج التعليم الرسمي، فالأصل أن يكون ما يكتبون غير صحيح، ولا مبين، فإذا تعلم أحدهم لغة أجنبية، فكانت معرفته بها أفضل من معرفته بالعربية، وقراءته بها أكثر من قراءته بها كان لزاما أن تتملكه؛ فيكون ما يكتب بالعربية ترجمة ذهنية لما يعرف منها. دعْك ممن لا يعرفون العربية ولا يعرفون غيرها، فإن الأصل أن يكون كل ما يكتبون بها خطأ، إلا أن يوافق ما يعرفون من العامية. قال أحدهم: أعترف بأنني قرأت في شهر واحد فقط عدة دواوين صادرة عن دور نشر شتى، وروايتين، وثلاث مجموعات قصصية، وكنت أقرأ وبيدي قلم رصاص، أستعمله غالبا في القراءة في غير تقويم، فتبين لي أني أنهيته كله في إصلاح ما أقرأ، كأنني مراجع في صحيفة أو دار نشر. وأحصيت في ديوانٍ واحد ما يزيد على سبعين خطأ بين نحوي ولغوي، أما القصص، فإن مجموعة واحدة منها صغيرة استحقت فريقا؛ كي يقترف ما فيها من أخطاء، أما كاتب واحد، فليس في وسعه أن يصنع هذه المعجزة![٤]. وقال إن ناشرا عربيا، قال له إن ما يصل إليه من الدواوين والروايات، وتقدر بالمئات، من الغالب أن يسأله مرسلوها أن يغض الطرف عما فيها من القصور اللغوي، ويعهد إلى مساعديه أو مستشاريه أن يُصْلِحوا ما تفيض به من الأخطاء[٥]. وتدل لغة صاحب هذه المقالة على أن معرفته بالعربية مزجاة، ومع ذلك فطن إلى

---

(١) الإمتاع والمؤانسة، ١/ ١٢١.

(٢) البحث اللغوي وأصالة الفكر العربي، ٣١.

(٣) تعويم اللغة.

(٤) السابق.

(٥) السابق.

ما فطن إليه من الأخطاء في أعمال بهذه القلة والقصر. على أن كل ما قال أمر يعرفه كل من له إلمام بالأدب العربي الحديث، ولا سيما السرد، فإنه يُكتب بلغة تدل دلالة لا لبس فيها على قلة العلم بالعربية، ولا يسلم من ذلك كبار الكتاب، كنجيب محفوظ، وهو أمر ليس بالجديد في هذا العصر، فقد قال أحمد حسن الزيات: «الواقع الأليم أن الذين درسوا لغتهم وفقهوها من الأدباء النابهين نفر قليل، فإذا استثنيت هؤلاء الستة أو السبعة، وهم من الكهول الراحلين، وجدت طبقة الأدباء كطبقات الصنَّاع والزراع والتجار، يأخذون الأمور بالتقليد والمحاكاة، لا بالدرس والمعاناة، وكما تجد في هؤلاء من ينشئ المتجر، ثم يَكِلُه إلى أجنبي، ينظِّمه ويرتِّبه، تجد في أولئك من يؤلف الكتاب، ثم يدفعه إلى نحوي يُعْرِبه ويهذبه. ولا تجد في تاريخ العربية قبل هذا العصر، ولا في تاريخ اللغات في جميع العصور من يحسب نفسه أديبا في لغة، وهو لا يعرف منها إلا ما يعرفه العامي الألَفُّ! والغُرور المتبجِّح، والادِّعاء السفيه لا يستطيعان أن يحملا الناس على أن يقرؤوا السخف، ولا الزمنَ على أن يُبْقِيَ على الضعف»[1].
وقال محمد كرد علي: «حاول في هذا العصر بعض المتحذلقين الذين لم يعنوا بدرس أدب هذه اللغة أن يفرنجوا ألفاظها وتراكيبها، فعمدوا إلى استعمال كل ساقط من اللفظ والتراكيب، يعبرون عن أفكار، لا تستسيغها أذواقنا، يريدون بهذه البدعة أن يستروا نقصهم بدعواهم أن كتابتهم عصرية، وشعرهم عصري، وأنهم يحببون اللغة إلى أهلها بهذا الأسلوب الذي ادَّعوا له الرشاقة، وما هو إلا السماجة بعينها. وكيف لعمري تصح دعواهم وهم ما درسوا الأدب العربي، ولا الأدب الإفرنجي، يُمْلون ما لا محصِّل له، ويضعون جملا لو سألتهم تفسيرها لعجزوا وجمجموا»[2]. وقال: «ليت من تعلموا في بعض المدارس قشورا من اللغات والمعارف يعرفون مقدار أنفسهم ويحاسبونها على ما تأتي وتذر، وعلى ما تحسن وما لا تحسن»[3]. وقد يقع بعض هذا في لغات أخرى غير العربية، فقد قال ت. س. إليوت: يمكن الناسَ أن يتحدثوا بلغتهم، ولكن قلة قليلة منهم

(١) وحي الرسالة، ١/ ٣٨٣.
(٢) المذكرات، ٤/ ١٠٩٠.
(٣) السابق، ٢/ ٥١٩.

تستطيع أن تكتب بها[1]، وقال في الشاعر الإنجليزي بايرون: «لقد قدَّم بايرون للغة ما يقدمه اليوم كثيرا جدا كتبةُ عناوين صحفنا يوما بعد يوم...، وليس الأمر ضعف الفكر عنده، بل تمكُّنه المدرسي من اللغة الذي يجعل سطوره تبدو تافهة وفكره سطحيا»[2]. ولكثرة ما يقع منه في الإنجليزية قال الكاتب الإنجليزي، جوناثان سوفيت: «التدهور والفساد مستمران في لساننا الإنجليزي»[3].

وبعض المترجمين يقولون إنهم ليسوا بلغويين ولا متخصصين في اللغة، وإنما هم مترجمون فقط[4]، والترجمة لا تتأتى إلا بثلاث: فقه باللغة الأم، وفقه باللغة التي يترجَم منها، وفقه بالموضوع المترجم، و«يكمن فن الترجمة في معرفة اللغة الأم أكثر من اللغة الأخرى»[5]، كما قال الكاتب والموسيقي الأمريكي، نيد روريم، وقال الجاحظ: «لا بد للترجمان من أن يكون بيانه في نفس الترجمة، في وزن علمه في نفس المعرفة، وينبغي أن يكون أعلم الناس باللغة المنقولة والمنقول إليها، حتى يكون فيهما سواء وغاية»[6]. والمعرفة بلغة واحدة لا تتأتى منها ترجمة صحيحة، كما لا يتأتى الطيران بجناح واحد[7]، وإذا قلَّ علم المترجم بإحدى «اللغتين كثرت إساءته في الترجمة»[8]. ومما يصدِّق ذلك هذا النص الذي أنقله من ترجمة كتاب جاك دريدا «أحادية الآخر اللغوية»: «لنتصور أن أحدهم يقوم بتعليم الفرنسية، ما يسمى اللغة الفرنسية، اللغة التي يعمل الفرنسي على تعلمها، والذي، وبموجب ذلك، يمكن أن نَسِمَه بأنه مواطنٌ فرنسي الثقافة، أو أن ثقافة هذا المواطن ثقافة فرنسية. بيد أن هذا المواطن فرنسي الثقافة، قد يأتيك يوما ويحدثك بفرنسية فصيحة: «أنا لا أملك إلا لغة واحدة، ومع ذلك فهي ليست لغتي». بل أكثر من ذلك يقول لك: «أنا أحادي اللغة (Monolingue)، وأحاديتي اللغوية هذه كانت، وستبقى، بيتي، هكذا

(١) كتاب الأعاجيب، ٣٩٨.

(٢) السابق، ٤١٢.

(٣) سؤال الهوية الكردية، ٤٠.

(٤) أزمة اللغة والترجمة، ٢٩٤.

(٥) السابق، ٩٢.

(٦) كتاب الحيوان، ٧٦.

(٧) تعويم اللغة.

(٨) المباحث اللغوية في العراق، ٣٧.

أحسها، بل وهكذا أسكنها وتسكنني، وهكذا ستبقى. إن الأحادية التي أتنفسها هنا هي بمثابة العنصر الحاسم في حياتي، عنصر لا هو بالطبيعي، ولا هو يمثل شفافية الأثير، بل إنه وببساطة، وسط بين هذا وذاك. ثم إنه عنصر، لا يمكن مجاوزته أو التنازع حوله، حتى إنه لا يمكنني دحضه إلا عبر قراري بحضوره الدائم داخل ذاتي ذاتها. لقد كنت دائما أرغب في أن أكون سباقا إلى أن أكون أنا، فهذه الأحادية اللغوية بالنسبة لي هي أنا ذاتي. وهذا لا يعني بتاتا بأنني أمثِّل صورة رمزية، أو مجازية عن ذلك الحيوان، أو تلك الحقيقة المسماة الأحادية اللغوية. لكن إذا ما نظرتُ للأمر من خارج هذه الأحادية، فإنني، وببساطة، لن أكون أنا ذاتي كما كنت من قبل. إنها تشكلني، وتحملني إلى أعمق أعماق كل شيء، كما أنها تمنحني وحدة تشبه وحدة الرهبان، وكأنما أوحي إلي قبل أن أتعلم الكلام أصلا. هذه الأنانة (Solipsisme) التي تعد بمثابة معين لا ينضب، هي أنا ذاتي قبل أن أكون أنا، وقبل أن أستقر. على أن هذه اللغة، اللغة الوحيدة التي نذرت نفسي للتحدث بها، من المهد إلى اللحد، هي -كما ترى- ليست لغتي، والحق أنها لم تكن كذلك مطلقا»[1].

فهذا النص مثال للترجمة الحرفية التي يأتيها من لا علم له بالعربية ولا الفرنسية، وما يكون فيها من تعقيد، وغموض، يجعلانها غير صالحة للنقل من لغة، يقول أهلها: «ما ليس بواضح ليس بفرنسي»، ويقولون إن الحركة الرمزية دم غريب، تسرب إلى التراث الفرنسي، لما فيها من غموض، يأباه وضوح المنطق الفرنسي واعتداله[2]. وقد أورثت قلة علم المترجم بالعربية والفرنسية عجزا عن البيان، وقَصَرت عمله على وضع الكلمة بإزاء الكلمة، دون نظر إلى فحوى النص وما يريد كاتبه، والأسلوبِ العربي الذي يمكن أن يؤديه، من أجل ذلك بدا ملآنَ بالعبارات الغامضة التي توحي أن كاتبه مخادع، يتلاعب بالألفاظ، وليس عنده ما يقول، كثيرَ الفضول والأخطاء، وليس بين بعض عباراته تلاؤم، كقوله: «لنتصور...» وقوله: «بيد أن هذا المواطن فرنسي الثقافة، قد يأتيك يوما»، فالعبارة الأخيرة جواب «لنتصور...»، وبينهما من عدم التلاؤم ما لا يخفى، وإذا

---

(١) أحادية الآخر اللغوية، ٢٣ وما بعدها.

(٢) الرمز والرمزية في الشعر المعاصر، ٢٧ و٦٤.

قرأ المرء العبارة الثانية لم يفهمها حتى يعود إلى العبارة الأولى، بعد أن يكون قد قرأ ما بينهما مرات، فإذا تبين العلاقة، حمل ما وقع بينهما من عدم التلاؤم على أن الكاتب ربما نسي العبارة الأولى، كما يقع أحيانا. ولا يتضح المقصد من التكرار في قوله: «أحدهم يقوم بتعليم الفرنسية، ما يسمى اللغة الفرنسية، اللغة التي يعمل الفرنسي على تعلمها»، فهذه العبارات، إن كانت لها مزية بيانية أو فنية في الفرنسية، أو معنى، أراده الكاتب، لا يتضح المراد من تتابعها على هذا الوجه في العربية، فليست «الفرنسية» من المشترك اللفظي؛ فيسوغ تخصيصها بمثل هذه العبارات كلها. وقوله: «بل أكثر من ذلك يقول لك»، يريد: بل يقول لك ما هو أكثر من ذلك»، وإنما عدل عن هذا لأنه مقيد بوضع اللفظ بإزاء اللفظ. وقوله: «ومع ذلك فهي ليست لغتي»، فالفاء في «فهي» لا معنى لها، وبناء العبارة ضعيف، وكان يمكنه أن يقول: وهي -مع ذلك- ليست بلغتي. و«هكذا» في قوله: «هكذا أحسها، بل وهكذا أسكنها وتسكنني، وهكذا ستبقى»، ليست في موقعها الصحيح، فإن معناها في هذه العبارة: مثل هذا، والذي كان ينبغي أن يقال: كذاك أحسها، وكذاك أسكنها، وكذاك ستبقى؛ من أجل أن تكون كاف التشبيه في «كذاك» مفعولا مطلقا نائبا عن المصدر ويكون المعنى: أحسها إحساسا كذلك، وأسكنها سكنى كتلك، وستبقى بقاء كذلك، أما «هكذا»، فلا تبين عن المراد كما تبين عنه «كذلك». ومن الخطأ استعماله «يمثل» بمعنى أداة التشبه، في قوله: «يمثل شفافية الأثير»، والفضول في «وببساطة» في قوله: «بل إنه وببساطة وَسَطٌ بين هذا وذاك»، وقوله: أحدهم يقوم بتعليم الفرنسية، بدلا من: يعلِّم أحدهم الفرنسية. واستعماله «حول» بمعنى «في» في قوله: «التنازع حوله»، وتعدية «قرار» بالباء في قوله: «قراري بحضوره»، وإنما يقال: قرر حضوره، لا قرر بحضوره. وتعديته «يعني» بالباء، في قوله: «لا يعني بتاتا بأنني»، واستعماله «ذات» أداة توكيد كما تستعمل في العامية، كقوله: «ذاتي ذاتها». هذا إلى كثرة الأخطاء اللغوية، كالفصل بين الصفة والموصوف حيث لا يصح الفصل بينهما، والموصول وصلته، وعطف الصفة على الموصوف، في قوله: «اللغة التي يعمل الفرنسي على تعلمها، والذي، وبموجب ذلك، يمكن...»، فـ«الذي» صفة لـ«الفرنسي»، وقد فصل بينهما بـ

«على تعلُّمها»، وعَطَف أحدَهما على الآخر بالواو، والعطف يقتضي المغايرة، من أجل ذلك بدا «الذي» منفصلا عما قبله، ولا علاقة بينهما. ووصْفُ المعرفة بالنكرة، في قوله: «المواطن فرنسي الثقافة»، وعطفه على ما لا يتضح، كقوله: «بل إنه وببساطة»، فإنَّ ما عطف عليه «ببساطة» غير بين، وإنما كان ينبغي أن يقول: «ببساطة»، إن فرضت صحة «بساطة» في هذا السياق، واستعماله «عبر» بمعنى الباء، في قوله: «لا يمكنني دحضه إلا عبر»، وكثرة إيقاع الضمائر في غير موقعها (أن أكون أنا)، وما اتسمت به الترجمة من ضعف، وما فيها من أخطاء، جعلها بعيدة مما وُصف به كتاب جاك دريدا هذا من أنه تحفة بيانية بالفرنسية.

ولما لم تكن للترجمة سياسة واضحة عند العرب، ولا غايات بينة، كانت كارثة على العربية، لا يعرفها إلا من يعرف العربية الحديثة. فقد كثر المتطفلون، والمتسلقون، والأميون، وأنصاف المتعلمين، وأشباه المثقفين في الترجمة العربية، حتى صار تردي التحصيل أمرا معتادا ومقبولا عند جمهرة كبيرة من الناس[1]. وكان صالح القرمادي قد نبه على جانب مما يحيق بالعربية من جراء هذه الترجمة، فقال إن المترجمين المتسرِّعين، أو غير المتقنين لكثير من اللغات لا يراعون «أرواح» اللغات و«عبقرياتها» مراعاة تامة؛ فترتب على ذلك أن وابلا من «الكوارث» اللغوية ينهلُّ كل يوم على العربية، إذ يَنْقُل إليها التراجم من لغات أخرى، ولا يخلو بعض هذه «الكوارث» من الغرابة المضحكة[2]. وإذا انهلَّ على اللغة وابل من الكوارث كل يوم، فإنما يتوقع أن تزول، وإن بقي منها شيء، لم يبق إلا رسوم لا تُفْهِم، كاللغة التي يُترجَم بها كثير من الكتب من اللغات الأجنبية إلى «العربية»، واللغة التي يكتب بها بعض اللبنانيين وأهل المغرب العربي، وكثير من العبارات التي ترسم على ألواح بعض المطارات العربية، وألواح الإرشاد المعلقة في الطرق والأماكن العامة، ولغة الوثائق الرسمية في بعض البلدان العربية، وأوراق المصارف، والنشرات المصاحبة لبعض الأدوية، فإن معانيها لا تستبين إلا أن تُشرَح، أو يكون المرء عارفا باللغة التي كتب بها النص المترجَم، وفيها كثير من المضحك، وما لا ينقضي منه العجب.

---

(١) أزمة اللغة والترجمة، ٢٩٢.

(٢) الترجمة من حيث هي عامل هام من عوامل العدوى اللغوية، ١٣.

ولهذا قال الدكتور حسن أوريد متحسرا على ما آلت إليه العربية: ماذا سيبقى من العرب والعروبة؟ هل ستصير العربية أصواتا، لا تحمل معنى، أو لغة ركيكة مجتثة الأصول من عبقريتها؟ مترجمة ترجمة حرفية للغات الأجنبية، أو ما سماه أحد الإسلاميين المغاربة بالعربوفونية؟ هل عفت حداثة المظهر، أو التحديث المستعار على القيم العربية الأثيلة؟ هل ستتدحرج هذه اللغة في مهاوي الانحدار حتى تصبح ذكرى، تثير الإشفاق والسخرية، حتى ليتوارى عن الأنظار من يرعاها، كأنما به ظنة، أو تحوم حوله شبهة؟ وهل سيستنسخ لها من الضرائر ما يضيق ساحتها؟ أتكلم عن لغة عالمية لها مكانة اعتبارية عند المسلمين، لها الصدارة في لغات الإسلام. كيف تتولى هذه اللغة وتجافي عبقريتها؟[1].

وما هذا بجديد على الترجمة إلى العربية، فلم تلق من العناية، منذ العصر العباسي إلى اليوم، ما هي أهله، ولا كاد يتولاها من هو أهل لها، وإنما كان الغالب أن يتولاها من لا يجيدون العربية، ولا اللغات التي يترجمون منها، ومن أجاد منهم اللغة التي يترجم منها لم يُجِد العربية؛ فكانت -من أجل ذلك- مسرفة في الحرفية، ويشوبها غير قليل من التحريف والتبديل[2]، ومعانيها مستغلقة، وألفاظها قلقة، وعباراتها ملتوية، وتفكيرها متناقض[3]، وما كان الذين يلونها يبالون غموض الأسلوب، إذا نقلوا عبارة النص الأصلي لفظاً لفظاً، وكثيراً ما كان اتباع ألفاظ النص المترجَم، دون معانيه، يستدرجهم إلى معانٍ، غير التي تراد[4]؛ ولذلك شبه عبد الفتاح كيليطو ترجمة السريان كتابَ أرسطو في الشعر «بهذيان المخمورين الموسوسين»[5]، وعدَّ تلخيص ابن رشد إياه «شائنا فاضحا»[6]، وقال السيرافي إن متى بن يونس كان يملي وهو «سكران، لا يعقل»[7]. وكانت الطريقة المتبعة عند بعض السريان أن يضعوا مقابل كل كلمة يونانية في النص كلمة عربية بمعناها، حتى يأتوا على آخر النص، ويثبتوا

---

(١) رواء مكة، ٦٥ وما بعدها.
(٢) كشف الظنون، ١/ ٥١٠ و٦٨٣.
(٣) كتاب أرسطوطاليس في الشعر، ١٧٩، والترجمة من سوء الفهم إلى سوء التأويل، ٣٥٢، وانظر أيضا: ٣٥٩
(٤) السابق، ١١٠
(٥) لن تتكلم لغتي، ١١٠
(٦) السابق، ١٠٤.
(٧) الإمتاع والمؤانسة، ١/ ١٠٧، وراجع أيضا ١١١، ١١٦

الكلمة التي لا يجدون لها مقابلا في العربية بلفظها[1]. وكان من أسباب هذه الحرفية، فضلا عن قلة العلم باللغتين، أنَّ ترجمتهم نشأت مرتبطة بديانتهم، وبدأت بالنصوص الدينية قبل غيرها؛ فجهدوا في الحفاظ على روح النص اليوناني وألفاظه دون تغيير، يُذكَر، وكان ذلك عماد ترجمتهم[2]. وكان بعضهم يرى أن الترجمة الحرفية هي الأسلوب العلمي الصحيح للنقل، و«أنها أبلغ وأفحل»[3]. وتأثرت الترجمة العربية بهذا النهج، فكان هو الغالب عليها؛ فكان فيها من الضعف والأخطاء ما هو معروف فيما تُرجم من اليونانية[4]، ووقع مثل ذلك فيما ترجم من سائر اللغات، كما يبدو من قول أحمد بن عبد الله بن سلام: «ترجمتُ صدر هذا الكتاب والصحف والتوراة والإنجيل وكُتُب الأنبياء والتلامذة من لغة العبرانية واليونانية والصابئة، وهي لغة أهل كل كتاب، إلى لغة العربية حرفا حرفا، ولم أتَّبع في ذلك تحسين لفظ ولا تزيينه مخافة التحريف، ولم أزد على ما وجدته في الكتاب الذي نقلته ولم أنقص إلا أن يكون في بعض ذلك من الكلام ما هو متقدم بلغة أهل ذلك الكتاب؛ فلا يستقيم لفظه في النقل إلى العربية إلا أن يؤخَّر، ومنه ما هو مؤخر، لا يستقيم إلا أن يقدَّم ليستقيم ذلك بالعربية»[5]. وكان هذا هو المتبع أيضا في الترجمة من العربية إلى اللاتينية في مدرسة طليطلة في القرون الوسطى: يضع المترجمون المساعدون الكلمات اللاتينية فوق الكلمات العربية في النص، ثم يأتي التراجمة الرئيسون فيراجعون الكلمات اللاتينية، ليتثبتوا من صحتها، ويبقى تركيب الجملة عربيا. وكان فهم هذه الترجمة من أعسر الأشياء على القارئ اللاتيني، ولا سيما إذا كانت الكلمات الصعبة ترجمة حرفية للكلمات العربية[6]. وهو أمر يمكن رده إلى قلة العلم باللغات التي يترجم منها في المقام الأول؛ فإنه يحول دون فقه النص المترجم، وما لم يُفقه لم تتأتَّ تأديته بلغة أخرى، وإن كان المترجِم عالما بها.

---

(١) حنين بن إسحاق: دراسة تاريخية ولغوية، ١٦.

(٢) السابق، ٥٥.

(٣) اللسان والميزان، ٣٢٨.

(٤) حنين بن إسحاق، ٣٣.

(٥) الفهرست، ابن النديم، قابله على أصوله أيمن فؤاد سيد، ١/ ٥٢ وما بعدها.

(٦) رحلة الكتاب العربي إلى ديار الغرب، ٥٢.

وجُلُّ ما يؤخذ على التراجمة الذين عُرِفوا برادءة الترجمة في العصر العباسي يؤخذ على كثير من المترجمين إلى العربية اليوم، وهو أمر ما كان يتوقع غيره، فإن العارفين بالعربية من العرب، إن كانوا يعرفون اللغة التي يترجمون منها، قليل. وإذا صح هذا، وصحَّ أن عدم تمكن المرء من لغته يجعل تمكنه من غيرها من الصعوبة بمكان، فمن غير المتوقع أن يكون جلّ ما يترجَم إلى العربية بعيدا من ترجمة متى بن يونس، إلا أن بعض المعاصرين ربما يكون فهمهم مقاصد ما يترجمون أفضل من فهم متى ما كان يترجم من فلسفة اليونان؛ لأنهم مخصون فيه، ويتاح لهم من المعينات عل الترجمة، كمصادر اللغات الأجنبية، ومعجماتها، ودوائر معارفها، ما كان غير متاح لمتى والتراجمة الأولين. فمن أوجُه التوافق بين الترجمة الحديثة وترجمة السريان الترجمة الآلية التي تُبْقي على الجمل كما هي في النص المترجم، من غير أن تتصرف فيها بتقديم أو تأخير، بما يقتضيه نظام العربية التي يترجمون إليها، حتى الجمل الاعتراضية، ولو كان تركها على حالها يلبِس، فهذا النص مثلا: «فكتاب الطبيعيات لأرسطو، وكتاب المجسطي لبطليموس، وكتابا المبادئ لنيوتن، وكتاب الكهرباء لفرانكلين، وكتاب الكيمياء للافوازيه، وكتاب علم الجيولوجيا للايل، كانت أعمالا، قامت، ولزمان ما، هي وكثير غيرها، بتحديد ضمني لما هو مشكلات مشروعة، ولطرائق البحث لتعمل بحسبها الأجيال اللاحقة من المشتغلين بشؤون العلم»[1]، ليس من السهل أن يفهمه القارئ من أول مرة؛ لما فيه من جمل اعتراضية، يتعذر فهمه قبل أن يجرَّد منها ريثما يُفهَم معناه العام، ثم تعاد إلى مواضعها لمعرفة ما فيها من معان ثانوية. وكان يمكن أن يصاغ صياغة أوضح من هذه، من غير أن يُخَلَّ بشيء من معناه، كأن يقال: فكتاب الطبيعيات لأرسطو، وكتاب المجسطي لبطليموس، وكتابا المبادئ لنيوتن، والكهرباء لفرانكلين، وكتاب الكيمياء للافوازيه، وكتاب علم الجيولوجيا للايل، حَدَّدت -زمانا- هي وكثير من الكتب تحديدا ضمنيا ما هو مشكلات مشروعة. أو: كانت هي وغيرها من الكتب -زمانا- تحدد ضمنا ما هو مشكلات مشروعة. أو: ... أتى عليها حين من الدهر، وهي وغيرها من الكتب الكثيرة تحدد ضمنا ما هو مشكلات مشروعة. وكان يمكن أن تكون

---

(١) بنية الثورات العلمية، ٦٣.

الترجمة خيرا من هذا وأوضح، وأقعد في العربية، لو أن مترجمها كان عارفا بلغتها وبالعربية، فيتحلل من ترجمة الألفاظ ترجمة حرفية، فيُبين عن المضمون بأسلوب عربي خال من التعقيد والغموض. وكذلك العبارة: «خلال القرن الثامن عشر أخفق، وباستمرار، العلماء الذين حاولوا اشتقاق الحركة للقمر من قوانين الحركة والجاذبية لنيوتن»[1]، ففيها ما لا يخفى من الركاكة، وكان يمكن أن تُتَرجم هكذا: كان علماء القرن الثامن عشر يخفقون في معرفة حركة القمر من قوانين نيوتن في الحركة والجاذبية. وهذه العبارة التي أقتطعها من محاضرة لصموئيل شيمون، يبدو أنه ألقاها بالإنجليزية: «بانيبال تعتبر حقا مشروعا -اسمحوا لي- فريدا؛ لأن المجلة والمشروع، ككل، جاء في وقت تقريبا في منتصف التسعينيات. ولا أكون استفزازيا إذا قلت إن المشروع أردته أنا ومارغريت، وهذا المشروع يخضع لمزاجين: مزاج امرأة إنجليزية متمردة، دخلت إلى اليسار البريطاني في السبعينيات، وناصرت القضايا العربية إيمانا منها بهذه القضايا، وأيضا يخضع المشروع لمزاجي كشخص ينتمي للثقافة القادمة من الشارع، من المشهد العربي نفسه...، لنتحدث عن هذا الأمر بالذات المشاريع الأدبية العربية كانت دائما خاضعة، إذا عدنا للتسعينيات أو قبلها، لعقليات وهيمنة السفارات العربية في أوربة...، فعندما قررنا إصدار العدد الأول -طبعا أشكر أستاذ بيتر كلارك الموجود معنا- اتصلنا ببيتر نناقشه في هذا الأمر، وكان عونا كبيرا لنا»[2].

وكانت الترجمة في أيام محمد علي باشا ضعيفة، ولم ترْقَ إلى الترجمة العلمية، مع أن بعض الذين كانوا يزاولونها كانوا من خريجي الأزهر، كرفاعة الطهطاوي، وكان رفاعة يسمي البلدان تسميات تختلف عما هو معروف من تسمياتها اليوم، على وجه ربما حال دون فهم ما يراد منها، ويقتصر على ما يعرف من تسميتها بالفرنسية، بعد أن يحرفها نوع تحريف، أو يبدل بعض حروفها المرققة حروفا مفخمة، كأن يجعل الكاف قافا، والهمزة عينا، والتاء طاء، فيسمي استارة واستارته، عشتار، وأستونيا سطونيا واسطيا، والأسكيمو

(١) بنية الثورات العلمية، ١٠٥.

(٢) مشروع بانيبال، ٨٥ وما بعدها.

أسقيمو، وسلوفينية سلوبين، والسويد اسوج، واسويج، واسويجة[1]، ويسمي الولايات المتحدة الأمريكية أيتازوني وإيتازونيا، وقارة أمريكة أمريقة، تارة، وتارة أمريكة[2]، ويسمي البرازيل ابريزيلة، وموسكو الموسقو، ويكتب البرتغال البرتوغال، ونهر الفولغا نهر ولغا[3]. ولولا ما يصف به الإقليم ما عرف المرء مراده أحيانا، ولا ما تدل عليه التسمية التي سماه إياها. ولعل عذره في ذلك أن بعض هذه البلاد لم يكن معروفا عند العرب، وما كان منها معروفا إنما كان معروفا في كتب التاريخ ومعجمات البلدان، وتختلف تسميتها عما استقرت عليه الآن عند العرب، وهو ينقل أسماءها من الفرنسية التي تنطقها وتسميها نطقا وتسمية يخالفان ما هو معهود عند عرب المشرق اليوم، وهم متأثرون بالنطق والتسمية الإنجليزيين. وبعض الاصطلاحات لا يُفهَم معناه؛ لأنه لا يشرحه شرحا يمكن أن يبين المراد منه، كقوله في أبرا، أي: أوبرة: هي: سبكتاكلات فرانسا[4]، وفي مادة سبكتاكل يقول: هي: ملعبة ببلاد الإفرنج، وأفاض في شرحها في نحو صفحة[5]. ولم يهتد إلى «المسرح»؛ فيترجم به سبكتاكل، والتياترو؛ ولذلك قال في شرحهما: والأصل في معنى سبكتاكل وتياترو: منظر أو متنزه، ثم سُمِّي به اللعب ومحله[6]. وكان يسمي جمعية النحو الفرنسية: الجمعية الغراماتيقية[7]. ويرى بعض الباحثين أنه كان -بسبب هذا- من الزمرة الأولى التي كان لها أثر كبير في إرساء منهج الحرفية المطلقة والفسيفساء العمياء في العربية، فقد أدخل نهجَه الحرفيَّ في الترجمة، كما فعل البستاني في لبنان، وعثا في اللغة فسادا لعدم علمه بأصول الترجمة والنقل، كما كانت في أوربة في زمانه، على بدائيتها، فنقل نقلا حرفيا صوتيا بدائيا، ولم يميز الترجمة من النقل، فأدخل مجموعة من الألفاظ الأوربية الحديثة في كتابه «تلخيص الإبريز في وصف باريز»، خاصة،

(١) قلائد المفاخر، ٤ وما بعدها.
(٢) أزمة اللغة والترجمة، ٣٦٩ وما بعدها.
(٣) السابق.
(٤) السابق.
(٥) قلائد المفاخر، ٤٩ وما بعدها.
(٦) تخليص الإبريز، ٢٠٧ (نقلا عن: لن تتكلم لغتي، ٢٠٧).
(٧) السابق، ٢٠٠.

فكان منهجه أقرب ما يكون إلى لوثة الجنون والجهل من كل شيء آخر[1]. وهو خلاف ما يرى العقاد من أنه كان كامل العدة من العربية والفرنسية، مجيدا لهما، ولم يكن ما نال ترجمته من ضعف من قصور في العربية، ولا من جهله بها، وإنما لأن «الاصطلاحات السياسية والدستورية كلها كانت تبتدئ وجودها في تلك الحقبة، وكان اتحاد المقاطعات في أساسه عملا جديدا في قاموس الحكم والسياسة»[2].

ويبدو أن الترجمة في عهد محمد علي باشا تأثرت كثيرا بالترجمة في عهد الحملة الفرنسية، فإنما يذكر المؤرخون عنها يكاد يطابق ترجمة رفاعة الطهطاوي ونهجه فيها، كما يبدو من قول أحد المهتمين بالترجمة في الوطن العربي، من أن الفرنسيين لما جاؤوا مصر كان في جملة حملتهم جماعة من التراجمة ليتوسطوا بينهم وبين الشعب والعلماء، ويترجموا لهم المنشورات والمراسلات، ونحوها. وكانوا غير عرب، فكانوا إذا ترجموا العبارة صاغوها صياغة إفرنجية، وما لم يجدوا له مرادفا عربيا تركوه بلفظه، أو وضعوا له لفظا عاميا[3]. وكانت هذه طريقة أكثر التراجمة الأولين بعد ذلك، وهي الطريقة التي كان يتبع رفاعة الطهطاوي، حتى إنه دعا إلى العامية، وكان يترجم بها بعض النصوص. فلما تولى محمد علي باشا اتخذ تراجمة، بعضهم من أهل المغرب، واللغة ما تزال في انحطاطها وركاكتها، والذين يعرفون أساليبها ويحفظون ألفاظها قليلون جدا، ولا سيما الذين استعملهم في دواوين الكتابة والترجمة. ومما زاد أسباب الفساد في اللغة أن الحكومة شرعت في إنشاء الدواوين وترتيب مصالح الحكومة والقضاء وغيرها قبل اهتمامها بتعليم الناس وتهذيبهم وترقية أفكارهم، وإصلاح شأنهم؛ فدخل في العصر الأول لحكومة محمد علي كثير من الألفاظ والأساليب العامية، فلما استنار الناس بعد نشر الصحافة، ونبغ الكتاب والمنشئون في أواخر القرن الماضي، انتظم جماعةٌ منهم في مناصب الحكومة الكتابية، فنقحوا كثيرا من تلك الغرائب[4]. ولم يكن

---

(١) أزمة اللغة والترجمة، ٣٦٩ وما بعدها.

(٢) الزحف على لغة القرآن، ١٠٠ وما بعدها.

(٣) اللغة العربية كائن حي، ٨٩.

(٤) السابق، ٨٩ وما بعدها.

الذين اشتغلوا بالعلوم الحديثة عند أول دخولها مصر والشام، في أواسط القرن التاسع عشر، على علم باللغة، فلما ترجموا العلوم إلى العربية لم يهتدوا إلى اصطلاحاتها القديمة، وإنما اهتدوا إلى بعضها، ووضعوا لبعضٍ ألفاظا، لا تدل على المراد دلالة تامة، لكنها صُقِلَت بتوالي الأعوام، فصارت تدل عليه، فلما كثرت المدارس، ونشأ الكتاب وعلماء اللغة، أعادوا النظر فيما دخل اللغة من الاصطلاحات العلمية والإدارية الجديدة، وقلما استطاعوا تبديل شيء منها، لتأصلها وشيوعها في الكتب والجرائد والأندية وغيرها[1].

وظلت العفوية تَسِمُ الترجمة في عهد محمد علي باشا، ويتولاها من هو أهل لها ومن ليس أهلا لها، حتى انتهت إلى ما انتهت إليه اليوم. وكان سبب ما كانت عليه اللغة من ضعف في زمن محمد علي أن المبتعثين لم يستوعبوا اللغات الأجنبية كما ينبغي، ومن استوعبها منهم لم يكن له من العلم بالعربية ما يمكِّنه من الترجمة إليها، ولا كان في العربية من المعجمات المزدوجة ما يعين عليها، وكان كثير من مفهومات العلوم جديدا على العربية، ووضعُ الاصطلاحات الشاملة الدقيقة أمر لا يستقل به إلا المجامع العلمية المتفرغة، التي تجمع علماء اللغة والعلماء المتخصصين، كما قال رفاعة الطهطاوي: والعذر إذا زلَّت قدم ترجمتي في بعض التفاسير؛ لأن الفرنسية لما يفضَّ ختامها بقاموس شاف مترجم، وأحتاج إلى أن يكون معي مساعد فرنسي، وعملي لا ينجزه إلا عشرة، ليكون مستوفياً ومستوعباً للألفاظ الاصطلاحية[2]. وقد استمات فريق الترجمة في عهد محمد علي في الترجمة، وإخراج الكتب المترجمة على أكمل ما في وسعهم، وتعاونوا على ذلك تعاونا يشعر بأنهم كانوا في تحدٍّ، يصرُّون على الانتصار فيه، واجتهدوا في أن يجبروا نقص كل ذي نقص، ويعملوا عملا تتكامل فيه معارفهم، ويسدد بعضهم بعضا، فقد كان بعض التراجمة من غير أرباب الفنون التي ينقلونها، أو ممن ليسوا متمكنين من العربية واصطلاحاتها العلمية، فكان نقلهم غير دقيق، وفيه بعض الأخطاء، فاحتاجوا إلى من يقرأ

(١) اللغة العربية كائن حي، ٧٣ وما بعدها.

(٢) المعادن النافعة، ٣ (نقلا عن: الجهود اللغوية في المصطلح العلمي الحديث، ٤٧).

الترجمات والأصل بين يدي مؤلفيها، ومن يقابلون ذلك وينقحونه[1]. وكانت كتب المؤلفين من أساتيذ المدرسة الطبية في أول الأمر تُعرَض على أرباب المشورة الطبية، فإذا أقرَّت نفْعها، أمرت بنقلها إلى العربية، فيعهدون بذلك إلى من يتولاه من المترجمين، ثم يعهدون بتنقيح عباراته إلى مصحح عالم بالعربية، يقف على طبعه. وقد يسمُّون للتنقيح اثنين، أحدهما يعرف اللغة التي يترجم منها، والآخر عالم بالعربية. فلا يخرج الكتاب إلى المطبعة إلا بعد أن يقتلوه تحقيقاً وتنقيحاً، على ما يبلغه علمهم[2]. وكان هذا أقصى ما يمكن المرءَ أن يتوقعه من قوم بدائيين، يدخلون باب العلم الحديث من غير تراث في الترجمة، ولا تجربة، يستضاء بها، وكل ما كانوا يعرفون لغةٌ ران عليها البديع، والصنعة اللفظية، وانقطع أكثر علمائها عن تراثها العلمي، وصار الغالب عليهم حفظ متون العلوم الشرعية واللغوية، وما يتصل بها، كالمنطق. وقد قللت المراجعة والتدقيق والتعاون بين أهل الاختصاص واللغويين من عيوب الترجمة في هذا العصر، وجبرت بعض ما فيها من ضعف ونقص، وجعلتها ملائمة لأهلها في ذلك الزمن، وعِلْمهم وفكرهم. وحسْبهم أن حرصوا على التعريب، ولم يستسلموا لما استسلم له العرب بعدهم، من اصطناع اللغات الأجنبية وإخراج العربية من العلم، مع الفرق بينهم وبين العرب اليوم. ومن وازن عملهم هذا بعمل العرب اليوم راعه، وراعه جدُّهم المستمد من عزم محمد علي باشا وإصراره على إنجاز المهمة التي حملته على نقل العلم الغربي. ويزداد المرء إعجابا بهذه التجربة إذا علم أن العربية لم تكن في خير عصورها، بل كانت في ضعف وخمول، مذ خمد الفكر، وغلبت الصنعة اللفظية، كما يظهر في لغة مؤلفي هذا العصر، وأساليبهم الركيكة، ومنهم رفاعة الطهطاوي، فلم يتحرر أسلوبه من قيود البديع، ولا اختلف رأيه في الأدب عن رأي معاصريه، مع أنه درس الأدب الفرنسي وأحبَّه[3]، وعناوين الكتب التي يؤلفون أو يترجمون، دليل على تنافر مضمونها وعناوينها المسجوعة. بلْهَ أن التراجمة ما كانوا فقهاء باللغات الأجنبية

(١) الجهود اللغوية في المصطلح العلمي الحديث، ٢٤.

(٢) السابق، ٢٥.

(٣) أثر الثقافتين الفرنسية والإنجليزية في مصر، ١٨٣.

فقهـا ييسـر الترجمـة منهـا، ولا كانـت لهـم معرفـة بأصـول الاصطلاحـات الأجنبية واشـتقاقها. ولعـل هذيـن الأمريـن همـا سـبب كثـرة لجوئهـم إلـى التعريـب اللفظي والدخيـل[1]، كمـا كانـا سـبب اصطنـاع المترجميـن الترجمـة الحرفيـة فـي كثيـر ممـا ترجمـوا[2]، كمـا يبـدو مـن قـول خليفـة محمـود أفنـدي، مترجـم كتـاب «أتحـاف الملـوك الألبـاء»: «حاولـت مجـاراة عبـارات الأصـل كل المحاولـة، وزاولتهـا كل المزاولـة؛ ولـذا كانـت بعـض العبـارات فـي ترجمتي على نسـق يبعد بعـض الوجوه عـن قالـب الفصاحـة العربيـة، ويقرُب مـن قالـب اللغـات الأعجميـة؛ لأن المترجم يلزمـه أن يكـون أسـيرا للأصـل فـي تركيبـه ونظمـه وترتيبـه...»[3]. وإعطـاء المقابل مـن اللغـة التـي يترجَـم إليهـا هـو الـذي يعيـن القـارئ علـى إدراك المـراد وفهمـه، والعـدول عنـه إلـى الترجمة الحرفيـة يحـول دون ذلك، ويسـقط النص بيـن ثقافتين؛ فيذهـب هـدرا، ويقدِّم صـورة للنـص مشـوهة، لا تبلِّـغ المترجـم مـا يريـد، مـن نقل الأفـكار والمعلومـات.

وكان مـا عُـرِّب فـي أول هـذا العصـر مقبـولاً فـي جملتـه، غيـر أن طـرق الوضـع لـم تكـن قويمـة، ولا كانـت توافـق قـوام العربيـة، فقد كان معجـم رشـدي بالفرنسـية يعـرِّب amygdalitis بـلوزيـت بـدلاً مـن العـازور، وartertis بشـريانيت، و arthritis بمفصليـت، وgibbosity، وbasse بـأتـب بـدلاً مـن الحـدب، وcream بكريمـة، وperitonitis ببريتونيـت، وphysiolog بفسـيلوجيا أو السـلامة. وكـان مثـل هـذا المسـخ والتشـويه وأشـباهه كثيـرا فـي كتـب الجراحة التـي عربهـا الدرى، فضـلاً عـن رداءة الإنشـاء. وذاع فـي هـذا العهـد قامـوس إليـاس بقطـر وبرسـفال الابـن. وكان بقطـر لا يعـرف مـن العربيـة قليـلاً ولا كثيـراً، وكان مترجمـاً للحملـة الفرنسـية فـي المغـرب العربـي[4]. وكان مـع هـذه الترجمـة ترجمـة، وُصفـت بأنهـا حسـنة، فـي الجملـة، وصالحـة لزمانهـا، ويمكـن أن يفيـد منهـا أهـل زماننـا كثيـراً مـن الاصطلاحـات المفيـدة، وإن لـم تكـن كلهـا صالحـة أو مقبولـة، وقـد عُـدِّل كثيـر منهـا، وترجـم كثيـر ممـا عَرَّبـوا. ولا خـلاف -مـع ذلك- فـي أن اصطلاحاتهـم كانـت

---

(١) انظر مقدمة قلائد المفاخر، ٢، والمعادن النافعة، ٣ (نقلا عن: الجهود اللغوية في المصطلح العلمي الحديث، ٤٧).

(٢) تاريخ الترجمة والحركة الثقافية في عصر محمد علي، ٢١٣ ما بعدها.

(٣) السابق، ٢١٥.

(٤) معجم العلوم الطبية الطبيعية، ١٤ وما بعدها (نقلا عن: الجهود اللغوية في المصطلح العلمي الحديث، ٥٠).

نواة جيدة لمن أَلَّفُوا بعدهم[1].

وكان اصطناع الدخيل في الترجمة هو الغالب على المترجمين التونسيين في القرن التاسع عشر، وقلَّما أفادوا من المجاز والاشتقاق، فكانت المؤلفات المترجمة في العلوم العسكرية زاخرة بالاصطلاحات التركية، وكانت هي الاصطلاحات الرسمية في الجيش التونسي، وكثيرا ما كانت تُجعَل في عنوانات الكتب، ككتاب «ترتيب الطوابير»، وعنوانات فصول الكتب، كـ «ترتيب الحرب»، تعريب حسن بن مصطفى، نحو: «دزيله دردازيم صاغ»[2]. وإنما كان هذا في العصر العثماني؛ لأن الجهل بالعربية كان فاشيا، وكان ما يعلَّم منها هو النحو الصناعي، وفسدت الأذواق، والسلائق، فصار من السهل على الناس استعمال التركية، هذا إلى أنها كانت هي اللغة الشائعة المتداولة في الحياة العامة، كما تدوولت بعد ذلك الفرنسية والإنجليزية في مستعمرات بريطانية وفرنسة؛ من أجل ذلك كان المؤلفون لا يتحرجون من استعمال المفردات التركية، فقد كانوا يجهلون المفردات العربية، وكانت معرفتهم بأساليب العربية ضعيفة؛ فأعياهم أن يضعوا للكلمة الأعجمية مرادفا عربيا، بالمجاز، أو الاشتقاق، إذا لم يجدوا لفظا عربيا بمعناها عتيدا، فكانوا يأخذون اللفظ الأعجمي كما هو، أو يترجمونه ترجمة ساذجة، عامية أو قريبة من العامية. وكذلك كان الأمر في الترجمة من اللغات الأوربية في القرن التاسع عشر، فإن الكثير فيها أن يؤخذ اللفظ الدخيل كما هو من غير أن يَتَعَنَّى المترجم في تطلُّب لفظ بمعناه في كتب اللغة؛ فلم تكن له معرفة بها كبيرة، ولا كان له من السليقة ما يمكِّنه من استحداث لفظ عربي، ولا سيما الاصطلاحات التي تبين عن مفهومات جديدة غير مشهورة في التراث العربي. من أجل ذلك كانت الترجمة بأخذ اللفظ الأجنبي من غير تغيير، إلا أن كتابته بالعربية كانت هي الغالبة، في تونس وغيرها من البلاد العربية، مثل: السناتو (scnat)، والأنطيكة (antique)، والأستاتستيك (Statistique)، والتنيل (tunnel)، ورو (rue)، وبولفار (boulevard)، والريالسم (réalisme)،

(١) الجهود اللغوية في المصطلح العلمي الحديث، ٥٤.
(٢) حركة الترجمة في تونس وأبرز مظاهرها في الأدب، ١٦٥

والناتيرالسم (naturalisme)، إلخ[1]. وهو شبيه بما قد رأينا في الترجمة في العصر العباسي. وكان فيما يضعون من الاصطلاحات بالمجاز غموض؛ لأنه مبني على ترجمة حرفية. وكانت الترجمة على هذا الوجه لا تفيد العرب شيئا؛ لأنها لا تزيد على كتابة الكلمات الدخيلة بحروف عربية.

ولما حسنت حال العرب، ورسخت فيهم المعارف الحديثة اختلف أمر الترجمة، فصارت أحسن من بعض الوجوه، فقد أبلَّت العربية من بعض ما كان بها من علل العجمة، وأسقام البديع، وصار أدب عصور القوة هو مثل الأدباء الذي يحذون به، وصارت العربية على أيدي العارفين بها من الأدباء لغة عصرية جميلة، وإن لم تسلم من الأخطاء والتأثر باللغات الأجنبية. وكان الذين يُبتعَثون للدراسة في الغرب أكثر وعيا، وأنضج من سلفهم، وكانوا يُبتعَثون، وقد شَدَوْا شيئا من العلم، ومن الكثير أن يبتعثوا للدراسة الجامعية وما بعدها، وكانت الحكومات -ولا سيما الحكومة المصرية، بعد محمد علي- لا توفد إلا النجباء من خريجي المدارس الكبرى[2]. واختلفت أوربة التي يبتعثون إليها عن أوربة التي كان يبتعث إليها محمد علي، فقد تقدم العلم فيها عما كان عليه في القرن التاسع عشر، وتقدم فنُّ الترجمة؛ فكان لزاما أن تكون لغتهم التي يترجمون بها أفضل من لغة سلفهم، ومعرفتهم بالترجمة وأصولها أفضل من معرفتهم. غير أن هذه الحال لم تدم، فقد انتكس التعليم في الوطن العربي عامة، وتعليم العربية خاصة، في العقود الثلاثة الأخيرة، وصارت لأكثر العرب نظرة إلى العربية، يغلب عليها الازدراء، والصدود، والاعتزاز بمعرفة اللغات الأجنبية والحرص عليها؛ لأنها هي الوسيلة إلى المال، والأعمال، والمناصب، والجاه. وقلَّ الفقه باللغات الأجنبية بقدر ما فشا من الضعف في العربية، فكان حتما أن تكون الترجمة حرفية، لكن بلغة أركَّ من بعض الوجوه من لغة رفاعة ومعاصريه؛ فقد حفظ رفاعة وبعض معاصريه القرآن، ودرسوا العربية وسائر العلوم الأزهرية، وإنما كان يعيب لغتهم تعلقها بالبديع، وتأثرها بالتركية، واستعمالها العامية وما يقرب منها في ترجمة بعض ما لا عهد لهم به من أساليب لغات الغرب. وبعض

---

(١) حركة الترجمة في تونس، ١٦٦ وما بعدها و٣٢٧.

(٢) تاريخ آداب اللغة العربية، ٤/ ٣٩.

الذين يتولون الترجمة اليوم إما لا يعرفون العربية ألبتة، وإما يعرفونها معرفة مزجاة، وجلّ ما يعرفون منها متلَقّى من وسائل الإعلام؛ فهم يترجمون ترجمة حرفية، قد يتعذر فهمها، فإن فهمت فبصعوبة. هذا إلى تمكن الفرنسية في بعض الأقطار العربية، بعد تراجع الروح الوطني منذ خروج الاستعمار العسكري، وفرضها في أطوار التعليم كلها، وإخراج العربية من كل علم مهم، وقلة ما يعلم منها في أطوار التعليم كلها لغير المخصين فيها، وتنكّب الطرائق الصحيحة في تعليمها، واقتصاره على تلقين النحو والصرف تلقينا نظريا؛ فكانت الفرنسية هي ما تعرف الأجيال في بعض الأقطار العربية، وما يترجم منه إلى العربية لا يفهمه إلا عارف بالفرنسية. ولما كثرت وسائل الإعلام وانتشرت، حملت هذه اللغة إلى العامة والخاصة؛ فغدت هي «العربية الفصحى» التي لا يُعرَف غيرها، ولا يَتكلَّم مَن تكلم، ولا يكتب من كتب إلا بها. وهي لغة هزيلة، تعتمد اعتمادا مطلقا على النقل الحرفي من مصادر الأخبار الأجنبية، حتى الأخبار المحلية، وتتكلّف التقليد في كل شيء، حتى طريقة النطق . وترتب على ذلك أن كان جانب كبير من متن العربية المعاصرة مترجما من الإنجليزية والفرنسية ترجمة حرفية، وأن تتولى اللغات الأجنبية صياغة تفكير العرب وأساليبهم[٢]، وألا تُفْهَم لغة بعض غير العارفين منهم بالعربية، أحيانا؛ لأنها إنجليزية أو فرنسية مكتوبة بحروف عربية. وغدا عمل بعضهم تعبثا بالعربية، يشكك في جدِّ آتيه، وترجمة كمال أبو ديب لكتابي إدوارد سعيد: «الاستشراق»، و«الثقافة والإمبريالية» مثال لذلك، فهما حافلان بالمفهومات التي لا يقوى على ترجمتها إلا عارف بالعربية والإنجليزية، وإذا كان كمال يعرف من الإنجليزية ما يمكّنه من فهمها، فإنه لا يعرف من العربية ما يمكّنه من ترجمتها، وكل شيء في ترجمته شهيد بذلك، كاستعماله التشخصن، والاستحرام (العلاقة المحرمة)[٣]، واستدخل (نقل إلى عمل داخلي، يعلّم الطفل اللغة)[٤]، وشبَّح يشبِّح، وشابح، ومشبوح

---

(١) أزمة اللغة والترجمة، ١١٧ وانظر ١٧٣

(٢) بين العامية والفصحى، ١٦٦ وما بعدها.

(٣) الاستشراق، ٢٢.

(٤) السابق، ٢٢.

(من الشَّبَح)[1]، ومُشَرْبَن[2]، والشَّخْوَصَة، و«إيراثي»[3]، واستجنابية (الغلو في كره الأجانب)، واستلافية (العودة إلى صفات السلف التي ابتعد عنها خلفهم)، والمَعْجَبات (الآثار العظيمة الباقية)، والَّوَي، إلخ ما قد رأينا من مُحدَثاته. فليست هذه الكلمات غريبة في اشتقاقها، ومخالفتها أصول الاشتقاق في العربية، فقط، بل لا معنى لها أيضا، ولأنها غريبة في اشتقاقها، ولا معنى لها يشك من يراها أول مرة في أن من يستعملها امرؤ جادٌّ في الترجمة، فمن ذا الذي يسهل عليه أن يحمل على الجد اشتقاق «مشربن» من «شارب»، بمعنى: «ذي شارب عظيم»، وشَبَحَ يَشْبح، بمعنى: يلاحق كالشبح، وشابح، ومشبوح بمعنى: مسكون، واشتقاق الشخوصة من الشخص، بمعنى: الرسم الساخر، و«مَبْرَط»، لما يسميه الفضاء الإمبراطوري[4]، أي: الإمبراطورية. وقد أقرَّ بما سيؤخذ على لغته، ولكنه ادَّعى أن ما أتى هو مقتضى الإخلاص للنص، والإخلاص له يجب أن يقدَّم على الإخلاص للغة: «كل هذه العبارات والاقتراحات تخلخل الأسلوب العربي، تخلق حسا بالقلق، بالأجنبية، لكننا نمثل نصا أجنبيا ذا خصائص فكرية محددة، تتجلى في بنيته. والتمثيل إخلاص للنص الممثل، قبل أن يكون إخلاصا للغة الممثلة»[5]. وهو رأي قد رأينا من كان يذهب إليه من تراجمة عهد محمد علي باشا، وإنما حمل عليه قلة العلم بالعربية، وعدم المعرفة بأصول الترجمة. وفساد اللغة لا يعين على نقل المعنى؛ لأن اللغة تواضع، ولا تؤدي ما يراد منها إلا أن تلتزم ما تووضع عليه، و«مشربن»، و«التشخصن»، و«الشخوصة»، و«مبرط»، وما شاكلها، ليست من العربية، ولا جارية على ما تواضع عليه العرب في الاشتقاق، و«إيراثي» خطأ؛ لأن النسبة إلى «وراثة» وراثي، ولا معنى للياء التي بعد الهمزة، ولا لإبدال الواو همزة، في غير لغة هذيل. أما المعنى الذي سكَّ له «الاستحرام»، فيسمى في العربية «زنى المحارم». وأما ما اشتق من «الشبح» ترجمة لـ haunt، وhaunting وhaunted، فيمكن أن يترجم بـ«يعتاد»، و«معتاد»،

---

(1) بين العامية والفصحى، ٢١.

(2) السابق، ٣١.

(3) المورد، ٣١٣.

(4) الثقافة والإمبريالية، ٣٩١.

(5) الاستشراق، ١٣ (مقدمة المترجم).

و«مسكون»؛ لأن المراد بها ورود الشيء على الخاطر، وأن المكان تسكنه الجن، والشبح اسم جامد، لا يشتق منه قياسا، كما لا يشتق من سائر ما تقدم من الأسماء الجامدة. وفي بعض هذه الكلمات خطأ آخر، هو أنها، كـ«يشبح»، مشتقة من أفعال لازمة، والفعل اللازم لا يشتق منه اسم المفعول. وكان يمكن أن تترجم «استجنابية» (Xenophobia) بالعصبية على الأجانب، وترجمها منير البعلبكي برُهاب الأجانب، والخوف من الأجانب، وكُرْه الأجانب[1]. والأصل في معاني «استفعل» الطلب، والتحول، و«الاستجنابية» لا تدل على واحد من هذين. والاستلافية (Atavistic) يمكن أن تترجم بالسلفية، والاقتداء بالسلف، فإن أبى إلا الإغراب، فبكلمة، وضعها مجمع القاهرة، هي التأسُّل، ترجمة لـ Atavism[2]. ومَعْجَبات (Monuments) لا يتبين أصلها الذي اشتقت منه، ولا معناها[3]، وقد جرت العادة بأن تسمى الآثار العظيمة الباقية العاديات. وأما آلَوَي (Mechanistic)، إن قُدِّر أن استعمالها بالمعنى الذي أراد صحيح، فإن زيادة الواو فيها مخالفة لقواعد النسب، في العربية، وإنما كان يجب أن يقول آلي.

فهي -إذن- ترجمة امرئ، لا يعرف العربية؛ فهو يستعملها كما يستعملها الأعجمي، ويشتق منها كما يشتق الأعجمي اشتقاقا لا يصح، ولا يبين، ولكنه لا يجد حرجا فيما يأتي. وقد ترجم العارفون بالعربية قبله وبعده كتبا كثيرة، لا يقل بعضها عن لغة إدوراد سعيد، فما صنعوا بالعربية ما صنع، ولا أتوا في حقها ما أتى. وتميُّز لغة إدوارد سعيد مما يقرُّ به من ترجموا كتبه، ولا سيما «الاستشراق»، لكنهم استطاعوا -مع ذلك- أن يقدموا للقارئ العربي مضمونها في لغة أمثل من لغة كمال. ثم إن بعض ما يخالف العربية من ترجمته، كالكلمات التي مُثِّل بها آنفا، ترجمتْه المعجمات ترجمة أصح وأوضح من ترجمته. وقد ترجم محمد عناني «الاستشراق» بلغة ليست بذلك الجمال ولا الصحة، ولكنها واضحة، وليس فيها ما يشكل، أو يحوج إلى تفكير. من

---

(١) المورد، ١٠٧٩.

(٢) السابق: ٧١.

(٣) انظر هذه الكلمات في ثبت الاصطلاحات في مقدمة «الاستشراق، ٢١ - ٣٤.

ذلك ترجمته عنوان أحد فصول الكتاب بـ: «الجغرافية الخيالية وصُوَرُها: إضفاء الصفات الشرقية على الشرقي»، وترجمه كمال بـ: «الجغرافية التخيلية وتمثيلاتها: شرقنة الشرق». فعنوان محمد واضح، ولغته هي اللغة المعهودة، وليس فيها ما يخالف قانونا من قوانين اللغة، وعنوان كمال غامض، ويصطنع لغة غير معهودة، ويشتق من «الشرق» الشرقنة، وهو اشتقاق غير معهود في العربية، كما قد بينًّا، وإنما كان ينبغي أن يقول: تشريق الشرق، إن كان لا بد أن يشتق من «الشرق» كما تشتَقُّ الإنجليزية orientalize من orient. وترجم عنوان الموضوع الثاني من الفصل الثالث بـ: «الأسلوب، المعرفة، الخبرة، والرؤيا: دنيوية الاستشراق»، وترجمه محمد عناني بـ: «الأسلوب، والخبرة، والرؤية: الطابع الدنيوي للاستشراق». ولا يخفى ما بين العنوانين من وضوح، كما لا يخفى نزوع كمال إلى الترجمة الحرفية التي لا تبالي خصوصية العربية، في إثبات حرف العطف بين المتعاطفات كلها، وإنما تحذو العربية على الإنجليزية بإسقاط حرف العطف بين المتعاطفات غير الأخير منها، وتسمية الرؤية رؤيا، مع أن الرؤيا لا تكون إلا لما يرى في النوم. والشيء الأوحد الذي فضلت فيه ترجمة كمال ترجمة محمد في هذا العنوان هو «دنيوية الاستشراق»، بدلا من الطابع الدنيوي للاستشراق، فإن ترجمة كمال أوجز وأصح. وترجم محمد عنوان الموضوع الرابع من الفصل الثاني بـ: «الحج ورحلات الحج من بريطانية وفرنسة»، وترجمه كمال بـ: «الحج والحجاج، بريطانيين وفرنسيين». وترجمة محمد أوضح، وترجمة كمال أوجز، وكان ينبغي أن يقول: الحج والحجاج البريطانيون والفرنسيون، أو الحج والحجاج: الحجاج البريطانيون والفرنسيون. وترجم محمد عبارة من هذا الموضوع بقوله: «ولقد لجأ كاتب مثل لين آخر الأمر إلى إعادة جدولة الشرق، وتعديل موقعه عند ما بدأ الكتابة عنه، فمظاهر الشذوذ في الحياة الشرقية، من التقاويم الزمنية العجيبة، إلى التضاريس المكانية غير المألوفة، إلى اللغات ذات الغرابة الدافعة على اليأس، إلى الأخلاقيات التي تبدو منحرفة -تقل كثيرا»[1]، وترجمه كمال بـ: «وقد قام رجل مثل لين، في نهاية المطاف، بإعادة تخطيط الشرق وموضعته حين انتهى به الأمر إلى الكتابة

---

(١) الاستشراق، ترجمة عناني، ٢٧١.

عنه، وقد قلصت شذوذات الشرق، بتقاويمه العجيبة، وتشخصناته المكانية الغريبة، المدهشة، ولغاته الغريبة حتى الاستحالة، وأخلاقيته المنحرفة بجلاء، إلى درجة كبيرة حين ظهرت جميعا كسلسلة من المواد المتفرقة»[1]. ولا يخفى أن لغة محمد عناني -وإن لم تكن بتلك الجودة والصحة- واضحة، والمراد فيها بيِّنٌ شيئا، وأن المرء يقرؤها من غير أن يتوقف، أو يفكر في معنى كلمة مما يقرأ، بخلاف ترجمة كمال.

وأختم الحديث عن هذا لموضوع بمختارات من النصوص، يتجلى فيها ما قد رأينا من التأثر باللغات الأوربية والحذو عليها، والترجمة الحرفية التي تجعل الكلمة مقابل الكلمة والعبارة مقابل العبارة، وما يترتب على ذلك من تغير بناء اللغة، وكثرة الفضول، وعدم وضوح المراد، وسائر ما قد رأينا من سمات العربية الحديثة.

(١)

«عدم التمييز بين التربية الروحية والميستيسيزم يقع بالخصوص من طرف الذين -لأسباب ما- ينكرون بصراحة تزيد أو تنقص، حقيقة التربية نفسها، فيحولونها إلى أمر آخر، ومن ناحية أخرى، في الأوساط التي لها -بالعكس- مزاعم تربوية لا مبرر لها، كالأوساط الإخفائية، يوجد التوجه إلى اعتبار حشد من أمور من نمط آخر، غريب تماما عن التربية الروحية، كجزء متمم لميدانها، إن لم يكن من مكونها الأساسي، ومن بين تلك الأمور السحر الذي يحتل -في أغلب الأحيان- المكانة الأولى. وأسباب هذا الخطأ هي أيضا -في نفس الوقت- الأسباب التي تجعل السحر مشكّلاً لأخطار وخيمة، وخصوصا عند الغربيين المحدثين، وأولها ميلهم إلى إضفاء أهمية مفرطة لكل الظواهر غير المعتادة، كما يشهد عليه التطور الذي أنجزوه في العلوم التجريبية»[2].

---

(١) الاستشراف، ترجمة كمال أبو ديب، ١٨٢.

(٢) نظرات في التربية الروحية، ١١.

(٢)

«تحت اسم السحر والشعر -وأخيرا الأدب- وَجَدَتْ هذه الممارسةُ داخلَ الدالِّ نفسَها -طوال التاريخ- محاطةً بهالة عجيبة، تتمثل إما في تثمينها أو منحها -في أحسن الأحوال- مكانة الزينة، وهي هالة وَجَّهَت لها ضربة مزدوجة، فهناك الرقابة من جهة، والاحتواء الإيديولوجي، من جهة أخرى. لقد طمحت مقولات المقدس، والجميل، واللاعقلاني/ الدين، وعلم الجمال، والتطبيب النفسي، والخطابات المرتبطة بها -الواحدة تلو الأخرى- إلى تملُّك هذا «الموضوع الخصوصي» الذي لا يمكن تعيينه بدون تصنيفه في خانة إحدى الإيديولوجيات الإحتوائية، وهو الذي يشكل مركز اهتمامنا، ونطلق عليه -بالتالي- اسم النص»[1].

يشترك هذان النصان -على بعْد ما بين موضوعيهما- في أمور كثيرة، منها كثرة الجمل الاعتراضية المتداخلة، التي يوضع بعضها في غير موضعه، كوضعها بين الصلة والموصول، والاصطلاحات المترجمة ترجمة حرفية، على وجه لا يستبين منه معناها إلا بصعوبة، وأن مترجميهما رَتَّبا العبارات المترجِمةَ ترتيب العبارات المترجَمة، ووضعا مقابل كل كلمة فرنسية مرادفتها العربية المعجمية، ولم يستطيعا أن يتجاوزا ذلك، فيصوغا النصين صياغة جديدة، كأن يدمجا الجمل الاعتراضية في غيرها، ويرتبا الجمل كلها ترتيبا يسهل معه نقل مراد الكاتب، من أجل ذلك يشعر القارئُ بأنهما ما صنعا أكثر من أنْ كتبا النصين بحروف عربية، بعد أن كانا مكتوبين بحروف فرنسية، وأن الذي يمكن أن يفهمهما بسهولة هو الذي يعرف الفرنسية، والذي يعرف الفرنسية في غنى بمعرفتها عن هذه الترجمة. ومن وازن لغة النص الأول، وهو لعبد الواحد يحيى (رينيه جينو)، من كتابه «نظرات في التربية الروحية»، بترجمة عبد الباقي مفتاح، بلغة كتابيه «الشرق والغرب»، و«أزمة العالم الحديثة»، بترجمة أسامة شفيع السيد، علم ما بين الترجمة العالمة والترجمة الآلية، وما تفعل كل منهما باللغة: تحافظ الأولى على بنيتها سالمة صحيحة، وتحشوها بروائع الأفكار العالمية، وتكسِّرها الأخرى مجانا، وإذا كسَّرتْها لم تصلح لشيء. ولا جرم أن ليس في

---

(١) علم النص، ٧.

وسع قارئ النص الأول أن يقول إنه فهمه، ولا أنه أفاد منه شيئا، على ما لقي من عنت في قراءته ومحاولة فهمه.

(٣)

«وإذا لم يكتف النص -باعتباره مدلولا- بوصف ذاته، أو بالتلف في استيهامية ذاتية، فإنه يغدو جزءا من السيرورة العريضة للحركة المادية والتاريخية. وبصيغة أخرى، فإن النص ليس تلك اللغة التواصلية التي يقننها النحو، فهو لا يكتفي بتصوير الواقع، أو الدلالة عليه. فحيثما يكون (كذا) النص دالا (أي في هذا الأثر المنزاح والحاضر حيثما يقوم (كذا) بالتصوير)، فإنه يشارك في تحريك وتحويل الواقع الذي يمسك به في لحظة انغلاقه. بعبارة مغايرة، لا يجمع النص شتات واقع ثابت أو يوهم به دائما، وإنما يبني المسرحَ المتنقل لحركته التي يساهم هو فيها، ويكون محمولا وصِفَةً لها. فعَبْرَ تحويل مادة اللسان (في تنظيمه المنطقي النحوي)، وعبر نقل علاقات القوى من الساحة التاريخية (في مدلولاتها المنظمة من موقع ذات الملفوظ المبلّغ) إلى مجال اللسان ينقرئ النص ويرتبط بالواقع بشكل مزدوج، فهو يرتبط باللسان (المنزاح الذي خضع للتحول) وبالمجتمع (الذي يتوافق مع تحولاته)»[1].

وهو نص صعب، مع أن الفكرة التي يدور عليها ليس فيها ما يعسر على الفهم؛ فهو يتناول النص الأدبي من حيث هو لغة مجازية، لا تتقيد باستعمال اللغة استعمالا غايته الإبلاغ وحده، وكائنا ما كان المعنى الذي يمكن أن تهتدي إليه جوليا كريستيفا في هذا الموضوع، فبعيد أن يعسر فهمه على الملم بالنقد والبلاغة، العارف بطبيعة اللغة ووظيفتها، والأسلوب الأدبي، وما بينه وبين الأسلوب غير الأدبي، إلا أن تتعمد الغموض تعمدا؛ فيكون الغامض والمستغلق حينئذ هو اللفظ، لا المعنى. وإذا كان المترجِمُ فهم النص، على ما فيه من غموض متعمد أو غير متعمد، قبل أن يُقْدِم على ترجمته، بل قبل أن يزمع ترجمته، فمن الواجب أن ينقله كما فهمه، وأن يكون نقله إياه باللغة التي يتوقع أن تبلّغ فحواه؛ لأن المترجَم هو الأفكار، والأفكار يمكن أن يعبر عنها

(١) علم النص، ٩.

بما لا ينتهي من الأساليب. غير أن المترجِم -إن كان قد فهم النص- أبقى على أسلوب الكاتبة بغموضه، وعمد إلى الترجمة الحرفية التي يتعذر فهمها على غير العارف بلغة النص. هذا إلى أن هذا النص يدل دلالة لا لبس فيها على أن المترجم لا يعرف من العربية ما يمكّنه من الكتابة بها كتابة تبين، وآية ذلك رفعه الفعل المضارع بعد «حيثما» مرتين (حيثما يكون، وحيثما يقوم)، واستعماله ينقرئ، بصيغة المطاوعة، وهو استعمال عامي[1].

(٤)

الملفوظ كإيديولوجيم

١- «بما أن السيميائيات ليست فقط خطابا، فإنها تتخذ -كموضوع لها- ممارسات سيميائية عديدة، تعتبرها عَبْر لسانية، أي متكونة من خلال اللسان، لكن غير قابلة لأن تُختزل في المقولات التي تُلصَق به في أيامنا هذه. من هذا المنظور نحدد النص كجهاز عبر لساني، يعيد توزيع نظام اللسان بواسطة الربط بين كلام تواصلي، يهدف إلى الإخبار المباشر، وبين أنماط عديدة من الملفوظات السابقة عليه، أو المتزامنة معه. فالنص إذن إنتاجية، وهو ما يعني:

أ- أن علاقته باللسان الذي يتموقع داخله هي علاقة إعادة توزيع (صادمة بنّاءة)، ولذلك فهو قابل للتناول عبر المقولات المنطقية، لا عبر المقولات اللسانية الخالصة.

ب- أنه ترحال للنصوص وتداخل نصي، ففي فضاء نص معين تتقاطع وتتنافى ملفوظات عدية مقتطعة من نصوص أخرى.

٢- تكمن إحدى مشكلات السيميائيات في تعويض الرؤية البلاغية العتيقة للأنواع، بنمذجة للنصوص، أي، بصيغة أخرى، تحديد خصوصية التنظيمات النصية المختلفة عبر موقعها في النص العام (الثقافة) الذي تنتمي وإليه ينتمي بدوره إليها»[2].

ويقال في هذا النص ما قيل في صاحبه، في كل شيء. ولا يخفى أن العبارة

---

(١) كتاب الانفعال، ٥٧ وما بعدها (نقلا عن: المطاوعة: معناها وأوزانها، ٥٢٠).

(٢) علم النص، ٢١.

الأخيرة (الذي تنتمي وإليه ينتمي بدوره إليها) تدل على أن المترجم لا يعرف العربية، وأن عدم معرفته بها هي سبب استغلاق النص. فهو يفصل بين العاطف والمعطوف، ويخلط الضمائر، فيعيد كلاً منها على غير ما يعود إليه. فأصل العبارة: الذي ينتمي إليها وتنتمي إليه، لكنه قدم الضمير الذي ينبغي أن يتأخر، وأخر الضمير الذي ينبغي أن يتقدم. وكل ما فعل أن ترجم عبارة فرنسية ترجمة حرفية. وهذا النص -كعنوانه (الملفوظ كأيديولوجيم)- ليس من العربية في شيء. وما وقع فيه كان يقع مثله في ترجمة القرن التاسع عشر، على وجه يتعذر معه فهم المراد، لو لم تُشرَح العبارات، وتُتْبَعْ مرادفَها الأجنبي الذي يكون فهمه أيسر من فهم العبارة «العربية» التي تترجِمه، كتسمية بعض التراجمة المدارس الحرة: المكاتب المُطْلَقة، وتسمية الأمكنة التي يتصدق فيها المحسنون على الفقراء مجال المرحمة[1]. وإذا نحن قوَّمنا هذه الترجمة، وهي الترجمة الشائعة في العربية، تبين أنها مما يعوق المعرفة؛ لأنها تقدمها في أسلوب ركيك، غامض، لا يتوافر فيه الحد الأدنى من الصحة والبيان، ولا يمكن قارئها أن يعرف المراد إلا بعد عنت وكدٍّ ذهني، لا يقلان عما يبذله في قراءة الكتاب بلغته الأجنبية، لو كانت له معرفة بها، فإن كان يجيدها، فلن يُتمَّ قراءته بالعربية؛ لما يرى فيه من تشويه، مأتاه من العي وقلة العلم باللغتين، وإنما سيقرؤه بلغته، فيجد فيه من الفائدة ما لا يجد في هذه الترجمة.

ومن علم أن الترجمة في الوطن العربي تصدَّى لها مَنْ لا يحسنها، ولا يعرف الحد الأدنى من العربية، علم أنها كانت حجابا بين القارئ العربي والمعرفة. وأوضح ما يظهر هذا في الكتب التي ترجمت المنظمة العربية للترجمة، بيروت، والكتب التي يترجم بعض أهل المغرب العربي. لقد قال هيثم غالب الناهي، مدير المنظمة العربية للترجمة، إن «الصورة التي تراها المنظمة العربية للترجمة مناسبةً لإصداراتها الفريدة والمتميزة عن غيرها، هي أن تكون لدى المترجم صفات مهمة عديدة، تتصف هذه الصفات أو العناصر بتمكنه من اللغة العربية واللغة الأصل»[2]، وإن «من المهام الأساسية التي تضطلع بها

---

(١) حركة الترجمة في تونس، ١٦٩.
(٢) المنظمة العربية للترجمة: تجربة نقاء فكري وإثراء حضاري ثقافي، ١٠٨.

المنظمة هي إيصال الكتاب المترجم إلى يدي القارئ بمستوى لغوي عال، لا شائبة فيه، مع الحفاظ على النص كاملا»[1]. وهي مطامح عظام، ومُنًى جسام، تُحمد للمنظمة، وإن لم تبلغها حتى الآن، ولعل الله يقيض لها من التراجمة من يبلِّغها إياها، أما الذين يتولون الترجمة فيها الآن، فأحسب أن ليس في وسعهم أن يفعلوا، ولا سيما إذا كان علم مَن معه في إدارتها بالعربية كعلمه بها، وهم الذين يتخيرون تراجمها، فإن النص الذي أخذنا منه هذه العبارة لا يدل على أن له من العلم بالعربية ما يجعله أهلا لأن يتخير من يترجم إليها، ومثلها قوله: «تتصف هذه الصفات أو العناصر بتمكنه من اللغة العربية واللغة الأصل»؛ فما قال من أن «الترجمة -جدليا- يمكن اعتبارها بمنتجها وإصدارها رفدا فكريا وحضاريا، لكونها تجعل المجتمع يهضم ما يترجم ليعاد تظهيرها بما هو أجود، وبما يعني إبداعا وتطورا، لكونها هي الأداة الوحيدة التي توفر المعرفة المنقولة من الشعوب الأخرى؛ لكي تستعمل في البحث والإبداع اللذين يتوقون إليهما، ناهيك بأنها الوسيلة الأساسية التي تدفع بالعلوم والتعريف بها للشعوب المتحدثة بلغات شتى، لا قاسم مشتركا بينها»[2] -قد يكون بعيد المنال على العرب، إذا ظلت العربية التي يترجمون بها هي العربية التي يكتب بها هيثم، ويُترجَم بها ما تترجم المنظمة العربية، وإذا ظل تراجمتها هم تراجمتها، بل هي وسيلة من وسائل إدخال الضيم على العربية والإضرار بها، دعك من توسعها في الدخيل. لقد نالت جائزةَ الشيخ زايد بن سلطان عام ٢٠٠٨ على ترجمتها «الذات عينها كآخر» لبول ريكور[3]، وإذا صح أن «الكتاب يُقْرَأُ من عنوانه»، كما يقول المثل العامي، وكان بعنوانه من الأخطاء والغموض ما لا يخفى، وكانت ترجمته أمثل ترجمات المنظمة، أو من أمثلها، فإن ما يدل عليه ذلك أن ترجمة المنظمة دون ما يؤمل منها. وإذا كانت ترجمتها لذلك الكتاب أفضل ترجمة في الوطن العربي، في ذلك العام، فإن الترجمة في الوطن العربية في أزمة.

لقد تَرْجَمت العربية القديمة من الفارسية، والسريانية، واليونانية، والهندية،

(١) المنظمة العربية للترجمة: تجربة نقاء فكري وإثراء حضاري ثقافي، ١٠٩.
(٢) السابق، ٩١.
(٣) السابق، ١١٧

والعبرية، فلم تكد تتأثر بواحدة منها، ولا شاعت فيها الأخطاء كما تشيع الأخطاء الشائعة اليوم؛ لأن أهلها كانوا عارفين بها، وكانوا منتصرين، وعندهم من الثقة بما عندهم ما يحول بينهم وبين التقليد، فكانوا يتطلبون الأفكار والمعلومات، ولم تكن تستهويهم ثقافة ولا أهلها. ولما وقع تراجمة السريان فيما وقعوا فيه من أخطاء لم ينتقل إلى العربية إلا ما قد ذكرنا، وظل جله رهين كتبهم، وكتب من ينقل منها، كالفلاسفة، والمتكلمين، والمعتنين بالعلوم الطبيعية والرياضيات، وهي علوم كان الذين يعنون بها قلة من المثقفين، لا يخفى على بعضهم ما في ترجمة السريان، وكانت العلوم العربية الإسلامية عربية خالصة، وكان الذين يعنون بها هم السواد الأعظم من العلماء والباحثين والمثقفين. وما يترجم اليوم يتولَّى الإعلام نشره والإذاعة به، وإدخاله كل بيت، ونَقْله إلى كل أذن، وجعْله على كل فم وقلم، فيقرؤه ويسمعه العالِم بالعربية والجاهل بها، فيتأثرون به، من حيث يشعرون أو لا يشعرون، لكثرة ما يردَّد عليهم صباح مساء، في الصحيفة، والمجلة، والإذاعة، والتلفاز، فينسيهم ما يعرفون، ويكون سلطانه عليهم وتأثيره فيهم أقوى من تأثير ما يعلمون؛ لأن شيوع الكلام وطول ترداده يصنعان حسا لغويا جديدا، ويرسخان الكلام في العقول، فيغدو الكلام الصحيح غريبا، والكلام الخطأ مألوفا مأنوسا، ولا يُعْرَف غيره، في زمان ضعفت فيه الذواكر، وشتتت شؤون الحياة وشواغلها اهتمام الناس. هذا إلى فشو الجهل بالعربية، وقلة ما يوليها التعليم الرسمي من عناية، وانصراف الهمم عن تعلمها، وأن العلوم الطبيعية والرياضيات في هذا العصر هي العلوم التي يُعنَى بها أكثر الناس. هذا إلى وسهولة لغة الإعلام وذيوعها، وكونها تهجم على الناس أينما كانوا، ولا تحوجهم إلى تعلم أو متابعة، وتكلفهم اللغة الصحيحة وتوقي الخطأ فيها من مراجعة كتب اللغة، ومتابعةِ ما يُنشَر من كتب الأخطاء الشائعة وإصلاحها ما لا يصبر عليه إلا من يستنكف من اللحن، ويعلم بُعْدَ ما بين العربية الصحيحة وعربية الإعلام. وسبب آخر غير هذا وذاك، أن اللغة التي كُتبت بها العلوم في هذا العصر لغة غَالِبٍ؛ فلها من السلطان على القلوب ما له ولثقافته، وهو يتعمد نشرها وإحلالها محل لغات الشعوب المغلوبة تعمدا.

لغة المغاربة

عربية المغاربة التي أتحدث عنها هاهنا عربية طائفة منهم، ليست لها معرفة بالعربية، ولا اطلاع على تراثها، أما العارفون بالعربية وتراثها، فلا خلاف بينهم وبين المشارقة، ولا سيما الذين لا يعرفون منهم لغة أجنبية، فقد بقيت لغتهم سليمة نقية محافظة على أصولها. وبعضهم يعرف الفرنسية، أو الإسبانية، أو غيرهما من اللغات الأوربية لكن معرفتهم بها سبقتها معرفتهم بالعربية، فكانت أرسخ منها وأمكن، ومنهم مَنْ درسوا في المدارس الإسلامية العريقة، أو درسوا بالمشرق العربي، فلم تؤثر في لغتهم المعرفةُ باللغات الأجنبية كما أثرت في غيرهم. وأخص من أهل المغرب العربي أهل تونس والمغرب والجزائر، دون ليبية وموريتانية، فلم يتأثر من اطلعت على كتابته من أهل هذين القطرين بالفرنسية كما تأثر بها أولئك، أما الليبيون، فقسمت بلادهم بين عامي ١٩٤٤ و١٩٥١ بين فرنسة وبريطانية، فاحتلت بريطانية شماليها، وفرنسة جنوبيها (فزَّان)، فكان نظام التعليم في برقة مصريا، وتونسيا وجزائريا في فزان، وإيطاليا في طرابلس، ثم صار فلسطينيا عام ١٩٤٧م. وظل الأمر كذلك حتى صدر قانون التعليم بعد الاستقلال عام ١٩٥٢ م[(١)]. وكانت مدة الاستعمار قصيرة، وكان الاستعمار الفرنسي مقصورا على إقليم واحد، كان التعليم فيه تابعا لتونس والجزائر، فلم يتأثر كثيرا بفرنسة ولغتها، هذا إلى أن الشعب كان -وما زال- عربيا أعرابيا، في ثقافته، وأخلاقه، وتدينه، حريصا على تعليم القرآن والعلوم الشرعية، شديد التأثر بالحركات الصوفية، ولا سيما الحركة السنوسية وتربيتها، وما تستوجب من الحفاظ على الهوية العربية الإسلامية. ومثلها في ذلك موريتانية، وإن استعمرتها فرنسة ستين عاما، إلا أن بداوة ٩٥٪ من شعبها، وانتشار التعليم العربي فيها وكثرة العلماء، ومقاطعتهم مدارس الاستعمار

---

(١) سياسات التعليم العالي في ليبية، ٤.

-حالت دون التأثر بالثقافة الفرنسية. وإنما كان تأثرها بفرنسة والفرنسية بعد الاستقلال، لكن التلميذ ما كان يدخل المدرسة إلا بعد أن يكون قد تعلم القراءة والكتابة، وحفظ القرآن كله أو بعضه، وكان بعض الطلاب يجمع بين تعلم القرآن والعربية والعلوم الشرعية والدراسة النظامية، فيجعلون أول النهار للدراسة النظامية، وما بعد الظهر إلى الليل لحفظ القرآن ودراسة العربية والعلوم الشرعية. وكان الذين يواصلون دراستهم حتى يبلغوا الثانوية قليلا، وأقل منهم من يصلون إلى الجامعة، ويدرس كثير منهم في المشرق العربي أو دول المغرب العربي، بعد أن يشتد عودهم.

إلا أن الجزائر أمثل شيئا من تونس والمغرب، مع أن وطأة الاستعمار الثقافي عليها كانت أشد، ومدته أطول، وكانت فرنسة تريدها فرنسية، لا شية فيها. غير أن الشعب قاطع فرنسة مقاطعة رائعة، فأبى جله أن يدرس في مدارسها. وبعد الاستقلال لم يَفِ مَن حكموا في السنين الأولى من الاستقلال بما كان يرجى منهم من التعريب، وإنما أبقوا التعليم على ما كان عليه، في الجملة. وكانت جمعية العلماء الجزائريين قد فتحت مدارس عربية إسلامية خالصة، أقبل عليها الشعب، بعد أن قاطع مدارس فرنسة، فكانت تبعث الطلاب إلى تونس للدراسة في جامع الزيتونة، ومصر للدراسة في الأزهر؛ فسلمت لغتهم من التأثر بالفرنسية. ولما حكم هواري بو مدين والشاذلي بن جديد عُنِيَا بالتعريب عناية شديدة، وفتحت المدارس والجامعات أبوابها لأساتيذ المشرق العربي يعلِّمون فيها، وكان في عهدهما من التعريب ما لم يكن قبلهما ولا بعدهما، وأكثر الكتاب الذين سلموا من التأثر الشديد بالفرنسية عاشوا في هذا العهد أو قبله. أما تونس والمغرب، فإنما كان استقلالهما صوريا، وقد أبقى الذين حكموهما على كل شيء من أمر التعليم على ما كان عليه قبل «الاستقلال»، بل ساءت حال التعريب بعد الاستقلال أكثر مما كانت عليه قبله؛ لأن حكومتي البلدين كانتا لا تقلاَّن عن فرنسة حرصا على فرْنسة الشعب؛ فانتشر تعليم الفرنسية بعد «الاستقلال» كما لم ينتشر قبله، وكان تأثير الفرنسية في البلدين أشد منه في كل قطر مغربي آخر.

ولم يكن التباين اللغوي بين المشارقة والمغاربة قبل هذا العصر، وكان الذي

يقرأ كتابا مغربيا، حتى ما أُلِّفَ في العصر الحديث، قبل أن ترسخ الفرنسية في عقول أهل المغرب، ويحال بينهم وبين لغتهم وتراثهم، لا يجد بينه وبين الكتاب المشرقي فرقا يذكر في اللغة، كما قال محمد كرد علي: رأينا أدب العرب في الأندلس والغرب كأدبهم في فارس والشرق، لا تفاوت بينهما في القواعد والروابط والألفاظ والتراكيب، إلا ما قد يكون من مسحة، أتت من بعض صور المعاني المنبعثة من علم المؤلف أو الكاتب أو الشاعر، واصطلاحات إقليمه، وعادات أهله؛ لأن المصادر التي يستقي منها أهل الخافقين واحدة، وما حدَّثتْ أحدَ أبناء اللغة نفسُه أن يخرج عنها قيد أنملة، وأن يخرق إجماع العارفين الذي تسلسل ما يزيد على خمسة عشر قرنا[1]. وكان ما بينهما -إن كان- لا يتعدَّى الاختلاف في تسمية بعض الأشياء، مما يقع مثله بين أقاليم المشرق، وبين لهجات أهل الإقليم، كما كان يختلف أهل العراق وأهل الحجاز في بعض الاصطلاحات الفقهية، وبعض المفردات[2]. فلما توزع المشرق والمغرب بين فرنسة وبريطانية، وكان لكل منهما لغة يحذو عليها، غير لغة الآخر، كان لزاما أن تختلف عربية المغرب عن عربية المشرق. وكان لهذا الحذو أثر كبير في اللغة كلها، حتى الاصطلاحات، فإن الاصطلاح الفرنسي الذي يترجمه المغاربة ينظرون في ترجمته إلى اشتقاقه ودلالته الحقيقية والمجازية في الفرنسية، وينظر أهل المشرق إلى ذلك منه في الإنجليزية؛ فيتباينون في الترجمة، كما يسمي أهل المشرق الآلة المعروفة حاسبا وحاسوبا؛ لأنهم يترجمون به computer، وهو في الإنجليزية اسم فاعل من الفعل compute، أي: يحسب. وسماه بعض أهل المغرب العربي الرتَّابة والنظامة؛ لأنهم يترجمون به ordinateur الفرنسية، والمعنى في الأصل «ناظمة آلية»[3]، ويبدو أن المادة التي اشتق منها تدل على النظام والترتيب.

وتختلف عربية أهل المغرب العربي الحديثة في كثير من الأمور عن عربية أهل المشرق، حتى لقد غدا من الصعب أن يفهم أهل المشرق أحيانا بعض ما

(١) المذكرات، ٤/ ١٠٩١.

(٢) انظر: لغة قريش، ٢٩٧ وما بعدها.

(٣) المنهل، ٧٢٠.

يكتب أهل المغرب؛ لشدة تأثر عربيتهم بالفرنسية. وكان الاستعمار الفرنسي قد فرض على أهل المغرب العربي لغته بالقوة، وحال بينهم وبين تعلم العربية، وعدها لغة أجنبية، في الجزائر، وحرَّم تعلمها، فغدا الذي يكتب منهم بالعربية إنما يحذو الجملة العربية على الجملة الفرنسية، ويستعمل الكلمة العربية بمعنى الكلمة الفرنسية، ويترجم الاصطلاح والعبارة ترجمة حرفية، يتعذر على غير العارف بالفرنسية أن يفهم معناهما، كما تعذر عليَّ زمانا أن أفهم معنى «المركَّب الجامعي»، وقد رأيتها مرارا مكتوبة على ألواح الإرشاد، في بعض شوارع تونس، حتى قيل لي إنها تعني المجمَّع الجامعي. كما استعصى علي أن أفهم معنى «جلسة تركيبية»[1]، و«التقرير التركيبي للدورة التكوينية الجامعية في موضوع اللغة العربية وقضايا العصر»، وهو عنوان تقرير عن ملتقى بكلية الآداب والعلوم الإنسانية بجامعة عبد المالك السعدي، بتطوان، بالمغرب، كما لم أفهم معنى «مخبر الممارسات اللغوية»، في بعض الجامعات الجزائرية. ذلك أن «المركَّب»، إذا قيل، لم يُفهَم منه في المشرق العربي إلا ضد البسيط، والمادة التي تتألف من عناصر شتى بنسب ثابتة، كما هو معروف في الكيمياء. ولم يستبن لي أن واحدا من هذين المعنيين هو المراد. أما «المخبر»، فإنما يُعنى به المختبر الذي تُحلَّل فيه المواد، فاستعماله في «الممارسات اللغوية» فيه غموض، يحوج إلى تفكير وموازنة بين تحليل المواد، وتحليل اللغة ودراستها. ومأتى الغموض من كونها ترجمة حرفية للعبارة الفرنسية (Laboratoire des pratiques linguistique)، كما أن مأتى غموض «المركب الجامعي» من كونها ترجمة حرفية للعبارة الفرنسية: Complexe universitaire. وكذلك العبارة التي تَرِدُ كثيرا في ختام البحوث في المغرب العربي: على سبيل التركيب[2]: لا يُفهَم منها إلا أن السبيل يعني الطريق، وأن التركيب عكس التحليل، وأن العبارة كلها تعني: على طريق التركيب، وهي عبارة، لا يُفهَم المراد منها إلا بعد تأمُّل، وبعد أن يتبين من السياق أن خواتم البحوث تُوضَع فيها الخلاصات، وأن ما

(١) انظر الصفحة التي وضع فيها برنامج ندوة أقامها معهد الدراسات والأبحاث للتعريب بالرباط عن استعمال العربية في الدعاية، من هذا الكتاب، فقد وردت فيه هذه العبارة.

(٢) جدوى التخطيط اللغوي اليوم، ٢٤.

ذُكر في هذا التركيب هو خلاصة البحث، فإذا عُلِم ذلك، فُكِّر في العلاقة التي سَوَّغت أن تُسَمَّى الخلاصة تركيبا، فتبين أن ما سبق الخلاصةَ من الكلام كان تحليلا للموضوع، ودراسة له، وإذا فُرِغ من التحليل، تبعه استخلاص الخلاصة، والخلاصة بمنزلة تركيب حكم مجمل من أحكام جزئية متفرقة، يتعلق كل منها بجانب من الفكرة والموضوع. فوجْه الشبه بينهما أن ما كان فيه الباحث من كلام قبل الخلاصة كان تحليلا لجوانب القضية التي كان بسبيلها، فلما فرغ من التحليل خلص إلى حكم عام، بمنزلة تركيب للأحكام الجزئية. بيد أن ما جرت به عادة مؤلفي العربية أن يُدعَى ما تُختَم به البحوث خاتمة، وأن يُسمَّى مختصر البحث خلاصة، لا تركيبا. وقياسا على هذا فهمتُ أن معنى «جلسة تركيبية» (wrap-up session): جلسة ختامية، لكن ذلك لم يتأتَّ لي إلا بعد مدة وتأمل.

وليس من العادة أن تحوج المرءَ لغتُه إلى هذا التفكير والتأمل، وإنما تخلص معانيها إلى القلب بحصول ألفاظها في السمع، إن كانت مسموعة، أو بقراءتها، إن كانت مكتوبة؛ لتلازُم اللفظ ومعناه عنده، إن كان اللفظ مستعملا استعمالا حقيقيا، ولوضوح العلاقة بين الحقيقة والمجاز، إن كان مستعملا استعمالا مجازيا، وإنما يَحتاج إلى التفكير في معاني ما يتعلمه من اللغات الأجنبية، لعدم إحاطته بمعاني ألفاظها، وعدم وضوح العلاقة بين الحقيقة والمجاز فيها، لعدم تعوده طرائقها في الانتقال من الحقيقة إلى المجاز، أو لمخالفتها ما تعوَّد في لغته. وهذا سبب أن أهل المشرق ربما لا يفهمون ما يكتب أهل المغرب؛ لأن ما يكتبون يحيل على الفرنسية وثقافتها، لا على العربية التي هي لغتهم جميعا، وهو خلاف ما يُتوقَّع. والعبارة المستعملة في المشرق العربي للدلالة على ما يراد بـ«المركب الجامعي» هي «المجمَّع الجامعي»، و«الحرم الجامعي». والمجمَّع اسم مكان، يراد به مكانٌ تُجمَّع فيه كليات، ومرافق جامعية. والعبارة المشرقية أوضح من العبارة المغربية دلالة على هذا المعنى وأدق، فالكليات والمرافق الجامعية تُجمَع في مكان، ولا تُرَكَّب فيه، فالمكان مَجْمع، أو مجمَّع، إذا كانت الكليات والمرافق كثيرة.

ويقع مثل هذا في لغة الوثائق الرسمية التي تكتب بالفرنسية، أولُ، ثم يترجمها مَنْ لا يعرف العربية، فيكتبها بحروف عربية، ويُبقي معانيها وتراكيبها

فرنسية، كما يبدو من تنكير ما فيها من كلمات، لا يصح تنكيرها، مثل: اسم، لقب، جنسية، بلدة، مهنة، عدد، إلخ. هذا إلى استعمال الكلمات استعمالا لا معنى له، كاستعمال «عدد» مكان رقم، ترجمة لـ nombere. واستعمال «صورة ماسك الجواز»، و«توقيع ماسكه»، بمعنى حامله[1]، أي صاحبه، و«هذا الجواز مسلَّم لجميع البلاد ما عدا (إن تعين الأمر) الاستثناءات التالية»[2]، أي إن الجواز يُسافَر به إلى البلدان كلها ما عدا البلدان التي تستثنى، و«تأثير مستقل خصوصي زادت في أمد صحته»، أي: توقيع السلطة المحدِّدة لصلاحيته وختمها، و«يمنع إجراء تقشيط ولا إصلاح، ولا تشطيب، ولا زائدة في عباراته، ولا إضافة أوراق بيضاء زيادة على عدد أوراقه»، و«عند ضياع أو تحطيم جواز السفر يلزم صاحبه بإيخبار المصلحة الإدارية التي أصدرته»، و«تجديد أو استرسال إجالات السفر الذي انقضى أمده أثناء الإقامة بالخارج يطلب من أقرب قنصلية جزائرية»[3]. ومن هذا تسمية بعض المتاجر، نحو: مفتاح الدقيق، ومحشر الجزائر، وطبيب الملابس (غسَّال)، وعيادة السيارات (مكان إصلاحها)، ومقهى ومطعم صوت الصرصور، ومصرف التبريد[4]. وهي عبارات، ما تذكِّر إلا بالعبارة التي روى الجاحظ أن نخَّاسا نبطيا، أجاب بها الحجاج بن يوسف -وقد سأله: أتبيع الدواب المعيبة من جند السلطان؟-: «شريكاتنا في أهوازها، وشريكاتنا في مدائنها، وكما تجيء تكون»، يعني: شركاؤنا بالأهواز والمدائن يبعثون إلينا بهذه الدواب، فنحن نبيعها على وجوهها»[5]. وتكثر هذه العبارات في ألواح الإرشاد في مطارات المغرب العربي وشوارعه، كـ«الفضاء العمومي»، وهي عبارة، لبثت حينا ما أتبين معناها، حتى قيل لي إنها تعني «الأماكن العامة». وإنما حال بيني وبين فهمها أن «الفضاء»، فيما أعلم من العربية، هو الخلاء، ومنه الأرض الفضاء، أي الخالية، والمكان فضاء، أي: خلاء، والفضاء: ما اتسع من الأرض، ومنه قول زياد الأعجم:

---

(١) قضية التعريب في الجزائر، ٣٢.

(٢) السابق، ٣٢.

(٣) السابق، ٣٣.

(٤) لغتنا العربية والسياسة، ٤٢.

(٥) البيان والتبيين، ١/ ١٦١. وانظر أيضا: عيون الأخبار، ٢/ ١٦٠.

فـي جَحْفَـلٍ لَجِـبٍ، تَـرى أعلامـه   منــه تَعَضَّــلُ بالفضــاء الفاسِـحِ

و«الفضـاء العمومـي» -فـي المغـرب العربـي- يشـمل القطـارات، والمقاهـي، وسيارات الأجرة، والحدائق، والسـاحات العامـة، وليس فـي هـذه مـا يصـدق عليـه «الفضـاء»، مـن جهـة اللغـة، لعـدم خلـوه، وعـدم اتسـاع بعضـه. وكثيـر مـن الأمكنـة التـي تسـمَّى فضـاءً يغلـب عليهـا الضيـق، كسيارات الأجرة، والقطارات. ثـم تنوَّعَـت اسـتعمالاتها المجازيـة، فصـار مـن الكثيـر أن تسـتعمل بمعنـى المكان مطلقـا، ولـو حجـرة صغيـرة، أو مجموعـة قليلـة من المقاعـد، في مكان ضيق جدا، أو متاجرَ قليلـة، كتسـمية صـف واحـد من بضعة كراسـي في مكان ضيـق جدا قرب درج في مطـار قرطـاج بتونـس، لا يزيد عرضـه علـى متر ونصـف، «فضاء مخصص لقاصـري الحركـة العضويـة»، ترجمـة لـ: espace récervé aux personnes á mobilité /space reserved to passengers with reduced mobility، وتسـمية المصليـات الصغيـرة فـي بعـض مطارات المغـرب العربي «فضـاء العبادة»، ترجمة للعبـارة الفرنسـية: espace de clute، وتسـمية حجـرة ضيقـة للمدخنيـن «فضـاء للمدخنيـن» ((espace pour fumeurs، وبضعـة متاجـر صغيـرة فـي المطار «فضاء الامتيـاز» (salon previlège). وقولهـم: الجامعـة كفضـاء للتسـاؤل، أي: مكـان. وربمـا استُعمل «الفضـاء العـام» بمعنـى الحيـاة العامـة، كمـا ورد في أحـد المواقع: «دعـا مثقفـون مغاربـة إلـى الدفـاع عـن اللغـة العربيـة، وتعزيـز مكانتهـا فـي الفضـاء العـام»، أي: الحيـاة العامـة، وهـي ترجمـة للعبـارة الفرنسـية: espace publique. وكان ينبغـي أن يترجـم «الفضـاء» فـي أكثـر هـذه العبـارات بالمـكان، فإنـه يصـدق علـى مـا ضـاق ومـا اتسـع، ومـا خـلا ومـا امتـلأ. والمسـتعمل فـي المشـرق العربـي هـو «الأماكـن العامـة»، وهـي أدق مـن العبـارة المغربيـة، وأوضـح، ويمكـن العـرب كلهـم أن يفهموهـا، أمـا العبـارة المغربيـة، فيتعـذر علـى المشـرقي أن يفهمهـا مـن جهـة معنـى الكلمـة الأصلـي، لبعْـد مـا بينـه وبيـن المـراد بهـا فـي هـذه اللغـة، وهـذا ممـا يعقِّـد العلاقـة اللغويـة بيـن عـرب المشـرق وإخوتهـم بالمغـرب.

ويُكتَـب علـى سـكك الحديـد بتونـس، للتحذيـر مـن القطـارات: «خطـر موت»، و«الخـوف مـن المـوت»، ترجمـة للعبـارة الفرنسـية: danger de mort [1]. ويصعب

(١) الترجمة من حيث هي عامل هام من عوامل العدوى اللغوية، ١٢ وما بعدها.

على غير العارف بالفرنسية أن يفهم المراد من العبارتين كما يصعب عليه أن يفهم ما يرادفهما بالفرنسية. ولعل الذي صرف مترجمها عما يُبِين من العبارات العربية، أنه ما يعرف العربية، وكل ما في وسعه أن يضع الكلمة العربية بإزاء الكلمة الفرنسية. وكان يمكن أن يقال: احذر الموت! وتترجم العبارة الفرنسية: Café Turmius في الجزائر بمقهى النهاية، وهي تسمية ربما كان ما تشعر به نهايةَ الحياة، ودنو الأجل[1]، وكان يمكن أن يسمَّى تسمية خيرا من هذه، مثل: مقهى القمة، كما يقال في الإنجليزية: summit café، وtop café.

ومما لم أفهم معناه من هذه الترجمات ما رأيت على بعض الجسور في الجزائر من هذه العبارات: خارج الحجم، وكتب تحتها بالفرنسية Hors gabarit، أي: خارج عن المقياس. وهو تحذير، ينبِّه سائقي الشاحنات على أنه لا يسمح بمرورها تحت الجسور ولا فوقها؛ لأنها أقصر من أن تمر تحتها، وأضعف من أن تمرَّ فوقها، وهو ما ينبه عليه في المشرق العربي ببيان ارتفاع الجسر، أو بعبارة تدل على عدم السماح للشاحنات بالمرور من تحت الجسر أو فوقه، كهذه العبارة: يمنع مرور الشاحنات التي يزيد ارتفاعها على خمسة أمتار، ونحو ذلك. وهذه العبارات أنموذجات لما تصنع الترجمة الحرفية بالعربية من مسخ، وما توقع فيها من غموض. وإذا تجووزت عربية «الفضاء العمومي» في المغرب العربي إلى لغة العلم والأدب كان ما قُدِّمَ عينة دالة على ما صنعت الترجمة بعربية أهل المغرب العربي، بيد أن الغموض، والخروج عن أساليب العربية وبنائها النحوي، ودلالة مفرداتها في الكتابة العلمية لا تقاس بما يكون من ذلك في الحياة العامة، فإن صعوبة اللغة العلمية ليست كصعوبة العبارة، لا يراد بها إلا ما يراد بالكلمة المفردة ونحوها.

والغالب على لغة المشرق السهولة والوضوح، وعدم التعقيد، ولو تَرجَمت ترجمة حرفية أو شبه حرفية؛ لسلامة السليقة من تأثير اللغات الأجنبية؛ لأن الاستعمار لم يمسسها في الصميم، ولم تزاحم لغته العربية في التعليم ولا في الحياة العامة مزاحمة تفسد السلائق، كما فعلت الفرنسية بالمغرب، فقد أُجبر أهله على تعلمها إجبارا، وفرضت عليهم لغةً رسمية، في أكثر مجالات

(١) الترجمة من حيث هي عامل هام من عوامل العدوى اللغوية، ١٤.

الحياة، ولا سيما التعليم، مع أن قلة العلم بالعربية فاشية في المشرق فشوها في المغرب[1]. ومن آثار هذا ما قال عبد السلام المسدي في موازنته بين صناعة الاصطلاح في المشرق والمغرب: إن أهل المشرق -في الجملة- أميل إلى الحفاظ على جمال اللغة، حتى حين يضعون الألفاظ الدالة على الحقائق العلمية، فهم حراص بالفطرة على الكلمات السائغة الرقيقة، ويُعنون بإحياء الألفاظ التراثية لاستعمالها في المفهومات المستحدثة، وينفرون من كل اصطلاح نابٍ، في الأصوات، والمقاطع، والوزن. وأهل المغرب -في الجملة- أجرأ على اللغة، كأنما يهمهم الاستعمال أكثر من القواعد، ولا يلتفت كثير منهم إلى جانب الجمال في صياغة الاصطلاح، كأنهم لا يدركون «أسرار الأداء اللغوي»[2]. وأشنع ما يقع فيه أهل المشرق من اللحن اللحن في الإعراب، دون بناء الجمل؛ لأن بناء الجملة في الفصحى والعامية إما متفقان، وإما متقاربان، والدخيل في عربيتهم أقل منه في عربية المغرب، وهو أمر، مأتاه من أن بعض أهل المغرب العربي عرفوا من الفرنسية أكثر مما عرفوا من الفصحى، فصار ما يقولون ترجمة ذهنية لما يعرفون منها، ولم تُفْرَض على أهل المشرق لغة أجنبية، ولا كان ما يعرف أكثرهم من اللغات الأجنبية يداني ما يعرفون من العربية. هذا إلى أن نظام التعليم الابتدائي في المشرق كان عربيا خالصا، وإنما كان يبدأ تعليم اللغات الأجنبية بعد الابتدائية، وتُعلَّم من حيث هي لغة أجنبية، ولا يعلَّم بها، وتكون ساعات تعليمها قليلة؛ فلم يكن لها تأثير في سلائق التلامذة، يذكر. وليس الخطأ في الإعراب -على ما يقع منه في كلام المغاربة- هو عيب العربية المغربية الأول، وإنما عيبها البناء النحوي والصرفي، والمضمون الثقافي؛ ذلك أن الطفل المغربي يدرس الفرنسية منذ السنة الأولى أو الثانية أو الثالثة، ويُدَرَّس بها أكثر المقررات، ولا سيما المقررات العلمية، في أطوار التعليم كلها، وكلما تقدمت الدراسة، زادت حصة الفرنسية وقلت حصة العربية، فهي تشاقُّها على مكانتها، وتنازعها على عقول التلامذة. ومن الكثير أن يكون تعليم العربية ضعيفا، وأن يوكل إلى من ليس أهلا له، بعكس

---

(١) انظر: الازدواجية اللغوية الأمارة، ٧٧.
(٢) مصطلحاتنا بين المشرق والمغرب.

التعليم الفرنسي، فإن مناهجه في بعض الأقطار المغربية توضع في فرنسة، وتؤلف فيها الكتب، ويوكل تعليمها إلى أمثل المعلمين والأساتيذ من ذوي التعليم المزدوج، ويُزوَّدون أفضل وسائل التعليم، وتُخَصُّ بأفضل أوقات اليوم الدراسي، وتخص العربية بأسوئها. والجو الذي ينشأ فيه التلامذة جو تنازع فيه الفرنسيةُ العاميةَ على مكانتها، وتغلَّب على الفصحى في حياة الناس، فهي لغة الإدارة، والوثائق الرسمية، وأسماء المتاجر، والشوارع، ويخطب بها بعض السياسيين، وليس للعربية وتراثها مكان في الحياة؛ من أجل ذلك يكون في لغة أهل المغرب العربي كل ما يُعرَف من عيوب. ويكتب بعض كبار كتاب المغرب العربي بالفرنسية، ولا يكتبون بالعربية؛ إما لأنهم لا يعرفونها، وإما لأنهم يؤثرون الفرنسية على العربية، كما يكتب بها عبد الفتاح كيليطو، وعبد الله العروي، مع أنهما يعرفان العربية، والطاهر بن جلون، والطاهر لبيب، وجمال الدين بن الشيخ، وهي ظاهرة في المغرب العربي، لا مثيل لها في المشرق -غير لبنان-، فيندر من يكتب فيه بلغة أجنبية، مهما بلغ علمه بها، إلا المتخصصين، فإنهم يكتبون بحوثهم بها، وينشرون ما يكتبون في مجلات أكاديمية، تُخَصِّص قسما منها للكتابة باللغات الأجنبية، وربما كان هذا مفروضا عليهم، إذ هو شرط الترقيات العلمية، بيد أنهم لا يخاطبون الشعوب العربية بما يكتبون؛ إذ لا يقرأ منها باللغة الأجنبية إلا المتخصصون غالبا، بخلاف كتَّاب الفرنسية من أهل المغرب العربي، فإنهم يخاطبون الشعوب بالفرنسية كما يخاطبها من يكتب بالعربية، هذا إلى كثرة الصحف والمجلات التي تنشر بالفرنسية. وهو يدل على أن المغرب العربي ما يزال مستعمرا استعمارا لغويا وثقافيا[1]، ولم يستقل منذ دخلته فرنسة إلى اليوم.

ويمكن أن يضرب كتاب «الهيمنة اللغوية» لروبرت فليبسون، بترجمة سعد هادي الحشاش، و«علم النص» لجوليا كريستيفا بترجمة فريد الزاهي، مثلا لما بين عربيتي المشرق والمغرب من فروق، فترجمة الأول واضحة، وليس فيها ما يَخْفَى معناه، على ما فيها من لحن شنيع، وأخطاء في الإعراب والإملاء، تدل على أن ما أصاب فيه المترجم من لغة الكتاب كان اتفاقا، مع أنه صادر

---

(١) الازدواجية اللغوية الأمارة، ١٣٧.

من مركز بحث أكاديمي، تابع لجامعة من أهم الجامعات العربية، يُفْرَضُ أن تكون دقيقة في معايير النشر، وتتوخَّى ما يمكن من الكمال في كتبها. وأما الثاني، فمترجم بفرنسية مكتوبة بحروف عربية، مع أن ما فيه من أخطاء الإملاء والإعراب ليس بكثرة ما في «الهيمنة اللغوية»، وإن كانت قلتها من أن الترجمة راجعها غير المترجم، ولم تراجع ترجمة «الهيمنة اللغوية». كما يمكن التمثيل بلغة الدكتور محمد الأوراغي، وأنستاس الكرملي، ففي لغة الأوراغي ما يستغلق، ويعسر فهمه أحيانا، على سلامتها من الركاكة والابتذال، كقوله: «ولم تكن أنظمة التعليم المستنسخة في حبكة أصولها، ويدل عليه أولا انتفاء التأثير المتبادل بين المؤسستين العلمية والإنتاجية في النسخة، واشتداده في الأصل، وثانيا التفاوت الهائل في المضامين المعرفية لِمَا حمل نفس الاسم من العلوم»[(١)]، وقوله: «ومن هذه المشاين اللغوية يُنتِج منها الشيءَ الكثيرَ اللسانيُّ الذي يطبِّق على العربية النماذج النحوية المقامة على اللغات الشجرية رافضا النحو السيبويهي لقدمه»[(٢)]. ولغة الكرملي واضحة سهلة، وليس فيها ما يشكل، وهي مع ذلك ركيكة، وبعضها شديد الشبه بالعامية، على ما عُرِفَ به من علم، وسعة اطلاع على كتب اللغة، ومعرفة باللغات السامية، واليونانية، واللاتينية، والفرنسية، وعضويته في مجمعي دمشق والقاهرة. وكان -مع ذلك- يقع في هفوات لغوية كثيرة[(٣)]، كقوله: «وكانت الغاية من هذا النشر أن يطَّلع أصحاب الكفاية على ما نكتب؛ ليدلُّونا على أوهامنا وأغلاطنا، لنصلحها ونرجع عنها، وإذا هناك رجال قاموا ينتقدون أسلوب كتابتنا، ولا يتعرضون أبدا للبحث الذي وقفنا له نفسنا...، والذي نشكر الله عليه أنه لم يقم أحد فتعرَّض للموضوع الذي توخيناه، ولا أبان غلط ما ذهبنا إليه، بل اكتفى بعضهم من غير أهل اللغة والنقد بأن قال أقوالا تنم عن حسده، بل أقوالا كرَّرها مرارًا، دلَّت على أن عقله محصور في دائرة ضيقة، لا يمكن أن تتبسط، وإن حاول الغير توسيعها»[(٤)]. وأضعف ما في كلامه هذا وضع المفردات في غير موضعها، وطريقة الربط بين

---

(١) لسان حضارة القرآن، ٦٠

(٢) السابق، ٧٧.

(٣) الجهود اللغوية في المصطلح، ١٠٣.

(٤) أغلاط اللغويين الأقدمين، ٣.

الجمل، كقوله: «وإذا هناك رجال قاموا ينتقدون أسلوب كتابتنا، ولا يتعرضون أبدا للبحث الذي وقفنا له نفسنا». وقوله: «اللغات السامية تتشابه بعضها مع بعض...، أما الألفاظ العامة المشتركة بين الساميين جميعا، فليس ثم فضل لغة على لغة، ولا أسبقيةَ وضع لهذا القوم دون القوم الآخر»[1]، وقوله: «يحارب قوم قوما ليذله، ويجتاح بلاده مباهاة، أو توسعا في الديار التي يفتتحها، ويعارك بيت بيتا تشفيا للضغائن، أو انتقاما بينهما من إهانات وسخائم، ذلَّت بها جماعة، ورفعت رأس طائفة أخرى»[2]. وفي كلام الأوراغي غموض، يعسر معه تبيُّن ما أراد، إلا بعد نظر وتأمل، وإعادة ترتيب للعبارات، وإعادة نظر فيما تعود عليه الضمائر، وإحلال مفردات جديدة محل بعض مفرداته، للاستعانة بها على معرفة ما يريد. ومن القليل أن يجد المرء في لغة المشارقة ما يعسر فهمه، من حيث اللغة، كما يعسر فهم كثير مما يكتب بعض أهل المغرب، إلا أن يكون الكاتب غير مسلم، فإنَّ قلة اطلاعه على التراث العربي، في الصغر، وعدم قراءته القرآن والعلوم الإسلامية تترك في لغته عجمة، وعدم قدرة على البيان، ويؤثِّر ما تعلَّم من لغات أجنبية في سليقته.

ويخيِّل بعض المغاربة إلى من يقرأ ما يكتبون أن مأتى ما يقعون فيه من الغموض من عمق الأفكار التي يعرضون لها أو يترجمونها، وأن لغتهم لا بد أن تكون كما كانت، وما ينبغي أن تقاس بكتابات المشارقة، فإن ما يكتب المشارقة أقل عمقا مما يكتبون. والأساليب غير الصحيحة التي يزعم المغاربة أنْ لا بد منها يعبر عنها أهل المشرق بأساليب صحيحة فصيحة، واضحة المعنى، لكن المغاربة يزعمون أنها غير دقيقة، وأن لغتهم أدق منها بيانا عن المراد، وهو مما ينبغي أن يشك فيه؛ لأن قائليه لا يعرفون العربية، ومن لا يعرف العربية لا يعرف الدقيق منها ولا غير الدقيق، وما يصح وما لا يكون أدقَّ من الصحيح، وكيف يكون دقيقا ولا معنى له؟. وقد قال جلبير غرانغيوم إن ما يقعون فيه عاهة، ولكنهم لا يشعرون بأنه كذلك، وإنما يتخذونه حجة لإعلان فوقهم إخوانَهم من

---

(١) نشوء اللغة العربية ونموها واكتهالها، ٦٧.

(٢) السابق، ٨٦.

المشارقة[1]. والموضوع الذي يكتب فيه المشرقي والمغربي قد يكون واحدا، وقد يترجمان كتابا واحدا، لكن أحدهما يكتب بلغة لا يعرفها، وسليقة نالت منها الفرنسية، ويكتب الآخر بسليقة سليمة، ولغة، يجد في محيطه الثقافي بقية منها صحيحة، لم تبلغ الإنجليزية من تلويثها ما بلغت الفرنسية من تلويث عربية المغربي، كما يجد من الاصطلاحات العربية ما يبين عما يريد، ولو لم تكن معرفته بالعربية بتلك، فيترجم ما يمكن أن يُفهَم، ويستعمل من الاصطلاحات ما ليس منبتًّا عن الثقافة العربية، وربما خفيت آثار الترجمة في بعض ما يترجم، حتى ليُحسَب أنه ليس بمترجم، وتتملك العجمة المغربي، وتغلب عليه الترجمة الحرفية التي لا يفيد منها إلا من يعرف الفرنسية.

وتتسم عربية المغرب العربي بالجرأة على كل وجه من القول عنَّ للكاتب، وعدم الاكتراث باستشارة المراجع، لتبيُّن الصواب، كأن العربية أهون عليهم من أن يتقيدوا بها، وهم أكبر من أن يتعنَّوا في تعلمها. من أجل ذلك تفجأ المرءَ منهم أمور، ما يأتيها من ينتسب إلى علم، ولا يَحْرَجون -مع ذلك- أن يفعلوا، ولا يبالي أحدهم أن يُنتقَد عليه ما فعل، ويَلْقَى النقد باستخفاف، ويُرِي الناقدَ أن كل باب من أبواب العربية خطَّأه فيه ليس بذي بال، ويمكن إسقاطه من العربية، وخير منه ما درج على الأقلام، والألسنة التي تجر الفاعل، وترفع المفعول، وتنصب بحروف الجر، إلخ. من ذلك -مثلا- قول عبد القادر الفاسي الفهري: أعداء العربية الأولون هم الذين أرادوا تحنيطها، فحصروها في قوالب مسكوكة مكرورة مبتذلة، لا تنم على قدرة على ركوب الحياة، بالمفردات والأساليب والمفهومات الجديدة. وأنا أول من عانى «التراثانيين التقليدانيين»، الذين يريدون أن يجدوا كل فكرة لغوية وكل منهج لغوي أو علمي في التراث العربي القديم؛ فأفسدوا على الناس فهْم التراث وفهْم علم اللغة، ومضمون الثورة اللغوية الحديثة. فإصلاح نظام العربية وأساليب تعلمها، ومعجمها، ونحوها، وتلقيحها بالعاميات، ونقلها إلى لغةِ تواصلٍ طيعة جذابة، أمور جديرة بعناية كل مخطِّط للنهوض بها، وإشاعتها، ولن ينفعها في هذا «التقليدانيون المتحجِّرون»، الذين يقضون وقتهم في إصلاح أخطاء المتكلمين الإعرابية، والإعراب يمكن

(١) اللغة والسلطة والمجتمع في المغرب العربي، ٩٣.

الاستغناء عنه، أو يدرسون قواعد التوكيد أو الإعلال المعقدة، وينسون تدريس لغة الحياة الفصيحة[1]. مع أنه يقول في موضع آخر: «أليس وراء الإشهار والإعلان في الفضاء العمومي بلغة هجين غير راقية، أو في الفضائيات العمومية، إفساد للبيئة العامة التي ينبغي أن تمثِّلَ بيئة ارتقاء إضافية للمواطن، عوضَ النكوص أو الإحباط؟ إن إفساد اللغة إفساد للفكر وللثقافة، علاوة على إفساد التعلمات، وتعكير مردوديتها»[2]. فهو يعلم أضرار اللغة الهجين، وأضرار استعمال العامية في الدعاية والإعلان، وأنه يحول دون بلوغ ما يبغي من تعلّم اللغة الراقية، ولكنه يأتي عكس ذلك حين يكتب ويتكلم، ويَلْقَى من ينتقد عليه فِعْلَه بذلك الاستخفاف.

والجرأة على التركيب الخلاسي، والتوسع في التركيب الذي يكون جزؤه الأول «لا» النافية، تقابل به مركبات، جزؤها الأول سوابق تدل على النفي في بعض اللغات الأوربية[3]، سمة من سمات عربية المغرب العربي. وكثير مما مثَّلنا به من غريب النحت والتركيب ومستكرههما من صنع المغاربة، ويتكثرون من الدخيل، ويؤثرونه على الاصطلاحات العربية، ويحتجون لذلك بما قد رأينا من الحجج، غير مبالين ما يوقِعُ من فساد. وهذه الحقيقة التي يشهد لها ما ينشر أهل المغرب وما يقولون تنفي ما قال الشاذلي القليبي من أنهم -لتلقِّيهم الفصحى مقترنةً بالقرآن- شديدو الحفاظ على نقاوتها وأصالتها[4]. ومن سمات العربية المغربية الإفراط في النسب، وإيثاره على الإضافة، ولعلهم هم الذين نشروا هذه الظاهرة في العربية الحديثة، وجرَّؤوا عليها غيرهم، فإنَّ ما يأتون منها لا يأتيه أحد من أهل المشرق. ومنها الإفراط في الاشتقاق من أسماء الأعيان، والأسماء الجامدة، من أجل أن يكون المشتق مرادفا لِلَفْظٍ أجنبي، تراد ترجمته بكلمة واحدة، ترجمة حرفية، يمجها الذوق، ومن أجل أن يكون اشتقاقه من الكلمة العربية الجامدة كالاشتقاق من مرادفتها الأجنبية، إمعانا في الحرفية، وحذوِ العربية على الفرنسية. وقد سنُّوا بهذا ونحوه سنَّة غير

(١) عشرة مفاهيم، ٢٥ وما بعدها.

(٢) السابق، ٣٤.

(٣) إشكالية المصطلح في الخطاب النقدي العربي الجديد، ٤٨٨ وما بعدها.

(٤) بعض الإشكاليات المتعلقة بلغتنا العربية، ١٢٠.

حسنة لبعض أهل المشرق، فسار بسيرتهم بعض من تعجبه غرائبهم، ويستميله ما يأتي من قبلهم، وإن كان للمغاربة من الجرأة عليه والسبق إليه، وقلة التحرج منه ما ليس لأحد. وهذا العمل كثيرا ما يفجأ القارئ الذي لم يتعود هذه الجرأة، ويشعره بالاستهانة بهوية العربية، وأن هَمَّ من يأتيه الأكبر أن يضع لفظا مقابلَ لفظ فرنسي، وإن انتهك حدود العربية، وأتى بما يقشعر منه البدن، من عفطي الألفاظ، وأنَّ ما يحملهم على ذلك قلة العلم بالعربية، ولولا ذلك، لكان في وسعهم أن يبلغوا ما أرادوا بغير ما يفعلون. وقد رأيت في مؤلفات الشيخ حسن الترابي -رحمه الله- جرأة على الاشتقاق غير الصحيح تشبه جرأة أهل المغرب العربي، كقوله: تطلَّقت بأهواء المادية (انطلقت)، جهدة ترويج (جهْد)، ارتكمت على المسلمين قرون (تراكمت)، المتلبسون زخرفا (اللابسون)، وأحمسَ للولاء (تحمَّس للولاء)، وفي كفاية عن الولاء (في غنى)، الوجدانيات العامرة (الوجدان، أو الوجدانات)، تُعازِلُ الدنيويَّ والديني (تعتزل)، ويبدرون إلى عرض (يبادرون)، المشارسة (من الشراسة)، نُظُم الحكم المتوازنة المتضابطة (المتزنة)[1]، إلخ. غير أن بين اشتقاق الترابي واشتقاق المغاربة اختلافا كبيرا، اشتقاق المغاربة من أسماء الأعيان، والأسماء الجامدة، ولا يشتق الترابي من الجوامد، وإنما يشتق من المادة ما لم يُسمَع من الصيغ والأفعال، ولا يصح قياسا، وهو في غنى عنه بالمسموع. وهو شيء، ربما فعل مثلَه بعض المغاربة، ولا سيما عبد القادر الفاسي الفهري.

ومنها الإفراط في جمع المصادر لغير حاجة، كما تجمع الأسماء العادية، على وجه، كان غير مألوف في العربية، وهو أمر تَشْرَكُها فيه عربية المشرق، إلا أن عربية المغرب أشد إفراطا فيه. وهو أثر من آثار الترجمة من الفرنسية والإنجليزية. وقد يكون جمع بعض المصادر سائغا وصحيحا في العربية، لكن الذين جمعوها إنما نظروا إلى جمعها في اللغات الأجنبية التي تجمعها مطلقا، لا إلى حكمها في العربية، ولا إلى أن المعنى يقتضي جمعها. وقد لخص الفيومي أقوال النحاة في جمع المصدر تلخيصا جيدا، فحواه أن المصدر المؤكد لا يُثَنَّى ولا يُجمَع؛ لأنه جنس، والجنس يدل بلفظه على ما يدل عليه الجمع

---

(١) انظر: السياسة والحكم: النظم السلطانية بين الأصول وسنن الواقع، ١١ - ١٩.

من الكثرة، فلا فائدة في جمعه، فإن كان عددا، كالضربات، أو نوعا، كالعلوم والأعمال، جاز ذلك؛ لأنها وحَدات وأنواع، جُمعت، فيقال: ضربت ضربين، وعلمت علمين، وظننت ظنونا؛ لأن ضرْبا يخالف ضرْبا في كثرته وقلّته، وعلْما يخالف علما في معلومه ومتعلقه، كعلم الفقه، وعلم النحو، وظنا يكون خيرا، وظنا يكون شرا، كما تقول عندي تمور، إذا اختلفت الأنواع[1]. وأغلب ما يكون ذلك فيما ينجذب إلى الاسمية، كالعلْم، والظن، ولا يطّرد، ولذلك لم يقولوا في: قتْل، وسلب، ونهب قتول، وسلوب، ونهوب[2]، ولم يُسمع عن العرب، إذ كانت السليقة متمكنة، إلا في كلمات قليلة، «وليس لنا أن نتّسع فيه»[3]. وتشترك عربية المشرق وعربية المغرب أيضا في الإفراط في المصادر الصناعية، ولو كانت الكلمة التي تجعل مصدرا صناعيا مصدرا أصليا، إلا أن عربية المغرب أشد إفراطا فيه.

والضخم اللفظي سمة أخرى من سمات عربية المغرب، وأعني به كثرة الفضول في الكلام، يمكن أن يعبر عنه بالجملة ونحوها، وإسقاط حروف العطف بين المتعاطفات، أسماء كانت أو جملا، وهو كثير في كتابات أهل المغرب الأقصى، ثم التونسيين، وبعض المتأثرين بالفرنسية من أهل المشرق، كأدونيس، والذين تغلب عليهم الترجمة الحرفية من الفرنسية، من اللبنانيين. ومنها الجرأة على ترجمة المجاز ترجمة حرفية، تبدو غير معقولة ولا مقبولة، لعدم وجود تناسب بين اللفظ وما يستعار له، كالحجم الزمني[4]، أي: المدة، والغلاف الزمني، والغلاف المالي. والترجمة التي تعجز عن إبلاغ المراد، فضلا عن أنها لا تبين عن شيء، وإنما يُفهَم المعنى منها بكثرة الاستعمال، والسياق الذي تورد فيه، كقولهم: دافعت بشكل صلب[5]، و«بلورة التصورات على نحو تشاركي»[6]، إلخ. وكان يمكن أن يعبر عن العبارة الأولى بـ: دافعت عنه

---

(١) انظر: المصباح المنير، (ق ص د)، ومجموعة القرارات، ٨٨، وانظر تفصيل ذلك في: القرارات النحوية والتصريفية لمجمع اللغة العربية بالقاهرة، ٥٧١ وما

(٢) المصباح المنير، (ق ص د).

(٣) في لغة الإعلام، ٢٥.

(٤) دفتر تحملات الشركة المغربية للإذاعة والتلفزة، ٥٨.

(٥) أحادية الآخر اللغوية، ١٤ (مقدمة المترجم).

(٦) السياسة اللغوية القومية للغة العربية، ٣٠.

بشدة، أو دفاعا شديدا، وعن الثانية بـ: صياغة التصورات صياغة مشتركة. ومنها التجرؤ على اشتقاق الصيغ اشتقاقا يخالف المعروف من معانيها في العربية، ولا سيما صيغة «انفعل» في غير المطاوعة، مثل انقرأ[1]، وانْكَتَبَ[2]، وانطرح[3]، وينوجد[4]، وانوصل، و«انْثِقاف» و«إنحوار»[5]. وهو ينتج كلاما لا معنى له، فإذا كان «ينقرئ»، و«ينكتب» مستعملين في العاميات العربية؛ فمعناهما واضح، من أجل ذلك، فإن الانثقاف والانحوار، لا يفهم المراد منهما. وقد جمع من اشتقّهما بين صيغتين، تدل كل منهما على معنى غير معنى الأخرى، فهما مشتقتان من «تحاور» و«تثاقف»، وهي صيغة تدل على الاشتراك، فإدخال همزة الوصل والنون عليهما استحداث لصيغة مهجنة من صيغتين، تدل إحداهما (انفعل) على المطاوعة، وتدل الأخرى (تفاعل) على الاشتراك، لكن الصيغة الجديدة لا تدل على شيء. وتهجين أبنية الأفعال مما ابتدع أهل المغرب العربي.

ويكثر في عربية المغرب استعمال المفردات في غير معانيها، على وجه تنفرد به دون عربية المشرق، وهو أثر من آثار الفرنسية، كقولهم: «مشاغل العربية»[6] (Les affaires)، بمعنى شؤونها، و«أشغال الندوة» (travaux du colloque)، بمعنى: أعمالها، و«يشتغل على»(travailler sur)، بمعنى: «يعمل على». ويسمون العمل الشغل، كما في العامية، والموظفين المشغَّلين[7] (Les fonctionnaires). ويشتقون المصدر الصناعي من اسم المفعول، فيقولون: المقروئية[8] (readability)، بمعنى القراءة. ولهذا نظائر في لغة المشرق، فإن منهم من يقول: المظلومية، والمديونية، والصواب أن يقال القراءة، والظلم، والدين. ويُكثرون من استعمال «العديد» استعمال الصفات، ويقدمونه على

---

(١) اللغة العربية في الإذاعة والتلفاز والفضائيات في المملكة المغربية.

(٢) ذاكرة الجسد، ٩.

(٣) علم النص، ١٤.

(٤) تمثيلات السلطة: قراءة تفكيكية لمعلقة عمرو بن كلثوم، ١٩١. ويوسف محمود عليمات أردني، ويبدو أن بعض اللغات الغربية ينتشر في الوطن العربي انتشارا عجيبا، كأنه يستهوي من يراه، غير أنه لا يستهوي إلا من لا علم له بالعربية.

(٥) هل للذات العربية دور في إحداث التوازن الحضاري المنشود؟.

(٦) السياسة اللغوية القومية للغة العربية، ١٣.

(٧) أزمة اللغة العربية في المغرب، ١٧.

(٨) السياسة اللغوية القومية للغة العربية، ٧١.

الموصوف، كقولهم: عديد البلدان[1]، وعديد المسائل، بمعنى: كثير البلدان، وكثير المسائل. و«العديد» في عربية المشرق تعني كثيرا، وهي ترجمة لـ civeral، يقال: قرأت كتبا عديدة، وجاء العديد من الرجال، ولا يستعمل مضافا كما يستعمل في المغرب العربي. والاستعمالان غير صحيحين، فالعديد والعدد مترادفان، وهما اسمان جامدان، وليس فيهما ما هو صفة، كما يبدو من قول الشاعر:

تعيرنا أنا قليل عديدنا فقلت لها: إن الكرام قليل

وقول البحتري:

خِلْنا الجبال تسير فيه وقد غدت عُـدَدًا، يسر بها العديد الأكثرُ

فمعنى «عديد البلدان»، و«عديد المسائل»: عدد البلدان وعدد المسائل. وكثيرا ما يقرأ المرء في عربية المغرب المفردات والعبارات العامية التي تدل على أن مستعملها لا يعرف من العربية غيرها، كقول أحدهم: «هل في مقدور اللغة لحالها أن تشكل ماهية الهوية؟»[2]، وقوله: «نادى علي وزير التعليم العالي»[3]، أي دعاني، وقولهم: يشغِّل، بمعنى يحرك، ويسيِّر، ويفتح، وإن غدت هذه عامة في العربية الحديثة في شرق الوطن العربي وغربه.

ومن سماتها الإكثار من استعمال ألفاظ بعينها؛ لأنها هي أو مرادفاتها يكثر استعمالها في الفرنسية، كـ«البنية» والنسب إليها بدلا من «النظْم»، و«النظام»، مع أن «النظم»، و«النظام» شهيران، ولم يكن يُعرَف في العربية غيرهما، أما «البنية»، فإنما كانت ترد في المعجمات وكتب التصريف، بمعنى هيئة البناء[4]، وصيغ الأسماء والأفعال، وإنما كان يُستعمَل من هذه المادة «البناء» وحده، ومنذ ظهرت البنوية في فرنسة، واطلع عليها المغاربة، امتطوها كما امتطاها الفرنسيون، فأماتت غيرها من الألفاظ العربية التي كانت بمعناها، وانفردت دونها بالاستعمال، ثم أفرطوا في استعمالها كما أفرط فيه الفرنسيون. وكذلك «التركيب»، و«المركب»، و«الفضاء»، و«التحيين (التجديد) (mise

(١) السياسة اللغوية القومية للغة العربية، ٧٤.

(٢) أحادية الآخر اللغوية، ١٠ (مقدمة المترجم).

(٣) مجلة عالم التربية في حوار مع الباحث الأكاديمي الدكتور عبد القادر الفاسي ٩.

(٤) المعجم الوسيط، (ب ن ي).

a jour)»، و«الجاهزية» (preaparation)، و«الرهان» (pari)، و«الراهن»، و«الراهنية» (الجدة)، و«الصعيد»، و«الكادر»، و«الإطار» (cadre)، وما يشتق منهما، كـ«التأطير»، و«المؤطر»، و«الدخول المدرسي» (Entrée à l'école)، و«الحمولة» (charge)، و«المعيرة»، و«التعيير»، و«المعيَّر»، و«النخبة» (élite)، و«الإنجاز»، وما شاكلها من المفردات التي تكاد تكون خاصة بأهل المغرب العربي، وإن استُعملت في المشرق، فإنما يستعملها من يستعملها تقليدا لهم.

ومنها الجرأة على أنواع من الاشتقاق غير صحيحة، كالاشتقاق من الكلمة قبل أن تحذف منها الزوائد، وفرض أصالتها، كيموضع، ويتموضع، ويتمفصل، ويُمَأْسس، والتمدرس، والتمعني، إلخ. وبسبب هذا صارت عربية أهل المغرب العربي عربية مميزة، ما أن يقرأ المرء منها العنوان، والعبارة، حتى يعلم أن كاتبها مغربي، كقول سلمان بو نعمان: «يقتضي ذلك إدراك حجم التشوهات العميقة التي أحدثها الاستعمار والاستبداد في بنية المجتمعات العربية ونخبها سياسيا واجتماعيا وثقافيا ولغويا، وما تشكله من عوائق كابحة لإنجاز وإنجاح التحول التاريخي والحضاري والديموقراطي المنشود»[1]. فهذه العبارة صورة من صور «التشوهات العميقة» في عربية المغرب العربي، ومثال من أمثلتها، كجمْع ما لا يجمع (التشوهات)، والجرأة على المجاز في استعمال «حجم» بمعنى مقدار، والحجم هو الجرم ومقداره[2]، واستعمال «تشكِّل» بدلا من تسبب، وإتيانه بـ«كابحة» بعد «عوائق»، مع أن العَوْق أشد من الكَبْح، وإذا ذُكر فهو يغني عنه، وإيرادهما معا من السخاء اللفظي. وكان يغني عن هذه العبارة أن يقول: يقتضي ذلك إدراك ما أوقع الاستعمار والاستبداد في نظم المجتمعات السياسية والاجتماعية والثقافية واللغوية، وهويتها، من تشوه بليغ، وما ترتب عليه من حؤول دون التحول الحضاري المنشود. ومثل هذه العبارة قوله في هذه الصفحة أيضا: «تسعى هذه الدراسة إلى الاشتباك مع موضوع حساس للغاية»[3]، بدلا من: تتناول هذه الدراسة موضوعا مهما جدا. و«الاشتباك» في هذا السياق

---

(١) النهضة اللغوية وخطاب التلهيج الفرنكفوني، ١٥ وما بعدها.

(٢) المعجم الوسيط، (ح ج م).

(٣) النهضة اللغوية وخطاب التلهيج الفرنكفوني، ١٥.

من غريب المجاز؛ فإنه ما يذكّر إلا بالحرب. وهو أثر من آثار الجرأة على المجاز، مع عدم الاقتدار على إيقاع الألفاظ مواقعها الصحيحة، وهي سمة من سمات العربية المغربية، مردُّها إلى ضعف السليقة، والتأثر باللغات الأجنبية، والترجمة الحرفية عنها. وقوله: «فعلى صعيد النصوص»[1]؛ فإن الصعيد وجه الأرض والتراب[2]، ولا معنى له هاهنا. وقوله: «على سبيل الختم»[3]، وهو يريد الخاتمة، من السخاء اللفظي، وتوخي الإغراب، ومخالفة المعهود، لغير فائدة، وكان يغني عنه أن يقال: الخاتمة، وهو ما درج عليه الكتاب والمؤلفون قديما وحديثا، وما أدري ما «شجن عنه».

ومن المعتاد أن يدافع أصحاب هذه اللغة عنها بجواز ما يفعلون في اللغة، والاحتجاج بأن اللجوء إليه من مقتضيات اللغة العصرية، ولا ينتقده إلا الجامدون والمتشددون، إلخ، ويفوتهم، كما يفوت كل من يذهب مذهبهم في إجازة هذه اللغة، إن فُرِضَ جواز بعضها، أن مبنى علاقة المرء بلغته على الذوق أكثر من القاعدة النظرية، فكأين من صيغة وأسلوب يجيزهما القياس يُرغَب عنهما إلى الشذوذ؛ لأن الذوق يستسيغ الشذوذ، ولا يستسيغ القياس، أو يعدلون عنه إلى وجه آخر، وإن كان أقل منه قياسية، كما يعدلون عن جمع «عالم» على عُلَّم، وعَلَمة، إلى «عالِمين»، و«علماء»، مع أن جمع «فاعل» على «فُعَّل» و«فَعَلة» قياسي، ككامل وكمَّل وكَمَلَة. والذين يستعملون القياس وحده في اللغة، من غير اعتداد بالذوق والسماع أشبه بالأطفال الذين يقيسون على ما يسمعون من آبائهم قياسا صوريا، يعوضون به ما لم يسمعوا من اللغة، فيكون في كلامهم ما يضحك، كما يأتي بعض الصبيان بالنون قبل الضمير المتصل بالاسم والحرف، فيقول: أبوني، وفيني (أبي، وفيَّ) قياسا على نون الوقاية التي يجاء بها قبل ياء المتكلم إذا اتصل بالفعل. وكما يقول بعض أطفال الإنجليز: we holded the rabbits، وdon't giggle me. يجعلون الماضي من hold على holded، قياسا على الأفعال التي يزاد في ماضيها (ed)، قبل أن يسمعوا الماضي منه (held)،

---

(١) النهضة اللغوية وخطاب التلهيج الفرنكفوني، ٢٤٠.

(٢) المعجم الوسيط، (ص ع د).

(٣) النهضة اللغوية وخطاب التلهيج الفرنكفوني، ٢٥٩.

وكصياغة فِعْل من الاسم giggle، وهو غير مسموع في الإنجليزية[1]؛ لأن ذواكرهم تعجز عن استحضار الشاذ، فيقيسون على المطرد[2]. وعدم التنبه إلى هذا جعل لغة بعض المغاربة لغة منحوتة، ليس فيها من رَوح العربية وجمالها، وتتسم بالصعوبة والتجهم، والغموض، وليس فيها ما يجيء عن إسماح؛ لأن أصحابها يعرفون ما يعرفون منها معرفة آلية، ولا يرتبطون بها ارتباط المرء بلغته، لقلة ما قرؤوا من آدابها، وفقهوا من خصائصها. وكان هذا مما نبه عليه عبد السلام المسدي في موازنته بين اصطلاح المشارقة واصطلاح المغاربة[3]، وهو يصدق على غير الاصطلاح أيضا. هذا إلى ما أفسد سلائقهم من اللغات الأجنبية التي عرف منها بعضهم أكثر مما عرفوا من لغتهم. فهم إذا تكلموا أو كتبوا عولوا على ما شدوا من قواعد النحو العربي، على قلته، أو قاسوا قياسا على ما عرفوا من الفرنسية التي يحذون منها على مثال، تملَّك أذهانهم، فإذا تكلَّموا أو كتبوا خاضوا معركة ذهنية، من أجل أن ينقلوا أفكارهم بلغة لا يعرفونها. وهو عمل شاق، ينتج لغة، تستفزُّ القارئ العربي وتزعجه، وإنما يستفزه منها العدول إلى مفردات، وأبنية، وأساليب، ليس فيها ما يغري بالعدول إليها، ولا ما يرغِّب عما ترغَب عنه من صحيح الكلم، والأبنية، والأساليب، ولا أوضح دلالة على المراد، كما تستفزه إسلاموي، وسياسوي، وتاريخانية، وتقليداني، والأشكلة، والأجرأة، والتذاوُت، وبيثقافي، وميتالغة، وراهنًا، والتحيين، إلخ.

وقد رد بعض أهل المغرب ما أصاب عربيتهم إلى الصراع بينها وبين الفرنسية والعامية والأمازيغية، وهو صراع نتج منه قلق هوية، أظهرَ المغاربةَ بمظهر الشعب الذي لا يتقن لغة من اللغات[4]. وإنما هو الصراع بينها وبين الفرنسية، أما العامية، ففي الأقطار العربية كلها، وأما الأمازيغية، فلم يكن لها كبير أثر في عربية المغرب الفصحى قبل الاستعمار الفرنسي، ولا بعده. وقد أفسد هذا الصراع الأذواق، وقطع الأسباب النفسية بين بعض المغاربة ولغتهم، وصير علاقتهم بها علاقة آلية، فلا يشعرون بفظاعة ما يُدخلون عليها من ضيم

---

(١) الغريزة اللغوية، ٢٨.

(٢) السابق، ٣٤٩.

(٣) مصطلحاتنا بين المشرق والمغرب.

(٤) الجذور الفكرية لإيديولوجيا التعريب المطلق.

الأبنية، والتركيب، والنحت، والأساليب الغريبة المنافية لروحها. وتتجلى هذه الآثار في كلام بعضهم إذا تكلم، كالانقطاع، والتلعثم، والتردد، وطول التفكير في الكلمة والعبارة التي يريدون قولها؛ لأنهم يترجمون ترجمة ذهنية من لغة لا يعرفونها بالسليقة، ولا يجيدها بعضهم، إلى لغة لا يعرفونها بالسليقة، ولا يعرفها بعضهم بالتعلم، فهم يفكرون في الكلمة والعبارة العربية التي تقابل الكلمة والعبارة الفرنسيتين؛ من أجل ذلك كانت لغتهم شبيهة بلغة المستعربين.

ومما لا بدَّ من ذكره هاهنا؛ لأنه سبب من أسباب ما يؤخذ على عربية أهل المغرب العربي، أن الفرنسية تقترن في أذهان من يُغرَمُون بها منهم «بالتقدم الاجتماعي والاقتصادي والثقافي والعلمي وبالشعور النفسي بالحداثة»، أما الفصحى، فلغة «الدين، والشعر، والتقاليد، والثقافة العربية الإسلامية الأصيلة»، ولا يمكن أن تكون لغة العصر، فضلا عما يعانيه بعض مثقفيهم من هزيمة نفسية[1]، يعانيها كثير من مثقفي العرب، وهي هزيمة، مَنْ مُنِيَ بها كان لزاما أن يولع باللغات الأجنبية كما يولع المغاربة بالفرنسية. وهذا الشعور بالامتياز الراسخ في عقولهم الظاهرة والباطنة، حين يتكلمون بالفرنسية، أو يكتبون بها، يجعل القرب من الفرنسية وأساليبها، واستعمال مفرداتها، إذا كتبوا أو تكلموا بالعربية، مدعاة للشعور بأنهم يكتبون بعربية حديثة، تشاكه الفرنسية، وتختلف عن «لغة الدين والشعر والتقاليد»، ولا سيما إذا كتبوا لمن يعلمون أنه يعرف الفرنسية، ويعرف الأسلوب الفرنسي الذي يحذون عليه إذا كتبوا، فذلك مظنة أن يرفعهم في عينه؛ لأنه يعرف «مرجعهم»؛ فيتعمدون ألا يذكروا الكلمة أو العبارة العربية إلا أتبعوها ما يرادفها بالفرنسية، على الوجه الذي قد رأينا. هذا إلى ما يزعم بعضهم من أن العربية تعوزها دقة اللغات الأجنبية؛ فيركنون إلى التفكير بلغة أجنبية تحاميا للأساليب الخطابية التي هي من خصائص العربية[2]. وإن كان هذا لا يخص من يراه من أهل المغرب دون من يراه من أهل المشرق، وهو زعْم مبناه على قلة العلم بالعربية. هذا إلى ما أرسخ الاستعمار الفرنسي في نفوس أبناء المستعمرات، من تعظيم فرنسة والفرنسيين والفرنسية وتراثها،

---

(١) في مخاطر فقدان العلاقة العضوية بين المجتمعات العربية ولغتها، ٥٢.

(٢) بعض الإشكاليات المتعلقة بلغتنا العربية، ١٢١.

على وجه جعلهم يحتقرون من لا يعرف الفرنسية، ويستصغرون ما عداها من اللغات، ولا سيما العربية، ويَستتبع ذلك التكلمَ بالفرنسية، والصدوفَ عن العربية، فإن غُلبوا، كان ما يكتبون بالعربية محاكاة لما يعرفون من الفرنسية.

ويحسن بنا -بعد ما قد رأينا من سمات عربية المغرب العربي- أن نتوقف عند لغة بعض كتَّابه بالدراسة، لنتبيَّن خصائصها مزيد تبين، ونتبين مبلغ تأثرها بالفرنسية، وما جرَّت عليها قلة العلم بالعربية، وألا يكون لها مَثَلٌ منها، تحذو عليه، من ضعف، وحذو على الفرنسية أو غيرها من اللغات الغربية. وقد اخترت الدكتور عبد السلام المسدي، من تونس، والدكتور عبد الملك مرتاض، من الجزائر، والدكتور عبد القادر الفاسي الفهري، من المغرب الأقصى؛ لأن لهم من الشهرة في الوطن العربي ما ليس لغيرهم من لغويي المغرب وأدبائه، وهم من أنصار التعريب، والمدافعين عنه وعن العربية، ومنهم من هو شديد الاعتزاز بهويته العربية الإسلامية، كعبد السلام، وهو من أفضل اللغويين المغاربة اطلاعا على التراث العربي الإسلامي؛ لأن رسالته للدكتوراه كانت عن «التفكير اللساني في الحضارة العربية»، وهو أحد الذين جمعوا مادة «النظرية اللسانية والنقدية في التراث العربي»، ويجمع بين العناية بعلم اللغة والنظريات النقدية المتأثرة به، كالبنوية، والأسلوبية، وعضو في بعض المجامع اللغوية (مجمع بغداد، وطرابلس، ودمشق). ومنهم من يجمع إلى الاعتزاز بالهوية العربية الإسلامية التدين، وحفظ القرآن، وحب العربية، والنشأة في بيئة عربية إسلامية، وهو أحد كبار النقاد في الوطن العربي، وله عناية بالأدب العربي القديم، كعبد الملك. هذا إلى السنِّ، وكثرة التأليف، وكثرته تُعْدي على العناية باللغة، وصقلها وتخليصها مما يعتري لغة قليلي الكتابة والتأليف. وإذا كان من سبب يحمل على العناية بالعربية، وتجويد الأسلوب، فإن هذه مما يحمل عليهما. بيد أن ذلك لم يجعل لغتهم تختلف كثيرا عن لغة المغاربة، في كل ما قد رأينا.

وينبغي -قبل أن أتحدث عن لغتهم- أن أشير إلى أن التخصص في علم اللغة، والتبريز فيه لا يعنيان العلم بلسان بعينه، كالعربية، فإنما «علم اللغة» فلسفتها، وفلسفة اللغة ليست هي اللغة، كما أن «فقه اللغة» يعني تاريخها، وليس هو عين اللغة؛ فيمكن المرءَ أن يكون عارفا بفقه اللغة، وليس فقيها بها، ولا بغيرها من

اللغات، كما أن المرء قد يكون عارفا بفلسفة التاريخ، ملمًّا بتاريخ بلد بعينه، من غير أن يكون عارفا بتاريخ بلده. وقد يكون اللغوي العربي عارفا بنظريات علم اللغة، مطلعا على الفرنسية أو الإنجليزية، من غير أن يكون عارفا بالعربية، وإن كانت لغتَه، ويطبق عليها بعض ما درس من النظريات اللغوية. وهذه حال كثير من المخصين في علم اللغة؛ فيمكن أن يفاد منهم في خدمة العربية، من غير أن يعتدَّ بآرائهم فيها، ولا في غيرها من اللغات التي لا يعرفون، ومن غير أن يُعْتَدَّ باللغة التي يكتبون بها، ولا بصحة ما يضعون فيها من اصطلاحات. وما لم يكن هذا حكمنا في المخصِّين في علم اللغة، قضينا أن نحكِّم في العربية من لا يعرفها؛ من أجل أنه يعرف غيرها، أو له معرفة بفلسفة اللغة. وكثير من لغويي العرب لا يعرفون من العربية الفصحى بالسليقة إلا ما وافق لهجاتهم، أما ما خالفها فإنما يتعلمونه تعلما، ومنهم من لم يتعلمه، فهو يخطئ فيه كما يخطئ المرء فيما لا يعلم، وإن كان عضوا في مجمع لغوي. وهم في هذا كغيرهم من العرب في هذا العصر وما قبله من العصور التي تغيرت فيها السلائق، وفسدت الألسن. على أن المجامع العربية سُمِّيَ فيها من ليسوا بلغويين، ولا فقهاء باللغة[1]، وبعضهم -كبعض المستشرقين- سموا؛ ليكونوا وكلاء للدول «الأوربية الكبرى التي كان لها أثر سياسي أو ثقافي بمصر، وبالعالم العربي والإسلامي»[2]، وسُمِّيَ أحمد لطفي السيد رئيسا لمجمع القاهرة، وما كان لغويا، ولا مناصرا للعربية، ولا محبا لها، وإنما كان داعية فرعونيا، متخصصا في الفلسفة، وآراؤه في الدعوة إلى العامية، والانتقاد على الفصحى معروفة. وكان هذا من أسباب تهاون المجمع في القرارات المجيزة للدخيل والأساليب الأعجمية، وإباحة ما لا يصح من الأخطاء الدارجة على أقلام الكتاب وألسنة المتكلمين. وكانت مهمة التعريب والحفاظ على أصالة اللغة وسلامتها فوق طاقتهم، ولكنهم يحبون أن يَخفَى ذلك على مَنْ لا يعرفه؛ فكان يسرهم أن يباح كل شيء، حتى لا يُخَطَّأ أحد، ولا يتبين عدم معرفتهم بما يُظَنُّ أنهم يعرفونه من العربية. وما كل ناقل علم من علوم العصر قادرا على وضع اصطلاحاته العربية

---

(١) أعمال مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ٨٢.

(٢) السابق، ٩٣.

وتحقيقها، أو تمييز بعضها من بعض. والعلماء الذين يعرفون دقائق العلوم الحديثة، وأسرار اللغة الأعجمية التي ينقلون منها، وأسرار العربية التي ينقلون إليها، قليل جدا في البلاد العربية[1].

ومما لا خفاء به أن بعض المخصين في علم اللغة يكثرون من انتقاد النحو العربي، لا من حيث منهجه في تدوين اللغة ودراستها، ووضع قواعدها، وإنما من حيث هو قواعد، يجب التقيد بها، ويعدون اللغة كائنا متغيرا، لا يستقر على حال؛ فليس للغوي ولا مجمع علمي أن يحول بينها وبين ذلك، ولا أن يَتَدَخَّل في وجهتها، ولا أن يحول بينها وبين التغير. ويَعدُّون الطريقة العلمية في دراسة اللغة أن يُكتفَى بوصفها، ولا يحكم فيها بصحة أو خطأ، ولا يدون من قواعدها إلا ما يستعمل؛ ويرون أنْ ليس من شأن علم اللغة أن يقوِّم، أو يخطئ أو يصوِّب. ويسخرون من التخطيء، ويرون أن لكل امرئ أن يتكلم كيف شاء، أما الصحة والفصاحة، فأمران معياريان. ولا بأس بهذا، إذا ميز المنهج الوصفي من المنهج المعياري، وجُعِل لكل منهما مجاله، ولم تُتَعدَّ به حدوده، أما السخرية من المنهج المعياري، وعدُّه غير علمي، فإن للمنهج المعياري مسوغاته، كما للمنهج الوصفي مسوغاته، ومن مسوغاته جمع الناس على لغة واحدة، يتفقون على دلالتها، ويكتبون بها العلم الذي يتعلمون، والدين الذي به يتعبدون، والقانون الذي إليه يتحاكمون، ويجعلونها مرجعا في تفسيره، إلخ. ولو أُلغِيت اللغة المعيارية لم تستقم للناس حياة، ولم يكن لهم مرجع يحتكمون إليه في فهم القوانين المنظمة لحياتهم وأعرافهم وعلومهم، وتفسيرها، ولم يكن لأحد أن يلزم غيره شيئا؛ لعدم وجود مرجع فَصْلٍ، يُنتهَى إليه، فيما شجر بين الناس، وإذا لم يكن لهم لغة تامة صحيحة، فليس يكون لهم فكر تام صحيح[2]. وكل دولة بحاجة إلى لغة واحدة مشتركة، وتتطلب طريقة الحياة الديموقراطية أن تكون اللغة المشتركة وسيلة للثقافة المشتركة، بالمعنى الديموقراطي. ويجب أن يُتَوَسَّل بالاتصال اللغوي إلى نشر المعرفة التي لا ينبع الرأي الفردي المعترف به إلا منها، وأن يتيح الاتصالُ اللغوي لكل مواطن أن يشترك في المناقشة،

---

(١) المصطلحات العلمية في اللغة العربية، ٨٠.

(٢) تأملات في اللغو واللغة (نقلا عن: اللغة العربية والهوية الثقافية وتجارب التعريب، ٢٦٩).

ويمرَّنَ عليها؛ حتى يكون قادرا على المناقشة المفيدة[1]. والعرف اللغوي قد يكتسب بطول الإلف ما يشبه القدسية، ولا سيما إذا نزلت باللغة الإنسانية الكتب المقدسة، وكُتبت بها روائع الآداب. ومن العادة أن تحافظ الشعوب على لغاتها، بأن تصطفي من تاريخها حقبة، تعدُّها خير حقب لغتها، فتجعل ما ذاع فيها واشتهر هو مثلها الأعلى، فتدون قواعده، وتصطنع له المجامع، وتؤلف الكتب والمعجمات، وتعلمه، من أجل أن تُبطِّئ تغيُّره[2]، واصطناع اللغات المشتركة يعني توقف اللغة مدة عن التغير[3]. ومن وسائل تبطيء التغير تمييز ما يصح من استعمال اللغة مما لا يصح، والإرشاد إلى ما وافق المثال للاقتصار عليه، وما خالفه لتنكُّبه. ولا يعني ذلك عدم دراسة اللغة وتغيرها وما جدَّ فيها دراسة وصفية كتلك التي يقوم بها علم اللغة الوصفي، لكن للوصف غاية غير غاية المعيار، ولا تعارض بينهما.

وكثير مما نقرأ للذين يرون رأي الوصفيين من العرب ليس بأكثر من ترداد ما يذهب إليه وصفيو الغرب، من غير اعتداد بخصوصية العربية، ولا بما بين اللغات الغربية والعربية، وهم يحبون -بما يذهبون إليه- أن يصنعوا قسمة يكونون أحد طرفيها. وقد قال ديفيد بنكر إن الوصفيين لا يحبون عدم التسامح الضيق الأفق، والتنقية اللغوية القائمة على نفْيِ الخطأ، التي يزاولها المعياريون، كما لا يحب المعياريون الشمولية وفلسفة المساواة التي يراها الوصفيون، ويعدونها فقدا للمسؤولية نحو ما هو أفضل في اللغة. ويرى أن الجدل بين الفريقين لا دليل على أنه سينتهي، بعد ٢٥٠ عاما من نشوبه، وما يزال كل جيل يعيد صياغة حججه، ويزيد التغير الجديد في المجتمع وقودا جديدا لها، كالإذاعة، ثم الشابكة[4]. غير أن المعياريين والوصفيين الغربيين اتفقوا على الإبقاء على رسمي الإنجليزية والفرنسية من غير تغيير، على شدة ما بينه وبين اللغة المنطوقة من تباين، وهو اعتراف من الوصفيين بأن سوء الرسم يُغتفر فيما يُنال من نفعه، وهو جمع الناطقين باللغة على مرجع لغوي واحد، مهما نال

---

(١) اللغة في المجتمع، ٢١٢.

(٢) اللغة بين القومية والعالمية، ١٧.

(٣) اللغة، فندريس، ٣٤٣.

(٤) اللغة والإنترنت، ٨٣.

نطقه من تغير، وأن تغييره مفْضٍ إلى التخالف، وتعدد اللغات، ويترتب عليه أن يتغير الرسم كلما تغير النطق، ولن يَقَرَّ لِلغةٍ قرار، وسيصير الناس إلى تفرق واختلاف كلما جدَّ نطق، ولن يجدوا ما يجمعهم وينظِّم حياتهم. ولما أصدر جاك ديرون عام ١٩٦٣ م كتابه «الفرنسية لغة إنسانية»، كتب عنه الناقد اللغوي الفرنسي، روبير لو بيدوا في «لوموند» مقالا، ذمَّ فيه «المصلحين التقدميين» الانهزاميين الذين يدعون في الحقيقة إلى خفض التعليم بقولهم بوجوب تيسير لغتنا بكل وسيلة، ويودون لو جعلوا من اللحن قاعدة يتَّبعها الفرنسيون جميعا، «وهو الخطأ الذي يقع فيه كثيرا أغلب علمائنا النحويين واللغويين»[1].

وألسنة البشر تتغير ما دامت متداولة، لكن تغيرها يكون من البطء بحيث يخفى، فلا يكاد يدركه إلا الخواص المعتيون باللغة عناية شديدة[2]. ويمكن القول إن الدراسة المعيارية هي الأصل، ما دام الذي يعرض للغة من التطور بهذا البطء والخفاء، أما الوصف، ففرع عن ذلك الأصل؛ لأنه يتعلق بأمر ثانوي (ما يجدُّ في اللغة من تغير)، لا تظهر آثاره إلا بعد أمد. واللغة تستوجب قوانين تسيرها وتحفظ انتظامها، ولكن استعمالها لا يتوقف على الوعي بتلك القوانين، فهي تُكتَسب من الأم اكتسابا تلقائيا، ثم تغدو عرفا متبعا، وعَقْدا ملتزَما، بعد أن تُعرَف قواعده[3]، والتزامُه شرط تشترطه الجماعة لهويتها، وقيد تقيد به الفرد منها لقاءَ قبوله واحدا منها[4]، وكل حيدة منه عن قواعدها حيدة عن عقد، يحاسب عليها، ولا يُلتمَس له العذر فيها؛ فضلا عن أن يُعدَّ مصدرا من مصادر اللغة، ويجعل ما يقول ويكتب أصلا تُستنبَط منه قواعدها، كما يرى بعض كتاب العرب؛ إذ اللغة مؤسسة اجتماعية، والمؤسسة تقوم على عقد ضمني بين الجماعة المؤتلفة، يمتثل الفرد بنوده أكثر مما يتصرف فيها[5]. فإذا استعمل الكلمة أو الصيغة بمعنى غير المعنى المتواضع عليه، أو بنى الجملة على خلاف ما تُبنَى عليه، أخلَّ بالعقد، وعرَّض اتصال أعضاء الجماعة اللغوية

---

(١) إبة وأصالة، ٩٢ (هامش).

(٢) اللسانيات وأسسها المعرفية، ٣٧ وما بعدها.

(٣) السابق، ٣١.

(٤) اللغة والجماعة في المغرب العربي، جلبير غرانغيوم.

(٥) اللسانيات وأسسها المعرفية ٣٤.

للتعطل؛ ففقدت اللغة وظيفة من أهم وظائفها.

ويقول بعض العرب إنه «لا يستقيم -مع تجدد اللغة بتجدد الحاجات- أن يُمنَع المتأخر مما أُبيح للمتقدم؛ لأن لكل عصر لغته، كما أن لكل عصر أهله، وإنما اللغة لمن أفضت إليه، وكانت في عهده، وربُّها هو المتأخر الذي به حياتها، والذي إنما يتخذها للعبارة عن أحواله وأغراضه، لا للمتقدم الذي درج ودرجت أحواله معه، فنحن الآن مُنزَلُون منزلة المتقدمين بعينها، ونحن وهم في أمر الوضع فيها سواء، نصرِّف أعنَّتها كيف شئنا وشاءت حال العصر»[1].

وهو تحصيل حاصل، فاللغة لمن أفضت إليه، ومن حق المالك أن يتصرف فيما يملك، وإلا لم يكن للملك معنى، لكنَّ شرط مِلْك اللغة العلمُ بها، والتصرف فيها فرع عنه، فمن كان مثل الأولين من العرب والعلماء في العلم بالعربية كان له من الحق في التصرف فيها مثل ما لهم، أما غير العالم، فلا يملك، وتصرُّف من لا يملك عدوان، والأصل أن يكون العدوان مضرا بالمعتدَى عليه، ولو أراد إصلاحه، «يريد أن يعربه، فيعجمه»؛ لأنه لا يدري ما يَصْلُح عليه أمره، بل لا يميز الصلاح من الفساد. فالخلاف -إذن- ليس في الوضع والتصرف، ولكن فيمن يضع ومن يتصرف. وإنما قَصَرَ العلماء الاحتجاج على أهل زمان ومكان بعينهما؛ لأنهم مظنة العلم، وصحة الطبع، وسلامة السليقة، لا عصبيةً لزمان أو مكان ولا لأهلهما، ولا لشيء مما يظن من يعارضونهم من المتأخرين.

وكان للحرص على صون اللغة من التأثر بلغات العجم غايتان: الوثوق ببقائها على ما كانت عليه أيام نزول الوحي، وأن لم ينلها تغير في المبنى والمعنى، يجعلانها تختلف عنها، ولو في معنى كلمة؛ ليصح الاعتماد عليها في فهم الوحي وتفسيره؛ لأن معنى اللفظ إذا تغير، وتغير بناؤه، كان للغة شأن غير شأنها في العصر الذي يُحرَص على دراستها وتدوينها، واستخراج قواعدها فيه، ولم يوثق بأنَّ ما تعنيه الكلمة والعبارة هو ما كانتا تعنيانه أيام نزول الوحي؛ فلم يصحَّ التعويل عليها في تبيُّن معنى آية أو حديث، أو استنباط حكم. وهذا أمر في غاية الأهمية للمسلمين؛ لأن القرآن والحديث أصل دينهم، والعربية وعاؤه، ولولا ذلك ما كانت اللغة عندهم إلا واحدة في كل زمان ومكان،

---

(١) اللغة والعصر، مجلة البيان، س١، ٣٢١ (نقلا عن: الوضع اللغوي في الفصحى المعاصرة، ١٣).

وما حدُث منها مساوٍ لما قدُم، ما دام يحصل به البيان، ولم يبال أحد منهم أن يختلف معنى الكلمة، أو بناؤها، كما لم يبالوا ما يقع في العاميات من تغير. والغاية الثانية الحرص على توحيد اللسان، ونفي تعدد اللغة الرسمية؛ فإنَّ ما يجدُّ في اللهجات، لو أُذِنَ باستعماله كما يُستعمل الفصيح، وسُوِّي بينهما، لتعددت اللغات، ولم يتوحد العرب على لغة مشتركة، كما تقتضي الضرورات الحضارية. من أجل ذلك ظلت للعامة لغتهم أو لغاتهم التي لم تنتقد، ولا أُخذ عليهم ما يُحدثون فيها، ولا زُين لهم العدول عنه، وكانت للخاصة لغتهم التي تصان، ويُبيَّن ما جدَّ فيها مما يخالف اللغة التي ينبغي توحيدها والتوحد عليها. وليس هذا الصون خاصا بالمسلمين، فإن ما يشكو الأوروبيون اليوم من رسم لغاتهم، ولا سيما الإنجليز والفرنسيين، أثر من صون اللغة المشتركة مما ينالها من التغير، لكنْ في صورتها المكتوبة، ولو كتبوها كما ينطقونها لكان لكل إقليم لغة في عقود؛ فتقطَّعَ ما بينهم كما تقطَّعت أسباب الثقافة بين الشعوب اللاتينية والشعوب الجرمانية باختلاف اللغات، وتعذَّر عليهم أن يفهموا تراثهم المكتوب بهذا الرسم، كما قال اللغوي الفرنسي ج. فندريس: إذا أصلحنا الرسم إصلاحا شاملا، دفعةً واحدة، استبدلنا باللغة المكتوبة التي تعودناها لغة جديدة، ويترتب على ذلك أن نطَّرِح ما نُشِرَ بالفرنسية منذ قرون، دفعة واحدة، وهو أمر مستحيل، ويوجب على جيل أو جيلين من الفرنسيين أن يتعلموا لغتين، بدلا من لغة واحدة. ومن العادات الأدبية ما لا يستطاع تغييره بقرار[1]. ودين المسلمين وتراثهم أعظم عندهم من تراث الفرنسيين عندهم، وتراث الفرنسيين ليس فيه مقدس، ولا ما لا يمكن أن يُستحدث مثله أو ما هو خير منه، وفي تراث المسلمين ما لا يُستحدَث، وما لا يمكن أن يكون غيره خيرا منه، ككلام الله، وكلام رسوله -صلى الله عليه وسلم-. وإذا عزَّ على الفرنسيين والألمان أن يقطعوا ما بينهم وبين تراثهم، فينبغي أن يكون قطع المسلمين ما بينهم وبين دينهم وتراثهم أعز. والعربية لا تكون علمانية، ومن عدَّها لغة كسائر اللغات، وما يُستحدَث منها كما يُمات، لا فضل لأحدهما على الآخر، ولا بد أن تترك لسنَّة التغير، تفعل بها ما تفعل بغيرها من اللغات، تعذَّر على المسلمين وعلى

---

(١) اللغة، ٤١٣.

الحراص على وحدة العرب الثقافية، وجَمْع شملهم، وإبقاء الأسباب موصولة بينهم وبين دينهم وتراثهم، أن ينتهوا معه إلى كلمة سواء.

وما غرضي مما أقول هاهنا التنبيه على الأخطاء التي وقع فيها بعض المعاصرين من أهل المغرب العربي، ولا إصلاحها، على اقتناعي بصحة ذلك، ووجوبه، وإنما أردت دراسة جانب من التغير الذي نال العربية الحديثة في المغرب العربي، تتميما لبيان ما نال العربية في هذا العصر.

أولا- الدكتور عبد القادر الفاسي الفهري

والدكتور عبد القادر الفاسي الفهري لغوي مرموق، وأحد الجادين في الدفاع عن العربية[1] بالمغرب الأقصى، وله في ذلك كتابات وأعمال مشهورة مشكورة. ولكن لغته تتسم بالضعف، والجرأة على ارتجال الصيغ المخالفة لقواعد الاشتقاق في العربية ارتجالا يشعر بأنه لا يعتدُّ بها، أو لا يعرفها، واستعمال الصيغ في غير معناها، مع عدم مراعاة ما يقبله الذوق منها وما يمجه، كأنَّ كل صيغة واتته، أو عنَّت له صحيحة، ومواتاتها هي معيار صحتها وصحة استعمالها، وليس له معيار في الاشتقاق غير ذلك، ولا مرجعٌ سوى نفسه، فهو يتصرف في اللغة كما يشاء، لا كما تقتضي قواعدها، والمعاني التي تراد الإبانة عنها، ويأتي ما يأتي من ذلك من غير حاجة، وليس لما يستحدث فضل على الذي يتنكب، على ما يقرُّ به من أن «اللغة يجب أن تظل وظيفية، وشفَّافة، وقابلة لأن تستساغ، من الناحية السمعية»[2]، وأن عليها -من الناحية الصرفية- قيودا، وليست بحرة حرية مطلقة، وإنما الحرية فيها محدودة بحدود معينة[3]. فمن اشتقاقه العجيب اشتقاقه «افرنجج» من «إفرنج»، بمعنى تفرنج، وهي صيغة ليست «بشفافة ولا قابلة لأن تستساغ من الناحية السمعية»، وما تذكِّر إلا بـ «افرنقع» في قول عيسى بن عمر الشهير الذي يمثل به البلاغيون للغرابة: «مالكم تكأكأتم علي كتكأكئكم على ذي جنة؟! افرنقعوا عني!». واشتقاقه

---

(١) العرب والانتحار اللغوي، ١١١.

(٢) حوار اللغة، ١٢٢.

(٣) السابق، ١٠٢.

«الأَبْجَدَة» من الأبجدية، بمعنى محو الأمية[1]، و«اللاأبجدة» بمعنى الأمية[2]، والتعجيم[3]، من المعجم، بمعنى صناعة المعجم، والإشفار[4]، بمعنى التشفير، و«لَهْوَج» من «اللهجة»، وإنما «لهوج» الشيء: لم يحكمه، ولم يبرمه، والطعام لم ينضجه[5]، وليس في مادة «لهج» ما يمكن أن يؤول إلى واو، فزيادتها في فعل يشتق من «اللهجة» غير جار على سنن الاشتقاق في العربية؛ من أجل ذلك اشتق منها بعض أهل المغرب فعلا ومصدره، لا واو فيهما، هما: لهَّج تلهيجا، وهذا أدنى إلى الصواب، وأكثر مسايرة لنظام العربية الصرفي. ويستعمل «التثمُّن» بمعنى «التثمين»، و«التمحُّص»، بمعنى «التمحيص»، مع أن تثمَّن غير مستعمل في العربية، أما «تمحَّص»، فيقال تمحَّصت الظلماء: إذا انكشفت، وتمحَّصت ذنوبه، إذا طهُر منها[6]. ومن أهم معاني «تفعَّل» المطاوعة، وما يريد من هذين الفعلين ليس المطاوعةَ، وإنما التعدية؛ فكان ينبغي أن يجعلهما على وزن فعَّل. على أنه استعمل التثمُّن والتمحُّص، دون فعليهما، وما أدري هل ظن أنهما مصدرا ثمَّن ومحَّص، وإنما مصدر فعَّل التفعيل، ومصدر تفعَّل التفعُّل، وهما مقيسان قياسا مطردا، كما هو معلوم من العربية بالضرورة. ويشتق من «اليابان» «مبيَّنة»[7]، وإنما كان ينبغي أن يقول: ميبَّنة؛ لأن الحرف الأول من اليابان الياء، بعدها ألف، تُحذَف لنزولها منزلة الحرف الزائد، بعدها باء، وتقديم الباء على الياء، إن لم يكن في الكلمة تصحيف، لا يصح. ويشتق الأنجلزة من الإنجليزية[8]، في موضع، ومنجلز، في موضع آخر[9]، وكان ينبغي أن يوحِّد طريقة الاشتقاق، وإن لم يلتزم فيه سنن العربية؛ لأن للاشتقاق في اللغات طرائق ثابتة. ومنجلز مشتق من «نَجْلز»، أما «أنجلزة»، فمشتقة من «أنجلز»، والكلمتان مشتقتان من آنجل (Angl)، وما زاد على حروف Angl، وهو ish،

---

(١) اللغة والبيئة، ٣٨.
(٢) السابق، ٣٨.
(٣) عبد القادر الفاسي الفهري يسأل عن واقع اللغة العربية في المغرب، (١).
(٤) اللغة والبيئة، ١٠١.
(٥) المعجم الوسيط، (ل ه ج).
(٦) السابق، (م ح ص).
(٧) انظر: أزمة اللغة العربية في المغرب، ٧٥.
(٨) السياسة اللغوية، ٣٧.
(٩) السابق، ١٢٤.

علامة نسب، وهي زائدة على الأصل، فينبغي أن تُجَرّد منها، إذا اشتُقَّ منها، فيقال: نجَّل تنجيلا، فهو منجَّل، كعرَّب تعريبا، فهو معرَّب. وإذا كان «نجلز» -على ثقله، ومخالفته قاعدة الاشتقاق- يوافق «فعْلَل»، وهو وزن عربي، فإن «أنجلز»، يخالف أوزان العربية، ويمجه الذوق. واستعماله «الاهتجار» بمعنى الهجرة[1]، وهو غير معروف في العربية. وعدوله عن «الهجرة» إلى «الاهتجار»، وهو غير صحيح، ولا قياسي، ولا يفيد معنى غير الذي يفيده الصحيح المسموع (هجرة)، وهو لا يجهله، ولا يجهله غيره، واتخاذه ذلك عادة، أمر محيِّر، وربما جاز أن يُستنتَج منه أنه يحسب أن للمرء أن يركِّب حروف اللغة كيف شاء، وأن له أن يخالف المتبع من سنن اللغة، وأنه كيفما ركَّبها، أو استعملها أبانت عما أراد، ولو كان التركيب الذي يركِّبه لا يعرفه غيره. ولا يفعل هذا في العادة إلا حديث عهد بتعلم اللغة، فكل كلمة عنَّت له، خال أنها صحيحة، وأنه إذا استعملها، دلَّت على ما يريد، ولم يتردد أحد من أهل اللغة في فهمها كما أرادها، كما لا يداخله هو الشك في صحتها، ودلالتها على ما أراد.

ويجمع «الكفء» على كُفاة[2]، وإنما الكفاة جمع كاف، ولا يُجمع على هذه الصيغة إلا ما كان اسم فاعل ثلاثيا معتل الآخر، كداع ودعاة، وراع ورعاة، ورام ورماة، أما «كفء»، فيجمع على أكفاء. ويجمع «التعلم» على التعلُّمات[3]، ويشتق «يُرسْمِل، من رأس مال[4]، ومن «الميز» «الميزية»[5]، والميز والتمييز يغنيانه عن الميزية؛ لأنهما مصدران أصليان، يؤديان ما يريد. ويقول في النسب إلى «أمازيغ» «أمزوغية»[6]، وهي نسبة لا يستبين وجهها، فالمنسوب إليه إما مازغ، وهو مفرد، وإما أمازيغ، وهو جمع، والنسب إليهما مازيغي، وأمازيغي، أما أمزوغية، فينبغي أن تكون نسبة إلى أمزوغ، وما أدري ما تعني. فإن أراد أن يشتق من «م ز غ» اسما على وزن فُعولة، كما تشتق «العروبة» من «عرب»، ثم

(١) اللغة والبيئة، ٥٣.
(٢) السابق، ١٠١.
(٣) ثلاثية لغات الألفية الثالثة في المدرسة المغربية، ٢٩.
(٤) أزمة اللغة العربية في المغرب، ٢١.
(٥) السابق، ٢٤.
(٦) انظر مثلا: السياسة اللغوية، ٥٦.

يَنْسِبُ إليه، فيقول مزوغي، كما يقال عُروبي، فلا بأس، لكن ينبغي أن يكون الاسم مزوغة، لا أمزوغة، والنسب إليه مزوغي، لا أمزوغي، أما زيادة الهمزة، فلا وجه لها، كما لا وجه لأن يقال في النسب إلى العروبة أعروبية، غير أن له وجها عنده، فهو يقول «أعروبيين»، كما يقول «أمزوغيين»[1]، ويعني بهما دعاة الأمازيغية ودعاة العروبة. ويستعمل «أنظومة» بمعنى منظومة[2]، وهو في غنى عن اشتقاق لفظ، في العربية ما يؤدي معناه من هذه المادة، واشتقاقه على الوجه الذي اشتقه عليه غير صحيح، ولا يؤدي معنًى غير الذي يؤديه اللفظ الصحيح، فالأعروبة، والأمزوغة، والأعروبيون، والأمزوغيون لا تفيد معاني غير التي تفيدها العروبة، والمزوغة، والعروبيون، والمزوغيون، والجمع بينها يملأ المعجم العربي بما لا معنى له، ولا فائدة فيه. ويقال مثل ذلك في كل ما تقدم من الكلمات، وكثير مما سنرى من نظائرها، وهو ضرب من التلعب بالألفاظ لا يستبين ما يحمل عليه. وكان ينبغي أن يكون أشدُّ الناس ضيقا به، وتنكبا له، وتهيبا منه، مَن يُعنَى بالاصطلاح، ويعرف ما فيه من خلط واضطراب، في الوطن العربي، وما يسبب من إشكال معرفي، يستعصي على الإزالة، لعدم وجود مؤسسات لغوية، يوكل إليها أمره، ويُلتزَم ما تقرِّر فيه. ومن هذا القبيل استعماله «الأوحدة» (uniformité / uniformity)[3]، ومؤنث «الأفعل» هو «الفُعلى»، كالأطول والطولى، والأصغر والصغرى، لا الأطولة، ولا الأصغرة. هذا إلى أن المعنى الذي أراد من «الأوحدة» في السياق الذي وردت فيه هو المصدر، أي التوحد والتفرد، لا اسم التفضيل، وإذا صح أن ذلك هو مرادُه، فينبغي أن يقول التوحد، أو التفرد، أو يأتي بالمصدر الصناعي من «أوحد»، وهو الأوحدية، مع أن ما وجدتُ من معاني هذه الكلمة (uniformité / uniformity) في معجمي «المنهل» (فرنسي عربي)، و«المورد» (إنجليزي عربي) هو: الانتظام، والاتساق، والتماثل، والتشاكل، والاطراد[4]، وهي -إلى ذلك- ليست بصيغة تفضيل؛ فتترجم بالأوحدة.

---

(١) عشرة مفاهيم، ٢٨.
(٢) السياسة اللغوية، ٧٣.
(٣) السابق، ٦٧.
(٤) المورد، ١٠١٢، والمنهل، ١٠٥٩.

ويستعمل العربية استعمال من لا يعرفها، وإنما يعرف لغة أخرى، يتحكم فيه نظامها ودلالتها، ويظن استعماله إياها صحيحا، ما دامت مفرداته عربية، وتؤدي ما تؤدي مرادفاتها من تلك اللغة، كقوله: «يتميز المشهد اللغوي في المغرب بمتصلين لغويين، لا ثالث لهما، يحددان الهوية اللِّسنية التي نشأت ونمت على هذه الأرض:

أ- متصل عربي يضم اللغة الفصيحة...

ب- المتصل الأمازيغي بلهجاته المتداولة في سوس والريف والأطلس»[1].

وقوله: «لقد تبنَّى المغاربة تلقائيا هوية ثلاثية التركيب أساسا، تجلت متبِّلاتها الثلاثة في الإسلام والعروبة والمزوغة»[2]. فـ«المتصل» في العربية ضد المنفصل، وهذا المعنى لا يلائم السياق، إلا إن أراد به ما يتصل بالموضوع الذي يتحدث عنه، أو يكون ترجمة حرفية لمفردة فرنسية أو إنجليزية مشتقة من الاتصال. أما المتبِّلات، فلم يتبين لي ما أراد بها، إذ المعروف في العربية أن تبَّل الطعام: وضع فيه تابلا[3]، ولم أجد لهذه المادة معنى آخر، إلا أن تكون معرَّبة، أو مشتقة من كلمة من العامية المغربية، أو مستعملة استعمالا مجازيا، حقيقته تشبيه الإسلام والعروبة والمزوغة بالتوابل للهوية المغربية، وإن كان ذلك لا يستقيم؛ فإن التوابل مواد تصلح الطعام، وهي زائدة عليه، ووجودها فيه مكمل، والإسلام والعروبة والمزوغة هي أصول الهوية المغربية، وليس لها معنى دونها. واستعمال اللغة على هذا الوجه من أسباب كثير مما يقع في كلامه هو وأمثاله من الغموض، فهو يستعمل العربية لغة ثانية، ويحذوها على لغة أخرى، ويترجم إليها منها ترجمة ذهنية، ولو كان القارئ يوافقه في معرفة تلك اللغة، لكان من اليسير عليه أن يفهم ما أراد، برِدِّ كلامه إلى أصله. ويتضح هذا من قوله: «لا بد من الوقوف أولا عند مقصدية هذا العنوان، وتفكيك الدوالِّ المشكِّلة لنسيجه»[4]. فالـ«مقصدية» تغني عنها «قصد»، و«مقصد»، و«معنى»، فالقصد مصدر أصلي، ومقصد ومعنى مصدران ميميان دالان على المراد، من

(١) اللغة العربية في المغرب إلى أين؟.

(٢) السياسة اللغوية، ٦ وما بعدها.

(٣) المعجم الوسيط، (ت ب ل).

(٤) اللسان العربي وإشكالية التلقي، ٩٠.

غير حاجة إلى المصدر الصناعي الذي لا يدل على معنى زائد على ما تدل عليه المصادر الثلاثة، هذا إلى أن في «القصد»، و«المقصد»، و«المعنى» من الوضوح ما ليس في المقصدية، وهي التي جرت العادة باستعمالها في هذا المعنى. والمراد بالتفكيك التحليل، والتحليل هو الكلمة المعهودة في هذا المعنى، والعدول عنها إلى كلمة قد يكون في القراء من لا يعرفها بهذا المعنى، من غير أن تكون لها مزية في نفسها، في هذا السياق، مخالف للغة العلم المبنية على توخي الوضوح. وكذلك «الدوال»، و«المشكِّلة»، فإن معنى الدوال الألفاظ، ومعنى المشكلة المؤلفة، والعدول عن المعهود إلى غير المعهود سبب من أسباب غموض المراد. أما «النسيج»، فمجاز، لا يؤدي ما يراد من المجاز، في العادة (الإيضاح والتقريب والتأثير)؛ لأن اللفظ كله زائد، ويغني عنه الضمير العائد إلى «العنوان»، هذا إلى عدم التناسب بين المعنى واللفظ المستعار له. ولو أنه جعل العبارة هكذا: «لا بد من الوقوف عند هذا العنوان، لتحليله، وبيان معناه»، لكان أوضح، وأوجز، وأسلم مما أُخذ عليه. ومثل هذا ما في كلامه وكلام غيره من أهل المغرب العربي، من الفضول، كقولهم: المكون التركيبي، والمكون الدلالي، والمكون الصوتي. ففي هذه العبارات وما شاكلها يتجلى ورم الألفاظ في لغةِ مَن لا يجيدون العربية، فلو اكتفى بالتركيب، والدلالة، والصوت، لكان المراد بيِّنًا، وسَلِمَ من هذه الزيادات التي ما لها من فائدة سوى إيهام القارئ أن تحتها ما ليس تحتها. وكذلك قوله: «اللغة الفصيحة أو المعيَّرة تمثل لغة الهوية الإصهارية، ولغة التعليم والتربية»[1]. فإن المرء الذي لا يعرف إلا العربية، إذا قرأ هذا الكلام خيل إليه أنه يعني أمرا، لا يعرفه؛ لأنه ما سمع قبل هذه ولا رأى «اللغة المعيرة»، و«الهوية الإصهارية»، فإذا علم أن «اللغة المعيرة» و«اللغة البينية»[2]، هما اللغة الفصحى، وأن «الهوية الإصهارية»، تعني الهوية الجامعة، علم أنه يريد أن اللغة الفصحى هي اللغة المستعملة في مقامات الجد، كالتربية والتعليم، وأنها هوية جامعة. وهذا من المسلمات التي لا يُخبَر بمثلها، ولا سيما إذا كان الكلام مكتوبا للمخصين في اللغة وعلومها. وتسمية الفصحى

---

(١) اللغة والبيئة، ٤٧.

(٢) السابق، ٤٧.

اللغة المعيارية، إن كان لا بد من العدول عن الاصطلاحات العربية العريقة الواضحة، أولى من تسميتها لغة معيَّرة، فإن لفظ «معير» غير شائع، وأقل الناس من سمعه، وهو إلى ذلك لا يزيد على ما تدل عليه «اللغة المعيارية». وكان يحسن به أن يسهِّل على القارئ فهْم هذه البديهيات المسلمة، بأن يخاطبه باللغة التي يعرف، ويتنكب اللغة التي ليس فيها ما يغري باستعمالها. على أن له عذرا، فهو يترجم من الفرنسية والإنجليزية ما يكتب بالعربية، وهو صاحب نظرية في ترجمة الاصطلاح، علمنا أنها ترى أن الترجمة يجب أن تكون للمنطوق دون الماصدق. وهذا مما حمله على العدول عن «التنصير» إلى «التمسيح»[1]، وإن لم يكن أولَ من استعمله بهذا المعنى من المحدثين؛ لأن «التمسيح» هو الذي يترجم منطوق christianisation / christianization، وهي مشتقة من Christ (المسيح -عليه السلام-)، أما «التنصير»، فتترجم الماصدق، وإن كانت سابقة للإنجليزية والفرنسية. ولما كان اللفظ الدال على «النصرانية» عند الفرنسيين والإنجليز هو christianisme / christianity، وهو منسوب إلى «المسيح»، اشتُقَّ من «المسيح» مسَّح تمسيحا، كما تشتق الفرنسية والإنجليزية من Christ christianiser وChristianize / christianisation وchristianization، وتنكَّب اللفظ العربي (النصرانية)، وما يشتق منه (نصَّرَ تنصيرا). والمعروف في التراث الإسلامي هو نصراني، وجمعه نصارى، وهو الذي ورد في القرآن الكريم: ﴿ولتجدنَّ أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى﴾، واسم الديانة النصرانية. والنصراني منسوب إلى الناصرة، وهي المدينة التي نشأ فيها المسيح -عليه السلام-، وكان يقال له في كتب النصارى يسوع الناصري. وإذا كان من المقرر أن لا مشاحة في الاصطلاح، فإن الخروج عن اصطلاح عريق إلى آخر محدث لا تستبين دواعيه، وهو -في أحسن الأحوال- كخروجه عما هو معهود من مفردات العربية إلى ما ليس بمعهود، على غناه عنه، بما هو أصحُّ منه، وأعرق، وأخف لفظا، وأشد إبانة عن المعنى. مع أنه -إذِ استعمل «التمسيح»- لم يكن يترجم، أو يعرض رأي غيره، ولكن لما كان الإنجليز والفرنسيون كذلك يقولون أحب أن يوافقهم فيما يقولون، بترجمته ترجمة حرفية.

---

(١) انظر: أزمة اللغة العربية في المغرب، ٧٦.

وإذا نُظِرَ إلى القضية من جهة دلالة اللفظ، كان مقتضى ظاهر النسب إلى المسيح أنه نسب متابعة، أي إن النصارى يتابعون المسيح فيما جاء به، وهو يخالف النصوص الإسلامية التي تقول إن المسيح ابن مريم، وأنه (رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه)، وأن الله (لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحدا)، وأن من اعتقد أن المسيح هو الله، أو ابنه كفر: (لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح بن مريم وقال المسيح يا بني إسرائيل اعبدوا الله ربي وربكم إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار وما للظالمين من أنصار)، (وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله ذلك قولهم بأفواههم يضاهئون قول الذين كفروا من قبل قاتلهم الله أنى يؤفكون). وإن كان من المؤكد أن إيثار عبد القادر «التمسيح» على «التنصير» لا يدل على رأي يراه في النصرانية، وإنما هو لفظ يتابع فيه ما وجد في دارج الكلام، من غير أن ينظر في دقته، وما يمكن أن يُفهَم منه، ولا في مسوغات العدول عن غيره إليه. وهذا أثر من آثار الترجمة الحرفية التي تجلب إلى الناس ثقافة غيرهم من حيث لا يريدون ولا يحتسبون.

ومن عدوله عن المعهود إلى غير المعهود، عدولا يلبس قوله: «في خَرْقٍ واضح لمبدأ التُّرابيَّة»[1]، فإن «مبدأ الترابية» غير واضح، وقد فسره في موطن آخر من الكتاب، بأنه «جعْل اللغة الوطنية سيدة في أرضها، على ترابها»[2]، وهذا لا يُفْهَم من العبارة السابقة؛ فإن «المبدأ» في اللغة: مصدر ميمي، بمعنى البداية، واسم مكان من «بدأ»، ويستعمل في العربية المعاصرة بمعنى العقيدة، والأصل الذي يبني عليه المرء فلسفته في الحياة، وهو ترجمة حرفية لـprincipe / principle. وإذا كان المعنى الأخير هو الأقرب إلى المراد، كما يبدو من السياق، فإضافته إلى «الترابية» لا يتضح معناها من اللفظ، ولا يتضح المراد بالترابية؛ لأن التراب في اللغة: وجه الأرض، و«مبدأ وجه الأرض» ليس من العبارات المعهودة في العربية، وليس في كلامه ما يدل على أنه يريد به الوطن، إلا أن يكون مستعملا بمعناه في المغرب، أو ترجم به كلمة فرنسية،

(١) السياسة اللغوية والتخطيط، ٥٤.
(٢) السابق، ٦١.

تستعمل مجازا بمعنى الوطن، وفي ذلك من المحاذير ما لا يخفى: استعمال الكلم العربي استعمالا عاميا، أو بمعنى الكلم الأعجمي. وفي هذا خرق لوظيفة اللغة، وهي أنها رموز تتواضع على معانيها فئة من الناس؛ لتتخذها وسيلة للتواصل، وإخراجها عما تووضع عليه، وجعْلها ملكا لفرد، يواضع نفسه على ما أراد منها، ويستعملها كيف شاء، يبطل وظيفتها الأولى، وهي التواصل. ومن هذا استعماله «الوسم» في معنى الاسم، في قوله: «لوسْم المولودات الجديدة»، و«المولودات» تسمَّى ولا تُوسَم؛ إذ الوسم وضع علامة على الدابة، تُميَّزُ بها، ويكون ذلك بحديدة تُحمى في النار حتى تحمرَّ. والدواب لا توسم حين تولد، وإنما تترك حتى يشتد جسمها، ويقوى على تحمل الكي، ويخشى عليها أن تُسرَق، أو تختلط بغيرها، فلا تتميز منه. ويبدو أنه فرَّ من الحقيقة (التسمية) إلى المجاز، فوقع في هذا الخطأ، أو توهَّم أن التسمية والوسم مترادفان. واستعماله «الأعراض» بمعنى المفهومات، عنوانا لمقاله: «عشرة مفاهيم- أعراض لتقويم الشأن اللغوي بالمغرب»[1]، فإنَّ وضْع الشرطة بين «مفهومات» و«أعراض» يشعر بأنهما مترادفتان، وهو ما يفهم من سياق كلامه، فضلا عن أنه مما يجعل الشرطة بين الكلمتين المترادفتين. والأعراض جمع عَرَض، وهو ضد الجوهر، أي المعنى الذي يقومٍ بغيره، ولا يكون له وجود مستقل عنه، كاللون، والطول، إلخ. والمفهوم: ما دلَّ عليه اللفظ، عرَضا كان أو جوهرا. وربما أراد بالأعراض العُروض، جمع عَرْض، فيكون المراد أن المفهومات العشرة التي سيتحدث عنها في مقاله هذا عروض يعرضها على المغاربة. بيد أن الشائع في العربية قديما وحديثا أن يُجمع العَرْض على عروض، لا أعراض، وإن كان جمعه عليه صحيحا، أما ما يُجمع على أعراض، فعَرَض، وعِرْض، والعدول عن المشهور إلى غيره يلبس، إلا إن كان هذا الجمع هو المشهور في المغرب، كما أن المشهور فيه جمع «بنك» على «أبناك»، بدلا مما هو مشهور في المشرق العربي من جمعه على «بنوك»، وهو القياس. واستعماله الخرجنة ترجمة لـ (externalization)، والخرجنة غير واضحة المعنى، وقد ترجم منير البعلبكي

(١) عشرة مفاهيم، ٢١

هذه الكلمة بالتجسيد[1]، ويمكن أن تترجم أيضا بالتمثيل، من «مثَّل» بمعنى صوَّر، كقول المتنبي:

مثَّلْتِ عينكِ في حشاي جراحةً، فتشابها، كلتاهما نجلاء

ومنه قول الله تعالى: (فتمثَّل لها بشرا سويا). وهذه الكلمة -فضلا عن غرابتها- ليست مما يقبله الذوق، غير أن نظائرها كثيرة في لغته. واقتراحه أن تستعمل «رجائع» بمعنى هفوات ترجمةً للكلمة لـ drawbacks[2]، مع أن العلاقة بين «الرجائع» و«الهفوات»، وهي سقوط مجازي، غير بينة، إذ الرجوع عكس الذهاب. وقد ترجمها منير البعلبكي بالمتدارَك، وفسره بأنه مال يُرَدُّ بعد دفعه[3]. وعدوله عن «التوطين» إلى «التبييء»، كقوله إن العربية «لم تعد مبيأةَ التبييء السليم الكافي»[4]، يعني أنها ليست موطَّنة في بلادها، أو لم تُنزَل في وطنها المنزلة التي هي أهلها. والتبييء مشتق من البيئة، وخير منه «التوطين»، وأدلُّ على المراد؛ إذ البيئة خاصة، وأكثر ما تدل على المكان وما يكون فيه من غير البشر، وتعني في اللغة: المنزل، والتوطين من الوطن، وهو عام، ويدل في الاستعمال الحديث على المكان بحدوده السياسية وما فيه من البشر الذين تربطهم روابط تاريخية، وقيم، وحضارة، وشعور بوحدة المصير. وهو يستعمل «التبييء» و«التوطين» بمعنى[5]، ومعنى ذلك أن أحدهما يغني عن الآخر في الدلالة على المراد، فاستحداث لفظ ليست له مزية في نفسه، والعدول إليه عن اللفظ الصحيح المرتضى الذي يتداوله العرب جميعا، لا مسوغ له، ولا سيما إذا كان اللفظ المستحدث محذوا على لفظ فرنسي (localisation)، ولا يستعمل إلا في المغرب العربي منذ أعوام قليلة، وأقل العرب من يعرفه، وليس له من الفائدة إلا أنه يزيد في المعجم العربي كلمة، هو في غنى عنها. وكذلك عدوله عن «المداخل» إلى «الدَّخَلات» ترجمة لـ lexical entries بمعنى المداخل المعجمية[6]، مع أن «المداخل» هي الكلمة الصحيحة، لما تدل

---

(١) المورد، ٣٣٠.

(٢) أزمة اللغة العربية في المغرب، ٩٣.

(٣) المورد، ٢٩٣.

(٤) السياسة اللغوية، ١٢.

(٥) انظر مثلا: أزمة اللغة العربية في المغرب، ٧ و٩١.

(٦) أزمة اللغة العربية في المغرب، ٢٨.

عليه من اسم المكان، أما الدخلة فاسم مرة، فالفرق بينهما كالفرق بين النظرة والمنظر. وقد اصطلح الباحثون على «المدخل»، وشاع فيما يكتبون، وهو لفظ مبين عن المراد، موافق لقواعد الاشتقاق في العربية؛ فمن غير المقبول أن يشاقَّ بـ«الدَّخْلة»، مهما تكن وجاهة الاختيار، ومهما تكن مكانة مولِّدها. ولو جرت الأمور على هذه الشاكلة، لبطلت وظيفة اللغة الاجتماعية، وصار لكل امرئ أن يعيد النظر في ألفاظها كل يوم، بحق أو بغير حق[1]، و«الاجتهاد لا يُنقَض بمثله»، وما ينبغي أن يغير الاصطلاح لشهوة التغيير[2]. ولكن ذلك هو مذهب عبد القادر الفاسي الفهري، يصوغ اللفظ كيف شاء، ويستعمله بالمعنى الذي يشاء، وليس له مرجع في العربية سوى نفسه.

ومن هذا عدوله عن «في» والباء إلى «عبْر»، كقوله: «الانغماس عبر الهوية»[3]، أي في الهوية، وقوله: «والميز في الفرص عَبْر الميز في ولوج المدارس الفرنسية»[4]. وكان أخف من هذه العبارة وأوضح أن يقول: والتمايز في الفرص بالتمايز في دخول المدارس الفرنسية. ولكنه إغراب يصطنعه بعض أهل المغرب العربي كما كان بعض القدامى يصطنعون الإغراب بالوحشي من الألفاظ، وإن كان القدامى يصطنعونه تعالما، ويصطنعه أهل المغرب تأثرا بالفرنسية، أو تعالما بها، بتعمد الحذو عليها، أو جهلا بالعربية. وقد يستعمل «عبر» استعمالا، يتعذر فهْم المراد منه، كقوله: «ولأن اللغات كثيرة ومتنوعة، ولأن تعليمها الناجح يحتاج إلى تربية جديدة تأخذ بعين الاعتبار مناهج تعليمية اللغات المتجددة didactics، عبر الكفايات المتعددة والعَبْرية transversal»[5]. ويبدو أن «العبرية» نسبة إلى «عَبْر»، وهو كلام لا يتضح معناه، وربما كان فهم transversal، وهي مرادفها الفرنسي، أيسر من فهمها. واستعمال «عبر» بهذا المعنى في العربية الحديثة، ولا سيما عربية المغاربة كثير، وهو أثر من آثار الفرنسية والإنجليزية، فإن via وtravers تترجَمان إلى العربية المعاصرة بـ«عبْر»،

---

(١) الترجمة وتطوير العربية، ١٠ وما بعدها.

(٢) أربعون عامًا مع المصطلح من البطاقات إلى الحَوْسَبَة.

(٣) مجلة عالم التربية في حوار مع الباحث الأكاديمي الدكتور عبد القادر الفاسي ٢٠.

(٤) السياسة اللغوية والتخطيط، ٥٠.

(٥) عشرة مفاهيم، ٢٥.

فيقال في: I traveled to Egypt via Rafah»[1] -مثلا-: سافرت إلى مصر عبر رفح. والعِبر والعَبْر -في الفصحى- شطُّ النهر، وشاطئه[2]، ومنه قول النابغة الذبياني:

وما الفُرات إذا جاشتَ غواربه، ترمي أَواذيُّه العبرين بالزبد

ولكن مجمع القاهرة خرَّج «عبر» في العربية الحديثة على أنها «ظرف حل محل المصدر»، وأعربه حالا[3]. واستعماله «ضدًّا على» بمعنى: «ردًّا على»[4]. والضد في العربية: العدو، والمخالف، والمنافي، وهذا الأسلوب ليس بعربي، وإنما هو ترجمة حرفية لـ contre / aginst. وتسميته النفعية «الذريعيات»[5] ترجمة لـ pragmatisme /pragmatism ، والنفعية هي التسمية العربية المشهورة في الدراسات الفلسفية، وهي واضحة المعنى، فإن أبى إلا المادة التي اختار لها، فكان ينبغي أن يسميها الذرائعية، كما يفعل بعض المغاربة، أو الذريعية، إن أحب أن ينسب إلى المفرد، كما هو الأصل في العربية، أما الذريعيات، فمحذوة على «اللسانيات»، و«اللغويات»، وليس لها معنى في العربية؛ لأن الشيء لا ينسب إلى نفسه.

ويتسم بعض اصطلاحاته بالغموض، والغرابة والتنافر، وعدم تحري موافقة الأوزان العربية؛ لأنها منحوتة من كلمات عربية وأخرى أعجمية، على ما يكون في ذلك من المسخ الذي قد رأينا جانبا منه، وهو عمل غير مستساغ، وخير منه إدخال الاصطلاح الأعجمي ريثما يُهتدَى إلى لفظ عربي صالح لأن يُسْتَبْدَل به. وبعضها مشتق اشتقاقا لا يتضح أصله. ومن حرفيته في ترجمة الاصطلاح أن يبقيه منحوتا أو مركبا كما وجده في اللغة التي يترجمه منها، بالغا ما بلغ من الطول والثقل والتنافر، حتى لقد يتألف من ثلاث كلمات، ويكون مع ذلك خلاسيا، مثل: ميكروسوسيولسانيات، ميكروسياق، ميكرو قطعة، ميكروتعليم، ميكرومهارة، ميكروصوتية[6]. والترجمة الحرفية ليست هي الطريقة الوحيدة

---

(١) الترجمة إلى العربية وأثرها في الأخطاء الشائعة، ٢٢٥.
(٢) كتاب النوادر، أبو مسحل، ١/ ٥.
(٣) القرارات المجمعية في الألفاظ والأساليب، ١٤١.
(٤) السياسة اللغوية والتخطيط، ٥٠.
(٥) اللسانيات واللغة العربية، ٢٣٢.
(٦) معجم المصطلحات اللسانية، ١٩٥.

لترجمة اللفظ الأعجمي إلى العربية، وإنما وراءها إعادة التسمية، وهذه إما أن يلاحظ فيها المعنى الأصلي أو بعضه، وإما أن يلاحظ فيها شيء منه[1]. وكان بعض أعضاء مجمع القاهرة يرون أن ترجمة الاصطلاحات تخرج المجمع عن مهمته، وتجعله مترجما، وخير منها وضع كلمة عربية خالصة، وألا يصار إلى الترجمة إلا عند الضرورة[2]. غير أن هذا ونحوه إنما يفعله من يفقه العربية، وله طول نفس في البحث، ومن يتوخى الاصطلاحات العربية الأصيلة، فمن لم يكن كذلك أدخل، وترجم كيفما اتفق ترجمة حرفية، كما فعل تراجمة السريان، إذ أدخلوا في العربية كل لفظ يوناني غريب، ضامَوا به العربية، ولم يبلغوا ما أرادوا من نقل علم اليونان وفلسفتهم إليها.

ووصف عبد القادر منهجه في وضع الاصطلاحات بأنه يتميز بالجرأة الضرورية، وأنه لم يتبع الطرق المألوفة في وضع الألفاظ المطلوبة[3]. بيد أنها ليست بالجرأة التي تُحمَد، أما أنها ضرورية، فقد علمنا أن لكثير مما يستعمل ألفاظا واصطلاحات تغني عنه، وليس له في الاصطلاح من جهْد سوى الترجمة الحرفية، وهي أقصر الطرق وأيسرها؛ من أجل ذلك كانت نتائجها من الغرابة والتنافر بحيث يعسر فهمها، ولا يتقبلها الذوق بسهولة، فضلا عما فيها من اطراح الاصطلاحات العريقة، وما يستتبع ذلك من سلبيات. ومبنى ما سماه جرأة على ما يرى من أنه لا «لغة ناموسية» منسجمة، تخضع لقواعد «صارمة سكونية»، وتحدد علائق بين العبارات ومعانيها غير قابلة للتغيير، فهذه النظرة «المتحجرة والمتسلطة» إلى نظام اللغة، ليست بموضوعية، وهي وليدة عقيدة أقلية من النحاة المتشددين، ينشدون سلطانا إصلاحيا، يمكِّنهم من تطهير اللغة، وإصدار قرارات لمتكلميها يعملون بها، ومن العادة أن يعرف متكلمو اللغة الحية قواعدها دون أن يُلَقَّنوها، ودون أن يُخِلُّوا بخاصيتها التوليدية والإبداعية. ولا يمكن لغويا أن يقف استعمالات اللغة، دون أن يحرمها من أن تكون في خدمة متكلميها، ويحرم متكلميها من خدمتها لتصير نافعة وقوية. «وقد آن

---

(١) مجموعة الخطب التي ألقيت في حفة نادي دار العلوم، ٣٢ (الوضع اللغوي في الفصحى المعاصرة، ٩٤).

(٢) العربية والحداثة، ٤٨ وما بعدها.

(٣) معجم المصطلحات اللسانية، ٧.

الأوان أن يهدأ من ينصِّبون أنفسهم رقباء فرديين على متكلمي اللغة، أو يَدْعُون إلى إنشاء محاكم لسانية، تَبُتُّ في الأخطاء اللغوية»[1]. وقال في موضع آخر: «النحاة الناموسيون أو المعياريون والتقليدانيون الذين لا يدينون إلا بالنقل عن الموتى وسماعهم، يكثرون من القواعد، ومن تخطيء الناس، وتحجير اللغة في قوالب وأنماط مسكوكة، ويضيِّقون على من يريد استعمال اللغة بدون قيود كابحة، أو تقعيد مفرط، وينفِّرون الناس منها؛ فيساهمون في تخليهم عنها وإماتتها بالتدريج، مع أنهم يدَّعون الحفاظ عليها والدفاع عنها، وهم في الغالب يدافعون عن أنفسهم ومنافعهم؛ لأن حياة اللغة وحيويتها وانتشارها وحب الناس إياها أمور، لا تشغلهم كثيرا، وهي تنافي القيود المفتعلة»[2]. ويبني على رأيه هذا أن ما شاع من استعمال اللغة، ولو كان خطأ، هو الحي، و«لغة الحياة»، ويسمي النصوص التي تستعمله النصوص الحية، على ما يكون من ضعف مستعمِلها وخطئه، وقلة علمه بما يتكلم به، ويسمي ما عداها ميتا، ويُسمِّي العربية الفصحى الأصيلة اللغة المهجورة المسكوكة[3].

ولا جديد في هذا سوى ما نحله من منطق العلم، وادَّعى له من الحداثة، وأوهم قارئه من إرادة التحرر من أسر التقليد. وإذا حُلِّلَ لم يُلْفَ تحته سوى التملُّص من اللغة وقواعدها؛ ليرفع عن نفسه حرج ما يقع فيه من أخطاء، ليس من العادة أن يقع في مثلها المتعلمون، ولا سيما المخصين في علم اللغة. وهو أمر تُعرَف نظائره ممن يشعرون بعقدة الذنب من قلة العلم بالعربية، ولا سيما المخصين في اللغة والأدب، في هذا العصر، وهم فئة تتكاثر، ويعلو صوتها كلما عظُم جهلها، وبدا للناس منها ما لم يكونوا يَحتَسبون، وبان تناقض واقعها والمثال. وقد أوسع الدكتور محمد الأوراغي عبد القادر انتقادا فيما قال في هذه القضية، وجرَّد كلامه مما نحله من العلم، ونسبه إلى التقليد الذي نزَّه عنه نفسه، ونبز به غيره، وبتزييف حقائق علم اللغة لمآرب خاصة، كقوله إن السلطة التي أثبتها دو سوسور لكل لغة بشرية، من حيث هي ظاهرة اجتماعية

(١) اللغة والبيئة، ٤٧ وما بعدها.
(٢) السياسة اللغوية، ٤٠.
(٣) أزمة اللغة العربية في المغرب، ٢٤ و٥٥.

ليست بموضوعية، وإنما هي وليدة عقيدةٍ أقليةٍ من النحاة المتشددين، ينشدون سلطة تصحيحية[1]. وقال إنه هو وأمثاله من المشتغلين بعلم اللغة يخلطون بين إصلاح اللغة وتقويم اللسان، فيعتقدون أن سبب قلق العبارة واضطرابها، وفشو اللحن في الكلام وانتشاره، وفهاهة الناس وقصور بيانهم، خلل في العربية، يجب إصلاحه. ويسقطون عجزهم على العربية، ويتهمونها بالعي والتخلف عن أهلها التواقين إلى الانصهار في عصر، صنعه غيرهم، بدل أن يفكِّرُوا في أساليب تقويم لسان المتكلم وتثقيفه، كأنما يعدُّون اللغة جهازا، يبرمجه المتكلم ليلا، فإذا استيقظ صباحًا، فلم يظفر منه بما أراد، خال أن بالنظام خللا، يجب التعجيل بإصلاحه[2]. وكان العقاد قد قال قريبا من هذا في بعض أهل زمانه: «عرف الناطقون بالضاد قديما أنها أفصح اللغات، وكاد الفخر بها أن يتمادى إلى إنكار الفصاحة على سائر اللغات. وجاء عصر الترجمة الحديث، فرجعنا إلى نقيض ذلك الفخر، فكاد العجزة من المترجمين أن يحيلوا عليها عجزهم، فيهبطوا بها من طبقة اللغات إلى طبقة الرطانات التي حَقَّ عليها الركود، وسوف يَحِقُّ عليها الدثور والنسيان»[3]. وانتقد عليه مذهبه في التعدد اللغوي بالمغرب، وقال إنه مخالف لما انتهى إليه علم اللغة، ولَمَّح إلى أنه هو الذي أدناه من الحكومة المغربية، وبسببه وَكلت إليه من أمر اللغة بالمغرب ما وَكلت، وكان ذلك بإيعاز من محمد معموري[4].

وأجدر اللغات بأن يسمى مسكوكا اللغة التي يكتب بها مَنْ لا يعرفها، وإنما يحمل نفسه عليها حملا، ويطمع أن يواتيه منها ما لم يتعلَّم، كما يواتي العالمين والذين يتكلمون بها عن سليقة، وهي ما بين مترجَم عتيد، ومحذوٍّ على لغة أجنبية كما يُحْذَى النعل على النعل. ومما هو مسكوك منها هذه العبارة «اللغة المسكوكة»، و«العبارات المسكوكة»، فإنها بالفرنسية (les expressions figées)، وهو يرددها بلفظها في مواضع كثيرة من كتبه. وهي لغة لا يفهمها إلا أصحابها، ومَنْ يعرفون مآخذها من اللغات الأجنبية، وهي قليلة الانتشار،

(١) التبعية اللغوية أساس التخلف الشمولي، ١٨ و١٩.

(٢) السابق، ٨.

(٣) أشتات مجتمعات، ١١٣.

(٤) التبعية اللغوية أساس التخلف الشمولي، ١٩.

محصورة في أهلها، وليس لها تأثير في الحياة؛ فتسميتها «لغة الحياة» غير دقيقة. وخلاصة ما يمكن أن يفهم من كلام عبد القادر هذا أنه يريد أن يُخلَّى بين الناس والعربية، يتصرفون فيها كيف شاؤوا، من غير أن يكون لهم من العلم بها ما يؤهلهم للتصرف فيها، وأن تُشرعَ «لغة الحياة» (العامية) لمن يستعملونها من الكتَّاب؛ لأنها هي ما يعرفون من العربية. ومن أباح له ما يكون منه من أخطاء وجب أن يبيح لغيره ما يستبيح منها، وإذا خُلِّيَ بين اللغة ومن لا يعرفها أفسدها، وأخرجها من ماهية اللغة القائمة على النظام، إلى الفوضى التي لا نظام فيها، وأجدر الناس بأن يرغب عن هذا من ينتسب إلى العلم، فإن من خصائصه التنظيم. وليس من دأب متكلم اللغة الحية أن يتصرف فيها عن غير علم بها، ولا على غير أصول من قواعدها، بل من دأبه أن يكون عالما بها بالسليقة، وأشد انقيادا لقواعدها ممن يتعلمها تعلما، وانقياده لها أمر يفعله عن غير وعي منه، وهو -بعدُ- مقتضى العرف والعقد الاجتماعي بينه وبين من يوافقه في اللغة، وإذا خرج عن العرف والعقد انتُقد عليه خروجه، وشُكَّ في أصالته وصحة انتمائه إلى أهل اللغة، وجُعِل محل تندُّر، وربما ظُنَّ بعقله سوء، ولكنه إذا اخترع الأسلوب، أو استعمل المفردة استعمالا، يدل على فقه باللغة، وحسنِ تصرُّفٍ فيها، أو اشتق اشتقاقا صحيحا موفَّقا، نال الإعجاب، وأُقرَّ له بالتميز، وشُهِدَ له بالبراعة، وكان محل إعجاب، وعدَّ حجةً في اللغة. وليس من المعهود أن تقدُر المجتمعات من يخالف لغتها، أو تُقرَّه على خطئه، فضلا عن أن تقلده فيه، أو تستحسنه منه، أو تعدَّ فعله حقا له، أو مبنيا على أصل من أصول اللغة، يُعذَر في البناء عليه. وهذا من أسباب ثبات اللغة، وقلة ما يدخلها من التغير، وتراخيه وخفائه. وهو قانون، تستوي فيه اللغات كلها، حيها والميت، وعاميها والفصيح؛ لأن المتكلم إما يعرف اللغة، فلا يخطئ فيها إلا سهوا، وإذا تصرَّف فيها تصرَّف تصرُّف عالم، وإما يجهلها، فإذا تكلم بها أخطأ، وإن لم يُرِد سوى المتابعة فيما هو ثابت من قواعدها، ومَن أخطأ في المتابعة، لم يكن أهلا للاستقلال. وليست حياة اللغة بالتي تجعلها نهبا لكل من أراد أن يتكلم بها، فإذا أخطأ لم يُعَبْ، وإذا تصرف فيها تصرَّفَ كيف شاء، دون اعتداد بقواعدها. وإنما ذلك دأب ثلة من لغويي العرب مع العربية

الفصحى خاصة، يبغونها عوجا، ليتكلموا -كيف شاؤوا- لغةً، لم يتعنَّوا في تعلُّمها، ويرون أنهم أكبر منها، فإما أن يُغَضَّ الطرف عما ينتهكون منها، وإما أن يعدوها لغة ميتة، ويصيروا إلى غيرها. ويرمون بالتشدد من يروم صونها، ويرون فعله مخالفا لسنن اللغات، ومَن خلَّى بينهم وبين ما يريدون بها، قتلوها، ومن رام صونها مما يفعلون، عدُّوا فعله مخالفا لطبيعة اللغات الطبيعية، فهل يُخلَّى بينهم وبين العربية يقتلونها؛ من أجل أن تكون لغة طبيعية؟. وعبد القادر الذي يريد أن يُنسَى نحو العربية، ليتكلم بها من شاء كيف شاء، فلا يلحَّن، يعلم أن في فرنسة -مثلاً- قانونا يعاقب مَن يُخطئ في الفرنسية في الإذاعة أو التلفزة أو المدرسة؛ لأنه يُفسد لغة الأطفال وغيرهم. فالقانون الفرنسي يحرم الخطأ في النحو، وتمضيه السياسة على المخطئ، ويُحرِّم الفهري وأمثاله على نحاة العربية أن ينتقدوا على من يُخطِئ في العربية! مع أنه يقرُّ بضعف المتعلم العربي في العربية، وضعف تعليمها، وضعف الوسائل المستعملة في التربية المرتبطة بها، وهو مما يترتب عليه ضعف اكتساب المهارات والمعارف، وضعف نتيجة التعليم عامة[1]. ويُقِرُّ غيره بأن مردَّ الأخطاء الشائعة في العربية، في الوطن العربي من أقصاه إلى أقصاه إلى ضعف التعليم عامة، وتعليم العربية خاصة، والسكوت على الخطأ، وتركه يستعلن ويتمدد في حجرات الدراسة، ووسائل الإعلام، دون إصلاح[2]. والتجني على الأولين، واتباع الهوى في الرغبة عن تعلم العربية، وما يتبعه من كثرة الخطأ فيها ظاهرة قديمة في التاريخ العربي الحديث، فقد قال مصطفى جواد في مقدمة كتابه «قل ولا تقل»: «عرضتُ ضربا من التجني على النقاد اللغويين قائما على الهوى، والدفاع عن ضعف الملكة اللغوية»[3]. فمن المتوقع -إذن- أن يغلب الضعف في العربية على كل من يتكلمها، أو يكتب بها، ممن درسوها في التعليم الرسمي في الوطن العربي. فكيف يُقبل خطؤهم فيها، ويُعد حجة يُحتجُّ بها، وسُنَّة تُتَّبع، وحياة للغة، وصواب غيرهم موتا لها؟.

(١) أزمة اللغة العربية في المغرب، موقع صحفي.
(٢) اللغة العربية ودورها في التشريع والقضاء.
(٣) قل ولا تقل، ١/ ٢٠.

واستعمال اللغة من غير تقيد بقواعد يتواضع عليها متكلموها، غير ممكن، ولو كان متكلموها امرأ واحدا ما تأتّى له أن يستعملها ما لم يواضع نفسه على قواعدها، ودلالة كلمها وأساليبها، من أجل ذلك كانت اللغات التي اصطنعها مخترعوها لأنفسهم دون الناس ذات قواعد؛ حتى يتمكنوا من استعمالها في البيان عما يريدون، ويتمكن من يقرؤها من فهم ما كتبوا. ولو قُدِّر إمكان أن تجرد اللغة من القواعد، لتعطلت وظيفتها الاتصالية، فغدا في وسع المرء أن يتكلم كيف شاء، كأن يستعمل الكلمة مرة بمعنى ومرة بآخر، ويجعل تجريد الأسماء من علامة التعريف مرة تعريفا، وتحليتها بها مرة تنكيرا، إلخ. وما يقول عبد القادر مباين لطبيعة اللغة، مباين لطبيعة اللغة الفصحى التي كان يتحدث عنها، فمعنى أنها معيارية أن لها قواعد، ما وافقها كان صوابا، وما خالفها كان خطأ، وبمقتضى هذه القواعد ينبه من يتكلم بها على أنه خالف «ما تواضعت عليه الجماعة اللغوية»، ومن بَيَّنَ له ذلك فإنما يحاكمه إلى القواعد التي يقضي تكلُّمه باللغة أنه تعهد أن يلتزمها، واللغوي، إذ يُخطِّئُه، لا يخطِّئه تجبرا، أو تسلطا، أو تشهيا لتخطيئه، أو لعقيدة يعتقدها، والقواعد التي يحاكمه إليها ليست من صنعه، وإنما هي قواعد، تواضعت عليها الجماعة اللغوية التي ينتمي إليها المتكلم، وعمله لا يتعدى وصف ما تقبله الجماعة وتتواضع عليه، وما لا تقبله؛ لأنها تواضعت على خلافه، وليس همه التحجير. وغاية التنبيه الحفاظ على ما تووضع عليه، وصونه من الخلل الذي قد تكون له آثار غير محمودة. والنقد اللغوي معالجة إصلاحية لمتن اللغة، غايتها ترقية الاستعمال، وصونه من الخطأ، بإبدال لفظ بلفظ، أو صيغة بصيغة، أو أسلوب بأسلوب(١)، وعمل الناقد، إذ ينبه على الخطأ، أو يُبيِّنُه، عمل وصفي بحت، كما أن تدوين قواعد كل لغة عمل وصفي لما تواضعت عليه جماعة لغوية، في مدة بعينها. ولو لم تكن هذه القواعدُ والمعايير، لما كانت اللغة «إصهارية»، أو «بينية»، ولا كانت توحيدية ومشتركة بين من يستعملونها، إذ كيف تكون كذلك وليست لها قواعد، يُتَّفَق عليها، وكل من تكلَّم بها تكلم كيف شاء؟ يجيب عبد القادر عن هذا السؤال بما يشبه التراجع عما قال في توحيد اللغة: «إن اللسانيين يتفقون على

---

(١) قضية التحول إلى الفصحى في العالم العربي الحديث، ١٢ (هامش).

أن المعيَّرة مفهوم افتراضي أمثلي (idealized)، يساعد على فرز نسقية اللغة، ولكنه لا يعكس إلا تجريديا واقع اللغة المعقد، وهو واقع يطبعه التنوع وعدم انسجام معطيات اللغة، فالتعبير له دور أساسي حينما يكون بمواضعات ومقاييس جماعية، وهو لا ينفي التنويع، وإن كان هذا يبدو من قبيل المفارقة»[1]. والتنويع لا يكون إلا فيما اتُّفِقَ عليه، وهو الذي سماه «مواضعات ومقاييس جماعية»، أما الخروج عن القاعدة، فخروج عن المواضعات والمقاييس الجماعية. وينبغي عدم الخلط بين التعبير الذي يعني التصرف في اللغة تصرفا يتقيد بقواعدها، عن علم بها، بحيث يفضي إلى إبداع وتميز من المستعمل، على الوجه المعروف في البلاغة، من التصرف الذي لا يتقيد بالقواعد لعدم المعرفة بها؛ فلا يفضي إلا إلى الخطأ الذي لا وجه له، ولا نفْعَ فيه، كأن يرفع الحال، أو يصوغ اسم الفاعل من الفعل المزيد على وزن فاعل، أو يبدأ بنكرة لا يفيد الابتداء بها؛ فيحول خطؤه دون أن تؤدي اللغة وظيفتها الأولى، وهي التواصل؛ فإنَّ مَنْ رفع الحال أفهمَ غير ما أراد، لما تعود الناطقون بالعربية الفصحى من نصبها.

ولا يخفَى ما في كلامه هذا من تحريف مقولات اللغويين عن مواضعها، فكل ما ينال اللغة من تغير، وعدم توافق، وكل ما تتصف به من تعقُّد، إلخ، لا ينفي أن اللغة المعيارية هي أوجُه من «اللسان»، تووضع على اصطفائها دون أوجه أخرى، والتزمتها طائفة من الناس في مدة بعينها، فهي لا تقبل مخالفتها أو الخروج عنها إلا بعد أن تألف ما يخالفها، بعد أن يشيع، ويُنْسَى غيره، فيغدو الذي شاع أقرب إلى ذوقها من الأصل الذي نُسِيَ، ويكون شيوعه وتقبله بمنزلة تعاقد جديد على اصطناعه مكان ما يخالفه، وإنما يقع ذلك ببطء شديد، وممانعةٍ، قد تطول. أما قوله إن من العادة أن يعرف متكلمو اللغة الحية اللغة وقواعدها، دون أن يكونوا قد لُقِّنوها، ودون أن يُخِلُّوا بخاصيتها التوليدية والإبداعية، أي: إن العلائق بين العبارات والمعاني ليست محصورة سلفا، بل هي مشتقة/ نائية، فإنما يصدُق على المتكلمين بالسليقة، ومتكلمو العربية الفصحى اليوم -ومنهم عبد القادر- لا يتكلمون منها بالسليقة إلا ما وافق العامية، ويتعلمون سائرها تعلُّمًا، وآية ذلك ما يقع في كلام عبد القادر من اللحن الكثير في نحوها

(١) اللغة والبيئة، ٤٨.

وصرفها ومعجمها؛ فينبغي أن يلتزموها كما يلتزم المرء اللغة التي يتعلمها، ولا يتصرفوا فيها إلا عن علم بما يتصرفون فيه، ويعلموا أن معرفتهم بها مزجاة، وبعضها لا يختلف كثيرا عن معرفتهم بما تعلَّموا من اللغات الأجنبية التي لا يجرؤ أحدهم على أن يخالف ما يجد عليه أهلها. فكيف إذا زيد إلى هذا أنَّ ما تعلَّمُوا من لغات أجنبية يؤثر فيهم، إذا تكلموا بالفصحى أو العامية، عن غير وعي منهم، كما تُدْخِلُ اللغة الضيم على اللغة إذا اجتمعتا في لسان؟. والعربية الفصحى بنحوها، وصرفها، وبلاغتها، ومفرداتها، وأساليبها، المدوَّنة في كتب النحو والصرف، والبلاغة، والمعجمات، وسائر كتب اللغة، المستعملة في القرآن والحديث، والأدب العربي، وكتب التراث العربي، لغة تعاقدَ علماء العرب، وأدباؤهم، ومثقفوهم، على أن يصطنعوها لمقامات الجدِّ، كما تعاقد عامتهم على اصطناع لهجاتهم لما وراء ذلك، وكل حيدة عنها، ومخالفة لها، خروج عن عقْد الجماعة، ينبَّه عليه، ويُحذَّرُ منه، ويُرَدُّ عنه إلى الصواب، وليس حقا لأحد، ما دام ملتزما ذلك العقد. وهذا ما يفعله غير العرب أيضا. ووجود صنفين من لغات اللسان (الفصحى والعامية) لا يعني حرية التنقل بينهما كيف شاءت قلة العلم بإحداهما، وإنما يعني أن يُلتزَم كل منهما في مقامه.

وقد كان جل النحاة الأولين يسلِّمون للعرب أيام الاحتجاج ثقةً بصحة سلائقهم، ولا ينتقدون عليهم ما يقولون، ولو لم يسمعوه من غيرهم، ويقولون إنه يجب أن يُعتقَد الصواب في كل ما نطق به العرب المأمون حدوث لحنهم بتغيُّر الطباع، ولو اعتُقد جواز الخطأ عليهم لم يوثق بشيء من كلامهم[1]، إلا أن يعلموا منهم تغيرا، يوجب أن يُحمل عليه كلامهم، إذا خالف المعروف من كلام العرب، كما غُلِّط الفرزدق في قوله:

همـا نفثا فـي فـيَّ مـن فمويهمـا عـلى النابـح العـاوي أشـد رِجـامِ

في جمعه بين الواو والميم في «فمويهما»[2]. ومن المعلوم بالضرورة عند المطلعين على التراث اللغوي ما كانوا يأتون في تأويل كلامِ مَنْ يثقون بعربيته من تكلُّف، إلا أن الحيلة إذا أعيتهم لحنوه، ولم يستثنوا من ذلك قرَّاء القرآن

(١) شرح التسهيل، ٢/ ٥٢.

(٢) تحصيل عين الذهب من معدن جوهر الأدب في علم مجازات العرب ٤٩٧، ومجالس العلماء، ٢٥١.

الكريم، ولا المحدِّثين، وإن كانوا يتفاوتون في ذلك[1]. ومَنْ لم يلحِّنْهُ منهم عدَّه من الشذوذ، وقصَرَه على السماع. وما يقع فيه الكتَّاب اليوم من أخطاء، لا يخرج عن واحد من أربعة: التأثر بلغة أجنبية، يعرف بعضهم منها ما لا يعرف من العربية، والتأثر بالعامية، والجهل بحكم ما يقعون فيه، وكثرة سماع الخطأ من وسائل الإعلام كثرة تنسي ما يُعلَم. ومن رام أن تُنْسَى هذه الحقائق اللغوية، أو تُتَجاهَل، فيعدَّ كل من تكلم بالعربية الفصحى مصيبا، وأهلا لأن يُعْتَدَّ بما يقول، فإنما يتجاهل حقائق ما يتكلم باسمه من علم اللغة: أن اللغة نظام غير واع، يتملَّكُ المتكلم بالسليقة، وأنَّ مَنْ تكلَّمَ لغة أجنبية، سقط إلى لغته منها، من حيث لا يدري، إلا أن يراجِع ما يقول، ويعرضَه -واعيا- على علمه.

ومن حلَّلَ كلام عبد القادر في هذه القضية، انتهى إلى أن ما وراءه هو الإعراض عن تعلم العربية، والأنفة من النقد والمؤاخذة اللذين يضعان المرء دون ما يضع نفسه، ويُظْهِرَان منه خلاف ما يحب أن يُظَنَّ به، وليس له مستند علمي؛ وآية ذلك ما قال في الاستغناء عن حركات الإعراب التي تسقط في الوقف: «فالتعقد الإعرابي له نتائج سلبية، تجعل الذي يتكلم بالعربية منشغلا بالتفكير في وضع الحركات الإعرابية عوض التفكير في هيكلة أفكاره وبنائها. وهناك عدم جدوى في بعض الحركات داخل الجذع (stem)، وخصوصا الأولى منها، فمنهم من نطق بِنية وقِمة بالكسر، ومنهم من نطقها بُنية وقُمة بالضم، ومنهم من قال حلَقة ودوَرة، بفتح عين الكلمة، عِوَض تسكينها، والتسكين أبسط في كل هذه الحالات، بل قد يكون أفصح، إلخ»[2]. ويبدو من موازنة رأيه برأي ميخائيل نعمية أنهما متوافقان في هذا الرأي: يذمُّ ميخائيل الإعراب وعلاماته، ويسخر منها، ويرى أن من الممكن أن يُستغنَى عنها كما استغنت عنها الإنجليزية، ويذم قواعد حركة عين الفعل المضارع الثلاثي، والإدغام، والإعلال، و«حتى»، وكتابة الهمزة، ويسميها طلاسم، ويرى أن العمر والطاقة أعز من أن يُستنفَدا في تعلمها، ويثني على العامية، ويقول إن عبقريتها أقرب ما تكون من عبقرية الإنجليزية، وأنها مثلها في إسقاط الإعراب، وعدم

---

(١) انظر: القياس في اللغة العربية، ٤٣ وما بعدها و٧١ وما بعدها و٨٥ وما بعدها.

(٢) أزمة اللغة العربية في المغرب، ٥٥.

تمييز صفات المذكر من صفات المؤنث، ويسمي العوامل الإعرابية وعملها والتذكير والتأنيث شعوذات لغوية، وأوزارا من أوزار الماضي، لا حياة للعربية بها، ولا بد من دفنها؛ فإنَّ مكان الأموات القبور، أما مكان الأحياء، فالأرض والسماء والفضاء، وفطنة القارئ تميز بالقرينة الفاعل من المفعول، والمذكر من المؤنث، فلا حاجة إلى التفريق بين حروف النفي والجزم، وخبر كان، واسم لعل، والممنوع من الصرف وغير الممنوع منه، ويمكن العامةَ أن تتفاهم دون هذه الشعوذات. ويقول إن العامة جماعة حية تترقى بتقدم الزمن، فلا بد أن تتغير لغتها، أما الفصحى، فتعانِد نواميس التغير؛ لأنها لغة أقوام، نزحوا عن هذه الأرض منذ مئات السنين، فأصبحوا في مأمن من مجاراة الزمن، ومقتضيات الأحوال[١]، أي إن العامة أحياء، ولغتهم مثلهم، والفصحى لغة أموات، وهي مثلهم.

والإعراب، وعوامله من أهم خصائص العربية، والنيل منه نيل منها، وهو مما يكسبها جمالها وإيقاعها، وإذا ذهب إيقاعها، فذهب شطر حسنها، ولم يبق لها كبير فضل على العامية، ولا ما يدعو إلى التعلق بها دونها، ولعل هذا من أسباب دعوة ماسنيون مجمع اللغة العربية بدمشق إلى إسقاطه؛ لما قد علم من أن إسقاطه إسقاط للفصحى. وكانت الحروف كلها تُنطَق في إنجليزية شوسر، ثم حذفت الحركة الأخيرة من الكلمات فيما كان مثل make، فزالت معها علامات الإعراب الظاهرة، وأصبح الترتيب بين الكلمات ثابتا من أجل القضاء على الغموض الذي نتج من ذلك[٢]، وكان من آثار ذلك ما قال ستيفن بنكر من أن الإنجليزية «تتصرف تصرفا فقيرا»[٣]؛ لأنها لو تصرفت على غير الوجه المعهود ما أبانت، كأن تقدِّم الفعل على الفاعل، أو المفعول على الفاعل، كما تفعل العربية، بسبب ما أتيح لها من إعراب، أتاح لها أن تقدم وتؤخر كيف شاء المعنى، فأتيح لها من البيان والدقة في الإعراب عما في النفس ما لم يتح لغيرها من اللغات. وليس الإعراب بالصعوبة التي يزعم

---

(١) في مهب الريح، ١٢٩- ١٣٢.

(٢) الغريزة اللغوية، ٣٢٠.

(٣) السابق، ٣٠٢.

عبد القادر وميخائيل، بل هو من أسهل أبواب العربية، ومن عجز عن تعلمه، أو استثقله، فهو عن تعلُّم ما سواه أعجز. غير أن مَنْ ضَنَّ على العربية بوقته يريدها تمرا، لا لغة من اللغات، يسهل منها ويصعب، ولا سبيل إلى معرفتها إلا بالتعلم. وأحسب أن ما يعرف عبد القادر وميخائيل من الإنجليزية والفرنسية أنفقا من عمريهما وطاقتيهما في تعلمه أكثر مما أنفقا في تعلم العربية. على أن قضية العربية ليست بقضية تيسير، ولا سهولة أو صعوبة، وإنما هي قضية قوم لا يريدون أن يتعلموها، ويريدون -مع ذلك- أن يبلغوا بها ما يبلغ العالمون. هذا إلى السياسة اللغوية العربية، وما فيها من إهمال وتفريط، والتعليم الذي يتكنَّفه الفساد، وليست له فلسفة ولا غاية سوى الحصول على الشهادة وما يتبعها من منافع مادية، في ثقافة المجتمعات العربية، والإيهام، في سياسة الحكومات التي ليست فيها واحدة تفكر في بناء دولة، تبقى بعد الرئيس، ثم الدعاية المغترضة والتشويه المتعمد الذي يتولاه الإعلام العربي عن قصْد، والدعاية الاستعمارية على ألسنة «المبشرين اللغويين»، والمأجورين من العرب وأقلامهم. ولو جُعلت العربية كما يريد كل من يستصعب شيئا منها، ما تُعُلِّمت، ولا رآها من يجتويها بغير العين التي يراها بها اليوم، ما دامت تُخرَج من الحياة، ويجعل المال والمناصب لمن يعرف غيرها، وما دامت السياسة العربية كما هي، وما دامت تدرَّس بالعامية، وتُقْصَر على ساعات العربية، وكل مقرر سواها يدرَّس بغيرها، وما دامت العامية واللغات الأجنبية هي لغة الإعلام والدعاية والإعلان، والعربية محصورة في الإعلام الصامت: الكتب، والصحف، والمجلات، وبعض نشرات الأخبار السياسية. كذلك تقول التجربة، فقد يسَّرنا النحو والإملاء، واتَّبَعْنا في تعليمهما من التشويق والتيسير ما في وسعنا، واتبعنا من الطرق أيسرها، وأوضحها، حتى أيقنا أن الطلاب فهموها كما أردنا أن يفهموها، إلا من كانت به علة عقلية، أو لوثة ثقافية، لا سبيل إلى علاجهما، ثم يتبين لنا من الغد أن ما أيقنَّا أنه فُهِمَ أمسِ كما شئنا أن يفهم، ذهب بالرياح، وأنا لم نصنع شيئا، وإنما كنا نرقم على الماء، ونقبض الريح، ونحسب أن في وسعنا أن نملأ الغرابيل من الماء؛ لأن مَنْ نُعلِّم لا يفكر فيما نريد: نريد أن نعلمه علما يبقى، ونكسبه مهارة تدوم، ويفكِّر فيما يجتاز به الامتحان، ويحصل على الشهادة،

وليس له أرب وراء ذلك، والحياة التي هي من صنع السياسة لا تحوجه إلى العربية، ويستوي عندها من يعرفها ومن يجهلها، وليس له من الوعي والهمة ما يحرِّصه على التعلم للتعلم، أو يعرِّفه قيمة العلم، أو يقبِّح في عينه الجهل، وقد صيغ عقله في صباه صياغة، لا ينفع معها وعْظ، ولا توجيه، ولا تسديد. كذلك قالت لنا أعوام طوال من التعليم، حتى أيقنا أنْ لا شفاء مما نعالج إلا بتقويض الثقافة النفسية الاجتماعية، وتغيير سياسة التعليم، تغييرا يأتيها من القواعد، وينسخها كما تَنْسَخ الثورات ما قبلها، وتستنبت مكانهما ثقافة نفسية اجتماعية، وسياسة تعليمية جديدتين، يتأتى معهما أن توجِّه الحياة وجهة جديدة. أما ما عدا ذلك، فتلفيق، وأمانٍ خادعات، يتسلى بها من لا يعرف حقيقة الداء، ولم يتعنَّ في علاجه ساعة، أو من يغالط في الحقيقة نفسه، ويسومها طلب المحال، فتطمع، ويتمنى على الله الأماني. من أجل ذلك نرى أن من الخير الإعراض عن الدعوات إلى التيسير، حتى تتهيأ البلاد والعباد للتعلُّم، ويوجَّه التعليم وجهة صحيحة، وتكون للعرب سياسة وطنية، تفكر تفكيرا غير تفكيرها الآن، فيرتفع الضغط المجحف، ويستفيق المخدوعون، ويُجرَّد من سلطانهم الذين يأتمرون بالعربية ليقتلوها، أو يفسدوها إفسادا يُذْهب كل مزية من مزاياها، ويجعل ذهابها وبقاءها سيين.

وللإعراب أربع علامات أصلية، تتبعها سبع علامات فرعية، وعوامل الإعراب معدودة وقليلة، وضبطها من السهولة بمكان، على المتعلمين جميعا، ولا سيما العرب الذين يعرفون أصولها بالسليقة. وليست علامات مجردة، وإنما هي علامات مُبِينَةٌ عن معان، ومُعِينَة على التصرف في الكلام تصرُّفا يجعله أقرب إلى ما يريد المتكلم. أما العوامل الإعرابية فلا يتأتى فقه العربية من غير معرفة بها. ومن تمرَّن عليها أياما معدودة، حذقها حذقا لا يحوجه إلى التفكير فيها عند التكلم، على الوجه الذي يقول عبد القادر، وإنما يفكر المرء إذا نسي المعنى الذي يريد، أو التبس عليه، أو نسي العامل، أما في غير ذلك، فليس في حاجة إلى التفكير، ولا التردد، إلا إن كان امرأ حديث عهد بتعلُّم. والرجوع بالعلم إلى أصول وقواعد مقررة أولى من السعي في نقضها انسياقا مع الهوى والكسل، فهما اللذان يزينان نقض الأصول، ويَعُدَّان إبطال القواعد أيسر من تعلمها.

أما الحركات غير الإعرابية، فجزء من الكلم وبنائه، ونظامه الإيقاعي، ووسيلة من وسائل تمييز الكلم بعضه من بعض، فقد تشترك الكلمتان في المادة، وتختلفان في الحركات، ولو أُسقطت، أو لم يُعن بها ما تبيَّن الفرق بينهما، كِفِرْقة، وفُرقة، وقِربة، وقُربة، وأسَد، وأُسْد، وأَسِد، وحسُن، وحسَن، وحُسْن، إلخ، وهي حروف من حروف الكلم، إلا أنها لا تثبت في تصاريف المادة ثبات الحروف، ومن الكثير ألا تكتب لوضوحها وتعيُّنها، وإذا أسقطت من النطق، أو غيرت، اختلَّ الكلم. ومن هذا بعض ما مثَّل به عبد القادر من الكلمات، فقد قال إن بعضهم نطق بِنية وقِمة بالكسر، ومنهم من نطقهما بالضم (بُنية وقُمة)، ومنهم من قال حلَقة ودوَرة، بفتح عين الكلمتين[1]. غير أن البِنْية بالكسر تختلف عن البُنية بالضم، صحيح أنهما تشتركان في الدلالة على «ما بُنِيَ»[2]، لكن البِنية بالكسر تدل على هيئة البناء، ومنه بنية الكلمة، أي صيغتها، وبنية المرء[3]، وأما البُنية، فما بُنِيَ. وأما القِمَّة بالكسر، فأعلى الرأس وكلِّ شيء، وبالضم ما يأخذه الأسد بفيه[4]. والتسوية بين الضم والكسر في الكلمة الأولى يسقط أشهر معانيها اليوم، ويحمِّل البُنية بالضم غيرَ ما تدل عليه، والعلم بما يدل عليه كل منهما يُنْزِلُ كلاًّ من الكلمتين منزلتها الصحيحة في العربية، أما التسوية بين الضم والكسر في القمة، فتسقط معنى القُمة، فضلا عن أنها غير صحيحة. والتفريق بين الضم والكسر ودلالة كل منهما هو ما يليق بالعلماء والمحققين، أما غيره، فمن شأن العوام الذين لا يفرِّقون ولا يبحثون، ويقتصرون على ما يخف على الألسنة. ومن المعلوم أن للعلماء كتبا، تسمى كتب المثلثات، تُعْنى ببيان معاني الأسماء الثلاثية التي في فائها ثلاث حركات، مثل: الغَمْر (الماء الغزير)، والغِمْر (الحقد)، والغُمْر (الجاهل)، والقَطْر (جمع قَطْرة)، والقِطْر (النحاس)، والقُطْر (العود الذي يُتَبَخَّرُ به)، منها «مثَلَّث قُطْرُب»، و«مثلث ابن السيد البطليوسي.» أما الحلَقة بالفتح فتختلف عن الحلْقة بالسكون، فالأُولى جمع حالق، مثل كَتَبة وكاتب، وحَمَلة وحامل، والثانية الدائرة، وفتحها من

(١) أزمة اللغة العربية في المغرب، ٥٥.
(٢) المعجم الوسيط، (ب ن ي).
(٣) السابق، (ب ن ي).
(٤) القاموس المحيط، (ق م م).

الأخطاء الشائعة. أما فتح الواو من «الدورة»، فمما لا يصحُّ قياسا، ولو فُتِحَت، وجب أن يُقلَب الواو أَلِفًا، لتحركه وفتْح ما قبله. ويجوز في لغة هذيل فتح الواو والياء في جمع المؤنث السالم، نحو عوَرات، وبيَضات، وهي لهجة، ما يسوغ استعمالها في العربية الفصحى، لغير ضرورة.

ومن التناقض أن يَرى عدمَ الاعتداد ببعض الحركات، ويفضِّل تسكين بعض، ويعدُّه أفصح من التحريك، ويعيب على المعجمات العربية ألا «تدخل في حسبانها ترتيب الكلمات باحتساب الحركات»[1]. والاعتداد بالحركات موجود في كثير من لغات البشر، فـ hell و hill و hall، و fill و full و fall، و pen، و pun، و pan، إلخ، إنما يفرَّق بينها بحركات الهاء والفاء والباء، التي يَرْمُز إليها e و I و a، و u، ولو جُعِلَت حركتها واحدة ما كانت إلا كلمة واحدة، فلما اختلفت الحركات كانت كلمات شتى ذات معان شتى. وقد قال ميخائيل نعيمة: «ولأنها (اللغة) من عظيم الأهمية حيث هي، فلا عجب أن يبالغ الإنسان في الحفاظ عليها وفي تنسيقها وترتيبها وصقلها وضبط معانيها، ثم في ربطها بالقوانين والقواعد، مخافة أن تتفكك أوصالها، وتضطرب مدلولاتها، وتتبلبل مقاصدها؛ فيتعذر التفاهم بها، وتضيع الغاية الأساسية من خلقها، وتصبح نقمة كبيرة بدلا من أن تكون نعمة عظيمة عميمة»[2]. وهذا ما ينبغي أن يكون العلماء والباحثون أحرص الناس عليه، وأنصبهم فيه، أما الدعوة إلى الاستخفاف بها، وترْك اللسان يَمْذُل بها كيف شاءت قلة العلم، وجعْل ذلك هو القاعدة التي يُعْتَدُّ بها، واللغة التي تكون كذلك هي اللغة الحية التي ينبغي أن يُعْنى بتدوينها، وما عداها فلغة ميتة، مسكوكة، ينبغي أن يرغب عنها، ولا يُحمَل أحد على تعلمها، فدعوة غريبة!

ولغته في «أزمة اللغة العربية في المغرب» لغة مترجِم، يجد صعوبة في الكتابة بالعربية، كما يجد كل امرئ صعوبة في الكتابة بلغة لا يعرفها، على ما تضمَّنَ الكتاب من دفاع عن العربية، وغيرة عليها، تملؤها الحسرة، كقوله: «ينأي المغربي اليوم عن تثمُّن منتوجه الثقافي ليتركه إلى الغير. لا محيد لنا

---

(١) أزمة اللغة العربية في المغرب، ٣٠.

(٢) في مهب الريح، ١٢٦.

عن الأجنبي الذي يثمن الشيء فنثمنه، ويبخسه فنبخسه، ينشئ «رياضاته» في أعرق حواضرنا وبوادينا لينقذها منا ...، نسعي حثيثين إلى الانفصال، أو الانفصام، الذي أوحى لنا به المستعمر أو الأجنبي، بل أوحت به ذاتنا المذبذبة غير المتمكنة ...، إننا نفضل الهجرة أو الاهتجار؛ لأن الغير أغرانا، ولأننا لا نقدر على تحسين بيئتنا التي نحيا فيها، نركب قواربَ تنقلنا ماديا أو معنويا إلي ضفاف الآخر، والآخر يسحرنا، لا نترجى شيئا غير أن نكونَهُ، ونستأجر ثقافته ولغته وقيمه. فقدنا القدرة على القراءة؛ لأننا غالبا أميون، فأصبح الأجنبي يقرأ فينا ما يريد، يُنَظِّر في شؤون لغتنا، ونحن لا نرى إلا برؤية الآخر. ولست أدري كيف سنقوِّم هذا الوضع الاستلابي العام الذي أصبحنا نحياه جميعا في أسرنا ومجتمعنا، وأصبحنا نشح حتى في الحديث العادي بدارجتنا المغربية أو بأمازيغيتنا، ناهيك عن فصيحتنا، فافْرَنْجَجَ لساننا في المخبزة، والمقهي، والقناة الأولى، والاجتماع بالجامعة أو الجماعة، إن لم يكن في بيتنا مع أطفالنا، متبركين بلغة موليير، علها توصلنا إلي بيئة أحفاده وديارهم ...، إننا ونخبتنا، إلا من شذَّ منها، لم نعد أصحاب هوية ثقافية، ومعرفية، وفكرية، ولغوية معهودة. إننا نتدرج لأن نصبح «بدون لغة» nilingue، وبدون هوية، أو بِدونيين»[(١)]. غير أن هذه الحسرة، وتلك الحرقة، بل اللوعة تشوبها لغة هجين، منزوعة الروح والهوية، غير مستقيمة في لفظها ولا معناها، وتذكِّر بـ«لغة موليير» أكثر مما تذكِّر بلغة التنزيل. ويُعْذَرُ لو كان ما يأتي من ذلك عفوا، ولكنه يأتيه عمدا، ويرى أنه هو الذي ينبغي أن يُؤْتَى، وأن المرء يكفيه أن يكون قادرا على توليد جمل جديدة موافقة لنظام اللغة العام (كما يريده)، وأن اللغويين غير مصيبين في تخطيء من يُخْطِئُ. وهو -إلى ذلك- نزَّاع إلى إيراد العبارات والمفردات الأجنبية، يُتْبِعُ بها ما قال، على وضوحه، كقوله بعد كلامه السابق بأسطر: «وإذا كانت الترجمة آلية ناجعة لتملُّك أو نقْل معارفِ وعلومِ وآدابِ الغير، والجسْر الواصل بين الحضارات والثقافات والشعوب، فإن تملُّك اللغات الأجنبية يمثل الوجه الآخر للوصول إلى الهدف «على الخط» (on line)، وفي أسرع وقت (on time)...، إن جل السياسات اللغوية التعليمية تسعى اليوم إلى أن تصبح ثلاثية،

---

(١) أزمة اللغة العربية في المغرب، ٥ - ٧.

تعتمد لغةً كونية (universal language) للوصول إلي المعارف الكونية، ولغةً وطنية أو إقليمية أو تداولية (lingua franca)، تسهِّل التواصل بين كتلة لغوية من حجم كبير، ولغة محلية هي اللغة الأم (mother tongue)، أو لغة المنشأ، تسهل التعلم المبكر»[1]. فهو لا يقنع بأن يكون كلامه ترجمة حرفية، حتى يورد العبارة التي يترجم، ليكون كلامه قسمة بين العربية والفرنسية والإنجليزية، كأن ذلك هو الذي يبلغ ما في نفسه، وكأن العبارة العربية تقع دون ما يريد. ومن وازن هذا بما قال آنفا وجده واحدا من غَزية، وأن ما يشكو من تعلُّق المغاربة بفرنسة والفرنسيين يصدق عليه كما يصدق عليهم. ويستنتج من هذا أن ليست له إرادة جادة في الخروج من «البدونية»، أو أن إرادته يغلبها الهوى والعادة.

وليس ما تحتاج إليه العربية في المغرب المرءَ الذي يحترق احتراق عبد القادر، وإنما المرء الذي يدرك حال العربية وغلبة اللغات الأجنبية عليها، لكنه مستعد للتحرر منها تحررا يمكن أن يبني عليه تفكيرا في تحرير غيره، وإحداث نهضة لغوية على أصول صحيحة، تشفي العربية مما بها من علل اللغات الأجنبية، ولا سيما الفرنسية، وتمكن لها في أرضها، وتبني العلاقة بينها وبين اللغات الأجنبية على أصول صحيحة، كما تفعل الشعوب التي تملك أمرها. أما التسليم بما نالها، والاعتراف به، وتسويغه، والتنظير للتمادي فيه، واعتقاد أنه قدر، وأن السعي في علاجها منه ضلال، فما أدري: هل يدل على وعي، وإرادة جادة لفعل ما تقتضي هذه الشكوى الأليمة؟ أما الذي أدريه، فأن الذي يقول: «في الثقافة -كما في اللغة- لا مجال للرفض، بل ما هو مطروح هو الاستيعاب»[2]، ويرى أن الترجمة قد تجعل الغريب أليفا، والعجمي عربيا، والعربي عجميا، وأن ليس بين اللغة الأجنبية، مفرداتٍ وأساليب، وأن تكون عربية إلا أن يرتضيها العرب، ليس هو الذي يمكن أن يغير ما بالمغرب. والتسليم للواقع الذي أعرب عن سخطه عليه، وبما تبعه من فناء في الثقافة الأجنبية، وتهالك عليها، وتحكيم لها ولأهلها في الحياة العامة والخاصة، هو مقتضى جل ما قرأت من كتاباته في هذا المعنى، كقوله في هذا الكتيب: «دور الترجمة في معناها العام في التفاعل

---

(١) أزمة اللغة العربية في المغرب، ٨ وما بعدها.

(٢) السابق، ١٣.

الثقافي، تؤكده تجارب دالة في محطات تاريخية، وأوضاع محددة، عبر مفهوم التثقف acculturation، أو المثاقفة، الذي يقتضي التملك والتفاعل، أو عبر العلاقة بين الترجمة واللغة المنقول منها وإليها، والتأثيرات الناجمة عنها سلبا وإيجابا، والشروط الملائمة للتفاعل، وضمنها مواقف السلطة والمستهلكين من الترجمة، وتموقُع الترجمة داخل الاختيارات اللغوية، ودور اللغات الأجنبية، إلخ»[١]، «اللغات تفاعلت وتداخلت عبر العصور، كما تفاعلت وتداخلت الثقافات. واللغات لا مفاضلة (عموما) بينها من وجهة نظر العلم، كما أن لا مفاضلة (عموما) بين الثقافات...، إن التأثيرات لا تنحصر في الفكر أو الفلسفة أو الأنظمة السياسية أو الاقتصادية، أو الموسيقي، أو الرياضة، إلخ، بل تتعدى ذلك إلى تحويل الغريب إلى أليف، والعجمي إلي عربي (أو العكس)، تضع الجسور بين المتباعدات. الترجمة أصلا تتكلم لغتين، لغة الأنا ولغة الآخر، بل الترجمة لغة ثالثة تضع الجسر والبينية بين غريبين، ليتمكن الغريب عن اللغة/ المصدر من قراءة ما أنتجه الغريب عنه بلغته. الترجمة لغة (أو ثقافة) بينية حتما (interculture, interlingua)؛ لأنها تجسِّر بين لغة المتلقي ولغة كاتب النص الأول، وتجسِّر ثقافة بأخري»[٢].

ثانياً- الدكتور عبد الملك مرتاض

والدكتور عبد الملك مرتاض محب للعربية، مفتون بها وبمحاسنها، وله عناية بالإصلاح اللغوي، وانتقادٌ على ما دخل العربية من أساليب ضعيفة متأثرة بالترجمة من اللغات الأجنبية، وهو يصفها بأقبح الأوصاف[٣]، وكثيرا ما وقف في كتابه «نظرية اللغة العربية» عند الأخطاء الشائعة، ونبَّه عليها، وأبان عن اشمئزازه منها، وربما حال بينه وبين قراءة الكتاب أن تكون لغته ضعيفة[٤]. ويجل بعض الجزائريين لغته، ويعدها تحفة ذات أدبية خارقة، وخصوصية متفردة، ويرون أنه مطَّلع على خبايا العربية وأسرارها، وهو يطوعها إذا كتب، «ويلينها ويحاورها

---

(١) أزمة اللغة العربية في المغرب، ٩.

(٢) السابق، ١٢ - ١٤.

(٣) انظر مثلا: نظرية اللغة العربية، ٢٣٦، وفي نظرية الرواية، ٨.

(٤) في نظرية الرواية، ٨.

بنفسها فيما هو متصل بموضوعاتها، بأذواقها، فيحقق مبدأ توسيع قواعد اللغة في الاستعمال»[1]. ولكن ما اطلعت عليه من كتبه، لا يصدق عليه هذا الحكم، ولغته لا تختلف عن لغة بعض أهل المغرب العربي إلا فيما تبدي من عناية بالغريب، والتفاصح، واستعمال الشاذ، والمهجور، وغير الفصيح من الوجوه والأساليب، ولا تسلم من الخطأ والوهم. من ذلك تسميته أحد كتبه «السبع معلقات»، وهي تسمية، إن لم تكن خطأ، غير مستحسنة، وغيرها أولى منها وأكثر موافقة للعربية، فالذي لا يجيز جمهور النحاة غيره أن تدخل «أل» على المعدود دون العدد، إذا أريد تعريفه، كقول ذي الرمة:

وهل يَرْجِعُ التسليمَ أو يَكشفُ العَمَى ... ثلاثُ الأثافي والرسومُ البلاقعُ [2]

ويستعمل الأفعالَ والصيغ كيفما اتفق، ولا يتقيد بثوابت الصرف العربي، وهي ظاهرة في عربية أهل المغرب العربي، كقوله: «ما أَصطلح عليها بـ«السيمائية»»[3]، و«اصطلح» فعل دال على الاشتراك، ولا يكون من واحد، ويعني الاتفاق والتعارف، ولذلك كان شرط «الاصطلاح» أن يتفق عليه اثنان فصاعدا، ولا يجوز للواحد أن يسمي ما يستعمله هو وحده اصطلاحا[4]. واستعماله «اغتدَى» بمعنى صار[5]، وإنما «اغتدى»: بكَّرَ، كما في البيت المنسوب إلى امرئ القيس:

وقد أغتدي والطير في وكناتها ... بمنجرد قيد الأوابد هيكل

ولعله ظن أن «اغتدى» -لما كان مشتقا من «غدا»، و«غدا» يستعمل بمعنى صار- يكون بمعنى صار أيضا، وهو شيء قد يبدو أن قول بشار بن برد:

حتى اغتدى غيرَ فقيد الفقد ... وما درى ما رغبتي وزهدي[6]

وقول أبي تمام:

بَلَدُ الفلاحة لو أتاها جَرْوَلٌ ... أعني الحُطَيْئَةَ، لاغْتدى حرّاثا

---

(1) الدرس السيميائي المغاربي، ٢٤ (نقلا عن: اللغة الواصفة في نقد عبد الملك مرتاض، ١٢٦)، والممارسات اللغوية ومهارات توسيع الوظيفة المعجمية عند الدكتور عبد الملك مرتاض، ١٠٤ (نقلا عن: اللغة الواصفة في نقد عبد الملك مرتاض، ١٢٦).

(2) انظر تفصيل ذلك في: القرارات النحوية والتصريفية لمجمع اللغة العربية بالقاهرة، ٣١٩ وما بعدها.

(3) السبع معلقات، ١٠.

(4) اللغة العربية والعصر، ١٣.

(5) السبع معلقات، ٥ و٨ و١٠.

(6) جمع الجواهر في الملح والنوادر، ١٣٢.

يؤيدانه، وأن «اغتدى» فيهما بمعنى «غدا» أي صار، غير أن اغتدى في البيتين بمعنى «بكَّر»، وآية ذلك أن الرواية الصحيحة في بيت بشار هي:

حتى انطوى غيرَ فقيدِ الفقْدِ   وما دَرَى ما رغبتي من زهْدِي[1]

أي: حتى غادر غير ماسوف عليه، وإنما ورد «اغتدى» في رواية للحُصْري القيرواني، يبدو أنها خطأ. على أنها لو صحت ما كان معنى «اغتدى» فيها إلا فارق، وهو معنى «انطوى». أما بيت أبي تمام، فلا خفاء بأن «اغتدى» فيه بمعنى بكَّر، أي إن الحطيئة لو حلَّ في هذا البلد، لبكَّر إلى الحرث. على أن «اغتدى» لو صح أنه يكون بمعنى صار، ما كان للعدول إليه عن «غدا» و«صار» فائدة، وما كان استعماله بذلك المعنى إلا نادرا. غير أن لعبد الملك مرتاض ولعا بالنادر والشاذ، كثيرا ما يزين له الغريب، ويعدل به عن الفصيح الذي لا يكاد يُعرَف غيره، كاستعماله «انتساخ»[2] بمعنى نسْخ واستنساخ، و«دارَسَ» بمعنى درس[3]، و«تستميز» بمعنى تتميز[4]، ومترهيئة[5]، بمعنى مضطربة، و«يتطالل علينا متطالل»[6]، بمعنى: يتطاول علينا متطاول، و«الأُخراة»[7]، بمعنى «الأخرى». فـ«الأخراة» -مثلا- لا تَرِدُ إلا في أقل المعجمات العربية، وليس لها فضل على «الأخرى»، و«الأخرى» هي القياسية؛ لأنها مؤنث «الآخر»، وهي المستعملة في القرآن الكريم، وسائر الفصيح من كلام العرب، شعرا ونثرا، فالرغبة عنها إلى المهجور (الأخراة) لا مسوغ لها. وكذلك وصل «ليس» بالضمير، نحو: «ليْسه، وليْسها، وليسهما»[8]، وهو استعمال لم أر أحدا قبله ولا بعده يستعمله، إلا عبارة، تنسب إلى أحد العرب: «عليه رجلاً ليسني»، وبيتا، ربما كان مصنوعا:

عددت قومي كعديد الطيس   إذ ذهب القوم الكرام ليسي

---

(١) ديوان بشار بن برد، ٢/ ٢٢٥.

(٢) السبع معلقات، ٦.

(٣) السابق، ٦.

(٤) في نظرية الرواية، ١١.

(٥) نظرية النص الأدبي، ٧.

(٦) السبع معلقات، ١١.

(٧) السابق، ١١ و١٥ و٢٠ و٢٤ و٢٥ و٣٠ و٣٢. وكنت أظن أن هذا خطأ مطبعي حتى وجدت يتكرر في الكتاب، فعلمت أنه ليس كذلك.

(٨) السبع معلقات، ١٢.

ويحمله النحاة على الضرورة. واستعماله «سَواء» بمعنى «سِوَى»[(١)]، وإبداله إحدى ميمي «إما» ياء، كقوله: «وإيما لا، فالنص هو كل شيء»[(٢)]، وهي لهجة من لهجات العرب تُرْوَى للعلم، ولا تُرْتَضَى في الاستعمال، ككثير من اللهجات القديمة، ومن شواهدها قول عمر بن أبي ربيعة:

رأت رجلا أيما إذا الشمس عارضت، فيضحى، وأيما بالعشيِّ، فيَخْصَرُ

وقول الآخر:

يا ليت ما أمنا شالت نعامتها إيما إلى جنةٍ إيما إلى نارِ

ومن هذا قوله «وإيما لا، فالنص»، وهي عبارة، رددها النحويون كثيرا، وشرحوها، وبينوا ما فيها من الحذف، فقالوا إن «ما» فيها عوض عن الفعل، والتقدير: إن لم تفعل ذلك، فافعل هذا، والأصل فيه أن الرجل تَلْزَمُه أشياء، فيُطالَب بها، فيمتنع منها، فيُقْنَع ببعضها، فيقال له: إما لا، أي إن لم تفعل ما يلزمك، فافعل هذا[(٣)]. واستعمال «جاء» بمعنى فعل، كقوله: «ولم نجئ ذلك لمجرد الرغبة العارمة في هذه المزاوجة التي قد يراها بعضهم أنها تمت»[(٤)].

والذي ارتضاه البلغاء، وعليه جلُّ الفصيح من كلام العرب استعمال «فَعَلَ» و«أتى» في هذا المعنى، كقول الصمة بن عبد الله القشيري:

فما حَسَنٌ أن تأتي الأمر طائعا وتجزعَ؛ أن داعي الصبابة أسمعا

ومن هذا استعمال «اتَّلج» ومصدره «الاتلاج»[(٥)]، بدلا من «دخل دخولا» مع أن «دخل» أخف، وأكثر استعمالا، ولم يكد «اتَّلجَ» يرد في شيء مما اطلعت عليه من فصيح الكلام. وقد أولع أهل المغرب العربي بمادة «و ل ج»، وما تصرف منها، لسبب لا أعلمه، إلا أن تكون أجدَّ عندهم من «د خ ل»، وأن الاستعمال ابتذل «د خ ل» ما لم يبتذل «و ل ج»، فرغبوا فيها من أجل ذلك، أما أنهم رغبوا فيها لأنها أدق دلالة منها على ما يريدون، فإن الاستعمال يدل على أنهم لا يدركون الفرق بينهما: فالدخول: الدخول مطلقا، والولوج: الدخول في

---

(١) انظر مثلا: السبع معلقات، ١٣ وما بعدها.

(٢) نظرية النص الأدبي، ٨.

(٣) الإنصاف في مسائل الخلاف، ١/ ٧٢.

(٤) السبع معلقات، ١٠، وانظر: في نظرية الرواية، ١٧.

(٥) نظرية النص الأدبي، ٧ و١٠.

مضيق، كما يبدو من قول الله -تعالى-: (حتى يلج الجمل في سَمِّ الخياط)[١]، وليسا مترادفين ترادفا تاما. ومن هذا استعماله «المرامز»[٢] بدلا من الرموز، و«المغامض»[٣]، بدلا من الغموض، وإن كان لا يخفى أن «المرامز» جمع مرمز، ومغامض جمع مغمض، وهما مصدران ميميان، لكن العدول عن المعهود (الرمز والغموض) إلى غير المعهود، لغير فائدة بلاغية لا يتضح القصد منه، ولا يختلف عن الرغبة عن «التداخل» إلى «التوالج»، و«الدخول»، و«المداخل» إلى «التولُّج»، و«الموالج»[٤]، على ما بينها. واستعماله «ينتشئ» مطاوعا لـ«أنشأ»[٥]، وكان يمكن أن يتخذ فعلا مطاوعا من فعل آخر، يؤدي المعنى، كأن يقول: ينشئ عالمه، فيكون، أو فينشأ إلخ. ومطاوع الفعل قد يكون من غير مادته، كما يقال: طردته، فذهب[٦]، وأعطيته، فأخذ، ودعوته، فاستجاب. و«انتشأ» ليس بمستعمل في العربية، ومجيء «انفعل» مطاوعا للثلاثي المزيد بالهمزة قليل، مثل: أزعجته فانزعج، وأفحمته فانفحم، وهو شاذ[٧]. وما كل فعل له فعل مطاوع يُستعمل في كل سياق، فلسنا -إذا قلنا: أَلَّفت الكتاب- في حاجة إلى أن نقول: فتألَّف، ولا في حاجة -إذا قلنا-: وضعت القلم، إلى فعل مطاوع، كـ«انوضع»، لو قُدِّرَ أنه مستعمل. وبسبب الكلف بأفعال المطاوعة، مع الغنى عنها، صاغ بعض المعاصرين أفعالا في غاية الغرابة لأفعال ليس من المعهود أن تكون لها أفعال مطاوعة، كما صاغ بعضهم من «وجد» انوجد، ومن «قرأ» انقرأ. ومن الجرأة على اشتقاق الصيغ غير المسموعة، وفي العربية ما يغني عنها قول عبد الملك: «الأخبار المتراوية»[٨]، أي: المروية، أو المتواترة، أو المتعالَمَة، واشتقاقه من «الانزياح» «زيَّح لفظا»، أي: «استعمله ضمن معنى انزياحي»[٩]، أي: استعمله

(١) المفردات، ٥٣٢.
(٢) السبع معلقات، ١١.
(٣) السابق، ١٢.
(٤) السابق، ١١.
(٥) في نظرية الرواية، ١٤.
(٦) مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ع ١/ ٢٢٣.
(٧) السابق، ع ١/ ٢٢٣.
(٨) السبع معلقات، ٢٢.
(٩) في نظرية الرواية، ١٠٠.

استعمالا مجازيا، وينتجز بمعنى يُنجز[1].

ويستعمل الكلم استعمالا يشعر بأنه ربما قرأ الكلمة أو سمعها، فلم يتبين معناها، فيضعها في غير موضعها، كقوله: «والتدرج إلى أواخي المنابت»[2]، وإنما الأواخي جمع آخيَّة، وهي: عروة، تُشَدُّ بها الدابة، والحبل يُشَدُّ به الفسطاط، فاستعمالها على هذا الوجه لا معنى له. وكاستعماله «راهنا» بمعنى «الآن»[3]، والراهن هو المُعَدُّ، والمقيم، والمهزول من الناس والدواب، والثابت الدائم، ولا يدل على الآن، ولكن استعماله بهذا المعنى كثير في لغة أهل المغرب العربي، ولا سيما أهل تونس. ويستعمل التفاريق بمعنى الفروق[4]، وإنما التفاريق أجزاء الشيء المتفرقة، و«القَعْرَةَ» بمعنى القعر[5]، والقعرة: ما يُغَطِّي قعر القصعة ونحوها، أما منتهى عمق الشيء، فالقَعْر. ويعدِّي «رأى» بالباء، كقوله: «كانوا يرون بأنها قَمَن بأنْ تروعهم»[6]، و«رأى» يتعدى بنفسه، لا بالباء، ولم أره متعديا بالباء في شيء من كلام العرب إلا بيتا واحدا، هو:

فلما رأى بأنه قد دَنا لها وأزهفها بعض الذي كان يُزْهِفُ

وفي قول بهاء الدين زهير:

يرون بأنني قد قلتُ لحنا وكيف، وإنني لزهير وقتي[7]

على أن تعدية «رأى» بالباء، لو صحت في اللغة، من الضخم اللفظي الذي لا شيء تحته، ما دام معنى «رأى» متعديا بها هو معناه متعديا بنفسه، و«رأى» المتعدي بنفسه هو المستعمل في الفصيح من كلام العرب، ولا يكاد يعرف غيره. ويعدِّي «زعم» بمعنى اعتقد بالباء، كقوله: «يزعمون بطوطمية الأسماء»[8]، ويبدو أن زعم الذي يتعدى بالباء هو الذي يدل على القول، كالبيت المنسوب إلى حسان بن ثابت:

---

(١) نظرية النص الأدبي، ٥.
(٢) السبع معلقات، ١١.
(٣) السابق، ١١.
(٤) في نظرية الرواية، ١٢.
(٥) السابق، ١٦.
(٦) السبع معلقات، ١٨ وانظر: ٢٠.
(٧) ديوان بهاء الدين زهير، ٥.
(٨) السبع معلقات، ١٩.

زَعَمَتْ بأن المرء يكرب يومه عَدَمٌ لمعتكر من الأصرام

والبيت المنسوب إلى حوذة بن عترم، ويبدو أنه مصنوع:

أَحَوْذَةَ، إِنْ تَفْخَرْ وتزعُمْ بأَنَّني لَئِيمٌ، فمِنِّي عِتْرِمُ أَلأَمُ

و«زعم» بمعنى كَفَلَ، كقول الله -تعالى-: (وأنا به زعيم)[1]. أما «زعم» بمعنى اعتقد، فيبدو أنه لا يعدى بالباء. ولو صحت تعديته بها، ما كانت إلا كتعديته «رأى» بها.

ومن هذا استعماله السيمائياني[2]، والسيمائياتي»، و«السيمائية»[3]. وإذا كان قال إنه يريد بـ «السيمائياتية» «قصْر الإجراء والممارسات التحليلية على التطبيقات السيماءوية»[4]، فلم يبين ما أراد بالنسب في سائر الكلمات، ولا لم خالف بينها، والأصل ألا يفعل. ومن مستثقل النسب قوله: «لاحظنا أن امرأ القيس هو المعلقاتي الوحيد الذي ينتهي نسبه الأعلى إلى قحطان من بين كل المعلقاتيين السبعة»[5]، فهو من الإفراط في النسب لغير حاجة، وكان خيرا من هذا وأوجز، وأقعد في العربية أن يقول: وامرؤ القيس هو القحطاني الأوحد من شعراء المعلقات. أو: ليس في شعراء المعلقات قحطاني غير امرئ القيس. وللمرء مندوحة عما لا يَحْسُن، ولو كان صحيحا. ومثل هذا نسبه إلى اللسان بـ اللساناتي، واللساناتيين (linguistique)[6]، وإلى العلم بالعلمائية[7]، وإيثاره «الشعريات» ترجمة للاصطلاح الغربي poétique على الإنشائية والشعرية[8]. ومن دأبه أن يستعمل «يات» في ترجمة الاصطلاحات الفرنسية التي تنتهي بـ tique ، مثل اللغويات (linguistique)، والشعريات (poétique) والجماليات (esthétique)، والسيمائيات (sémiotique)[9].

وبلغته من الضعف والفضول ما لا يُتوقَّع من امرئ له من الولع بالغريب،

---

(١) المعجم الوسيط، (ز ع م).

(٢) السبع معلقات، ٦.

(٣) السابق، ١٠.

(٤) السابق، ١١.

(٥) السابق، ٣١.

(٦) في نظرية الرواية: ٩٦.

(٧) السبع معلقات، ١١.

(٨) اللغة الواصفة في نقد عبد الملك مرتاض، ٤٤.

(٩) نظرية النص الأدبي، ٧١ (هامش).

ومهجور اللغات ما قد رأينا، كقوله: «فقد كنا ألفينا بعض الدارسين الغربيين، ومنهم كلود ليفي سطروس، كان يزاوج ...»[١]. وأوجز من هذا أن يقول: وقد ألفينا بعض الدارسين الغربيين... يزاوجون». وقوله: «نخوض في شأن بحثها»[٢]، أي: نخوض فيها، أو نخوض في شأنها. وقوله: «تُجَسِّد من شيء مما فيه»[٣]. أي: تُجَسِّد شيئا مما فيه. ومن الممكن أن يعبر عن قوله: «دون أن يدعي أن تأويله يندرج ضمن حكم الصحة»[٤] بـ: دون أن يدعي أن تأويله صحيح. ومن الفضول قوله: «محاه الزمن، ودرسه الدهر»[٥]، فـ«محى»، و«درس» مترادفان، و«الدهر»، و«الزمن» مترادفان. وكذلك استعماله الأصل، والجرثومة، والمهد، والأرومة، في عبارة واحدة[٦]. وقوله: نلاحظ أيضا أن أبا امرئ القيس مات هو أيضا مقتولا، «لا يتعرض هو للفتك»[٧]، «جعله يخوض هو أيضا حروبا طاحنة»[٨]، فإظهار «هو» بعد هذه الأفعال، وتكرار «أيضا» من الفضول، ولا يخفى ما فيه من آثار العجمة. ويستهويه السجع، فيأتي من أجله بكلام غير مستقيم، ولا مناسب للمقام، كقوله في تعريف أحد النقاد للرواية: «هلا صيغ لها تعريف آخر أجمع وأمنع، لا أكتع وأبتع»[٩]، فإن «الأكتع والأبتع» من الألفاظ التي تستعمل في التوكيد، وليس المقام مقام توكيد، والذي يقتضيه السياق أن يجعل في مقابل التعريف «الأجمع الأمنع» التعريف الذي ليس بجامع ولا مانع، وهذا لا تدل عليه «أكتع وأبتع»، ولو أراد بالأكتع التعريف الذي به علة، تشبيها له بالأكتع، وهو الذي رجعت أصابعه إلى كفه، وظهرت مفاصل أصول أصابعه، ما كان ذلك ملائما للسياق، وإنما هو من الفضول، وصفٌّ الكلمات، لا فائدة لها، سوى التبلغ بها إلى السجع، على أنه لا عذر له في ترك «الجامع المانع» إلى «الأجمع الأمنع»؛ فليست للإتيان بالكلمتين على

(١) السبع معلقات، ١٠.
(٢) في نظرية الرواية، ١٣.
(٣) السابق، ١٢.
(٤) السبع معلقات، ١١.
(٥) السابق.
(٦) السابق.
(٧) السابق.
(٨) السابق، ٣٠.
(٩) في نظرية الرواية، ١٤.

صيغة أفعل مزية على إبقائهما على صيغة فاعل، وهي الصيغة الجارية على ألسنة أهل العلم وأقلامهم، إلا أنه لما أراد السجع وجد أنه لا يتأتى إلا بالعدول عنها، وهو كعدوله عن سائر ما عدل عنه من اللغات الصحيحة الفصيحة إلى اللغات الغريبة والمهجورة. والسجع مما يولع به بعض مثقفي الجزائر، وقد يأتون من أجله ما يُرْغَبُ عن مثله[1]، كتسمية مولود قاسم نايت بلقاسم كتابه: «أصالية أم انفصالية»، وياء النسب في الكلمتين لا معنى لها، وإنما كان ينبغي أن يقول: «أصالة أم انفصال»، إن كان لا بد من هاتين الكلمتين. والسياق ومضمون الكتاب يقتضيان أن يكون بين الكلمتين طباق، والأصالة ليست ضد الانفصال، وإنما ضده الاتصال.

ويقع في بناء كلامه مثل الذي يقع في بناء كلماته، من الضعف، والخطأ، كقوله: «اللغة الوظيفية لا تتطور إلا ببطء شديد...، بينما اللغة الإبداعية لا»[2]، فهذا الأسلوب أشبه بأساليب العامة، وكان ينبغي أن يقول: أما اللغة الوظيفية، فلا، أو: فبخلاف ذلك، أو: فبخلاف اللغة الإبداعية، ونحو ذلك. وقوله: «لكانوا، في رأينا، ذكروها، لا أنثوها»[3]. والصواب أن يقال: ذكروها، ولم يؤنثوها. ويؤنِّث ما ينبغي أن يُذكَّر، كقوله: «أما سلْخ الأعجاز والصدور، فحدِّث عنها ولا حرج»[4]، وكان ينبغي أن يقول: فحدث عنه ولا حرج؛ لأن الضمير عائد على «سلْخ»، لا على «الأعجاز والصدور». ويقول: «ونحن نعجب من كيف يوظف شخص في قناة فضائية»[5]، وأسماء الاستفهام لها الصدر، فلا يتقدم عليها شيء من مدخولها، وكان ينبغي أن يقول: نعجب كيف يوظف، بحذف «من»، كما حذفت «عن» و«من» في قول في قول الله -تعالى-: (سَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَمْ آتَيْنَاهُمْ مِنْ آيَةٍ)، وقول المتنبي:

وعذلت أهل العشق حتى ذقته فعجبت: كيف يموت من لا يعشق!

وقوله: «فإنا إذ نأتي اليوم إلى الشعر الجاهلي بعامة... فإنما نأتي لكي

---

(١) انظر شيئا من ذلك في كتاب عبد الملك مرتاض: نظرية اللغة العربية، ٥، ومولود قاسم نايت بلقاسم: حياته آثاره شهادات ومواقف، ٢٣٢.

(٢) في نظرية الرواية، ٩٥.

(٣) السبع معلقات، ٢١.

(٤) السابق، ١٣.

(٥) نظرية اللغة العربية، ١٨.

نبرز...»[١]. فخبر «إن» في هذه العبارة هو «فإنما نأتي...»، وإدخال الفاء على خبر «إن» لا وجه له، وإنما كان ينبغي أن يقول: «إنما نأتي». وفي آخر هذه العبارة يأتي بما لا تتضح العلاقة بينه وبين ما قبله: «هذه التأويلية المتسلطة في تمزيق حجاب السرية التي كان قصاراها حجب الحمولة الأدبية للنص المقروء، أن المحلِّل، أو المؤوَّل، أو موازاة الملامح الجمالية للكتابة»[٢]، فـ«أن المحلِّل، أو المؤوَّل» لا تتضح علاقتهما بما قبلهما، فـ«هذه» مبتدأ، لم يُذكَر خبره، ولما كان خبره غير مذكور كان الكلام غير تام ولا مفيد، و«التسلط» إنما يعدَّى بـ«على»، لا بـ«في»، كقول الله تعالى: (ولو شاء الله لسلطهم عليكم). ومما يقع في أساليبه من الخلل قوله: «وليس أدل على الفروسية والرجولية شيء كركوب الخيل»[٣]. فـ«أدل» اسم تفضيل غير معرَّف ولا مضاف؛ فينبغي أن يتبع بـ«من»، بعدها اسم، هو المفضل عليه، و«شيء» هو اسم ليس، وخبرها «أدل»، فقدم خبرها على الاسم، وكان ينبغي أن يقول: وليس شيء أدلَّ على الفروسية والرجولة من ركوب الخيل. وتظهر العجمة والعجز عن البيان في قوله: «وعلينا أن نلاحظ أن موضوع معلقة زهير، على ما يبدو فيها من حكمة وتأمل في الكون، بأن الباعث الأول على قولها يمثُل في عادات عربية قديمة»[٤]. فهي عبارة، يمكن المرء أن يفهم معناها من تأملها، لا من لفظها؛ لأن تركيبها غير صحيح، وبعض كلماتها مستعمل في غير ما يدل عليه، كـ«يمثُل» بمعنى «يتمثَّل»، وإنما معنى «يمثُل»: ينتصب قائماً. ولعله أراد أن يقول: «الباعث الأول على قول معلقة زهير، على ما فيها من حكمة وتأمل، عادات عربية قديمة»، وإذا صح أن هذا هو المراد، فإن استخراجه من ألفاظ العبارة لا يتأتى.

ويستعمل اللفظ في غير معناه، كقوله: «تحت زاوية»[٥]، فإن المراد به -فيما يبدو- «متذرعاً»، ولكن العلاقة بين «الذريعة» و«الزاوية» غير واضحة، ولعله حذا هذا الأسلوب على الأسلوب الصحفي الشائع اليوم: فعل كذا تحت ستار

(١) السبع معلقات، ٥.
(٢) السابق، ٥.
(٣) السابق.
(٤) السابق.
(٥) السابق، ١١.

كذا، أي: متذرعا بكذا. وقوله: «دأب مسلوك»[1]، والدأب العادة والشأن: (كدأب آل فرعون)، وإنما تسلك الطرق، وكان يمكنه أن يقول: عادة متبعة. واستعماله «إنما» في غير الحصر، كقوله: «على الرغم من أن القحطانيين يجسدون أصل العروبة...، فإنما حين نعد شعراء المعلقات»[2]، وقوله: «يذهب إلى غير ذلك سبيلا»[3]. وهو كلام لا معنى له، وإن كان المراد منه غير خاف. وقوله: «مرَّ من الدهر الدهارير»[4]. والمعروف هو دهر الدهارير، ودهر دهارير، وليس الدهر الدهارير، ودهر دهارير: شديد، مثل ليلة ليلاء، ويوم أيوم. وقوله: «لا تسمن من جوع»[5]. والسمن إنما يكون من هزال، وإنما يقال: لا تغني من جوع، أو لا تطعم من جوع، كما قال الله -تعالى-: (ولا يغني من جوع)، وقوله: (أطعمهم من جوع). ولو تأمل الآيتين لأعانتاه على وضع اللفظ في موضعه. وقوله: «ولا تَوْفَر في الأسامي العربية القديمة وفورا كاملا»[6]. ومضارع «وَفَر» يَفِر، كما في البيت المنسوب إلى زهير:

ومَنْ يجعل المعروف من دون عرضه   يَفِرْهُ، ومَنْ لا يتَّقي الشتمَ يُشْتَمِ

وفي هذه المادة «وفُر يوفُر»، وهو بمعنى «وفَرَ». على أن هذا الأسلوب ضعيف، وخير منه أن يقول: لا تَكثُر في الأسماء العربية، أو ليست بكثيرة في الأسماء العربية، أو قليلة في الأسماء العربية، وإيثار «يوفر» على «تكثر» من الإغراب. وقوله: «الروائي يفترض في عمله أن يكون من بنات الخيال، ومن فلذات القريحة»[7]. فالمجاز هاهنا لا تناسب فيه بين اللفظ والمعنى؛ إذ الفلذة، وإن كانت من الفَلْذ، وهو «قطع شيء من شيء»، خصصها الاستعمال بالقطعة من اللحم، والكبد، والمال، والقريحة: الطبع الخَالص الذي لا تكلُّف فيه. وإذا صح ذلك، فليست الفلذة في هذا السياق بملائمة للقريحة، وكان خيرا من هذا أن يجعل عمل الروائي من بنات القريحة كما جعله من

---

(١) السبع معلقات، ١٣.
(٢) السابق، ٢٧.
(٣) السابق.
(٤) السابق.
(٥) السابق.
(٦) السابق، ١٩.
(٧) في نظرية الرواية، ١٣.

بنات الخيال، فيقول: من بنات الخيال والقريحة. وقوله: «وما عداه لا يعدو كونه شيئا يصبُّ في روافده، أو ينبع من مدافعه»[1]، والرافد: ما يمد النهر من قناة ونُهير، والذي يبين عن المراد أن يقال إن ما عدا الشعر رافد من روافده، أما المدافع، فأرى أن في استعمالها تكلفا، ولا تناسب السياق، إذ المدافع: مجاري المياه في الأودية، أو أماكن يندفع عنها الماء من الربى والأخياف، أو هي الأودية متصلا بعضها ببعض، أو مواضع دفْع الماء، أي: جريه بشدة. وقوله: «لم يكن الشاعر على ذلك العهد يرعوي في أن يسلخ بيتا كاملا من شعر سوائه»[2]. وارعوى إنما يتعدَّى بـ«عن»، واستعماله هاهنا غير صحيح، إذ كان معنى «ارعوى» رجع، والمراد أن الشاعر لم يكن يستنكف من سلخ بيت من شعر غيره، أو يتورع عنه.

وتقع في كلامه المخالفات الصريحة لما تقتضي العوامل الإعرابية كقوله: و«أن كل ما هو شمس أو قمر، أو ثورا، أو عيرا، أو ظبي، أو نمر، أو كلب»[3]، فما بعد «أو» في هذه العبارة معطوف على «شمس»، وهي خبر، فيجب أن يكون مرفوعا. وتنوينه «بلقيس»، وهي ممنوعة من الصرف للعلمية والتأنيث، وفتحه همزة «أن» بعد «حيث»، في قوله: «حيث أن بلقيسا»[4]، وإنما حقها الكسر، وقوله: «لم يكن لها في الأصل إلا شعرا قليل»[5]، و«شعر» اسم كان، و«قليل» صفته، فحقهما الرفع. وقوله: «بين الأعلون والسافلين»[6]، والصواب (الأعلين). وحذف همزة «ابن» في: ملك بن ملك بن ملك[7]، ولا وجه لحذفها؛ لأنها لم تقع بين علمين، وأثبتها في: عمرو ابن هند[8]، ولا وجه لإثباتها، لوقوعها بين علمين.

---

(١) في نظرية الرواية، ١٨.
(٢) السابق، ١٣.
(٣) السبع معلقات، ١٨.
(٤) السابق، ٢٠.
(٥) السابق، ٢٣.
(٦) في نظرية الرواية، ٢١١.
(٧) السبع معلقات، ٢٩.
(٨) السابق، ٣٠.

ثالثا- الدكتور عبد السلام المسدي

تتسم لغة الدكتور عبد السلام المسدي بالجزالة، والتشبه بلغة الأقدمين، والترفع عن ابتذال اللغة الصحفية، غير أن فيها -مع ذلك- ما في لغة المغاربة، من إغراب، وسخاء لفظي، وغموض، وولع بالمجاز، وجرأةٍ عليه، والاشتقاق مما لم تَجْرِ العادة بالاشتقاق منه، وإيقاع الألفاظ في غير موقعها، واستعمالها استعمالا يُشعر بعدم تبيُّن معانيها، والتأثر بالعامية، في مفرداتها وأساليبها.

وللإغراب عنده صورتان: اشتقاق الأفعال والمصادر اشتقاقا لا وجه له في العربية، مع وجود ما يغني عنها، كالتوالج، والتعالق، والإرضاخ[1]، والتلابس[2]، والتشامخ، والإكساء[3]. فهذه المصادر وأفعالها غير مسموعة، وفي العربية ما يغني عنها من مادتها، ومن مواد أخرى، فتوالجَ لم أجد له ذكرا فيما رجعت إليه من دواوين اللغة والأدب إلا بيتا لأبي صخر الهذلي، هو:

كأَنَّ مَنْ حَلَّ في أَعْياصِ دَوْحَتهِ ... إِذا تَوالَجَ في أَعْيَاصِ آسادِ

وبيتا، ينسب إلى طرفة بن العبد:

رأيت القوافي يَتَّلِجْنَ موالجاً ... تضايق عنها أن تولجها الإِبَرْ

وتوالج فيهما بمعنى دخل، لا تداخل. وتوالج يغني عنه تداخلَ، فهو أفصح، وأخف، وأذيع. وما كل مادة صيغ منها بناء بعينه، يحسن أن يصاغ منها كل بناء، فإذا كان «وَلَجَ»، و«يُولِجُ» مسموعين في أفصح الكلام، كثيري الاستعمال، ولا سيما يولج، فإن الأمر منه لم يرد في القرآن، وإنما ورد مرادفه «ادخلوا». وتعالقَ غير مسموع أيضا، وإنما المسموع عالَقَه، أي: فاخرَه[4]، فإذا جاز أن يشتق «التعالُق» من «ع ل ق» كما يشتق القتال والتقاتل من «ق ت ل»، لم يكن معناه إلا التفاخر. وعبد السلام وغيره من أهل المغرب العربي يستعملون «تعالقَ» الشيئان، بمعنى تعلَّق كل منهما بالآخر، كقول عبد القادر الفاسي الفهري: «الكلمة المشتركة تعالِق في المعجم الذهني مجموعة مفهومات»[5]، أي: تشترك فيها عدة معان.

---

(١) مصطلحاتنا بين المشرق والمغرب، عبد السلام المسدي، الخميس ٢٨ صفر ١٣٢٦ هـ، ع ١٣٤٣٦.

(٢) ٥٩.

(٣) التفكير اللساني في الحضارة العربية، ١٨٩.

(٤) المعجم الوسيط، (ع ل ق).

(٥) اللسانيات واللغة العربية، ٢٠٤.

ويقولون: تعالُق الدوالّ والمدلولات، أي: علاقة الألفاظ والمعاني. وأما الإرضاخ وفعله «أرضخ»، فغير مسموعين، وإنما المسموع «رضخ»، وله معان، لا علاقة لها بالمعنى الذي أراد. فاستعماله إياه غير صحيح، وأبعد من الصحة أن يشتق منه «أرضخ». أما «التلابس»، فغير مستعمل في العربية، بهذا المعنى، وإنما يقال: لابسه، إذا خالطه واتصل به[1]، فإذا صيغ منه «تلابَس»، ومصدره «تلابُس»، فينبغي أن يكون معناه أن كلا منهما خالط الآخر واتصل به، وليس هذا هو المراد، وإنما كان ينبغي أن يقول: كان كلامنا ملتبسا، أي غير واضح. والعدول عن المسموع إلى غير المسموع للتعبير عن معنى قريب ومعروف، وله صيغة تدل عليه، صورة من صور الجرأة على اللغة غير المحمودة. و«كسا» يتعدَّى بنفسه إلى مفعولين، نحو قول الله -تعالى-: (فكسونا العظامَ لحمًا)، ولا يُعَدَّى بالهمزة. أما تشامَخ، فغير مسموع، وإنما المسموع شمخ، فإن أبى إلا «تفاعل»، فيمكن أن يقول تطاول، وتعالى، ونحو ذلك من الأفعال الدالة على هذا المعنى.

ومن دأب الذين يمتهنون الكتابة أن تكون لهم سياسة في صناعة الكلام، يتخيرون عليها الكلم وينظمونه، ولا يَدَعُون الأقلام تجري في أعنتها، لتكتب ما اتَّفق لها. وتظهر آثار هذه السياسة في بناء الكلام، وتنكُّب الكلمة في مقام، واستعمالها في آخر، واستعمال مفردها دون جمعها، أو جمعها دون مفردها، وإيثار مرادفها عليها في بعض المقامات، إلخ، كما تنكَّبَ القرآن «الجوع» إلا في موضع العقاب، أو الفقر المدقع، والعجز الظاهر، ولم يذكر «المطر» إلا في موضع الانتقام[2]، وتنكَّب «الآجُرَّ»، و«القرمد»، إلى ما يبين عن معناهما، كما في الآية: (فأوقد لي يا هامان على الطين فاجعل لي صرحا). وتنكَّب «الصوف» مفرداً إلى جمعه في الآية: (ومن أصوافها وأوبارها وأشعارها أثاثا ومتاعا إلى حين)، وعدل عن مفرده، إذ اقتضى المقام ذكره، إلى مرادفه (العهن) في الآية: (وتكون الجبال كالعهن المنفوش)[3]. وهي سياسة لا يجد المرء لها ولا لما

---

(١) المعجم الوسيط، (ل ب س).

(٢) البيان والتبيين، ١/ ٢٠.

(٣) المعاني في ضوء أساليب القرآن الكريم، ٥١.

يشبهها أثرا فيما يُكتَب اليوم، في شرق الوطني العربي ولا في غربه، وإنما يجد ما يدل على الرضا بكل ما عنَّ، والقناعة به.

ومما توافق فيه لغة عبد السلام عربية أهل المغرب التركيب الخلاسي، كـ«الميتاثقافي»[1]، وكان ينبغي -إذ علم أن «ميتا» تعني «ما وراء»، كما يبدو من تسميته أحد كتبه «ما وراء اللغة»- ألا يوقع في كلامه لفظا دخيلا، وهو يجد له بديلا من العربية، فضلا عن أن يركِّبه مع لفظ عربي. وهذا من مقتضيات عضوية المجامع اللغوية التي هي رمز الأصالة، وحراسة اللغة، ومقتضى انتقاده على أهل المغرب العربي جرأتهم على اصطناع الاصطلاحات الهجين، وما يكون في لغتهم من جُسُوٍّ، ونأي عن روح العربية، كقوله: «وقد يعجب الراصد للظواهر اللغوية كيف يغفل بعض أساطين الجامعة في تونس من رواد النقد المقارن عن أيسر قواعد الانسياب الأدائي، فيعمد إلى صياغة اصطلاح (الترجذاتي) أو (السيرذاتي) من أجل استحداث اصطلاح يؤدي دلالة الأوتوبيوغرفي»[2].

وله كَلَفٌ بالمجاز شديد، ويتسم مجازه بعدم تناسب لفظه ومعناه. ولغة العلم لغة إبلاغ، وأخص خصائصها الصحة والوضوح، والقصد إلى الإفصاح عن المعنى، كما قال هو: «ولئن كان من أشراط العلم وموضوعية خطابه أن ينأى بنفسه عن المجاز في العبارة، وألا يتوسل إلا بالألفاظ في دلالتها الحقيقية، أو بالمصطلحات الفنية التي قد يُسلك بها في البدء طريق المجاز، ثم يختفي مجازها البلاغي بمجرد اندراجها في القاموس العلمي»[3]، فإن عنَّ مجاز مبين، لا تكلُّف فيه، ولا التواء، فذاك، وإلا لم يُشغَل القارئ بغير الحقيقة التي إنما ولَّى وجهه شطر الكتاب التماسا لها. فمن مَجازاته التي لا تلائم ألفاظُها معانيها قوله: «السجل الاصطلاحي هو الكشف المفهومي الذي يقيم للعلم سوره الجامع، وحصنه المانع، فهو له كالسياج العقلي، الذي يرسي حرماته، رادعا إياه أن يلابس غيره، وحاظرا عليه أن يلتبس به. ومتى تحلَّى الدال بخصلتي الجمع والمنع كان على صعيد المعقولات بمثابة الحد عند أهل النظر المقولي، الذين

---

(١) العولمة والعولمة المضادة، ١٢ وما بعدها.

(٢) مصطلحاتنا بين المشرق والمغرب.

(٣) التخطيط اللغوي والأمن اللغوي، ٨.

هـم المناطقـة، فيكـون للاصطـلاح الفنـي فـي أي شـعبة من شـعاب شـجرة المعرفة الإنسانية سـلطة ذهنية هي سـلطة المقولات المجردة في علم المنطق»[1]. والردع، والحظر، والحرمات، والحصن، والسلطة، إنما تلائم الحديث عن مهام سلطة من السلطات التنفيذية، كالشرطة، والجيش، ولا تلائم المعنى الذي أراد، ويُغني عنها كلها «الجامع المانع»، وهما اللفظان اللذان درج المناطقة على استعمالهما في مقام الحديث عن الحد. ولعله إنما عدل عنهما تحرجا من حدِّ المعروف، وتبيان البيِّن، إذ كل كلمة في هذا النص غير «الجمع والمنع» ليس لها معنى يزيد على معناهما. ولا يخفى ما في قوله: «السجل الاصطلاحي هو الكشف المفهومي الذي يقيم للعلم سوره الجامع وحصنه المانع، فهو له كالسياج العقلي، الذي يرسي حرماته، رادعا إياه أن يلابس غيره، وحاظرا عليه أن يلتبس به» من ضعف وفضول، فهو يجعل «السجل الاصطلاحي» فاعلا، إذ يكل إليه بناء سور العلم وحصنه، ثم يجعله يردع العلم أن يلابس غيره، ويحظر عليه أن يلتبس به، وغرض «الاصطلاح» أقرب من هذا، وأوضح: أنه يَميز المفهوم من المفهوم. ومعنى «يلابس ويلتبس» واحد، وإيرادهما معا من الإطناب. والردع معناه الزجر والكف والمنع[2]. واستعمل «الصعيد» كما يستعمل في لغة المغاربة، وهو يريد به الجانب، وليس «الجانب» من معاني الصعيد، في العربية. واستعمال الشجرة ها هنا من الفضول، وكان يغنيه عنها أن يقول: في كل فرع من فروع المعرفة؛ فغير خاف أن «الفروع» في هذا السياق استعارة مكنية: شبه العلم بالشجرة، فحذفها وأبقى شيئا من لوازمها، هو الفروع. أو يقول: في كل شعبة من شعب المعرفة. هذا إلى استعماله بعض الكلمات استعمالا يلبس على كثير من القراء؛ لأنها غير مألوفة عندهم، ولا سيما غير المتخصصين في علم اللغة، كالدالِّ، بدلا من اللفظ، والمفهومي بدلا من المعنوي، والسجل الاصطلاحي بدلا من الاصطلاحات، و«النظر القولي» بدلا من «المنطق». وكان يغنيه عن: «أهل النظر المقولي، الذين هم المناطقة»، أن يقول: المناطقة، أما سائر العبارة، فلا يفيد سوى تعمد اللبس، وإيهام أن تحت الكلام ما ليس

(١) قاموس اللسانيات، ١١.

(٢) المعجم الوسيط، (ر د ع).

تحته. وأخص خصائص لغة العلم الوضوح، ولكن اللغة التي يستعمل عبد السلام تتعمد الغموض والتعمية؛ بما تكلَف من مجاز، لا تقوى عليه، وتأتي المعنى من أبعد الطرق إليه. وهي لغة تتعمد المعاظلة، وإلباس المعهود من المعاني كل غير معهود من الألفاظ. فإذا فرغ المرء من قراءة الجملة أو الفقرة، فتبين ما أراد منها بعْد عنَتٍ، وكدِّ ذهْنٍ، تبين أن الكاتب أتعب نفسه، وعنَّى قارئه ليقول له ما لا يقال؛ لأنه بديهية من البديهيات، وأنه إنما كان يجتهد في أن يخفي عنه ما عرف، كأنه، إذا بلغ ما أراد من إخفائه، أثبت لنفسه فوقا وتميزا، هما ما كان يريد. وهذا يزهِّد في قراءة ما يكتب، لعظم ما يُلْقَى من العنت في تبين مراده، وقلة ما يُظفَر به من معرفته. ومن فهمَ العبارة السابقة وأمثالها، وتبين ما قلنا، كان حتما أن يسأل نفسه: هل يستحق حدُّ الاصطلاح هذا الكلام كله؟ أليس يغني عن كل ما قال: «الاصطلاح -كالحد عند المناطقة-: لفظ يدل على المفهوم دلالة جامعة مانعة»، بغض النظر عن صحة هذا التعريف وعدمها؟. وإذا كانت الإجابة بنعم، فلمَ عدلَ عنه وعن أمثاله إلى كل ما قال؟. أكبر الظن أن الإجابة أنه إذا حدَّ الاصطلاح بهذه العبارة ونحوها لم يزد على ترداد ما هو مقرر معلوم؛ فعدل عنها ليوهم أنه يريد غيره، والغموض عند بعض القراء مظنة العمق والجِدَّة والتميز.

ومثل هذا قوله: «وإذا كان مطردا أن ننعت اللغة بأنها «كائن حي»، فإننا نتوسل بالمجاز في التعبير عن حقيقة، يعوزنا ما به نعبر عنها تعبيرا غير مجازي، وبنمط مجانس ننعت اللغة بأنها «مؤسسة اجتماعية»»[1]. فهو يُخيِّل إلى مَنْ قرأه أن الكاتب أراد غير ما كان يعرف من معنى «اللغة كائن حي»، و«اللغة مؤسسة اجتماعية»، فإذا فرغ من قراءة الفقرة وتأمُّلها، تبين أن ما سماه مجازا ليس بمجاز، وإنما هو تشبيه، وأنه لو أراد البيان، وكان مقتدرا عليه، لقال: «وإذا كان من المعهود أن نشبِّه اللغة بالكائن الحي، فإنما نشبهها به لأننا لا نجد ما يبين عن مرادنا كالتشبيه، وكذلك إذا شبهنا اللغة بالمؤسسة الاجتماعية». لكن جعْل المجاز مكان التشبيه لَبَس على القارئ؛ لأن المجاز: استعمال اللفظ في غير معناه، والتشبيه لفظان مستعملان استعمالا حقيقيا، بينهما أداة مذكورة أو مقدرة،

(١) قاموس اللسانيات، ١٩.

تفيد مشابهة أحدهما الآخر. ويشتد اللبس حين يرى القارئ «النمط المجانس»؛ لأن من معاني النمط الأسلوب، والطريقة، والصنف، والطراز[1]، وفي استعماله هاهنا ضرب من التكلف، خير منه أن يقول: و«كذلك إذ نقول إن اللغة مؤسسة اجتماعية». وينتهي قارئ الفقرة إلى أنه تعب من أجل أن يعرف أن قول اللغويين إن «اللغة كائن حي» يراد به تشبيه اللغة بالكائن الحي، لا أنها كائن حي حقا! وللقضية نتيجة أخرى غير هذه، قد يستخلصها القارئ من المعركة مع هذه العبارة، هي أن سائر كلام عبد السلام المسدي ربما كان مثلَها؛ فلا يستحق أن يُتَعنَّى فيه هذا التعني كله، وإذا كان فيه شيء غير ذلك، فهو دون ما يُلْقَى في فهمه من العنت.

وسبب ما يقع فيه من هذا ونحوه عدم تمكنه من العربية، كما يبدو من قوله -مثلا-: «تشي بالغمز على العربية إيعازا بأنها هي الحاملة لأغراض القصور والشذوذ»[2]، يريد بالإيعاز التلميح، والإشارة، وإنما الإيعاز التقدم إلى المرء أن يفعل الشيء أو يتركه[3]. والمراد عنده بالأغراض الأصناف، والأغراض في العربية جمع غَرَض، وهو الهدف، كقول المتنبي:

ونصبْنَني غرضَ الحتوفِ تصيبني محنٌ أحدُّ من السيوف مَضارِبا

وقوله:

أفاضلُ الناس أغراضٌ لذا الزمنِ يخلو من الهمِّ أخلاهم من الفِطَنِ

ويُستعمَل مجازا للبغية والحاجة والقصد[4]. وقوله: «فمن ظن أن العالم قادر على أن يتحدث في العلم بغير جهازه الاصطلاحي، فقد ظلمه ما لا طاقة له به، إلا أن يتواطأ على امتصاص روح العلم وإذابة رحيقه، وهذا لمما يصدق على كل معرفة تحتكم إلى أواصر العقل»[5]. فقد استعمل «ظلَمَ» بمعنى «حمَّل»، وليس بمعناه، ويفهم من قوله: «يتواطأ على امتصاص روح العلم وإذابة رحيقه»، أنه يحسب أن الرحيق شيء صلب، أو جامد، كالثلج، والزبدة، ونحوهما، وإنما

(١) المعجم الوسيط، (ن م ط).
(٢) العرب والانتحار اللغوي، ٢٣.
(٣) المعجم الوسيط، (و ع ز).
(٤) السابق، (غ ر ض).
(٥) قاموس اللسانيات، ١٦.

الرحيق الخمر، أو الخالص الصافي منها، كقول الله -تعالى-: (يسقون من رحيق مختوم)، ولا معنى لإذابة الخمر. والروح: جسم لطيف، كالهواء، وهو أرق من المادة السائلة، فلا يذاب، ولا رحيق له. ومثل هذا قوله: «حين يتعمد أهل اللغة إطفاء رحيق لغتهم»[1]، فالمجاز هاهنا غير متجه، إذ الرحيق لا يُطفأ، وإنما تطفأ النار، وما في معناها حقيقة أو مجازا، أما الرحيق فيُنزَف، ويُسكَب. وقولُه: «قد أعلن أنه يتبرأ من كل ضخٍّ في مزامير العداء الإنساني»[2]، يريد بالضخ النفخ، ولا مناسبة بين «الضخ» و«النفخ»، فإنما يُضَخُّ السائل، أما المزامير، فينفخ فيها. وكان الأولى أن يقول: يتبرأ من كل نفخ في بوق الفتنة، أو نار الفتنة، أو نار العداوة، فإنَّ نفْخ البوق يزيد صوته ارتفاعا، فإذا زاد، كثر سامعوه والمتأثرون به، فكانت الفتنة بنفخه أشد، والنفخ في النار يزيدها اضطراما، وإذا زاد اضطرامها زاد إحراقها، وكذلك التحريض يزيد العداوة بين المتخاصمين، فإذا زادت زاد ما بينهم فسادا، كما يزيد إحراق النار بالنفخ فيها. وقوله: «إن اللغات البشرية تتولد وتحيا، وتموت ...، فيقيض التاريخ لها من ينفخ في أنفاسها، فتنبعث انبعاثا جديدا»[3]، والأنفاس جمع نَفَس، وهو ريح يتردد في الرئة، ولا يُنفخ فيه، وكان ينبغي أن يقول: ينفخ فيها الروح، كما قال الله -تعالى- : (فإذا سويته ونفخت فيه من روحي). وقوله: «على استشراف التاريخ وعلى استنظار منحنياته»[4]، والاستنظار في اللغة: طلب النَّظِرة، أي الإنظار، وهو الإمهال والتأخير. والذي يلائم المنحنيات ليس الاستنظار، وإنما التتبع، والانعراج؛ لأن ما يكون في المنحنيات يخفى، فيتتبعه، ويَنحني مع المنحنيات التي هو فيها من يريد تبيُّنه. وقوله: «يستقوون بالآخر سافرين عن براقع الحياء الحضاري»[5]، والبراقع هي الأقنعة، ولا يُسفَر عنها، وإنما يسفر عن الوجوه، أما البراقع والأقنعة، فتُماط، إذا أريد الكشف عن الوجوه، ولعله أراد: مميطين براقع الحياء الحضاري، أو لثام الحياء الحضاري، أو كاشفين قناع الحياء الحضاري. وقوله: «فسيكيلون لك

---

(١) العرب والانتحار اللغوي، ١٤.
(٢) السابق، ١٢.
(٣) السابق.
(٤) السابق، ١٣.
(٥) السابق، ١٢٤.

بصواع الاستهزاء جزافا فجزافا»[1]، والجزاف بيع الشيء، لا يُعلَم كيله أو وزنه، وهذا نقيض الكيل بصواع الاستهزاء، وعطف الجزاف على الجزاف من عطف الشيء على نفسه، ولا معنى له. و«تتولد» في هذا السياق ضعيف، وإنما يقال تُولَد، أو تتوالد، إذا أريد أن بعضها يلد بعضا، أي إن اللغة تلد اللهجة، أي تتفرع منها، ثم تتفرع من اللهجة لهجة أخرى، وهكذا دواليك، أما تولَّد، فإنما التولّد نشوء الشيء من الشيء، وليس ملائما للسياق. وقوله: «ونروم إجلاء الشاهد على نبل الإحساس بالحمية الوطنية»[2]، يريد تجلية الشاهد، أي تبيينه، وإنما الإجلاء الإخراج والإزالة. وقوله: «ولن يلبث التاريخ طويلا حتى يقطع شريان الرضاع بين القول والفعل»[3]، ولا مناسبة بين الشريان والرضاع؛ إذ الشريان: العِرْق الذي يحمل الدم من القلب إلى الجسم، والرضاع مص الصبي ثدي أمه. وقوله: «لو تسلى أحدنا على سبيل المرارة الهازئة بعَرْض الحقائق»[4]، فالتسلي على سبيل المرارة، وهُزء المرارة لا يتضحان، لغرابة المجاز فيهما. واستعماله الحجارة مجازا في البرَد، في قوله: «حجارات البرَد»[5]، وهو يريد حصى البرد، فصغار الحجارة تسمى حصى، والبرَد لا تنزل منه حجارة، إذن لأهلكت الناس، هذا إلى أن المسموع في العربية هو حصى البرد، كقول عمر بن أبي ربيعة:

تـراه إذا تفتـرُّ عنـه كأنـه   حصـى بَـرَد أو أُقْحُـوانٌ مُنَـوِّرُ

وقوله: أثخن الظلم بمديته على العراق في ٩ أفريل ٢٠٠٣»[6] لا معنى له، وإن كان المراد منه واضحا من السياق؛ فإن معنى أثخن بالغ، ولا يقال: بالغ الظلم بمديته على العراق، وإنما يقال: أنحى الظلم بمديته على العراق، أو مال، أو أجهز، أو راغ. وربما كان خيرا من هذا وأسلم من التكلف أن يقال: أثخن الظلم العراق، أو في العراق، كما في التنزيل: (حتى إذا أثخنتموهم)، (حتى يثخن في الأرض). وقوله: «وإذ قد اعتُبِرَت اللغة روحا والكلام تجسيدا، فقد عُدَّ بمنزلة حلول المطلق في حيز المادة: إذا نزل من برزخه، حلَّت به عوارض

(١) العرب والانتحار اللغوي، ١٩.
(٢) ٦٣.
(٣) ١٩١.
(٤) العرب والانتحار اللغوي، ١٩.
(٥) اللسانيات وأسسها المعرفية، ٤٦.
(٦) الهوية العربية والأمن اللغوي، ٣٠.

الزمان والمكان»[1]، فالبرزخ: الحاجز بين شيئين، ولا يُنزَل منه، وإنما يُنزَل فيه، وإنما يقال «نزل من» إذا جاء من مكان عال. ولعل الأسلوب الأنسب هو خرج من برزخه. وقوله: «وللفظة المسؤولية قصة ذهنية لا تتوضح إلا إذا استعاد الفكر أدراجها»[2]. فالعبارة غامضة؛ لأن المراد من الأدراج غير واضح؛ إذ الأدراج جمع دَرَج، وهو الطريق، ومنه قولهم: رجع أدراجه، أي رجع من حيث جاء[3]، ولا معنى لها في هذا السياق. والمعروف في العربية: عاد أدراجه، بمعنى رجع على أثره، لا استعاد أدراجه. وقوله: «لكن الإدارة الأمريكية كانت تتهدج في خيار ظليم»[4]، لا يتضح معناه، فما في كتب اللغة التي رجعت إليها: هدَج الظليم هَدَجَانا، واستهدج: مشى في ارتعاش، وتهدَّج الصوت: تقطَّع في ارتعاش، وتهدَّج القوم على الرجل: تثانوا عليه وأظهروا محاسنه وألطافه، وتهدَّجت الناقة على ولدها: حنَّت وعطفت عليه. وليس في هذه المعاني ما يناسب هذه العبارة. وقوله: «فربما حار جوابا»[5]، فأكبر الظن أنه يريد بـ«حار» ردَّ ورجع، ولكن المعروف أن حار: رجع، فهو فعل لازم، ولعله أراد أحار، فهو المتعدي، فأخطأه. وقوله: «دون سابق توظيف بينهم»[6]، فإنما التوظيف أن يُعيَّن للمرء كل يوم وظيفة، وهي ما يقدَّر من عمل، أو طعام، أو رزق، أو غير ذلك، يقال: وظَّف على الصبي كل يوم حفْظ آيات من القرآن، إذا عين له آيات لحفظها[7]. وقوله: «أنكى اجتراحا»، وإنما الاجتراح الاكتساب: (أم حسب الذين اجترحوا السيئات)، أي اكتسبوها، ولا يُنْكَأ الاكتساب، وإنما يُنكأ الجرح والقرحة، أي يُقْشَرا قبل أن يبرآ، فإن كان «أنكى» من النكاية، وهي هزْم العدو والإيقاع به، فليس ذلك مما يلائم «الجرح». على أنه ربما ظن أن «اجترح» بمعنى جرح، وأن الاجتراح بمعنى الجرْح، ولو صح ذلك ما صح هذا الأسلوب أيضا؛ لأن «أنكى» حينئذ يكون اسم تفضيل من «نُكِئَ الجرح»،

(١) اللسانيات وأسسها المعرفية، ٢٨.
(٢) العولمة والعولمة المضادة، ٣٣.
(٣) المعجم الوسيط، (د ر ج).
(٤) العرب والانتحار اللغوي، ١٩٨.
(٥) السابق، ٢٢٠.
(٦) السابق، ٢٠.
(٧) المعجم الوسيط، (و ظ ف)، وانظر: أزمة اللغة والترجمة، ١٧٧.

واسم التفضيل لا يُبْنَى من الفعل المبني للمجهول. وقوله: «لقد كان الرأي العام معيارا يستحكم روابط الناس»[1]، غير واضح، فـ«يستحكم» فعل لازم، وهو يستعمله متعديا، بمعنى يوثِّق ويقوي، وما يدل على التقوية والتوثيق من هذه المادة هو «يُحْكِم». وقوله: «صياغتها في ثوب عربي صريح»[2]، وإنما تصاغ المواد الصلبة، كالذهب، أما الثوب، فيحاك. وقوله: «متسلح منذ البداية بصبغة الوثوق، أو سمة الاستحكام»[3]، والصبغة لون، والتسلح باللون لا يتجه، وإنما يُتسلَّح بما فيه عدة وعون على ما يُرادُ فعْله، كالسلاح، والصبر، والحلم، والعلم، إلخ. وكذلك التسلح بسمة الاستحكام، وإنما يقال تسلح بالثقة، واتصف بالاستحكام، أي القوة والوثوق، على أن في هذا من الإطناب ما لا يخفى، فإن الوثوق والاستحكام بمعنى. وإدخاله لام الابتداء على الخبر حيث لا يجوز دخولها عليه، في قوله: «وهذا لمما يَصْدُق على كل معرفة تحتكم إلى أواصر العقل»[4]، ولام الابتداء إنما تدخل على المبتدأ، نحو: (لأنتم أشد رهبة في صدورهم من الله)، وخبر «إن»، نحو: (إن الإنسان لفي خسر)، وسُمِعَ في بيت، يبدو أنه مصنوع:

أمُّ الحُلَيْس لعجوز شَهْرَبَهْ ترضى من اللحم بعظم الرقبهْ

فإن قُدِّرت صحته، كان من باب الضرورة الشعرية، فإن قُدِّر أنه ليس بضرورة، فلا معنى للعدول إليه عن الأسلوب الصحيح المطرد الذي لا خفاء بمعناه، ولا خلاف في صحته. والأواصر جمع آصرة، وهي ما عَطف على الشيء، من قرابة، أو مصاهرة، أو معروف[5]، فاستعمالها في قوله: «كل معرفة تحتكم إلى أواصر العقل»، لا معنى له، وإنما كان ينبغي أن يقول: تحتكم إلى العقل، إذ العقل هو الذي يُحتكَم إليه، أو يقول -إن أبى إلا ذكْر «الأواصر»-: كل معرفة بينها وبين العقل آصرة، أو كل معرفة تمت إلى العقل. وقوله: «تتوالج وإياها مقومات، هي جزء من آليات الوقوف على العلم...»[6]، لا يتجه، لاستعماله

---

(١) العولمة والعولمة المضادة، ٤٠.

(٢) السابق، ٥٧.

(٣) السابق، ٣٣.

(٤) قاموس اللسانيات، ١٦.

(٥) المعجم الوسيط، (أ ص ر).

(٦) العولمة والعولمة المضادة، ١٩٩٩ م، ١٧.

«إياها» بمعنى «مع»، كما يفعل بعض العاميات العربية، و«إيا» ضمير نصب، ولا يكون بمعنى «مع»، وإنما كان ينبغي أن يقول: تتداخل هي ومقومات، أو تتداخل فيها مقومات، على حسب المعنى الذي يريد. واستعماله «حذو» بمعنى «إزاء»، في قوله: «وتنشأ دلالة للصمت حذو دلالة الكلام، ودلالة المسكوت عنه حذو دلالة المصرح به»[(١)]، وهو استعمال عامي، فقد ظن أن «حَذْو» بمعنى «حْذَا» في العامية التونسية، وإنما الحذو: قطع الشيء على الشيء؛ ليطابقه، كما يُحذَى النعل على النعل. ومن استعماله الألفاظ العامية استعماله التوظيب[(٢)]، بمعنى الإصلاح، وهي عامية مصرية، وتنطق بالضاد وليس بالظاء (توضيب).

على أن ما يقع في كلامه من هذه الأخطاء ونحوها يقع كثيرا في كلام غيره من كتاب العرب المعاصرين، من أهل المغرب وأهل المشرق، للسبب الذي جعله يقع في كلامه، كقول محمد الناصر العجيمي (تونسي): «إن انتهينا بمنطق الحفر والتفكيك إلى غايته، وأجرينا على الدراسات القائلة بهما عملية التفكيك نفسها لانكشفت النتيجة ذاتها»[(٣)]، يُدخل لام الابتداء على جواب شرط، أداته «إنْ»، وإنما كان يجب أن يقول: «انكشف»، وكان خيرا من استعمال «إن» هاهنا أن يستعمل «إذا»، أما اللام، فإنما تدخل على جواب «لو»، و«لولا». وقول جورج طرابيشي (سوري): «لئن يكن المأمون قد أدخل على هذا النحو، وللمرة الأولى، عاملا إيديولوجيا مباشرا في تحفيز عملية الترجمة، فهذا لا يعني...»[(٤)]. وإدخال لام القسم على «إن» الشرطية التي بعدها فعل مضارع غير صحيح[(٥)]، وكذلك إدخال الفاء على جواب القسم في قوله: «فهذا لا يعني»، وإنما كان ينبغي أن يقول: لئن كان المأمون...إن هذا لا يعني، كما قال الشاعر:

لئن كان برد الماء هيمان صاديا   إليَّ حبيبا إنها لحبيب

وقول محمد أمارة (فلسطيني): «وصفَ شباب من المغرب العربي بأن العربية الكلاسيكية هي «لغة الرب»[(٦)]، «إنَّ قصَب السبق للمحافظة على اللغة

---

(١) العولمة والعولمة المضادة، ٨.

(٢) العرب والانتحار اللغوي، ١٤.

(٣) النقد العربي الحديث ومدارس النقد الغربي، ١٢

(٤) هرطقات، ٤٤.

(٥) انظر: قل ولا تقل، ٢/ ٢٨.

(٦) اللغة العربية في إسرائيل، ٣٤.

العربية من الضياع ... يعود بالدرجة الأولى إلى القرآن الكريم، ومن ثَمَّ إلى بعض المثقفين التقليديين»[1]. وقول ثريا الخربوش (جزائرية): «هنا يكمن الحجر العثرة المعترض للتعريب»[2]، وقول آخر (عراقي): «وجد زوجته يورديس قد فارقت الحياة متأثرة بعضة أفعى»[3]، والحية لا تعض، وإنما تلدغ. ولا يخفى أن الكاتب استعمل «عضة»؛ لأنها هي المستعملة في العامية، ولا يعرف مقابلها بالفصحى، كما استعمل عبد السلام «حذو» بمعنى «حذا». وقول أحدهم: قبل أن أنطق ببنت كلمة[4]، وإنما يقال في العربية: نطق، أو نبس ببنت شفة، وبنت الشفة هي الكلمة، كأن الشفة تلدها؛ لأنها تخرج منها، أما الكلمة، فليست لها بنت؛ فينطق بها، وقد سمع قائلُ هذه العبارة: «لم ينبس ببنت شفة»، فلم يفهمها، فجاء بعبارته على غرارها، وإن لم يكن لها معنى، مع أنه استعمل: لم ينبس ببنت شفة في كتابه هذا، لكن استعماله العبارتين على الوجه الذي فعل يدل على أنه لا يعرف معناهما، فإصابته في الثانية رمية من غير رام، وخطؤه في الأولى هو الأصل. ومنه قول علي فهمي خشيم (ليبي)، ونظائره في الكتابة العربية الحديثة كثيرة جدا: «قد كان لهذه المقدمة أن تصبح أكثر طولا، وأكثر تفصيلا، فإن فعلت لكانت هي بذاتها كتابا كبيرا»[5]. فالعبارة غير مُبينة؛ لأن بناءها النحوي غير صحيح، لكن السياق الذي وردت فيه يدل على أن الكاتب أراد: كان يمكن هذه المقدمة، أو كان ينبغي لهذه المقدمة، أن تكون أطول مما كانت وأكثر تفصيلا، ولو طالت، لكانت كتابا كبيرا. فأدخل اللام على جواب الشرط (إن فعلت). ويبدو أن الذي أوقعه في هذا الأسلوب كثرة ما رأى وسمع في الكلام العربي من مثل هذه العبارة: «ما كان له أن يفعل»، «ما يكون لي أن أفعل»، ولم يفطن إلى أن هذا الأسلوب لا يكون إلا منفيا، وأنه هو يريد الإثبات، وظن أن حذف أداة النفي قبل فعل الكون يؤدي ما يريد، فإذا كان «ما يكون لي أن أفعل»، يعني: ما يصح لي أن أفعل، فإن «يصح لي أن أفعل» يمكن أن يعبَّرَ

(١) اللغة العربية في إسرائيل، ٣٥.
(٢) عن سياسات تعريب ما بعد الاستقلال.
(٣) الأسطورة في شعر السياب، ٢٧.
(٤) أحادية الآخر اللغوية، ١٠٠ (الهامش).
(٥) اللاتينية العربية ٣١.

عنهـا بـ: يكـون لـي أن أفعـل. وليـس كذلـك، فالـلام الداخلة علـى الفعـل المضارع الواقـع فـي خبـر الكـون المنفـي لا تـدل إلا علـى النفـي، ولا تسـتعمل فـي الإثبات، ولذلـك تسـمى لام الجحـود، أي: النفـي، ولا يكـون فعـل الكـون الـذي قبلهـا إلا منفيـا، فلمـا اسـتعملها فـي الإثبـات لـم يكن لهـا ولا للأسـلوب الذي اسـتعملها فيه معنـى، وإن كان مـراده مفهومـا من السـياق. ولا يخفى وجه الشـبه بين هذه الأخطاء وغيرهـا وأخطـاء حديثـي العهد بتعلـم اللغـة الأجنبية.

ومـن صـور ضعـف لغـة عبـد السـلام قولـه: «وإذا المـرارة تراودهـم بيـن شـك ويقيـن، كأنهـا فـي بعـض أوانهـا مـرارة مـن أصيـب فـي مكامنـه أو انتُهـك فـي أعراضـه»[1]، فالمـرء ليـس لـه سـوى عـرض واحـد، فجمعـه لا يتجـه. ولا يقـال في العربيـة الفصحـى: انتُهِـكَ فـي عرضـه، وإنمـا يقـال: انتُهِـكَ عرضـه. ويبـدو أن هذه العبـارة سـقطت إليه من العامية التونسـية؛ فإنهـا تعدِّي بعض الأفعـال بـ«في»، نحو: «تَسـمع فيَّ؟»، أي: أتسـمعني؟ و«يشـكر فيك»، أي: يشـكرك، وكذلك يفعل بعض اللهجـات العربيـة فـي شـرق الوطـن العربـي وغربـه، كما يقـال في الحجـاز ومصر: يمـدح فيـه، ويضـرب فيه، ويشـتم فيـه. أما مـراودة المرارة فغيـر معقولـة، إذ المرارة المجازيـة الشـعور بالحسـرة والألـم والغضـب، يعـرو المـرء، مـن خـذلان ونحـوه، وهـذا الشـعور يخالـط قلـب المـرء كمـا يخالطه الحـزن، ويجـده في نفسـه كما يجد العطـش والغضـب والسـرور، ولا يـراوده، وإنمـا المـراودة المخادعـة والمراوغـة، وراوده علـى الأمـر: سـأله فعلـه[2]. أمـا المـرارة التـي بين الشـك واليقين فـلا يتضح معناهـا، إذ اليقيـن الجـزم بالشـيء جزمـا لا يداخلـه شـك، أمـا الشـك فارتيـاب فيـه، يجعلـه هـو ونقيضـه متسـاويين فـي الاحتمـال. وقولـه: «كأنهـا فـي بعـض أوانهـا مـرارة»، لا يتضـح معنـاه مـن لفظـه، ولعلـه أراد «كأنهـا أحيانـا مـرارة». وقريـب مـن هـذا قولـه: «الدلالـة التـي نصبغهـا علـى الاصطـلاح[3]، ولعلـه أراد: نسـبغها، أي: نُلْبِسـها، فهـو الـذي يلائـم السـياق، أمـا الصبـغ، فتغييـر لـون الشـيء بصبـاغ. وقولـه: «لا ينفـكُّ واجـدا»[4]، فيـه تناقـض، مـردُّه إلـى أنَّ «انفـك» يـدل علـى الاسـتمرار

(١) العولمة والعولمة المضادة، ٢٤.
(٢) المعجم الوسيط، (ر ود).
(٣) السابق، ٢٦.
(٤) العولمة والعولمة المضادة، ٢٧.

في الحاضر، و«واجدا» يدل على الاستقبال، فهو بمعنى سيَجِدُ، وكذلك اسم الفاعل، إذا استعمل في مثل هذا السياق، كقول الله تعالى: (وإني مرسلة إليهم بهدية)، (إني متوفيك ورافعك إلي ومطهرك من الذين كفروا وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا إلى يوم القيامة). وكان يمكن أن يقول: ما ينفك يجد، كما قال البحتري:

أجدَّكَ ما ينفكُّ يسري لزينبا خيالٌ، إذا آب الظلام تأوَّبا

وجمعه «زمام» جمعَ سلامة، في قوله: «إمساكه بزمامات الواقع»[1]، وإنما يُجمَع على أزمَّة. وجمعه «نفَق» على أنفقة[2]، وإنما يجمع على أنفاق. ويَجْمَع الشرْط على «أشراط»، كقوله: «ولئن كان من أشراط العلم وموضوعية خطابه أن ينأى بنفسه عن المجاز في العبارة»[3]، وإنما الأشراط جمع شَرَط، وهو العلامة[4]، ومنه تسمية علامات الساعة أشراطا، كقول الله -تعالى-: (فقد جاء أشراطها)، وقول يزيد بن مفرغ الحميري:

وتَبِعتُ عبدَ بني عِلاجٍ، تلك أشراط القيامهْ

أما «الشرْط»، فإنما يجمع على «شُروط». وقوله: «ترى أنفارا»[5]، والأنفار، إذا كانت جمع نفر، بمعنى الشخص الواحد، عامية، وإنما النفر: ما دون العشرة من الرجال، أو من ثلاثة إلى عشرة[6]. وجمعه «القبو» على «قباء»، في قوله: «نعقد تحت قبائها (مكتبة الإسكندرية) مؤتمرا»[7]، والقَباء ثوب يُلْبَس فوق الثياب أو القميص، ويُتَمَنْطَق به، أما «القبو»، فإنما يجمع على أقباء. على أن الجمع هنا لا يلائم السياق، فليس للمكتبة سوى قبو واحد، والمؤتمر إنما يعقد في مكان واحد، هو قاعة من قاعاتها، إن تعددت. وجَمْعُه «حَجَر» على حجارات في قوله: «حجارات البرَد»[8]، والحجر إنما يجمع على حجار وحجارة، وإن

---

(١) العولمة والعولمة المضادة، ٢٩.

(٢) السابق، ٦٤.

(٣) التخطيط اللغوي والأمن اللغوي، ٨.

(٤) المعجم الوسيط، (ش ر ط).

(٥) ١٠٩.

(٦) القاموس المحيط (ن ف ر)، والمعجم الوسيط، (ن ف ر).

(٧) الهوية العربية والأمن اللغوي، ٣٧.

(٨) اللسانيات وأسسها المعرفية، ٤٦.

قُدِّرَ أن جمعه على حجارات صحيح، فلا يفيد غير ما يفيد جمعه على حجار وحجارة، وهما الجمعان المشهوران. فإن أراد بالحجارات جمع حجارة، لم يكن لجمع الجمع معنى غير الذي يفيده الجمع.

ومن كلامه الذي يلبس، لاستعماله حروف الجر استعمالا غير صحيح، قوله: «ولئن تيسر للعالم أن يعرف الظاهرة التي هي موضوع علمه دون أن يردف إلى ذلك بالضرورة عملية تحديد العلم الذي ينكبُّ على تلك الظاهرة...»[١]. فـ«أردف» يتعدى بنفسه، ولا يتعدى بـ«إلى»، كالبيت المنسوب إلى امرئ القيس:

فقلت له لما تمطى بصلبه وأردف أعجازا وناء بكلكل

وتعديته بـ«إلى» لَبَسَتْ معناه، وحالت دون تبين المراد منه، وكان ينبغي أن يقول: ولئن تيسر للعالم أن يعرف الظاهرة التي هي موضوع علمه دون أن يردف ذلك...». وقوله: «يمعنون في الإصرار بأن اللغة العربية»[٢]، و«أصرَّ» يتعدى بـ«على»، كقول الله -تعالى-: (وكانوا يصرون على الحنث العظيم)، فكان ينبغي أن يقول: «في الإصرار على أن اللغة».

واستعمال «حوصل» بمعنى جَمَعَ[٣]، والصواب حصَّل، كقول الله -تعالى-: (وحُصِّلَ ما في الصدور)، فإن المادة هي حصل، وليست فيها واو، إلا إن كان اشتقاقه من «حاصِل»، فقلب ألفه واوا، وهو اشتقاق غير صحيح؛ فإن الاسم الثلاثي المزيد إذا اشتُق منه فعل، حُذِفَ ما زيد فيه، قلَّ أو كثر، حتى يعود ثلاثيا، ثم يشتق منه[٤]. ويبدو أن قلب الألف فيما يشتق من هذه الكلمة (حاصل) وما شاكلها مثل: جاسوس، وحاسوب، وقانون، وقاعدة، وخاصة، مما يولع به بعض أهل المغرب العربي، فإنهم يقولون، إذا اشتقوا منها أفعالا: تجوسس، وحوسب، وقونن، وخوصص، وقوعد[٥]، ويقولون في مصادرها: الجوسسة، والحوسبة، والقوننة، والخوصصة، والقوعدة. والصواب: تجسس، وحسَّب، وقنَّن، وخصَّص، وقعَّد، ومصادرها: التجسس، والتحسيب، والتقنين،

---

(١) اللسانيات وأسسها المعرفية، ٢٣.
(٢) ١٠٩.
(٣) السابق، ٤٨.
(٤) علم المصطلح، ١١٢ وما بعدها.
(٥) اعتداء الفكر العربي الحديث على ذاته اللغوية، ١٣٦ و١٤٦.

والتخصيص، والتقعيد، كقول الله -تعالى-: (ولا تجسَّسوا). فهذا هو القياس في العربية، ولا شيء يقتضي العدول عنه. وقد وصف المسدي اشتقاق المصريين «الخصخصة» من «خاص» بأنه قياسي، ولكنه لا يخلو من رطانة توالي المقطعين المتماثلين، واشتقاق التونسيين «الخوصصة» بأنه لا يسلم من النشاز الصوتي، وآثر عليهما «التخصيص»، وهو المستعمل في السعودية[1]، وكان القياس يقتضي أن يكون حكمه في «الحوصلة» كحكمه في «الخوصصة»، فإن أمرهما واحد. ويبدو من وصفه الاشتقاق المصري بأنه قياسي، والاشتقاق التونسي بأنه نشاز، وإيثاره الاشتقاق السعودي، أنه لا يعرف قاعدة الاشتقاق في هذه الكلمة ونحوها، ولذلك كان في حكمه من التخفيف ما لا يخفى. وكذلك قول علي درويش إن الخصخصة قبيحة، وتجرح الحنجرة، والخوصصة غليظة، وإن عقول الذين آثروهما «مبرمجة تقليدية»[2]، فهي أحكام ذوقية، لا تعرج على القاعدة؛ لأنها لا تعرفها، ومثلها لا يبنى عليه حكم لغوي، فما كل ما استحسن جاز، ولا كل ما استقبح امتنع، بل للغة معايير غير الاستحسان والاستقباح، والاستحسان والاستقباح مما يُختلَف فيه، بخلاف معايير اللغة. ومثل هذا ترجمة بعضهم decolonization بفكفكة، فخير من الفكفكة التفكيك، فإن الفعل فكَّك، لا فكفك، ومصدر فعَّل التفعيل، وهو الذي يدل على ما يراد من كثرة التحليل، بخلاف فكفك، فليس بمستعمل في العربية، ولا يدل على التكثير إلا في العامية. وقوله: «ثم بالوظيفة التي تعتملها في إنجاز الوجود اللغوي»[3]، فـ«اعتمل» فعل لازم، بمعنى عمل لنفسه، وتصرَّف في العمل.

ومن أساليب عبد السلام الضعيفة، على خلاف ما يَظن بها، قوله: «من أبناء شعوب العالم النامي عديدون هم أولئك الذين فقدوا ثقتهم بالريادة الأخلاقية»[4]. فهذه العبارة -فوق أنها غير صحيحة- مسرفة في الطول، وكان أصح منها وأوجز، وأبين دلالة أن يقول: «فقدَ كثير من أبناء العالم النامي ثقتهم بالريادة الأخلاقية». وإذا قُدِّرَ أن شبه الجملة الذي ابتدأ به خبر مقدم،

---

(١) مصطلحاتنا بين المشرق والمغرب.

(٢) أزمة اللغة والترجمة، ٧٠ وما بعدها.

(٣) التفكير اللساني في الحضارة العربية، ٤١.

(٤) العولمة والعولمة المضادة، ٢٤.

وأن المبتدأ هو «عديدون»، فـ«هم أولئك الذين» لا معنى لها. صحيح أنه ربما أراد أن يكون «هم» فاعلا لـ «عديدون»، لأنه استعمله بمعنى «كثيرون»، لكن ذلك لا يصح أيضا؛ لأن «العديد» اسم جامد، وجمعه جمعا مذكرا سالما لا يصح أيضا؛ إذ لا يُجمَع جمعَ سلامة -قياسا- إلا ما كان علما لمذكر عاقل، أو صفة لمذكر عاقل، بشروط معروفة في كتب النحو. ولو قُدِّرَ أنه مشتق، ما صح الابتداء به على هذا الوجه؛ لعدم سبقه بنفي أو استفهام. ولا يصح أن يكون خبرا شبهَ جملة و«هم أولئك الذين» مبتدأ مؤخرا؛ لأن المبتدأ لا يكون جملة، فإن قدر أن «هم» ضمير فصل معترض بين المبتدأ والخبر، فإن ضمير الفصل إنما يجاء به لتوكيد المبتدأ، أو ما أصله المبتدأ، فلا يكون إلا بعده، كما لا يكون التوكيد إلا بعد المؤكد، فإذا تقدم الخبر لم يبق لضمير الفصل محل، ولذلك لا يقال: في الدار هو زيد؛ لأن «هو» لا يؤكد «في الدار». وكان يمكنه، إن أبى إلا تقديم الجار والمجرور، واستعمال «عديدون» بمعنى «كثيرون»، أن يتخلص مما لا داعي له من العبارة، فيقول: «من أبناء العالم النامي عديدون فقدوا ثقتهم بالريادة الأخلاقية»؛ فإن بعض الشر أهون من بعض. وهذا يدل على أنه ربما استعمل الأسلوب كما يَعِنُّ له، دون أن يعرضه على موازين اللغة، بعد أن ضعفت موازين السليقة، لكن موازين اللغة غير معروفة، ولأنها غير معروفة كان حتما أن يكون القول جزافا. ولا يخفى ضعف قوله: «فإنْ هي تخوضه، أفترقى المواجهة إلى الحد الذي يصح أن نتحدث فيه عن حرب؟»[1]، وإنما ينبغي أن يقول: فإن خاضته، أو: فإن هي خاضته، أو يقول: فإن تخضه، على حسب المعنى الذي يريد. ولا يخفى ما في الأسلوب من عجمة، ما تصدر -في العادة- ممن يتكلم العربية بالسليقة، وما أدري لم عدل عن الأسلوب الجاري على كل قلم ولسان: فإن خاضته، أو: فإن هي خاضته، إلى هذا الأسلوب الذي ليست له فضيلة في نفسه، وهو غير مستعمل في العربية الفصحى ولا في لهجاتها. وهو كعدوله عن «الأقدم» إلى «الأسلف»[2]، وهو غير صحيح، من حيث الاشتقاق، فضلا عن أنه -لو صح- لا يدل على غير ما يدل عليه «الأقدم»، فاستحداثه من الزيادة

---

(١) العرب والانتحار اللغوي، ١٢.

(٢) اللسانيات وأسسها المعرفية ٢٧.

لغير لحاجة. ووجه الخطأ في «الأسلف» أن «سلف» فعل غير قابل للتفاضل، فهو مثل مضى، ونفد، ومات، فلا يشتق منه اسم التفضيل كما لا يشتق من هذه. والعدول عن الصيغة الصحيحة الشهيرة المستعملة (الأقدم) إلى صيغة لا تصح، ولا تفيد معنى جديدا، لا تتضح مسوغاته، إلا أن تستميل امرأً رغبةٌ في الإغراب، أو في الجديد لجدته، وإن كان غير صحيح، أو اجتواء القديم لقدمه، وإن كان هو الصواب، وهو شيء قد رأينا نظائره كثيرا في لغتي عبد القادر الفاسي الفهري، وعبد الملك مرتاض. وقوله: «العراق لم ينته عليه عام ٢٠٠٩ حتى بدأ قراره اللغوي يتعافى»[1]، و«انتهى» فعل لازم، فلا يعدَّى بـ«على»، وكان ينبغي أن يقول: «لم ينته عام ٢٠٠٩ حتى...».

والاقتصار من دراسة اللغة على نحوها وصرفها مقطوعين عن آدابها ونصوصها البليغة مما أشاع العجمة في كثير مما يقال ويكتب بالعربية اليوم، وهو من أسباب عدم ظهور كتاب مبدعين، يحسنون التصرف في العربية كما كان يتصرف فيها بعض كبار الأدباء في هذا العصر وقبله، وكما يتصرف المبدعون في لغاتهم عن معرفة بها واقتدار. وكثير من الكتاب لا يعرف من قواعد العربية ما يرشده، ويباعد بينه وبين الخطأ، ولا يحفظ من نصوصها ما يحذو عليه، فإذا همُّوا بالقول لم يحضرهم إلا ما يعرفون من العامية، ولغة الإعلام، واللغات الأجنبية؛ فيستعملون العامي، والمبتذل من لغة الإعلام، ويحذون على اللغات الأجنبية. والنصوص الأدبية إذا دُرِّست في المغرب العربي، فإنما تدرس لتطبق عليها نظرية نقدية حديثة، ولا سيما النظريات التي تعنى بدراسة النص دراسة شكلية، تمزقه تمزيقا يُذهب حسنه، وينزع روحه، ثم تعكف على أشلائه تتعبث بها، كما يفعل طالب الطب بالجثث التي يتعلم فيها. وهو عمل، لا يكسب ذوقا ولا سليقة، ولا يزيد في ملكة، وإنما يقتل ما كان منهما قبل هذه الدراسة.

ويستوقف المرءَ من كتَّاب العرب المعاصرين الصدوف عن استشارة كتب اللغة قبل الإقدام على نشْر ما يكتبون، وهو أمر ينبغي أن يكون أحرص الناس عليه من يمتهن الكتابة، ولا سيما الذين يعلمون من أنفسهم قلة الزاد من العربية، لعدم دراستهم إياها دراسة يهيئ مثلها للكتابة بها. ولو قُدِّرَ أن يستشيروا

---

(١) ٩٦.

المعجمات وكتب اللغة، لنجوا من كثير مما يقعون فيه من كبائر الأخطاء. وقد يكون مردُّ ذلك إلى أحد أمرين: ثقتهم بعلمهم ثقة يستغنون بها عن استشارة المراجع، وعدم المعرفة بالمراجع وكيفية الإفادة منها.

التعليم ومسخ الهوية

وبنا حاجة بعد هذا إلى أن نقول كلمة موجزة في أسباب ما آلت إليه العربية من المسخ، وكنا قد ذكرنا طرفا من ذلك فيما سلف من الكتب، وسنقتصر هاهنا على أسباب أخرى لضعف العربية الحديثة، والاستهانة بها، والإعراض عنها، والهيام باللغات الأجنبية، والجد في تعلمها، وإحلال ما يعرف منها محل نظيره من العربية، من أهمها:

١- عدم وجود فلسفة غائية للتعليم: ولعدم وجودها كان عملا صوريا، يتكرر كل عام وفصل، على وجه واحد، ثم يخرج الطلاب منه كما دخلوا، ما تغير سلوك، ولا جدَّ علم، ولا نضج فكر، ولا رُعيَت موهبة، ولا استُنبت خلُق، ولا اختلف «المتعلم» عن غير المتعلم، ولا تأثر المجتمع تأثرا، يبشر بأن أمة تتجه وجهة، ستنتهي بها إلى غاية من الغايات التي تتغيا الشعوب التي تعرف ما تريد، وتعرف كيف تبلغ ما تريد. وعدمُ عنايته عناية جادة بالإنسان، وعدم وجود تصور لبنائه وترقيته، ولا لما ينبغي أن يراد له، ويراد منه، وكونُه ليست له ثوابت، ولا أسس حضارية يبنى عليها. ويتخرج الطلاب وهم لا يعرفون من اللغة التي يدرسون بها إلا ما وافق ما يعرفون من العامية، وتُولَى اللغة في تعليم الدول المتقدمة عناية شديدة، ويخصص لها في كل طور من أطوار التعليم جزء مقسوم، يُكيَّف مع حاجات الطلاب العلمية والعملية، ليعينهم على استيعاب ما يدرسون من علوم ومعارف، ولا يقبلون في الجامعة أو يجتازوا امتحان إجادة اللغة التي سيتعلمون بها. ويُقبَل الطلاب في الوطن العربي، على ما يكون من جهلهم بالعربية، وقلة زادهم من اللغات الأجنبية، فلا يستطيع بعضهم مسايرة التعليم، ويسايره بعض مسايرة مَن لا يجيد لغته، فتكون إفادتهم منه على قدر ما يعرفون منها، ويدرَّسون بالعامية التي لا تقدم لهم أكثر من مجمل الموضوعات، على وجه يُشعر بعدم الجد في التعليم، وأن غايته شهادة، يعيش بها مَن يعطاها،

ليس إلا. وقد رأيت طلاب أقسام العربية لا يفهمون الكتب المقررة عليهم، ولا النصوص المكتوبة بها، وسألتهم مرارا عن معاني ما يخطئون في قراءته من الجمل والمفردات، فعلمت أنهم لم يروه ولم يسمعوه من قبل. وطالب الجامعة في فرنسة إذا قرأ نصا ما، فوجد فيه كلمة جديدة، أسرع من فوره إلى مكتبة المدرسة، أو مكتبة الجامعة، أو مكتبة الحي، وتناول معجم روبرت «Robert» أو معجم لاروس «La rousse»، أو غيرهما من المعجمات، فنقَّب فيه وبحث عن معنى الكلمة حتى يستقيم معنى النص في بنائه الذهني أو العقلي[1]، أي إنه يُبنَى بناء معرفيا، ويُربَط أبدا بلغة النص؛ لأنها هي مفتاح العلم، ومعرفتها شرط الفهم.

وقد نبه مكتب التعريب الدائم بالرباط على أن تحصيل طلاب المدارس الابتدائية في معظم الوطن العربي دون تحصيل أمثالهم في مدارس الدول المتقدمة، وأحصى الاصطلاحات والمفاهيم الواردة في الكتب المدرسية كلها، فتبينَ أن مجموع مفاهيم كتب الطور الابتدائي لا يتجاوز ثمانمائة مفهوم، ويحصِّل التلميذ الأجنبي ألفا وخمسمائة اصطلاح في التعليم الابتدائي. أي إن مدركات الطفل العربي أقل من مدركات الطفل الأجنبي بما يقارب النصف، من أجل ذلك يتعب التلميذ العربي في فهم الاصطلاحات العلمية في الثانوية والجامعة، ويقل الناجحون في الامتحانات العامة والانتقالية[2]. وإنما يقلُّ النجاح في بعض الدول العربية فقط، أما سائرها، فلا يرسب فيه طالب، وإنما ينجحون جميعا، على كل حال، ولا سيما تلامذة المدارس الابتدائية؛ لأن هذه الدول تعد التعليم محضنا، يحول بين الطلاب والجريمة، والإخلال بالأمن، وليست له غاية وراء ذلك. هذا إلى أن بعض البلدان العربية ليست لتعليمه غايات بينة، وإنما هو ضرب من التمثيل، توهَم به الشعوب أن لها حكومات، وأن حكوماتها تؤدي ما تؤدي الحكومات الوطنية. وآية ذلك أنَّ حال التعليم مستقرة على الضعف والتخلف، وخططه وبرامجه لا تُراجَع، ولا يصلح منها ما ثبت خطؤه وضرره.

---

(١) إشكاليات المصطلح الغربي في ثقافتنا المعاصرة، ٣٥.

(٢) اللغة العربية وتحديات العصر، ١٠.

ومن وازن تعليم العبرية عند اليهود الذين يحتلون فلسطين بتعليم العربية عند العرب، تبيَّن بُعْد ما بين هؤلاء وأولئك، وبين من يريد بناء أمة، ومن ليست له غاية وراء استتباع الشعوب والسيطرة عليها، ففي سني التعليم الإجباري الثماني يقرأ تلامذة اليهود التوراة كلها، ويفهمونها ويحفظون منها جزءا كبيرا، ويطلعون على شروح أهم مفسريها[1]، ويحوزون ثروتها اللغوية، ويعرفون ما اشتملت عليه من عقائد اليهود، وتاريخهم وثقافتهم ويستوعبونها استيعابا يجعلهم ينتمون إلى أمتهم انتماء تلقائيا. ويعتمد الصينيون كثيرا على تعليم الشعر من أجل الحفاظ على هويتهم؛ لأنه يعبِّر عن الأمل وعزيمة الشعب. وطالما كان شعرهم القديم أساساً في الثقافة التقليدية. ويبدأ الطفل تعلم الشعر وحفظه مع تعلم الكتابة، حين يكون أقدر على الحفظ والاستيعاب؛ لأنهم يعتقدون أن الشعر يمكن أن يجعل الحجر ذهبا. وتقام مهرجانات لإلقاء الشعر، والمسابقات الشعرية، بين الشباب، يشرف عليها متخصصون[2]. ولا يُبنى التلميذ العربي بناء فكريا، ولا يصاغ صياغة تجعله يحيا من أجل غاية أكبر من المنافع المادية الخاصة التي ينالها بالشهادة؛ من أجل ذلك يكون عرضة لأن ينتمي إلى كل شيء، ولا تكون التربية وسيلة من وسائل توحيد الأمة الفكري والثقافي، فكل فرد من أفرادها يمكن أن ينتمي إلى ضد ما ينتمي إليه الآخر، ويمكن ألا تكون بينهم ثوابت يلتقون عليها. ويتجلى هذا أكثر شيء في فتح الأبواب على مصاريعها للتعليم الأجنبي في الوطن العربي، تدرِّس فيه كل مدرسة وجامعة برنامجها بلغتها في بلادها، ويكون أكبر همها أن تصطنع صنائع تبلغ عليهم مآربها في بلدهم، وتُعنى أكثر شيء بأبناء الأقليات، فتربيهم على معاداة الأكثرية وثقافتها، وتستعملهم في العصف بوطنهم، متى شاءت، أو تهدد بهم وحدته، من أجل ذلك كانت كل دولة عربية عرضة لأن تنهار في كل وقت بأيدي المتعلمين من أبنائها تعلما أجنبيا. وليس للقرآن مكانة تذكر في التعليم العربي الرسمي، في بعض البلدان العربية، ويمنع تدريس بعضه؛ لأنه يحض على «الإرهاب»، وأحسن الدول العربية حالا من يقرر منه سورا، في كتب

---

(١) إنية واصالة، ٧٥.

(٢) الحفاظ على اللغة حفاظ على الهوية: كوريا والصين نموذجاً.

النصوص، أو مادة التربية الإسلامية، أو يجعل له مدارس خاصة، لا تدرس فيها المواد العلمية، وتُقصَر على المقررات الشرعية والأدبية؛ لينصرف عنها جل الطلاب؛ لأن أولياءهم إنما يريدون التعليم بابا إلى المال والمناصب، وليس التعليم الشرعي والأدبي أوسع أبوابهما في حياة العرب المعاصرة. أما الأدب العربي، فلا يولى من العناية ما هو أهله، بل يستخف به، ويستثقل، ويوحى إلى الطلاب أنه غاية في الصعوبة، ولغته لغة ميتة، وليس لهما كبير نفع في الحياة، وربما كان الذين يدرِّسونهما أشد الناس تنفيرا منهما؛ لما يظهرون للطلاب، ولا سيما طلاب التخصصات العلمية، من ازدرائهما، وقلة جدواهما، وتدريسهما بالعامية، وأن العناية بهما ينبغي أن تقتصر على المخصين فيهما دون غيرهم.

وتتدخل الدول الأجنبية في التعليم العربي، فتوجهه الوجهة التي تضمن لها ألا يخرِّج من يضمرون لها ما يضر بسياستها ومنافعها في بلادهم، فتجرد مناهجه من كل ما يمكن أن يصنع لها في نفوس العرب غير ما تريد، وغير ما تقتضي سياستها في الوطن العربي، على ما يعرف العارفون بالتوراة مما فيها من الحض على القتل والعنف والحقد على البشر، وسفك الدماء، وقتل البرآء كالأطفال الرضع والنساء، والحيوان: «إني قد افتقدت ما عمل عماليق بإسرائيل حين وقفه له في الطريق عند صعوده من مصر، فالآن اذهب واضرب عماليق، وحرِّموا كل ماله، ولا تعف عنهم، بل اقتل رجلا وامرأة، طفلا ورضيعا، بقرا وغنما، جملا وحمارا»[1]، وهو ما امتثلته إسرائيل في حروبها مع العرب، ومعاملتها الفلسطينيين، كأن ذلك هو السلام والثقافة الإيجابية، وإنما الإرهاب هو ما في ثقافة العرب من دعوة إلى العزة وإباء الضيم، وعدم الرضا بالاستكانة للأعداء، ولقاؤهم بما يجب أن يلقوا به من الشدة. ففي عام ١٩٩٥ شرح شمعون بيريز في القمة الرباعية بطابا، خطة برنامج لتعليم موحد في الشرق الأوسط كله بالحاسب، بإشراف إسرائيل[2]. وفي عام ٢٠٠٣ قدمت أمريكة خطة لتغيير المناهج التعليمية في مصر والوطن العربي، من الابتدائية إلى الجامعة، صاغتها مجموعة من السياسيين الأمريكيين (من ١٩ عضوا)، ثم

(١) سفر صموئيل الأول، الإصحاح الخامس عشر.

(٢) الحادي عشر من سبتمبر ٢٠٠١ وتداعياته التربوية والثقافية في الوطن العربي، ٨٩.

رفعتها إلى جهاز الأمن القومي الأمريكي، فرفعها إلى الرئيس الأمريكي فوافق عليها، غير أنه أجل إبلاغها الدول العربية وإلزامها تنفيذها كاملة حتى ينتهي من مغامراته العسكرية في العراق وتغيير حكمه[1].

وبإهمال العربية وإهمال تعليمها تعليما جادا، يؤهلها لأن تكون مفتاح المعرفة حال نظام العرب التعليمي بين مدارسهم وجامعاتهم وتخريج علماء ومثقفين ومفكرين، وجعل وُكد التعليم تخريج حملة رخص عمل، يعيشون بما يفرض أنهم تعلموا، وعلَّق قلوبهم بالمنافع المادية الخاصة، وتنزَّل بهممهم عن معالي الأمور، وعشق المعرفة، واستسهال الصعب في بلوغها؛ فكان أقصى ما يحصِّل أحدهم أن يلم بلغة أجنبية، لا يمكِّنه ما يشدو منها من التعلم بها، ولا من الترجمة منها إلى العربية. أما لغته، فمن الغالب أن يجهلها كل الجهل، إن كان غير متخصص فيها، فإن كان متخصصا فيها كانت معرفته بها معرفة مزجاة، لا تزيد على ما يبلِّغه ما يريد من التوظيف. ويتجلى ذلك فيما سماه بعض الباحثين «الأمية الجديدة»، وهي: عدم قدرة المرء ذي التعليم العالي على القراءة والكتابة والتكلم بلغة صحيحة، والجهل بالضروري من مفرداتها وأساليبها وقواعدها الصرفية والنحوية، مع أنه يدرسها منذ الطور الابتدائي إلى الطور الجامعي[2]، وهي أمية، يستوي فيها طلاب الجامعات وأساتيذها. وقد أثبتت الدراسة الميدانية فشوَّها في أساتيذ الجامعات العربية، فقد درس أحد الباحثين ثلاثا من الجامعات العربية، فانتهت دراسته إلى أن أساتيذها (ومنهم أساتيذ العربية) ليس فيهم من يعلِّم بالعربية الفصحى، إلا قلة؛ وأن اللغة الشائعة في قاعات الدرس هي العامية[3]، ومن النادر أن يتحدث أستاذ جامعي عربي في ندوة علمية أو اجتماع قسم، أو مناقشة رسالة علمية بالعربية الفصحى، فإن اضطر إلى قراءة كلمة أو محاضرة مكتوبة بالفصحى غير مشكولة، ندر ألا يلحن فيها، وإن لجأ إلى التسكين. وانتهت الدراسة إلى أنه لا معنى للقول إن للجامعات يدا في تعريب المجتمع العربي المعاصر، وأدق من ذلك وأصح أن

---

(١) الحادي عشر من سبتمبر ٢٠٠١ وتداعياته التربوية والثقافية في الوطن العربي، ٩٣.

(٢) في مخاطر فقدان العلاقة العضوية بين المجتمعات العربية ولغتها، ٤٦، والازدواجية اللغوية الأمارة، ٦٣، ولغة التنمية والتعليم في الجزائر، ٣.

(٣) الازدواجية اللغوية الأمارة، ٦٣ وما بعدها.

يقال إن الجامعات العربية، وبخاصة الجامعات الجزائرية والخليجية، تعين على ترسيخ العاميات، وتقويتها بدلا من العربية الفصحى[1]. وما انتهت إليه الدراسة يمكن أن يعمم على سائر الجامعات العربية؛ لأن الحال واحدة، والذين يدرِّسون في الجامعات الثلاث ينتمون إلى جل الأقطار العربية، ولا ريب أن اللغة التي يدرِّسون بها في هذه الجامعات هي التي يدرِّسون بها في جامعاتهم، وليست لغة يصطنعونها في التعليم في هذه الجامعات وحدها. ومما يؤيد صحة تعميم هذا الحكم، فوق ذلك، ما قال أحدهم: مع الجهود التي بذلتها الجزائر بعد الاستقلال في تعريب التعليم، تفيد النتائج الملموسة في نهاية التكوين اللغوي للطلبة الجامعيين اليوم أنهم أميون، في الجملة، بالمعنى الجديد لكلمة الأمية، أي إنهم غير قادرين على الكتابة ولا على التكلم السهل المتسلسل بالفصحى، وجاهلون بكثير من المفردات والأساليب والقواعد الصرفية والنحوية، حتى السهل منها أحيانا[2].

ومن الحق الذي ما ينبغي تجاهله أن العاميات غدت هي لغات الشعوب العربية التي تستعمل في أكثر شؤون الحياة، كائنة ما كانت منزلة الذي يستعملها الثقافية، ورتبته العلمية، والمقام الذي يكون فيه، وأن من يتكلف منهم الكلام بالفصحى والكتابة بها كتابة تسمو عن الكتابة الصحفية، قليل، وأن الذين يؤلفون بها عن علم بها أقل من ذلك، وآية ذلك أن أحدهم إذا تكلم تكلم بالعامية؛ لأنه لا يعرف غيرها، ولكنَّ دور النشر تتولى مراجعة ما يكتب، حتى تخرجه في صورة قريبة من الصورة التي تخرج بها الكتب العربية الحديثة، فيخيل إلى من لا يعرف ذلك أنه يكتب بالفصحى عن علم بها، فإن لم تراجعه بان فيه من الأخطاء في ضروريات النحو والصرف والإملاء ما يشكك فيه أنه درس شيئا من العربية، وبان فيه من الخطأ في بناء الجمل، والحذو على اللغات الأجنبية، واستعمال المفردات في غير معانيها ما يدل على تقطُّع ما بينه وبينها، كهذه العبارات: سها عن بال زعمائنا، منذ إحرازنا أولى انتصاراتنا، الفصلة التي لا تستعمل يتآكلها الصدا، أما بحال فشلت الدعاية المنظمة، فإن الحركة ستحتاج

---

(١) في مخاطر فقدان العلاقة العضوية بين المجتمعات العربية ولغتها، ٤٧.

(٢) لغة التنمية والتعليم في الجزائر، ٤، وانظر: في مخاطر فقدان العلاقة العضوية بين المجتمعات العربية ولغتها، ٤٤.

عددا أكبر من لموظفين، والشيء نفسه ينطبق بالنسبة لـ، إلخ.

وفي غير العارفين بالعربية، ولا سيما المشتغلين بعلم اللغة الحديث، ومن يُخِصُّون في الأدب والنقد، وغيرهما من العلوم الإنسانية، على كثرة ما يكتبون ويؤلفون، ظاهرة غريبة، هي استغناؤهم عن تعلم العربية بما يتلقون من وسائل الإعلام، وما يثقفون من العامية، وإصرارهم على أن يستعملوها كيف شاؤوا. وهذه الظاهرة بمنزلة إعلان الحرب على العربية، يفعله من يفعله كسلا عن تعلمها، أو عجزا عنه، أو استهانة به، أو انسياقا مع الهوى، وما يزين من الركون إلى الأسهل، وعدم حَمْل النفس على تعلم الضروري من العلم، على ما يوقع فيه من أضرار معنوية جسيمة، ما تليق بمن ينتسب إلى العلم، حين يكتب أو يخطب، فينكشف عدم علمه بالعربية انكشافا يسويه بالعامة، ويجرده مما يستره من الدعاية، والادعاء، اللذين كانا يوهمان أنه امرؤ غير الذي أبان عنه كلامه، و«المرء مخبوء تحت لسانه»، وكيف يُعدُّ مثقفا أو مفكرا أو عالما مَن يجهل الحد الأدنى من لغته، حتى ليعجز عن إقامة جملة صحيحة، إلا أن تصدر منه اتفاقا، أو لا يكون له سبيل إلى الخطأ فيها؟. وهو من أسباب ما يمنى به العرب من ضعف علمي، ورضا بالتقليد، وعجز عن تعريب المعرفة تعريبا يمكِّن من استيعابها، فإنتاجها على أصول صحيحة. وقد كان هذا محلَّ تعجُّب من مصطفى جواد، إذ قال: من غريب ما كان في هذا الأمر أن كثيرا من النَّقَلة والمترجمين اغتروا بمعرفتهم اللغات الأعجمية، ولم يتقنوا العربية، ولا تبحَّروا في اصطلاحاتها، فترجموا الكلمات العلمية، والألفاظ الفنية كيفما اتفق لهم، إلا أفرادا أقلاء كجمعهم، لا يجوز أن يُنكَر إحسانهم النقلَ وفضلهم فيه. وكان واجبا على المسيئين أن يتقنوا العربية كما أتقنوا غيرها، ولكنهم استهانوا بها، مع اعتماد شطر من أرزاقهم عليها، فجاءت ترجمتهم شوهاء ورهاء مرهاء. وتسمَّح أهل الصحافة وتساهلوا في كثير مما ينشرون، في نحو العربية وصرفها وبيانها؛ لأن من عادتهم السرعة؛ فشاعت أساليب ركيكة، واصطلاحات فجة، إن جاز أن تسمى اصطلاحات، وفشا الفساد في العربية ولا سيما ما تُرجم إليها من الروايات[1].

---

(١) اللغة العربية والعصر، ٧ وما بعدها.

غير أن من عدم الإنصاف أن تُتَجاوز ببعض هؤلاء أقدارهم، فيوازنوا بالمثقفين، وأساتيذ الجامعات في الدول المتقدمة، ويؤمل منهم ما يؤمل منهم من الوعي، وما يستتبع الوعي من اعتزاز بالهوية، والخصوصية الحضارية، فقد أتيح لأولئك علم، وثقافة إيجابية، ورُبُّوا تربية واضحة الغايات، أورثت نضجا، وحسْنَ إدراك، ونَبَتُوا في بيئات حرة، تتيح للعقل أن يفكر ويقدِّر، وينمو نموا طبيعيا، وما يُرَى في تراثهم ومناقبهم وحياتهم من النضج والوعي أثر من آثار ذلك. ونبت العرب في بيئات غير طبيعية، وتعلموا تعلما نفعيا، مجردا من الغايات النبيلة، والأخلاق والمثل الكريمة؛ فلم تكن لهم غاية وراء المنافع المادية التي صيغ تفكيرهم، وكُيِّف تعليمهم مع ما يبلِّغها؛ فكان في حياتهم من الأَثَرة، وعدم الاكتراث بالجانب المعنوي من الإنسان، وعدِّ المصلحة العامة وراء المنفعة الخاصة ما قد رأينا. هذا إلى أن الفصل بين المؤهلات العلمية (الشهادات) والنضج الفكري حتْم على من أراد تقويم هذه الظاهرة، وغيرها من الظواهر، فإن بينهما بونا كبيرا، ولا سيما إذا كان الكلام عن الخبراء المتخصصين، فإن المتميزين منهم في الوطن العربي مهنيون محترفون، ليس لهم أرب في غير مهنهم، وبيئتهم العلمية والعملية بعيدة من الفكر والثقافة، فلما تبوَّأ بعضهم القيادة(١)، بان عدم اكتراثهم بما وراءها، وقلةُ مبالاتهم الهوية؛ من أجل ذلك تراهم لا يحركون ساكنا لمواجهة المسخ الثقافي الذي استباح بيضة العروبة، كأنهم لا يرون به بأسا، بل يراه بعضهم دنوًّا من المثال، وتقدما نحو الكمال. وقد ترك فراغ الفكر والروح، وقلة الوعي، وعدم السياسة الراشدة، تركت الهوية العربية نهبا لكل تفاهة، ونزوة من نزوات الجهل والغرارة، وهيأت الشعوب لتقبل ما ترى وتسمع.

وفي بعض الجامعات العربية مقررات أدبية ولغوية يدرسها الطلاب جميعا، ومنهم طلاب العلوم التطبيقية، لكن جلهم لا يفيد منها شيئا؛ لأنهم غير مقتنعين بدراستها، ومن يدرِّسونها لا يدرون لم يدرُسونها؛ فهم لا يحتاجون إليها في عملهم: لا يكشفون بها على مريض، ولا يخططون مبنى، ولا يشقون طريقا، ولا يبنون مصنعا، ولا يبصِرون الأحياء الدقيقة في المختبرات، وما لا يحتاجون

(١) أعني بالقيادة المهامَّ التنفيذية، من وزارات وإدارات، ونحوها.

إليه في عملهم، لا يحتاجون إليه في أنفسهم فتعليمهم إياه إثقال عليهم، وشَغْل لهم عما ينبغي أن يشتغلوا به. من أجل ذلك تسمع عجبا حين تمر بأبواب الفصول الدراسية في جامعة من الجامعات العربية مفتَّحةً، فتسمع الأساتيذ يلقون دروسهم بالعامية، فلا تفرق بين المحاضرة والمسرحية والحلقة من مسلسل تلفازي، وأحاديث العوام في الأسواق، والشوارع، حتى حين تكون المحاضرة في النحو، أو الأدب، أو النقد، أو البلاغة، أو الفلسفة، أو التاريخ القديم، إلا أن لغة عوام الناس في الأسواق مساوقة لأفكارهم وشؤونهم، ولغة الأساتيذ مناقضة لما يعلِّمون، ولكنهم لا يستنكفون من أن تكون اللغة التي يتكلمون بها هي اللغة التي يتكلم بها الممثلون، والباعة، والعوام، ولا يشعرون بأنهم يرتكبون خطأ حضاريا شنيعا في حق أمتهم، وحق الأجيال التي يعلِّمون، ولا يرون أن منزلتهم العلمية إنما تليق بها لغة غير اللغة التي يستعملون! فإن سألت: لم يفعلون؟ لم تجد جوابا سوى أنهم يزهدون في الكمال، فلا يريدون أن يتعلموا ما لا يعلمون، ولا أن يَكْلَفوا من الأمور ما فيه مشقة، وهم قبل هذا وبعده لا يميزون وظائف العامية من وظائف الفصحى، ولا يعرفون علاقة اللغة بالفكر. وإنما يمتاز الإنسان من الحيوان بالعقل، وترجمان العقل اللسان، ومن راعى ذلك، عز عليه أن يكون في ترجمان عقله زيغ عن الصواب، أو قصور عن البيان. ولما كانت الأمور المعنوية قديما ألصق من غيرها بالقلوب، كان العرب الأوائل يعنون بتقويم ألسنتهم، ويجتنبون اللحن فيما يكتبون أو يقرؤون «اجتنابَهم بعض الذنوب»[1]، وكان بعضهم إذا لحن سهوًا عاده من الهم والغم أمر عظيم. روى الزبير بن بكار أن أبا بكر بن عبد الله بن مصعب بن ثابت بن عبد الله بن الزبير -رضي الله عنهم- أصبح يوما خاثرا (غيرَ نشيط)، فغمَّ ذلك أصحابه، فلما سألوه عما به، قال: «إني سهوت أمس، فأخللت بكلمة لحنت فيها، فما نمت البارحة غمًّا بها، فلذلك ما رأيتم من خثوري»[2]. فلما تبدلت الحال، وغلب حب المادة، صار المرء يتكلم فيلحن، أو لا يصيب إلا اتفاقا، فلا يسوؤه ذلك، بل يستوي عنده أن يصيب ويخطئ. إن الجهل بماهية الإنسان،

---

(١) الصاحبي في فقه اللغة، ٣٥.

(٢) جمهرة نسب قريش، ١/ ١٨٥ .

والغفلة عن مكانة اللغة منها، والنزعة المادية المستحوذة على فكر العرب هي التي أفرغت قلوبهم من حب الجمال، وهونت عندهم القيم الإنسانية الرفيعة؛ فـ«انتفى من الحياة العربية -أو اغترب على الأقل-، النبيل، والسامي، والجميل، وأوشك أن يشيع فيها المبتذل، والتافه، والقبيح، حتى كاد أن يكون تعميم هذه القيم المرذولة مطلبا تُلتمس له السبل، ومعادِلُ الطرق وبنيَّاتها»[١].

ومما أعان على ما انتهى إليه التعليم كله في الوطن العربي أن بعض الدول العربية طبقت نظام التعليم الأمريكي بتفاصيله، من غير مراعاة لما بين أمريكة والبلدان العربية من تباين في الثقافة والاحتياج، والفلسفة[٢]، والتعليم الأمريكي من أسوأ التعليم في الدول الصناعية، وقد قال ديفيد بنكر، وهو لغوي أمريكي، إن معظم المثقفين يعرفون أن المدارس كانت تهتم بالقدرة النحوية، لكن تدني التحصيل، وتضعضع الثقافة العامة قادا إلى تَدَنِّي قدرة المرء المتوسط على صياغة جملة واحدة صحيحة تدنيا مخيفا[٣]. وكان أحد الباحثين المسلمين قال إن أخطار استيراد نظام التعليم الأمريكي ربما لا تتضح اليوم، ولكن آثاره سوف تظهر بكل تأكيد في القريب العاجل، حين يُلفظ ذلك النظام المستورد الغريب، وتنتج من لفْظه بعيدا حالة من عدم الاستقرار، تضر بالتعليم، وبنتاجه من المتعلمين[٤]. وهو ما يراه العارفون بأمر التعليم في الوطن العربي اليوم، ولا سيما البلدان التي هي أشد تأثرا بالنظام الأمريكي. ومما أعان على هذا أيضا ما غلب على التعليم العربي من نفعية، ما كان ينبغي أن يتصف بها تعليم أمة، يحثها دينها على التجرد لطلب العلم، وجعْله خالصا لوجه الله، والأخلاق عندها مقدمة على المنافع. وقد جرَّت النفعية على الغرب من وخيم العواقب ما يزع عن محاكاته، كظهور جيل مجنون، همه الكسب والاستهلاك، وما يترتب على الاستهلاك من إفساد الماء والهواء وتلوثهما، ونقص الطاقة، واستهلاك مصادر الطبيعة والمواد الخام[٥]. ومن آثارها في حياة العرب ما يرى من ولع

(١) شعرنا القديم والنقد الجديد.
(٢) أزمة التعليم المعاصر، ٥٢.
(٣) الغريزة اللغوية، ٢٤.
(٤) أزمة التعليم المعاصر، ٦٧.
(٥) أزمة التعليم الإسلامي، ٦٣.

بالمادة ولعا يشبه العبادة، وذهاب المروءة، بعد ما كانت أهم ما يحرص عليه العربي. فصار همُّ الطالب العربي نيل الشهادة، بكل وسيلة، وما يعقب نيلها من منافع؛ فانتشر الغش والاحتيال في التعليم، وقل التحصيل، وصار الطلاب يعمدون إلى أساليب عجيبة من أجل النجاح، كجمع أسئلة المادة في الفصول الماضية، والاقتصار على البحث عن أجوبتها في المذكرات والكتب المقررة، لما يتوقعون من أن الامتحان لا يخرج عنها. هذا إلى كثرة الحيل والمعاذير التي يقدمون إلى الأساتيذ رجاء أن يجتازوا المقرر، من قبيل التقارير الطبية المختلقة، والأعذار الكاذبة، والتوسل بكل ما يجنبهم قراءة المقرر واستيعابه؛ لما يعلمون من أنهم غير أهل للنجاح فيه بجدارة.

ومقررات العربية قسمان رئيسان: النحو والأدب. والناظر في مناهج التعليم الثانوي فما فوقه يعلم أنها إنما تُعنَى بتاريخ الأدب وتقاسيمه، وخصائص الأدب العربي في العصور القديمة والحديثة، وأنواعه وما أثَّر فيه من مؤثرات اجتماعية وسياسية وفكرية واقتصادية. ويتخلل ذلك شواهد من الشعر والنثر على الموضوعات التي تدرس. حتى إذا انقضى التاريخ أتبع نصوصا قليلة، يراعى في تخيرها أن تكون شواهد لبعض قضايا الأدب، لا الجودة الفنية. وتقتصر دراستها على ما تشتمل عليه من موضوعات، وإن دُرِس الجانب الجمالي منها لم تتجاوز دراسته عبارات عامةً مكرورة، يمكن أن تقال في كل نص، من قبيل: خيال خصب محلق، وألفاظ سهلة، وعاطفة جياشة، ومعان عميقة، وموسيقى رنانة، إلخ. وربما تولى الأستاذ الجامعي تحليل النص تحليلا يطبق عليه نظرية من النظريات النقدية الحديثة، ولا يحلله تحليلا أدبيا، يعين على فهمه، واستشعار ما فيه من جمال. وقد يكون للأستاذ عذره، فإن عمدة هذا التحليل العلم باللغة وأسرارها، والمعرفة بتاريخ العرب وثقافتهم، وصحبة الأدب صحبة طويلة، ولم يتح له شيء من ذلك! ويقتنع الطالب من دراسة الأدب بالملخصات التي تصلح -عنده- لكل نص أدبي، ثم يتخرج وهو لا يعرف من الأدب إلا عصوره، وأسماء ثلة من الشعراء، وثلة من الكتاب، ولكنه لا يستطيع قراءة نص قراءة صحيحة، بله أن يفهمه أو يتذوقه، ولا يخطر له ببال أن يقرأ كتابا في تخصصه، أو يبحث قضية أدبية أو لغوية؛ ليعرف حقيقتها، أو يتعلم منها ما لا يعلم؛ فذلك

إنما تُخطره القراءة والاهتمام، وهو لا يقرأ ولا يهتم، والأدب واللغة مفروضان عليه فرضا، وقد نال بهما ما كان يبغي، فحقٌّ عليه أن يودِّعهما وداع مَقْلية. وبهذا تكون أهم مادة في العربية قد سُلبت قيمتها وتأثيرها، وأخفقت في تبليغ ما كان ينبغي أن تبلِّغ.

وقد شكا جوستاف لانسون شيئا كهذا في تعليم الأدب في فرنسة، فقال: لقد حرفنا في هذه الأيام تعليم الأدب ودراسته، فاتخذناه مادة من مواد البرامج التعليمية، يتعين تناوُلها، أو استعراضها، أو التهامها، في أسرع وقت، بحذق أو بغير حذق، تحاشيا للإخفاق في الامتحان، ولو أدى ذلك بالإنسان إلى الإعراض عن الأدب سائرَ حياته كما يعرض عن سائر المقررات التي يدرسها في المدرسة. ولفرط الحرص على تدريس كل شيء في الأدب، وتلقين جزئياته كلها، دون تسامح في نسيان شيء منها، انتهى بنا المطاف إلى أن كانت معرفتنا بالأدب ظاهرية خالية من فضيلة الأدب، وحُصر الأدب في مجموعة جافة من القوالب والحوادث، تبعث في نفوس الناشئة النفور من كل ما يُفصح عنه الأدب[1]. وردد طه حسين شكواه على وجه يشعر بأن طريقة تعليم الأدب في البلدان العربية تقلد طريقة تعليمه في فرنسة، وغيرها من الدول الغربية التي توافقها[2]، فقال: «اللغة العربية لا تدرَّس في مدارسنا، وإنما يدرَّس في هذه المدارس شيء غريب، لا صلة بينه وبين الحياة، لا صلة بينه وبين عقل التلميذ وشعوره وعاطفته»[3]. وأبدأ في ذلك وأعاد في مقدمة كتابه «في الأدب الجاهلي»، وكان في كل ما قال في تعليم الأدب العربي في مصر كأنما يصف تعليم الأدب العربي في الوطن العربي كله. بيد أن سوء حال الأدب في فرنسة لم يورِث الفرنسية في نفوس الفرنسيين ما أورث العربية في نفوس العرب؛ ففي فرنسة من يريد تعلم الفرنسية وآدابها، فيدرسها، وقد عُلِّم من أساليب التعلم الذاتي ما يتيح له تعلُّم ما يريد، وهي في دولة قومية مستقلة، تقدس لغتها، وقد وضعت في دستورها: أن لغة الجمهورية الفرنسية -بموجب الدستور- هي

(١) تاريخ الأدب الفرنسي، ٦ (نقلا عن: في آليات النقد الأدبي، ١٠٣ وما بعدها.
(٢) انظر: في الأدب الجاهلي، ٨.
(٣) في الأدب الجاهلي، ١٣.

الفرنسية، وهي الركن الركين في السيادة الفرنسية، وفي تراثها[1].

أما النحو، فيبدو من مناهجه أن غايته تعليم القواعد، وأن القواعد هي العربية، ومن تعلمها تعلمها، وما غَلَّب منها جانب التطبيق والتمثيل لا ينفَّذ في التعليم، وإنما ينحرف به المدرسون إلى الجانب النظري، والاقتصار عليه، أي إنه يدرَّس من حيث هو معلومات، لا من حيث هو مهارة تكتسب. وإذا تبيَّن الطالب ذلك عمد إلى حفظ قواعد وأمثلة من المقرر من غير أن يفهمها، فإذا نجح، لم يبق في ذاكرته من النحو إلا أسماء بعض العوامل الإعرابية وآثارها، كالفاعل، وأنه مرفوع، والمفعول وأنه منصوب، وإنما أبقاه في ذاكرته كثرة ما رُدِّد عليه في سني التعليم كلها، أي إنه ينسى النحو من حيث هو معلومات، ويبقى لسانه بالحال التي دخل بها المدرسة. واللغة مهارة، لا تُتعلَّم بالقواعد والأحكام النظرية، وإنما تُتعلَّم بالمزاولة، والمران، بعد استكمال عدة الاستماع والاختزان[2]. هذا في التعليم العام، أما التعليم الجامعي، فالأمر إما أن يبقى على حاله، مع طول المنهج، وقِصَر الوقت المتاح له، وإما أن يعمد المدرس إلى المنهج يقرؤه ويقرئه؛ اتباعا لما رسمت المناهج التعليمية، فإن بعضها يدعو إلى إطلاع الطلاب على أساليب كتب النحو القديمة واصطلاحاتها ومناهجها وطرق تحليلها وتعليلها، ظنا منها أن هذا يعين على قراءة الكتب القديمة وفهمها، وتعويلا على أن أصول النحو قد عرفها الدارسون في التعليم العام. ولا يفهم الطالب الكتاب في الحالين ولا أكثر شرح المدرس؛ لأنهما فوق عقله وتحصيله، هذا إلى أن الطالب ليس شديد الحرص على الفهم؛ فقد تعود الحفظ من غير فهم، فنال به ما يبتغي من الشهادة، وليس له أرب سوى الشهادة.

ومناهج العربية لا تستبين لها الغاية من الوسيلة، وإن استبانت لواضع المنهج لم تستبن لجل من يدرِّسونها. من أجل ذلك تُعلَّم اللغة من حيث هي غاية، لا من حيث هي وسيلة إلى غاية، هي تقويم اللسان، وإكساب الملكة، والملكة «إنما تحصل بممارسة كلام العرب وتكرره على السمع، والتفطن لخواص

(١) العرب والانتحار اللغوي، ٦٣.

(٢) اللغة العربية بين الموضوع والأداة، ١٤٥.

تراكيبه، وليست تحصل بمعرفة القوانين العلمية في ذلك، التي استنبطها أهل صناعة اللسان، فإن هذه القوانين إنما تفيد علما بذلك اللسان، ولا تفيد حصول الملكة بالفعل في محلها»[1]. ولما خفيت هذه الحقيقة على أساتيذ العربية في الجامعات، وعلى التربويين في التعليم العام، شغلوا الطلاب برسوم اللغة عن اللغة، فكان من الضعف، واجتواء العربية، والرغبة عنها ما يعرفه كل أستاذ من أساتيذ العربية في الوطن العربي، وكان ما تحدثنا عن جانب منه آنفا، وكان من آثارها ذلك ما قد رأينا من ضعف أساتيذ العربية فيها، وما في لغتهم من ضعف، ولحن، وإعراضهم عن تعلم ما ينبغي أن يتعلموا منها، وعن الاستعانة بمراجعها على تبين الصواب وتنكب الخطأ، والإصرار على التمادي فيما هم فيه، وأن يخلى بينهم وبين العربية يتعبثون بها كيف شاءت قلة العلم بها، والدفاع عن ذلك بكل ركيك من الحجج. والنحو والصرف ليس لهما من الأهمية ما أناط بهما بعض العلماء، فقد برَّز الفُرس في تمثل الأدب العربي، فكان منهم بلغاء، عزَّ نظيرهم في العرب، ولم يكد يعرف من الترك كاتب جزل، ولا شاعر فحل بالعربية؛ لأن أكثر ما عُنوا به دراسة النحو[2]، أي إن الفرس بلغوا ما بلغوا من التميز في الأدب العربي بسبب دراستهم إياه، وحرصهم على تمثله كما كان يتمثله العرب، وكان بعضهم يقيم بالبادية سنين عددا، يتلقون العربية عن العرب، ويروون أشعارهم وأخبارهم ويقيدون كلامهم، ثم يعودون وقد اكتسبوا السليقة؛ فأبدعوا كما أبدع العرب، بل فاق بعضهم العرب في الشعر والنثر، وعني الترك بالنحو؛ فلم يتمثلوا العربية، ولا عرفوا منها ما عرف الفرس؛ فلم يبرز منهم أحد في الشعر ولا في النثر. فلما فسدت السلائق، أحلَّ طلابُ اللغة مدوناتِ العلماء محل البادية، فتحفظوها وتفقهوا فيها؛ فحازوا من الملكة ومعرفة قوانين اللغة قريبا مما حاز سلفهم. ثم تَنكَّبت مناهج العربية هذه السبيل، واستَنَّت بمناهج أهل القرون المتأخرة، إعجابا بما فيها من تدقيق وتفصيل وتقسيم، وفصل بين علوم اللسان في التأليف، أو لعدم وضوح الغاية، أو تأثرًا بما يفعل في بعض دول الغرب من العناية بتاريخ الأدب دون الأدب. فكانت خلاصة ما عرف الطلاب

---

(١) المقدمة، ٥٦٢.

(٢) المذكرات، ٤/ ١٠٩٣ وما بعدها.

النابهون قوانين اللغة معرفة نظرية، ولم يكتسبوا الملكة، وهي الغاية التي يُحرَص عليها. وكان الاشتغال بدراسة القواعد وتعلمها، عن دراسة النصوص وتحفظها سبب أن كثيرا من جهابذة النحاة والمهرة بصناعة العربية المحيطين علما بقوانينها، إذا سئل أحدهم كتابة سطرين إلى أخيه أو ذي مودته، أو شكوى ظلامة، أو قصْد من قصوده، أخطأ عين الصواب، وأكثر من اللحن، ولم يُجِدْ تأليف الكلام، والعبارةَ عن المقصود على أساليب أهل اللسان العربي، وكان كثير ممن حصَّلوا الملكة، وأجادوا الفنين من المنظوم والمنثور لا يحسنون إعراب الفاعل من المفعول، ولا المفعول من المجرور، ولا شيئا من قوانين صناعة العربية[1]. وقد أقر بذلك بعض قدامى النحويين على أنفسهم، فقال المبرد: «ليس أحد في زماني إلا وهو يسألني عن مشكل من معاني القرآن، أو مشكل من معاني الحديث النبوي، أو غير ذلك من مشكلات علم العربية، فأنا إمام الناس في زماني هذا، وإذا عَرَضَتْ لي حاجة إلى بعض إخواني، وأردت أن أكتب إليه شيئا في أمرها، أُحجِم عن ذلك؛ لأني أرتِّب المعنى في نفسي، ثم أحاول أن أصوغه بألفاظ مرضية، فلا أستطيع ذلك»[2]. وقال أبو علي الفارسي: «إني أغبطكم على قول الشعر، فإن خاطري لا يوافقني على قوله، مع تحقيقي العلوم التي هي موادُّه»[3].

وما زال بعض محبي العربية من الأساتيذ الحراص على تعليمها إذا وُكل إليهم رسم منهج مقرر من مقررات العربية تكثروا من أبواب النحو والصرف، ظنا منهم أن ذلك يغني من تعليم العربية، وتقوية الطلاب فيها، وهو يبعِّدهم عما كان ينبغي أن يقرَّبوا منه، ويشغلهم عما كان ينبغي أن يشتغلوا به. وقد رأيت كتب اللغة في التعليم العام تقدم بين يدي القاعدة نصوصا، تستخلص منها القاعدة، وتضرب منها الأمثلة، لكنها نصوص ضعيفة، يغلب أن تكون من إنشاء مؤلفي الكتب، وهم من أساتيذ التعليم العام الذين لا يختلفون كثيرا عن المعلمين والصحفيين في علمهم وتفكيرهم، وليس في وسعهم أن ينشئوا ما

(١) النظرية اللسانية والشعرية في التراث العربي، ١٣٥.
(٢) المثل السائر، ١/ ٩٨.
(٣) مرآة الجنان لليافعي، ٢/ ٣٠٥ وما بعدها (عن: تكوين الملكة اللغوية، ٩٩).

ينشَّأ على مثله الناشئة، من بليغ القول الذي تُستنبَت بمثله الملكات، وتقدَّم المثُل الأدبية التي يُحذى عليها، وبمثلها تُستصلح الألسنة والأقلام. وإنما كان ينبغي أن تكون النصوص من أجود ما يكون، وأن تكون قراءتها والتبصير بما فيها من جمال غاية المقرر الأولى، وأن يقرأها الطالب، ليستقيم بقراءتها لسانه، ويفهمها ويتذوقها ليكتسب من فهمها وتذوقها الملكة، ويتمرس بأساليب العربية الجميلة؛ فإن التفطن إلى خواص الكلام وفقهه هو الذي تحصل به الملكة، لا استظهار القواعد النظرية.

المراجع

- آراء الأعضاء، يعقوب صروف، مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق، مج ٢، ج ٨، ذو الحجة ١٣٤٠ هـ.
- أبحاث في العربية الفصحى، غانم قدوري الحمد، عمان، دار عمار، ١٤٢٦ هـ.
- ابن خلدون والدرس اللغوي الحديث، عبد الجليل مرتاض، مجلة اللغة العربية، المجلس الأعلى للغة العربية بالجزائر ع ٨.
- الاتجاهات النقدية في فرنسا، ريمون بيكار، حاضر النقد الأدبي، ترجمة محمود الربيعي، القاهرة، دار المعارف، ط٢، ١٩٧٧م.
- أثر الترجمة في الأخطاء الشائعة في اللغة العربية، محمد عمر محمود فضل الله، رسالة دكتوراه بكلية الآداب بجامعة الخرطوم، ٢٠٠٩م.
- أثر الترجمة في أسلوب التقديم والتأخير في القرآن الكريم (اللغة الإنجليزية أنموذجًا)، هناء محمود شهاب، مجلة التربية والعلم، مج ١٧، ع ٢، ٢٠١٠م.
- أثر التعليم باللغة الأجنبية على التعليم باللغة العربية، نموذجاً، الأستاذ الدكتور إبراهيم بن أحمد مسلم الحارثي، منتدى مجمع اللغة العربية على الشبكة العالمية،
http://www.m-a-arabia.com/vb/showthread.php?t=15417.
- أثر الثقافتين الفرنسية والإنجليزية في مصر منذ ابتداء النهضة الحديثة حتى قيام الجامعة المصرية سنة ١٩٢٥ م، ليلى سليمان نجار، رسالة الأستاذية بالجامعة الأمريكية ببيروت، عام ١٩٦٥م.
- أثر السياسية في اللغة: العربية نموذجا، مقبل الدعدي، بيروت، مركز نماء للبحوث والدراسات، ط١، ٢٠١٦م.

- أثر الصحافة ووسائل الإعلام في تطور اللغة العربية: سلبيات الوضع وإيجابياته، محمد الكتاني، قضايا استعمال اللغة العربية في المغرب، الرباط، أكاديمية المملكة المغربية، جمادى الأولى ١٤١٤ هـ.
- أحادية الآخر اللغوية، جاك ديريدا، ترجمة عمر مهيبل، بيروت، الدار العربية للعلوم ناشرون، ط١، ١٤٢٩ هـ.
- الأحرفية، يوسف السودا، بيروت، ط٢، ١٩٦٠م.
- الأحكام السلطانية والولايات الدينية، الماوردي، بيروت، دار الكتاب العربي، د. ت.
- الإحكام في أصول الأحكام، ابن حزم، تحقيق أحمد شاكر، بيروت، دار الآفاق الجديدة، ١٩٧٩م.
- أخطاء اللغويين، محمد كامل حسين، مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ج ٢٢.
- الأدب الجاهلي وبلاغة الخطاب، عبد الإله الصائغ، صنعاء، دار الفكر المعاصر، ط١، ١٤٢٠ هـ.
- أدب الكتاب، أبو بكر محمد بن يحيى الصولي، تحقيق محمد بهجت الأثري، القاهرة، المطبعة السلفية، وبغداد المكتبة العربية، ١٣٤١ ه.
- الأدب المقارن، محمد غنيمي هلال، القاهرة، دار نهضة مصر، د. ت.
- الأدب المقارن: في الدراسات المقارنة التطبيقية، داود سلوم، القاهرة، مؤسسة المختار، ط١، ١٤٢٤ هـ.
- أدونيس منتحلا: دراسة في الاستحواذ الأدبي وارتجالية الترجمة، كاظم جهاد، القاهرة، مكتبة مدبولي، ط٢، ١٩٩م.
-الأرابيش، موقع أيامنا الحلوة،
http://www.ayamnal7lwa.net/forum/index.php?topic=1920.0.
- أربعون عامًا مع المصطلح: من البطاقات إلى الحَوْسَبَة، محمد هيثم الخياط، مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ج٧، ١٩٥٣م.
- ارتشاف الضرب من كلام العرب، أبو حيان الأندلسي، تحقيق رجب عثمان محمد، القاهرة، مكتبة الخانجي، ط١، ١٤١٨ هـ.

- الازدواجية اللغوية الأمارة، محمود الذوادي، تونس، تبر الزمان، ٢٠١٣ هـ.
- أزمة التعليم الإسلامي، سيد سجاد حسين وسيد علي أشرف، جدة، ترجمة أمين حسين الرباط، جامعة الملك عبد العزيز، ط١، ١٤٠٣ هـ.
- أزمة التعليم المعاصر وحلولها الإسلامية، زغلول راغب النجار، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ط١، ١٤١٠ هـ.
- أزمة اللغة العربية في المغرب بين اختلالات التعددية وتعثرات الترجمة، الفهري، موقع صحفي.
- أزمة اللغة العربية في المغرب بين اختلالات التعددية وتعثرات الترجمة، عبد القادر الفاسي الفهري، بيروت، دار الكتاب الجديد المتحدة، ٢٠١٠م.
- أزمة اللغة والترجمة والهوية في عصر الإنترنت والفضائيات والإعلام الموجه، علي محمد الدرويش، ملبورن (أسترالية)، شركة رايتسكوب، ط١، ٢٠٠٥م.
- أزمة المفهومات وانحراف التفكير، عبد الكريم غلاب، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، ط٢، ٢٠١١م.
- أزمة النظام التعليمي في المغرب: الأسباب والمعيقات، الحسين رحمون، وجدة (المغرب)، دار الهلال، ط١، ٢٠١٢م.
- أساسيات اللغة اليابانية وقواعدها، هارون السوالقة،
http://www.ogurano.net/jpar/showthread.php?t=28.
- استثمار التراث العربي في ترجمة المصطلح اللساني، مختار درقاوي، اللسانيات العربية، ع ٢، ذو القعدة ١٤٣٦ هـ.
- الاستثمار في اللغة العربية من خلال الترجمة، آمنة بلعلي، الاستثمار في اللغة العربية، تحرير محمد أبو ملحة، الرياض، مركز الملك عبد الله بن عبد العزيز لخدمة اللغة العربية، ط١، ١٤٣٦ هـ.
- إستراتيجيات التخطيط اللغوي والسياسة للغة الإنجليزية، سلكان بن ناصر المجيول، الإستراتيجيات الدولية في خدمة اللغات الوطنية: دراسة لحالات مختلفة في التخطيط اللغوي والسياسة اللغوية، الرياض، مركز الملك عبد الله بن عبد العزيز الدولي، لخدمة اللغة العربية، ط١، ١٤٣٧ هـ.

- الاستشراق: المعرفة. السلطة. الإنشاء، إدوراد سعيد، ترجمة كمال أبو ديب، بيروت، مؤسسة الأبحاث العربية، ط٦، ٢٠٠٣م.
- الاستشراق: المفهومات الغربية للشرق، إدوارد سعيد، ترجمة محمد عناني، القاهرة، رؤية للنشر والتوزيع، ط١، ٢٠٠٦م.
- الأسس النفسية والاجتماعية للغة العربية، الشاذلي الفيتوري، اللغة العربية والوعي القومي، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، ط٢، ١٩٨٦م.
- الأسطورة في شعر السياب، عبد الرضا علي، بغداد، وزارة الثقافة والفنون، ١٩٧٨م.
- أسماء الأشهر في العربية ومعانيها، أنيس فريحة، بيروت، دار العلم للملايين، ١٩٥٢م.
- أشتات مجتمعات في اللغة والأدب، عباس محمود العقاد، القاهرة، دار المعارف، ط٥، ١٩٨٢م.
- أشتات من فوضى الكلم، إبراهيم السامرائي، مجلة مجمع اللغة العربية الأردني، ع ٣٨، جمادى الأولى - شوال، ١٤١٠ ه.
- الاشتقاق، عبد الله أمين، القاهرة، دار الخانجي، ط٢، ١٤٢٠هـ.
- الاشتقاق والتعريب، عبد القادر بن مصطفى المغربي، القاهرة، مطبعة الهلال، ١٩٠٨م.
- إشكاليات المصطلح الغربي في ثقافتنا المعاصرة، سمير حجازي، مركز الحضارة العربية للإعلام والنشر والدراسات، ط١، ٢٠٠٦م.
- الإشكالية اللغوية في الفلسفة العربية: دراسة تحليلية نقدية، جيرار جهامي، بيروت، دار المشرق، ط١، ١٩٩٤م.
- إشكالية المصطلح في الخطاب النقدي العربي الجديد، يوسف وغليسي، بيروت، الدار العربية للعلوم ناشرون، ط١، ١٤٢٩ هـ.
- إشكالية المصطلح في الفكر العربي: الاضطراب في النقل المعاصر للمفهومات، علي بن إبراهيم النملة، بيروت، بيسان للنشر والتوزيع والإعلام، ط١، ١٤٣١ هـ.

- إشكالية الهوية وثنائية اللغة والترجمة في السياق العربي المعاصر، فايز الصياغ، اللغة والهوية في الوطن العربي، الدوحة، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، ط١، ٢٠١٣ م.
- أشكلة الهوية في الجزائر بين الأمزغة والعوربة والعولمة، محفوظ رموم، http://www.aranthropos.com/.
- أشياء من النقد والترجمة، أبو يعرب المرزوقي، بيروت، جداول، ط١، ٢٠١٢م.
- أصالية أم انفصالية، مولود قاسم نايت بلقاسم، الجزائر، دار الأمة، ٢٠١٣م.
- إصلاح الأوضاع، محمد الفاسي، مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ج ٥١، شعبان ١٤٠٣ هـ.
- إصلاح العربية، العفيف الأخضر، منشورات الجمل، د. ت.
- الأصول في النحو، ابن السراج، تحقيق عبد الحسين الفتلي، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط٣، ١٩٨٨م.
- اطلبوا الوطنية ولو في فرنسا، أحمد بن نعمان، الجزائر، دار الأمة، ط١، ٢٠٠٥م.
- اعتداء الفكر العربي الحديث على ذاته اللغوية، محمد أكرم سعد الدين، إشكالية التحيز في المصطلح والنقد، تحرير عبد الوهاب المسيري، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ط١، ١٤١٥ هـ.
- أعمال مجمع اللغة العربية بالقاهرة، محمد رشاد الحمزاوي، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ط١، ١٩٨٨م.
- الأغاني، أبو الفرج الأصفهاني، تحقيق سمير جابر، بيروت، دار الفكر، ط٢، د. ت.
- الاقتراض بين اللغات: مفهومه وأسبابه ومصادره وأضربه، كمال محمد جاه الله، مؤتمر «اللغة العربية وتحديات العصر» بالتعاون بين كلية دار العلوم – جامعة القاهرة ومركز الدراسات المعرفية، القاهرة، من ٤ – ٥ نوفمبر ٢٠٠٨م.

- الاقتراض في العربية، مروج غني جبار، مجلة كلية العلوم الإسلامية، جامعة بغداد، ع ٢٧، ١٤٣٢ هـ.
- اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم، تحقيق ناصر عبد الكريم العقل، بيروت، دار عالم الكتب، ط٧، ١٤١٩ هـ.
- الاقتضاب في شرح أدب الكتاب، ابن السيد البطليوسي، تحقيق مصطفى السقا وحامد عبد المجيد، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٣م.
- أقوال منسية حول التغريب، أحمد إبراهيم خضر، موقع مداد، http://midad.com/article/217617/%D8%A3%D982%%D988%%D8%A7%D984-%%D985%%D986%%D8%B3%D98%A%D8%A9-%D8%AD%D988%%D984-%%D8%A7%D984%%D8%AA%D8%BA%D8%B1%D98%A%D8%A8.
- أقوالنا وأفعالنا، محمد كرد علي، القاهرة، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، ٢٠١٤م.
- الأكراد واللغة والسياسة: دراسة في البنى اللغوية وسياسات الهوية، عقيل سعيد محفوض، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، الدوحة، ط١، ٢٠١٣م.
- الله أو الدمار، سعد جمعة، القاهرة، المختار الإسلامي، ط٣، ١٣٩٦ هـ.
- الإله يقدم استقالته في اجتماع القمة، نوال السعداوي، القاهرة، مكتبة مدبولي، د. ت.
- الألفاظ الدخيلة في اللغة وحاجتنا إليها، مارون غصن، مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق، مج ١٤، ج ٧ و٨، ١٩٦٤م.
- أليس الصبح بقريب: التعليم الإسلامي: دراسة تاريخية وآراء إصلاحية، محمد الطاهر بن عاشور، القاهرة، دار السلام، ط١، ١٤٢٧ هـ.
- الأمازيغ اليوم (تمازيغن أسَّا)، سالم شاكر، ترجمة عبد الله زارو، د. ت.
- الأمازيغية المعيارية بين اختلاق لغة جديدة وصناعة الوهم الإيديولوجي، محمد الكوخي، مجلة تبيُّن، العدد ٧/ ٢، شتاء ٢٠١٤م.
- الإمتاع والمؤانسة، أبو حيان التوحيدي، تحقيق أحمد أمين وأحمد الزين،

بيروت، منشورات دار الحياة، د. ت.
- الأمم الحية أمم قوية بلغاتها: نماذج تجارب ناجحة، صالح بلعيد، مخبر الممارسات اللغوية بالجزائر، جامعة مولود معمري بتيزي وزو، ٢٠١٢م.
- الإنصاف في مسائل الخلاف، أبو البركات الأنباري، دمشق، دار الفكر، د. ت.
- إنقاذ اللغة إنقاذ الهوية، أحمد درويش، القاهرة، دار نهضة مصر، د. ت.
- إنية وأصالة، مولود قاسم نايت بلقاسم، الجزائر، دار الأمة، ٢٠١٣ هـ.
- أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، صيدا وبيروت، المكتبة العصرية، د. ت.
- الأيديولوجية السردية للغة: بعض الملاحظات في سياق الحالة السودانية، أشرف كمال عبد الحي، التخطيط والسياسة اللغوية: تجارب من الدول العربية، الرياض، مركز الملك عبد الله بن عبد العزيز الدولي لخدمة اللغة العربية، ط١، ١٤٣٧ هـ.
- أي لغة سيتكلم العرب القرن المقبل؟ المنصف المرزوقي، تواصل أون لاين، http://www.tawasolonline.net/tawasolonline/ArticleDetails.aspx?NewsLanguageId=3431
- بيجماليون، جورج برنارد شو، ترجمة حسام صادق التميمي، بيروت، دار الهلال ودار البحار، ٢٠٠٨م.
- البحث اللغوي عند العرب، أحمد مختار عمر، القاهرة، عالم الكتب، ط٦، ١٩٨٨م.
- البحث اللغوي وأصالة الفكر العربي، عبد الرحمن الحاج صالح، مجلة الثقافة (تصدر عن وزارة الثقافة والإعلام الجزائرية)، ع ٢٦، عام ١٩٧٥ م.
- بحوث مصطلحية، أحمد مطلوب، بغداد، المجمع العلمي، ١٤٢٧ هـ.
- البرقيات للرسالة والمقالة، أحمد تيمور باشا، القاهرة، مطبعة دار التأليف، ط٢، د. ت.
- البعد الثقافي في تعليم العربية لغة ثانية، حاتم عبيد، مجلة اللسانيات العربية، ع ٢، ذو القعدة ١٤٣٦ هـ.

- بعض الإشكاليات المتعلقة بلغتنا العربية، الشاذلي القليبي، مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ع ٨٣، رجب ١٤١٩ هـ.
- البلاغة والأسلوبية: نحو نموذج سيميائي لتحليل النص، هنريش بليت، ترجمة محمد العمري، الدار البيضاء وبيروت، إفريقيا الشرق، ١٩٩٩م.
- بلوغ الأرب في أحوال العرب، محمود شكري الألوسي، عني بتصحيحه محمد بهجة الأثري، ط٢، د. ت.
- بنية الثورات العلمية، توماس س. كون، ترجمة حيدر حاج إسماعيل، بيروت، المنظمة العربية للترجمة، ط١، ٢٠٠٧م.
- بيان الحداثة، أدونيس، بيانات، تونس، دار سراس، ط١، ١٩٩٣م.
- البيان والتبيين، الجاحظ، تحقيق عبد السلام هارون، القاهرة، مكتبة الخانجي، ط٧، ١٤١٨ هـ.
- بين العامية والفصحى، مسألة الازدواجية في اللغة العربية في زمن العولمة والإعلام الفضائي، إيمان ريمان، وعلي درويش، ط١، ملبورن - أوستراليا، رايتسكوب، ٢٠٠٨م.
- تأثير الإعلام المسموع في اللغة وكيفية استثماره لصالح العربية، عبد الرحمن الحاج صالح، مجلة مجمع القاهرة، مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ع ٩٤، (المكتبة الشاملة).
- تأثير اللغة الإنجليزية على اللغة العربية الإعلامية، كفاية الله محمد أشرف همداني أعوان، ضمن المحور الرابع من محاور مؤتمر اللغة العربية ومواكبة العصر، بالجامعة الإسلامية، بالمدينة المنورة، ١٤٣٣ ه.
- تاريخ آداب اللغة العربية، جرجي زيدان، موفم للنشر، ١٩٩٣ م.
- تاريخ آداب العرب، مصطفى صادق الرافعي، بيروت، دار الكتاب العربي، ط٤، ١٣٩٤ هـ.
- تاريخ الإسلام، الذهبي، تحقيق عمر عبد السلام التدمري، بيروت، دار الكتاب العربي، ط٢، ١٤١٣ هـ.
- تاريخ التراث العربي، فؤاد سزكين، ترجمة محمود فهمي حجازي، الرياض، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، مج١، ج٢، ١٤١١ هـ.

- تاريخ الترجمة والحركة الثقافية في عصر محمد علي، جمال الدين الشيال، القاهرة، دار الفكر العربي، ١٩٥١م.
- تاريخ خليفة بن خياط، تحقيق أكرم ضياء العمري، دمشق، دار القلم، وبيروت، دار الرسالة، ط٢، ١٣٩٧ هـ.
- تاريخ الدعوة إلى العامية وآثارها في مصر، نفوسة زكريا سعد، الإسكندرية، دار نشر الثقافة، ١٣٨٣ هـ.
- تاريخ دمشق، ابن عساكر، تحقيق عمرو بن غرامة العمري، دمشق، دار الفكر، ١٤١٥ هـ.
- تاريخ اللغات السامية، إسرائيل ولفنسون، القاهرة، لجنة التأليف والترجمة والنشر، ط١، ١٣٤٨ هـ.
- تاريخ اللغة والآداب العربية، شارل بلاًّ، ترجمة رفيق بن وناس وآخرين، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ط١، ١٩٩٧م.
- التبرُّج اللغوي: الطريق الأسرع إلى الهاوية، الشرق الأوسط، الثلاثاء ٢٦ شعبان ١٤٢٢ هـ، ع ٨٣٨٦.
- التبعية اللغوية أساس التخلف الشمولي، محمد الأوراغي، صحيفة العلم، يوم ١٤ شعبان ١٤١٩ هـ.
- تجديد الفكر العربي، زكي نجيب محمود، بيروت والقاهرة، دار الشروق، ط٩، ١٩٩٣م.
- تجربة الحضارة الإسلامية في تعريب الأمة، عبد الرحمن سالم، مؤتمر «اللغة العربية وتحديات العصر» بالتعاون بين كلية دار العلوم وجامعة القاهرة ومركز الدراسات المعرفية، القاهرة من ٤ - ٥ نوفمبر ٢٠٠٨م.
- التجربة اليابانية: دراسة في أسس النموذج النهضوي، سلمان بو نعمان، بيروت، مركز نماء، ط١، ٢٠١٢ م.
- تجليات الفلسفة العربية: منطق تاريخها من خلال منزلة الكلي، أبو يعرب المرزوق، دمشق: دار الفكر، وبيروت: دار الفكر المعاصر، ط١، ١٤٢٢ هـ.
- تحت راية القرآن، مصطفى صادق الرافعي، بيروت، دار الكتاب العربي، ط٦، ١٣٩٤ هـ.

- تحريف الدلالة، علال الفاسي، مجلة اللسان العربي، ع ١، ١٣٨٤ هـ.
- تحصيل عين الذهب من معدن جوهر الأدب في علم مجازات العرب، الأعلم الشنتمري، تحقيق زهير عبد المحسن سلطان، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط٢، ١٤١٥ هـ.
- تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة، البيروني، حيدر آباد الدكن، دائرة المعارف العثمانية، ١٣٧٧ هـ.
- التخطيط اللغوي للعبرية في فلسطين، عبد العظيم أحمد عبد العظيم، مجلة التخطيط والسياسة اللغوية، ع ١، س ١، ١٤٣٧ هـ.
- التخطيط اللغوي والأمن اللغوي، عبد السلام المسدي، الرياض، مركز الملك عبد الله بن عبد العزيز الدولي لخدمة اللغة العربية، ١٤٣٦ هـ.
- التخطيط اللغوي والسياسة اللغوية في فرنسة: دراسة حالة، محمد أحمد طجو، الإستراتيجيات الدولية في خدمة اللغات الوطنية، الرياض، مركز الملك عبد الله بن عبد العزيز الدولي لخدمة اللغة العربية، ط١، ١٤٣٧ هـ.
- تخليص الإبريز في تلخيص باريز، رفاعة الطهطاوي، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٣م.
- تدريس اللغات وتعلمها في منظومات التربية والتكوين: مقاربات شخصية واستشرافية، ٢٠ إلى ٢١ أكتوبر ٢٠٠٩م.
- التراث العربي في ترجمة المصطلح اللساني، مختار درقاوي، اللسانيات العربية، ع ٢، ذو القعدة ١٤٣٦ هـ.
- التراث والحداثة: دراسات ومناقشات، محمد عابد الجابري، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، ط١، ١٩٩١م.
- الترجمة إلى العربية: قضايا وآراء، بشير العيسوي، القاهرة، دار الفكر، ط١، ١٤١٦ هـ.
- الترجمة إلى العربية وأثرها في شيوع الأخطاء اللغوية، زاهر محمد الجوهر حنني، وماجد أحمد حسنين، file:///C:/Users/Lenovo/Downloads/Documents/translation-arabic-and-prevalence-linguistic-mistakes.pdf.

- ترجمة المصطلحات الأدبية وتعريبها: مشاكل وحلول وواقع مأمول، حسن غزالة،
https://uqu.edu.sa/files2/tiny_mce/plugins/filemanager/files/4300098/drhasan/pahth_ar_7pdf, 120.
-ترجمة المصطلح بين الشرق والغرب، محمد عبد المجيد،
file:///C:/Users/Lenovo/Downloads/Documents/conference_research-1690057862263-1407148660-.pdf.
- الترجمة من حيث هي عامل هام من عوامل العدوى اللغوية، صالح القرمادي، مجلة الحوليات التونسية، ع١١، ١٩٧٤م.
- الترجمة من سوء الفهم إلى سوء التأويل: حول قضية كتاب فن الشعر لأرسطو، عبد الله إبراهيم، الترجمة وإشكالات المثاقفة، إعداد مجاب الإمام ومحمد عبد العزيز، قطر، منتدى العلاقات العربية الدولية، ط١، ٢٠١٤ م.
- الترجمة وتطوير العربية: الوجه والقفا، حسن حمزة، مجلة تبيُّن، ع ٢١٦ خريف ٢٠١٣م.
- الترجمة وتطوير العربية: الوجه والقفا، حسن حمزة، الدوحة، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، ٢٠١٣م.
- الترجمة والتعريب مدخلاً لتوطين العلوم في الجامعات العربية والإسلامية،
http://library.islamweb.net/newlibrary/display_umma.php?lang=&BabId=1&ChapterId=5&BookId=2116&CatId=201&startno=0
- الترجمة والمصطلح: دراسة في إشكالية ترجمة المصطلح النقدي الجديد، السعيد بوطاجين، بيروت، الدار العربية للعلوم ناشرون، ط١، ١٤٣٠ هـ.
-ترسيم الأمازيغية لغة رسمية مصافحة مع الذات وانتصار للهوية الوطنية، موقع الأحداث
http://www.elahdath.net/culture/6600.
- التصحيح اللغوي، محمد بن شريفة، مجلة مجمع اللغة العربيو بالقاهرة، الأعداد ٨١-١٠٢.
- تصفية استعمار العقل، نغوجي واثيونغو، ترجمة سعدي يوسف، دمشق، دار التكوين، ٢٠١١م.

- التعدد اللغوي بين المجتمعي والسياسي، رقية بو رحمة، اللغة العربية في الخطاب التشريعي والإداري والإعلامي بالمغرب، الرباط، أكاديمية المملكة المغربية، ١١ - ١٢ ذو القعدة ١٤٣١ هـ.
- تعريب الأساليب، عبد القادر المغربي، مجلة مجمع اللغة العربية الملكي، ع١، ١٩٣٥م.
- تعريب التعليم الجامعي: ضرورات ملزمة ومنافع مؤكدة واعتراضات مفندة، عبد الحافظ حلمي محمد، مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة، مج ٧٩، جمادى الآخرة ١٤١٧ هـ.
- تعريب العلوم في ضوء العبرنة الإسرائيلية، السيد إسماعيل السروي، القاهرة، دار غريب، ٢٠٠٤م.
- التعريب في الجزائر: كفاح شعب ضد الهيمنة الفرنكفونية، عثمان سعدي، الجزائر، دار الأمة، ١٩٩٣م.
- التعريب في الجزائر وتونس، مجلة اللسان العربي، ع ٢، ١٣٨٤ هـ.
- التعريب في زمن التغريب، حسن غزالة،
http://www.shatharat.net/vb/showthread.php?t=13609.
- التعريب في القديم والحديث، محمد حسن عبد العزيز، القاهرة، دار الفكر العربي، د. ت.
التعريب - القضية، أحمد شفيق الخطيب، مجلة اللسان العربي، ع ٤٣، يناير - يونيو ١٩٩٧ م.
- تعريب اللغة العربية، ميسون علي جواد، مجلة كلية التربية الأساسية، جامعة بابل، ع ١٣، أيلول ٢٠١٣م.
- تعريب المصطلح بين الواقع والطموح، إبراهيم بن محمود حمدان، دراسات العلوم الإنسانية والاجتماعية، مج ٣٤، ع ٢، ٢٠٠٧م.
- التعريب ودوره في تدعيم الوجود العربي والوحدة العربية، مجموعة من الباحثين، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، ط١، ١٩٨٢م.
- التعريب والعربية في الجزائر بين واقع قديم ورؤية مستقبلة، إبراهيم السامرائي، المستقبل العربي، مج٣، ع ٢٣، يناير ١٩٨١ م، ١١٢.

- التعريب ومستقبل اللغة العربية، عبد العزيز بن عبد الله، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، ١٩٧٥م.
- التعريب ونظرية التخطيط اللغوي: دراسة تطبيقية عن تعريب المصطلحات في السعودية، سعد بن هادي القحطاني، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، ط١، ٢٠٠٢ م.
- التعريب والهوية في عصر العولمة، بهاء الدين أبو الحسن حسن، مجلة التعريب، ع ٥٠، شعبان ١٤٣٧ هـ.
- التعريب ووسائل تحقيقه، محمد الفاسي، مجلة الأصالة الجزائرية، ع ١٧، ١٩٧١م.
- التعليم في المغرب العربي: دراسة تحليلية نقدية لسياسة التعليم في المغرب وتونس والجزائر، محمد عابد الجابري، الدار البيضاء، دار النشر المغربية، ١٩٨٩م.
- التعليم في الوطن العربي: تقرير المرصد العربي للتربية ٢٠١٢، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم.
- التعريب ودوره في تدعيم الوجود العربي والوحدة العربية، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، ط١، ١٩٨٢م.
- التعليمة معرفة علمية خصبة، بشير إبرير، مجلة اللغة العربية، المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر، ع١٠، ٢٠٠٤م.
-تعويم اللغة، القدس العربي، عن موقع صحفي:
http://www.sahafi.jo/arc/art1.php?id=dbbd7056291ac43a47a1f6fe27d2d5d7a5957f1b).
- تغريب المصطلحات النقدية والبلاغية: مشكلات التواصل ووأد الانتماء، إبراهيم صلاح السيد الهدهد، بحوث مؤتمر اللغة العربية ومواكبة العصر، بالجامعة الإسلامية، بالمدينة المنورة، ١٤٣٣ ه، المحور الثاني.
- تغطية الإسلام: كيف تتحكم أجهزة الإعلام ويتحكم الخبراء في رؤيتنا لسائر بلدان العالم، إدوارد سعيد، ترجمة محمد عناني، القاهرة، رؤية للتوزيع والنشر، ٢٠٠٥م.

- تفسير الفخر الرازي المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب، بيروت، دار الفكر، ط١، ١٤٠١ هـ.
- التفكير اللساني في الحضارة العربية، عبد السلام المسدي، تونس، الدار العربية للكتاب، ط٢، ١٩٨٦م.
- تفكيك مصطلح العلمانية، عبد الرحمن السليمان، مجلة مجمع اللغة العربية على الشبكة العالمية، ع١، رجب ١٤٣٤ هـ.
- التقرير التحليلي لعام ٢٠٠٩، المجلس الأعلى للتعليم بالمغرب.
- تقرير التنمية الإنسانية العربية للعام ٢٠٠٣، برنامج الأمم المتحدة الإنمائي، الصندوق العربي للإنماء الاقتصادي والاجتماعي.
- التقرير العربي الثاني للتنمية الثقافية، مؤسسة الفكر العربي، ط١، ١٤٣٠ هـ.
- تقويم اللسانين، محمد تقي الدين الهلالي، الرباط، مكتبة المعارف، ط٢، ١٤٠٤ هـ.
- تكملة إصلاح ما تغلط به العامة، الجواليقي، تحقيق حاتم صالح الضامن، دمشق، دار البشائر، ط١، ١٤٢٨ هـ.
- تكوين الملكة اللغوية، البشير عصام المراكشي، بيروت والرياض، مركز نماء، ط١، ٢٠١٦م.
- تلخيص كتاب الشعر، ابن رشد، تحقيق تشارلس بتروورث وأحمد عبد المجيد هريدي، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٦م.
- تمثيلات السلطة: قراءة تفكيكية لمعلقة عمرو بن كلثوم، يوسف محمود عليمات، مجلة جامعة أم القرى لعلوم اللغات وآدابها، ع ٤، رجب ١٤٣١ هـ.
- تهافت اللغة العربية على شبكة الإنترنت، شاكر لعيبي،
http://www.perso.ch/slaibi/alarab%20sur%20internet.htm.
- تهجين الأبجدية العربية: المعجم الكبير نموذجا، ممدوح خسارة، مجلة التعريب، ع ٥٣ ديسمبر ٢٠١٧ م.
- تهذيب اللغة، الأزهري، تحقيق محمد عوض مرعب، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط١، ٢٠٠١ م.
- ثقافتنا في عصر العولمة، أحمد درويش، القاهرة، الشركة المصرية العالمية للنشر - لونجمان، ط١، ٢٠٠٣م.

- الثقافة العربية وعصر المعلومات، نبيل علي، الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، سلسلة عالم المعرفة، ٢٠٠١م.
- الثقافة العربية والمرجعيات المستعارة، عبد الله إبراهيم، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ٢٠٠٤م.
- الثقافة والإمبريالية، إدوارد سعيد، ترجمة كمال أبو ديب، بيروت، دار الآداب، ط٢، ١٩٩٨م.
- ثلاثة وثلاثون قرنا من تاريخ الأمازيغيين، محمد شفيق. د. ت.
- ثلاثية لغات الألفية الثالثة في المدرسة المغربية وثلاثية الإنصاف والفعالية والنجاعة، عبد القادر الفاسي الفهري، مجلة عالم التربية، ع ٢٦، ٢٠١٦م.
- ثمانون عاما من الحرب الفرنكفونية ضد الإسلام واللغة العربية، إدريس الكتاني، الرباط، منشورات نادي الفكر الإسلامي، ط١، ١٤٢١ هـ.
- الثنائيات في قضايا اللغة العربية من عصر النهضة إلى عصر العولمة، نهاد الموسى، القاهرة، دار الشروق، ط١، ٢٠٠٣م.
- الثورات العربية أسهمت في توحيد لهجات لغة الضاد، شارلوته شميتس وغيدو تسبيشن، ترجمة: سمير جريس،
http://ar.qantara.de/content/hmy-lqwmys-ltkhssy-wdwr-llm-wlthwrt-fy-twhyd-llg-lrby-lthwrt-lrby-shmt-fy-twhyd-lhjt-lg-ldd.
- الثورة القرآنية وأزمة التعليم الديني، أبو يعرب المرزوقي، الدار المتوسطية للنشر، ٢٠١٠م.
- جابر قميحة يتحدث عن الاستعمار اللغوي، موقع إسلام ويب،
https://www.islamweb.net/ar/article/17282/.
- الجاسوس على القاموس، أحمد فارس الشدياق، القسطنطينية، مطبعة الجوائب، ١٢٩٩ هـ.
- جدل العولمة: نظرية المعرفة وسياستها، نغوغي وا ثيونغو، ترجمة سعد البازعي، أبو ظبي، هيئة أبو ظبي للسياحة والثقافة، ط١، ١٤٣٥ هـ.
- جدوى التخطيط اللغوي اليوم، عبد الفتاح الجحمري، مجلة التعريب، ع ٥٠، شعبان ١٤٣٧ هـ.

- الجذور الفكرية لأيديولوجيا التعريب المطلق، أحمد عصيد، موقع الحوار المتمدن،
http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=153839&r=0.
- ياسين تملالي، ترجمة هيفاء زعيتر، السفير العربي،
http://assafirarabi.com/ar/361929/10/2015//%d8%a7%d984%%d8%ac%d8%b2%d8%a7%d8%a6%d8%b1-%d8%a7%d984%%d984%%d8%ba%d8%a7%d8%aa-%d988%%d987%%d8%b3%d8%aa%d98%a%d8%b1%d98%a%d8%a7-%d8%a7%d984%%d987%%d9%88%d98%a%d8%a7%d8%aa/.
- جمع الجواهر في الملح والنوادر، الحصري القيرواني، موقع المكتبة الشاملة.
- جمهرة اللغة، ابن دريد، تحقيق رمزي منير البعلبكي، ط١، بيروت، دار العلم للملايين، ط١، ١٩٨٧م.
- جمهرة نسب قريش وأخبارها، الزبير بن بكار، تحقيق محمود شاكر، القاهرة، مطبعة المدني، ١٣٨١ هـ.
- الجنى الداني في حروف المعاني، أبو محمد بدر الدين حسن بن قاسم المرادي، تحقيق فخر الدين قباوة ومحمد نديم فاضل، بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٣ هـ.
- الجهود اللغوية في المصطلح العلمي الحديث، محمد علي الزركان، دمشق، اتحاد الكتاب العرب، ١٩٩٨م.
- جوانب الدقة والغموض في المصطلح العلمي العربي الحديث، وجيه السمان، مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق، مج ٤٩، ع ١، ١٩٧٤م.
- الحادي عشر من سبتمبر ٢٠٠١ وتداعياته التربوية والثقافية في الوطن العربي، أحمد عمار، القاهرة، الدار المصرية اللبنانية، ط١، ١٤٢٥ هـ.
- حديث الأربعاء، طه حسين، بيروت، دار الكتاب اللبناني، ط٢، ١٩٧٤ م، ٣١٤.
- الحرب، ليندسي جيرمان، مرافعات ضد مجموعة الدول الثماني، تحرير جيل هوبارد وديفيد ميلر، ترجمة خالد العوض، الرياض، مكتبة العبيكان، ط١، ١٤٢٧ هـ.

- الحرب الكبرى على اللغة العربية، صحيفة المساء، ٤/ ٦/ ٢٠٠٩م.
- حرب اللغات والسياسات اللغوية، لويس جان كالفي، ترجمة حمزة حسن، بيروت، المنظمة العربية للترجمة، ط١، ٢٠٠٨م.
- حركة الترجمة في تونس وأبرز مظاهرها في الأدب، محمد مواعدة، الدار العربية للكتاب، د. ت.
- حركة التعريب في العراق، أحمد مطلوب، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، ١٩٨٣م.
- حزب البعث الفرنسي، أحمد بن نعمان، الجزائر، دار الأمة، ٢٠٠٠م.
- الحضارة، الثقافة، المدنية: دراسة لسيرة المصطلح ودلالة المفهوم، نصر محمد عارف ، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ط٢، ١٤١٥ هـ.
- الحلقة النقاشية التي أقامها مركز الملك عبد الله بن عبد العزيز الدولي لخدمة اللغة العربية عن اللغة والهوية من ١٠ - ١٢ جمادى الآخرة ١٤٣٣ هـ.
- حل مشكلة عدم المساواة الاقتصادية والسياسية: حالة جنوب إفريقية، جون غافينتا وكارين رنسيمان، التقرير العالمي للعلوم الاجتماعية، ٢٠١٦ م.
- حنين بن إسحاق: دراسة تاريخية ولغوية، محمد بن عبد الله الدبيان، الرياض، ١٤١٤ هـ.
- حوار اللغة، عبد القادر الفاسي الفهري، حافيظ الإسماعيلي العلوي، الرباط، منشورات زاوية، ط١، ٢٠٠٧م.
- حوار مع صديق أمازيغي، عبد السلام ياسين، الدار البيضاء، مطبوعات الأفق، ط١، ١٩٩٧م.
- الحور العين، نشوان الحميري، تحقيق كمال مصطفى، القاهرة، مكتبة الخانجي، ١٩٤٨م.
- حول تعريب التعليم وتعريب العلم والتكنولوجيا، أحمد سعيدان، مجلة مجمع اللغة العربية الأردني، ع١، مج١، عام ١٣٩٨ هـ.
- حول تعريب العلوم: مشاكل وحلول وآراء، أحمد سعيدان، مجلة مجمع اللغة العربية أردني، ع٢، ١٣٩٨ هـ.
- حول قرار التعريب، مجلة مجمع فؤاد الأول للغة العربية، مج٥.

- الحيوان، الجاحظ، تحقيق عبد السلام هارون، القاهرة، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، ط٢، ١٣٨٥ هـ.
- الخصائص، ابن جني، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط٤.
- الخصوصية الحضارية للمصطلحات، محمد عمارة، إشكالية التحيز في المصطلح والنقد، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ط٣، ١٤١٨ ه.
- خطر الترجمة في عصر الفرنجة وأثرها في إفساد اللغة العربية المحدثة، حسان الحاج إبراهيم. د. ت.
- خطر الدخيل على الفصحى والعامية معا، أبو القاسم سعد الله، مجلة اللغة العربية، الجزائر، ع٤، ٢٠٠١م.
- خمس عشرة سنة من النضال في خدمة اللغة العربية، الجزائر، الجمعية الجزائرية للدفاع عن اللغة العربية، ٢٠٠٥م.
- خوارزميات لرومنة الأسماء العربية، منصور محمد الغامدي، مجلة جامعة الملك سعود، م ١٧ علوم الحاسب والمعلومات، ١٤٢٥هـ.
- الدارجة ليست لغة المعرفة واستعمالها في التعليم سيحكم على المغرب بمزيد من التخلف، حسين مجدوبي، صحيفة ألف بوست.
- دراسات في فقه اللغة، صبحي الصالح، بيروت، دار العلم للملايين، ٢٠٠٩م.
- دراسات في اللغة، إبراهيم السامرائي، بغداد، ١٩٦١م.
- الدراسات اللغوية في العراق في النصف الأول من القرن العشرين، عبد الجبار جعفر القزاز، بغداد، كلية الآداب، جامعة بغداد، ١٣٩٩ هـ.
- درء تعارض العقل والنقل، تحقيق محمد رشاد سالم، الرياض، جامعة الإمام محمد بن سعود، ط٢، ١٤١١ هـ.
- دفاتر التربية والتكوين (بالمغرب)، ع ١، نونبر ٢٠٠٩م.
- دفاعا عن التعريب، محمد يوسف حسن، مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ع ٨٢، المحرم، ١٤١٩ هـ.
- دفاعا عن اللغة الهجين ضد الدكتور علي بن محمد، حميد عبد القادر، صحيفة الخبر الجزائرية، ٢٠/ ١٢/ ٢٠١٢ م، وموقع جزايرس، https://www.djazairess.com/elkhabar/315178.

- دفتر تحملات الشركة المغربية للإذاعة والتلفزة (بالمغرب).
- دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، تحقيق محمود شاكر، القاهرة، مطبعة المدني، وجدة دار المدني، ط٣، ١٤١٣ هـ.
- دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، أحمد بن الحسين البيهقي، بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٠٥ هـ.
- دور اللغة العربية المعاصرة في تشكيل الفكر العربي الحديث، فالح شبيب العجمي، حوار العرب، إبريل ٢٠٠٥م.
- دور مجامع اللغة العربية في التعريب، إبراهيم الحاج يوسف، الجماهيرية العظمى، كلية الدعوة، ط١.
- دور وسائل الاتصال الجماهيري في تطوير وظائف اللغة العربية: دراسة تطبيقية على عينة من مجتمع الإمارات، عام ٢٠١٣ - ٢٠١٤م.
- ديوان ابن الرومي، تحقيق حسين نصار، د. ت.
- ديوان أبي الطيب المتنبي بشرح أبي البقاء العكبري المسمى بالتبيان في شرح الديوان، تحقيق مصطفى السقا، بيروت، دار المعرفة، د. ت.
- ديوان أبي العتاهية، بيروت، دار بيروت، ١٤٠٦ هـ.
- ديوان بشار بن برد، تحقيق محمد الطاهر بن عاشور، القاهرة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٣٧٣ هـ.
- ديوان العباس بن الأحنف، بيروت، دار بيروت، ١٤٠٢ هـ.
- ديوان بهاء الدين زهير، بيروت، دار بيروت ودار صادر، ١٣٨٣ هـ.
- ديوان الصبابة، ابن أبي حجلة، المكتبة الشاملة.
- ديوان عبد الله بن المعتز، بيروت، دار صادر، د. ت.
- ديوان عدي بن زيد العبادي، جمع وتحقيق محمد جبار المعيبد، العراق، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، ١٣٨٥ هـ.
- ديوان عمر بن أبي ربيعة، بيروت، دار صادر، د. ت.
- الدين والهوية: إشكالات الصدام والحوار والسلطة، السيد ولد أباه، بيروت، جداول، ٢٠١٠م.

- الذات عينها كآخر، بول ريكور، ترجمة جورج زيناتي، بيروت، المنظمة العربية للترجمة، ط١، ٢٠٠٥م.
- ذاكرة الجسد، أحلام مستغانمي، بيروت، دار الآداب، ط١٥، ٢٠٠٠م.
- رحلة الكتاب العربي إلى ديار الغرب فكرا ومادة، محمد ماهر حمادة، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤١٢ هـ.
- الرسالة الحاتمية، أبو علي محمد بن الحسن الحاتمي، تحقيق فؤاد أفرام البستاني، المشرق، ١٩٣١م.
- رسالة الغفران، أبو العلاء المعري، تحقيق عائشة بنت عبد الرحمن، القاهرة، دار المعارف، ط ٨، ١٩٩٠م.
- رسالة مراتب العلوم، رسائل ابن حزم الأندلسي، تحقيق إحسان عباس، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط١، ١٩٨٣م.
- رسالة الملائكة، أبو العلاء المعري، تحقيق محمد سليم الجندي، بيروت، دار صادر، ١٤١٢ هـ.
- الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة، مكي بن أبي طالب القيسي، تحقيق أحمد حسن فرحات، عمان، مكتبة عمار، ط٢، ١٤٠٤ هـ.
- الرمز والرمزية في الشعر المعاصر، محمد فتوح أحمد، القاهرة، دار المعارف، ١٩٧٧م.
- روح الحداثة: المدخل إلى تأسيس الحداثة الإسلامية، طه عبد الرحمن، بيروت والدار البيضاء، المركز الثقافي العربي، ط٢، ٢٠٠٩م.
- الزحف على لغة القرآن، أحمد عبد الغفور عطار، بيرت، ط١، ١٣٨٥ هـ.
- سؤالات أبي حاتم السجستاني الأصمعي ورده عليه فحولة الشعراء، تحقيق محمد عودة أبو جرى، القاهرة، مكتبة الثقافة الدينية، ١٤١٤ هـ.
- سؤال اللغة: الهوية وزمن التحولات، عيسى برهومة، آفاق اللسانيات، إشراف وتحرير هيثم سرحا، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، ط١، ٢٠١١م.
- سؤال الهوية الكردية، عبد الكريم يحيى الزيباري، بيروت، دار الفارابي، ط١، ٢٠١٢م.
- السبع معلقات، عبد الملك مرتاض، دمشق، اتحاد الكتاب العرب، ١٩٩٨م.

- السجال اللغوي والثقافي حول اللغة الفرنسية في المغرب، مصطفى الغربي، ترجمة محمد اسليم،
http://aslimnet.free.fr/traductions/gharbi/fra3.htm.
- سفر صموئيل الأول، الإصحاح الخامس عشر.
- سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة، الألباني، الرياض دار المعارف، ط١، ١٤١٢ هـ.
- السماع والقياس، أحمد تيمور باشا، القاهرة، دار الآفاق العربية، ط١، ١٤٢١هـ.
- السوابق واللواحق في مصطلحات العلوم الطبية، محمد صادق الهلالي، مجلة مجمع اللغة العربية الأردني، ع ٣٢، جمادى الأولى - شوال، ١٤٠٧هـ.
- سياسات التعليم العالي في ليبية، محمد هاشم فالوقي. د. ت.
- سياسة التعريب والفرنكفونية: تعارضات وجدانية، جلبير غرانغيوم، ترجمة محمد اسليم، موقع محمد اسليم
http://aslimnet.free.fr/traductions/articles/ambivalence.htm.
- سياسة الشعر، أدونيس، بيروت، دار الآداب، ط١، ١٩٨٥م.
- السياسة اللغوية في الإصلاحات التربوية بين ضرورات الهوية المجتمعية وتحديات العولمة، فرحاتي العربي، مجلة عالم التربية، ع ٢٦، ٢٠١٦م.
- السياسة اللغوية في البلاد العربية، عبد القادر الفاسي الفهري، بيروت، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط١، ٢٠١٣ م.
- السياسة اللغوية القومية للغة العربية، تحرير شكري المبخوت وآخرين، تونس، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، ٢٠١٠م.
- السياسة اللغوية والتخطيط: مسار ونماذج، عبد القادر الفاسي الفهري، الرياض، مركز الملك عبد الله بن عبد العزيز الدولي لخدمة اللغة العربية، ط١، ١٤٣٥ هـ.
- السياسة والحكم: النظم السلطانية بين الأصول وسنن الواقع، حسن الترابي، بيروت، دار الساقي، ط٢، ٢٠٠٤م.
- السيرة النبوية، عبد الملك بن هشام، تحقيق مصطفى السقا وآخرين، القاهرة،

شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، ط٢، ١٣٧٥ هـ.
- شرح التسهيل، ابن مالك، تحقيق عبد الرحمن السيد ومحمد بدوي المختون، القاهرة، هجر للطباعة والنشر والتوزيع، ط١، ١٤١٠ هـ.
- شرح درة الغواص في أوهام الخواص، شهاب الدين الخفاجي، تحقيق عبد الحفيظ فرغلي علي قرني، بيروت، دار الجيل، ط١، ١٤١٧ هـ.
- شرح شافية ابن الحاجب، رضي الدين الأستراباذي، تحقيق محمد نور الحسن وآخرين، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٣٩٥ هـ.
- شرح شذور الذهب، ابن هشام الأنصاري، تحقيق بركات يوسف هبود، بيروت، دار الفكر، ١٤١٤ هـ.
- شرح مقولات بن نعمان، عبد الحميد عبدوس، الجزائر، دار الأمة، ٢٠١٣م.
- شرفات للرؤية: العولمة والهوية والتفاعل الثقافي، سعد البازعي، بيروت والدار البيضاء، المركز الثقافي العربي، ط١، ٢٠٠٠٥م.
- شروح سقط الزند، تحقيق مصطفى السقا وآخرين، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٤٠٦ هـ.
- شروط النهضة، مالك بن نبي، دمشق، دار الفكر، ١٤٠٦ هـ.
- شعرنا القديم والنقد الجديد، وهب أحمد رومية، الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب (سلسلة عالم المعرفة)، ١٩٩٦م.
- الشعر والشعراء، ابن قتيبة، القاهرة، دار الحديث، ١٤٢٣ هـ.
- شفاء الغليل فيما كلام العرب من الدخيل، شهاب الدين الخفاجي، تحقيق محمد كشاش، بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٨ ه.
- شمس العرب تسطع على الغرب، زيغريد هونكه، ترجمة فاروق بيضون وكمال دسوقي، بيروت، دار الجيل ودار الآفاق الجديدة، ط٨، ١٤١٣ هـ.
- الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، أحمد بن فارس، علق عليه أحمد حسن بسج، بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٨هـ.
- الصحاح: تاج اللغة وصحاح العربية، الجوهري، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، بيروت، دار العلم للملايين، ط٧.

- الصحافة العربية: نشأتها وتطورها، أديب مروة، بيروت، دار مكتبة الحياة، ١٩٦١م.
- صحيح البخاري، تحقيق محمد زهير الناصر، دار طوق النجاة، ط١، ١٤٢٢هـ.
- صحيح البخاري، تحقيق مصطفى ديب البغا، بيروت، دار ابن كثير، ط٣، ١٤٠٧ هـ.
- صدام الحضارات وإعادة بناء النظام العالمي، صموئيل هنتنغتون، ترجمة مالك عبيد أبو شهيوة ومحمود محمد خلف، مصراتة ليبية، الدار الجماهيرية، ط١ ١٤٢٩ هـ.
- الصراع بين القديم والجديد في الأدب العربي الحديث ، محمد الكتاني، الدار البيضاء، دار الثقافة، ط١، ١٤٠٢ هـ.
- صراع الغرب مع الإسلام: استعراض للعداء التقليدي للإسلام في الغرب، آصف حسين، ترجمة مازن مطبقاني، الرياض، مركز الفكر المعاصر، ط١، ١٤٣٤ هـ.
- الصعوبات المفتعلة على درب التعريب، جميل الملائكة، اللسان العربي، ع ٢٧.
- الصلات بين العرب والفرس وآدابهما في الجاهلية والإسلام، عبد الوهاب عزام، القاهرة، كلمات للترجمة والنشر، ٢٠١٣ م.
- الصورة الأدبية وخصائصها اللغوية بين البلاغيين والأسلوبيين، خالد بوزياني، رسالة دكتوراه بكلية الآداب - جامعة الجزائر، يوسف بن خده، السنة الجامعية ٢٠٠٦ / ٢٠٠٧م.
- ضد الحرب في العراق، تحرير غريغ روجيرو، ترجمة إبراهيم الشهابي، دمشق، دار الفكر، ط١، ١٤٢٤ هـ.
- طبقات فحول الشعراء، محمد بن سلام الجمحي، تحقيق محمود محمد شاكر، ١٩٧٤م.
- طبقات النحويين واللغويين، أبو بكر محمد بن الحسن الزبيدي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة، دار المعارف، ط٢، ١٩٨٤م.
- طروحات حول الثقافة واللغة والتعليم، محد جسوس، المغرب، الأحداث المغربية، ٢٠٠٤م.

- الطفل واللغة، الغالي أحرشاو، بيروت، المركز الثقافي العربي، ط١، ١٩٩٣م.
- ظاهرة الفرانكو أرب مخطط أمريكي للقضاء على اللغة العربية،
https://www.facebook.com/notes.
- ظاهرة القلقة والأصوات الانفجارية، إسماعيل عمايرة، أبحاث عربية، ١٩٩٤م.
- عبارات وتراكيب دخيلة، شبكة الفصيح،
http://www.alfaseeh.com/vb/showthread.php?t=14449&s=638dabaca40625b298d56fd03a938a72
- عبث الوليد في الكلام على شعر أبي عبادة الوليد بن عبيد البحتري، أبو العلاء المعري، تحقيق ناديا علي الدولة، دمشق، ١٣٩٨ هـ.
- عبد القادر الفاسي الفهري يسأل عن واقع اللغة العربية في المغرب، الحلقة الأولى، موقع أدباء الشام.
- عثمان سعدي: اللوبي الفرنكفوني العميل يعيق استعادة الجزائر سيادتها اللغوية، صحيفة الاتحاد، الأحد ١٥ يناير ٢٠٠٦م.
http://www.alittihad.ae/details.php?id=45470&y=2006.
- عجائب الآثار في التراجم والأخبار، عبد الرحمن حسن الجبرتي، تحقيق عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم، القاهرة، مطبعة دار الكتب المصرية، ١٩٩٧م.
- العربيزي في استعمال العربية: تجديد أم تهديد؟، أشواق كنالي،
http://learning.aljazeera.net/blogs/pages/b3198412-ec02407-a-846c-89bcfdf4bdbe.
- العرب والانتحار اللغوي، عبد السلام المسدي، بيروت، دار الكتاب الجديد، ط١، ٢٠١١م.
- العربية الإستراتيجية والأمن، عبد القادر الفاسي الفهري، شبكة صوت العربية،
http://www.voiceofarabic.net/index.php?option=com_content&view=article&id=437:363&catid=68:2008-50-10-07-06-16&Itemid=423.

- العربية تواجه العصر، إبراهيم السامرائي، بغداد، دار الجاحظ، ١٩٨٢.
- العربية: دراسات في اللغة واللهجات والأساليب، يوهان فك، ترجمة رمضان عبد التواب، القاهرة، مكتبة الخانجي، ١٤٠٠ هـ.
- العربية الفصحى الحديثة: بحوث في تطور الألفاظ والأساليب، جاروسلاف ستتكيفتش، ترجمة محمد حسن عبد العزيز وتعليقه، القاهرة، دار النمر للطباعة، ١٩٨٥.
- العربية الفصحى المعاصرة: قضايا ومشكلات، محمد حسن عبد العزيز، القاهرة، مكتبة الآداب، ط١، ١٤٣٣ هـ.
- العربية الفصحى: مرونتها وعقلانيتها وأسباب خلودها، عودة الله منيع القيسي، عمان، دار البداية، ط١، ١٤٢٨ هـ.
- العربية في السودان، عبد الله الطيب، مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ع ٨٩، شعبان ١٤٢١ هـ.
- العربية لغة العلوم والتقنية، عبد الصبور شاهين، القاهرة، دار الاعتصام، ١٩٨٦م.
- العربية المعاصرة، إبراهيم السامرائي، مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة، الأعداد ٨١ - ١٠٢.
- العربية المعاصرة والحس اللغوي، نعمة رحيم العزاوي، ذخائر، ع ٤، خريف ١٤٢١ ه.
- العربية والبحث اللغوي المعاصر، رشيد عبد الرحمن العبيدي، بغداد، المجمع العلمي، ١٤٢٥ ه.
- العربية والحداثة: أو الفصاحة فصاحات، محمد رشاد الحمزاوي، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ط٢، ١٩٨٦م.
- العربية ورهانها العولمي لسانيا، عبد الجليل مرتاض، العربية الراهن والمأمول، الجزائر، المجلس الأعلى للغة العربية، ط١، ١٤٣٠ هـ.
- العربية ومعول الترجمة في منظومة العولمة، حسام الدين مصطفى، موقع الحوار اليوم،
http://www.alhiwartoday.net/node/8875.

- العروبة أصل الحضارات، عبد الحق فاضل، مجلة اللسان العربي، ع ٣.
- عشرة مفاهيم - أعراض لتقويم الشأن اللغوي بالمغرب، عبد القادر الفاسي الفهري، السياسة اللغوية العربية والبيئة والبقاء، عمان، نور المعرفة، ط١، ١٤٣٧ هـ.
- العصر العباسي الأول، شوقي ضيف، القاهرة، دار المعارف، ط١٦.
- العقد الفريد، أحمد بن محمد بن عبد ربه، بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٠٤ هـ.
-العقل العربي ومجتمع المعرفة: مظاهر الأزمة واقتراحات الحلول، نبيل علي، الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، سلسلة عالم المعرفة، ٢٠٠٩م.
- علاقة الهوية باللغة بين التنظير والواقع: المجتمع التونسي نموذجا، محمود الذوادي، حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية، ع ٣٤، الرسالة ٣٩٤، ١٤٣٥هـ - ٢٠١٣م.
- علم التاريخ عند المسلمين، فرانز روزنتال، ترجمة صالح أحمد العلي، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط٢، ١٤٠٣ هـ.
- علم اللغة الاجتماعي، د. هدسون، ترجمة محمود عياد، القاهرة، عالم الكتب، ط٢، ١٩٩٠م.
- علم اللغة العام: الأصوات، كمال محمد بشر، القاهرة، دار المعارف، ط٧، ١٩٨٠م.
- علم اللغة: مقدمة للقارئ العربي، بيروت، دار النهضة العربية، د. ت.
- علم اللغة والترجمة، جورج مونان، ترجمة أحمد زكريا إبراهيم، القاهرة، المجلس الأعلى للثقافة، ط١، ٢٠٠٢ م.
- علم المصطلح وطرائق وضع المصطلحات في العربية، ممدوح محمد خسارة، دمشق، دار الفكر، ط٢، ١٤٣٤ هـ.
- علم النص، جوليا كريسطيفيا، ترجمة فريد الزاهي، الدار البيضاء، دار توبقال، ط١، ١٩٩١م.

- على محك النقد: لغة النقد، غازي مختار طليمات، البيان، ٢٣ مايو ٢٠٠٢م.
- العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، ابن رشيق القيرواني، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، بيروت، دار الجيل، ط٥، ١٤٠١ هـ.
- عناصر التعريب وقضيتنا الحضارية، محمد توفيق الرخاوي، مجلة اللسان العربي، ع ٥٢، عام ٢٠٠١ م.
- عند ما تموت اللغات: انقراض لغات العالم وتآكل المعرفة الإنسانية، ك. ديفيد هريسون، ترجمة محمد مازن جلال، الرياض، جامعة الملك سعود، ١٤٣٢ هـ.
- عن سياسات تعريب ما بعد الاستقلال، ثريا الخربوش، موقع أنفاس، http://www.anfasse.org/2012-59-15-30-12-2010/09-58-21-03-07-48-55-16-11-07-2010-3012/35.
- عن وضع اللغة العربية في الإشهار المغربي: من أجل علاقة طبيعية، محمد حفيظ، العربية في الإشهار والواجهة، الرباط، معهد الدراسات والأبحاث للتعريب، ٢٠٠٣ م.
- العوامل الطارئة على اللغة، محمد عيد، اللسان العربي، مج ٩، ج ١.
- عولمة الثقافة، جان بيير فارنيي، ترجمة عبد الجليل الأزدي، القاهرة، الدار المصرية اللبنانية، ط١، ١٤٢٣ هـ.
- العولمة والعولمة المضادة، عبد السلام المسدي، ١٩٩٩م.
- عيون الأخبار، ابن قتيبة، بيروت، دار الكتاب العربي (مصورة عن طبعة دار الكتب المصرية، ١٣٤٣ هـ).
- غرائب اللغة العربية، رفائيل نخلة، بيروت، دار المشرق، ط٤، د. ت.
- غرر الخصاص الواضحة وعرر النقائص الفاضحة، برهان الدين، محمد بن إبراهيم الوطواط، تحقيق إبراهيم شمس الدين، بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٢٩ هـ.
- الغريزة اللغوية: كيف يبدع العقل اللغة، ستيفن بنكر، ترجمة حمزة المزيني، الرياض، دار المريخ، ١٤٢٠ هـ.

- كتاب عملية اختراع الشرق الأوسط. أول من استخدم مصطلح الشرق الأوسط ملاح أميركي وحدث في ١٩٠٢،موقع البيان،
https://www.albayan.ae/one-world/20091.429151-30-04-.
- غرر الخصاص الواضحة وعرر النقائص الفاضحة، برهان الدين محمد بن إبراهيم الوطواط، تحقيق إبراهيم شمس الدين، بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٢٩ هـ.
- الغريزة اللغوية: كيف يبدع العقل اللغة، ستيفن بنكر، ترجمة حمزة المزيني، الرياض، دار المريخ، ١٤٢٠ هـ.
- غزو الأساليب الأعجمية للعربية والغزو الأجنبي للعربية، إبراهيم السامرائي، مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة، المجلد ٦٢، ١٤٠٨ هـ.
- فتنة الوهابية، أحمد زيني دحلان، إستانبول، ١٩٧٨م.
- فتوح مصر والمغرب، عبد الرحمن بن عبد الحكم، القاهرة، مكتبة الثقافة الدينية، ١٤١٥ هـ.
- الفرانكوفونية واللغة العربية، شاكر نوري، موقع مسارات.
- الفرنسية أفسدت لغة الجزائريين، وحولتها إلى أضحوكة، بوابة الشروق،
https://www.echoroukonline.com/ara/articles/223149.html
- الفروق بين أحادي اللغة وثنائي اللغة من تلاميذ الصفين الثاني والثالث الابتدائي في بعض المهارات اللغوية، مؤتمر لغة الطفل في عصر العولمة، ١٧/ ٩/ فبراير ٢٠٠٩م.
- الفصحى فريسة الطمطمانية والرطين، إلياس ربابي، صحيفة الحياة السبت ٢٣ إبريل ١٩٩٤/ ١٢ ذو القعدة ١٤١٤ هـ، ع ١١٣٨٩.
- الفصحى لغة القرآن، أنور الجندي، بيروت، دار الكتاب اللبناني ومكتبة المدرسة، ١٤٠٢ هـ.
- الفصحى والعامية اليافوية: تأملات وتساؤلات، أحمد صدقي الدجاني، مجلة مجمع اللغة العربية، ع ٩٠، شعبان ١٤٢١ هـ.
- فضل علماء المسلمين على الحضارة الأوربية، عز الدين فراج، القاهرة، دار الفكر، ١٤٢٣ هـ.

- فطرة الدفاع عن اللغة الأم بين التفعيل والتعطيل: وقائع ونماذج، رشيد أحمد بلحبيب،
http://www.abgadi.net/pdfs/vatfdtni.pdf 164.
- فقه الترجمة: مرشد تدريبي في قواعد الترجمة وأصولها، وليد بليهش العمري وعبد الحميد عليوة، الرياض، جامعة الإمام، مركز الملك عبد الله للترجمة والتعريب، ١٤٣٣ هـ.
- فقه اللغة والثقافة العربية، عباس السوسوة، القاهرة، دار غريب، ٢٠٠٩م.
- فقه اللغة وسر العربية، الثعالبي، بيروت، دار الكتب العلمية، د. ت.
- فقه اللغة وسر العربية، أبو منصور الثعالبي، تحقيق عبد الرزاق المهدي، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط١، ١٤٢٢ هـ، ٩٥ وما بعدها.
- فلسفة اللغة، كمال يوسف الحاج، بيروت، دار النشر للجامعيين، ١٩٥٦م.
- فلسفة اللغة، سليفان أورو وجاك ديشان وجمال كولوغلي، ترجمة بسام بركة، بيروت، المنظمة العربية للترجمة، ط١، ٢٠١٢ م.
- فلسفة اللغة العربية، عثمان أمين، القاهرة، مكتبة مصر، ١٩٦٥.
- فقه الفلسفة، طه عبد الرحمن، بيروت والدار البيضاء، المركز الثقافي العربي، ط٣، ٢٠٠٨ م.
- الفلسفة وقضايا اللغة: قراءة في التصور التحليلي، بشير خليفي، بيروت، الدار العربية للعلوم ناشرون، ط١، ١٤٣١ هـ.
- الفلسفة واللغة، عبد الوهاب جعفر، الإسكندرية، دار الوفاء، ٢٠٠٣م.
- فن الترجمة، محمد عناني، القاهرة، الشركة المصرية العالمية للنشر لونجمان، ط٥، ٢٠٠٠م.
- الفهرست، ابن النديم، بيروت، دار المعرفة، د. ت.
- الفهرست، ابن النديم، قابله على أصوله أيمن فؤاد سيد، لندن، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، ١٤٣٠ هـ.
- في آليات النقد الأدبي، عبد السلام المسدي، تونس، دار الجنوب، ١٩٩٤م.
- في الأدب الجاهلي، طه حسين، القاهرة، دار المعارف، ط١٨، ٢٠٠٥م.

- في أساليب اختيار المصطلح العلمي ومتطلبات وضعه، جميل الملائكة، مجلة اللسان العربي، ع ٢٤.
- في أصول اللغة، الجزء الثالث، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، إخراج مصطفى حجازي وضاحي عبد الباقي، القاهرة، ط٢، ١٤٣٥ ه.
- في أصول اللغة، الجزء الرابع، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، تقديم أحمد مختار عمر، ط١، ١٤٢٤ ه.
- في الأمن اللغوي، صالح بلعيد، الجزائر، دار هومة، ط٢، ٢٠١٢م.
- في التعريب، إدريس بن الحسن العلمي، جمع وتقديم أمل العلمي، الدار البيضاء، مطبعة النجاح، ٢٠٠١م.
- في سبيل العربية، محمد هيثم الخياط، القاهرة، مكتبة وهبة، ط٤، ١٤٢٥ هـ.
- في شرف العربية، إبراهيم السامرائي،
http://library.islamweb.net/newlibrary/display_umma.php?lang=&BabId=14&ChapterId=14&BookId=242&CatId=201&startno=0.
- في العلاقة بين الشعر المطلق والإعجاز القرآني، أبو يعرب المرزوقي، بيروت، دار الطليعة، ط١، ٢٠٠٠ م.
- في علم الكتابة، جاك دريد، ترجمة أنور مغيث ومنى طلبة، القاهرة، المركز القومي للترجمة، ط٢، ٢٠٠٨م.
- في غمار السياسة فكرا وممارسة، محمد عابد الجابري، بيروت، الشبكة العربية للأبحاث، ط١، ٢٠٠٩م.
- في الفكر واللغة، عثان أمين، القاهرة، معهد البحوث والدراسات العربية، ١٩٦٦/ ١٩٦٧ م.
- في اللغة، إدريس بن الحسن العلمي، الدار البيضاء، مطبعة النجاح، ٢٠٠١م.
- في لغة الإعلام، إبراهيم السامرائي، مجلة اللسان العربي ع ٥٣.
- في مخاطر فقدان العلاقة العضوية بين المجتمعات العربية ولغتها، محمود الذواي، اللسان وإشكالية التلقي، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، ط١، ٢٠٠٧م.

- لغة التنمية والتعليم في الجزائر، محمد بوقشور ومخنفر حفيظة،
https://www.univ-chlef.dz/eds/wp-content/uploads/201606//article-11-N3.pdf
- في مهب الريح، ميخائيل نعيمة، بيروت، نوفل شمم، د. ت.
- في المواطنة اللغوية وأشياء أخرى، صالح بلعيد، الجزائر، دار هومة، ٢٠٠٨م.
- في نظرية الرواية: بحث في تقنيات السرد، عبد الملك مرتاض، الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، سلسلة عالم المعرفة، ١٩٩٨م.
- في نظرية النص الأدبي، عبد الملك مرتاض، الجزائر، دار هومة، ط٢، ٢٠١٠م.
في يوم اللغة العربية وما قاله أمين الزاوي، عثمان سعدي، بواوبة الشروق،
http://www.echoroukonline.com/ara/articles/266787.html.
- قاموس اللسانيات، عبد السلام المسدي، تونس، الدار العربية للكتاب، د. ت.
- القاموس المحيط، الفيروز آبادي، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط٢/ ١٤٠٧ ه.
- قرارات المجمع في هذه الدورة: القرارات العلمية، مجلة مجمع اللغة العربية، ع ٨، القاهرة، مطبعة وزارة التربية والتعليم، ١٩٥٥.
- قرار الاشتقاق من أسماء الأعيان الجامدة، مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة،، ع١.
- القرارات المجمعية في الألفاظ والأساليب من ١٩٣٤ إلى ١٩٨٧ م، إعداد محمد شوقي أمين وإبراهيم الترزي، القاهرة، ١٤١٠ هـ.
- قضايا استعمال اللغة، ندوة لجنة اللغة العربية، أكاديمية المملكة المغربية، الحلقة الثانية، فاس١٦ -١٧، ربيع الآخر ١٤٢٦ هـ.
- قضايا لسانية معاصرة: حوار مع محمد المدلاوي، حافيظ إسماعيلي ومحمد الملاخ،
https://www.aljabriabed.net/n72_07malawi.htm.
- قضايا لسانية وحضارية، منذر عياشي، دمشق، دار طلاس، ط١، ١٩٩١م.
- قضية استعمال اللغة العربية في المغرب، الشاهد البوشيخي، قضايا استعمال اللغة، ندوة لجنة اللغة العربية، أكاديمية المملكة المغربية، الحلقة الثانية، فاس١٦ - ١٧، ربيع الآخر ١٤٢٦ هـ.

- قضية البنيوية: دراسة ونماذج، عبد السلام المسدي، تونس، دار الجنوب، ١٩٩٥م.
- قضية التحول إلى الفصحى في العالم العربي الحديث، نهاد الموسى، عمان، دار الفكر، ١٩٨٧م.
- قضية التعريب في الجزائر، عثمان سعدي، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، د. ت.
- قلائد المفاخر في غريب عوائد الأوائل والأواخر، رفاعة الطهطاوي، القاهرة، ١٢٤٩هـ.
- قلق المعرفة: إشكاليات فكرية وثقافية، سعد البازعي، بيروت، والدار البيضاء، المركز الثقافي العربي، ط١، ٢٠١٠م.
- قل ولا تقل، مصطفى جواد، دمشق، دار المدى للثقافة والنشر، ط١، ١٩٨٨م.
- القياس في اللغة العربية، محمد حسن عبد العزيز، القاهرة، دار الفكر العربي، ط١، ١٤١٥ه.
- القواعد العامة لوضع المصطلح، مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ج ١١.
- الكاف التمثيلية، مجلة اللسان العربي، مج٩، ج١.
- الكامل في ضعفاء الرجال، أبو أحمد بن عدي الجرجاني، تحقيق عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٨هـ.
- الكامل في اللغة والأدب، المبرد، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة، دار الفكر العربي، ط٣، ١٤١٧هـ.
- الكتاب، سيبويه، تحقيق عبد السلام هارون، بيروت، دار الجيل، د. ت.
- كتاب آراء أهل المدينة الفاضلة، الفارابي، تونس، سراس، ١٩٩٤م.
- كتاب أرسطاليس في الشعر، ترجمة متى بن يونس القنائي، تحقيق شكري عياد، القاهرة، دار الكتاب العربي، ١٣٨٦هـ.
- كتاب الأعاجيب في كلام الأعاريب في الصحافة والسياسة والإعلام، علي محمد الدرويش، ملبورن - أوستراليه، شركة رايتسكب، ط١، ٢٠٠٧م،.
- كتابة الأعلام الأجنبية بحروف عربية، مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ع ١٦، ١٩٦٣م.

- كتاب الألفاظ والأساليب، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، إعداد محمد شوقي أمين ومصطفى حجازي، القاهرة، ١٩٧٦م.
- كتاب التمرنة في الأصول النحوية، الخوري يوسف داود الموصلي، الموصل، دير الآباء الدومنكيين، ١٨٧٥م.
- كتاب الصناعتين: الكتابة والشعر، أبو هلال العسكري، تحقيق علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، بيروت، المكتبة العصرية، ١٤١٩ هـ.
- كتاب في أصول اللغة، أخرجه محمد خلف الله أحمد ومحمد شوقي أمين، أعيد طبعه بالقاهرة في مطابع دكيو، ١٤١٤ هـ.
- كتاب النوادر، أبو مسحل الأعرابي، تحقيق عزة حسن، دمشق، مجمع اللغة العربية، ١٣٨٠ هـ.
- الكشاف، الزمخشري، بيروت، دار المعرفة، د.ت.
- كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، حاجي خليفة، بيروت، دار إحياء التراث العربي، د. ت.
- الكلام أو الموت: اللغة بما هي نظام اجتماعي: دراسة تحليلية نفسية، مصطفى صفوان، ترجمة مصطفى حجازي، بيروت، المنظمة العربية للترجمة، ط١، ٢٠٠٨.
- كلمات العالم: منظومة اللغات الكونية، أبرام دوسوان، ترجمة صديق محمد جوهر، أبو ظبي، هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث (كلمة)، ط١، ١٤٣٢ هـ.
- الكلمات والأشياء، ميشيل فوكو، ترجمة مطاع صفدي وآخرين، بيروت، مركز الإنماء القومي، ١٩٨٩ - ١٩٩٠م.
- كلمة حياد، سعيد الأفغاني، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، ع ٣ - ٣، مارس ١٩٣٦ م.
- كي لا تموت لغتنا العربية، دياب أبو جهجه، صحيفة المساء، ٢٧/ ٣/ ٢٠٠٩.
- لا بد من تكامل العولمة والهوية ليكون العالم واحدا ومتعددا، عبد الهادي بو طالب، بحوث ندوة العولمة والهوية، أكاديمية المملكة المغربية، الرباط، ١٩٩٧.
- اللاتينية العربية: دراسة مقارنة بين لغتين بعيدتين قريبتين، علي فهمي خشيم، القاهرة، مركز الحضارة العربية، ٢٠٠٢م.

- لافتات الشارع التجاري في المشرق العربي بين العربية والتغريب، وفاء كامل فايد، موقع حماسة،
http://www.hamassa.com/201628/05//%D984%%D8%A7%D981%%D8%AA%D8%A7%D8%AA-%D8%A7%D984%%D8%B4%D8%A7%D8%B1%D8%B9-%D8%A7%D984%%D8%AA%D8%AC%D8%A7%D8%B1%D98%A-%D981%%D98%A-%D8%A7%D984%%D985%%D8%B4%D8%B1%D982-%%D8%A7%D984%%D8%B9%D8%B1%D8%A8/.
- لتحيا اللغة العربية يسقط سيبويه، شريف الشوباشي، القهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٤م.
- لسان حضارة القرآن، محمد الأوراغي، الرباط، دار الأمان، وبيروت، الدار العربية للعلوم ناشرون، ط١، ١٤٣١ هـ.
- لسان العرب، ابن منظور، بيروت، دار صادر، د. ت.
- اللسان العربي وإشكالية التلقي، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، ط١، ٢٠٠٧م.
- اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، طه عبد الرحمن، بيروت والرباط، المركز الثقافي العربي، ط٢، ٢٠٠٦م.
- اللسانيات وأسسها المعرفية، عبد السلام المسدي، تونس، الدار التونسية للنشر، والجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، ١٩٨٦ م.
- اللسانيات واللغة العربية، عبد القادر الفاسي الفهري، بغداد، دار الشؤون الثقافية العامة، والدار البيضاء، دار توبقال ودار الشؤون الثقافية العامة (آفاق). د. ت.
- اللغات الأجنبية بالمغرب، جواد عجيبي، موقع هبة بريس،
http://www.hibapress.com/details-40393.html.
- لغات حية، أحمد القاري، كيف تتعامل الدول مع لغاتها، أحمد القاري،
https://archive.org/details/loghat_7ayya_201711/page/n.
- اللغات الهجين والمولدة: دراسة لغوية اجتماعية، إبراهيم بن عبد العزيز أبو حيمد، مجلة الدراسات اللغوية، مج ١٥، ع١، المحرم وربيع الأول ١٤٣٤هـ.

- لغتنا العربية والسياسة، عبد الحي عبد الحق. د. ت.
- لغتنا والحياة، عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطئ)، القاهرة، دار المعارف، ١٣٩١ هـ.
- اللغة، فندريس، ترجمة عبد الحميد الدواخلي ومحمد القصاص، القاهرة، المركز القومي للترجمة، ٢٠١٤م.
- لغة الأرابيش تخفف «الكانسل» وتكثر «الأوكيه»، سعاد جروس، صحيفة الشرق الأوسط، الأربعاء ٢٤ ذو الحجة ١٤٢٦ هـ، ع ٩٩٢٠.
- اللغة الإعلامية: المفهومات - الأسس - التطبيقات، سامي الشريف وأيمن منصور ندا، القاهرة، ١٤٢٥ هـ.
- اللغة الباسلة، فتحي جمعة، القاهرة، دار النصر، ٢٠٠٠م.
- اللغة بين القومية والعالمية، إبراهيم أنيس، القاهرة، دار المعارف، ١٩٧٠م.
- لغة الجرائد، إبراهيم اليازجي، جمعه وقدم له نظير عبود، بيروت، دا عبود، ط١، ١٩٨٤م.
- لغة السياسة في الإسلام، برنارد لويس، ترجمة إبراهيم شتا، دار قرطبة، ط١، ١٩٩٣م.
- اللغة الشاعرة، عباس محمود العقاد، صيدا وبيروت، المكتبة العصرية، د. ت.
- اللغة الشاعرة، عباس محمود العقاد، القاهرة، دار نهضة مصر، ١٩٩٥م.
- اللغة العبرية في الكيان الصهيوني: البدايات والواقع والتحديات، محمد أحمد صالح حسين، الإستراتيجيات الدولية في خدمة اللغات الوطنية: دراسة لحالات مختلفة في التخطيط اللغوي والسياسة اللغوية، الرياض، مركز الملك عبد الله بن عبد العزيز الدولي، لخدمة اللغة العربية، ط١، ١٤٣٧ هـ.
- اللغة العربنجليزية في وسائط الإعلام الجديد أو تهجين اللغة العربية في وسائط الإعلام الجديد: الإنترنت وتطبيقاتها أنموذجا، رحيمة الطيب عيساني، مؤتمر اللغة العربية الدولي المنعقد بدبي من ٢٧ - ٣٠ جمادى الآخرة ١٤٣٤ هـ.

- لغة العرب وكيف ننهض بها، محمد عطية الأبراشي، القاهرة، مكتبة النهضة المصري، ط١، ١٣٦٦ هـ.
- اللغة العربية بين حماتها وخصومها، أنور الجندي، القاهرة، مطبعة الرسالة، د. ت.
- اللغة العربية بين العولمة والأصالة: تجليات العولمة في اللغة العربية، عمر عبد الهادي عتيق، مجلة جامعة القدس المفتوحة، ع ٢٢، شباط ٢٠١١م.
- اللغة العربية بين الموضوع والأداة، أحمد عمر مختار، مجلة فصول، مج ٤، ع٣، أبريل/ مايو / يونيو ١٩٨٤م.
- اللغة العربية بين الواقع والعولمة، صالح بلعيد، مجلة اللغة العربية، المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر، ع ٨، ٢٠٠٥م.
- اللغة العربية تواجه التحديات، طالب عبد الرحمن، موقع المكتبة الإسلامية - إسلام ويب،
http://library.islamweb.net/newlibrary/display_umma.php?lang=&BabId=1&ChapterId=2&BookId=2155&CatId=201&startno=0.
- اللغة العربية في الإذاعة والتلفاز والفضائيات في المملكة المغربية: دراسة تحليلية ونقد، محمد طلال:
http://www.majma.org.jo/index.php/2009-249/28-35-09-10-02-1-21.html.
- اللغة العربية في إسرائيل: سياقات وتحديات، محمد أمارة، الناصرة، المركز العربي للحقوق والسياسات، ط١، ٢٠١٠ م.
- اللغة العربية في الجزائر بين الوجود والتغييب ٢، عفاف عنيبة، هدى الإسلام، http://islamhudaa.com/i/12-.
- اللغة العربية في العصر الحديث: قيم الثبوت وقوى التحول، نهاد الموسى، عمان، دار الشروق، ١٤٢٨ ه.
- اللغة العربية في عصر العولمة، أحمد محمد الضبيب، الرياض، مكتبة العبيكان، ط٢، ١٤٢٧ ه.

- اللغة العربية في الفكر العربي من عصر النهضة إلى عصر العولمة، خالد محمد حسين اليوبي، رسالة دكتوراه بجامعة أم القرى، ١٤٢٩ - ١٤٣٠ هـ.
- اللغة العربية في القرن الحادي والعشرين، محمود فهمي حجازي، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، مج ٧٣ ع ٣، يوليو ١٩٩٨ هـ.
- اللغة العربية في مراحل الضعف والتبعية، عبد العلي الودغيري، بيروت، الدار العربية للعلوم ناشرون، ٢٠١٣.
- اللغة العربية في المغرب إلى أين؟ عبد القادر الفاسي الفهري، موقع صحيفة اللغة العربية صاحبة الجلالة،
http://www.arabiclanguageic.org/print_page.php?id=450.
- اللغة العربية كائن حي، جورجي زيدان، بيروت، دار الجيل، ط٢، ١٩٨٨م.
- اللغة العربية: نزعة التعدد اللغوي والثقافي في الميثاق، عباس الصوري، قضايا استعمال اللغة، ندوة لجنة اللغة العربية، أكاديمية المملكة المغربية، الحلقة الثانية، فاس ١٦ - ١٧، ربيع الآخر ١٤٢٦ هـ.
- اللغة العربية وتحديات العصر، عبد العزيز بن عبد الله، اللسان العربي، مج ١٣، ج ١.
- اللغة العربية ودورها في التشريع والقضاء، فهد أبو العثم، موقع مجمع اللغة العربية الأردني،
http://www.majma.org.jo/index.php/2009-470/28-35-09-10-02-52-43-07-23-04-2012.html
- اللغة العربية وسؤال المصير، نهاد الموسى، أبو ظبي، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الإستراتيجية، ط١، ١٤١٣ هـ.
- اللغة العربية والعصر، مصطفى جواد، المعلم الجديد، مج ٣، ج١، س ٥، ١٩٤٠م.
- اللغة العربية ومبدأ الترابية، أحمد الباهي وعبد الواحد مبرور، اللغة العربية في الخطاب التشريعي والإداري والإعلامي بالمغرب، الرباط، أكاديمية المملكة المغربية، ١١ - ١٢ ذو القعدة ١٤٣١ هـ.
- اللغة العربية ومكانتها بين اللغات، فرحان السليم، د. ت.

- اللغة العربية والهوية الثقافية وتجارب التعريب، عبد العزيز العاشوري، الهوية وقضاياها، ٢٦٩.
- اللغة العربية ووسائل الإعلام: أترجمة أم عدوى لغوية؟ إبراهيم السامرائي، مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ج ٤٣، جمادى الآخرة، ١٣٩٩ هـ.
- اللغة العربية والوعي القومي، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، ط٢، ١٩٨٦م.
- لغة العلم، إبراهيم مدكور مجلة، اللسان العربي، ع ٢٧، ١٩٨٦م.
- اللغة في المجتمع، م. م لويس، ترجمة تمام حسان وإبراهيم أنيس، القاهرة، دار إحياء الكتب العربية، ١٩٥٩م.
- لغة قريش، مختار الغوث، دمشق، دار البينة، ط٣، ١٤٣٢ هـ.
- لغة كل أمة روح ثقافتها، محمد عبد الكريم الجزائري، باتنة، دار الشهاب، د. ت.
- لغة الهوية والتعلم بين السياسة والاقتصاد: نموذج تماسكي تنوعي تعددي، عبد القادر الفاسي الفهري، اللغة والهوية في الوطن العربي: إشكاليات تاريخية وثقافية وسياسية، بيروت، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، ط١، ٢٠١٣.
- اللغة والإبداع: مبادئ علم الأسلوب العربي، شكري عياد، القاهرة، إنترناشيونال برس، ١٩٨٨م.
- اللغة والاقتصاد، لوريان كولماس، ترجمة أحمد عوض، الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون والأداب، سلسلة عالم المعرفة، ٢٠٠٠م.
- اللغة الواصفة في نقد عبد الملك مرتاض، رشيدة غانم، رسالة ماجستير، جامعة مولود معمري، تيزيوزو، ٢٠١١م.
- اللغة والإنترنت، ديفيد كريستال، ترجمة أحمد شفيق الخطيب، القاهرة، المجلس الأعلى للثقافة، ط١، ٢٠٠٥م.
- اللغة والبيئة، عبد القادر الفاسي الفهري، الرباط، جريدة الزمن، ٢٠٠٣م.
- اللغة والثورة: نقد الخطاب السياسي في أعمال جورج أورويل، عماد عبد اللطيف، http://maaber.50megs.com/issue_april12/lookout1.htm.

- اللغة والجماعة في المغرب العربي، جلبير غرانغيوم، ترجمة محمد اسليم، موقع محمد اسليم، http://aslimnet.free.fr/traductions/articles/communaute.htm
- اللغة والحضارة، إبراهيم السامرائي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط١، ١٩٧٧م.
- اللغة والسلطة والمجتمع في المغرب العربي، جلبير غرانغيوم، ترجمة محمد اسليم، الدار البيضاء، إفريقيا الشرق، ٢٠١١م.
- اللغة ووضع المصطلح الجديد، وجيه حمد عبد الرحمن، مجلة اللسان العربي، مج ١٩، ج ١.
- اللغة والعصر، مجلة لغة العرب، ج ٤، س ٦، كانون الثاني ١٩٢٨م.
- اللغة الوطنية والسياسات اللغوية: حالة المغرب وتجارب دولية، عز الدين البوشيخي، قضايا استعمال اللغة، ندوة لجنة اللغة العربية، أكاديمية المملكة المغربية، الحلقة الثانية، فاس١٦ -١٧ ربيع الآخر ١٤٢٦ هـ.
- اللغة والعلوم، محمد كامل حسين، مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ج ١٢.
- اللغة والمحيط، إدوارد سابير، مختار نويوات، موقع جامع كتب التراث.
- اللغة والهوية، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، محمود السيد، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، مج ٨٥، ج ٣.
- اللغة والهوية بين الثورة الجزائرية والثورة الفيتنامية، عثمان سعدي، الجزائر، دار الأمة، ٢٠١٤م.
- اللغة والهوية ومرحلة الاستعداد لتعلم القراءة: رؤية تنظيرية وتوجه تطبيقي، محمود كامل النقاة، أعمال مؤتمر لغة الطفل في عصر العولمة، ١٧-١٩ فبراير ٢٠٠٧ م.
- اللغة اليابانية: بعض السمات والمشكلات، شهاب الدين فارس، جامعة الملك سعود، كلية اللغات والترجمة، مركز البحوث، ١٤٢٥ هـ. - اللغة العربية والوعي القومي، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، ط٢، ١٩٨٦م.

- لغويات جديدة، أحمد محمد الحوفي، القاهرة، دار المعارف، ١٩٨٤م.
- لماذا تتغير اللغات، الرياض، ر. ل. تراسك، ترجمة محمد زمان جلال، جامعة الملك سعود، ١٤٣٤ هـ.
- لن تتكلم لغتي عبد الفتاح كيليطو، بيروت، دار الطليعة، ط٢، ٢٠١٢م.
- ماذا يقول الأعاجم: فضل اللغة العربية على العلوم والفنون، مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق، مج ١٣، ج ٩ و ١٠، جمادى الآخرة ورجب ١٣٥٤ هـ.
- ما لا تقوله الكلمات: بعض الطرق للحد من سوء تفاهم الثقافات، إديث سيزو، ترجمة خليل أحمد خليل، بيروت، دار الفارابي، ط١، ٢٠٠٣م.
- ما هكذا يا سعد تورد الإبل، محمد سليم الجندي، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، مج ١٣، ج ٨، ١٩٣٥م.
- المباحث اللغوية في العراق، مصطفى جواد، القاهرة، معهد الدراسات العربية العالية بجامعة الدول العربية، ١٩٥٥م.
- المتخيل السردي: مقاربات نقدية في التناص والرؤى الدلالية، عبد الله إبراهيم، بيروت، المركز الثقافي العربي، ط١، ١٩٩٠م.
- المترجم طليقا (عن التجربة وصاحبها)، طلعت شايب، الترجمة وإشكالات المثاقفة، إعداد مجاب إمام ومحمد عبد العزيز، الدوحة، منتدى العلاقات العربية الدولية، ط١، ٢٠١٤ م.
- المتلاعبون بالعقول: سقطات الإعلام في مصر، ياسر ثابت، دار اكتب للنشر والتوزيع، ١٤٣٦ هـ.
- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ابن الأثير، أحمد الحوفي وبدوي طبانة، القاهرة، دار نهضة مصر، د.ت.
- مجالس العلماء، أبو القاسم الزجاجي، تحقيق عبد السلام هارون، القاهرة، مكتبة الخانجي، ط٣، ١٤٢٠ هـ.
- المجتمعات العربية وعلاقتها النفسية والاجتماعية بلغتها في الميزان: المغرب العربي مثالا بعيون مفهوماتنا المستحدثة، محمود الذوادي، الرياض، مركز الملك عبد الله بن عبد العزيز الدولي لخدمة اللغة العربية، ط١، ١٤٣٦ هـ.

- مجلة عالم التربية في حوار مع الباحث الأكاديمي الدكتور عبد القادر الفاسي الفهري حول المسألة اللغوية في المغرب، ع ٢٦، ٢٠١٦م.
- مجلة اللسان العربي، ع ١٦/ ١٢/ ١٤١٤هـ.
- مجلة المجمع العلمي العربي، مج ٢، ج ٨، آب ١٩٢٢م.
- مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ج ١.
- مجلة مجمع اللغة العربية الملكي، ج ٢.
- مجلة مجمع اللغة العربية الملكي، ج ٧.
- مجمع الأمثال، الميداني، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، القاهرة، مطبعة السنة المحمدية، ١٣٧٤ هـ.
- مجموع الفتاوى، ابن تيمية، تحقيق عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، المدينة المنورة، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ١٤١٦ هـ.
- مجموعة القرارات العلمية في خمسين عاما ١٩٣ - ١٩٨٤، أخرجها وراجعها محمد شوقي أمين وإبراهيم الترزي، القاهرة، مجمع اللغة العربية، ١٤٠٤ هـ.
- مجموعة المصطلحات العلمية والفنية التي أقرها المجمع (١٣)، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ١٩٧١ هـ.
- مجموعة المصطلحات العلمية والفنية التي أقرها المجمع (٢١)، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ١٩٧٩م.
- محاسن العربية في المرآة الغربية أو دلالة الشكل في العربية في ضوء اللغات الأوربية، ديفيد جستس، ترجمة حمزة المزيني، الرياض، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ط١، ١٤٢٥ هـ.
- محاضرات في نشوء الفكرة القومية، ساطع الحصري، د. ت.
- محاولة في أصل اللغات، جان جاك روسو، ترجمة محمد محجوب، بغداد، دار الشؤون الثقافية، العامة وتونس، الدار التونسية للنشر، ١٩٨٤م.
- المحكم والمحيط الأعظم، ابن سيد، تحقيق عبد الحميد هنداوي، بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٢١ هـ.
- مختارات شعراء العرب، هبة الله بن الشجري، ضبطها وشرحها محمود حسن زناتي، مصر مطبعة الاعتماد، ط١، ١٣٤٤ هـ.

- المختصرات اللغوية الحديثة في اللغة العربية، عصام أبو سليم، مجلة مجمع اللغة العربية الأردني، ع ٥٢، ١٤١٧ هـ.
- المختصرات والرموز في التراث العربي، إبراهيم السامرائي، ع ٣٢، جمادى الأولى وشوال ١٤٠٧ هـ.
- المختصرات وطريقة أدائها باللغة العربية، عبد الكريم خليفة، مجلة مجمع اللغة العربية الأردني، ع ٣٨، جمادى الأولى - شوال، ١٤١٠ ه.
- مختصر صحيح البخاري، المسمى التجريد الصريح لأحاديث الجامع الصحيح، زين الدين أحمد بن عبد اللطيف الزبيدي، تحقيق إبراهيم بركة، بيروت، دار النفائس، ط١، ١٤٠٥ هـ.
- المخصص، ابن سيده، بيروت، دار الكتب العلمية، مصورة عن مطبعة بولاق.
- المخصص، ابن سيده، تحقيق خليل إبراهيم الجفال، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط١/ ١٤١٧ هـ.
- المدخل، علي جمعة محمد، القاهر، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ١٤١٧ هـ.
-مدخل إلى علم الأسلوب، شكري عياد، الرياض، دار العلوم، ط١، ١٤٠٢ هـ.
- مدخل إلى علم اللغة، محمود فهمي حجازي، القاهرة، دار قباء، ١٩٩٧ م.
- مدخل إلى علم النص ومجالات تطبيقه، محمد الأخضر الصبيحي، بيروت، الدار العربية للعلوم ناشرون، د. ت.
- المدرسة المغربية، ٤ - ٥، كتوبر ٢٠١٢ م.
- مدى التعريب في ألفاظ تصنيف المواليد، مصطفى الشهابي، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، مج ٣٥، ع ٢، ١٣٨٠ هـ.
- مدى النحت في اللغة العربية، مصطفى الشهابي، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، مج ٣٤، ع ٤، ١٣٧٩ هـ.
- المذكرات، محمد كرد علي، دمشق، مطبعة الترقي، ١٣٦٧ هـ.
- المرايا المحدبة: من البنيوية إلى التفكيك، عبد العزيز حمودة، الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، سلسلة عالم المعرفة، ١٩٩٨م.

- مروج الذهب ومعادن الجوهر، المسعودي، تحقيق يوسف البقاعي، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط١، د. ت.
- مروج الذهب ومعادن الجوهر، المسعودي، اعتنى به وراجعه كمال حسن مرعي، بيروت وصيدا، المكتبة العصرية، ط١، ١٤٢٥ هـ.
- المزهر في علوم اللغة وأنواعها، السيوطي، تحقيق محمد أحمد جاد المولى وآخرين، ط٣، القاهرة، مكتبة دار التراث، د. ت.
- مسار اللغة الأمازيغية: الرهانات والإستراتيجيات، أحمد بوكوس، المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية، ٢٠١٣م.
- مسألة أكراد سورية: الواقع، التاريخ، الأسطرة، فريق باحثين، الدوحة وبيروت، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، ط١، ٢٠١٣م.
- مسألة الهوية: العروبة والإسلام والغرب، محمد عابد الجابري، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، ط٤، ٢٠١٢ م.
-مستقبل التعريب في الوطن العربي وجهود المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ومكتب تنسيق التعريب في تحقيق التعريب الشامل، إسَلمُو ولد سيدي أحمد، موقع أقلام حرة،
http://aqlame.com/article1313.html.
- مستقبل الثقافة في مصر، طه حسين، القاهرة، دار المعارف، ط٢، ١٩٩٦م.
-مستقبل الكتابة العربية في ظل فوضى النقحرة وهجنة العرابيزي، مصطفى محمد رزق السواحلي.
- مستقبل اللغة العربية، أحمد الضبيب، الرياض، مركز الملك عبد الله بن عبد العزيز الدولي لخدمة اللغة العربية، ط١، ١٤٣٥ هـ.
- مستقبل اللغة !العربية بين محاربة الأعداء وإرادة السماء، أحمد بن نعمان، الجزائر، دار النعمان، ٢٠١٤م.
- مستلزمات تعريب التعليم العالي من واقع التجربة السودانية، دفع الله عبد الله الترابي، ندوة المسؤولين عن تعريب التعليم العالي في الوطن العربي المنعقدة في الخرطوم من ٣١-٣٣ رجب ١٤١٩ هـ.

- مسند أحمد، تحقيق السيد أبو المعاطي النوري، بيروت، عالم الكتب، ط٢، ١٤١٩ هـ.
- مسند أحمد، ط. قرطبة.
- مسند البزار، تحقيق عادل بن سعد، المدينة المنورة، مكتبة العلوم والحكم، ٢٠٠٩م.
- مشروع بانيبال، صموئيل شيمون، الترجمة وإشكالات المثاقفة، إعداد مجاب إمام ومحمد عبد العزيز، الدوحة، منتدى العلاقات العربية الدولية، ط١، ٢٠١٤م.
- مشروع مجمع اللغة العربية الأردني للرموز العلمية العربية، مجيد محمد علي القيسي، مجلة المجمع العلمي العراقي، مج ٣٩، ج ٢، ذو القعدة ١٤٠٨ هـ.
- مشكلات التعريب، محمود عبد المولى، تونس، الشركة الجديدة للطباعة والصحافة والنشر، ط١، ٢٠١٠م.
- مشكلات اللغة العربية، محمود تيمور، القاهرة، مكتبة الآداب، د. ت.
- مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي، مالك بن نبي، ترجمة بسام بركة وأحمد شعبو، بيروت: دار الفكر المعاصر، ودمشق: دار الفكر، ط١، ١٤١٣ هـ.
- المشهد اللساني العربي والراهن الثقافي: تحديات وآفاق، نعمان بوقرة، مقاربات في اللغة والأدب، جامعة الملك سعود، ٢٠٠٧م.
- المشهد اللغوي وتعليم اللغات في المغرب الكبير من النشأة إلى أيامنا، ميشيل قيطوط، ترجمة خالد محمد جهيمة، زليتين - ليبية، الجامعة الأسمرية الإسلامية، ط١، ٢٠١٧م.
- مصابيح التجربة، منير البعلبكي، بيروت، دار العلم للملايين (ملحق بمعجم المورد).
- المصباح المنير، الفيومي، بيروت، مكتبة لبنان، ١٩٨٧ م.
- مصر ياولاد، سناء البيسي، القاهرة، دار نهضة مصر، ٢٠٠٩ م.
- المصطلحات الأدبية الحديثة، محمد عناني، الشركة المصرية العالمية للنشر لونجمان، ٢٠٠٣م.

- المصطلحات العلمية في اللغة العربية في القديم والحديث، مصطفى الشهابي، بيروت، دار صادر، ط٣، ١٩٩٥م.
- مصطلحات في الطبيعة عدَّلها المجمع، مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ع ٨، ١٩٥٥ م.
- المصطلحات مشكلة علم اللغة العربي الحديث، عبد العزيز بن إبراهيم السويل، مجلة جامعة الملك سعود، م ٧ الآداب (١) ١٤١٥ هـ.
- مصطلحاتنا بين المشرق والمغرب، عبد السلام المسدي، صحيفة الرياض، الخميس ٢٨ صفر ١٣٢٦ هـ، ع ١٣٤٣٦.
- المصطلحات الوافدة وأثرها على الهوية الإسلامية، الهيثم غلفان، القاهرة، مركز الرسالة للدراسات والبحوث الإنسانية، ط١، ١٤٣٠ هـ.
- المصطلح التراثي العربي بين الإهمال والإعمال، علي القاسمي، موقع الجمعية الدولية لمترجمي العربية،
http://www.atida.org/index.php?option=com_content&view=article&id=202:2013-53-20-09-30-03&catid=30:-2009&Itemid=6.
- المصطلح الصوتي بين التعريب والترجمة: دراسة تمهيدية نحو وضع معجم صوتي ثنائي اللغة، محمود حلمي هليل، مجلة اللسان العربي، ع٣١.
- المصطلح الصوتي في الدراسات العربية، عبد العزيز الصيغ، بيروت، دار الفكر المعاصر، ودمشق، دار الفكر، ط٢، ١٤٢٧ هـ.
- المصطلح العلمي في اللغة العربية: عمقه التراثي وبعده المعاصر، رجاء وحيد دويدري، بيروت: دار الفكر المعاصر، ودمشق: دار الفكر، ط١، ١٤٣١ هـ.
- المصطلح العلمي ووحدة الفكر، جميل الملائكة، مجلة المجمع العلمي العراقي، مج ٣٤، ج ٣، رمضان ١٩٨٣م.
- المصطلح اللساني عند الفاسي الفهري، خالد عبد الكريم بسندي، التواصل، ع ٢٥ مارس ٢٠١٠م.
- المصطلح اللساني النقدي بين واقع العلم وهواجس توحيد المصطلح، محمد النويري، مجلة علامات، الجزء ٨، المجلد ٢، المحرم ١٤١٤ هـ.

- المصطلح وأهميته في المعجم التعليمي، زهير غازي زاهد وحوراء مهدي صاحب،
Route Educational & Social Science Journal Volume 5 (13) December 2018, 1054.
- المطاوعة: معناها وأوزانها، صالح بن سليمان الوهيبي، مجلة جامعة الملك سعود، م ٦ (الآداب ٢) ١٤١٤ هـ.
- المعارف، ابن قتيبة، تحقيق ثروت عكاشة، القاهرة، دار المعارف، ط٤، ١٩٨١م.
- معارك أدبية قديمة ومعاصرة، عبد اللطيف شرارة، بيروت، دار العلم للملايين، ط١، ١٩٨٤م.
- المعاصرون، محمد كرد علي، دمشق، مجمع اللغة العربية، ١٤٠١ هـ.
- المعاني في ضوء أساليب القرآن الكريم، عبد الفتاح لاشين، القاهرة، دار الفكر العربي، ١٤٢٤ هـ.
- المعجب في تلخيص أخبار المغرب، عبد الواحد المراكشي، تحقيق محمد سعيد العريان ومحمد العربي العلمي، القاهرة، مطبعة الاستقامة، ط١، ١٣٦٨هـ.
- معجم الأدباء، ياقوت الحموي، تحقيق إحسان عباس، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ط١، ١٤١٤ هـ.
- معجم الأغلاط اللغوية المعاصرة، محمد العدناني، بيروت، مكتبة لبنان، ط١، ١٩٨٤ م.
- معجم تصحيح لغة الإعلام، عبد الهادي بو طالب، بيروت، مكتبة لبنان ناشرون، ط١، ٢٠٠٦م.
- معجم تيمور الكبير في الألفاظ العامية، أحمد تيمور، تحقيق حسين نصار، القاهرة، دار الكتب والوثائق القومية، ط٢، ١٤٢٢ هـ.
- المعجم الفلسفي، جميل صليبا، بيروت، دار الكتاب اللبناني ومكتبة المدرسة، ١٩٨٢م.

- معجم المصطلحات اللسانية، عبد القادر الفاسي الفهري، بيروت دار الكتاب الجديد المتحدة، ٢٠٠٧ م.
- معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط١، ١٤٢٢ هـ.
- المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، د. ت.
- معذبو الأرض، فرانز فانون، ترجمة سامي الدروبي وجمال الأتاسي، د. ت.
- المعرب من الكلام الأعجمي على حروف المعجم، الجواليقي، تحقيق أحمد شاكر، ط٣، القاهرة، دار الكتب المصرية، ١٩٩٥م.
- المعرب والدخيل: من مشكلة المصطلح إلى مشكلة الهوية، فاطمة عليمات، المجلة الأردنية في اللغة العربية وآدابها، مج ٧، ع ٤، ذو القعدة ١٤٣٢ هـ.
- معركة المصطلحات بين الغرب والإسلام، محمد عمارة، القاهرة، دار نهضة مصر، د. ت.
- معطيات الحضارة المغربية، عبد العزيز بن عبد الله، الرباط، دار الكتب العربية، ط٣، ١٩٦٣م.
- مع المصادر في اللغة والأدب، إبراهيم السامرائي، بغداد، وزارة الثقافة والإعلام ودار الرشيد للنشر، ١٩٨١م.
- مغامرات لغوية، عبد الحق فاضل، بيروت، دار العلم للملايين، ١٩٧٥م.
- مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، ابن هشام الأنصاري، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، القاهرة، مطبعة المدني، د. ت.
- مفاتيح العلوم، محمد بن أحمد بن يوسف الخوارزمي، تحقيق إبراهيم الأبياري، بيروت، دار الكتاب العربي، ط٢، ١٤٠٩ هـ.
- مفاهيم الترجمة: المنظور التعريبي لنقل المعرفة، محمد الديداوي، الدار البيضاء وبيروت، المركز الثقافي العربي، ط١، ٢٠٠٧م.
- المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، تحقيق محمد سيد كيلاني، بيروت، دار المعرفة، د. ت.
- المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، جواد علي، ط٢، ١٤١٣ هـ.

- مفهوم الثقافة في العلوم الاجتماعية، دنيس كوش، ترجمة منير السعيداني، بيروت، المنظمة العربية للترجمة، ط١، ٢٠٠٧م.
- مفهوم المرجعية في المصطلح، فريد أمعضشو، صحيفة العلم، ٢٥/ ٢/ ٢٠١١، http://www.alalam.ma/def.asp?codelangue=23&id_info=38330.
- مقاربات في المسألة اللغوية بالمغرب، فؤاد بو علي، الرباط، وزارة الثقافة، ط١، ٢٠١٥م.
- مقالات أحلام مستغانمي، د. ت.
- مقدمة ابن خلدون، بيروت، دار القلم، ط٥، ١٩٨٤ م.
- ملامح يونانية في الأدب العربي، إحسان عباس، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط٢، ١٩٩٢م.
- الممارسات اللغوية في الخطاب الإشهاري الجزائري، محمد خاين، التواصل في اللغات والثقافة والآداب، ع ٣٣، مارس ٢٠١٣م.
- من الآثار الإيجابية للغة الإعلام: الاستجابة الآنية لاحتياجات اللغة وسد فجواتها المعجمية، أحمد مختار عمر، أعمال مؤتمر علم اللغة الأول، جامعة القاهرة، ١٧ و١٨ ديسمبر ٢٠٠٢م.
- من أجل تفاعل لغوي، علال الفاسي، مطبعة علال الفاسي، ط١، د. ت.
- من الأديب مالك حداد إلى الأمير خالد الفيصل: اللغة العربية ذات شجون، عبدالله بن ثاني، صحيفة الجزيرة الخميس ١٤ المحرم ١٤٣١، ع ١٣٦٠٨.
- من أسرار اللغة، إبراهيم أنيس، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، ط٦، ١٩٧٨م.
- من إشكالات الترجمة الأدبية وخصوصيتها الثقافية، ماهر شفيق، الترجمة وإشكالات المثاقفة، إعداد مجاب الإمام ومحمد عبد العزيز، الدوحة، منتدى العلاقات العربية الدولية، ٢٠١٤م.
- من حاضر اللغة العربية، سعيد الأفغاني، بيروت، دار الفكر، ط٢، ١٩٧١م.
- منحوتات البدوء، عبد المجيد نصير، مجلة مجمع اللغة العربية الأردني، ع ٣٢، جمادى الأولى - شوال ١٤٠٧ هـ.

- من ديوان السياسة، عبد الله العروي، بيروت والدار البيضاء، المركز الثقافي العربي، د، ت.
- منزلة اللغة العربية بين اللغات المعاصرة: دراسة تقابلية، عبد المجيد الطيب عمر، مكة، الرئاسة العامة لشؤون المسجد الحرام والمسجد النبوي، ط٢، ١٤٣٧ هـ.
- المنصف لابن جني شرح التصريف لأبي عثمان المازني، دار إحياء التراث القديم، ط١، ١٣٧٣ هـ.
- المنظمة العربية للترجمة: تجربة نقاء فكري وإثراء حضاري ثقافي، هيثم غالب الناهي، الترجمة وإشكالات المثاقفة، إعداد مجاب إمام ومحمد عبد العزيز، الدوحة، منتدى العلاقات العربية الدولية، ط١، ٢٠١٤م.
- من العربية المعاصرة، إبراهيم السامرائي، مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهر، الأعداد من ٨١ -١٠٢.
- منهاج البلغاء وسراج الأدباء، حازم القرطاجني، تحقيق محمد الحبيب بن الخوجة، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ط٣، ١٩٨٦ هـأ.
- المنهجية العامة للتعريب المواكب، أحمد الأخضر غزال، الرباط، معهد الدراسات وأبحاث التعريب، ١٩٧٧م.
- منهجية وضع المصطلح، أحمد شفيق الخطيب، العربية وبناء الذات،
http://library.islamweb.net/newlibrary/display_umma.php?lang=&BabId=1&ChapterId=2&BookId=2191&CatId=201&startno=0.
- منهجية وضع المصطلحات الجديدة في الميزان، وجيه حمد عبد الرحمن، اللسان العربي، ع ٢٤.
- منهجية وضع المصطلحات العلمية الجديدة مع ترجمة للسوابق واللواحق الشائعة، أحمد شفيق الخطيب، مجلة اللسان العربي، مج ١٩، ج ١.
- المنهل، سهيل إدريس وجبور عبد النور، بيروت، دار الآداب ودار العلم للملايين، ط٨، ١٩٨٥م.
- مواجهة العولمة في التعليم والثقافة، حامد عمار، القاهرة، مكتبة الدار العربية للكتاب، ط١، ١٤٢١ هـ.

- المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار (الخطط المقريزية)، المقريزي، بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٨ هـ.
- المواهب الفتحية في علوم اللغة العربية، حمزة فتح الله، القاهرة، المطبعة الأميرية، ١٣٢١ هـ.
- موت اللغة، ديفيد كريستال، ترجم فهد بن مسعد اللهيبي، د. ت.
- المورد، منير البعلبكي، بيروت، دار العلم للملايين، ط٢١، ١٩٨٧م.
- الموسوعة اللغوية، تحرير ن. ي. كولنج، ترجمة محيي الدين حميدي وعبد الله الحميدان، الرياض، جامعة الملك سعود، ١٤٢١ هـ.
- موقف العقل والعلم والعالم من رب العالمين وعباده المرسلين، مصطفى صبري، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط٢، ١٤٠١ هـ.
- موقف من البنيوية، شكري عياد، مجلة فصول، مج١، ع٢، ربيع الأول ١٤٠١هـ.
- مولود قاسم نايت بلقاسم: حياته وآثاره، شهادات ومواقف، تحرير أحمد بن نعمان، الجزائر، دار النعمان، ٢٠١٦م.
- النحت، مجلة مجمع اللغة العربية الملكي، ج ٧، ١٩٥٣م.
- النحت في اللغة العربية، نها الموسى، الرياض، دار العلوم للطباعة والنشر، ط١، ١٤٠٥ هـ.
- النحت، وجيه السمان، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، م ٥٧، ج ١و٢، إبريل ١٩٨٢م.
- النحت في العربية قديما وحديثا، رفعت هزيم، مجلة مجمع اللغة العربية الأردني، ع ٧٨، المحرم - رجب ١٤٣١ هـ.
- النحت في اللغة العربية، أحمد مطلوب، مقال. د. ت.
- النحت في اللغة العربية، رمسيس جرجس، مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ج ١٣، ١٩٦١م.
- النحت في اللغة العربية وسيلة لتوسيع اللغة، مارون غصن، مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق، مج ١٣، ج ٥ و٦ و١١و ١٢، صفر وربيع الأول وشعبان ورمضان ١٣٥٤ هـ.

- النحت قديما وحديثا، كيفورك ميناجيان، اللسان العربي، مج٩، ج١.
- نحن واللسانيات: بحث في إشكالات التلقي، حافيظ إسماعيلي علوي، اللسان العربي وإشكالية التلقي، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، ط١، ٢٠٠٧م.
- نحو المساواة بين الجنسين في لغة العرب: مقاربة مبدئية، حسام الخطيب، مجلة ثقافات، شتاء ٢٠٠٤م.
- النحو الوافي، عباس حسن، القاهرة، دار المعارف، ط٤، د. ت.
- نشوء اللغة العربية ونموها واكتهالها، أنستاس الكرملي، القاهرة، دار الثقافة الدينية، د. ت.
- نظرات في التربية الروحية، عبد الواحد يحيى (ريني جينو) ترجمة عبد الباقي مفتاح، إربد، عالم الكتب الحديث، ٢٠١٤ هـ.
- نظرية الرواية: بحث في تقنيات السرد، عبد الملك مرتاض، الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، سلسلة عالم المعرفة، ١٩٩٨م.
- النظرية اللسانية والشعرية في التراث العربي من خلال النصوص، جمع عبد القادر المهيري وآخرين، تونس، الدار التونسة للنشر، ١٩٨٨م.
- نظرية اللغة الثالثة: دراسة في قضية اللغة العربية الوسطى، أحمد المعتوق، بيروت والدار البيضاء، المركز الثقافي العربي، ط١، ١٤٢٦ هـ.
- نظرية اللغة العربية: تأسيسات جديدة لنظامها وأبنيتها، عبد الملك مرتاض، الجزائر، دار البصائر، ٢٠١٢م.
- نظرية المعنى للترجمة، أحمد القصوار، طنجة الأدبية، ١٥/ ١٠/ ٢٠١٠، وموقع مغرس
https://www.maghress.com/aladabia/5237.
- نظرية النص الأدبي، عبد الملك مرتاض، الجزائر، دار هومة، ط٢، ٢٠١٠م.
- النقاش اللغوي والتعديل الدستوري في المغرب، فؤاد بوعلي، الدوحة، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، ط١، ٢٠١٢ م.
www.dohainstitute.org.

- النقد الأدبي المعاصر: قضاياه واتجاهاته، سمير حجازي، القاهرة، دار الآفاق العربية، ط١، ٢٠٠١م.
- النقد الثقافي نظرية جديدة أم إنجاز في سياق مشروع متجدد، معجب الزهراني، عبد الله الغذامي والممارسة النقدية والثقافية، البحرين، وزارة الإعلام والثقافة والتراث الوطني، وبيروت، الدار العربية للدراسات والنشر، ط١، ٢٠٠٠م.
- النقد العربي الحديث ومدارس النقد الغربية، محمد الناصر العجيمي، صفاقس، دار محمد علي الحامي، وسوسة، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، ط١، ١٩٩٨م.
- النقد اللغوي بين التحرر والجمود، نعمة رحيم العزاوي، بغداد، دائرة الشؤون الثقافية والنشر، ١٩٨٤م.
- النكت في إعجاز القرآن، الرماني، ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، تحقيق محمد خلف الله أحمد، ومحمد زغلول سلام، القاهرة، دار المعارف، ط٣، ١٩٧٦م.
- النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير، تحقيق محمود محمد الطناحي وطاهر أحمد الزاوي، المكتبة الإسلامية، ط١، ١٣٨٣ هـ.
- النهضة اللغوية وخطاب التلهيج الفرنكفوني: في نقد الاستعمار اللغوي الجديد (حالة المغرب)، سلمان بو نعمان، بيروت، مركز نماء للبحوث والدراسات، ط١، ١٤٣٥ هـ.
- النوادر في اللغة، أبو زيد الأنصاري، تحقيق محمد عبد القادر أحمد، بيروت، دار الشروق، ط١، ١٤٠١ هـ.
- ن والقلم وما يسطرون: بحث في أسرار الحروف العربية المعجمية، مصطفى جواد، مجلة المجمع العلمي العراقي، ع ١٩، ١٣٩٠ هـ.
- هاتان تفاحتان حمراوان: دراسة في التحيز وعلاقة الدال بالمدلول، عبد الوهاب المسيري، إشكالية التحيز في المصطلح والنقد، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ط٣، ١٤١٨ هـ.

- هدم الإسلام بالمصطلحات المستوردة زينب عبد العزيز، دمشق والقاهرة، دار الكتاب العربي، ط١، ٢٠٠٤م.
- هرطقات عن الديموقراطية والعلمانية والحداثة والممانعة العربية، جورج طرابيشي، لندن، دار الساقي، ط١، ٢٠٠٦م.
- هل الألمانية خليط لغوي؟ تأثير اللاتينية والإنجليزية والفرنسية على تطور اللغة الألمانية، أوفه بوركسن، ترجمة ماجدة بركات، موقع فكر وفن،
http://www.goethe.de/ges/phi/prj/ffs/the/spr/ar4980180.htm#top .
- هل تنجح الثورة في استئصال ضعف الوطنية اللغوية في البلاد، محمود الذوادي، موقع ميديا بلوس.
- هل في استطاعة العولمة أن تهدر الهوية، عبد الهادي التازي، العولمة والهوية، دورات الأكاديمية المغربية، ٥ - ٧ مايو ١٩٩٧م.
- هل للذات العربية دور في إحداث التوازن الحضاري المنشود؟ أنثروبولوجية اللغة بين التثاقف والانثقاف، مروة كريدية،
http://www.diwanalarab.com/spip.php?page=article&id_article=8611.
- همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، السيوطي، تحقيق عبد العال سالم مكرم، الكويت، دار البحوث العلمية، ١٣٩٩ هـ.
- هويتنا أو الهاوية، محمد بن أحمد بن إسماعيل المقدم، المكتبة الشاملة.
- الهوية الإسلامية في زمن العولمة الثقافية، خليل نوري مسيهر العاني، بغداد، ديوان الوقف السني، ط١، ١٤٣٠ ه.
- الهوية العربية في ظل العولمة: إطلالة على الهوية في مصر والعالم العربي، أحمد محمد وهبان، الرياض، الجمعية السعودية للعلوم السياسية، د. ت.
- الهوية والاغتراب في الوعي العربي، حسن حنفي، اللغة والهوية في الوطن العربي: إشكاليات تاريخية وثقافية وسياسية، الدوحة، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، ط١، ٢٠١٣م.
- هيمنة اللغات الأجنبية في العالم العربي، محمد أمارة،
www.dirasat-aclp.org/arabic/files/Amara-Arabic4.doc، 3.

- الهيمنة اللغوية، روبرت فليبسون ترجمة سعد هادي الحشاش، الرياض، جامعة الملك سعود، ١٤٢٨ هـ.
- واجهلي وخجلي من لغتي، فاطمة رضا، صحيفة الحياة، ١٨/ ٢٠٠٢م.
- الوافي بالوفيات، صلاح الدين الصفدي، تحقيق أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، بيروت، دار إحياء التراث، ١٤٢٠ هـ.
- واقع التعريب من ألفه إلى يائه، حسن سعيد غزالة، مجلة التعريب، مج ١١، ع٢١، ٢٠٠١م.
- واقع اللغة العربية في وسائل الإعلام، عمر الدقاق، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، مج ٧٤، ج ٣، ربيع الأول ١٤٢٠ هـ.
- الواقع اللغوي في العالم العربي في ضوء هيمنة اللهجات المحلية واللغات الإنجليزية، عبد الجواد توفيق محمود، رؤى إستراتيجية، مج ٢ ع ٥، يناير ٢٠١٤م.
- واقع الهوية اللغوية في المجتمعات العربية بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر ٢٠٠١، عائض الردادي، موقع حماسة،
http://www.hamassa.com/201615/04/.
- وحي الرسالة، أحمد حسن الزيات، القاهرة، دار نهضة مصر، ١٣٨١ هـ.
- الوسائط اللغوية: أفول اللسانيات الكلية، محمد الأوراغي، الرباط، دار الأمان، ط١، ١٤٢١ هـ.
- وسائل الإعلام بين العامية والعجمة، يوسف عز الدين، مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ع ١٠٢، (موقع المكتبة الشاملة).
- وسائل جديدة لتطوير اللغة العربية، محمد عبد الجليل بلقزيز، قضايا استعمال اللغة العربية في المغرب، الحلقة الثانية، المناقشات، الرباط، أكاديمية المملكة المغربية، ١٤٢٦ هـ.
- الوضع اللغوي في الفصحى المعاصرة، محمد حسن عبد العزيز، القاهرة، دار الفكر العربي، ط١، ١٤١٣ هـ.
- الوضع اللغوي وهل للمحدثين حق فيه، أحمد حسن الزيات، مجلة مجمع اللغة العربية الملكي، ج ٨.

- ويل لأمة مغصوبة اللسان، فهمي هويدي، جريدة الخليج ع٧٤٠١، ٢٤/ ٨/ ١٩٩٩م.
- يرفع الرأس عاليا، عبد القادر المغربي، مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ج٩، ١٩٥٧م.

المراجع الإنجليزية

- Oxford Students Dictionary of Current English, p. 44.
- English Is ACrazy Lznguage, 110 - 113.

سلسلة الحرب الباردة على الكينونة العربية

التجني على الهوية

درس الكتاب ما أُلصق بالعربية من تهم، كالصعوبة، والشيخوخة، وعدم الصلاحية للعلم، وأبان أن ما نُسب إليها من ذلك كان بعضه في معرض التبغيض، وتسويغ الدعوة إلى التبدل بها. وبيَّن أن ليس في اللغة الإنسانية لغة صعبة بإطلاق، وأخرى سهلة بإطلاق، وأن في كل لغة ما يصعب وما يسهل، وأن صعوبة اللغة -إن فرضت صحتها- لا تسوغ التبدل بها، وإنما يجب عدُّها قدَرا، ليس للشعوب إلا التكيف معه. وليس في اللغات ما يصلح للعلم وما لا يصلح له بالطبع، وكل لغة عظيمة كانت يوما لهجة فقيرة، محدودة الانتشار، ثم صارت إلى ما صارت إليه بسلطان أهلها، وجدهم في ترقيتها. ولا معنى لشيخوخة اللغة ما دامت تؤدي ما يريد أهلها، واتصال حياة العربية وقدمُها فضيلة من فضائلها؛ لأنها ربطت حاضر العرب بماضيهم ومستقبلهم، وأتاحت لهم أن ينتفعوا بأقدم تراثهم كما ينتفعون بأحدثه، وعدم اتصال غيرها جعل تراث أهلها المكتوب قبل قرون يسيرة تراثا أجنبيا، لا تفيد منه إلا كما تفيد من تراث اللغات الأجنبية بالترجمة.

مختار الغوث

أ.د. بجامعة طيبة في المدينة المنورة

له من الكتب والبحوث: "لغة قريش"، و " الشعر القرشي في القرون الثلاثة الأولى"، والسموأل: أخباره والشعر المنسوب إليه"، و "النقد الأدبي في رسالة الغفران"، و "معلقة عمرو بن كلثوم: دراسة وتحليل"، و "دراسة في معلقة عنترة بن شداد"، و "اللهجات العربية الغربية القديمة لكايم رابين"، و"الوجيز في العروض والقافية"، و "مناهج البحث في اللغة والأدب" (بالاشتراك)، و " الحقيقة والخيال في الغزل العذري والغزل الصريح"، و "هل كان للجاهلية نقد أدبي؟"، " والنحل في شعر امرئ القيس"، و" شعر قريش في الجاهلية"، و " على الأطلال: دراسة في البناء واللغة"، و"النقد الأدبي في صدر الإسلام والعصر الأموي: دراسة نقدية للأخبار والمأثورات"، و "عبيد الشعر كل كانوا عبيدا؟، و "ابن قتيبة ومنتقدوه"، و "الحركة الإسلامية في تركيا"، و"العقل أولا" و "بناء الفكر" و "قضايا النقد العربي القديم".

وله مقالات كثيرة وبحوث في الأدب والنقد واللغة والفكر والسياسة، منشورة في صحف ومجلات إلكترونية شتى.

ISBN 978-9921-721-40-9

9 789921 721409

صوفيا

+965 5222 4643

@sophia_kwt

info.sophiakw@gmail.com